

الكِفاية

في التفسير بالمأثور والدرّاية

تأليف الفقير إلى رحمة ربه

عبدالله خضر حمد

باحث عراقي

الجزء الخامس والثلاثون

[سورة الواقعة، الآية: ٦٣] - [آخر سورة المنافقون]

منشور إلكترونياً

١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م

حقوق النسخ والطبع والنشر مسموح بها لكل مسلم

ملاحظة:

إلى الذين يرغبون بطبع التفسير من دور النشر والجهات الخيرية، يرجى
مراسلة المؤلف -لطفًا وتكرما- على البريد الإلكتروني الآتي، وذلك
لإرسال التفسير بأحدث نسخة إن شاء الله، وفقنا الله تعالى وإياكم لما
يرضيه برحمته، آمين.

abdulla.khdhir@gmail.com

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

القرآن

{أَفْرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَلَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٥) إِنَّا لَمُعْرِمُونَ (٦٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٦٧)} [الواقعة : ٦٣-٦٧]

التفسير:

أفرايتم الحرث الذي تحرثونه هل أنتم تثبتونه في الأرض؟ بل نحن نُقِرُّ قراره وننبتة في الأرض؟ لو نشاء لجعلنا ذلك الزرع هشيمًا، لا يُنتفع به في مطعم، فأصبحتم تتعجبون مما نزل بزرعكم، وتقولون: إنا لخاسرون معدّبون، بل نحن محرومون من الرزق.

قوله تعالى: {أَفْرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ} [الواقعة : ٦٣]، أي: "أفرايتم الحرث الذي تحرثونه"^(١).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: أفرايتم أيها الناس الحرث الذي تحرثونه"^(٢).

قال ابن كثير: "وهو شق الأرض وإثارتها والبذر فيها"^(٣).

قال السعدي: "وهذا امتنان منه على عباده، يدعوهم به إلى توحيده وعبادته والإنابة إليه، حيث أنعم عليهم بما يسره لهم من الحرث للزروع والثمار، فتخرج من ذلك من الأقوات والأرزاق والفواكه، ما هو من ضروراتهم وحاجاتهم ومصالحهم، التي لا يقدر أن يحصوها، فضلا عن شكرها، وأداء حقها"^(٤).

قوله تعالى: {أَلَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ} [الواقعة : ٦٤]، أي: "هل أنتم تثبتونه في الأرض؟ بل نحن نُقِرُّ قراره وننبتة في الأرض؟"^(٥).

قال الطبري: "يقول: أنتم تصيرونه زرعًا، أم نحن نجعله كذلك؟"^(٦).

قال ابن كثير: " {أَلَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ}، أي : تثبتونه في الأرض {أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ}، أي : بل نحن الذين نُقِرُّ قراره وننبتة في الأرض"^(٧).

قال مقاتل: "يعنى: نحن الحافظون. يقول: أنتم تثبتونه أم نحن المنبتون له"^(٨).

قال السعدي: "أي: أنتم أخرجتموه نباتًا من الأرض؟ أم أنتم الذين نميتموه؟ أم أنتم الذين أخرجتم سنبله وثمره حتى صار حبا حصيدا وثمرًا نضيجا؟ أم الله الذي انفرد بذلك وحده، وأنعم به عليكم؟ وأنتم غاية ما تفعلون أن تحرثوا الأرض وتشقوها وتلقوا فيها البذر، ثم بعد ذلك لا علم عندكم بما يكون بعد ذلك، ولا قدرة لكم على أكثر من ذلك ومع ذلك، فنبههم على أن ذلك الحرث معرض للأخطار لولا حفظ الله وإبقاؤه لكم بلغة ومناعا إلى حين"^(٩).

عن مجاهد: " {أَلَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ}، قال: تثبتونه"^(١٠).

قال مجاهد: " لا تَقُلْ: زرعْتُ. ولكن قل: حرثتُ. إن الله هو الزارع"^(١١).

قال أبو عبد الرحمن السلمي: " لا تقولوا: زرعنا ولكن قولوا: حرثنا"^(١٢).

(١) التفسير الميسر: ٥٣٦.

(٢) تفسير الطبري: ١٣٨/٢٣.

(٣) تفسير ابن كثير: ٥٤٠/٧.

(٤) تفسير السعدي: ٨٣٥.

(٥) التفسير الميسر: ٥٣٦.

(٦) تفسير الطبري: ١٣٨/٢٣-١٣٩.

(٧) تفسير ابن كثير: ٥٤٠/٧.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٢٢/٤.

(٩) تفسير السعدي: ٨٣٥.

(١٠) الدر المنثور: ٢٣/٨، وعزاه إلى ابن المنذر.

(١١) أخرجه البيهقي في سننه ٦/١٣٨.

(١٢) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٤٠/٧.

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تقولن زرعت ولكن قل حرتت" قال أبو هريرة ألم تسمع إلى قول الله: {أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ * أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ} (١).

وروي عن حُجْر المدري: "أنه كان إذا قرأ: {أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ} وأمثالها يقول: بل أنت يا رب" (٢).

قوله تعالى: {لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا} [الواقعة : ٦٥]، أي: "لو نشاء لجعلنا ذلك الزرع هشيمًا، لا يُنتفع به في مطعم" (٣).

قال عطاء: "تَبْنَا لَا قَمَحَ فِيهِ" (٤).
قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: لو نشاء جعلنا ذلك الزرع الذي زرعه هشيمًا لا يُنتفع به في مطعم وغذاء" (٥).

قال ابن كثير: "أي: نحن أنبتناه بلطفنا ورحمتنا، وأبقيناه لكم رحمة بكم، ولو نشاء لجعلناه حطامًا، أي: لأيبسناه قبل استوائه واستحصاده" (٦).

قال مقاتل: "لَوْ نَشَاءُ" إذا أدرك وبلغ، {لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا}، يعني: هالكا" (٧).
قال الزجاج: "أي: لو جعلنا ما تزرعون حطامًا، أي: أبطلناه حتى يكون متحطمًا لا حنطة فيه ولا شيء مما تزرعون" (٨).

قال أبو عبيدة: "الحطام الهشيم والرفات والرّخام: واحد، ومتاع الدنيا حطام" (٩).
قوله تعالى: {فَطَلْتُمْ نَفْكَهُونَ} [الواقعة : ٦٥]، أي: "فأصبحتم تتعجبون مما نزل بزرعكم" (١٠).

وفي قوله تعالى: {فَطَلْتُمْ نَفْكَهُونَ} [الواقعة : ٦٥]، وجوه من التفسير:
أحدها: فطلتم تتعجبون مما نزل بكم في زرعكم من المصيبة باحتراقه وهلاكه. قاله ابن عباس (١١)، ومجاهد (١٢)، وقتادة (١٣).

عن ابن وهب، قال: "قال ابن زيد، في قوله: {فَطَلْتُمْ نَفْكَهُونَ}، قال: تعجبون حين صنع بحرثكم ما صنع به، وقرأ قول الله عز وجل: {إِنَّا لَمُعْرَمُونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ}، وقرأ قول الله: {وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ}، قال: هؤلاء ناعمين، وقرأ قول الله جل ثناؤه {فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ} . . . إلى قوله: {كَانُوا فِيهَا فَكِهِينَ} (١٤).
الليثاني: "نفكته من كذا وفكته - أي: عجبت" (١٥).

الثاني: فطلتم تلاومون بينكم في تقريظكم في طاعة ربكم جل ثناؤه، حتى نالكم بما نالكم من إهلاك زرعكم. وهذا قول عكرمة (١٦).

(١) أخرجه الطبري: ١٣٩/٢٣.

(٢) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٥٤٠/٧.

(٣) التفسير الميسر: ٥٣٦.

(٤) تفسير البغوي ٨ / ٢٠.

(٥) تفسير الطبري: ١٣٩/٢٣.

(٦) تفسير ابن كثير: ٥٤٠/٧.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٢٢/٤.

(٨) معاني القرآن: ١١٤/٥.

(٩) مجاز القرآن: ٢٥١/٢.

(١٠) التفسير الميسر: ٥٣٦.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ١٣٩/٢٣.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ١٣٩/٢٣.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ١٣٩/٢٣.

(١٤) أخرجه الطبري: ١٤٠/٢٣.

(١٥) المخصص، لابن سيده: ٣٧٠/٣.

(١٦) انظر: تفسير الطبري: ١٤٠/٢٣.

الثالث: فظلمتم تندمون على ما سلف منكم في معصية الله التي أوجب لكم عقوبته، حتى نالكم في زرعكم ما نالكم. وهذا قول الحسن^(١)، وقتادة في رواية-^(٢)، والسدي^(٣).
قال الزجاج: "أي تَنْدَمُونَ"^(٤).

قال ابن كثير: "معناه: إما على ما أنفقتم، أو على ما أسلفتم من الذنوب"^(٥).
وقال ابن الأعرابي: "تفكهت، وتفكنت، أي: تندمت"^(٦).

الرابع: تحزنون، قاله ابن كيسان^(٧).

الخامس: تفجعون وتحزنون على ما فاتكم من زرعكم. قاله مجاهد^(٨).

قال ابن كثير: "وهذا يرجع إلى الأول، وهو التعجب من السبب الذي من أجله أصيبوا في مالهم"^(٩).

قال الطبري: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى {فَظَلَّمْتُمْ}: فأقمتم تعجبون مما نزل بزرعكم وأصله من: التفكه بالحديث إذا حدّث الرجلُ الرجلَ بالحديث يعجب منه، ويلهى به، فكذلك ذلك. وكأن معنى الكلام: فأقمتم تتعجبون يُعَجِّبُ بعضكم بعضاً مما نزل بكم"^(١٠).

قال ابن كثير: " {فَظَلَّمْتُمْ تَفَكَّهُونَ}. ثم فسر ذلك بقوله: {إِنَّا لَمُعْرَمُونَ}. بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ، أي: لو جعلناه حطاماً لظلمتم تفكّهون في المقالة، تنوعون كلامكم"^(١١).

قال السعدي: "أي: فصرتم بسبب جعله حطاماً، بعد أن تعبتم فيه وأنفقتم النفقات الكثيرة {تَفَكَّهُونَ} أي: تندمون وتحسرون على ما أصابكم، ويزول بذلك فرحكم وسروركم وتفكهكم"^(١٢).

قال الكسائي: "«تفكه» من الأضداد، تقول العرب: تفكّهت، أي: تنعمت، وتفكّهت، أي: حزنت"^(١٣).

قوله تعالى: {إِنَّا لَمُعْرَمُونَ} [الواقعة: ٦٦]، أي: "وتقولون: إنا لمحمّلون الغرم في إنفاقنا حيث ذهب زرعنا وغرمننا الحبّ الذي بذرناه"^(١٤).

قال ابن كثير: "فتقولون تارة: {إِنَّا لَمُعْرَمُونَ}، أي: لمُلقون، وتارة تقولون: بل نحن محرومون"^(١٥).

وفي قوله تعالى: {إِنَّا لَمُعْرَمُونَ} [الواقعة: ٦٦]، وجوه من التفسير:

أحدها: إنا لمولع بنا. قاله مجاهد^(١٦)، وعكرمة^(١٧)، ومنه قول النمر بن تولب^(١٨):
سلا عن تذكره تكتما ... وكان رهيناً بها مغرمًا

(١) انظر: تفسير الطبري: ١٤٠/٢٣.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ١٤٠/٢٣.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٤١/٧.

(٤) معاني القرآن: ١١٤/٥.

(٥) تفسير ابن كثير: ٥٤١/٧.

(٦) تهذيب اللغة: ١٥٥/١٠.

(٧) انظر: النكت والعيون: ٤٦٠/٥.

(٨) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٤١/٧.

(٩) تفسير ابن كثير: ٥٤١/٧.

(١٠) تفسير الطبري: ١٤١/٢٣.

(١١) تفسير ابن كثير: ٥٤٠/٧.

(١٢) تفسير السعدي: ٨٣٥.

(١٣) نقلا عن: الكشف والبيان: ٢١٦/٩، وتفسير ابن كثير: ٥٤١/٧.

(١٤) صفوة التفاسير: ٣٩٥/٣.

(١٥) تفسير ابن كثير: ٥٤٠/٧.

(١٦) انظر: تفسير الطبري: ١٤١/٢٣.

(١٧) انظر: تفسير الطبري: ١٤١/٢٣.

(١٨) انظر: النكت والعيون: ٤٦١/٥، وتفسير القرطبي: ٤٦١/٥.

أي: مولع.

قال مقاتل: " يعني: إنا لمولع بنا الغرم"^(١).
الثاني: إنا لمعدّبون. قاله قتادة^(٢)، وأبو عبيدة^(٣)، وأنشد قول بشر بن أبي خازم^(٤):
ويومُ النَّسَارِ ويومُ الجِفاءِ ... ر كانا عذابًا وكانا غرامًا
الثالث: إنا لملقون للشرِّ. قاله مجاهد-أيضا-^(٥).
الرابع: إنا محدودون، يعني: لا حظ لنا. قاله مجاهد-أيضا-^(٦)، وأنشد له الماوردي البيت السابق.

قال الطبري: " وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: إنا لمعدّبون، وذلك أن الغرام عند العرب: العذاب، ومنه قول الأعشى^(٧):
يُعاقِبُ يَكُنْ غَرَامًا وَإِنْ يَع ... ط جَزِيلاً فَإِنَّهُ لَا يُبَالِي
يعني بقوله: يكن غرامًا: يكن عذابًا"^(٨).

قال الزجاج: " أي: يقولون قد غررنا وذهب زررنا"^(٩).
قال السعدي: " أي: إنا قد نقصنا وأصابتنا مصيبة اجتاحتنا"^(١٠).
قوله تعالى: {بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ} [الواقعة: ٦٧]، أي: " بل نحن محرومون الرزق،
غررنا قيمة البذر، وخررنا خروج الزرع"^(١١).
قال مقاتل: " ولقلتم: بل حررنا خيرها"^(١٢).

قال الطبري: " يعني بذلك تعالى ذكره أنهم يقولون: ما هلك زررنا وأصبنا به من أجل
{إِنَّا لَمُعْرَمُونَ}، ولكننا قوم محرومون، يقول: إنهم غير محدودين، ليس لهم جد"^(١٣).

قال السعدي: " ثم تعرفون بعد ذلك من أين أتيتم، وبأي سبب دهيتم، فتقولون: {بَلْ نَحْنُ
مَحْرُومُونَ} فاحمدوا الله تعالى حيث زرعه الله لكم، ثم أبقاه وكماله لكم، ولم يرسل عليه من
الآفات ما به تحرمون نفعه وخيره"^(١٤).

عن مجاهد: " {بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ}، قال: حوررنا فحررنا"^(١٥). وفي لفظ: " أي:
محدودون"^(١٦).

قال قتادة: " أي: محارِقون"^(١).

-
- (١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٢٢/٤.
 - (٢) انظر: تفسير الطبري: ١٤١/٢٣.
 - (٣) انظر: مجاز القرآن: ٢٥١/٢.
 - (٤) البيت بشر بن أبي خازم، وهو في (الديوان) صفحة ١٩٠. وقد استشهد به الزبيدي في (لسان العرب) باب: غرم، ونسبه إلى الطرماح. واستشهد به ياقوت الحموي في (معجم البلدان). يوم النَّسَارِ: كان بين بني ضبّة وبني تميم. والنسار: جبال صغار كانت الوقعة عندها، وقال بعضهم: هو ماء لبني عامر. (مجمع الأمثال: ٢/٤٣٠). يوم الجفار: كان بعد النَّسَارِ بحول، وكان بين بني بكر وتميم. وهو ماء لبني تميم بنجد. (مجمع الأمثال: ٢/٤٣٠). وقد استشهد الميداني في (مجمع الأمثال) ٢/٤٣٠ بالبيت.
 - (٥) انظر: تفسير الطبري: ١٤١/٢٣.
 - (٦) انظر: النكت والعيون: ٤٦١/٥، وتفسير ابن كثير: ٥٤١/٧.
 - (٧) ديوانه: ٩، ومجاز القرآن لأبي عبيدة: ٣٢٥/١، ٨٠/٢، وإعراب القرآن للنحاس: ٢٢٧/٤، ٥٤٨، والكشف والبيان: ١٤٦/٧، والنكت والعيون: ١٥٥/٤، وغيرها.
 - (٨) تفسير الطبري: ١٤١/٢٣-١٤٢.
 - (٩) معاني القرآن: ١١٤/٥.
 - (١٠) تفسير السعدي: ٨٣٥.
 - (١١) صفوة التفاسير: ٣٩٥/٣.
 - (١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٢٢/٤.
 - (١٣) تفسير الطبري: ١٤٢/٢٣.
 - (١٤) تفسير السعدي: ٨٣٥.
 - (١٥) أخرجه الطبري: ١٤٢/٢٣.
 - (١٦) تفسير مجاهد: ٦٤٤.

قال ابن كثير: "أي : لا يثبت لنا مال، ولا ينتج لنا ربح"^(٢).
قال محمد بن كعب القرظي: "المحروم: الذي تصيبه الجائحة"^(٣).

القرآن

{أَفْرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨) أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ (٦٩)} [الواقعة : ٦٨-٦٩]

التفسير:

أفرايتم الماء الذي تشربونه لتحيوا به، أنتم أنزلتموه من السحاب إلى قرار الأرض، أم نحن الذين أنزلناه رحمة بكم؟
قوله تعالى: {أَفْرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ} [الواقعة : ٦٩]، أي: "أفرايتم الماء الذي تشربونه لتحيوا به"^(٤).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: أفرايتم أيها الناس الماء الذي تشربون؟"^(٥).
قوله تعالى: {أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ} [الواقعة : ٦٩]، أي: "أنتم أنزلتموه من السحاب إلى قرار الأرض، أم نحن الذين أنزلناه رحمة بكم؟"^(٦).
قال الطبري: يقول: "أنتم أنزلتموه من السحاب فوقكم إلى قرار الأرض، أم نحن منزلوه لكم؟"^(٧).

قال أبو عبيدة: "المُزْنُ: السَّحَابُ. واحدها: مزنة"^(٨).

عن مجاهد، في قوله: "مِنَ الْمُزْنِ"، قال: السحاب"^(٩).

قال قتادة: "أي: من السَّحَابِ"^(١٠).

قال ابن زيد: "المزن: السحاب اسمها، {أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ}، قال: السحاب"^(١١).

قال ابن عباس: "المزن: السماء والسحاب"^(١٢).

قال السعدي: "لما ذكر تعالى نعمته على عباده بالطعام، ذكر نعمته عليهم بالشراب العذب الذي منه يشربون، وأنهم لولا أن الله يسره وسهله، لما كان لكم سبيل إليه، وأنه الذي أنزله من المزن، وهو السحاب والمطر، ينزله الله تعالى فيكون منه الأنهار الجارية على وجه الأرض وفي بطنها، ويكون منه الغدران المتدفقة"^(١٣).

القرآن

{لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ (٧٠)} [الواقعة : ٧٠]

التفسير:

لو نشاء جعلنا هذا الماء شديد الملوحة، لا يُنتفع به في شرب ولا زرع، فهلا تشكرون ربكم على إنزال الماء العذب لنفعمكم.

(١) أخرجه الطبري: ١٤٢/٢٣.

(٢) تفسير ابن كثير: ٥٤٠/٧.

(٣) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب (٢٠٢): ص ١٠٣/٢.

(٤) التفسير الميسر: ٥٣٦.

(٥) تفسير الطبري: ١٤٢/٢٣.

(٦) التفسير الميسر: ٥٣٦.

(٧) تفسير الطبري: ١٤٢/٢٣.

(٨) مجاز القرآن: ٢٥٢/٢.

(٩) أخرجه الطبري: ١٤٣/٢٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ١٤٣/٢٣.

(١١) أخرجه الطبري: ١٤٣/٢٣.

(١٢) أخرجه الطبري: ١٤٣/٢٣.

(١٣) تفسير السعدي: ٨٣٥.

قوله تعالى: {لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاًا} [الواقعة : ٧٠]، أي: "لو نشاء جعلنا هذا الماء شديد الملوحة، لا يُنتفع به في شرب ولا زرع"^(١).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: لو نشاء جعلنا ذلك الماء الذي أنزلناه لكم من المزن ملحًا، وهو الأجاج، والأجاج من الماء: ما اشتدت ملوحته، يقول: لو نشاء فعلنا ذلك به فلم تنتفعوا به في شرب ولا غرس ولا زرع"^(٢).

قال مقاتل: " {لَوْ نَشَاءُ} بعد العذوبة، {جَعَلْنَاهُ أَجَاًا}، يعني: مالحا مرا من شدة الملوحة"^(٣).

قال الفراء: {أَجَاًا} وهو الملح المر الشديد المرارة من الماء"^(٤).

قال أبو عبيدة: " {أَجَاًا}: أشد الملوحة"^(٥).

قال ابن كثير: " أي : زُعَاًا مُرًّا لا يصلح لشرب ولا زرع"^(٦).

عن مجاهد، وقتادة: " {أَجَاًا}: منصبًا"^(٧).

قال الحسن البصري: {لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاًا} مُرًّا"^(٨).

قال قتادة: "الأجاج: المر"^(٩).

قال السعدي: " ومن نعمته أن جعله عذبا فراتا تسيغه النفوس، ولو شاء لجعله ملحًا أجاجا مكروها للنفوس"^(١٠).

قوله تعالى: {فَلَوْلَا نَشْكُرُونَ} [الواقعة : ٧٠]، أي: " فهلا تشكرون ربكم على إنزال الماء العذب لنفعمكم"^(١١).

قال مقاتل: " رب هذه النعم فتوحدونه حين سقاكم ماء عذبا"^(١٢).

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: فهلا تشكرون ربكم على إعطائه ما أعطاكم من الماء العذب لشربكم ومنافعمكم، وصلاح معاشكم، وتركه أن يجعله أجاجًا لا تنتفعون به"^(١٣).

قال ابن كثير: " أي : فهلا تشكرون نعمة الله عليكم في إنزاله المطر عليكم عذبا زلالا!
{لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ. يُبَيِّتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [النحل : ١٠ ، ١١]"^(١٤).

عن أبي جعفر، عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه إذا شرب الماء قال : "الحمد لله الذي سقانا عذبا فرانا برحمته، ولم يجعله ملحًا أجاجًا بذنوبنا"^(١٥).

القرآن

- (١) التفسير الميسر: ٥٣٦.
- (٢) تفسير الطبري: ١٤٣/٢٣.
- (٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٢٣/٤.
- (٤) معاني القرآن: ١٢٩/٣.
- (٥) مجاز القرآن: ٢٥٢/٢.
- (٦) تفسير ابن كثير: ٥٤١/٧.
- (٧) أخرجه الطبري -كما في الفتح ٢٩ /٥ -.
- (٨) تفسير البغوي ٢١ /٨.
- (٩) أخرجه ابن أبي حاتم -كما في الفتح ٢٩ /٥ - . وفي المطبوع من تفسير عبد الرزاق ٧٠ /٢ من طريق معمر، ومن تفسير ابن أبي حاتم ٢٧٠٨ /٨ من طريق سعيد، عند قوله تعالى: {وهذا ملح أجاج} [الفرقان: ٥٣].
- (١٠) تفسير السعدي: ٨٣٥.
- (١١) التفسير الميسر: ٥٣٦.
- (١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٢٣/٤.
- (١٣) تفسير الطبري: ١٤٣/٢٣.
- (١٤) تفسير ابن كثير: ٥٤١/٧.
- (١٥) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٤١/٧، وهذا مرسل وعزاه الهندي في كنز العمال (١١١/٧) إلى أبي نعيم في الحلية.

{أَفْرَأَيْتُمْ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (٧١) أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ (٧٢) [الواقعة : ٧٢]}
التفسير:

أفرايتم النار التي توقدون، أنتم أوجدتم شجرتها التي تقدح منها النار، أم نحن الموجودون لها؟
قوله تعالى: {أَفْرَأَيْتُمْ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ} [الواقعة : ٧١]، أي: "أفرايتم النار التي توقدون"^(١).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: أفرايتم أيها الناس النار التي تستخرجون من زَنَدِكُمْ"^(٢).

قال ابن كثير: "أي : تقدحون من الزناد وتستخرجونها من أصلها"^(٣).

قال مقاتل: "توقدون من الشجر والحجارة والقصب إلا العناب"^(٤).

قال أبو عبيدة: "{تُورُونَ}: تستخرجون، من: أوريت. وأكثر ما يقال: وريت، وأهل نجد يقولون ذلك"^(٥).

قال ابن عباس: "يقول: تَقْدَحُونَ"^(٦).

قوله تعالى: {أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ} [الواقعة : ٧٢]، أي: "أنتم أوجدتم شجرتها التي تقدح منها النار، أم نحن الموجودون لها؟"^(٧).

قال الطبري: "يقول: أنتم أحدثتم شجرتها وأخترعتم أصلها، أم نحن اخترعنا ذلك وأحدثناه؟"^(٨).

قال ابن كثير: "أي : بل نحن الذين جعلناها مودعة في موضعها، وللعرب شجرتان : إحداهما : المرخ، والأخرى : العَقَار، إذا أخذ منهما غصنان أخضران فحُك أحدهما بالآخر، تتأثر من بينهما شرر النار"^(٩).

قال السعدي: " وهذه نعمة تدخل في الضروريات التي لا غنى للخلق عنها، فإن الناس محتاجون إليها في كثير من أمورهم وحوائجهم، فقررهم تعالى بالنار التي أوجدها في الأشجار، وأن الخلق لا يقدر أن ينشئوا شجرها، وإنما الله تعالى الذي أنشأها من الشجر الأخضر، فإذا هي نار توقد بقدر حاجة العباد، فإذا فرغوا من حاجتهم، أطفأوها وأخمدوها"^(١٠).

القرآن

{نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ (٧٣) [الواقعة : ٧٣]}

التفسير:

نحن جعلنا ناركم التي توقدون تذكيراً لكم بنار جهنم ومنفعة للمسافرين.

قوله تعالى: {نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً} [الواقعة : ٧٣]، أي: "نحن جعلنا ناركم التي توقدون تذكيراً لكم بنار جهنم"^(١١).

قال الطبري: "يقول: نحن جعلنا النار تذكرة لكم تذكرون بها نار جهنم، فتعتبرون وتتعضون بها"^(١).

(١) التفسير الميسر: ٥٣٦.

(٢) تفسير الطبري: ١٤٤/٢٣.

(٣) تفسير ابن كثير: ٥٤١/٧.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٢٣/٤.

(٥) مجاز القرآن: ٢٥٢/٢.

(٦) الدر المنثور: ٤٣/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٧) التفسير الميسر: ٥٣٦.

(٨) تفسير الطبري: ١٤٤/٢٣.

(٩) تفسير ابن كثير: ٥٤١/٧.

(١٠) تفسير السعدي: ٨٣٥.

(١١) التفسير الميسر: ٥٣٦.

قال السعدي: أي: " للعباد بنعمة ربهم، وتذكرة بنار جهنم التي أعدها الله للعاصين، وجعلها سوطا يسوق به عباده إلى دار النعيم"^(١).

عن قتادة، قوله: {نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً}، قال: " للنار الكبرى"^(٢).

قال مجاهد: " تذكرة النار الكبرى"^(٣). وفي رواية: " للنار الكبرى التي في الآخرة"^(٤).

وفي رواية: " هذه النار تذكرة للنار الكبرى"^(٥).

قال عكرمة: " تذكرة للنار الكبرى؛ إذا رآها الرائي ذكر جهنم"^(٦).

عن عطاء: " {تَذْكِرَةٌ} موعظة يتعظ بها المؤمن"^(٧).

قال مجاهد: " تذكرة النار الكبرى"^(٨). وفي رواية: " للنار الكبرى التي في الآخرة"^(٩).

عن أبي هريرة، عن النبي -صلي الله عليه وسلم-، وعمره عن يحيى بن جعدة: " إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم، وضربت بالبحر مرتين، ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لأحد"^(١٠).

عن أبي هريرة، أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءاً، من حر جهنم» قالوا: والله إن كانت لكافية، يا رسول الله قال: «فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً، كلها مثل حرها»^(١١).

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أندرون ما مثل ناركم هذه من نار جهنم؟ لهي أشد سواداً من دخان ناركم هذه بسبعين ضعفاً"^(١٢).

قوله تعالى: {وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ} [الواقعة: ٧٣]، أي: " ومنفعة للمسافرين"^(١٣).

وفي قوله تعالى: {وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ} [الواقعة: ٧٣]، وجوه من التفسير: أحدها: منفعة للمسافرين. قاله ابن عباس^(١٤)، ومجاهد^(١٥)، وقاتدة^(١٦)، والضحاك^(١٧)، والنضر بن عربي^(١٨).

قال قتادة: " للمرمل: المسافر"^(١٩).

قال الفراء: " يعني منفعة للمسافرين إذا نزلوا بالأرض القي، يعني: الفقر"^(٢٠).

(١) تفسير الطبري: ١٤٤/٢٣.

(٢) تفسير السعدي: ٨٣٥.

(٣) أخرجه الطبري: ١٤٤/٢٣.

(٤) أخرجه الطبري: ١٤٤/٢٣.

(٥) أخرجه الطبري: ١٤٤/٢٣.

(٦) تفسير مجاهد ص ٦٤٥.

(٧) تفسير البغوي ٨ / ٢١.

(٨) تفسير البغوي ٨ / ٢١.

(٩) أخرجه الطبري: ١٤٤/٢٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ١٤٤/٢٣.

(١١) المسند (٧٣٢٣): ص ٧/٤٣.

(١٢) صحيح مسلم (٢٨٤٣): ص ٤/٢١٨٤.

(١٣) المعجم الأوسط برقم (٤٨٤٣) "مجمع البحرين".

(١٤) التفسير الميسر: ٥٣٦.

(١٥) انظر: تفسير الطبري: ١٤٤/٢٣.

(١٦) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٤٢/٧.

(١٧) انظر: تفسير الطبري: ١٤٥/٢٣.

(١٨) انظر: تفسير الطبري: ١٤٥/٢٣.

(١٩) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٤٢/٧.

(٢٠) أخرجه الطبري: ١٤٥/٢٣.

(٢١) معاني القرآن: ١٢٩/٣.

قال أبو عبيدة: "المقوي: الذي لا زاد معه ولا مال وكذلك الدار التي قد أقوت من أهلها"^(١).

قال السعدي: " وخص الله المسافرين، لأن نفع المسافر بذلك أعظم من غيره، ولعل السبب في ذلك، لأن الدنيا كلها دار سفر، والعبد من حين ولد فهو مسافر إلى ربه، فهذه النار، جعلها الله متاعاً للمسافرين في هذه الدار، وتذكرة لهم بدار القرار، فلما بين من نعمه ما يوجب الثناء عليه من عباده وشكره وعبادته، أمر بتسبيحه وتحميده"^(٢).
الثاني: المستمتعين بها من حاضر ومسافر، قاله مجاهد^(٣)، وعكرمة^(٤).
قال مجاهد: " للمستمتعين الناس أجمعين"^(٥). وفي لفظ: " للمستمتعين المسافرين والحاضر"^(٦).

وقال خصيف: للخلق"^(٧).

وقال مقاتل: " يعني: متاعاً للمسافرين لمن كان بأرض فلاة وللأعراب"^(٨).

واختاره ابن كثير، فقال: " وهذا التفسير أعم من غيره، فإن الحاضر والبادي من غني وفقير الكل محتاجون للطبخ والاصطلاء والإضاءة وغير ذلك من المنافع. ثم من لطف الله تعالى أن أودعها في الأحجار، وخالص الحديد بحيث يتمكن المسافر من حمل ذلك في متاعه وبين ثيابه، فإذا احتاج إلى ذلك في منزله أخرج زنده وأورى، وأوقد ناره فأطبخ بها واصطلى، واشتوى واستأنس بها، وانتفع بها سائر الانتفاعات. فلهذا أفرد المسافرون وإن كان ذلك عاماً في حق الناس كلهم"^(٩).

وقد يستدل له بما رواه الإمام أحمد وأبو داود من حديث أبي خدّاش حَبَّان بن زيد الشَّرْعَبِي الشَّامِي، عن رجل من المهاجرين من قَرْن، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «المسلمون شركاء في ثلاثة: النار والكأ والماء»^(١٠).

وروى ابن ماجه بإسناد جيد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاث لا يُمْنَعَنَّ: الماء والكأ والنار»^(١١).

وله من حديث ابن عباس مرفوعاً مثل هذا وزيادة: "وئمنه حرام"^(١٢).

الثالث: للجائعين في إصلاح طعامهم، قاله ابن زيد^(١٣).

قال ابن زيد: " المقوي: الجائع: في كلام العرب، يقول: أقويت منه كذا وكذا: ما أكلت منه كذا وكذا شيئاً"^(١٤).

الرابع: الضعفاء والمساكين، مأخوذ من قولهم قد أقوت الدار إذا خلت من أهلها، حكاه ابن عيسى^(١٥).

(١) مجاز القرآن: ٢٥٢/٢.

(٢) تفسير السعدي: ٨٣٥.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ١٤٥/٢٣.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٤٢/٧.

(٥) أخرجه الطبري: ١٤٥/٢٣.

(٦) أخرجه الطبري: ١٤٥/٢٣.

(٧) أخرجه الطبري: ١٤٥/٢٣.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٢٣/٤.

(٩) تفسير ابن كثير: ٥٤٣/٧.

(١٠) المسند (٣٦٤/٥) وسنن أبي داود برقم (٣٤٧٧).

(١١) سنن ابن ماجه برقم (٢٤٧٢).

(١٢) سنن ابن ماجه برقم (٢٤٧٢).

قال ابن كثير: ٥٤٣/٧: " في إسناده "عبد الله بن خراش بن حوشب" وهو ضعيف، والله أعلم".

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ١٤٥/٢٣.

(١٤) أخرجه الطبري: ١٤٥/٢٣.

(١٥) انظر: النكت والعيون: ٤٦٢/٥.

والعرب تقول: قد أقوى الرجل. إذا ذهب ماله ، قال النابغة^(١):
يقوى بها الركب حتى ما يكون لهم ... إلا الزناد وقدح القوم مقتبس
الخامس : أن المقوي: الكثير المال، مأخوذ من: القوة، فيستمتع بها الغني والفقير. ذكره أبو
عبدة^(٢).

قال أبو عبدة: "يقال: أكثر من مال فلان، فإنه مقو"^(٣).
قال الطبري: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي قول من قال: عني بذلك للمسافر
الذي لا زاد معه، ولا شيء له، وأصله من قولهم: أقوت الدار: إذا خلت من أهلها وسكانها كما
قال الشاعر^(٤):
أقوى وأقفر من نعيمٍ وغَيْرِها ... هُوَجُ الرِّياحِ بهابي الثُّرْبِ مَوَّارٍ
يعني بقوله «أقوى»: خلا من سكانه، وقد يكون المقوي: ذا الفرس القوي، وذا المال
الكثير في غير هذا الموضع"^(٥).

القرآن

{فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٧٤)} [الواقعة : ٧٤]

التفسير:

فنزّه -أيها النبي- ربك العظيم كامل الأسماء والصفات، كثير الإحسان والخيرات.
قال ابن عباس: "يقول: فصلّ لربك العظيم"^(٦).
قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلّى الله عليه وسلّم: فسبح يا محمد بذكر
ربك العظيم، وتسميته"^(٧).
قال السعدي: "أي: نزه ربك العظيم، كامل الأسماء والصفات، كثير الإحسان والخيرات،
واحمده بقلبك ولسانك، وجوارحك، لأنه أهل لذلك، وهو المستحق لأن يشكر فلا يكفر، ويذكر
فلا ينسى، ويطاع فلا يعصى"^(٨).
قال ابن كثير: "أي : الذي بقدرته خلق هذه الأشياء المختلفة المتضادة الماء العذب
الزلال البارد، ولو شاء لجعله ملحاً أجاً كالبحار المغرقة. وخلق النار المحرقة، وجعل ذلك
مصلحة للعباد، وجعل هذه منفعة لهم في معاش دنياهم، وزاجراً لهم في المعاد"^(٩).
فوائد الآيات: [٧٤-٥٧]:

- ١- تقرير عقيدة البعث والجزاء.
- ٢- إقامة الأدلة والبراهين العديدة على صحة البعث وإمكانه عقلاً.
- ٣- بيان منن الله تعالى على عباده في طعامهم وشرابهم.
- ٤- وجوب شكر الله تعالى على إفضاله وإنعامه.
- ٥- في النار التي توقدها عبرة، وعظة للمتقين.
- ٦- وجوب تسبيح الله وتنزيهه عما لا يليق بجلاله وكماله من العبث والشريك.

(١) انظر: النكت والعيون: ٤٦٢/٥.

(٢) انظر: مجاز القرآن: ٢٥٢/٢، وحكاة الماوردي في : النكت والعيون: ٤٦٢/٥.

(٣) مجاز القرآن: ٢٥٢/٢.

(٤) البيت للنابغة الذبياني من قصيدته التي مطلعها "عوجوا فحيروا لنعم دمنة الدار" وهو البيت الثاني بعد المطلع.
ذكرها وليم الورد البروسي في: "العقد الثمين"، ص ٢٦٩، وجعلها من الشعر المنحول إلى النابغة.

(٥) تفسير الطبري: ١٤٦/٢٣.

(٦) الدر المنثور: ٤٣/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٧) تفسير الطبري: ١٤٦/٢٣.

(٨) تفسير السعدي: ٨٣٥.

(٩) تفسير ابن كثير: ٥٤٣/٧.

عن إياس بن عامر، قال: سمعت عقبة بن عامر الجهني، يقول: "لما نزلت: {قَسَّبِحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ} [الواقعة: ٧٤] ، قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اجعلوها في ركوعكم»، فلما نزلت: {سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} [الأعلى: ١] قال: «اجعلوها في سجودكم»^(١).

القرآن

{فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦)} [الواقعة : ٧٥-٧٦]

التفسير:

أقسم الله تعالى بمساقط النجوم في مغاريها في السماء، وإنه لقسَمٌ لو تعلمون قَدْرَهُ عَظِيمٌ. سبب نزول الآيات: [٧٥-٨٢]:

عن ابن عباس، قال: "مطر الناس على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: النبي صلى الله عليه وسلم: «أصبح من الناس شاكراً ومنهم كافر، قالوا: هذه رحمة الله، وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا». قال: فنزلت هذه الآية: {فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ} [الواقعة: ٧٥]، حَتَّىٰ بَلَغَ: {وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكذِّبُونَ} [الواقعة: ٨٢]"^(٢).

عن زيد بن خالد الجهني، قال: "صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليلة، فلما انصرف أقبل على الناس، فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: "أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب، وأما من قال: بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب"^(٣).

قوله تعالى: {فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ} [الواقعة : ٧٥]، أي: "أقسم الله تعالى بمساقط النجوم في مغاريها في السماء"^(٤).

في قوله تعالى: {فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ} [الواقعة : ٧٥]، وجهان^(٥):

أحدهما: أنه إنكار أن يقسم الله بشيء من مخلوقاته.

قال جوبير، عن الضحاك: "إن الله لا يقسم بشيء من خلقه ولكنه استفتح يفتتح به كلامه"^(٦).

قال ابن كثير: "وهذا القول ضعيف. والذي عليه الجمهور أنه قسم من الله عز وجل، يقسم بما شاء من خلقه، وهو دليل على عظمته"^(٧).

الثاني: أنه يجوز أن يقسم الخالق بالمخلوقات تعظيماً من الخالق لما أقسم به من مخلوقاته.

فعلى هذا في قوله: {فَلَا أُقْسِمُ} [الواقعة : ٧٥]، وجهان^(٨):

أحدهما: أن «لا» صلة زائدة، ومعناه: أقسم. وهذا قول سعيد بن جبير^(٩).

عن سعيد بن جبير: "فَلَا أُقْسِمُ"، قال: أقسم"^(١٠).

وقرأ الحسن والثقفى: «فَلَا أُقْسِمُ»^(١١)، بغير ألف. قال الزمخشري: "ومعناه: فلأنا أقسم:

اللام لام الابتداء دخلت على جملة من مبتدأ وخبر، وهي: أنا أقسم، كقولك «لزيد منطلق» ثم حذف المبتدأ"^(١٢).

(١) المسند (١٧٤١٤): ص ٦٣٠/٢٨.

(٢) صحيح مسلم (٧٣): ص ٨٤/١، وأخرجه الطبراني في «الكبير» ١٢/١٩٨ والواحي في «أسباب النزول» ٧٨٢.

(٣) صحيح البخاري (٨٤٦): ص ١٦٩/١، ومسلم ٧١ ومالك ١/١٩٢ وأحمد ٤/١١٧ من حديث زيد بن خالد.

(٤) التفسير الميسر: ٥٣٦.

(٥) انظر: النكت والعيون: ٤٦٢/٥.

(٦) نقلا عن: النكت والعيون: ٥، وتفسير ابن كثير: ٥٤٣/٧.

(٧) تفسير ابن كثير: ٥٤٣/٧.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ١٤٦/٢٣ وما بعدها، والنكت والعيون: ٤٦٢/٥، وتفسير ابن كثير: ٥٤٣/٧-٥٤٤.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ١٤٦/٢٣-١٤٧.

(١٠) أخرجه الطبري: ١٤٧/٢٣.

الثاني : أن قوله: {فَلَا} ليست زائدة لا معنى لها، بل راجع إلى ما تقدم ذكره، وفي تقدير الكلام وجهان^(٣):

الوجه الأول: أن المعنى: فلا تكذبوا ولا تجحدوا ما ذكرته من نعمة وأظهرته من حجة ، ثم استأنف كلامه، فقال : {أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ}.

الوجه الثاني: معناه: فليس الأمر كما تقولون كما زعمتم في القرآن أنه سحر أو كهانة. ثم استأنف القسم بعد، فقيل: {أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ}

وبذلك لا تكون «لا» زائدة لا معنى لها، بل يؤتى بها في أول القسم إذا كان مقسماً به على منفي، كقول عائشة رضي الله عنها : «لا والله ما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة قط»^(٤).

وفي «مواقع النجوم»، أقوال:

أحدها : أنها مساقطها. قاله قتادة^(٥). وحكي مجاهد أنه : مطالعها ومساقطها^(٦).

قال أبو عبيدة: " أقسم بمواقع النجوم، ومواقعها: مساقطها ومغايبيها"^(٧).

عن قتادة، قوله: " {فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ}، أي: مساقطها"^(٨).

عن مجاهد، قوله: " {بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ}، قال: في السماء، ويقال: مطالعها ومساقطها"^(٩).

قال الفراء: " يقال: فلا أقسم بموقع النجوم، بمسقط النجوم إذا سقطن"^(١٠).

الثاني : أنه منازل النجوم. قاله قتادة^(١١)، وعطاء^(١٢).

قال عطاء: " أراد: منازلها"^(١٣).

الثالث : أنه انكدار النجوم وانتثارها يوم القيامة. قاله الحسن^(١٤).

الرابع : أنه مواقع النجوم السماء ، قاله مجاهد-أيضا-^(١٥)، وابن جريج^(١٦).

قال مجاهد: " يعني: بمواقع النجوم في السماء"^(١٧).

الخامس : أن مواقع النجوم الأنواء التي كان أهل الجاهلية إذا مطروا قالوا : مطرنا بنوء كذا ، قاله الضحاك^(١٨). ويكون قوله : {فَلَا أُقْسِمُ}، مستعملاً على حقيقته في نفي القسم بها. حكاها

الماوردي^(١٩).

السادس : أنها نجوم القرآن أنزلها الله من اللوح المحفوظ من السماء العليا إلى السفرة الكرام الكاتبين في السماء الدنيا ، فنجمه السفرة على جبريل عشرين ليلة، ونجمه جبريل على محمد -

(١) انظر: الكشاف: ٤/٤٦٨، والمحزر الوجيز: ٥/٢٥٠.

(٢) الكشاف: ٤/٤٦٨.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٣/١٤٦ وما بعدها، والنكت والعيون: ٥/٤٦٢، وتفسير ابن كثير: ٧/٥٤٣-٥٤٤.

(٤) صحيح البخاري(٥٢٨٨):ص٤٩/٧، وصحيح مسلم(١٨٦٦):ص١٤٨٩/٣، من حديث عروة بن الزبير.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٣/١٤٨.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٣/١٤٨.

(٧) مجاز القرآن: ٢/٢٥٢.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٣/١٤٨.

(٩) أخرجه الطبري: ٢٣/١٤٨.

(١٠) معاني القرآن: ٣/١٢٩.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٢٣/١٤٨.

(١٢) تفسير البغوي ٨/٢٢.

(١٣) تفسير البغوي ٨/٢٢.

(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٣/١٤٨.

(١٥) تفسير مجاهد: ٦٤٥.

(١٦) انظر: النكت والعيون: ٥/٥٦٣.

(١٧) تفسير مجاهد: ٦٤٥.

(١٨) انظر: النكت والعيون: ٥/٥٦٣.

(١٩) انظر: النكت والعيون: ٥/٤٦٣.

صلى الله عليه وسلم- عشرين سنة ، فهو ينزله على الأحداث في أمته. قاله ابن عباس^(١)، وعكرمة^(٢)، والسدي^(٣)، ويحيى بن سلام^(٤)، وابن قتبية^(٥).

قال الفراء: "قوله: {وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ}، يدل على أنه القرآن"^(٦). قال ابن عباس: "نزل القرآن في ليلة القدر من السماء العليا إلى السماء الدنيا جملة واحدة، ثم فرق في السنين بعد. قال: وتلا ابن عباس هذه الآية {فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ}، قال: نزل متفرقاً"^(٧).

قال ابن عباس: "نجوم القرآن، وذلك أنه نزل القرآن إلى السماء الدنيا جميعاً جملة واحدة، ثم نجم على النبي صلى الله عليه وسلم نجومًا: فرقا: قطعاً، الآية، والآيات وأكثر"^(٨).

قال عكرمة: "أنزل الله القرآن نجومًا ثلاث آيات وأربع آيات وخمس آيات"^(٩). قال عكرمة: "إن القرآن نزل جميعاً، فوضع بمواقع النجوم، فجعل جبريل يأتي بالسورة، وإنما نزل جميعاً في ليلة القدر"^(١٠).

عن ابن عباس، قوله: "فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ}، قال: مستقرّ الكتاب أوله وآخره"^(١١).

قال مقاتل: "يعني: بمساقط النجوم من القرآن كله أوله وآخره في ليلة القدر نزل من اللوح المحفوظ من السماء السابعة إلى السماء الدنيا إلى السفرة، وهم الكتبة من الملائكة نظيرها في {عَبَسَ وَتَوَلَّى} [عبس : ١] : « {بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ } [عبس : ١٥-١٦] "^(١٢). السادس : أن مواقع النجوم هو محكم القرآن، وكان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم نجومًا. حكاه الفراء عن ابن مسعود^(١٣)، وبه قال مجاهد^(١٤).

قال الطبري: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: فلا أقسم بمساقط النجوم ومغايبيها في السماء، وذلك أن المواقع جمع موقع، والموقع المفعول، من وقع يقع موقعاً، فالأغلب من معانيه والأظهر من تأويله ما قلنا في ذلك، ولذلك قلنا: هو أولى معانيه به"^(١٥).

وقرأ عبد الله بن مسعود: «فلا أقسم بموقع النجوم»^(١٦). والقراء جميعاً على: «مواقع». قوله تعالى: {وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ} [الواقعة : ٧٦]، أي: "وإنه لقسم لو تعلمون قدره عظيم"^(١٧).

- (١) انظر: تفسير الطبري: ١٤٧/٢٣.
- (٢) انظر: تفسير الطبري: ١٤٧/٢٣.
- (٣) انظر: النكت والعيون: ٤٦٣/٥.
- (٤) انظر: التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه: ٢٩٢.
- (٥) انظر: غريب القرآن: ٤٥١.
- (٦) معاني القرآن: ١٢٩/٣.
- (٧) أخرجه الطبري: ١٤٧/٢٣.
- (٨) تفسير مجاهد: ٦٤٥.
- (٩) أخرجه الطبري: ١٤٧/٢٣.
- (١٠) أخرجه الطبري: ١٤٧/٢٣.
- (١١) أخرجه الطبري: ١٤٧/٢٣.
- (١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٢٣/٤.
- (١٣) انظر: معاني القرآن: ١٢٩/٣.
- (١٤) انظر: تفسير الطبري: ١٤٧/٢٣.
- (١٥) تفسير الطبري: ١٤٨/٢٣.
- (١٦) رواه الفراء في معاني القرآن: ١٢٩/٣.
- (١٧) التفسير الميسر: ٥٣٦.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره وإن هذا القسم الذي أقسمت لقسم لو تعلمون ما هو، وما قدره، قسم عظيم، من المؤخر الذي معناه التقديم، وإنما هو: وأنه لقسم عظيم لو تعلمون عظمه"^(١).

قال ابن كثير: "أي: وإن هذا القسم الذي أقسمت به لقسم عظيم، لو تعلمون عظمته لعظمتكم المقسم به عليه"^(٢).

وفي تفسير قوله تعالى: {وَأِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ} [الواقعة : ٧٦]، وجوه: أحدها: أن القرآن قسم عظيم، قاله ابن عباس^(٣).

قال ابن عباس: "يقول: هذا القرآن قسم عظيم"^(٤). وفي لفظ، قال: "القرآن"^(٥).

قال البغوي: "يعني هذا الكتاب وهو موضع القسم. {لقرآن كريم} عزيز مكرم لأنه كلام الله"^(٦).

الثاني: أن الشرك بآياته جرم عظيم، قاله ابن عباس^(٧)، والضحاك^(٨).
الثالث: أن ما أقسم الله به عظيم. ذكره الماوردي^(٩).

قال السمعاني: "قال ذلك لأن قسم الله عظيم، وكل ما أقسم به. ويقال: إن تخصيصه هذا القسم بالعظم؛ لأنه أقسم بالقرآن على القرآن؛ قاله القفال الشاشي"^(١٠).

قال ابن عطية: "قوله تعالى: {وَأِنَّهُ لَقَسَمٌ}، تأكيد للأمر وتنبيه من المقسم به، وليس هذا باعتراض بين الكلامين، بل هذا معنى قصد التهم به، وإنما الاعتراض قوله: {لَوْ تَعْلَمُونَ} وقد قال قوم: إن قوله: {وَأِنَّهُ لَقَسَمٌ} اعتراض، وإن {لَوْ تَعْلَمُونَ} اعتراض في اعتراض^(١١)، والتحريير هو الذي ذكرناه"^(١٢).

القرآن

{وَأِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (٧٨) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩)} [الواقعة : ٧٧-٧٩]

التفسير:

إن هذا القرآن الذي نزل على محمد لقرآن عظيم المنافع، كثير الخير، غزير العلم، في كتاب مَصْنُونٌ مستور عن أعين الخلق، وهو الكتاب الذي بأيدي الملائكة. لا يَمَسُّ القرآن إلا الملائكة الكرام الذين طهرهم الله من الآفات والذنوب، ولا يَمَسُّه أيضًا إلا المتطهرون من الشرك والجنابة والحدث.

قوله تعالى: {وَأِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ} [الواقعة : ٧٧]، أي: "إن هذا القرآن الذي نزل على محمد لقرآن عظيم المنافع، كثير الخير، غزير العلم"^(١٣).

(١) تفسير الطبري: ١٤٩/٢٣.

(٢) تفسير ابن كثير: ٥٤٤/٧.

(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٨٨٠٤):ص١٠/٣٣٣٤.

(٤) تفسير مجاهد: ٦٤٥.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٨٠٤):ص١٠/٣٣٣٤.

(٦) تفسير البغوي: ٢٢/٨.

(٧) انظر: النكت والعيون: ٤٦٣/٥.

(٨) انظر: النكت والعيون: ٤٦٣/٥.

(٩) انظر: النكت والعيون: ٤٦٣/٥.

(١٠) تفسير السمعاني: ٣٥٩/٥.

(١١) قال الزمخشري في "الكشاف": ٤٦٨/٤: "قوله: {وَأِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ} اعتراض في اعتراض، لأنه اعترض به بين المقسم والمقسم عليه، وهو قوله: {وَأِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ} واعترض ب {لَوْ تَعْلَمُونَ} بين الموصوف وصفته".

(١٢) المحرر الوجيز: ٢٥١/٥.

(١٣) التفسير الميسر: ٥٣٧.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: فلا أقسم بمواقع النجوم أن هذا القرآن لقرآن كريم"^(١).
قال ابن كثير: "أي: إن هذا القرآن الذي نزل على محمد لكتاب عظيم"^(٢).
قال الماوردي: "لأنه يكرم حافظه ويعظم قارئه"^(٣).
قال الثعلبي: "قيل: سمي كريما لأن يسره يغلب عسره"^(٤).
قال الأزهري: "الكرمُ اسم جامع لما يُحمد، والله كريم حميد الفعال"^(٥).
قال مقاتل: "أقسم بأنه قرآن كريم، ثم قال في «حم السجدة»: {وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ} [فصلت: ٤١]، كرمه الله وأعزه"^(٦).
قوله تعالى: {فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ} [الواقعة: ٧٨]، أي: في كتاب مَصُونٍ مستور عن أعين الخلق، وهو الكتاب الذي بأيدي الملائكة"^(٧).
قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: هو في كتاب مصون عند الله لا يمسه شيء من أذى من غبار ولا غيره"^(٨).
عن ابن عباس، عن النبي - صلى الله عليه وسلم -: {إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ}، قال: «عند الله في صُحُفٍ مُطَهَّرَةٍ»"^(٩).
وفي قوله تعالى: {فِي كِتَابٍ} [الواقعة: ٧٨]، وجهان:
أحدهما: أنه كتاب في السماء، وهو اللوح المحفوظ، قاله ابن عباس^(١٠)، وجابر بن زيد^(١١).
عن جابر بن زيد وأبي نهيك، في قوله: "فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ"، قال: هو كتاب في السماء"^(١٢).
الثاني: أنه المصحف الذي في أيدينا، قاله مجاهد^(١٣)، وقتادة^(١٤).
عن مجاهد، في قوله: "فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ"، قال: القرآن، في كتابه المكنون الذي لا يمسه شيء من تراب ولا غبار"^(١٥).
وفي «المكنون» قولان:
أحدهما: مستور من الخلق، قاله مقاتل^(١٦)، وهذا على القول الأول بأنه في اللوح المحفوظ.
قال مقاتل: "أقسم بأنه قرآن كريم، ثم قال في «حم السجدة»: {وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ} [فصلت: ٤١]، كرمه الله وأعزه، فقال هذا القرآن: {فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ}، يعني: مستور من خلقه، عند الله في اللوح المحفوظ عن يمين العرش"^(١٧).
الثاني: مصون، في السماء في اللوح المحفوظ. قاله الزجاج^(١٨).
قال البغوي: "مصون عند الله في اللوح المحفوظ، محفوظ من الشياطين"^(١٩).

(١) تفسير الطبري: ١٤٩/٢٣.

(٢) تفسير ابن كثير: ٥٤٤/٧.

(٣) النكت والعيون: ٤٦٣/٥.

(٤) الكشف والبيان: ٢١٨/٩.

(٥) نقلا عن: التفسير البسيط للواحدي: ٢٥٩/٢١.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٢٤/٤.

(٧) التفسير الميسر: ٥٣٧.

(٨) تفسير الطبري: ١٤٩/٢٣.

(٩) الدر المنثور: ٤٤/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ١٤٩/٢٣.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ١٥٠/٢٣.

(١٢) أخرجه الطبري: ١٥٠/٢٣.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٤٩/٢٣.

(١٤) انظر: انكت والعيون: ٤٦٣/٥.

(١٥) أخرجه الطبري: ٢٤٩/٢٣.

(١٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٢٤/٤.

(١٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٢٤/٤.

(١٨) انظر: معاني القرآن: ١١٥/٥.

قال ابن كثير: "أي: معظم في كتاب معظم محفوظ موثق" (٢).
قوله تعالى: {لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ} [الواقعة: ٧٩]، أي: "لا يمسُّ القرآن إلا الملائكة
الكرام الذين طهرهم الله من الآفات والذنوب، ولا يمسُّه أيضاً إلا المتطهرون من الشرك
والجنابة والحدث" (٣).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: لا يمسُّ ذلك الكتاب المكنون إلا الذين قد طهرهم الله
من الذنوب" (٤).

اختلف أهل العلم في معنى: {لَا يَمَسُّهُ}، هل هو حقيقة في المس بالجارحة أو معنى؟
وكذلك اختلف في: {الْمُطَهَّرُونَ} من هم؟ وفيه أقوال:

أحدها: معناه: لا يمسُّ ذلك الكتاب إلا المطهرون من الذنوب وهم الملائكة. قاله ابن عباس (٥)،
وأنس (٦)، وسعيد بن جبير (٧)، ومجاهد (٨)، وعكرمة (٩)، وأبو العالية (١٠)، وجبار بن زيد (١١)، وأبي
نهبك (١٢).

وقال الكلبي: "هم السفارة الكرام البررة" (١٣).
قال مالك: "أحسن ما سمعت في هذه الآية: {لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ}، أنها بمنزلة الآية،
التي في: {عَبَسَ وَتَوَلَّى}، قال الله تبارك وتعالى: {كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ فِي صُحُفٍ
مُكْرَمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ} (١٤).

قال ابن عباس: "إذا أراد الله أن ينزل كتابا نسخته السفارة، فلا يمسُّه إلا المطهرون،
قال: يعني: الملائكة" (١٥).

عن ابن عباس: {لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ}، الكتاب الذي في السماء" (١٦).
عن سعيد بن جبير: "لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ}، قال: الملائكة الذين في السماء" (١٧).
عن عكرمة: "لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ}، قال: الملائكة" (١٨).
عن مجاهد: "لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ}، قال: الملائكة" (١٩).
عن أبي العالية: "لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ}، قال: الملائكة" (٢٠).
عن أبي العالية الرياحي، في قوله: {لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ}، قال: ليس أنتم. أنتم
أصحاب الذنوب" (٢١).

-
- (١) تفسير البغوي: ٢٢/٨.
 - (٢) تفسير ابن كثير: ٥٤٤/٧.
 - (٣) التفسير الميسر: ٥٣٧.
 - (٤) تفسير الطبري: ١٥٠/٢٣.
 - (٥) انظر: تفسير الطبري: ١٥٠/٢٣.
 - (٦) انظر: تفسير القرطبي: ٢٢٥/١٧.
 - (٧) انظر: تفسير الطبري: ١٥٠/٢٣.
 - (٨) انظر: تفسير الطبري: ١٥١/٢٣.
 - (٩) انظر: تفسير الطبري: ١٥٠/٢٣.
 - (١٠) انظر: تفسير الطبري: ١٥١/٢٣.
 - (١١) انظر: تفسير الطبري: ١٥٠/٢٣.
 - (١٢) انظر: تفسير الطبري: ١٥٠/٢٣.
 - (١٣) نقلا عن: الكشف والبيان: ٢١٩/٩، وتفسير القرطبي: ٢٢٥/١٧.
 - (١٤) موطأ الإمام مالك (٢٣٧): ص ٩١/١.
 - (١٥) أخرجه الطبري: ١٥٠/٢٣.
 - (١٦) أخرجه الطبري: ٢٤٩/٢٣.
 - (١٧) أخرجه الطبري: ١٥٠/٢٣.
 - (١٨) أخرجه الطبري: ١٥٠/٢٣.
 - (١٩) أخرجه الطبري: ١٥١/٢٣.
 - (٢٠) أخرجه الطبري: ١٥١/٢٣.
 - (٢١) أخرجه الطبري: ١٥١/٢٣.

عن قتادة، قوله: " {لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ}، ذاكم عند رب العالمين، فأما عندكم فيمسه
المشرك النجس، والمنافق الرجس" (١).

قال قتادة: " لا يمسه عند الله إلا المطهرون، فأما في الدنيا فإنه يمسه المجوسي النجس،
والمنافق الرجس. وقال في حرف ابن مسعود: «ما يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ»" (٢).

عن جبار بن زيد وأبي نهبك في قوله: " {لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ}، يقول: الملائكة" (٣).

قال مقاتل: " لا يمس ذلك الكتاب إلا المطهرون من الذنوب، وهم الملائكة السفرة في
سماء الدنيا، ينظر إليه الرب- جل وعز- كل يوم" (٤). يريد أن المطهرين هم الملائكة الذين
وصفوا بالطهارة في سورة «عيس».

الثاني: أن معنى {لَا يَمَسُّهُ}: لا ينزل به، {إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ}، أي: الرسل من الملائكة على الرسل
من الأنبياء. وهذا قول ابن زيد (٥).

قال ابن زيد: " الملائكة والأنبياء والرسل التي تنزل به من عند الله مطهرة، والأنبياء
مطهرة، فجزيريل ينزل به مُطَهَّرٌ، والرسل الذين تجيئهم به مُطَهَّرُونَ فذلك قوله: {لَا يَمَسُّهُ إِلَّا
الْمُطَهَّرُونَ}، والملائكة والأنبياء والرسل من الملائكة، والرسل من بني آدم، فهؤلاء ينزلون به
مطهرون، وهؤلاء يتلونه على الناس مطهرون، وقرأ قول الله: {بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كَرَامٍ بَرَرَةٍ}، قال:
بأيدي الملائكة الذين يحصون على الناس أعمالهم" (٦).

قال الضحاك: " زعموا أن الشياطين تنزلت به على محمد، فأخبرهم الله أنها لا تقدر
على ذلك، ولا تستطيعه، ما ينبغي لهم أن ينزلوا بهذا، وهو محجوب عنهم، وقرأ قول الله: {وَمَا
يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ * إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعَزُولُونَ} " (٧).

قال ابن كثير: " وهذا القول قول جيد، وهو لا يخرج عن الأقوال التي قبله" (٨).

وروي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: " لا يمس ذلك اللوح المحفوظ إلا المطهرون
يقول: الملائكة الذين طهروا من الشرك" (٩).

الثالث: أن قوله: {لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ}، أي: من الجنابة والحدث، ولفظ الآية خبر ومعناها
الطلب، والمراد بالقرآن هاهنا المصحف. كما روى عن ابن عمر: أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو، مخافة أن يناله العدو (١٠).

قال القرطبي: "وقيل: "المراد بالكتاب المصحف الذي بأيدينا، وهو الأظهر" (١١).

وروي عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم؛ أن في الكتاب الذي كتبه رسول الله لعمر بن
حزم: «أن لا يمس القرآن إلا طاهر» (١٢).

عن حكيم بن حزام، أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بعثه إلى اليمن قال: «لا تمس
القرآن إلا وأنت طاهر» (١٣).

- (١) أخرجه الطبري: ١٥٢/٢٣.
- (٢) أخرجه الطبري: ١٥٢/٢٣.
- (٣) أخرجه الطبري: ١٥٠/٢٣.
- (٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٢٤/٤.
- (٥) انظر: تفسير الطبري: ١٥١/٢٣.
- (٦) أخرجه الطبري: ١٥١/٢٣.
- (٧) أخرجه الطبري: ١٤٩/٢٣.
- (٨) تفسير ابن كثير: ٥٤٥/٧.
- (٩) رواه الفراء في معاني القرآن: ١٢٩/٣-١٣٠.
- (١٠) صحيح البخاري برقم (٢٩٩٠)، وصحيح مسلم برقم (١٨٦٩).
- (١١) تفسير القرطبي: ٢٢٥/١٧.
- (١٢) المستدرک (١٤٤٧)، موطأ مالك (٥٣٤)، سنن البيهقي الكبرى (٤١٤)، معجم الطبراني الكبير (١٣٢١٧)،
(سنن الدارقطني) (٢٧٢٣)، وصححه الألباني في الإرواء: ١٢٢، وصحيح الجامع: ٧٧٨٠.
- (١٣) المعجم الأوسط (٣٣٠١):ص/٣٢٦، والمعجم الكبير (٣١٣٥):ص/٢٠٥. قال الطبراني: "لم يرو هذا
الحديث عن مطر الوراق إلا سويد أبو حاتم، ولا يروى عن حكيم بن حزام إلا بهذا الإسناد".

وقالت أخت عمر لعمر عند إسلامه وقد دخل عليها ودعا بالصحيفة: "يا أخي، إنك نجس، على شركك، وإنه لا يمسه إلا الطاهر»، فقام عمر فاغتسل، فأعطته الصحيفة، وفيها: "طه" فقرأها. (١).

وعلى هذا المعنى: أنهم المطهرون من الأحداث، فيكون ظاهر الكلام النفي، ومعناه النهي. حكاه ابن الجوزي عن الجمهور (٢).
وقال الكلبي: "المطهرون من الشرك" (٣).

(١) انظر الخبر بطوله في: سيرة ابن هشام: ٢٠٥/١-٢٩٧، وأخرجه بطوله ابن سعد في "الطبقات": ٢٦٧/٣-٢٦٨، والبيهقي في "الدلائل": ٢١٩/٢. وفي إسناده القاسم بن عثمان البصري. قال البخاري: له أحاديث لا يتابع عليها، وقال الذهبي في الميزان: ٣٧٥/٣: "حدّث عنه إسحاق الأزرق بمتن محفوظ وبقصة إسلام عمر، وهي منكورة جدا. أه.

قال ابن إسحاق: "وكان إسلام عمر فيما بلغني أن أخته فاطمة بنت الخطاب وكانت عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وكانت قد أسلمت وأسلم بعلمها سعيد بن زيد، وهما مستخفيان بإسلامهما من عمر، وكان نعيم بن عبد الله النحام من مكة، رجل من قومه، من بني عدي بن كعب قد أسلم، وكان أيضا يستخفي بإسلامه فرقا من قومه، وكان خباب بن الأرت يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن، فخرج عمر يوما متوشحا سيفه يريد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ورهطا من أصحابه قد ذكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيت عند الصفا، وهم قريب من أربعين ما بين رجال ونساء، ومع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عمه حمزة بن عبد المطلب، وأبو بكر بن أبي قحافة الصديق، وعلي بن أبي طالب، في رجال من المسلمين -رضي الله عنهم- ممن كان أقام من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بمكة، ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة. فلقبه نعيم بن عبد الله، فقال له: أين تريد يا عمر؟ فقال: أريد محمدا هذا الصابي، والذي فرق أمر قريش، وسفه أحلامها، وعاب دينها، وسب آلهتها، فأقتله؛ فقال له نعيم: والله لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر، أتري بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمدا! أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم؟ قال: وأي أهل بيتي؟ قال: خنتك وابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو، وأختك فاطمة بنت الخطاب: فقد والله أسلما، وتابعا محمدا على دينه، فلعليك بهما. قال: فرجع عمر عامدا إلى أخته وختته، وعندهما خباب بن الأرت معه صحيفة، فيها: "طه" يقرئها إياها، فلما سمعوا حس عمر، تغيب خباب في مخدع لهم، أو في بعض البيت، وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها، وقد سمع عمر حين دنا إلى البيت قراءة خباب عليهما، فلما دخل قال: ما هذه الهينة التي سمعت؟ قال له: ما سمعت شيئا، قال: بلى والله لقد أخبرت أنكما تابعتما محمدا على دينه، وبطش بختته سعيد بن زيد، فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها، فضربها فشجها، فلما فعل ذلك قالت له أخته وختته: نعم قد أسلما وأمنا بالله ورسوله، فاصنع ما بدا لك. فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع، فارعوى، وقال لأخته: أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرأون أنفا أنظر ما هذا الذي جاء به محمد، وكان عمر كاتبها، فلما قال ذلك، قالت له أخته: إنا نخشاك عليها، قال: لا تخافي، وحلف لها بالهتة ليردنها إذا قرأها إليها، فلما قال ذلك، طمعت في إسلامه، فقالت له: يا أخي، إنك نجس، على شركك، وإنه لا يمسه إلا الطاهر، فقام عمر فاغتسل، فأعطته الصحيفة، وفيها: "طه" فقرأها، فلما قرأ منها صدرا، قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه! فلما سمع ذلك خباب خرج إليه، فقال له: يا عمر، والله إنني لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه، فإنني سمعته أمس وهو يقول: "اللهم أيد الإسلام بأبي الحكم بن هشام، أو بعمر بن الخطاب"، فأنه الله يا عمر. فقال له عند ذلك عمر: فدلني يا خباب على محمد حتى أتبه فأسلم، فقال له خباب: هو في بيت عند الصفا، معه فيه نفر من أصحابه. فأخذ عمر سيفه فتوشحه، ثم عمد إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه، فضرب عليهم الباب، فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فنظر من خلل الباب فرآه متوشحا بالسيف، فرجع إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو فزع، فقال: يا رسول الله، هذا عمر بن الخطاب متوشحا بالسيف، فقال حمزة بن عبد المطلب: فأذن له، فإن كان جاء يريد خيرا بذلناه له، وإن كان يريد شرا قتلناه بسيفه، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ائذن له، فأذن له الرجل، ونهض إليه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حتى لقيه في الحجر، فأخذ حجزته، أو بمجمع رداءه، ثم جبذه به جبذة شديدة، وقال: "ما جاء بك يابن الخطاب؟ فوالله ما أرى أن تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة"، فقال عمر: يا رسول الله، جئتك لأومن بالله وبرسوله، وبما جاء من عند الله؛ قال: فكبر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن عمر قد أسلم، فتفرق أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من مكانهم، وقد عزوا في أنفسهم حين أسلم عمر مع إسلام حمزة، وعرفوا أنهم سيمنعان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وينتصفون بهما من عدوهم. فهذا حديث الرواة من أهل المدينة عن إسلام عمر بن الخطاب حين أسلم".

(٢) انظر: زاد المسير: ٢٢٨/٤.

وقال الربيع بن أنس: "من الذنوب والخطايا"^(٢).
الرابع : معنى {لا يَمْسُهُ}: لا يقرؤه، {إِلا الْمُطَهَّرُونَ}: إلا الموحدون، قاله محمد بن فضيل^(٣).
وعبد^(٤).

قال عكرمة: "وكان ابن عباس ينهى أن يمكن اليهود والنصارى من قراءة القرآن"^(٥).
وقال الفراء: "لا يجد طعمه ونفعه إلا المطهرون من آمن به"^(٦).
عن العباس بن عبد المطلب، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولا»^(٧).
وقال الحسين بن الفضل: "لا يعرف تفسيره وتأويله إلا من طهره الله من الشرك والنفاق"^(٨).

وقال أبو بكر الوراق: "لا يوفق للعمل به إلا السعداء"^(٩).
قال جنيد: هم الذين طهر سرهم عما سوى الله"^(١٠).
وقيل: المعنى لا يمس ثوابه إلا المؤمنون.
قال ابن العربي: "أما قول من قال: إن المراد بالكتاب اللوح المحفوظ فهو باطل؛ لأن الملائكة لا تتاله في وقت، ولا تصل إليه بحال؛ فلو كان المراد به ذلك لما كان للاستثناء فيه محل، وأما من قال: أنه الذي بأيدي الملائكة من الصحف فإنه قول محتمل، وهو الذي اختاره مالك"^(١١).

وقال الطبري: "الصواب من القول من ذلك عندنا، أن الله جل ثناؤه، أخبر أنه لا يمس الكتاب المكنون إلا المطهرون فعم بخبره المطهرين، ولم يخص بعضاً دون بعض؛ فالملائكة من المطهرين، والرسول والأنبياء من المطهرين وكل من كان مطهراً من الذنوب، فهو ممن استثنى، وعني بقوله: {إِلا الْمُطَهَّرُونَ}"^(١٢).

القرآن

{تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٨٠)} [الواقعة : ٨٠]

التفسير:

وهذا القرآن الكريم منزل من رب العالمين، فهو الحق الذي لا مرية فيه.
قال الطبري: "يقول: هذا القرآن تنزيل من رب العالمين، نزله من الكتاب المكنون"^(١٣).
عن جابر بن زيد وأبي نهيك، في قوله: "{تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ}"، قال: القرآن من ذلك الكتاب"^(١٤).

واختلف أهل العلم في معنى «العالم»، على أقوال:

أحدها : أن العالم كل ما خلقه الله تعالى في الدنيا والآخرة ، وهذا قول قتادة^(١)، ومجاهد^(٢).

(١) انظر: زاد المسير: ٢٢٨/٤، وتفسير القرطبي: ٢٢٦/١٧.

(٢) انظر: زاد المسير: ٢٢٨/٤، وتفسير القرطبي: ٢٢٦/١٧.

(٣) انظر: تفسير القرطبي: ٢٢٦/١٧.

(٤) انظر: تفسير القرطبي: ٢٢٦/١٧.

(٥) نقلا عن: الكشف والبيان: ٢١٩/٩، وتفسير القرطبي: ٢٢٦/١٧.

(٦) معاني القرآن: ١٣٠/٣.

(٧) صحيح مسلم(٣٤):ص٦٢/١.

(٨) نقلا عن: الكشف والبيان: ٢١٩/٩، وتفسير القرطبي: ٢٢٦/١٧.

(٩) نقلا عن: الكشف والبيان: ٢١٩/٩، وتفسير القرطبي: ٢٢٦/١٧.

(١٠) نقلا عن: الكشف والبيان: ٢١٩/٩.

(١١) أحكام القرآن: ١٧٥/٤.

(١٢) تفسير الطبري: ١٥٢/٢٣.

(١٣) تفسير الطبري: ١٥٢/٢٣.

(١٤) أخرجه الطبري: ١٥٢/٢٣.

الثاني: أنه الإنس ، والجن ، وهذا قول سعيد بن جبير^(٣)، ومجاهد^(٤).
 الثالث : أن «العالم»: الدنيا وما فيها. حكاه الماوردي^(٥).
 الرابع: أنهم المرتزقون، قاله زيد بن أسلم^(٦)، ونحوه قول أبي عمرو بن العلاء^(٧): هم
 الروحانيون.
 الخامس: العالمون: أهل الجنة وأهل النار. حكاه الثعلبي عن جعفر الصادق^(٨).
 السادس: أن «العالمين»: ألف أمة، فستمائة في البحر وأربعمائة في البر. رواه مغيث بن شمس
 عن تبيع^(٩).
 والظاهر أن {العالمين}: جمع عالم، وهو كل موجود سوى الله جل وعلا، و(العالم) جمع
 لا واحد له من لفظه، و(العوالم) أصناف المخلوقات في السموات والأرض في البر والبحر،
 فالإنس عالم، والجن عالم، والملائكة عالم^(١٠). والله أعلم.

القرآن

{أَفْبَهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ (٨١)} [الواقعة : ٨١]

التفسير:

أفبهذا القرآن أنتم -أيها المشركون- مكذبون؟
 قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: أفبهذا القرآن الذي أنبأتكم خبره، وقصصت عليكم
 أمره أيها الناس أنتم تلينون القول للمكذابين به، ممالأة منكم لهم على التكذيب به والكفر"^(١١).
 وقد تعددت عبارات أهل العلم في تفسير قوله تعالى: {مُدْهِنُونَ} [الواقعة : ٨١]، على

وجوه:

أحدها: معناه: مكذبون غير مصدقين، قاله ابن عباس^(١٢)، والضحاك^(١٣).
 قال الزجاج: "أي: أفبالقرآن تكذبون، والمدَّهِنُ: والمدَّهِنُ والكذاب المنافق"^(١٤).
 قال ابن أبي زمنين: "أي: تاركون للقرآن، يقوله للمشركين، يقال: أدهن في أمره
 وداهن؛ وهو الكذاب المنافق"^(١٥).
 الثاني: يعني: تكفرون، مثل قوله: {وَدُّوا لَوْ نُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ} [القلم : ٩]. قاله مقاتل بن حيان^(١٦)،
 ومقاتل بن سليمان^(١٧).
 قال الفراء: "مكذبون وكافرون، كل قد سمعته"^(١٨).

(١) حكاه عنه الثعلبي في تفسيره: ١١٢/١.

(٢) حكاه عنه الثعلبي في تفسيره: ١١٢/١.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٥٩)، و(١٦٠): ص ١٤٤-١٤٥.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٦١)، و(١٦٢): ص ١٤٥.

(٥) انظر: النكت والعيون: ٥٥/١.

(٦) حكاه عنه القرطبي في تفسيره: ٢١٣/١.

(٧) حكاه عنه الثعلبي في تفسيره: ١١٢/١.

(٨) تفسير الثعلبي: ١١٢/١.

(٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٠٢٥٢): ص ١٩٣١/٦.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ١٤٣/١، معاني القرآن للزجاج: ٤٦/١.

(١١) تفسير الطبري: ١٥٢/٢٣-١٥٣.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ١٥٣/٢٣.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ١٥٣/٢٣.

(١٤) معاني القرآن: ١١٦/٥.

(١٥) انظر: تفسير ابن أبي زمنين: ٣٤٤/٤.

(١٦) حكاه عنه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٢١/٩.

(١٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٢٤/٤.

(١٨) معاني القرآن: ١٣٠/٣.

قال الزمخشري: "مخاطبة للكفار، و«الحديث» المشار إليه هو القرآن المتضمن البعث، وإن الله تعالى خالق الكل وإن ابن آدم مصرف بقدره وقضائه وغير ذلك و: {مُدْهُونٌ}، معناه: يلاين بعضكم بعضاً ويتبعه في الكفر، مأخوذ من «الدهن» للينه وإملاسه"^(١).
الثالث: معرضون، قاله الضحاك-أيضاً-^(٢).

الرابع: تريدون أن تمالئوهم فيه، وتركوا إليهم، قاله مجاهد^(٣).
الخامس: منافقون في التصديق به حكاه ابن عيسى^(٤)، ومنه قول الشاعر:
لبعض الغشم أبلغ في أمور ... تنوبك من مداهنة العدو
السادس: أن المدهن، الذي لا يفعل ما يحق عليه ويدفعه بالعلل. قال ابن كيسان^(٥).
السابع: أن المدهن، المنافق الذي لئن جانبه ليخفي كفره. قاله المؤرخ^(٦).
قال السمعاني: "المداهن هو ذو الوجهين، وهو الذي يكون قلبه خلاف لسانه، ولسانه خلاف قلبه"^(٧).

قال المبرد: "أدهن الرجل في دينه، وداهن في أمره، إذا خان وأظهر خلاف ما يضمُر"^(٨).

قال أبو عبيدة: "واحداه: مدهن، وهو: المداهن"^(٩).
قال ابن قتيبة: "أي مدهنون. يقال: أدهن في دينه وداهن"^(١٠).
وقال قوم: "داهنت بمعنى: داريت، وأدهنت، بمعنى: غششت"^(١١).
قال ابن العربي: "قال المفسرون: يعني مكذبون، وحقيقته ما قدمناه أي أفبهذا الحديث أنتم مقاربون في الظاهر مع إضمار الخلاف في الباطن، يقولون: الله، الله. ثم يقولون: مطرنا بنجم كذا، ونوء كذا، ولا ينزل المطر إلا الله سبحانه غير مرتبط بنجم ولا مقترن بنوء"^(١٢).

القرآن

{وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكذِّبُونَ (٨٢)} [الواقعة : ٨٢]

التفسير:

وتجعلون شكركم لنعم الله عليكم أنكم تكذبون بها وتكفرون؟
سبب النزول:

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: "نزلت هذه الآية في رجل من الأنصار في غزوة تبوك، ونزلوا بالحجر، فأمرهم رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أن لا يحملوا من مائها شيئاً ثم ارتحل ثم نزل منزلاً آخر، وليس معهم ماء، فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقام يصلي ركعتين ثم دعا، فأرسل سحابة فأمرت عليهم حتى استقوا منها، فقال رجل من الأنصار لآخر من قومه يتهم بالنفاق: ويحك قد ترى ما دعا النبي صلى الله عليه وسلم فأمطر

(١) الكشاف: ٢٥٢/٥.

(٢) انظر: النكت والعيون: ٤٦٤/٥.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ١٥٣/٢٣.

(٤) انظر: النكت والعيون: ٤٦٤/٥.

(٥) حكاه عنه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٢١/٩.

(٦) حكاه عنه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٢١/٩.

(٧) تفسير السمعاني: ٣٦٠/٥.

(٨) انظر: "التفسير الكبير" ٨٣/٣٠، والتفسير البسيط للواحيدي: ٧٩/٢٢.

(٩) مجاز القرآن: ٢٥٢/٢.

(١٠) غريب القرآن: ٤٥١.

(١١) انظر: تفسير القرطبي ٢٢٨/١٧، واللسان: ١٩/١٧.

(١٢) أحكام القرآن: ٣٠٦/٤.

الله علينا السماء، فقال: إنما مطرنا بنوء كذا وكذا، فأنزل الله: {وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكذِّبُونَ} (٨٢) [الواقعة : ٨٢]"^(١).

قال الطبري: "يقول: وتجعلون شكر الله على رزقه إياكم التكذيب، وذلك كقول القائل الآخر: جعلت إحساني إليك إساءة منك إليّ، بمعنى: جعلت: شكر إحساني، أو ثواب إحساني إليك إساءة منك إليّ"^(٢).

وللمفسرين في معنى هذه الآية ثلاثة أقوال:

أحدها: أن «الرزق» -هاهنا- بمعنى: الشكر.

روي علي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «{وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكذِّبُونَ}، قال: شُكْرُكُمْ أَنْتُمْ تُكذِّبُونَ، قال: ويقولون مطرنا بنوء كذا وكذا»^(٣). وهذا قول علي بن أبي طالب^(٤)، وابن عباس^(٥).

قال الفراء: "جاء في الأثر: «تجعلون رزقكم: شكركم»، وهو في العربية حسن أن تقول: جعلت زيارتي إياك أنك استخففت بي، فيكون المعنى: جعلت ثواب الزيارة- الجفاء. كذلك جعلتم شكر الرزق- التكذيب"^(٦).

وقال الفراء: "معناه: رزقي إياكم أنكم تكذبون، والعرب تضيف أفعالها إلى أنفسها وإلى ما أوقعت عليه، فيقولون: قد ندمت على ضربي إياك وندمت على ضربك فهذا من ذلك والله أعلم"^(٧).

عن عليّ -رضي الله عنه-: " {وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكذِّبُونَ}، قال: شكركم"^(٨).

وكان علي يقرأ: « {وَتَجْعَلُونَ شُكْرَكُمْ} »^(٩).

عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس، أنه كان يقرأ: «{وَتَجْعَلُونَ شُكْرَكُمْ أَنْتُمْ تُكذِّبُونَ}»^(١٠).

عن ابن عيينة، قال: "سمعت رجلاً، من أهل الكوفة كان يقرأها ويقول: «وتجعلون شكركم أنكم تكذبون»"^(١١).

عن عليّ رفعه: " {وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكذِّبُونَ}، قال: «شكركم، تقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا، وبنجم كذا وكذا»"^(١٢).

عن عليّ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «{وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكذِّبُونَ}، قال: شُكْرُكُمْ أَنْتُمْ تُكذِّبُونَ، قال: ويقولون مطرنا بنوء كذا وكذا»"^(١٣).

عن عليّ: " {وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكذِّبُونَ}، قال: كان يقرأها: «{وَتَجْعَلُونَ شُكْرَكُمْ أَنْتُمْ تُكذِّبُونَ}»، يقول: جعلتم رزق الله بنوء النجم، وكان رزقهم في أنفسهم بالأنواء أنواء المطر إذا نزل عليهم المطر، قالوا: رزقنا بنوء كذا وكذا، وإذا أمسك عنهم كذبوا، فذلك تكذيبهم"^(١٤).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٨٠٧): ص ٣٣٣٥/١٠.

(٢) تفسير الطبري: ١٥٣/٢٣.

(٣) أخرجه الطبري: ١٥٤/٢٣.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ١٥٤/٢٣.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ١٥٤/٢٣.

(٦) معاني القرآن: ١٣٠/٣.

(٧) معاني القرآن: ٧١/٢.

(٨) أخرجه الطبري: ١٥٤/٢٣.

(٩) أخرجه الطبري: ١٥٥/٢٣.

(١٠) فضائل القرآن للقاسم بن سلام: ٣١٤.

(١١) تفسير عبدالرزاق (٣١٥٤): ص ٢٨٥/٣.

(١٢) أخرجه الطبري: ١٥٤/٢٣.

(١٣) أخرجه الطبري: ١٥٤/٢٣.

(١٤) أخرجه الطبري: ١٥٥/٢٣.

الثاني: أن المعنى: وتجعلون شكر رزقكم تكذيبكم، وذلك أنهم كانوا يمتطرون، فيقولون: مطرنا بنوء كذا. قاله ابن عباس^(١)، ومجاهد^(٢)، والضحاك^(٣)، وعطاء^(٤). وهو قول الأكثرين^(٥).

قال ابن قتيبة: "أي: جعلتم شكرَ الرزقِ التكذيب"^(٦).

قال يحيى: "يقول: تجعلون مكان الشكر التكذيب"^(٧).

قال الزجاج: "كانوا يقولون: مطرنا بنوء كذا، ولا ينسبون السقيا إلى الله - عزَّ وجلَّ - فقيل لهم: أتجعلون رزقكم، أي: شكركم بما رزقتم، التكذيب، وقد قالوا إن تفسير رزقكم ههنا الشكر، ورووا أنه يقال: «وتجعلون رزقي في معنى شكري»، وليس بصحيح. إنما الكلام في قوله: {وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكذِّبُونَ} يدل على معنى: وتجعلون شكركم أنكم تكذبون، أي: تجعلون شكر رزقكم أن تقولوا: مطرنا بنوء كذا، فَتُكذِّبُونَ في ذلك"^(٨).

قال عطاء الخراساني: "كان ناس يمتطرون فيقولون: مطرنا بنوء كذا، مطرنا بنوء كذا"^(٩).

عن مجاهد، قوله: "{وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكذِّبُونَ}"، قال: قولهم في الأنواء: مطرنا بنوء كذا ونوء كذا، يقول: قولوا هو من عند الله وهو رزقه"^(١٠).

قال الضحاك: "جعل الله رزقكم في السماء، وأنتم تجعلونه في الأنواء"^(١١).

عن ابن عباس، في قوله: "{وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ}"، يقول: شكركم على ما أنزلت عليكم من الغيث والرحمة تقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا؛ قال: فكان ذلك منهم كفراً بما أنعم عليهم"^(١٢).

قال ابن عباس: "ما مطر الناس ليلة قط، إلا أصبح بعض الناس مشركين يقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا، قال: وقال وتجعلون شكركم أنكم تكذبون"^(١٣).

قال ابن عباس: "ما مطر قوم قط إلا أصبح بعضهم كافراً، يقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا، وقرأ ابن عباس: {وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكذِّبُونَ}"^(١٤).

عن عكرمة، في قوله تعالى: "{فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً}" [الفرقان: ٥٠]، قال: قيل له ما كفرهم؟ قال: يقولون: مطرنا بالأنواء، فأنزل الله في الواقعة: {وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكذِّبُونَ} [الواقعة: ٨٢]"^(١٥).

عن القاسم بن أبي أمامة، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "ما مطر قوم من ليلة إلا أصبح قوم بها كافرين، ثم قال: {وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكذِّبُونَ}"، يقول قائل مطرنا بنجم كذا وكذا"^(١٦).

عن إسماعيل بن أمية، قال: أحسبه أو غيره: "أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سمع رجلا ومطروا يقول: مطرنا ببعض عثانين الأسد، فقال: «كذبت بل هو رزق الله»"^(١٧).

(١) انظر: تفسير الطبري: ١٥٤/٢٣.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ١٥٥/٢٣-١٥٦.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ١٥٦/٢٣.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ١٥٥/٢٣.

(٥) انظر: زاد المسير: ٢٢٩/٤. حكاه عن الأكثرين.

(٦) غريب القرآن: ٤٥٢.

(٧) تفسير يحيى بن نسام: ٧٦/١.

(٨) معاني القرآن: ١١٦/٥.

(٩) أخرجه الطبري: ١٥٥/٢٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ١٥٥/٢٣-١٥٦.

(١١) أخرجه الطبري: ١٥٦/٢٣.

(١٢) أخرجه الطبري: ١٥٤/٢٣.

(١٣) أخرجه الطبري: ١٥٤/٢٣.

(١٤) أخرجه الطبري: ١٥٤/٢٣.

(١٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٥٢٥٢): ص ٨/٨٠٨٧٢٠.

(١٦) أخرجه الطبري: ١٥٦/٢٣.

عن أبي سعيد: " لو أمسك الله القطر عن الناس سبع سنين، ثم أرسله لأصبحت طائفة به كافرين، يقولون: مطرنا بنوء المجدح"^(٢).

قال مقاتل: " وذلك أن النبي- صلى الله عليه وسلم- غزا أحياء من العرب في حر شديد، ففنى ما كان عند الناس من الماء، فظمئوا ظمأ شديداً، ونزلوا على غير ماء، فقالوا: يا رسول الله، استسق لنا. قال: فلعل إذا استسقيت فسقيتم تقولون: هذا نوء كذا وكذا. قالوا: يا رسول الله، قد ذهب خبر الأنواء، فتوضأ النبي- صلى الله عليه وسلم- وصلى ثم دعا ربه فهاجت الرياح وثارَت سحابة فلم يلبثوا حتى غشيهم السحاب ركاما فمطروا مطرا جوادا حتى سالت الأودية فشرَبوا وسقوا وغسلوا ركابهم وملئوا أسقيتهم، فخرج النبي- صلى الله عليه وسلم- فمر على رجل وهو يغرف بقدر من الوادي وهو يقول: هذا نوء كذا وكذا، فكان المطر رزقا من الله فجعلوه للأنواء ولم يشكروا نعمة الله- تعالى- {وتجعلون رزقكم}، يعني: المطر بالأنواء، {أنكم تكذبون}، يقول: أنا رزقتكم فلا تكذبون وتجعلونه للأنواء"^(٣).

عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله ليصبح القوم بالنعمة، أو يمسيهم بها، فيصبح بها قوم كافرين يقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا" قال محمد: فذكرت هذا الحديث لسعيد بن المسيب، فقال: ونحن قد سمعنا من أبي هريرة، وقد أخبرني من شهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يستسقي فلما استسقى التفت إلى العباس فقال: يا عباس يا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، كم بقي من نوء الثريا؟ فقال: العلماء بها يزعمون أنها تعترض في الأفق بعد سقوطها سبعا، قال: فما مضت سابعة حتى مطروا"^(٤).

قال ابن كثير: " وهذا مَحْمُولٌ عَلَى السُّؤالِ عَنِ الوَقْتِ الَّذِي أُجْرِيَ اللهُ فِيهِ العَادَةُ بِإِنزَالِ المَطَرِ، لا أَنَّ ذلك النوء يؤثر بنفسه في نزول المطر؛ فإن هذا هو المنهي عن اعتقاده"^(٥).
الثالث: أن «الرزق» بمعنى: الحظ. فالمعنى: وتجعلون حظكم ونصيبكم من القرآن أنكم تكذبون، قاله الحسن^(٦)، وذكره الثعلبي^(٧).

قال الحسن: " بنسما أخذ قوم لأنفسهم لم يرزقوا من كتاب الله إلا التكذيب به"^(٨). وفي لفظ: " خسر عبد لا يكون حظه من كتاب الله إلا التكذيب"^(٩).

وحكي الماوردي-في معنى الآية:- " أنه ما يأخذه الأتباع من الرؤساء على تكذيب النبي- صلى الله عليه وسلم- والصد عنه"^(١٠).

وحكي عن عكرمة في تفسير الآية:- "أنه الاكتساب بالسحر"^(١١).

فوائد الآيات: [٧٥-٨٢]:

١- بيان أن الله تعالى يقسم بما شاء من مخلوقاته، وإن العبد لا يقسم إلا بربه تعالى.

- (١) أخرجه الطبري: ١٥٥/٢٣.
- (٢) رواه الإمام أحمد في مسنده (١١٠٤٢): ص٩٥/١٧، وأخرجه عبد الرزاق في "تفسيره" ٢٧٤/٢، والحميدي (٧٥١)، والنسائي في "المجتبى" ١٦٥/٣، والطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (٥٢١٨)، وابن حبان (٦١٣٠)، والمزي في "تهذيب الكمال" ٢٩٠/١٩ من طريق سفيان بن عيينة، بهذا الإسناد.
- ورواية النسائي: "خمس سنين"، ورواية الطحاوي: "تسع سنين".
- وأخرجه النسائي في "الكبرى" (١٠٧٦٢) - وهو في "عمل اليوم والليلة" (٩٢٦) -، والدارمي ٣١٤/٢، وأبو يعلى (١٣١٢) من طريق حماد بن سلمة، عن عمرو بن دينار، به. وفيه: "عشر سنين".
- (٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٢٤/٤-٢٢٥.
- (٤) أخرجه الطبري: ١٥٥/٢٣.
- (٥) تفسير ابن كثير: ٥٤٧/٧.
- (٦) انظر: تفسير الطبري: ١٥٦/٢٣.
- (٧) انظر: الكشف والبيان: ٢٢١/٩.
- (٨) أخرجه الطبري: ١٥٦/٢٣.
- (٩) أخرجه الطبري: ١٥٦/٢٣.
- (١٠) النكت والعيون: ٤٦٥/٥.
- (١١) انظر: النكت والعيون: ٤٦٥/٥.

- ٢- تقرير الوحي الإلهي وإثبات النبوة المحمدية، وأن القرآن الكريم منزل من عند الله تعالى.
 ٣- وجوب صيانة القرآن الكريم، وحرمة مسه على غير طهارة.
 ٤- حرمة المداهنة في دين الله تعالى وهي أن يتنازل عن شيء من الدين ليحفظ شيئاً من دنياه والمداراة جائزة وهي أن يتنازل عن شيء من دنياه ليحفظ شيئاً من دينه.

القرآن

{فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ (٨٣) وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ نَا تُصِيرُونَ (٨٥)} [الواقعة : ٨٣-٨٥]

التفسير:

فهل تستطيعون إذا بلغت نفس أحدكم الحلقوم عند النزح، وأنتم حضور تنظرون إليه، أن تمسكوا روحه في جسده؟ لن تستطيعوا ذلك، ونحن أقرب إليه منكم بما لئكتنا، ولكنكم لا ترونهم.
 قوله تعالى: {فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ} [الواقعة : ٨٣]، أي: "فهلاً إذا بلغت الروح الحلقوم عند معالجة سكرات الموت"^(١).

عن ابن عباس: "فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ" يقول: النفس"^(٢).

قال مقاتل: "يعني: فهلاً {إِذَا بَلَغَتِ} هذه النفس {الْحُلُقُومَ} يعني: التراقي"^(٣).

قال الطبري: "فهلاً إذا بلغت النفوس عند خروجها من أجسادكم أيها الناس حلاقيمكم"^(٤).

قال ابن كثير: "يقول تعالى: {فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ}، أي: الروح {الْحُلُقُومَ}، أي: الحلق، وذلك حين الاحتضار، قال: {كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِي}. وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ. وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ. وَالنَّفْسُ السَّاقُ بِالسَّاقِ. إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ} [القيامة : ٢٦، ٣٠]"^(٥).

قوله تعالى: {وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ} [الواقعة : ٨٤]، أي: "وأنتم في ذلك الوقت تنظرون إلى المحتضر وما يكابده من شدائد وأهوال"^(٦).

قال الطبري: "يقول: ومن حضرهم منكم من أهلكهم حينئذ إليهم ينظر"^(٧).

قال ابن كثير: "أي: إلى المحتضر وما يكابده من سكرات الموت"^(٨).

قال ابن عباس: "يريد: مَنْ حَضَرَ الْمَيِّتَ مِنْ أَهْلِهِ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ مَتَى تَخْرُجُ نَفْسُهُ"^(٩).

قال الكلبي: "تنظرون إليه متى تخرج نفسه"^(١٠).

قال مقاتل: "تنظرون {إلى أمري وسلطاني}"^(١١).

وعن قال عطاء: "وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ"، إلى ما كنتم تكذبون به"^(١٢).

حكى عن مسروق بن الأجدع^(١٣): "أنه بكى حين حضرته الوفاة، فاشتد بكأؤه، فقيل له:

ما يبكيك؟ قال: وكيف لا أبكي، وإنما هي ساعة، ثم لا أدري إلى أين يسلك بي"^(١).

(١) صفوة التفاسير: ٢٩٧/٣.

(٢) الدر المنثور: ٢٣/٨.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان ٢٢٥/٤.

(٤) تفسير الطبري: ١٥٦/٢٣.

(٥) تفسير ابن كثير: ٥٤٧/٧-٥٤٨.

(٦) صفوة التفاسير: ٢٩٧/٣.

(٧) تفسير الطبري: ١٥٦/٢٣.

(٨) تفسير ابن كثير: ٥٤٨/٧.

(٩) تفسير الثعلبي ٢٢٣/٩.

(١٠) التفسير البسيط للواحدى: ٢٦٦/٢١.

(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٢٥/٤.

(١٢) التفسير البسيط للواحدى: ٢٦٦/٢١.

(١٣) مسروق بن الأجدع بن مالك بن أمية الهمداني الوداعي الكوفي (١- ٦٣ هـ): تابعي، ثقة، من عباد أهل الكوفة. شلت يده يوم القادسية. (تهذيب التهذيب ١٠/ ١٠٠).

قوله تعالى: {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ} [الواقعة : ٨٥]، أي: "ونحن أقرب إليه منكم بما لا ترونهم" (١).

قال مقاتل: "يعنى: ملك الموت وحده إذا أتاه ليقبض روحه" (٢).

قال الطبري: "يقول: ورسلنا الذين يقبضون روحه أقرب إليه منكم، {وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ}" (٣).

قال ابن كثير: "وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ، أي : بما لا نرى {وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ}، أي : ولكن لا ترونهم. كما قال في الآية الأخرى: {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّقَهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ. ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ لَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ} [الأنعام : ٦١، ٦٢]" (٤).

عن أبي موسى الأشعري، قال: سألت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - متى تنقطع معرفة العبد من الناس؟ قال: «إذا عاين» (٥).

عن عمر بن الخطاب، قال: "احضروا موتاكم، وذكروهم؛ فإنهم يرون ما لا ترون" (٦).

عن عمر بن الخطاب، قال: "احضروا موتاكم، ولقنوهم: لا إله إلا الله. فإنهم يرون، ويُقال لهم" (٧).

عن عمر بن الخطاب، قال: لقنوا موتاكم: "لا إله إلا الله. واعقلوا ما تسمعون من المطيعين منكم؛ فإنه يُجلى لهم أمور صادقة" (٨).

قال عامر بن عبد قيس: "ما نظرت إلى شيء إلا رأيت الله سبحانه أقرب إليّ منه" (٩).

القرآن

{قُلُوا إِن كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٨٧)} [الواقعة : ٨٦-٨٧]

التفسير:

وهل تستطيعون إن كنتم غير محاسبين ولا مجزيين بأعمالكم أن تعيدوا الروح إلى الجسد، إن كنتم صادقين؟ لن ترجعوها.

قوله تعالى: {قُلُوا إِن كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ} [الواقعة : ٨٦]، أي: "فهل إن كنتم غير مجزيين بأعمالكم كما تزعمون" (١٠).

قال الطبري: "جواب قوله: {قُلُوا إِذَا بَلَغَتِ الْخُلُوفَ}، وجواب قوله: {قُلُوا إِن كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ} جواب واحد وهو قوله: {تَرْجِعُونَهَا}، وذلك نحو قوله: {فَأَمَّا يَا تَيْبَتُكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ}، جعل جواب الجزاءين جواباً واحداً" (١١).

وفي قوله تعالى: {غَيْرَ مَدِينِينَ} [الواقعة : ٨٦]، وجوه:

أحدها : غير محاسبين، قاله ابن عباس (١٢)، والحسن في رواية (١٣)، ومجاهد في رواية (١٤)، وعكرمة (١٥)، وقتادة (١٦)، والسدي (١٧)، وأبو حزر (١٨)، وابن زيد (١٩).

(١) تفسير التستري: ١٦٠، وصفوة الصفوة ٣/ ٢٦.

(٢) التفسير الميسر: ٥٣٧.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٢٥/٤.

(٤) تفسير الطبري: ١٥٧/٢٣.

(٥) تفسير ابن كثير: ٥٤٨/٧.

(٦) أخرجه ابن ماجه (١٤٥٣): ص ٤٤٢ / ٢.

(٧) أخرجه ابن أبي الدنيا في المحتضرين (٨).

(٨) أخرجه ابن أبي شيبة ٢٣٧ / ٣. وعزاه السيوطي إلى أبي بكر المروزي في كتاب الجنائز، وسعيد بن منصور.

(٩) الدر المنثور: ٣٢ / ٨ وعزاه إلى سعيد بن منصور، والمروزي.

(١٠) تفسير الثعلبي: ٢٢٣/٩.

(١١) صفوة التفسير: ٢٩٧/٣.

(١٢) تفسير الطبري: ١٥٨/٢٣.

قال ابن زيد: "كانوا يجحدون أن يُدانوا بعد الموت، قال: وهو مالك يوم الدين، يوم يُدان الناس بأعمالهم، قال: يدانون: يحاسبون^(٩).

قال مقاتل: "يعني: غير محاسبين، نظيرها في فاتحة الكتاب: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} [الفاتحة : ٤]، يعني: يوم الحساب، وقال في: {أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ} [الماعون : ١]، يعني: بالحساب، وقال في «الذاريات»: {وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ} [الذاريات : ٦]، يعني: الحساب لكائن، وقال أيضا في «الصافات»: {أَلَيْسَ لِمَدْيُونٍ} [الصافات : ٥٣]، يعني: إنا لمحاسبون"^(١٠).

الثاني: غير مبعوثين يوم القيامة، قاله الحسن في رواية أخرى^(١١).

الثالث: غير مصدقين أنكم تُدانون وتبعثون وتجزون، قاله سعيد بن جبير^(١٢)، والحسن البصري^(١٣).

الرابع: غير معذبين مقهورين، قاله ميمون بن مهران^(١٤).

الخامس: غير موقنين، قاله مجاهد^(١٥).

السادس: غير مجزيين بأعمالكم، ومنه يقال: دنته، وكما تدين تدان^(١٦). قاله أبو عبيدة^(١٧)، والأخفش^(١٨)، وحكاه الفراء^(١٩)، والطبري^(٢٠) دون نسبة.

قال الأخفش: "أي: غير مجزيين مقهورين"^(٢١).

قال أبو عبيدة: "والعبد مدين، قال الأخطل^(٢٢):

ربت وربا في كرمها ابن مدينة ... يظلّ على مسحاته يتركل"^(٢٣)

السابع: غير مملوكين، قاله الفراء^(٢٤)، وابن قتيبة^(٢٥)، والزجاج^(٢٦).

قال ابن قتيبة: "أي: غير مملوكين أذلاء. من قولك: دنت له بالطاعة"^(٢٧).

قال الزجاج: "معناه: هُنا ترجعون الروح إن كنتم غير مدينين، أي: غير مملوكين

- (١) انظر: تفسير الطبري: ١٥٧/٢٣.
- (٢) انظر: تفسير الطبري: ١٥٨/٢٣.
- (٣) انظر: تفسير الطبري: ١٥٧/٢٣، وتفسير مجاهد: ٦٤٦.
- (٤) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٤٨/٧.
- (٥) انظر: تفسير الطبري: ١٥٨/٢٣.
- (٦) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٤٨/٧.
- (٧) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٤٨/٧.
- (٨) انظر: تفسير الطبري: ١٥٨/٢٣.
- (٩) أخرجه الطبري: ١٥٨/٢٣.
- (١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٢٥/٤.
- (١١) انظر: تفسير الطبري: ١٥٨/٢٣.
- (١٢) انظر: النكت والعيون: ٤٦٥/٥، وتفسير ابن كثير: ٥٤٨/٧.
- (١٣) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٤٨/٧.
- (١٤) انظر: النكت والعيون: ٤٦٥/٥، وتفسير ابن كثير: ٥٤٨/٧.
- (١٥) انظر: النكت والعيون: ٤٦٥/٥، وتفسير ابن كثير: ٥٤٨/٧.
- (١٦) هذا قطعة بيت ثم أصبح مثل.
- (١٧) انظر: مجاز القرآن: ٢٥٢/٢-٢٥٣.
- (١٨) انظر: معاني القرآن: ٥٣٣/٢.
- (١٩) انظر: معاني القرآن: ١٣١/٣.
- (٢٠) انظر: تفسير الطبري: ١٥٨/٢٣.
- (٢١) معاني القرآن: ٥٣٣/٢.
- (٢٢) ديوانه: ٥، واللسان: (دين، مدن).
- (٢٣) مجاز القرآن: ٢٥٣/٢.
- (٢٤) انظر: معاني القرآن: ١٣١/٣.
- (٢٥) انظر: غريب القرآن: ٤٥٢.
- (٢٦) انظر: معاني القرآن: ١١٧/٥.
- (٢٧) غريب القرآن: ٤٥٢.

مُدَبَّرِينَ لَيْسَ لَكُمْ فِي الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ قُدْرَةٌ، فَهَلَّا إِنْ كُنْتُمْ كَمَا زَعَمْتُمْ وَمِثْلَ قَوْلِكُمْ الَّذِي جَاءَ فِي الْقُرْآنِ: {الَّذِينَ قَالُوا لِلْإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [آل عمران : ١٦٨]، كما قال: {أَوْ كَانُوا غُرَى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا} [آل عمران : ١٥٦]. فالمعنى: إن كنتم تقدرُونَ أن تؤخروا أجلًا فهلَّا تُرْجَعُونَ الروح إذا بلغت الحلقوم، وهلَّا تدرأون عن أنفسكم الموت" (١).

قال الطبري: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: غير محاسبين فمجزيين بأعمالكم من قولهم: كما تدين تدان، ومن قول الله: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} [الفاحة : ٤]" (٢).
قوله تعالى: {تُرْجَعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [الواقعة : ٨٧]، أي: "تردون نفس هذا الميت إلى جسده بعد ما بلغت الحلقوم، إن كنتم صادقين" (٣).

قال الطبري: "يقول: تردون تلك النفوس من بعد مصيرها إلى الحلاقيم إلى مستقرها من الأجساد إن كنتم صادقين، إن كنتم تمتنعون من الموت والحساب والمجازاة" (٤).
قال ابن الجوزي: "المعنى: إن جددتم الإله الذي يحاسبكم ويجازيكم، فهلَّا تردون هذه النَّفْسَ! فإذا لم يمكنكم ذلك، فاعلموا أن الأمر لغيركم" (٥).
قال ابن قتيبة: "تُرْجَعُونَهَا"، أي: تردون النفس" (٦).
قال الأخفش: أي: "ترجعون تلك النفس وانتم ترون كيف تخرج عند ذلك {إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} أنكم تمتنعون من الموت" (٧).

قال ابن كثير: "معناه: فهلَّا تُرْجَعُونَ هذه النفس التي قد بلغت الحلقوم إلى مكانها الأول، ومقرها في الجسد" (٨).

قال النحاس: "مخاطبة لمن حضر ميتا: فالتقدير: فلا ترجعونها إن كنتم صادقين" (٩).

عن ابن عباس: "تُرْجَعُونَهَا" يقول: ترجعوا النفس {إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}" (١٠).

عن مجاهد: "تُرْجَعُونَهَا"، قال: النفس" (١١).

عن ابن زيد، قوله: "تُرْجَعُونَهَا"، قال: لتلك النفس، {إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}" (١٢).

القرآن

{فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ (٨٩)} [الواقعة : ٨٨-٨٩]

التفسير:

فأما إن كان الميت من السابقين المقربين، فله عند موته الرحمة الواسعة والفرح وما تطيب به نفسه، وله جنة النعيم في الآخرة.

قوله تعالى: {فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ} [الواقعة : ٨٨]، أي: "فأما إن كان الميت من

السابقين المقربين" (١٣).

(١) معاني القرآن: ١١٧/٥.

(٢) تفسير الطبري: ١٥٨/٢٣.

(٣) صفوة التفاسير: ٢٩٧/٣. والتفسير الميسر: ٥٣٧.

(٤) تفسير الطبري: ١٥٨/٢٣.

(٥) زاد المسير: ٢٣٠/٤.

(٦) غريب القرآن: ٤٥٢.

(٧) معاني القرآن: ٥٣٣/٢.

(٨) تفسير ابن كثير: ٥٤٨/٧.

(٩) إعراب القرآن: ٢٢٩/٤.

(١٠) الدر المنثور: ٤٤/٨ وعزاه إلى ابن مردويه.

(١١) الدر المنثور: ٣٦/٨، وعزاه إلى عبد حميد وابن جرير وابن المنذر.

(١٢) أخرجه الطبري: ١٥٩/٢٣.

(١٣) التفسير الميسر: ٥٣٧.

عن ابن عباس: "قَامَا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ": مثل النَّبِيِّينَ، وَالصَّادِقِينَ، وَالشَّهَدَاءِ بِالْأَعْمَالِ^(١).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: فأما إن كان الميت من المقربين الذين قربهم الله من جواره في جنانه"^(٢).

قال ابن كثير: "هذه الأحوال الثلاثة هي أحوال الناس عند احتضارهم: إما أن يكون من المقربين، أو يكون ممن دونهم من أصحاب اليمين. وإما أن يكون من المكذبين الضالين عن الهدى، الجاهلين بأمر الله؛ ولهذا قال تعالى: {قَامَا إِنْ كَانَ}، أي: المحتضر، {مِنَ الْمُقْرَبِينَ}، وهم الذين فعلوا الواجبات والمستحبات، وتركوا المحرمات والمكروهات وبعض المباحات، {فَرَوْحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ}، أي: فلهم روح وريحان، وتبشرهم الملائكة بذلك عند الموت"^(٣).
عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الميت تحضره الملائكة، فإذا كان الرجل الصالح، قالوا: اخرجي أيتها النفس الطيبة، كانت في الجسد الطيب، واخرجي حميدة، وأبشري بروح وريحان، ورب غير غضبان. فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج، ثم يعرج بها إلى السماء، فيستفتح له، فيقال: من هذا؟ فيقال: فلان، فيقال: مرحبا بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، ادخلي حميدة، وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان، فلا يزال يقال لها ذلك حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله عز وجل. فإذا كان الرجل السوء، قالوا: اخرجي أيتها النفس الخبيثة، كانت في الجسد الخبيث، اخرجي منه ذميمة، وأبشري بحميم وغساق، {وَأَخْرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ} [ص: ٥٨]. فما يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها، فيقال: من هذا؟ فيقال: فلان، فيقال: لا مرحبا بالنفس الخبيثة، كانت في الجسد الخبيث، ارجعي ذميمة، فإنه لا يفتح لك أبواب السماء. فترسل من السماء، ثم تصير إلى القبر .."^(٤). الحديث.

عن البراء بن عازب قال: «خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار فانتبهنا إلى القبر، ولما يلحد قال: فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجلسنا حوله كأن على رؤسنا الطير، وفي يده عود ينكت به قال: فرفع رأسه وقال: "استعينوا بالله من عذاب القبر، فإن الرجل المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة نزلت إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه، وكان وجوههم الشمس معهم حنوط من حنوط الجنة، وكفن من كفن الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان قال: فتخرج نفسه فتسيل كما تسيل القطرة من فم السقاء، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعها في يده طرفة عين حتى يأخذها فيجعلها في ذلك الكفن، وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة ريح مسك، وجدت على ظهر الأرض فلا يمرون بملا من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الريح الطيبة؟ فيقولون: فلان بن فلان بأحسن أسمائه الذي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهي بها إلى السماء الدنيا، فيفتح له فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهي بها إلى السماء السابعة فيقول الله عز وجل: اكتبوا عبدي في عليين في السماء السابعة، وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان: وما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول هو رسول الله، فيقولان: وما يدريك؟ فيقول: قرأت كتاب الله عز وجل فأمنت به وصدقته، قال: فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابا من الجنة فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره، ويأتيه رجل حسن الوجه

(١) الدر المنثور: ٤٤/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٢) تفسير الطبري: ١٥٩/٢٣.

(٣) تفسير ابن كثير: ٥٤٨/٧.

(٤) المسند (٢٥٠٩٠): ص ٤٢/٤٤-١٥٠.

طيب الريح فيقول له: أبشر بالذي يسرك فهذا يومك الذي كنت توعده فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يأتي بالخير، فيقول: أنا عمك الصالح فيقول: رب أقم الساعة رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي، قال وأما العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه ومعهم المسوح حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يأتيه ملك الموت فيجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط الله وغضبه". قال: "فتفرق في جسده فينتزعها، ومعها العصب والعروق كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذونها فيجعلونها في تلك المسوح". قال: "ويخرج منها أنتن من جيفة وجدت على وجه الأرض فلا يمررون بها على ملاء من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الخبيثة؟ فيقولون: فلان بن فلان بأفبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهي بها إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ [الأعراف: ٤٠] إلى آخر الآية قال: فيقول الله تبارك وتعالى: اكتبوا [ص: ٦١٢] كتابه في سجين في الأرض السابعة السفلى، وأعيدوه إلى الأرض فإنها منها خلقتهم، وفيها نعيدهم، ومنها نخرجهم تارة أخرى". قال: "فتطرح روحه طرحاً، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا حَرَّمَ مِنَ السَّمَاءِ﴾ [الحج: ٣١] الآية، ثم تعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فينادي مناد من السماء أن كذب فافرشوه من النار، وأليسوه من النار، وافتحوا له باباً من النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه". قال: "ويأتيه رجل قبيح الوجه منتن الريح فيقول: أبشر بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت توعده". قال: "فيقول: من أنت فوجهك الوجه الذي يجي بالشر؟ فيقول: أنا عمك الخبيث، فيقول: رب لا تقم الساعة رب لا تقم الساعة".

ورواه عيسى بن المسيب، عن عدي بن ثابت، عن البراء، عن النبي صلى الله عليه وسلم وذكر فيه اسم الملكين فقال في ذكر المؤمن: "فيرد إلى مضجعه فيأتيه منكر، ونكير يثيران الأرض بأنيابهما، ويلحقان الأرض بأشفاهما أصواتهما كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف فيجلسانه، ثم يقال له: يا هذا من ربك؟ فذكره وقال في ذكر الكافر: "فيأتيه منكر ونكير يثيران الأرض بأنيابهما ويلحقان الأرض بأشفاهما، أصواتهما كالرعد القاصف، وأبصارهما كالبرق الخاطف فيجلسانه، ثم يقولان له: يا هذا من ربك؟ فيقول: لا أدري فينادي من جانب القبر: لا دريت ويضربانه بمرزبة من حديد لو اجتمع عليها من بين الخافقين لم يقلوها يشتعل منها قبره ناراً ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه"^(١).

عن ربي بن حراش قال: "أتيت فقيل لي: قد مات أخوك، فجننت سريعاً وقد سجي بثوبه، فأنا عند رأس أخي أستغفر له وأسترجع، إذ كشف الثوب عن وجهه، فقال: السلام عليكم، فقلنا: وعليك السلام، سبحان الله، قال: سبحان الله "إني قدمت على الله بعدكم فتلقيت بروح وريحان، ورب غير غضبان، وكساني ثياباً خضراً من سندس وإستبرق، ووجدت الأمر أيسر مما تظنون، ولا تتكلموا، وإني أستأذنت ربي أخبركم وأبشركم، احملوني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه عهد إلي أن لا أبرح حتى آتية، ثم طفي مكانه، قال: وأخذ حصاة فرمى بها، قال: فما أدري أهو كان أسرع أم هذه"^(٢).

قوله تعالى: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ [الواقعة: ٨٩]، أي: "فله عند موته الرحمة الواسعة والفرح وما تطيب به نفسه"^(٣).

قال الطبري: "يقول: فله روح وريحان"^(٤).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿فَرَوْحٌ﴾ [الواقعة: ٨٩]، أقوال:

(١) شعبي الإيمان للبيهقي (٣٩٠): ص ٦١٠/١. قال البيهقي رحمه الله: "هذا حديث صحيح الإسناد.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٣٤٩٨٧): ص ١٦٢/٧.

(٣) التفسير الميسر: ٥٣٧.

(٤) تفسير الطبري: ١٥٩/٢٣.

أحدها: الفرخ، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس^(١)، وبه قال سعيد^(٢)، والسدي^(٣).
الثاني: الراحة، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس^(٤)، وبه قال مجاهد^(٥).
وقال أبو حَزْرَةَ: "الراحة من الدنيا"^(٦).
قال الزجاج: "معناه: فاستراحة وبرد"^(٧).
الثالث: المغفرة والرحمة، رواه العوفي عن ابن عباس^(٨)، وبه قال الضحاك^(٩).
وقال قتادة: الرحمة"^(١٠).
الرابع: جنة ورخاء، قاله مجاهد^(١١).
الخامس: رَوْحٌ من العَمِّ الذي كانوا فيه، قاله محمد بن كعب^(١٢).
السادس: رَوْحٌ في القبر، أي: طيب نسيم، قاله ابن قتيبة^(١٣).
وقرأ أبو بكر الصديق، وأبو رزين، والحسن، وعكرمة، وابن يعمر، وقاتدة، ورويس
عن يعقوب، وابن أبي سريج عن الكسائي: «فَرَوْحٌ»، برفع الراء^(١٤).
عن عائشة، أن رسول الله صلى الله عليه قرأ: «{فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ}»^(١٥).
وفي معنى هذه القراءة، ثلاثة أقوال:
أحدها: أن معناها: فرحمة، قاله قتادة^(١٦).
الثاني: بقاء روحه بعد موت جسده. حكاه الماوردي^(١٧).
الثالث: فحياة وبقاء في الجنة. قاله الفراء^(١٨)، وأبو عبيدة^(١٩)، وابن قتيبة^(٢٠).
وقال الفراء: "حَيَاةٌ لَمْ مَوْتٍ فِيهَا"^(٢١).
وقال الزجاج: معناه: " فحياة دائمة لا موت بعدها"^(٢٢).
وفي معنى قوله تعالى: {وَرَيْحَانٌ} [الواقعة: ٨٩] ، أقوال:
أحدها: أنه الرزق، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس^(٢٣)، وبه قال سعيد بن جبير^(٢٤)،
ومجاهد^(١)، ومنه قول النمر بن تولب^(٢):

-
- (١) انظر: زاد المسير: ٢٣٠/٤.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ١٦٠/٢٣.
(٣) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٥٤٩/٧.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ١٥٩/٢٣.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ١٦٠/٢٣.
(٦) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٥٤٩/٧.
(٧) معاني القرآن: ١١٧/٥.
(٨) انظر: زاد المسير: ٢٣٠/٤.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ١٦١/٢٣.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ١٦١/٢٣.
(١١) انظر: زاد المسير: ٢٣٠/٤، وتفسير ابن كثير: ٥٤٩/٧.
(١٢) انظر: زاد المسير: ٢٣٠/٤.
(١٣) انظر: غريب القرآن: ٣٨٩.
(١٤) انظر: معاني القرآن لفراء: ١٣١/٣، وتفسير الطبري: ١٥٩/٣، والكشف والبيان: ٢٢٤/٩، وزاد المسير: ٢٣٠/٤.
(١٥) أخرجه الفراء في "معاني القرآن": ١٣١/٣، و"كتاب فيه لغات القرآن": ١٣٨.
(١٦) حكاه عنه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٢٤/٩.
(١٧) انظر: النكت والعيون: ٤٦٧/٥.
(١٨) انظر: معاني القرآن: ١٣١/٣.
(١٩) انظر: مجاز القرآن: ٢٥٣/٢.
(٢٠) انظر: غريب القرآن: ٣٨٩.
(٢١) انظر: معاني القرآن: ١٣١/٣.
(٢٢) معاني القرآن: ١١٧/٥.
(٢٣) انظر: زاد المسير: ٢٣٠/٤، وتفسير ابن كثير: ٥٤٩/٧.
(٢٤) انظر: تفسير الطبري: ١٦٠/٢٣.

سلامُ الإلهِ ورِيحَانُهُ ... ورَحْمَتُهُ وَسَمَاءُ دِرَرٍ
قال مقاتل: يعني: الرزق في الجنة، بلسان حمير" (٣).
قال ابن قتيبة: "وَالرَّيْحَانُ {الرَّزْقُ} يُقَالُ: خَرَجْتَ أَطْلُبُ رِيحَانَ اللَّهِ" (٤).
الثاني: يعني: المستريح من الدنيا، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس (٥)، وبه قال الضحاك (٦).
قال الضحاك: "الرَّيْحَانُ: الاستراحة" (٧).
الثالث: الرحمة، قاله الضحاك (٨).
الرابع: أنه الخير، قاله قتادة (٩).
الخامس: أنه الجنة، قاله مجاهد (١٠)، وفتادة (١١).
السادس: أنه الريحان المشموم، يتلقى به العبد عند الموت. قاله فتادة (١٢).
قال أبو العالية: "لم يكن أحد من المقرَّبين يفارق الدنيا، والمقربون السابقون، حتى يؤتى
بغصن من ريحان الجنة فيشمه، ثم يُقبض" (١٣).
عن الربيع بن خثيم: "قَامًا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ"، قال: هذا عند الموت، {فَرَوْحٌ
وَرِيْحَانٌ}، قال: يُجاء له من الجنة" (١٤).
عن الحسن: "{فَرَوْحٌ وَرِيْحَانٌ}، قال: تخرج روحه في ريحانة" (١٥).
عن الحسن، في قوله: "قَامًا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرِيْحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ"، قال:
ذلك في الآخرة، فقال له بعض القوم قال: أما والله إنهم ليرون عند الموت" (١٦).
قال أبو عمران الجوني: "بلغنا أن المؤمن إذا قبض روحه تلقى بضائر الريحان من
الجنة، فتجعل روحه فيه" (١٧).
قال ابن كثير: "وكل هذه الأقوال متقاربة صحيحة، فإن مات مقرباً حصل له جميعُ
ذلك من الرحمة والراحة والاستراحة، والفرح والسرور والرزق الحسن، {وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ}" (١٨).
قال الطبري: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي: قول من قال: عني بالرَّوْحِ:
الفرح والرحمة والمغفرة، وأصله من قولهم: وجدت روحاً: إذا وجد نسيماً يستروح إليه من
كرب الحرِّ. وأما الريحان، فإنه عندي الريحان الذي يتلقى به عند الموت، كما قال أبو العالية
والحسن، ومن قال في ذلك نحو قولهما، لأن ذلك الأغلب والأظهر من معانيه" (١٩).

-
- (١) انظر: تفسير الطبري: ١٦٠/٢٣.
(٢) انظر: "المنصف" ١١/٢، و"مجاز القرآن" ٢/٢٤٣، و"تفسير غريب القرآن لابن قتيبة" ص ٤٣٧،
وتفسير الطبري: ٢١/٢٢، و"معاني القرآن" للزجاج ٥/٩٧، و"اللسان" ١/١٢٤٧ (روح).
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٢٥/٤.
(٤) غريب القرآن: ٤٣٧.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ١٥٩/٢٣.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ١٦١/٢٣.
(٧) أخرجه الطبري: ٦١١/٢٣.
(٨) انظر: النكت والعيون: ٤٦٧/٥.
(٩) انظر: النكت والعيون: ٤٦٧/٥.
(١٠) انظر: زاد المسير: ٢٣١/٤.
(١١) انظر: زاد المسير: ٢٣١/٤.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ١٦١/٢٣.
(١٣) أخرجه الطبري: ١٦٠/٢٣.
(١٤) أخرجه الطبري: ١٦١/٢٣.
(١٥) أخرجه الطبري: ١٦٠/٢٣.
(١٦) أخرجه الطبري: ١٦١/٢٣.
(١٧) زاد المسير: ٢٣١/٤.
(١٨) تفسير ابن كثير: ٥٤٩/٧.
(١٩) تفسير الطبري: ١٦١/٢٣.

وقال محمد بن كعب : "لا يموت أحدٌ من الناس حتى يعلم : أمن أهل الجنة هو أم من أهل النار؟"^(١).

قوله تعالى: {وَجَنَّتٌ نَّعِيمٍ} [الواقعة : ٨٩]، أي: "وله جنة النعيم في الآخرة"^(٢).

قال الطبري: "يقول: وله مع ذلك بستان نعيم ينتعم فيه"^(٣).

عن ابن وهب، قال: قال ابن زيد: «وجنة نعيم»، قال: قد عُرضت عليه"^(٤).

عن الربيع بن خيثم في قوله: "فأما إن كان من المقربين فروح وريحان" قال: هذا له عند الموت {وجنة نعيم} قال: تخبأ له الجنة إلى يوم يبعث"^(٥).

عن أم هانئ : عن أم هانئ، أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتزاور إذا متنا ويرى بعضنا بعضاً؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " تكون النسم طيرا تعلق بالشجر، حتى إذا كان يوم القيامة دخلت كل نفس في جسدها"^(٦).

عن عبد الله بن مسعود، قال: «أرواح الشهداء في أجواف طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى قناديل معلقة في العرش»^(٧).

عن عبد الله بن مسعود، في قوله: {وَلَا تُحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ} [آل عمران: ١٦٩] قال: أما إنا سألنا عن ذلك، فقال: " أرواحهم كطير خضر تسرح في الجنة في أيها شاءت، ثم تأوي إلى قناديل معلقة بالعرش، فبينما هم كذلك، إذ اطلع عليهم ربك اطلاعة، فيقول: " سلوني ما سئتم، قالوا: ربنا، ماذا نسألك ونحن نسرح في الجنة في أيها شئنا؟ فلما رأوا أنهم لا يتركون من أن يسألوا، قالوا: نسألك أن ترد أرواحنا في أجسادنا إلى الدنيا حتى نقتل في سبيلك، فلما رأى أنهم لا يسألون إلا ذلك، تركوا"^(٨).

عن عطاء بن السائب، قال : "كان أول يوم عرفت فيه عبد الرحمن بن أبي ليلى : رأيت شيخاً أبيض الرأس واللحية على حمار، وهو يتبع جنازة، فسمعتة يقول : حدثني فلان بن فلان، سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «من أحب لقاء الله أحب لقاءه، ومن كره لقاء الله كره لقاءه». قال : فأكب القوم يبكون فقال : "ما يُبكيكم؟" فقالوا : إنا نكره الموت. قال : "ليس ذلك، ولكنه إذا حضر {فأما إن كان من المقربين. فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةٌ نَّعِيمٌ}، فإذا بُشِّرَ بذلك أحب لقاء الله عز وجل، والله، عز وجل، للقاءه أحب {وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَدِّبِينَ الضَّالِّينَ. فَنَزَلُ مِنْ حَمِيمٍ وَتَصْلِيَةٌ جَهِيمٌ}، فإذا بُشِّرَ بذلك كره لقاء الله، والله للقاءه أكره"^(٩).

القرآن

{وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩١)} [الواقعة : ٩٠ - ٩١]

التفسير:

وأما إن كان الميت من أصحاب اليمين، فيقال له: سلامة لك وأمن؛ لكونك من أصحاب اليمين. قوله تعالى: {وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ} [الواقعة : ٩٠]، أي: "وأما إن كان الميت من أصحاب اليمين"^(١٠).

(١) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٥٤٩/٧.

(٢) التفسير الميسر: ٥٣٧.

(٣) تفسير الطبري: ١٦١/٢٣.

(٤) أخرجه الطبري: ١٦١/٢٣.

(٥) الدر المنثور: ٣٦/٨، وعزاه ابن أبي شيبة وأحمد في الزهد وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٦) المسند (٢٧٣٨٧): ص ٣٨٣/٤٥.

(٧) المعجم الكبير للطبراني (٨٩٠٥): ص ١٨٣/٩.

(٨) سنن ابن ماجة (٢٨٠١): ص ٩٣٦/٢. حك الألباني [صحيح]، وسنن الترمذي (٣٠١١): ص ٨١/٥.

(٩) المسند (٢٥٩/٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٨٤).

(١٠) التفسير الميسر: ٥٣٧.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: {وَأَمَّا إِنْ كَانَ} الميت {مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ} الذين يؤخذ بهم إلى الجنة من ذات أيمانهم"^(١).

قال النحاس: "أي: ممن أخذ به ذات اليمين إلى الجنة"^(٢).

قال ابن كثير: "أي: وأما إن كان المحتضر من أصحاب اليمين، {فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ}، أي: تبشروهم الملائكة بذلك، تقول لأحدهم: سلام لك، أي: لا بأس عليك، أنت إلى سلامة، أنت من أصحاب اليمين"^(٣).

عن ابن عباس: " {إِنَّمَا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ}، يقول: جمهور أهل الجنة"^(٤).

قوله تعالى: {فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ} [الواقعة: ٩١]، أي: فيقال له: سلامة لك وأمن؛ لكونك من أصحاب اليمين"^(٥).

وفي قوله تعالى: {فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ} [الواقعة: ٩١]، أقوال: أحدها: فسلامة لك من العذاب، قاله أبو صالح عن ابن عباس^(٦).

وقال ابن قتيبة: "يريد: فسلامة لك منهم؛ أي: يُخْبِرُكَ عَنْهُمْ بِسَلَامَةٍ"^(٧).

الثاني: معناه: سلم مما يكره. قاله ابن زيد^(٨).

الثالث: سلام من عند الله^(٩)، وسلمت عليه ملائكة الله. قاله قتادة^(١٠).

الرابع: تسلّم عليه الملائكة، وتخبره أنه من أصحاب اليمين، قاله عكرمة^(١١)، وعطاء^(١٢).

وقال عطاء: "يسلم عليه الملائكة وجيرانه من أصحاب اليمين"^(١٣).

قال ابن كثير: "وهذا معنى حسن ويكون ذلك كقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ. نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ. نَزَلْنَا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ} [فصلت: ٣٠ - ٣٢]"^(١٤).

الخامس: سلم الله ذنوبهم وغفرها فتجاوز عن سيئاتهم وتقبل حسناتهم. قاله مقاتل^(١٥).

السادس: أن المعنى: أنك ترى فيهم ما تحب من السلامة وقد علمت ما أُعِدَّ لَهُمْ مِنَ الْجَزَاءِ، قاله الزجاج^(١٦).

السابع: لك من أصحاب اليمين سلام، أي: يسلمون عليك. حكاه النحاس^(١٧).

قال النحاس: "وهذا قول نظري لأن المخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم فلا يخرج إلى غيره إلا بدليل قاطع"^(١٨).

-
- (١) تفسير الطبري: ١٦٢/٢٣.
- (٢) إعراب القرآن: ٢٣١/٤.
- (٣) تفسير ابن كثير: ٥٥٠/٧.
- (٤) الدر المنثور: ٤٤/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
- (٥) التفسير الميسر: ٥٣٧.
- (٦) انظر: زاد المسير: ٢٣١/٤.
- (٧) غريب القرآن: ٧.
- (٨) انظر: تفسير الطبري: ١٦٢/٢٣.
- (٩) أي: سلموا من عذاب الله جل وعز. [كذا فسرته النحاس في "إعراب القرآن": ٢٣١/٤].
- (١٠) انظر: تفسير الطبري: ١٦٢/٢٣.
- (١١) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٥٠/٧.
- (١٢) انظر: زاد المسير: ٢٣١/٤.
- (١٣) انظر: الجزء فيه تفسير القرآن ليحيى بن يمان ونافع بن أبي نعيم القارئ ومسلم بن خالد الزنجي وعطاء الخراساني برواية أبي جعفر الترمذي (٣٢٢): ص ١١١.
- (١٤) تفسير ابن كثير: ٥٥١/٧.
- (١٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٢٥/٤-٢٢٦.
- (١٦) انظر: معاني القرآن: ١١٨/٥.
- (١٧) انظر: إعراب القرآن: ٢٣١/٤.
- (١٨) إعراب القرآن: ٢٣١/٤.

الثامن : أن المعنى: فذلك مسلم لك أنك من أصحاب اليمين. قاله الفراء^(١)، والبخاري^(٢).
وقال الفراء: "وقد يكون كالدعاء له، كقولك: فسقيا لك من الرجال، وإن رفعت
«السلام» فهو دعاء"^(٣).

القرآن

{وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢) فَنَزَّلْنَا مِنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَتَصْلِيَةً جَحِيمٍ (٩٤)}
[الواقعة : ٩٢-٩٤]

التفسير:

وأما إن كان الميت من المكذبين بالبعث، الضالين عن الهدى، فله ضيافة من شراب جهنم
المغلي المتناهي الحرارة، والنار يحرق بها، ويقاسي عذابها الشديد.

قوله تعالى: {وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ} [الواقعة : ٩٢]، أي: "وأما إن كان
الميت من المكذبين بالبعث، الضالين عن الهدى"^(٤).

قال الطبري: "يقول تعالى: وأما إن كان الميت من المكذبين بآيات الله، الجائرين عن
سبيله"^(٥).

قال ابن كثير: "أي : وأما إن كان المحتضر من المكذبين بالحق، الضالين عن
الهدى"^(٦).

عن ابن عباس: " {وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ} : وهم المشركون"^(٧).

قوله تعالى: {فَنَزَّلْنَا مِنْ حَمِيمٍ} [الواقعة : ٩٣]، أي: "فله ضيافة من شراب جهنم المغلي
المتناهي الحرارة"^(٨).

قال الطبري: يقول: "فله نزل من حميم قد أعلي حتى انتهى حره، فهو شرابه"^(٩).
قال ابن كثير: "أي : ضيافة {مِنْ حَمِيمٍ} وهو المذاب الذي يصهر به ما في بطونهم
والجلود"^(١٠).

قال الزجاج: "معناه: فغذاء من حميم"^(١١).

قال ابن عباس: "لا يخرج الكافر من دار الدنيا حتى يشرب كأسا من حميم"^(١٢).
قوله تعالى: {وَتَصْلِيَةً جَحِيمٍ} [الواقعة : ٩٤]، أي: "والنار يحرق بها، ويقاسي عذابها
الشديد"^(١٣).

قال الطبري: "يقول: وحريق النار يحرق بها؛ والتصلية: التفعلة من صلاة الله النار
فهو يصلية تصلية، وذلك إذا أحرقه بها"^(١٤).

قال ابن كثير: "أي : وتقرير له في النار التي تغمره من جميع جهاته"^(١٥).

(١) انظر: معاني القرآن: ١٣١/٣.

(٢) انظر: صحيح البخاري (٦٢٥/٨) "فتح".

(٣) معاني القرآن: ١٣١/٣.

(٤) التفسير الميسر: ٥٣٧.

(٥) تفسير الطبري: ١٦٣/٢٣.

(٦) تفسير ابن كثير: ٥٥١/٧.

(٧) الدر المنثور: ٤٤/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٨) التفسير الميسر: ٥٣٧.

(٩) تفسير الطبري: ١٦٣/٢٣.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٥٥١/٧.

(١١) معاني القرآن: ١١٨/٥.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٨١٢): ص ٣٣٣٥/١٠.

(١٣) التفسير الميسر: ٥٣٧.

(١٤) تفسير الطبري: ١٦٣/٢٣.

(١٥) تفسير ابن كثير: ٥٥١/٧.

قال الزجاج: "أي: إقامة في جحيم، فأعلم الله - عزَّ وجلَّ - أن الجحيم ههنا للمكذبين الضالين"^(١).

عن ابن عباس: "وَتُصَلِّيَةُ جَحِيمٍ، يقول: في الآخرة"^(٢).
روي عن الضحاك - في الآية -، قال: "من مات وهو يشرب الخمر، شج في وجهه من جمر جهنم"^(٣).

عن سلمان الفارسي، قال: "قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُبَسَّرُ بِهِ الْمُؤْمِنُ عِنْدَ الْوَفَاةِ بَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ، وَإِنَّ أَوَّلَ مَا يُبَسَّرُ بِهِ الْمُؤْمِنُ فِي قَبْرِهِ أَنْ يُقَالَ: أَبَشِّرْ بِرِضَا اللَّهِ وَالْجَنَّةِ، قَدِمْتَ خَيْرَ مَقْدَمٍ، قَدْ غَفَرَ اللَّهُ لِمَنْ شِيعَكَ إِلَى قَبْرِكَ، وَصَدَّقَ مَنْ شَهِدَ لَكَ، وَاسْتَجَابَ لِمَنْ اسْتَعْفَرَ لَكَ»"^(٤).

عن أبي هريرة، عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، قال: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حُضِرَ أَتَتْهُ الْمَلَائِكَةُ بِحَرِيرَةٍ فِيهَا مِسْكٌ وَضِبَانٌ رِيحَانٌ، فَتُسَلُّ رُوحَهُ كَمَا تُسَلُّ الشَّعْرَةَ مِنَ الْعَجِينِ، وَيُقَالُ: أَتَيْتِهَا النَّفْسَ الطَّيِّبَةَ، أَخْرَجِي رَاضِيَةً مَرْضِيًّا عِنْدَكَ إِلَى رُوحِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ. فَإِذَا خَرَجَتْ رُوحَهُ وَضِعَتْ عَلَى ذَلِكَ الْمِسْكِ وَالرِّيْحَانِ، وَطُوبِتْ عَلَيْهَا الْحَرِيرَةُ، وَدُهِبَ بِهِ إِلَى عَلِيِّينَ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا حُضِرَ أَتَتْهُ الْمَلَائِكَةُ بِمَسْحٍ فِيهِ جَمْرٌ، فَتَنْزَعُ رُوحَهُ انْتِزَاعًا شَدِيدًا، وَيُقَالُ: أَتَيْتِهَا النَّفْسَ الْخَبِيثَةَ، أَخْرَجِي سَاخِطَةً مَسْخُوطًا عَلَيْكَ إِلَى هَوَانَ اللَّهِ وَعَذَابِهِ، فَإِذَا خَرَجَتْ رُوحَهُ وَضِعَتْ عَلَى تِلْكَ الْجَمْرَةِ، فَإِنَّ لَهَا نَشِيئًا، وَيُطَوَّى عَلَيْهَا الْمَسْحُ، وَيُذْهَبُ بِهِ إِلَى سَجِّينَ»^(٥).

عن أبي قتادة الأنصاري، قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِذْ مَرَّتْ جَنَازَةٌ، فَقَالَ: «مُسْتَرِيحٌ، وَمُسْتَرَاخٌ مِنْهُ». فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْمُسْتَرِيحُ؟ وَمَا الْمُسْتَرَاخُ مِنْهُ؟ قَالَ: «الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ، وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنَ الْعِبَادَةِ وَالْبِلَادِ وَالشَّجَرِ وَالذُّوَابِ»^(٦).

عن عبادة بن الصامت، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ». فَقَالَتْ عَائِشَةُ: إِنَّا لَنُكْرَهُ الْمَوْتَ! فَقَالَ: «لَيْسَ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، وَأَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ، وَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا حُضِرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَعَقُوبَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، وَكَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ، وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ»^(٧).

عن عبد الله بن عباس، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «مَا مِنْ مَيِّتٍ يَمُوتُ إِلَّا وَهُوَ يَعْرِفُ غَاسِلَهُ، وَيُنَاشِدُ حَامِلَهُ - إِنْ كَانَ بُشِّرَ بِرُوحِ وَرِيحَانِ وَجَنَّةِ نَعِيمٍ - أَنْ يُعَجِّلَهُ، وَإِنْ كَانَ بُشِّرَ بِنُزْلِ مِنْ حَمِيمٍ وَتُصَلِّيَةِ جَحِيمٍ أَنْ يَحْبِسَهُ»^(٨).

(١) معاني القرآن: ١١٨/٥.

(٢) الدر المنثور: ٤٤/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٨١٣) ص: ٣٣٣٥/١٠.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة ٢٧٦/٧ (٣٦٠٤٥)، وابن شاهين في الترغيب في فضائل الأعمال ص ١٢١ (٤١٠) كلاهما بنحوه. وعزاه السيوطي إلى أبي القاسم بن منده في كتاب الأحوال والإيمان بالسؤال.

قال الألباني في الضعيفة ٩١٧/١٤ (٦٨٩٣): «موضوع».

(٥) أخرجه النسائي ٨/٤ (١٨٣٣) واللفظ له، والبخاري ٢٩/١٧ (٩٥٤١)، وابن حبان ٢٨٤/٧ (٣٠١٤)، والطبراني في الأوسط ٢٢٥/١ (٧٤٢)، والحاكم ٥٠٤/١ (١٣٠٢، ١٣٠٣).

قال الطبراني: «لم يرو هذا الحديث عن القاسم بن الفضل إلا سليمان بن النعمان». وقال الحاكم: «هذه الأسانيد كلها صحيحة».

(٦) أخرجه البخاري ١٠٧/٨ (٦٥١٢، ٦٥١٣)، ومسلم ٦٥٦/٢ (٩٥٠).

(٧) أخرجه البخاري ١٠٦/٨ (٦٥٠٧) واللفظ له، ومسلم ٢٠٦٥/٤ (٢٦٨٣).

(٨) أخرجه ابن البراء في كتاب الروضة - كما في أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور لابن رجب ص ٤٥ - وأورده الديلمي في الفردوس ٣١/٤ - ٣٢ (٦٠٩٨). وعزاه السيوطي إلى ابن مردويه.

قال ابن رجب: «خرَّجَ ابن البراء في كتاب الروضة من حديث عمرو بن شمر - وهو ضعيف جدًا - عن جابر الجعفي، عن تميم بن حذلم، عن ابن عباس ...». وقال السفييري في شرح البخاري ٧٥/٢: «أخرجه أبو

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إن الميت تحضره الملائكة؛ فإذا كان الرجل الصالح قالوا: اخرجي، أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، اخرجي حميدة، وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان. فيقال لها ذلك حتى تخرج، فيصعد بها إلى السماء، فيستفتح لها؛ فيقال: من هذا؟ فيقولون: فلان. فيقال: مرحبًا بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، ادخلي حميدة، وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان. فيقال لها ذلك حتى تنتهي إلى السماء التي فيها الله -تبارك وتعالى-، وإذا كان الرجل السوء قالوا: اخرجي، أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، اخرجي ذميمة، وأبشري بحميم وغساق، وآخر من شكله أزواج، فيقولون ذلك له حتى تخرج، ثم يُعرج بها إلى السماء، فيستفتح لها، فيقال: من هذا؟ فيقولون: فلان. فيقال: لا مرحبًا بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، ارجعي ذميمة، فإنه لن يفتح لك. فترمى من السماء إلى الأرض، ثم تصير في القبر»^(١).

عن تميم الداري، عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، قال: «يقول الله لملك الموت: انطلق إلى وليي، فانتني به، فإني قد جربته بالسراء والضراء فوجدته حيث أحب، فانتني به لأريحه من هموم الدنيا وغمومها. فينطلق إليه ملك الموت، ومعه خمسمائة من الملائكة، معهم أكفان وحنوط من حنوط الجنة، ومعهم ضبائر الريحان، أصل الريحانة واحد، وفي رأسها عشرون لونًا، لكل لون منها ریح سوى ریح صاحبه، ومعهم الحرير الأبيض، فيه المسك الأذفر، فيجلس ملك الموت عند رأسه، وتحتوشه الملائكة، ويضع كل ملك منهم يده على عضو من أعضائه، وييسط ذلك الحرير الأبيض والمسك الأذفر تحت ذقنه، ويفتح له باب إلى الجنة، فإن نفسه لتعلل عند ذلك بطرف الجنة؛ مرة بأزواجها، ومرة بكسوتها، ومرة بثمارها، كما يعلل الصبي أهله إذا بكى، وإن أزواجه ليبتهشن عند ذلك ابتهاشًا، وتنزو الروح نروًا، ويقول ملك الموت: اخرجي، أيتها الروح الطيبة، إلى سدر مخضود، وطلح ممدود، وظل ممدود، وماء مسكوب. وملك الموت أشد تعلقًا به من الوالدة بولدها، يعرف أن ذلك الروح حبيب إلى ربه، كريم على الله، فهو يلتمس بلطفه تلك الروح رضا الله عنه، فئسل روحه كما ئسل الشعرة من العجين، وإن روحه لتخرج والملائكة حوله يقولون: سلام عليكم، ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون. وذلك قوله: {الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [النحل: ٣٢]، قال: {فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ} قال: روح من جهد الموت، وريحان يتلقى به عند خروج نفسه، وجنة نعيم أمامه، فإذا قبض ملك الموت روحه يقول الروح للجسد: جزاك الله خيرًا، لقد كنت بي سريعًا إلى طاعة الله، بطيبًا عن معصيته، فهنيئًا لك اليوم، فقد نجوت وأنجيت. ويقول الجسد للروح مثل ذلك، وتبكي عليه بقاع الأرض التي كان يطيع الله عليها، وكل باب من السماء كان يصعد منه عمله وينزل منه رزقه أربعين ليلة، فإذا قبضت الملائكة روحه أقامت الخمسمائة ملك عند جسده، لا يقلبه بنو آدم لشق إلا قلبته الملائكة قبلهم وعلته بأكفان قبل أكفانهم، وحنوط قبل حنوطهم، ويقوم من باب بيته إلى باب قبره صقًا من الملائكة، يستقبلونه بالاستغفار، ويصيح إبليس عند ذلك صيحة يتصدع منها بعض عظام جسده، ويقول لجنوده: الويل لكم! كيف خلص هذا العبد منكم؟ فيقولون: إن هذا كان معصومًا. فإذا صعد ملك الموت بروحه إلى السماء يستقبله جبريل في سبعين ألفًا من الملائكة، كلهم يأتيه ببشارة من ربه، فإذا انتهى ملك الموت إلى العرش حرت الروح ساجدةً لربها، فيقول الله لملك الموت: انطلق بروح عبدي، فضعه في سدر مخضود، وطلح منضود، وظل ممدود، وماء مسكوب. فإذا وضع في قبره جاءت الصلاة فكانت عن يمينه، وجاء الصيام فكان عن يساره، وجاء القرآن والذكر فكانا عند رأسه، وجاء مشيه إلى الصلاة فكان عند رجله، وجاء

الحسن بن البراغي عن ابن عباس بسند ضعيف».

(١) أخرجه أحمد ٣٧٧ / ١٤ - ٣٧٨ (٨٧٦٩)، ٤٢ / ١٤ - ١٥ (٢٥٠٩٠)، وابن ماجه ٣٢٩ / ٥ - ٣٣٠ (٤٢٦٢)، وبيحيى بن سلام - كما في تفسير ابن أبي زمنين ٤ / ٣٤٥ - ٣٤٦ -، وابن جرير ١٠ / ١٨٥ - ١٨٦. قال ابن كثير في تفسيره ٣ / ٢٦٨ عن رواية أحمد: «هذا حديث غريب». وقال البوصيري في مصباح الزجاجة ٤ / ٢٥٠ (٤٢٥١): «هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات».

الصبر فكان ناحية القبر، ويبعث الله عنقاً من العذاب فيأتيه عن يمينه، فتقول الصلاة: وراءك، والله، ما زال دائباً عمُرهُ كله، وإنما استراح الآن حين وُضع في قبره. فيأتيه عن يساره، فيقول الصيام مثل ذلك، فيأتيه من قِبَل رأسه، فيقول له مثل ذلك، فلا يأتيه العذابُ من ناحيةٍ فيلتمس هل يجد لها مساعاً إلا وجد وليَّ الله قد أحرزته الطاعة، فيخرج عنه العذابُ عندما يرى، ويقول الصبرُ لسائر الأعمال: أما إني لم يمنعني أن أباشره بنفسي إلا أنني نظرتُ ما عندكم، فلو عجزتم كنتُ أنا صاحبه، فأما إذا أجزأتم عنه فأنا دُخرٌ له عند الصراط، ودُخرٌ له عند الميزان. ويبعث الله ملكين أبصارهما كالبرق الخاطف، وأصواتهما كالرعد القاصف، وأنيابهما كالصياصي، وأنفاسهما كاللهب، يطآن في أشعارهما، بين منكبي كلِّ واحد منهما مسيرة كذا وكذا، قد نُزعتُ منهما الرأفة والرحمة إلا بالمؤمنين، يقال لهما: مُنكر ونكير، وفي يد كلِّ واحد منهما مطرقة لو اجتمع عليها الثقلان لم يُقلوها، فيقولان له: اجلس. فيستوي جالساً في قبره، فتسقط أكفانه في حَقْوِيهِ، فيقولان له: مَنْ رَبُّكَ؟ وما دينك؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ فيقول: ربي الله وحده لا شريك له، والإسلام ديني، ومحمد نبيي، وهو خاتم النبيين. فيقولان له: صدقت. فيدفعان القبر، فيوسّعانه من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن يساره، ومن قِبَل رأسه ومن قِبَل رجليه، ثم يقولان له: انظر فوقك. فينظر، فإذا هو مفتوح إلى الجنة، فيقولان له: هذا منزلك، يا ولي الله، لِمَا أطعتَ الله. فالذي نفس محمد بيده، إنَّه لتُصِلُ إلى قلبه فرحة لا تتردُّ أبداً، فيقال له: انظر تحتك. فينظر تحته، فإذا هو مفتوح إلى النار، فيقولان: يا ولي الله، نجوتَ من هذا، فالذي نفسي بيده، إنَّه لتُصِلُ إلى قلبه عند ذلك فرحة لا تتردُّ أبداً، ويُفتح له سبعة وسبعون باباً إلى الجنة، يأتيه ريحها وبردها حتى يبعثه الله تعالى من قبره. وأمَّا الكافر، فيقول الله لملك الموت: انطلق إلى عدوي، فانتني به، فإني قد بسطتُ له رزقي، وسرَّبلتُه نعمتي، فأبى إلا معصيتي، فانتني به لأنتقم منه. فينطلق إليه ملك الموت في أكره صورة رآها أحدٌ من الناس قط، له اثنتا عشرة عيناً، ومعه سفودٌ من النار، كثير الشوك، ومعه خمسمائة من الملائكة، معهم نحاس وجمرٌ من جمر جهنم، ومعهم سياط من نار تاجج، فيضربه ملك الموت بذلك السفود ضربةً يغيب أصلُ كلِّ شوكة من ذلك السفود في أصل كلِّ شعرة وعرقٍ من عروقه، ثم يلويه لياً شديداً، فينزِع رُوحه من أظفار قدميه، فيلقِيها في عَقْبِيهِ، فيسُكِر عدوُّ الله عند ذلك سكرةً، وتضرب الملائكةُ وجهه ودُبْرَهُ بتلك السياط، ثم يجبذه جبذَةً، فينزِع رُوحه من عَقْبِيهِ، فيلقِيها في رُكْبَتِيهِ، فيسُكِر عدوُّ الله عند ذلك سكرةً، وتضرب الملائكةُ وجهه ودُبْرَهُ بتلك السياط، ثم كذلك إلى حَقْوِيهِ، ثم كذلك إلى صدره، ثم كذلك إلى حَلْقِهِ، ثم تبسط الملائكةُ ذلك النحاس وجمر جهنم تحت ذقنه، ثم يقول ملك الموت: اخرجي، أيتها النفس اللعينة الملعونة، إلى سَمومٍ وحميم، وظلٍّ من يَحْموم، لا بارد ولا كريم. فإذا قبض ملك الموت رُوحه قالت الرُوحُ للجسد: جزاك الله عني شراً، فقد كنتُ بي سريعاً إلى معصية الله، بطيئاً بي عن طاعة الله، فقد هلكت وأهلكت. ويقول الجسد للروح مثل ذلك، وتلعنه بقاع الأرض التي كان يعصي الله عليها، وتنتقل جنود إبليس إليه يبشرونه بأنهم قد أوردوا عبداً من بني آدم النار. فإذا وُضع في قبره ضُيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، فتدخل اليمنى في اليسرى، واليسرى في اليمنى، ويبعث الله إليه حياةً دُهماً، تأخذ بأرئيته وإبهام قدميه، فنقرضه حتى تلتقي في وسطه، ويبعث الله إليه الملكين، فيقولان له: مَنْ رَبُّكَ؟ وما دينك؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ فيقول: لا أدري. فيقال له: لا دريت، ولا تليت. فيضربانه ضربةً يتطاير الشرار في قبره، ثم يعود، فيقولان له: انظر فوقك. فينظر، فإذا باب مفتوح إلى الجنة، فيقولان له: عدوُّ الله، لو كنتُ أطعتَ الله كان هذا منزلك. فالذي نفسي بيده، إنَّه ليصل إلى قلبه عند ذلك حسرةً لا تتردُّ أبداً، ويُفتح له باب إلى النار، فيقال: عدوُّ الله، هذا منزلُك لِمَا عصيتَ الله. ويُفتح له سبعة وسبعون باباً إلى النار، يأتيه حرُّها وسمومها حتى يبعثه من قبره يوم القيامة إلى النار»^(١).

(١) أخرجه أبو يعلى -كما في تفسير ابن كثير ٤/ ٥٠٤ - ٥٠٧ - بأطول من هذا. قال ابن كثير: «هذا حديث غريب جداً، وسياق عجيب، ويزيد الرقاشي -راويهِ عن أنس- له غرائب ومنكرات، وهو ضعيف الرواية عند الأئمة». وقال ابن حجر في المطالب العلية ١٨/ ٥٤٠ - ٥٤٥ (٤٥٥٨): «هذا حديث عجيب السياق، وهو شاهد لكثير مما ثبت في حديث البراء؟ الطويل المشهور، ولكن هذا الإسناد غريب،

القرآن

{إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ (٩٥) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٩٦)} [الواقعة : ٩٥-٩٦]

التفسير:

إن هذا الذي قصصناه عليك -أيها الرسول- لهو حق اليقين الذي لا مرية فيه، فسبِّح باسم ربك العظيم، ونزَّهه عما يقول الظالمون والجاحدون، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

قوله تعالى: {إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ} [الواقعة : ٩٥]، أي: "إن هذا الذي قصصناه عليك -أيها الرسول- لهو حق اليقين الذي لا مرية فيه"^(١).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: إن هذا الذي أخبرتكم به أيها الناس من الخبر عن المقرَّبين وأصحاب اليمين، وعن المكذَّبين الضالِّين، وما إليه صائرة أمورهم: لهو الحق من الخبر اليقين لا شك فيه"^(٢).

قال ابن كثير: "أي: إن هذا الخبر لهو حق اليقين الذي لا مرية فيه، ولا محيد لأحد عنه"^(٣).

عن ابن عباس، قوله: "إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ"، قال: ما قصصنا عليك في هذه السورة"^(٤).

قال ابن عباس: "يقول: هذا القول الذي قصصنا عليك لهو حق اليقين. يقول: القرآن الصادق"^(٥).

عن مجاهد: "إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ"، قال: لهو الخبر اليقين"^(٦).

وقال مجاهد: "الجزاء المبين"^(٧).

عن قتادة: {وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكذِّبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢) فَنُزِّلْ مِنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَتَصْلِيَةً جَحِيمٍ (٩٤) إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ (٩٥)} [الواقعة : ٩٢ - ٩٥]، حتى ختم، إن الله تعالى ليس تاركاً أحداً من خلقه حتى يوقفه على اليقين من هذا القرآن. فأما المؤمن فأيقن في الدنيا، فنفعه ذلك يوم القيامة. وأما الكافر، فأيقن يوم القيامة حين لا ينفعه"^(٨).

قوله تعالى: {فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ} [الواقعة : ٩٦]، أي: "فسبِّح باسم ربك العظيم، ونزَّهه عما يقول الظالمون والجاحدون، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً"^(٩).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: فسبِّح بتسمية ربك العظيم بأسمائه الحسنى"^(١٠).

عن ابن عباس، قوله: {فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ}، قال: فصل لربك"^(١١).

قال ابن عطية: "يحتمل أن يكون الاسم هنا واحداً مقصوداً، ويكون «العظيم» صفة له، فكأنه أمره أن يسبحه باسمه الأعظم وإن كان لم ينص عليه، ويؤيد هذا ويشير إليه إيصال سورة

لا نعرف أحداً روى عن أنس عن تميم الداري - رضي الله عنهما - إلا من هذا الوجه، ويزيد الرقاشي سيئ الحفظ جداً، كثير المناكير، كان لا يضبط الإسناد؛ فيلزم بأنس؟ كل شيء يسمعه من غيره، ودونه أيضاً من هو مثله، أو أشد ضعفاً».

(١) التفسير الميسر: ٥٣٧.

(٢) تفسير الطبري: ١٦٣/٢٣.

(٣) تفسير ابن كثير: ٥٥١/٧.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٨١٤): ص ٣٣٥/١٠، وانظر: الدر المنثور: ٤٠/٨.

(٥) الدر المنثور: ٤٤/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٦) أخرجه الطبري: ١٦٤/٢٣، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٧) تفسير مجاهد ص ٦٤٦.

(٨) أخرجه الطبري: ١٦٤/٢٣.

(٩) التفسير الميسر: ٥٣٧.

(١٠) تفسير الطبري: ١٦٤/٢٣.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٨١٥): ص ٣٣٥/١٠.

الحديد أولها ففيه التسبيح وجملة من أسماء الله تعالى، وقد قال ابن عباس: «اسم الله الأعظم موجود في ست آيات من أول سورة الحديد»، فتأمل هذا فإنه من دقيق النظر، والله تعالى في كتابه العزيز غوامض لا تكاد الأذهان تدركها»^(١).

عن ميمون بن مهران: {سبحان الله}: اسم يعظم الله به ويحاشى به من سوء^(٢).
عن الحسن قال: " {سبحان الله}: اسم لا يستطيع الناس أن ينتحلوه"^(٣).
عن عقبة بن عامر الجهني قال: "لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم: {سَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ} قال: «اجعلوها في ركوعكم». ولما نزلت: {سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} [الأعلى: ١]، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اجعلوها في سجودكم»"^(٤).
عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قال: سبحان الله العظيم وبحمده، عُرِسَتْ له نخلة في الجنة"^(٥).

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم"^(٦).
فوائد الآيات: [٨٣-٩٦]:

- ١- تقرير عقيدة البعث والجزاء.
 - ٢- بيان عجز كل الناس أمام قدرة الله تعالى.
 - ٣- أن في عجز الإنسان على رد روح المحتضر ليعيش بعد ذلك ولو ساعة دليلاً على أنه لا إله إلا الله.
 - ٤- بيان فضل السابقين عن أصحاب اليمين.
 - ٥- القرآن الكريم أحكامه كلها عدل وأخباره كلها صدق.
 - ٦- مشروعية قول العبد سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وهما من الكلم الطيب وكذا سبحان ربي العظيم حال الركوع.
- «آخر تفسير سورة (الواقعة)، والحمد لله وحده»

(١) المحرر الوجيز: ٢٥٥/٥.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٤٤): ص ٨١/١.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٤٥): ص ٨١/١.
(٤) المسند (١٥٥/٤) وسنن أبي داود برقم (٢٨٦٩) وسنن ابن ماجه برقم (٨٨٧).
(٥) سنن الترمذي برقم (٣٤٦٥) وسنن النسائي الكبرى برقم (١٠٦٦٣).
(٦) صحيح البخاري برقم (٧٥٦٣) وصحيح مسلم برقم (٢٦٩٤) وسنن الترمذي برقم (٣٤٦٧) وسنن النسائي الكبرى برقم (١٠٦٦٦) وسنن ابن ماجه برقم (٣٨٠٦).

بسم الله الرحمن الرحيم تفسير سورة «الحديد»

«سورة الحديد»: هي السورة السابعة والخمسون بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة الخامسة والتسعون وفق ترتيب نزول سور القرآن الكريم، جرياً على قول الجمهور: إنها مدنية، قالوا: نزلت بعد سورة الزلزلة، وقبل سورة القتال «محمد». آياتها تسع وعشرون في عد الكوفة والبصرة، وثمان في عد الباقيين. وكلماتها خمسمائة وأربع وأربعون. وحروفها ألفان وأربعمائة وست وسبعون. المختلف فيها آيتان: {مَنْ قَبْلَهُ الْعَذَابُ} [الحديد : ١٣]، و{الْإِنْجِيلَ} [الحديد : ٢٧] مجموع فواصل آياتها: «من يز رد»، على «الزء» {إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} [الحديد : ٢٥]، وعلى «الذال»: {هُوَ الْعَنِيُّ الْحَمِيدُ} [الحديد : ٢٤] (١).

■ أسماء السورة:

■ اسمها التوقيفي: «سورة الحديد»:

هذه السورة تسمى من عهد الصحابة «سورة الحديد» فقد وقع في حديث إسلام عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: أن عمر دخل على أخته قبل أن يُسلم، فإذا صحيفة فيها أول سورة الحديد، فقرأه حتى بلغ: {آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ} [الحديد : ٧]، فأسلم (٢)، وكذلك سميت في المصاحف وفي كتب السنة.

(١) انظر: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ٤٥٣ / ١.

(٢) انظر: فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (٣٧٦): ص ٢٨٥/١، ومسنند الزباز (٢٧٩): ص ٤٠٠/١.

ونص الحديث:

عن أسامة بن زيد، عن أبيه، عن جده قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: " أتحبون أن أعلمكم، أول إسلامي؟ قال: قلنا: نعم، قال: كنت أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما أنا في يوم شديد الحر في بعض طرق مكة إذ رأني رجل من قريش فقال: أين تذهب يا ابن الخطاب؟ قلت: أريد هذا الرجل، فقال: يا ابن الخطاب قد دخل عليك هذا الأمر في منزلك وأنت تقول هكذا، فقلت: وما ذلك؟ فقال: إن أختك قد ذهبت إليه، قال: فرجعت مغتضبا حتى قرعت عليها الباب، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أسلم [ص: ٤٠١] بعض من لا شيء له ضم الرجل والرجلين إلى الرجل ينفق عليه قال: وكان ضم رجلين من أصحابه إلى زوج أختي، قال: فقرعت الباب، فقيل لي: من هذا؟ قلت: أنا عمر بن الخطاب، وقد كانوا يقرءون كتابا في أيديهم، فلما سمعوا صوتي قاموا حتى اختبئوا في مكان وتركوا الكتاب، فلما فتحت لي أختي الباب قلت: أيا عدوة نفسها أصبوت؟ قال: وأرفع شيئا فأضرب به على رأسها، فبكت المرأة وقالت لي: يا ابن الخطاب، اصنع ما كنت صانعا فقد أسلمت، فذهبت فجلست على السرير فإذا بصحيفة وسط الباب، فقلت: ما هذه الصحيفة ها هنا؟ فقالت لي: دعنا عنك يا ابن الخطاب فإنك لا تغتسل من الجنابة، ولا تتطهر، وهذا لا يمسه إلا المطهرون، فما زلت بها حتى أعطيتها فإذا فيها: {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} [الفاتحة : ١]، فلما قرأت: {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} [الفاتحة : ٣] - تذكرت من أين اشتق، ثم رجعت إلى نفسي فقرأت في الصحيفة: {سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [الحديد : ١]، فكلما مررت باسم من أسماء الله ذكرت الله، فألقيت الصحيفة من يدي، قال: ثم أرجع إلى نفسي فأقرأ فيها: {سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [الحديد : ١]، حتى بلغ: {آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ} [الحديد : ٧]، قال: قلت: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله، فخرج القوم مبادرين فكبروا استبشارا بذلك، ثم قالوا لي: أبشر يا ابن الخطاب فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا يوم الاثنين فقال: " اللهم أعز الدين بأحب هذين الرجلين إليك، إما عمر بن [ص: ٤٠٢] الخطاب وإما أبو جهل بن هشام، وأنا أرجو أن تكون دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لك، فقلت: دلوني على رسول الله صلى الله عليه وسلم أين هو؟ فلما عرفوا الصدق مني دلوني عليه في المنزل الذي هو فيه، فجنبت حتى قرعت الباب فقال: من هذا؟ فقلت: عمر بن الخطاب - وقد علموا شدتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعلموا بإسلامي - فما اجتراً أحد منهم أن يفتح لي حتى قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «افتحوا له فإن الله به خيرا يهده» قال: ففتح لي الباب، فأخذ رجلان بعضدي حتى دنوت من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أرسلوه» فأرسلوني، فجلست بين يديه فأخذ بمجامع قميصي ثم قال: «أسلم يا ابن الخطاب، اللهم اهده» فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، قال: فكبر المسلمون تكبيرة سمعت في طرق مكة، قال: وقد كانوا سبعين قبل ذلك وكان الرجل إذا أسلم فعلم به الناس يضربونه ويضربهم، قال: فجنبت إلى رجل فقرعت عليه الباب فقال: من هذا؟ قلت: عمر بن الخطاب، فخرج إلي فقلت له: أعلمت أنني قد صبوت؟ قال: أو فعلت؟ قلت: نعم، فقال: لا تفعل، قال: ودخل البيت فأجاف الباب دوني، قال: فذهبت إلى رجل آخر من قريش فناديته فخرج فقلت له: أعلمت أنني قد صبوت،

وسميت بسورة «الحديد» لوقوع لفظ «الحديد» فيها في قوله تعالى: {وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ} [الحديد : ٢٥].

قال ابن عاشور: "وهذا اللفظ وإن ذكر في سورة الكهف في قوله تعالى: {أَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ} [الكهف : ٩٦]، وهي سابقة في النزول على سورة الحديد على المختار، فلم تسم به؛ لأنها سميت باسم الكهف؛ للاعتناء بقصة أهل الكهف؛ ولأن الحديد الذي دُكرَ هنا مراد به حديد السلاح من سيوف ودروع وخوذ، تنويهاً به، إذ هو أثر من آثار حكمة الله في خلق مادته، وإلهام الناس صنعه؛ لتحصل به منافع لتأييد الدين ودفع المعتدين، كما قال تعالى: {فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرَسُولُهُ بِالْغَيْبِ} [الحديد : ٢٥]"^(١).

■ مكية السورة ومدنيتها:

في مكان نزول السورة، قولان:

أحدها: أنها مدنية. قاله ابن عباس^(٢)، وابن الزبير^(٣)، والحسن^(٤)، ومجاهد^(٥)، وعكرمة^(٦)، وجابر بن زيد^(٧)، وقتادة^(٨)، ومقاتل^(٩).
الثاني: أنها مكية. قاله ابن السائب الكلبى^(١٠).

وفي كون هذه السورة مدنية أو مكية اختلاف قوي لم يختلف مثله في غيرها، فقال الجمهور: مدنية^(١١). وحكى ابن عطية عن النقاش: "أن ذلك إجماع المفسرين"^(١٢).

وقد قيل: إن صدرها مكى، لما روي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: " ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ} [الحديد : ١٦] إلا أربع سنين"^(١٣).

وعبد الله بن مسعود من أول الناس إسلاماً، فتكون هذه الآية مكية^(١٤).

فقال: أو فعلت؟ قلت: نعم، قال: لا تفعل ودخل البيت وأجاف الباب دوني، فقلت: ما هذا بشيء، قال: فإذا أنا لا أضرب ولا يقال لي شيء، فقال الرجل أتحب أن يعلم إسلامك؟ قال: قلت: نعم، قال: إذا جلس الناس في الحجر فأت فلانا فقل له فيما بينك وبينه: أشعرت أني قد صبوت فإنه قل ما يكتم الشيء، فجنبت إليه وقد اجتمع الناس في الحجر فقلت له فيما بيني وبينه: أشعرت أني قد صبوت؟ قال: فقال: أفعلت؟ قال: قلت: نعم، قال: فنأدى بأعلى صوته: ألا إن عمر قد صبا، قال: فثار إلي أولئك الناس فما زالوا يضربوني وأضربهم حتى أتى خالي فقيل له: إن عمر قد صبا، فقام على الحجر فنأدى بأعلى صوته: ألا إني قد أجرت ابن أخي فلا يمسه أحد، قال: فانكشفا عني فكنت لا أشاء أن أرى أحداً من المسلمين يضرب إلا رأيته فقلت: ما هذا بشيء، إن الناس يضربون وأنا لا أضرب، ولا يقال لي شيء فلما جلس الناس في الحجر جئت إلى خالي فقلت: اسمع، جوارك عليك رد، قال: لا تفعل، قال: فأبيت فما زلت أضرب وأضرب حتى أظهر الله الإسلام".

(١) التحرير والتنوير: ٣٥٣/٢٧.

(٢) انظر: الدر المنثور: ٤٥/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي، وزاد المسير: ٢٣٢/٤. حكاه بدون إسناد.

(٣) انظر: الدر المنثور: ٤٥/٨، وعزاه إلى ابن مردويه والبيهقي.

(٤) انظر: زاد المسير: ٢٣٢/٤. حكاه بدون إسناد.

(٥) انظر: زاد المسير: ٢٣٢/٤. حكاه بدون إسناد.

(٦) انظر: زاد المسير: ٢٣٢/٤. حكاه بدون إسناد.

(٧) انظر: زاد المسير: ٢٣٢/٤. حكاه بدون إسناد.

(٨) انظر: زاد المسير: ٢٣٢/٤. حكاه بدون إسناد.

(٩) انظر: زاد المسير: ٢٣٢/٤.

(١٠) انظر: النكت والعيون: ٤٦٨/٥، وزاد المسير: ٢٣٢/٤.

(١١) انظر: التحرير والتنوير: ٣٥٤/٢٧. وحكاه عن الجمهور.

(١٢) المحرر الوجيز: ٢٥٦/٥.

(١٣) صحيح مسلم (٣٠٢٧): ص ٢٣١٩/٤، والسنن الكبرى للنسائي (١١٥٠٤): ص ٢٨٩/١٠.

(١٤) انظر: التحرير والتنوير: ٣٥٤/٢٧.

وهذا يعارضه ما رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس قال: "إن الله استبطن قلوب المهاجرين فعاتبهم على رأس ثلاثا عشرة سنة من نزول القرآن فقال: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا} الآية"^(١).

ورواية مسلم وغيره عن ابن مسعود أصح سنداً، وكلام ابن مسعود يرجح على ما روي عن أنس وابن عباس، لأنه أقدم إسلاماً وأعلم بنزول القرآن، وقد علمت أنفاً أن صدر هذه السورة كان مقروءاً قبل إسلام عمر بن الخطاب^(٢).

قال ابن عطية: "ولا خلاف أن فيها قرآناً مدنياً، لكن يشبه صدرها أن يكون مكياً والله أعلم"^(٣).

عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نزلت سورة الحديد يوم الثلاثاء، وخلق الله الحديد يوم الثلاثاء، وقتل ابن آدم أخاه يوم الثلاثاء»، ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحجامة يوم الثلاثاء^(٤).

وأخرج الديلمي عن جابر مرفوعاً: "لا تحتجموا يوم الثلاثاء، فإن سورة الحديد أنزلت علي يوم الثلاثاء"^(٥).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

ومناسبتها لما قبلها من وجوه:

- ١- إن هذه بدئت بالتسبيح، وتلك ختمت به.
- ٢- إن أول هذه واقع موقع العلة لآخر ما قبلها من الأمر بالتسبيح فكأنه قيل: «سبح باسم ربك العظيم»، لأنه سبح له ما في السموات والأرض^(٦).

■ أغراض السورة ومقاصدها

- من خلال التأمل في آيات هذه السورة الكريمة تتجلى لنا مقاصدها الرئيسية وفق التالي:
- ١- تحدثت السورة في أولها عن أن الله تعالى تدين له المخلوقات جميعاً، وتسبح بحمده، وتتطق بلسان الحال أو بلسان المقال بعظمته وجلاله.
 - ٢- ذكرت السورة بعضاً من أسمائه تعالى، التي تدل على تفرده وتوحده، فهو الأول بلا ابتداء، والآخر بلا انتهاء، وأنه الظاهر بقدرته وآثاره، الباطن الذي لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، وأنه له ملك السموات والأرض خلقاً وإبداعاً، وأنه العليم بكل ما يلج في الأرض، وما يخرج منها، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها، وأن الأمور كلها راجعة إليه وحده سبحانه.

(١) الدر المنثور: ٥٨/٨.

(٢) انظر: التحرير والتنوير: ٣٥٤/٢٧.

(٣) المحرر الوجيز: ٢٥٦/٥.

(٤) المعجم الكبير للطبراني (١٤١٠٦): ص٣١٤/١٣، ونقله ابن كثير في "جامع المسانيد" (١١٢٤/مسند ابن عمر) والسيوطي في "اللؤلئ المصنوعة" (٤١٢/٢)، وذكره الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٩٣/٥) و (١٢٠/٧) ، وقال: «رواه الطبراني، وفيه مسلمة بن علي الخشني؛ وهو ضعيف». ورواه ابن عساكر في "تاريخ دمشق" (٣٩٠/٢٦).

وانظر: الدر المنثور: ٤٥/٨، وزاد نسبه إلى ابن مردويه بسند ضعيف.

وفي سنن ابي داود(٣٨٦٢):ص٥/٤ عن كبشة بنت ابي بكر، وقال: غير موسى كيسه بنت ابي بكر: "أن أباه، كان ينهى أهله عن الحجامة، يوم الثلاثاء، ويزعم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أن يوم الثلاثاء يوم الدم، وفيه ساعة لا يرقأ»". [حكم الألباني]: ضعيف.

وأخرج الطبراني في المعجم الكبير(٤٩٩):ص٢٠/٢١٥: عن معقل بن يسار، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الحجامة يوم الثلاثاء لسبع عشرة من الشهر دواء لداء سنة».

(٥) الدر المنثور: ٤٥/٨.

(٦) انظر: تفسير المراغي: ١٣٠/٢٧.

٣- التذكير بجلال الله تعالى، وصفاته العظيمة، وسعة قدرته وملكوته، وعموم تصرفه، ووجوب وجوده، وسعة علمه، والأمر بالإيمان بوجوده، وبما جاء به رسوله صلى الله عليه وسلم، وما أنزل عليه من الآيات البينات.

٤- التنبيه لما في القرآن من الهدى وسبيل النجاة، والتذكير برحمة الله ورأفته بخلقه.

٥- التحريض على الإنفاق في سبيل الله، وأن المال عَرَضٌ زائل، لا يبقى منه لصاحبه إلا ثواب ما أنفق منه في مرضاة الله.

٦- تعرضت السورة لذكر فريقين: فريق الجنة، وفريق السعير؛ فأما الفريق الأول: وهو فريق المؤمنين والمؤمنات، يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم، ليهديهم الصراط، فيدخلون الجنة. وأما الفريق الثاني: وهو فريق المنافقين والمنافقات، فإنه لا نور لهم، ويحال بينهم وبين نور المؤمنين، فلا يستطيعون اللحاق بهم، ويُسخر منهم، فيقال لهم: {ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا} [الحديد: ١٣]، فلا يستطيعون الرجوع إلى الدنيا ليعملوا بعمل المؤمنين حتى يلحقوا بهم.

٧- تحذير المسلمين من الوقوع في مهواة قساوة القلوب، التي وقع فيها أهل الكتاب من قبلهم من إهمال ما جاءهم من الهدى حتى قست قلوبهم، وجر ذلك إلى الفسوق كثيراً منهم.

٨- مثلت السورة الكريمة الدنيا وما فيها من متاع زائل ولهو ولعب وتفاخر وتكآثر في الأموال والأولاد، مثلتها بالزرع الذي سقاه المطر الوابل، حتى نَضَرَ، وأينع، وأعجبَ به الزراع، ثم يصيبه الذبول والضمور، حتى يصير هشيمًا تذروه الرياح، وكذلك أمر الدنيا، تتزين وتأخذ زخرفها، حتى يظن أهلها أنهم قادرون عليها فيأتيها، أمر الله ليلاً أو نهاراً بالفناء، فتصير كالزرع المحصود الذي لم يكن موجوداً بالأمس.

٩- الإيماء إلى فضل الجهاد في سبيل الله.

١٠- تشابه رسالة محمد صلى الله عليه وسلم برسالة نوح وإبراهيم عليهما السلام على أن في ذريتهما مهتدين وفاسقين. وأن الله أتبعهما برسل آخرين، منهم عيسى عليه السلام، الذي كان آخر رسول أرسل بشرع قبل الإسلام، وأن أتباعه كانوا على سُنَّة من سبقهم، منهم مؤمن ومنهم كافر.

١١- حثَّ المسلمين على أن يخلصوا الإيمان لله سبحانه، وأن يتبعوا ما جاءهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم، تعريضاً بالمنافقين، ووعدهم بحسن العاقبة، وأن الله فضلهم على الأمم؛ لأن الفضل بيده يؤتية من يشاء، والله ذو الفضل العظيم^(١).

■ الناسخ والمنسوخ:

قال الفيروزآبادي: "السورة محكمة: ليس فيها ناسخ ولا منسوخ"^(٢).

■ فضائل السورة:

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن ابن عباس: "إن اسم الله الأعظم هو في ست آيات من أول سورة الحديد"^(٣).
- قال سهل بن عبد الله: "اسم الله الأعظم مكنى عنه في ست آيات من أول سورة الحديد، من قوله: {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ} [الحديد: ٣]"^(٤).
- عن سعيد بن جبير أنه قال: "اسم الله الأعظم في ست آيات من أول سورة الحديد"^(٥).
- عن أبي التياح أنه قال: "من أراد أن يعرف كيف وصف الجبار نفسه، فليقرأ ست آيات من أول سورة الحديد"^(١).

(١) انظر: مقاصد صورة "الواقعة"، مقال منشور في موقع إسلام ويب.

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٥٣/١.

(٣) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز: ٢٥٦/٥، والثعالبي في "الجواهر الحسان في تفسير القرآن": ٣٧٧/٥.

(٤) تفسير التستري: ١٦١.

(٥) حكاة عنه السمعاني في "التفسير": ٣٦٤/٥.

- عن البراء بن عازب قال: "قلت لعلي رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين أسألك بالله ورسوله إلا خصصتني بأعظم ما خصك به رسول الله صلى الله عليه وسلم واختصه به جبريل وأرسله به الرحمن فقال: إذا أردت أن تدعو الله باسمه الأعظم فاقراً من أول سورة الحديد إلى آخر ست آيات منها: {عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} [الحديد : ٦]، وآخر سورة الحشر، يعني أربع آيات، ثم ارفع يديك فقل: يا من هو هكذا أسألك بحق هذه الأسماء أن تصلي على محمد وأن تفعل بي كذا وكذا مما تريد، فوالله الذي لا إله غيره لتنتقلبن بحاجتك إن شاء الله" (٣).
 - عن عرياض بن سارية: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ المسبحات قبل أن يرقده، وقال: «إن فيهن آية أفضل من ألف آية»" (٣).
 - عن يحيى بن أبي كثير قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرأ المسبحات وكان يقول: إن فيهن آية هي أفضل من ألف آية قال يحيى: فنراها الآية التي في آخر الحشر" (٤).
 - عن أبي الأسود قال: "قال رأس الجالوت: إنما التوراة الحلال والحرام إلا أن في كتابكم جامعاً: {سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الحديد : ١]، وفي التوراة: «يسبح لله الطير والسباع»" (٥).
- هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعاً لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

(١) حكاة عنه السمعاني في "التفسير": ٣٦٤/٥.
(٢) الدر المنثور: ٤٩/٨، عزاه إلى ابن النجار في تاريخ بغداد بسند ضعيف.
(٣) الدر المنثور: ٤٦/٨. وعزاه إلى أحمد وأبي داود والترمذي، وحسنه النسائي وابن مردويه والبيهقي في "شعب الإيمان".
(٤) الدر المنثور: ٤٦/٨، وعزاه إلى ابن الضريس.
(٥) الدر المنثور: ٤٦/٨، وعزاه إلى أبي الشيخ في "العظمة".

القرآن

{سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١)} [الحديد : ١]

التفسير:

نزّه الله عن السوء كل ما في السموات والأرض من جميع مخلوقاته، وهو العزيز على خلقه، الحكيم في تدبير أمورهم.

قوله تعالى: {سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الحديد : ١]، أي: "نزّه الله عن السوء كل ما في السموات والأرض من جميع مخلوقاته"^(١).

قال الطبري: يعني: "أن كل ما دونه من خلقه يسبحه تعظيماً له، وإقراراً بربوبيته، وإذعانا لطاعته، كما قال جل ثناؤه: {تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ} [الإسراء : ٤٤]"^(٢).

قال ابن كثير: "يخبر تعالى أنه يسبح له ما في السموات والأرض أي: من الحيوانات والنباتات، كما قال في الآية الأخرى: {تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا} [الإسراء : ٤٤]"^(٣).

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما-: "صلى الله {مَا فِي السَّمَاوَاتِ} ممن خلق، وهم الملائكة"^(٤).

عن الضحاك، وسفيان: "{سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}" "أنه الصلاة، سميت تسيباً لما تتضمنه من التسيب"^(٥).

قال النحاس: "{سَبَّحَ}": عظم ورفع. مشتق من: السباحة، وهي الارتفاع، والتقدير: ما في السموات وما في الأرض"^(٦).

قوله تعالى: {وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [الحديد : ١]، أي: "وهو العزيز على خلقه، الحكيم في تدبير أمورهم"^(٧).

قال الطبري: "يقول: ولكنه جلّ جلاله العزيز في انتقامه ممن عصاه، فخالف أمره مما في السموات والأرض من خلقه، {الحكيم} في تدبيره أمرهم، وتصريفه إياهم فيما شاء وأحب"^(٨).

قال النحاس: "أي: العزيز في انتقامه ممن عصاه الذي لا ينتصر منه من عاقبه من أعدائه، الحكيم في تدبيره خلقه الذي لا يدخل في تدبيره خلل"^(٩).

قال ابن كثير: "{وَهُوَ الْعَزِيزُ}"، أي: الذي قد خضع له كل شيء {الحكيم} في خلقه وأمره وشرعه"^(١٠).

قال محمد بن إسحاق: "العزيز: في نصرته ممن كفر به إذا شاء"^(١١)، الحكيم: في عذره وحقته إلى عباده"^(١٢).

(١) التفسير الميسر: ٥٣٧.

(٢) تفسير الطبري: ١٦٥/٢٣.

(٣) تفسير ابن كثير: ٥/٨.

(٤) تفسير الثعلبي: ١١/٢٦. [ط. دار التفسير]

(٥) النكت والعيون: ٤٦٨/٥.

(٦) إعراب القرآن: ٢٣٢/٤.

(٧) التفسير الميسر: ٥٣٧.

(٨) تفسير الطبري: ١٦٥/٢٣.

(٩) إعراب القرآن: ٢٣٢/٤.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٥/٨.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٨٣٤): ص ١٦٦٤/٥.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٨٣٦): ص ١٦٦٤/٥.

قال أبو العالية: " {عزيز} في نعمته إذا انتقم"^(١). وروى عن قتادة والربيع بن أنس نحو ذلك^(٢).

عن أبي العالية: " {حكيم}، قال: حكيم في أمره"^(٣).
قال محمد بن جعفر بن الزبير " الحكيم في عذره، وحجته إلى عباده"^(٤).

القرآن

{لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢) [الحديد : ٢]}

التفسير:

له ملك السموات والأرض وما فيهما، فهو المالك المتصرف في خلقه، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير، لا يتعدّر عليه شيء أراده، فما شاءه كان، وما لم يشأ لم يكن.

قوله تعالى: {لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الحديد : ٢]، أي: "له ملك السموات والأرض وما فيهما، فهو المالك المتصرف في خلقه"^(٥).

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: له سلطان السموات والأرض وما فيهنّ ولا شيء فيهنّ يفدر على الامتناع منه، وهو في جميعهم نافذ الأمر، ماضي الحكم"^(٦).

قال ابن كثير: " أي : هو المالك المتصرف في خلقه"^(٧).

عن عثمان بن سعيد، قال جبريل: "يا محمد، الله الخلق كله والسموات كلهن ومن فيهن والأرضون كلهن ومن فيهن، ومن بينهن مما يعلم ومما لا يعلم"^(٨).

قوله تعالى: {يُحْيِي وَيُمِيتُ} [الحديد : ٢]، أي: "يحيي من يشاء، ويميت من يشاء"^(٩).

قال الطبري: يقول جلّ ثناؤه: وهو على كل شيء ذو قدرة، لا يتعدّر عليه شيء أراده، من إحياء وإماتة، وإعزاز وإذلال، وغير ذلك من الأمور"^(١٠).

قال ابن كثير: " فيحيي ويميت، ويعطي من يشاء ما يشاء"^(١١).

عن محمد بن إسحاق: " {والله يحيي ويميت} " أي: يعجل من يشاء، ويؤخر من يشاء في ذلك من آجالهم بقدرته"^(١٢).

قوله تعالى: {وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [الحديد : ٢]، أي: "لا يتعدّر عليه شيء أراده، فما شاءه كان، وما لم يشأ لم يكن"^(١٣).

قال الطبري: " يقول: يحيي ما يشاء من الخلق، بأن يوجد كيف يشاء، وذلك بأن يحدث من النطفة الميتة حيوانا، بنفخ الروح فيها من بعد تارات يقلبها فيها، ونحو ذلك من الأشياء، ويميت ما يشاء من الأحياء بعد الحياة بعد بلوغه أجله فيفنيه"^(١٤).

قال ابن كثير: " أي : ما شاءه كان وما لم يشأ لم يكن"^(١).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٨٣٣):ص١٦٦٤/٥.

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٦٦٤/٥.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٠٤٢):ص١٧٦٤/٦.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٠٤٣):ص١٧٦٤/٦.

(٥) التفسير الميسر: ٥٣٧.

(٦) تفسير الطبري: ١٦٥/٢٣.

(٧) تفسير ابن كثير: ٥/٨.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٠٧٢):ص١٠٨٥/٤. في تفسير قوله تعالى: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ

وَكُلِّى بِاللَّهِ وَكَيْلًا} [النساء : ١٣٢].

(٩) صفة التفاسير: ٣٠٢/٣.

(١٠) تفسير الطبري: ١٦٥/٢٣-١٦٦.

(١١) تفسير ابن كثير: ٥/٨.

(١٢) تفسير ابن المنذر (١١٠٤):ص٤٦٣/٢.

(١٣) التفسير الميسر: ٥٣٧.

(١٤) تفسير الطبري: ١٦٥/٢٣.

عن ابن إسحاق: {وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}، "أي: إن الله على كل شيء ما أراد بعباده من نقمة أو عفو فهو قدير" (٢).

القرآن

{هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣)} [الحديد : ٣]

التفسير:

هو الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، والظاهر الذي ليس فوقه شيء، والباطن الذي ليس دونه شيء، ولا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، وهو بكل شيء عليم.

قوله تعالى: {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ} [الحديد : ٣]، أي: "هو الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء" (٣).

قال الفراء: "هُوَ الْأَوَّلُ"، يريد: قبل كل شيء. {وَالْآخِرُ}، بعد كل شيء" (٤).

قال الزجاج: "هُوَ الْأَوَّلُ"، قبل كل شيء، {وَالْآخِرُ}، بعد كل شيء" (٥).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: {هُوَ الْأَوَّلُ} قبل كل شيء بغير حد، {وَالْآخِرُ}، يقول: والآخر بعد كل شيء بغير نهاية. وإنما قيل ذلك كذلك، لأنه كان ولا شيء موجود سواه، وهو كائن بعد فناء الأشياء كلها، كما قال جل ثناؤه: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ} (٦).

قال الثعلبي: "يعني: {هُوَ الْأَوَّلُ} قبل كل شيء بلا حد ولا ابتداء، كان هو ولا شيء موجود، {وَالْآخِرُ} بعد فناء كل شيء.. وهذا معنى قول ابن عباس" (٧).

وقال يمان: "هُوَ الْأَوَّلُ": القديم، {وَالْآخِرُ}: الرحيم" (٨).

وقال ابن عمر: {الأول} بالخلق، {والآخر} بالرزق" (٩).

وقال الضحاك: "هو الذي أول الأول وآخر الآخر" (١٠).

ومقاتل بن حيان: "هو الأول بلا تأويل أحد، والآخر بلا تأخير أحد" (١١).

وقال السدي: "هُوَ الْأَوَّلُ" بيره إذ عرفك توحيد، {وَالْآخِرُ} بجوده إذ عرفك التوبة على ما جنبت" (١٢).

وقال محمد بن الفضل: "الأول بيره والآخر بعفوه" (١٣).

وقال أبو بكر الوراق: "هُوَ الْأَوَّلُ" بالأزلية، {وَالْآخِرُ} بالأبدية" (١٤).

وقال الحسين بن الفضل: "هُوَ الْأَوَّلُ" بلا ابتداء، {وَالْآخِرُ} بلا انتهاء" (١٥).

وقال الجنيد: {هُوَ الْأَوَّلُ} بشرح القلوب، {وَالْآخِرُ} بغفران الذنوب" (١٦).

(١) تفسير ابن كثير: ٥/٨.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٢١٤): ص ٥٩/١، و(٧٠٧٢): ص ١٢٥٧/٤.

(٣) التفسير الميسر: ٥٣٧.

(٤) معاني القرآن: ١٣٢/٣.

(٥) معاني القرآن: ١٢٢/٥.

(٦) تفسير الطبري: ١٦٨/٢٣.

(٧) تفسير الثعلبي: ٢٢٧/٩.

(٨) نقلا عن: الكشف والبيان (تفسير الثعلبي): ٢٢٨/٩، وتفسير البغوي: ٢٩/٨.

(٩) نقلا عن: الكشف والبيان (تفسير الثعلبي): ٢٢٨/٩.

(١٠) نقلا عن: الكشف والبيان (تفسير الثعلبي): ٢٢٨/٩.

(١١) نقلا عن: الكشف والبيان (تفسير الثعلبي): ٢٢٨/٩.

(١٢) نقلا عن: الكشف والبيان (تفسير الثعلبي): ٢٢٨/٩، وتفسير البغوي: ٢٩/٨.

(١٣) نقلا عن: الكشف والبيان (تفسير الثعلبي): ٢٢٨/٩.

(١٤) نقلا عن: الكشف والبيان (تفسير الثعلبي): ٢٢٨/٩.

(١٥) نقلا عن: الكشف والبيان (تفسير الثعلبي): ٢٢٨/٩.

(١٦) نقلا عن: الكشف والبيان (تفسير الثعلبي): ٢٢٩/٩، وتفسير البغوي: ٢٩/٨.

وقال ابن عطاء: " {الأول} بكشف أحوال الدنيا حتى لا يرغبوا فيها، {والآخر} بكشف أحوال العقبي حتى لا يشكوا فيها" (١).

قوله تعالى: {وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ} [الحديد : ٣]، أي: "والظاهر الذي ليس فوقه شيء، والباطن الذي ليس دونه شيء" (٢).

قال الفراء: " {وَالظَّاهِرُ} على كل شيء علما، وكذلك {الْبَاطِنُ} على كل شيء علما" (٣).

قال الزجاج: " {وَالظَّاهِرُ}، العالم بما ظهر، {وَالْبَاطِنُ}، العالم بما بطن، كما تقول: فلان يُبْطِنُ أمر فلان، أي: يعلم دخلة أمره" (٤).

قال الطبري: " يقول: وهو الظاهر على كل شيء دونه، وهو العالي فوق كل شيء، فلا شيء أعلى منه، وهو الباطن جميع الأشياء، فلا شيء أقرب إلى شيء منه، كما قال: {وَوَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} " (٥).

قال النحاس: " قيل: معنى «الظاهر»: الذي ظهرت صنعته وحكمته، وقيل: العالم بما ظهر وما بطن. ومن أحسن ما قيل فيه أنه من: «ظهر»، أي: قوي وعلا، فالمعنى: الظاهر على كل شيء العالي فوقه، فالأشياء دونه. «الباطن»: جميع الأشياء فلا شيء أقرب إلى شيء منه، ومثله: {وَوَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} [ق : ١٦]، ويدل على هذا أن بعده {وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [الحديد : ٣]، أي: لا يخفى عليه شيء" (٦).

قال السمعاني: " أي: الظاهر بالدلائل والآيات، والباطن لأنه لا يرى بالأبصار، ولا يدرك بالحواس. وقيل: الظاهر هو الغالب؛ وهذا يحكى عن ابن عباس. والباطن المحتجب عن خلقه. وعن بعضهم: العالم بما ظهر وما بطن" (٧).

قال الثعلبي: " {وَالظَّاهِرُ}، الغالب العالي على كل شيء، وكل شيء دونه، {وَالْبَاطِنُ}، العالم بكل شيء، فلا أحد أعلم منه. وهذا معنى قول ابن عباس" (٨).

وقال ابن عمر: " {وَالظَّاهِرُ} بالإحياء، {وَالْبَاطِنُ} بالإماتة" (٩).

وقال الضحاك: هو الذي "أظهر الظاهر وأبطن الباطن" (١٠).

وقال يمان: " {وَالظَّاهِرُ}، الحليم، {وَالْبَاطِنُ}، العليم" (١١).

وقال مقاتل بن حيان: هو " والظاهر بلا إظهار أحد، والباطن بلا إبطان أحد" (١٢).

وقال محمد بن الفضل: " {وَالظَّاهِرُ} بإحسانه {وَالْبَاطِنُ} بسره" (١٣).

وقال السدي: " {وَالظَّاهِرُ} بتوفيقه إذ وفقك للسجود له، {وَالْبَاطِنُ} بستره إذ عصيته فستر عليك" (١٤).

وقال أبو بكر الوراق: " {وَالظَّاهِرُ} بالأحدية {وَالْبَاطِنُ} بالصمدية" (١٥).

وقال الحسين بن الفضل: " {وَالظَّاهِرُ} بلا اقتراب، {وَالْبَاطِنُ} بلا احتجاب" (١).

- (١) نقلا عن: الكشف والبيان (تفسير الثعلبي): ٢٢٨/٩.
- (٢) التفسير الميسر: ٥٣٧.
- (٣) معاني القرآن: ١٣٢/٣.
- (٤) معاني القرآن: ١٢٢/٥.
- (٥) تفسير الطبري: ١٦٨/٢٣.
- (٦) إعراب القرآن: ٢٣٣/٤.
- (٧) تفسير السمعاني: ٣٦٥/٥.
- (٨) تفسير الثعلبي: ٢٢٧/٩.
- (٩) نقلا عن: الكشف والبيان (تفسير الثعلبي): ٢٢٨/٩.
- (١٠) نقلا عن: الكشف والبيان (تفسير الثعلبي): ٢٢٨/٩.
- (١١) نقلا عن: تفسير البغوي: ٢٩/٨.
- (١٢) نقلا عن: الكشف والبيان (تفسير الثعلبي): ٢٢٨/٩.
- (١٣) نقلا عن: الكشف والبيان (تفسير الثعلبي): ٢٢٨/٩.
- (١٤) نقلا عن: الكشف والبيان (تفسير الثعلبي): ٢٢٨/٩، وتفسير البغوي: ٢٩/٨.
- (١٥) نقلا عن: الكشف والبيان (تفسير الثعلبي): ٢٢٨/٩.

وقال الجنيد: "وَالظَّاهِرُ" بكشف الكروب، {وَالْبَاطِنُ} بعلم الغيوب"^(٢).
وقال ابن عطاء: "وَالظَّاهِرُ" على قلوب أوليائه حتى يعرفوه، {وَالْبَاطِنُ} عن قلوب أعدائه حتى ينكروه"^(٣).

وسأل عمر -رضي الله تعالى عنه- كعبا عن هذه الآية فقال: "معناها إن علمه بالأول كعلمه بالآخر، وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن"^(٤).

وقال الواسطي: "لم يدع للخلق نفسا بعد ما أخبر عن نفسه أنه الأول والآخِر والظاهر والباطن"^(٥).

قال ابن كثير: "قوله: {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ} وهذه الآية هي المشار إليها في حديث العرباض بن سارية: «أنها أفضل من ألف آية»"^(٦)^(٧).

قال عبد العزيز بن يحيى: هذه «الواوات» مقحمة، والمعنى: هو الأول الآخر الظاهر الباطن، لأن من كان منا أولا لا يكون آخرًا، ومن كان ظاهرا لا يكون باطنا"^(٨).

عن أبي هريرة قال: "بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وأصحابه، إذ أتى عليهم سحاب فقال النبي الله صلى الله عليه وسلم: "هل تدرون ما هذا؟" قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: "هذا العنان، هذه روابيا الأرض تسوقه إلى قوم لا يشكرونه ولا يدعونه". ثم قال: "هل تدرون ما فوقكم؟" قالوا: الله ورسوله أعلم قال: "فإنها الرقيق، سقف محفوظ، وموج مكفوف". ثم قال: "هل تدرون كم بينكم وبينها" قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: "بينكم وبينها خمسمائة سنة". ثم قال: "هل تدرون ما فوق ذلك؟" قالوا: الله ورسوله أعلم قال: "فإن فوق ذلك سماء بُعد ما بينهما مسيرة خمسمائة سنة - حتى عد سبع سموات - ما بين كل سماءين كما بين السماء والأرض". ثم قال: "هل تدرون ما فوق ذلك؟" قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: "فإن فوق ذلك العرش، وبينه وبين السماء بُعد ما بين السماءين". ثم قال: "هل تدرون ما الذي تحتكم؟" قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: "فإنها الأرض". ثم قال: "هل تدرون ما الذي تحت ذلك؟" قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: "فإن تحتها أرضاً أخرى بينهما مسيرة خمسمائة سنة - حتى عد سبع أرضين - بين كل أرضين مسيرة خمسمائة سنة". ثم قال: "والذي نفس محمد بيده، لو أنكم دلّيتم بحبل إلى الأرض السفلي لهبط على الله"، ثم قرأ: {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}"^(٩).

عن عكرمة بن عمار، حدثني أبو زميل سماك الحنفي، ثنا ابن عباس: "وقلت له: إني أجد في نفسي شيئا لا أستطيع أن أتكلم به قال: لعله شك أو شيء مما شك قلت: نعم قال: ما نجى من هذا أحد حتى نزل على النبي صلى الله عليه وسلم: {فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقرءون الكتاب من قبلك} [يونس: ٩٤]، ثم قال: إذا وجدت من ذلك فقل: {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ} [الحديد: ٣]"^(١٠).

عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو عند النوم: "اللهم، رب السموات السبع، ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، منزل التوراة والإنجيل والفرقان، فالق الحب والنوى، لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته، أنت الأول

- (١) نقلا عن: الكشف والبيان (تفسير الثعلبي): ٢٢٨/٩.
- (٢) نقلا عن: الكشف والبيان (تفسير الثعلبي): ٢٢٩/٩، وتفسير البغوي: ٢٩/٨.
- (٣) نقلا عن: الكشف والبيان (تفسير الثعلبي): ٢٢٨/٩.
- (٤) نقلا عن: الكشف والبيان (تفسير الثعلبي): ٢٢٩/٩، وتفسير البغوي: ٢٩/٨.
- (٥) نقلا عن: الكشف والبيان (تفسير الثعلبي): ٢٢٩/٩.
- (٦) انظر: المسند (١٢٨/٤) وسنن أبي داود برقم (٥٠٥٧) وسنن الترمذي برقم (٣٤٠٦) وسنن النسائي الكبرى برقم (٨٠٢٦).
- (٧) تفسير ابن كثير: ٥/٨.
- (٨) نقلا عن: الكشف والبيان (تفسير الثعلبي): ٢٢٨/٩.
- (٩) سنن الترمذي برقم (٣٢٩٨).
- (١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٥٨٢): ص ١٩٨٥/٦.

ليس قبلك شيء وأنت الآخر ليس بعدك شيء، وأنت الظاهر ليس فوقك شيء وأنت الباطن ليس دونك شيء. اقض عنا الدين، وأغننا من الفقر" (١).

عن جرير عن سهيل، قال: كان أبو صالح يأمرنا إذا أراد أحدنا أن ينام: أن يضطجع على شقه الأيمن، ثم يقول: اللهم، رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت أخذ بناصيته، اللهم، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين، وأغننا من الفقر" (٢).

عن عائشة أنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بفراشه فيفرش له مستقبل القبلة، فإذا أوى إليه توسد كفه اليمنى، ثم همس - ما يدرى ما يقول - فإذا كان في آخر الليل رفع صوته فقال: "اللهم، رب السموات السبع ورب العرش العظيم، إله كل شيء، ورب كل شيء، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان، فالق الحب والنوى، أعوذ بك من شر كل شيء أنت أخذ بناصيته اللهم، أنت الأول الذي ليس قبلك شيء، وأنت الآخر الذي ليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين، وأغننا من الفقر" (٣).

قوله تعالى: {وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [الحديد: ٣]، أي: "لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، وهو بكل شيء عليم" (٤).

قال الطبري: يقول: "وهو بكل شيء ذو علم، لا يخفى عليه شيء، فلا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، إلا في كتاب مبين" (٥).

قال الزجاج: "لا يخفى عليه شيء" (٦).

القرآن

{هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤)} [الحديد: ٤]

التفسير:

هو الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام، ثم استوى -أي: علا وارتفع- على عرشه فوق جميع خلقه استواء يليق بجلاله، يعلم ما يدخل في الأرض من حب ومطر وغير ذلك، وما يخرج منها من نبات وزرع وثمار، وما ينزل من السماء من مطر وغيره، وما يعرج فيها من الملائكة والأعمال، وهو سبحانه معكم بعلمه أينما كنتم، والله بصير بأعمالكم التي تعملونها، وسيجازيكم عليها.

قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ} [الحديد: ٤]، أي: هو الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام" (٧).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: هو الذي أنشأ السموات السبع والأرضين، فدبرهنّ وما فيهن" (٨).

(١) المسند (٤٠٤/٢).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٧١٣).

(٣) مسند أبي يعلى (٢١٠/٨)، في سنده السري بن إسماعيل هذا ابن عم الشعبي، قال ابن كثير: "٧/٨" وهو ضعيف جداً".

(٤) التفسير الميسر: ٥٣٧.

(٥) تفسير الطبري: ١٦٩/٢٣.

(٦) معاني القرآن: ١٢٢/٥.

(٧) التفسير الميسر: ٥٣٧.

(٨) تفسير الطبري: ١٦٩/٢٣.

قال مجاهد: " بدء الخلق العرشُ والماء والهواء، وخلقت الأرض من الماء، وكان بدء الخلق يوم الأحد، والاثنين، والثلاثاء، والأربعاء، والخميس، وجمع الخلق في يوم الجمعة، وتهودت اليهودُ يوم السبت. ويوم من الستة الأيام كألف سنة مما تعدون" (١).

قوله تعالى: {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} [الحديد : ٤]، أي: "ثم استوى -أي: علا وارتفع- على عرشه فوق جميع خلقه استواء يليق بجلاله من غير تمثيل ولا تكيف" (٢).
قال الطبري: يقول: "ثم استوى على عرشه، فارتفع عليه وعلا" (٣).
قال ابن عباس: "وإنما سمي العرش عرشا لارتفاعه" (٤).

قال سعد الطائي: "العرش ياقوتة حمراء" (٥).
قال وهب بن منبه: "إن الله خلق العرش من نوره" (٦).

عن قتادة، قوله: "ثم استوى على العرش"، قال: اليوم السابع" (٧).
عن الحكم بن أبان، قال: سمعتُ، يقول: "إن الله بدأ خلق السموات والأرض وما بينهما يوم الأحد، ثم استوى على العرش يوم الجمعة في ثلاث ساعات، فخلق في ساعة منها الشمس، كي يرغب الناس إلى ربهم في الدعاء والمسألة، وخلق في ساعة النتن الذي يسقط على ابن آدم إذا مات لكي يُقبر" (٨).

ومنهج السلف الصالح إزاء صفة الاستواء، وغيرها من صفات الباري تعالى: أن تمر كما جاءت، من غير تكيف ولا تمثيل، ولا تحريف، ولا تعطيل؛ فيثبتون له الأسماء والصفات، وينفون عنه مشابهة المخلوقات، إثباتًا منزهاً عن التشبيه، منزهاً عن التعطيل، فمن نفى حقيقة الاستواء فهو مُعطّل، ومن شبهه باستواء المخلوق على المخلوق، فهو مُمَثّل. وقد قال الإمام مالك بن أنس، لما سُئل عن كيفية الاستواء، فقال: «الكيف غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»، وقد وردَ مثلُ ذلك عن أم سلمة رضي الله عنها، وربيعة الرأي (٩).

قال الشوكاني: "مذهب السلف الصالح أنه استوى سبحانه عليه بلا كيف على الوجه الذي يليق به مع تنزهه عما لا يجوز عليه" (١٠).

قال القرطبي - بعد أن ذكر مذهب المتكلمين -: "وقد كان السلف الأول رضي الله عنهم لا يقولون بنفي الجهة، لا ينطقون بذلك بل نطقوا هم والكافة، بإثباتها لله تعالى كما نطق كتابه، وأخبرت رسله، ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة، وخص العرش بذلك لأنه أعظم المخلوقات، وإنما جهلوا كيفية الاستواء، فإنه لا تعلم حقيقته. قال مالك رحمه

(١) أخرجه الطبري (١٤٧٧٣): ص ٤٨٢/١٢.

(٢) التفسير الميسر: ٥٣٧، وصفوة التفسير: ٣٠٣/٣.

(٣) تفسير الطبري: ١٦٩/٢٣.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٥٧٨): ص ١٤٩٧/٥.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٥٧٩): ص ١٤٩٧/٥.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٥٨٠): ص ١٤٩٧/٥.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٥٧٦): ص ١٩٤٧/٥.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٥٧٧): ص ١٩٤٧/٥.

(٩) انظر: "شرح أصول الاعتقاد" ٣/ ٤٤٠ - ٤٤٣. وانظر مادة (سوا) في "تهذيب اللغة" ٢/ ١٧٩٤، "الصاحح" ٦/ ٢٣٨٥ - ٢٣٨٦، "اللسان" ٤/ ٢١٦٠، "القاموس المحيط" ١٢٩٧، "قاموس القرآن" للدامغاني: ٢٥٥، "تاج العروس" للزبيدي: ١/ ١٧٩. وانظر حول موضوع صفة الاستواء: "تأويل مختلف الحديث" لابن قتيبة: ٣٩٤، "الرد على الجهمية" للدارمي: ص ٤٠، "الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد" للبيهقي: ص ١١٦، "الأسماء والصفات" للبيهقي: ٢/ ٣٠٣، "مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية" ٥/ ١٤٦، ٣٦٥، ٤٠٤، ٥١٩ - ٥٢٠. "العقائد السلفية" لأحمد بن حجر: ١/ ١٢٤ - ١٢٥، ١٦٤ - ١٦٧، "رسائل في العقيدة" لمحمد بن عثيمين: ٧٠.

(١٠) فتح القدير: ٢/ ٢٤٠.

الله: الاستواء معلوم- أي في اللغة- والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة. وكذا قالت أم سلمة رضي الله عنها^(١).

قال الإمام ابن كثير: "وأما قوله تعالى: {ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ}، فللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جدا، ليس هذا موضع بسطها، وإنما يُسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح: مالك، والأوزاعي، والثوري، والليث بن سعد، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه وغيرهم، من أئمة المسلمين قديما وحديثا، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل. والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله، فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه، و{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: ١١] بل الأمر كما قال الأئمة - منهم نُعَيْمُ بن حماد الخزازي شيخ البخاري - : "من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر". وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه، فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة، على الوجه الذي يليق بجلال الله تعالى، ونفى عن الله تعالى النقائص، فقد سلك سبيل الهدى"^(٢).

قوله تعالى: {يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا} [الحديد: ٤]، أي: "يعلم ما يدخل في الأرض من حب ومطر وغير ذلك، وما يخرج منها من نبات وزرع وثمار"^(٣). قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: مخبرا عن صفته، وأنه لا يخفى عليه خافية من خلقه، {يَعْلَمُ} {مَا} يدخل {في الأرض} من خلقه، {وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا}"^(٤). قال الزجاج: أي: "يعلم ما يدخل في الأرض من مطر وغيره. {وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا} من نبات وغيره"^(٥).

قال ابن كثير: "أي: يعلم عدد ما يدخل في الأرض من حب وقطر {وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا} من زرع ونبات وثمار، كما قال: {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} [الأنعام: ٥٩]"^(٦). عن السدي: "يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ"، قال: من المطر، {وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا}، قال: من النبات"^(٧).

قوله تعالى: {وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا} [الحديد: ٤]، أي: "وما ينزل من السماء من مطر وغيره، وما يعرج فيها من الملائكة والأعمال"^(٨). قال الطبري: "يقول: ويعلم {مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ} إلى الأرض من شيء قط، {وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا}، فيصعد إليها من الأرض"^(٩). قال الزجاج: "وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ} من رزق ومطر وملك. {وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا}، أي: ما يصعد إليها من أعمال العباد، وما يَعْرُجُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ"^(١٠).

قال ابن كثير: "وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ}، أي: من الأمطار، والثلوج والبرد، والأقذار والأحكام مع الملائكة الكرام، وقد تقدم في سورة "البقرة" أنه ما ينزل من قطرة من السماء إلا ومعها ملك يُقَرِّرها في المكان الذي يأمر الله به حيث يشاء تعالى. وقوله: {وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا}، أي

(١) تفسير القرطبي: ٢١٩ / ٧.

(٢) تفسير ابن كثير: ٤٢٦/٣-٤٢٧.

(٣) التفسير الميسر: ٥٣٧.

(٤) تفسير الطبري: ١٦٩/٢٣.

(٥) معاني القرآن: ١٢٢/٥.

(٦) تفسير ابن كثير: ٩/٨.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٨٦٨): ص ٣١٦١/١٠.

(٨) التفسير الميسر: ٥٣٧.

(٩) تفسير الطبري: ١٦٩/٢٣.

(١٠) معاني القرآن: ١٢٢/٥.

: من الملائكة والأعمال، كما جاء في الصحيح : «يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ اللَّيْلِ»^(١)»^(٢).

عن السدي: " {وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ} قال: الملائكة، {وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا}، قال: الملائكة"^(٣).
قوله تعالى: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ} [الحديد : ٤]، أي: " وهو سبحانه معكم بعلمه أينما كنتم"^(٤).

قال ابن عباس: " عالمٌ بكم أينما كنتم"^(٥).
عن سفيان الثوري: "أنه سئل عن قوله: {وَهُوَ مَعَكُمْ}، قال: علمه"^(٦).
قال الطبري: " يقول: وهو شاهد لكم أيها الناس أينما كنتم يعلمكم، ويعلم أعمالكم، ومتقلبكم ومثواكم، وهو على عرشه فوق سمواته السبع"^(٧).
قال النحاس: " أي: وهو شاهد معكم حيث كنتم"^(٨).

قال ابن كثير: " أي : رقيب عليكم، شهيد على أعمالكم حيث أنتم، وأين كنتم، من بر أو بحر، في ليل أو نهار، في البيوت أو الفقار، الجميع في علمه على السواء، وتحت بصره وسمعته، فيسمع كلامكم ويرى مكانكم، ويعلم سرركم ونجواكم، كما قال : {أَلَا إِنَّهُمْ يَبْتَلُونُ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَعْشُونَ نِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} [هود : ٥]. وقال {سِوَاءَ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَأَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ} [الرعد : ١٠]، فلا إله غيره ولا رب سواه"^(٩).

قال السعدي: وهذه المعية، معية العلم والاطلاع"^(١٠).
وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل، لما سأله عن الإحسان : «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»^(١١).

عن عبد الرحمن بن عائذ قال : قال عمر : "جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : زودني كلمة أعيش بها فقال : «استح الله كما تستحي رجلا من صالح عشيرتك لا يفارقك»"^(١٢).

عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن من أفضل إيمان المرء أن يعلم أن الله معه حيث كان"^(١٣).

عبد الله بن معاوية الغاضري، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " ثلاث من فعلهن فقد طعم طعم الإيمان: من عبد الله وحده فإنه لا إله إلا الله ، وأعطى زكاة ماله طيبة بها

(١) صحيح مسلم برقم (١٧٩) من حديث أبي موسى الأشعري، رضي الله عنه.

(٢) تفسير ابن كثير: ٩/٨.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٨٦٨): ص ٣١٦١/١٠.

(٤) التفسير الميسر: ٥٣٧.

(٥) الدر المنثور: ٤٩/٨، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٦) الدر المنثور: ٤٩/٨، وعزاه إلى البيهقي في الأسماء والصفات.

(٧) تفسير الطبري: ١٦٩/٢٣.

(٨) إعراب القرآن: ٢٣٣/٤.

(٩) تفسير ابن كثير: ٩/٨.

(١٠) تفسير السعدي: ٨٣٧.

(١١) أخرجه أحمد (٥١/١)، رقم (٣٦٧)، ومسلم (٣٦/١)، رقم (٨)، وأبو داود (٢٢٣/٤)، رقم (٤٦٩٥)، والترمذي (٦/٥)، رقم (٢٦١٠) وقال: حسن صحيح. والنسائي في الكبرى (٥٢٨/٦)، رقم (١١٧٢١)، وابن ماجه (٢٤/١)، رقم (٦٣)، وابن خزيمة (١٢٧/٤)، رقم (٢٥٠٤)، وابن حبان (٣٨٩/١)، رقم (١٦٨). وأخرجه أيضا: الدارقطني (٢٨٢/٢)، والبيهقي (٢٠٣/١٠)، رقم (٢٠٦٦٠).

(١٢) رواه الحافظ أبو بكر الإسماعيلي كما في تفسير ابن كثير: ٩/٨، وذكره ابن كثير في مسند عمر بن الخطاب (٦٠٩/٢) من طريق الإسماعيلي وقال : "إسناده غريب، وفي حديث القدر : "فإن لم تكن تراه فإنه يراك" وله شاهد من حديث سعيد بن يزيد عن ابن عم له قال : قلت يا رسول الله أوصني، قال : "استح من الله كما تستحي من الرجل الصالح من قومك". أخرجه مجشئ في تاريخه واسط (ص ٢٠٩).

(١٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧٢٧): ص ٢٠٠/٢، والأدب (٨٢٥): ص ٣٣٣.

نفسه رافدة عليه في كل عام , ولم يعط الهرمة ولا الدرنة ولا الشرط اللائمة ولا المريضة ولكن من أوسط أموالكم , فإن الله عز وجل لم يسألكم خيره , ولم يأمركم بشره , وزكى عبد نفسه " فقال رجل: ما تزكية المرء نفسه يا رسول الله؟ قال: " يعلم أن الله معه حيث ما كان ". وقال غيره: " ولا الشرط اللئيمة "(١).

قوله تعالى: {وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [الحديد : ٤]، أي: " والله بصير بأعمالكم التي تعملونها، وسيجازيكم عليها"(٢).

قال الطبري: " يقول: والله بأعمالكم التي تعملونها من حسن وسيئ، وطاعة ومعصية، ذو بصر، وهو لها محص، ليجازي المحسن منكم بإحسانه، والمسيء بإساءته، {وَلْيُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}"(٣).

قال النحاس: " أي: بما تعملونه من حسن وسيئ وطاعة ومعصية حتى يجازيكم عليها"(٤).

قال السعدي: " أي: هو تعالى بصير بما يصدر منكم من الأعمال، وما صدرت عنه تلك الأعمال، من بر وفجور، فمجازيكم عليها، وحافظها عليكم"(٥).

القرآن

{إِلَهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٥)} [الحديد : ٥]

التفسير:

له ملك السموات والأرض، وإلى الله مصير أمور الخلائق في الآخرة، وسيجازيهم على أعمالهم.

قوله تعالى: {إِلَهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الحديد : ٥]، أي: " الله تعالى وحده ملك السموات والأرض"(١).

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: له سلطان السموات والأرض نافذ في جميعهنّ، وفي جميع ما فيهنّ أمره"(٢).

قال السعدي: " أي: ملكا وخلقا وعبدا، يتصرف فيهم بما شاءه من أوامره القدرية والشرعية، الجارية على الحكمة الربانية"(٣).

قال ابن كثير: " أي : هو المالك للدينا والآخرة كما قال : {وَأَنَّ لَنَا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَى} [الليل : ١٣]، وهو المحمود على ذلك، كما قال : {وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى} [القصص : ٧٠]، وقال {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ} [سبأ : ١]. فجميع ما في السموات والأرض ملك له، وأهلها عبيد أرقاء أذلاء بين يديه كما قال : {إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا} [مريم : ٩٣ - ٩٥]"(٤).

قال الصابوني: " كرره للتأكيد والتمهيد لإثبات الحشر والنشر أي هو المعبود على الحقيقة، المتصرف في الخلق كيف يشاء"(٥).

(١) السنن الكبرى للبيهقي (٧٢٧٥):ص٤/١٦١.

(٢) التفسير الميسر: ٥٣٧.

(٣) تفسير الطبري: ١٦٩/٢٣-١٧٠.

(٤) إعراب القرآن: ٢٣٣/٤.

(٥) تفسير السعدي: ٨٣٧.

(٦) التفسير الميسر: ٥٣٨. [بتصرف]

(٧) تفسير الطبري: ١٧٠/٢٣.

(٨) تفسير السعدي: ٨٣٧.

(٩) تفسير ابن كثير: ١٠/٨.

(١٠) صفوة التفاسير: ٣٠٣/٣.

قوله تعالى: {وَاللَّهُ تُرْجَعُ الْأُمُورُ} [الحديد : ٥]، أي: " وإلى الله مصير أمور الخلائق في الآخرة، وسيجازيهم على أعمالهم" (١).
قال الطبري: " يقول جل ثناؤه: وإلى الله مصير أمور جميع خلقه، فيقضي بينهم بحكمه" (٢).

قال ابن كثير: " أي : إليه المرجع يوم القيامة، فيحكم في خلقه بما يشاء، وهو العادل الذي لا يجور ولا يظلم مثقال ذرة، بل إن يكن أحدهم عمل حسنة واحدة يضاعفها إلى عشر أمثالها، {وَيُؤْتِ مَنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا} [النساء : ٤٠] وكما قال تعالى: {وَتَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ} [الأنبياء : ٤٧]" (٣).

قال السعدي: " {وَاللَّهُ تُرْجَعُ الْأُمُورُ} من الأعمال والعمال، فيعرض عليه العباد، فيميز الخبيث من الطيب، ويجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته" (٤).
عن ابن جريج: " {وإليه يُرجع الأمر كله}، قال: فيقضي بينهم بحكمه العدل" (٥).
عن يحيى بن وثاب: " أنه قرأ كل شيء في القرآن {وإلى الله ترجع الأمور} بنصب التاء وكسر الجيم" (٦).

قرأ الحسن والأعرج ويعقوب وابن عامر وأبو حيوة وابن محيصن وحמיד والأعشى وحمزة والكسائي وخلف (تُرْجَعُ) بفتح التاء وكسر الجيم، وقراء الباقون: {تُرْجَعُ} بضم التاء وفتح الجيم وقد تقدّم هذا" (٧).

القرآن

{يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٦)} [الحديد : ٦]
التفسير:

يُدْخِلُ ما نقص من ساعات الليل في النهار فيزيد النهار، ويُدْخِلُ ما نقص من ساعات النهار في الليل فيزيد الليل، وهو سبحانه عليم بالسرائر وما تكنه الصدور، لا يخفى عليه من ذلك خافية.
قوله تعالى: {يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ} [الحديد : ٦]، أي: " يُدْخِلُ ما نقص من ساعات الليل في النهار فيزيد النهار، ويُدْخِلُ ما نقص من ساعات النهار في الليل فيزيد الليل" (٨).

قال الطبري: أي: " يدخل ما نقص من ساعات الليل في النهار، فيجعله زيادة في ساعاته، ويدخل ما نقص من ساعات النهار في الليل، فيجعله زيادة في ساعات الليل" (٩).
قال الزجاج: " معناه: يدخل الليل في النهار بأن ينقص من الليل ويزيد في النهار، وكذلك {وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ}، ينقص من النهار ويزيد في الليل وهو مثل قوله: {يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ} (١٠).

(١) التفسير الميسر: ٥٣٨.

(٢) تفسير الطبري: ١٧٠/٢٣.

(٣) تفسير ابن كثير: ١٠/٨.

(٤) تفسير السعدي: ٨٣٧.

(٥) الدر المنثور: ٤٩٣/٤، وعزاه إلى ابن جرير، وأبي الشيخ.

(٦) الدر المنثور: ٢٩٣/٢، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٧) انظر: تفسير الثعلبي: ٢٤/٢٦. [ط. دار التفسير]، وتفسير القرطبي: ٢٣٧/١٧.

(٨) التفسير الميسر: ٥٣٨.

(٩) تفسير الطبري: ١٧٠/٢٣.

(١٠) معاني القرآن: ١٢٢/٥.

قال ابن كثير: "أي: هو المتصرف في الخلق، يقلب الليل والنهار ويقدرهما بحكمته كما يشاء، فتارة يطول الليل ويقصر النهار، وتارة بالعكس، وتارة يتركهما معتدلين. وتارة يكون الفصل شتاء ثم ربيعاً ثم قيطاً ثم خريفاً، وكل ذلك بحكمته وتقديره لما يريد به خلقه"^(١).

قال السعدي: "أي: يدخل الليل على النهار، فيغشيهم الليل بظلامه، فيسكنون ويهدأون، ثم يدخل النهار على الليل، فيزول ما على الأرض من الظلام، ويضيء الكون، فيتحرك العباد، ويقومون إلى مصالحهم ومعاشيهم، ولا يزال الله يكور الليل على النهار، والنهار على الليل، ويداول بينهما، في الزيادة والنقص، والطول والقصر، حتى تقوم بذلك الفصول، وتستقيم الأزمنة، ويحصل من المصالح ما يحصل بذلك، فتبارك الله رب العالمين، وتعالى الكريم الجواد، الذي أنعم على عباده بالنعم الظاهرة والباطنة"^(٢).

قال عكرمة: "قصر هذا في طول هذا، وطول هذا في قصر هذا"^(٣).

قال إبراهيم: "دخول الليل في النهار، ودخول النهار في الليل"^(٤).

قال إبراهيم: "قصر أيام الشتاء في طول ليله، وقصر ليل الصيف في طول نهاره"^(٥).
قوله تعالى: {وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} [الحديد: ٦]، أي: "وهو سبحانه عليم بالسرائر وما تكفه الصدور، لا يخفى عليه من ذلك خافية"^(٦).

قال الطبري: "يقول: وهو ذو علم بضمائر صدور عباده، وما عزمت عليه نفوسهم من خير أو شر، أو حدثت بهما أنفسهم، لا يخفى عليه من ذلك خافية"^(٧).
قال السعدي: "أي: بما يكون في صدور العالمين، فيوفق من يعلم أنه أهل لذلك، ويخذل من يعلم أنه لا يصلح لهديته"^(٨).

قال ابن كثير: "أي: يعلم السرائر وإن دقت، وإن خفيت"^(٩).

عن الحسن: "إنه عليم بذات الصدور": يعلم تلك الساعة"^(١٠).

عن محمد بن إسحاق -من طريق سلمة- قال: {والله عليم بذات الصدور}، أي: لا يخفى عليه ما في صدورهم مما استخفوا به منكم"^(١١).

فوائد الآيات: [١-٦]:

- ١- فضل التسبيح وأفضله سبحانه الله وبحمده سبحانه الله العظيم.
وفي الحديث: "كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم"^(١٢).
- ٢- مظاهر القدرة والعلم والحكمة في هذه الآيات الخمس هي موجبات ربوبية الله تعالى وألوهيته وهي مقتضية للبعث الآخر والجزاء فيه.
- ٣- في خلقه تعالى السموات والأرض في ستة أيام وهو القادر على خلقهما بكلمة التكوين تعليم لعباده التأني في الأمور وعدم العجلة فيها لتخرج متقنة صالحة نافعة.

(١) تفسير ابن كثير: ١٠/٨.

(٢) تفسير السعدي: ٨٣٧.

(٣) أخرجه الطبري: ١٧٠/٢٣.

(٤) أخرجه الطبري: ١٧٠/٢٣.

(٥) أخرجه الطبري: ١٧١/٢٣.

(٦) التفسير الميسر: ٥٣٨.

(٧) تفسير الطبري: ١٧١/٢٣.

(٨) تفسير السعدي: ٨٣٧.

(٩) تفسير ابن كثير: ١٠/٨.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٦٧٤): ص ٢٠٠١/٦.

(١١) أخرجه الطبري (٨٠٩٦): ص ٣٢٥/٧-٣٢٦، و ابن المنذر (١٠٩٢): ص ٤٥٨/٢، وابن أبي حاتم (٤٣٧٨): ص ٧٩٦/٣.

(١٢) صحيح البخاري برقم (٧٥٦٣) وصحيح مسلم برقم (٢٦٩٤) وسنن الترمذي برقم (٣٤٦٧) وسنن النسائي الكبرى برقم (١٠٦٦٦) وسنن ابن ماجه برقم (٣٨٠٦).

- ٤- بطلان دعاء غير الله تعالى ورجاء غيره إذ له ملك السموات والأرض وليس لغيره شيء من ذلك.
- ٥- وجوب مراقبة الله تعالى والحياء منه وتقواه وذلك لعلمه بظواهرنا وبواطننا وقدرته على مجازاتنا عاجلاً وأجلاً.

القرآن

{آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (٧)} [الحديد : ٧]

التفسير:

آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ مِنَ الْمَالِ وَاسْتَخْلَفَكُمْ فِيهِ، فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، وَأَنْفَقُوا مِنْ مَالِهِمْ، لَهُمْ ثَوَابٌ عَظِيمٌ.

قوله تعالى: {آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ} [الحديد : ٧]، أي: "آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" (١).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: آمَنُوا بِاللَّهِ أَيُّهَا النَّاسُ، فَأَقْرَبُوا بِوَحْدَانِيَّتِهِ، وَبِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَصَدَقُوا فِي مَا جَاءَكُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاتَّبَعُوهُ" (٢).

قال الزجاج: "معناه: صَدَقُوا بِأَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُهُ" (٣).

قال مقاتل: "يعني: صدقوا بتوحيد الله- تعالى- ورسوله محمد- صلى الله عليه وسلم" (٤).

قال ابن كثير: "أمر تعالى بالإيمان به ورسوله على الوجه الأكمل، والدوام والثبات على ذلك والاستمرار" (٥).

عن سعيد بن جبير: "قوله: {آمِنُوا بِاللَّهِ}، يعني: بتوحيد الله" (٦).

قوله تعالى: {وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ} [الحديد : ٧]، أي: "وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ مِنَ الْمَالِ وَاسْتَخْلَفَكُمْ فِيهِ" (٧).

قال الطبري: "يقول جل ثناؤه: وَأَنْفَقُوا مِمَّا خَوْلَكُمْ اللَّهُ، مِنَ الْمَالِ الَّذِي أَوْرَثَكُمْ عَنْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَجَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ هُمْ فِيهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ" (٨).

قال ابن كثير: "وحدث على الإنفاق مما جعلكم مستخلفين فيه أي مما هو معكم على سبيل العارية، فإنه قد كان في أيدي من قبلكم ثم صار إليكم، فأرشد تعالى إلى استعمال ما استخلفهم فيه من المال في طاعته، فإن يفعلوا وإلا حاسبهم عليه وعاقبهم لتركهم الواجبات فيه.

وقوله: {مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ} فيه إشارة إلى أنه سيكون مخلفاً عنك، فعمل وارتك أن يطيع الله فيه، فيكون أسعد بما أنعم الله به عليك منك، أو يعصي الله فيه فتكون قد سعيت في معاونته على الإثم والعدوان" (٩).

عن مجاهد: {مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ}، قال: "المعمرين فيه بالرزق" (١٠).

قال الفراء: "مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ: مملكين فيه، وهو رزقه وعطيته" (١١).

قال الزجاج: "أي: أنفقوا مما ملككم، فأنفقوا في سبيل الله وَمَا يُقْرَبُ مِنْهُ" (١).

- (١) التفسير الميسر: ٥٣٨.
- (٢) تفسير الطبري: ١٧١/٢٣.
- (٣) معاني القرآن: ١٢٢/٥.
- (٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٣٨/٤.
- (٥) تفسير ابن كثير: ١١/٨.
- (٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٦١٠٤): ص ١٠٩٠/٤.
- (٧) التفسير الميسر: ٥٣٨.
- (٨) تفسير الطبري: ١٧١/٢٣.
- (٩) تفسير ابن كثير: ١١/٨.
- (١٠) أخرجه الطبري: ١٧١/٢٣.
- (١١) معاني القرآن: ١٣٢/٣.

قال الماتريدي: "حضهم على الإنفاق لأنهم يفنون كما فني الذين من قبلهم ويورثون"^(٢).
قال سهل بن عبدالله: "يعني: ورثكم من آباءكم وملككم، فأنفقوا عيش أنفسكم الطبيعية من الدنيا في طاعته وطاعة رسوله"^(٣).

عن مُطَرِّف - يعني بن عبد الله بن الشَّخِير - عن أبيه قال: "انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول: «{أَلْهَأَكُمُ التَّكَاثُرُ} [التكاثر: ١]، يقول ابن آدم: مالي مالي! وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفانيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت؟»"، وزاد مسلم: «وما سوى ذلك فذاهب وتاركة للناس»^(٤).

قوله تعالى: {فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ} [الحديد: ٧]، أي: "فالذين آمنوا منكم أيها الناس، وأنفقوا من مالهم، لهم ثواب عظيم"^(٥).

قال الطبري: "يقول: فالذين آمنوا بالله ورسوله منكم أيها الناس، وأنفقوا مما خولهم الله عمن كان قبلهم، ورزقهم من المال في سبيل الله لهم ثواب عظيم"^(٦).
قال ابن كثير: "قوله: {فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ} ترغيب في الإيمان والإنفاق في الطاعة"^(٧).

القرآن

{وَمَا لَكُمْ لَّا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [الحديد: ٨]

التفسير:

وأى عذر لكم في أن لا تصدقوا بوحدانية الله وتعملوا بشرعه، والرسول يدعوكم إلى ذلك، وقد أخذ الله ميثاقكم على ذلك، إن كنتم مؤمنين بالله خالقكم؟

قوله تعالى: {وَمَا لَكُمْ لَّا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ} [الحديد: ٨]، أي: "وأى عذر لكم في أن لا تصدقوا بوحدانية الله وتعملوا بشرعه، والرسول يدعوكم إلى ذلك"^(٨).

قال الطبري: يقول: "وما شأنكم أيها الناس لا تقرّون بوحدانية الله، ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم يدعوكم إلى الإقرار بوحدانيته، وقد أتاكم من الحجج على حقيقة ذلك، ما قطع عذرکم، وأزال الشك من قلوبكم"^(٩).

قال ابن كثير: "أي: وأي شيء يمنعكم من الإيمان والرسول بين أظهركم، يدعوكم إلى ذلك ويبين لكم الحجج والبراهين على صحة ما جاءكم به"^(١٠).

عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أي الخلق أعجب إليكم إيماناً؟»، قالوا: الملائكة، قال: «وما لهم لا يؤمنون، وهم عند ربهم عز وجل؟»، قالوا: فالنبيون، قال: «وما لهم لا يؤمنون، والوحي ينزل عليهم؟»، قالوا: فنحن، قال: «وما لكم لا تؤمنون، وأنا بين أظهركم؟»، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(١) معاني القرآن: ١٢٢/٥.

(٢) تأويلات أهل السنة: ٢٣٤/٤.

(٣) تفسيراً لتستري: ١٦١.

(٤) المسند (٢٤/٤) وصحيح مسلم برقم (٢٩٥٨).

(٥) التفسير الميسر: ٥٣٨.

(٦) تفسير الطبري: ١٧١/٢٣.

(٧) تفسير ابن كثير: ١١/٨.

(٨) التفسير الميسر: ٥٣٨.

(٩) تفسير الطبري: ١٧٢/٢٣.

(١٠) تفسير ابن كثير: ١١/٨.

«ألا إن أعجب الخلق إلي إيماننا لقوم يكونون من بعدكم، يجدون صحفا فيها كتب يؤمنون بما فيها»^(١).

قوله تعالى: {وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ} [الحديد : ٨]، أي: "وقد أخذ الله ميثاقكم على ذلك"^(٢). وفي قوله تعالى: {وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ} [الحديد : ٨]، وجهان من التفسير:

أحدهما: يعني بذلك: بيعة الرسول صلى الله عليه وسلم. قاله ابن كثير^(٣).
الثاني: أنه الميثاق الذي أخذ عليهم في صلب آدم. وهذا قول مجاهد^(٤)، وبه قال الطبري^(٥).
عن مجاهد، قوله: "وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ"، قال: في ظهر آدم^(٦).
قال الطبري: يقول: "وقد أخذ منكم ربكم ميثاقكم في صلب آدم، بأن الله ربكم لا إله لكم سواه"^(٧).

وقرأ أبو عمرو: «وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ» بضم الألف ورفع الميثاق، على وجه ما لم يسم فاعله^(٨).

قوله تعالى: {إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [الحديد : ٨]، أي: "إن كنتم مؤمنين بالله خالقكم؟"^(٩).
قال الطبري: "يقول: إن كنتم تريدون أن تؤمنوا بالله يوماً من الأيام، فالآن أحرى الأوقات، أن تؤمنوا لتتابع الحجج عليكم بالرسول وإعلامه، ودعائه إياكم إلى ما قد تقررت صحته عندكم بالإعلام، والأدلة والميثاق المأخوذos عليكم"^(١٠).
قال الماتريدي: "المعنى: إن كنتم عازمين على الإيمان فهذا أوانه لما ظهر لكم من البراهين والدلائل"^(١١).

القرآن

{هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ} [الحديد : ٩]

التفسير:

هو الذي ينزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم آيات مفصلات واضحات من القرآن؛ ليخرجكم بذلك من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان، إن الله بكم في إخراجكم من الظلمات إلى النور ليُرْحَمَكُم رحمة واسعة في عاجلكم وأجلكم، فيجازيكم أحسن الجزاء.

قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ} [الحديد : ٩]، أي: "هو الذي ينزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم آيات مفصلات واضحات من القرآن"^(١٢).

قال الطبري: يقول: "الله الذي ينزل على عبده محمد {آياتٍ مفصلات}"^(١٣).

قال ابن كثير: "أي: حججاً واضحات، ودلائل باهرات، وبراهين قاطعات"^(١٤).

(١) جزء ابن عرفة (١٩): ص ٥٢، وانظر: تفسير ابن كثير: ١١/٨.

(٢) التفسير الميسر: ٥٣٨.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير: ١١/٨.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ١٧٢/٢٣.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ١٧٢/٢٣.

(٦) أخرجه الطبري: ١٧٢/٢٣.

(٧) تفسير الطبري: ١٧٢/٢٣.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ١٧٢/٢٣.

(٩) التفسير الميسر: ٥٣٨.

(١٠) تفسير الطبري: ١٧٢/٢٣.

(١١) تأويلات أهل السنة: ٢٣٤/٤.

(١٢) التفسير الميسر: ٥٣٨.

(١٣) تفسير الطبري: ١٧٣/٢٣.

(١٤) تفسير ابن كثير: ١١/٨.

قوله تعالى: {لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ} [الحديد : ٩]، أي: "ليخرجكم بذلك من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان"^(١).

قال الطبري: يقول: "ليخرجكم أيها الناس من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان، ومن الضلالة إلى الهدى"^(٢).

قال ابن كثير: "أي: من ظلمات الجهل والكفر والآراء المتضادة إلى نور الهدى واليقين والإيمان"^(٣).

عن مجاهد، قوله: {مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ}، قال: "من الضلالة إلى الهدى"^(٤).

قوله تعالى: {وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ} [الحديد : ٩]، أي: "إن الله بكم في إخراجكم من الظلمات إلى النور ليرحمكم رحمة واسعة في عاجلكم وأجلكم، فيجازيكم أحسن الجزاء"^(٥).

قال الطبري: يقول: "وإن الله بإنزاله على عبده ما أنزل عليه من الآيات البيِّنات لهدايتكم، وتبصيركم الرشاد، لذو رافة بكم ورحمة، فمن رأفته ورحمته بكم فعل ذلك"^(٦).

قال مقاتل: "حين هداكم لدينه وبعث فيكم محمدا- صلى الله عليه وسلم- وأنزل عليكم كتابه"^(٧).

قال ابن كثير: "أي: في إنزاله الكتب وإرساله الرسل لهداية الناس، وإزاحة العلل وإزالة الشبه"^(٨).

قال الماتريدي: "أي: حين بين لكم هداكم"^(٩).

القرآن

{وَمَا لَكُمْ أَنَا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مَنكُم مَّنْ أَنْفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلْ أَوْلِيكَ أَكْثَرُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِن بَعْدِ وَقَاتَلُوا وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٠)} [الحديد : ١٠]

التفسير:

وأى شيء يمنعكم من الإنفاق في سبيل الله؟ والله ميراث السموات والأرض يرث كل ما فيهما، ولا يبقى أحد مالكا لشيء فيهما. لا يستوي في الأجر والمثوبة منكم من أنفق من قبل فتح «مكة» وقاتل الكفار، أولئك أعظم درجة عند الله من الذين أنفقوا في سبيل الله من بعد الفتح وقاتلوا الكفار، وكلا من الفريقين وعد الله الجنة، والله بأعمالكم خبير لا يخفى عليه شيء منها، وسيجازيكم عليها.

سبب النزول:

روى محمد بن الفضل عن الكلبي: "أن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه"^(١٠).

قال الثعلبي: "وفي هذه الآية دلالة واضحة وحجة بيينة على فضل أبي بكر بتقديمه لأنه أول من أسلم"^(١١).

قال ابن الجوزي: "قال المفسرون: نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق"^(١).

(١) التفسير الميسر: ٥٣٨.

(٢) تفسير الطبري: ١٧٣/٢٣.

(٣) تفسير ابن كثير: ١١/٨-١٢.

(٤) أخرجه الطبري: ١٧٣/٢٣.

(٥) التفسير الميسر: ٥٣٨.

(٦) تفسير الطبري: ١٧٣/٢٣.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٣٨/٤.

(٨) تفسير ابن كثير: ١٢/٨.

(٩) تأويلات أهل السنة: ٢٣٤/٤.

(١٠) حكاة الثعلبي في: "الكشف والبيان": ٢٣٢/٩.

(١١) الكشف والبيان: ٢٣٢/٩.

عن ابن عمر قال: "كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وعليه عباءة قد خلها في صدره بخلال، فنزل عليه جبريل فقال: مالي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خلها في صدره بخلال؟ فقال: "أنفق ماله علي قبل الفتح" قال: فإن الله عز وجل يقول: اقرأ عليه السلام وقل له: أراض أنت عني في ففرك هذا أم ساخط؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "يا أبا بكر إن الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول لك: أراض أنت في ففرك هذا أم ساخط؟ فقال أبو بكر: أسخط على ربي؟ إني عن ربي راض إني عن ربي راض" (٢).

عن عامر، أن عمر، قال: «لا أسمع بأحد فضلني على أبي بكر إلا جلدته أربعين» (٣).
عن الحكم بن جحل قال: سمعت عليا يقول: "لا يفضلني أحد على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفترى" (٤).

وقال ابن عطية: "روي أنها نزلت بسبب أن جماعة من الصحابة أنفقت نفقات كثيرة حتى قال ناس: هؤلاء أعظم أجرا من كل من أنفق قديما، فنزلت الآية مبينة أن النفقة قبل الفتح أعظم أجرا" (٥).

قوله تعالى: {وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الحديد: ١٠]، أي: "وأى شيء يمنعكم من الإنفاق في سبيل الله؟ والله ميراث السموات والأرض يرث كل ما فيهما، ولا يبقى أحد مالكا لشيء فيهما" (٦).

قال الطبري: يقول: "وما لكم أيها الناس أن لا تنفقوا مما رزقكم الله في سبيل الله، وإلى الله صائر أموالكم إن لم تنفقوها في حياتكم في سبيل الله، لأن له ميراث السموات والأرض، وإنما حثهم جل ثناؤه بذلك على حظهم، فقال لهم: أنفقوا أموالكم في سبيل الله، ليكون ذلكم لكم ذخرا عند الله من قبل أن تموتوا، فلا تقدروا على ذلك، وتصير الأموال ميراثا لمن له السموات والأرض" (٧).

قال الزجاج: "وأى شيء لكم في ترك الإنفاق فيما يقرب من الله وأنتم ميتون تاركون أموالكم" (٨).

قال ابن كثير: "ولما أمرهم أولا بالإيمان والإنفاق، ثم حثهم على الإيمان، وبين أنه قد أزال عنهم موانعه، حثهم أيضا على الإنفاق. فقال: أنفقوا ولا تحشوا فقرا وإقلا فإن الذي أنفقتم في سبيله هو مالك السموات والأرض، وبيده مقاليدهما، وعنده خزائنها، وهو مالك العرش بما حوى، وهو القائل: {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} [سبا: ٣٩]، وقال {مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ} [النحل: ٩٦] فمن توكل على الله أنفق، ولم يخش من ذي العرش إقلا وعلم أن الله سيخلفه عليه" (٩).

قال مقاتل: "فالعباد يرث بعضهم بعضا والرب يبقى فيرثهم" (١٠).

(١) زاد المسير: ٢٣٣/٤.

(٢) رواه البغوي في "التفسير": ٣٤/٨. قال ابن كثير: ١٤/٨: هذا الحديث ضعيف الإسناد من هذا الوجه والله أعلم. "وجه ضعفه فيه العلاء بن عمرو، قال ابن حبان في كتاب المجروحين والضعفاء: ٢ / ١٨٥: يروي عن أبي إسحاق الفزاري العجائب، لا يجوز الاحتجاج به بحال وساق له هذا الحديث. وقال الذهبي في الميزان: ٣ / ١٠٣: متروك، وساق له هذا الحديث من طريق ابن خزيمة، ثم قال: "وهو كذب".

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (٣١٩٤٠): ص ٣٤٩/٦.

(٤) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (٤٩): ص ٨٣/١. وقال المحقق: "إسناده ضعيف".

(٥) المحرر الوجيز: ٢٥٩/٥.

(٦) التفسير الميسر: ٥٣٨.

(٧) تفسير الطبري: ١٧٣/٢٣-١٧٤.

(٨) معاني القرآن: ١٢٣/٥.

(٩) تفسير ابن كثير: ١٢/٨.

(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٣٩/٤.

عن عثمان بن سعيد، قال جبريل: "يا محمد، الله الخلق كله والسموات كلهن ومن فيهن والأرضون كلهن ومن فيهن، ومن بينهن مما يعلم ومما لا يعلم"^(١).
 قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلٌ﴾ [الحديد : ١٠]، أي: "لا يستوي في الأجر والثوبة منكم من أنفق من قبل فتح «مكة» وقاتل الكفار"^(٢).
 وفي قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلٌ﴾ [الحديد : ١٠]، وجوه من التفسير:

أحدها: معناه: لا يستوي منكم أيها الناس من آمن قبل فتح مكة وهاجر. وهذا قول مجاهد^(٣)، قال مجاهد: "أمن فأنفق، يقول: من هاجر ليس كمن لم يهاجر"^(٤).
 قال مجاهد: "يقول: ليس من أنفق وهاجر كمن لم ينفق ولم يهاجر"^(٥).
 الثاني: عني بالفتح فتح مكة، وبالنفقة: النفقة في جهاد المشركين. وهذا قول قتادة^(٦).
 عن قتادة وابن زيد، في قوله: ﴿مَنْ قَبْلَ الْفَتْحِ﴾، قالوا: "فتح مكة"^(٧).
 قال قتادة: "كان قتالان، أحدهما أفضل من الآخر، وكانت نفقتان إحداهما أفضل من الأخرى، كانت النفقة والقتال من قبل الفتح "فتح مكة" أفضل من النفقة والقتال بعد ذلك"^(٨).
 قال ابن كثير: "أي : لا يستوي هذا ومن لم يفعل كفعله، وذلك أن قبل فتح مكة كان الحال شديداً، فلم يكن يؤمن حينئذ إلا الصديقون، وأما بعد الفتح فإنه ظهر الإسلام ظهوراً عظيماً، ودخل الناس في دين الله أفواجا ؛ ولهذا قال : ﴿أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةٍ مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾. والجمهور على أن المراد بالفتح هاهنا فتح مكة"^(٩).
 قال الثعلبي: "يعني: فتح مكة في قول أكثر المفسرين"^(١٠).

عن أنس قال : "كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف كلام، فقال خالد لعبد الرحمن : تستطيلون علينا بأيام سبقتمونا بها ؟ فبلغنا أن ذلك ذكر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : " دعوا لي أصحابي فولذي نفسي بيده، لو أنفقتم مثل أحد - أو مثل الجبال - ذهباً، ما بلغتم أعمالهم"^(١١).

ومعلوم أن إسلام خالد بن الوليد المواجه بهذا الخطاب كان بين صلح الحديبية وفتح مكة، وكانت هذه المشاجرة بينهما في بني جذيمة الذين بعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد بعد الفتح، فجعلوا يقولون : "صبأنا، صبأنا"، فلم يحسنوا أن يقولوا : "أسلمنا"، فأمر خالد بقتلهم وقتل من أسر منهم، فخالفه عبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن عمر وغيرهما. فاختصم خالد وعبد الرحمن بسبب ذلك^(١٢).

والذي في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " لا تسبوا أصحابي، فولذي نفسي بيده، لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً، ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه"^(١٣).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٠٧٢):ص٤/١٠٨٥. في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء : ١٣٢].

(٢) التفسير الميسر: ٥٣٨.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ١٧٤/٢٣.

(٤) أخرجه الطبري: ١٧٤/٢٣.

(٥) تفسير مجاهد: ٦٤٨.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ١٧٤/٢٣.

(٧) أخرجه الطبري: ١٧٥/٢٣.

(٨) أخرجه الطبري: ١٧٤/٢٣.

(٩) تفسير ابن كثير: ١٢/٨.

(١٠) الكشف والبيان: ٢٣٢/٩.

(١١) المسند (٢٦٦/٣).

(١٢) رواه البخاري في صحيحه برقم (٧١٨٩) من حديث بن عمر، رضي الله عنه.

(١٣) صحيح البخاري برقم (٣٦٧٣) وصحيح مسلم برقم (٢٥٤١) من حديث أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه.

الثالث: عني بالفتح في هذا الموضع: صلح الحديبية. وهذا قول الشعبي^(١)، واختيار الطبري^(٢).
عن عامر، في هذه الآية، قوله: {لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلٌ}، قال:
"فتح الحديبية، قال: "فصل ما بين العمرتين فتح الحديبية"^(٣).

قال عامر: "فصل ما بين الهجرتين فتح الحديبية، يقول تعالى ذكره: {لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلٌ ...}، الآية"^(٤).

عن عامر، قال: "فصل ما بين الهجرتين فتح الحديبية". وأنزلت: {لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ} إلى {وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}، فقالوا: يا رسول الله فتح هو؟ قال: «نَعَمْ عَظِيمٌ»^(٥).

عن أبي سعيد الخدري، قال، قال لنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عام الحديبية:
"يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ قَوْمٌ تَحْقِرُونَ أَعْمَالَكُمْ مَعَ أَعْمَالِهِمْ، قُلْنَا: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ، أَقْرِيشُ هُمْ؟ قَالَ:
لَا وَلَكِنْ أَهْلُ الْيَمَنِ أَرْقُ أَفئِدَةً وَأَلَيْنُ قُلُوبًا، فَقُلْنَا: هُمْ خَيْرٌ مِنَّا يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: لَوْ كَانَ لِأَحَدِهِمْ
جَبَلٌ مِنْ ذَهَبٍ فَأَنْفَقَهُ مَا أَذْرَكَ مَدًّا أَحَدِكُمْ وَلَا نَصِيفَهُ، أَلَا إِنَّ هَذَا فَصْلٌ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ النَّاسِ، {لَا
يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ}... الآية، إلى قوله: {وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}"^(٦).

وفي رواية عن أبي سعيد التمار: أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "يوشك أن
يأتي قوم تحقرون أعمالكم مع أعمالهم". قلنا: من هم يا رسول الله؟ قریش؟ قال: "لا ولكن
أهل اليمن، لأنهم أرق أفئدة، وألين قلوبًا". وأشار بيده إلى اليمن، فقال: "هم أهل اليمن، ألا إن
الإيمان يمان، والحكمة يمانية". قلنا: يا رسول الله، هم خير منا؟ قال: "والذي نفسي بيده، لو
كان لأحدهم جبل من ذهب ينفقه ما أدى مدًّا أحدكم ولا نصيفه". ثم جمع أصابعه ومد خصره،
وقال: "ألا إن هذا فضل ما بيننا وبين الناس، {لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلٌ
أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةٍ مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتِلُوا وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى}"^(٧).

قال ابن كثير: "فهذا السياق ليس فيه ذكر الحديبية فإن كان ذلك محفوظا كما تقدم،
فيحتمل أنه أنزل قبل الفتح إخبارا عما بعده، كما في قوله تعالى في سورة "المزمل" - وهي
مكية، من أوائل ما نزل - {وَأَخْرَجُوا يِقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} الآية [المزمل: ٢٠] فهي بشارة بما
يستقبل، وهكذا هذه والله أعلم"^(٨).

قوله تعالى: {أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةٍ مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتِلُوا} [الحديد: ١٠]، أي:
أولئك أعظم درجة عند الله من الذين أنفقوا في سبيل الله من بعد الفتح وقاتلوا الكفار"^(٩).
قال الطبري: يقول: "هؤلاء الذين أنفقوا في سبيل الله من قبل فتح الحديبية، وقاتلوا
المشركين، أعظم درجة في الجنة عند الله من الذين أنفقوا من بعد ذلك وقاتلوا"^(١٠).
قال الزجاج: "لأن من تقدم في الإيمان بالله وبرسوله عليه السلام وصدق به فهو أفضل
ممن أتى بعده بالإيمان والتصديق، لأن المتقدمين نالهم من المشقة أكثر مما نال من بعدهم،
فكانت بصائرهم أيضا أنفذ"^(١).

(١) انظر: تفسير الطبري: ١٧٥/٢٣.

(٢) تفسير الطبري: ١٧٦/٢٣. وقال: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي أن يقال: معنى ذلك لا يستوي
منكم أيها الناس من أنفق في سبيل الله من قبل فتح الحديبية، للذي ذكرنا من الخبر عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ، الذي روينا عن أبي سعيد الخدري عنه، وقاتل المشركين، بمن أنفق بعد ذلك وقاتل، وترك ذكر من أنفق
بعد ذلك وقاتل، استغناء بدلالة الكلام الذي ذكر عليه من ذكره".

(٣) أخرجه الطبري: ١٧٥/٢٣.

(٤) أخرجه الطبري: ١٧٥/٢٣.

(٥) أخرجه الطبري: ١٧٥/٢٣.

(٦) أخرجه الطبري: ١٧٦/٢٣.

(٧) أخرجه الطبري: ١٧٦/٢٣.

(٨) تفسير ابن كثير: ١٣/٨.

(٩) التفسير الميسر: ٥٣٨.

(١٠) تفسير الطبري: ١٧٦/٢٣-١٧٧.

قال ابن عطية: "حكم هذه الآية باق غابر الدهر من أنفق في وقت حاجة السبيل أعظم أجرا ممن أنفق مع استغناء السبيل"^(٢).
قوله تعالى: {وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى} [الحديد : ١٠]، أي: "وكلا من الفريقين وعد الله الجنة"^(٣).

قال الطبري: يقول: "يقول تعالى ذكره: وكلّ هؤلاء الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا، والذين أنفقوا من بعد وقاتلوا، وعد الله الجنة بإنفاقهم في سبيله، وقاتلهم أعداءه"^(٤).
قال البغوي: "أي: كلا الفريقين وعدهم الله الجنة"^(٥).

قال ابن كثير: "يعني: المنفقين قبل الفتح وبعده، كلهم لهم ثواب على ما عملوا، وإن كان بينهم تفاوت في تفاضل الجزاء كما قال: {لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا} [النساء : ٩٥]. وهكذا الحديث الذي في الصحيح : «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير»^(٦). وإنما نبّه بهذا لئلا يُهدر جانب الآخر بمدح الأول دون الآخر، فيتوهم متوهم ذمه ؛ فلهذا عطف بمدح الآخر والثناء عليه، مع تفضيل الأول عليه"^(٧).
عن مجاهد، وقاتدة، في قوله تعالى: "لِمَنْ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى}، قالوا: "الجنة"^(٨).

قال مجاهد: "يعني: الحسنة، والحسنى هي الجنة"^(٩).
قال عطاء: "درجات الجنة تتفاضل، فالذين أنفقوا قبل الفتح في أفضلها"^(١٠).
قال الزجاج: "إلا أنه أعلم فضل السابق إلى الإيمان على المتأخر"^(١١).
قوله تعالى: {وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [الحديد : ١٠]، أي: "والله بأعمالكم خبير لا يخفى عليه شيء منها، وسيجازيكم عليها"^(١٢).
قال مقاتل: "بما أنفقتم من أموالكم"^(١٣).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: والله بما تعملون من النفقة في سبيل الله، وقاتل أعدائه، وغير ذلك من أعمالكم التي تعملون خبير، لا يخفى عليه منها شيء، وهو مجازيكم على جميع ذلك يوم القيامة"^(١٤).

قال ابن كثير: "أي : فلخبرته فافتت بين ثواب من أنفق من قبل الفتح وقاتل، ومن فعل ذلك بعد ذلك، وما ذلك إلا لعلمه بقصد الأول وإخلاصه التام، وإنفاقه في حال الجهد والقلة والضيق. وفي الحديث : «سبق درهم مائة ألف»^(١٥)، ولا شك عند أهل الإيمان أن الصديق أبا

(١) معاني القرآن: ١٢٣/٥.

(٢) المحرر الوجيز: ٢٥٩/٥.

(٣) التفسير الميسر: ٥٣٨.

(٤) تفسير الطبري: ١٧٧/٢٣.

(٥) تفسير البغوي: ٣٤/٨.

(٦) صحيح مسلم برقم (٢٦٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٧) تفسير ابن كثير: ١٣/٨-١٤.

(٨) أخرجه الطبري: ١٧٧/٢٣.

(٩) تفسير مجاهد: ٦٤٨.

(١٠) نقلا عن: تفسير البغوي: ٣٤/٨.

(١١) معاني القرآن: ١٢٣/٥.

(١٢) التفسير الميسر: ٥٣٨.

(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٣٩/٤.

(١٤) تفسير الطبري: ١٧٧/٢٣.

(١٥) رواه النسائي في السنن (٥٩/٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

بكر، رضي الله عنه، له الحظ الأوفر من هذه الآية، فإنه سيّد من عمل بها من سائر أمم الأنبياء، فإنه أنفق ماله كله ابتغاء وجه الله، عز وجل، ولم يكن لأحد عنده نعمة يجزيه بها^(١).
قال ابن عطية: "قوله تعالى: {وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}، قول فيه وعد ووعد"^(٢).
فوائد الآيات: [٧-١٠]:

- ١- وجوب الإيمان بالله ورسوله وتقويته.
- ٢- وجوب الإنفاق في سبيل الله من زكاة ونفقة جهاد وصدقة على الفقراء والمساكين.
- ٣- بيان لطف الله ورافته ورحمته بعباده مما يستلزم محبته وطاعته وشكره.
- ٤- الإنفاق في المجاعات والشدائد والحروب أفضل منه في اليسر والعافية.
- ٥- الترغيب في الإنفاق في سبيل الله بمضاعفة الأجر حتى يكون الدينار بألف دينار عند الله تعالى وما عند الله خير وأبقى، وللآخرة خير من الأولى.

القرآن

{مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ} [الحديد : ١١]

التفسير:

من ذا الذي ينفق في سبيل الله محتسباً من قلبه بلا منّ ولا أذى، فيضاعف له ربه الأجر والثواب، وله جزاء كريم، وهو الجنة؟

قوله تعالى: {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا} [الحديد : ١١]، أي: "من ذا الذي ينفق في سبيل الله محتسباً من قلبه بلا منّ ولا أذى"^(٣).

وفي قوله تعالى: {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا} [الحديد : ١١]، وجوه من

التفسير:

أحدهما: أنه الإنفاق في سبيل الله، قال عمر بن الخطاب^(٤)، وبه قال الطبري^(٥).
قال الطبري: "من هذا الذي ينفق في سبيل الله في الدنيا، محتسباً في نفقته، مبتغياً ما عند الله، وذلك هو القرض الحسن"^(٦).

الثاني: أنه النفقة على العيال. حكاه ابن كثير^(٧).

قال ابن كثير: "والصحيح أنه أعم من ذلك، فكل من أنفق في سبيل الله بنية خالصة وعزيمة صادقة، دخل في عموم هذه الآية"^(٨).

قال الحسن البصري: "كلّ ما في القرآن من القرض الحسن فهو التطوع"^(٩).

عن أبي حيان، عن أبيه: "عن شيخ لهم أنه كان إذا سمع السائل يقول: {من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً}، فقال: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، هذا القرض"^(١٠).

قوله تعالى: {فَيُضَاعِفَهُ لَهُ} [الحديد : ١١]، أي: "فيضاعف له ربه الأجر والثواب"^(١١).

قال الطبري: "يقول: فيضاعف له ربه قرضه ذلك الذي أقرضه، بإنفاقه في سبيله، فيجعل له بالواحدة سبع مئة"^(١٢).

(١) تفسير ابن كثير: ١٤/٨.

(٢) المحرر الوجيز: ٢٥٩/٥.

(٣) التفسير الميسر: ٥٣٨.

(٤) نقلاً عن: تفسير ابن كثير: ١٤/٨.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ١٧٧/٢٣.

(٦) تفسير الطبري: ١٧٧/٢٣.

(٧) تفسير ابن كثير: ١٤/٨.

(٨) تفسير ابن كثير: ١٤/٨.

(٩) تفسير الثعلبي ٢٤٣/٩.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (٢٤٣٣): ص ٤٦١/٢.

(١١) التفسير الميسر: ٥٣٨.

(١٢) تفسير الطبري: ١٧٧/٢٣.

قوله تعالى: {وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ} [الحديد : ١١]، أي: "وله جزاء كريم، وهو الجنة"^(١).
 قال الطبري: "يقول: وله ثواب وجزاء كريم، يعني بذلك الأجر: الجنة"^(٢).
 قال ابن كثير: "أي: جزاء جميل ورزق باهر - وهو الجنة - يوم القيامة"^(٣).
 عن ابن جريج، في قوله: "{لَهُمْ مَعْوَرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ}"، قال: كل شيء في القرآن: {لَهُمْ مَعْفَرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ}، {وَرَزَقٌ كَرِيمٌ} فهو الجنة"^(٤).

القرآن

{يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢)} [الحديد : ١٢]
 التفسير:

يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم على الصراط بين أيديهم وعن أيمنهم، بقدر أعمالهم، ويقال لهم: بشراكم اليوم دخول جنات واسعة تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، لا تخرجون منها أبداً، ذلك الجزاء هو الفوز العظيم لكم في الآخرة.
 قوله تعالى: {يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ} [الحديد : ١٢]، أي: "يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم على الصراط بين أيديهم وعن أيمنهم، بقدر أعمالهم"^(٥).

قال الطبري: أي: "وكلا وعد الله الحسنى، يوم ترون المؤمنين والمؤمنات يمضي ثواب إيمانهم وعملهم الصالح بين أيديهم، وفي أيمنهم كتب أعمالهم تتطير"^(٦).
 قال ابن كثير: "يقول تعالى مخبراً عن المؤمنين المتصدقين: أنهم يوم القيامة يسعون نورهم بين أيديهم في عرصات القيامة، بحسب أعمالهم"^(٧).
 قال الزمخشري: "وإنما قال بين أيديهم وبأيمنهم لأن السعداء يؤتون صحائف أعمالهم من هاتين الجهتين، كما أن الأشقياء يؤتونها من شمائلهم ومن وراء ظهورهم، فجعل النور في الجهتين شعارا لهم وآية، لأنهم هم الذين بحسناتهم سعدوا وبصحائفهم البيض أفلحوا، فإذا ذهب بهم إلى الجنة ومروا على الصراط يسعون، سعى بسعيهم ذلك النور جنبا لهم ومتقدما"^(٨).
 عن الحسن في قوله: {يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ} يعني: "على الصراط"^(٩).
 عن جنادة بن أمية قال: "إنكم مكتوبون عند الله بأسمائكم، وسيماكم وخلائكم، ونجواكم ومجالسكم، فإذا كان يوم القيامة قيل: يا فلان، هذا نورك. يا فلان، لا نور لك. وقرأ: {يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ}"^(١٠).

وفي قوله تعالى: {يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ} [الحديد : ١٢]، وجهان من التفسير:
 أحدهما: معناه: يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعون نورهم بين أيديهم وبأيمنهم. وهذا قول عبدالله بن مسعود^(١١)، وقتادة^(١٢).

(١) التفسير الميسر: ٥٣٨.

(٢) تفسير الطبري: ١٧٨/٢٣.

(٣) تفسير ابن كثير: ١٤/٨.

(٤) الدر المنثور: ٢٤٦/٥، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٥) التفسير الميسر: ٥٣٩.

(٦) تفسير الطبري: ١٧٩/٢٣.

(٧) تفسير ابن كثير: ١٥/٨.

(٨) الكشف: ٤٧٥/٤.

(٩) نقل عن: تفسير ابن كثير: ١٥/٨.

(١٠) رواه سفيان الثوري كما في تفسير ابن كثير: ١٥/٨.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ١٧٩/٢٣.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ١٧٨/٢٣.

قال قتادة: "ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: "من المؤمنين من يضيء نوره من المدينة إلى عدن أبيين فصنعاء، فدون ذلك، حتى إن من المؤمنين من لا يضيء نوره إلا موضع قدميه"^(١).

قال عبدالله: "عن عبد الله، قال: يؤتون نورهم على قدر أعمالهم، فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة، ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم، وأدناهم نورا على إبهامه يطفأ مرة ويقدم مرة"^(٢).
الثاني: معناه: يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى إيمانهم وهداهم بين أيديهم، وبأيمانهم: كتبهم. وهذا قول الضحاك^(٣).

عن الضحاك في قوله: "يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ": كتبهم، يقول الله: فأما من أوتي كتابه بيمينه، وأما نورهم فهداهم"^(٤).

قال الطبري: "وأولى القولين في ذلك بالصواب القول الذي ذكرناه عن الضحاك، وذلك أنه لو عنى بذلك النور الضوء المعروف، لم يخص عنه الخبر بالسعي بين الأيدي والأيمان دون الشمائل، لأن ضياء المؤمنين الذي يؤتونه في الآخرة يضيء لهم جميع ما حولهم، وفي خصوص الله جل ثناؤه الخبر عن سعيه بين أيديهم وبأيمانهم دون الشمائل، ما يدل على أنه معنى به غير الضياء، وإن كانوا لا يخلون من الضياء"^(٥).

عن الرحمن بن جبير، أنه سمع أبا الدرداء وأبا ذر يخبران عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وأنا أول من يؤذن له يوم القيامة بالسجود، وأول من يؤذن له برفع رأسه، فأنظر من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي، فأعرف أمتي من بين الأمم» فقال له رجل: يا نبي الله، كيف تعرف أمتك من بين الأمم، ما بين نوح إلى أمتك؟ قال: أعرفهم، محجلون من أثر الضوء، ولا يكون لأحد من الأمم غيرهم، وأعرفهم يؤتون كتبهم بأيمانهم، وأعرفهم بسيماهم في وجوههم، وأعرفهم بنورهم يسعى بين أيديهم ودريتهم"^(٦).

قوله تعالى: {بُشِّرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} [الحديد: ١٢]، أي: "ويقال لهم: بشراكم اليوم دخول جنات واسعة تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار"^(٧).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: يقال لهم: بشارتكم اليوم أيها المؤمنون التي تبشرون بها، جنات تجري من تحتها الأنهار، فأبشروا بها"^(٨).

قال ابن كثير: "أي: يقال لهم: بشراكم اليوم جنات، أي: لكم البشارة بجنات تجري من تحتها الأنهار"^(٩).

قال الزمخشري: "ويقول لهم الذين يتلقونهم من الملائكة: {بُشِّرَاكُمُ الْيَوْمَ}"^(١٠).

عن السدي: "جنات"، قال: البساتين"^(١١).

قال مجاهد: "الجنات: حوائط"^(١٢).

عن أبي مالك قوله: "تجري من تحتهم الأنهار"، يعني: تحت منازلهم وأرضهم"^(١٣).

(١) أخرجه الطبري: ١٧٨/٢٣.

(٢) أخرجه الطبري: ١٧٩/٢٣.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ١٧٩/٢٣.

(٤) أخرجه الطبري: ١٧٩/٢٣.

(٥) تفسير الطبري: ١٧٩/٢٣.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٨٢٠): ص ٣٣٣٦-٣٣٣٧.

(٧) التفسير الميسر: ٥٣٩.

(٨) تفسير الطبري: ١٨٠/٢٣.

(٩) تفسير ابن كثير: ١٦/٨.

(١٠) الكشاف: ٤٧٥/٤.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٥٨٢٤): ص ٢٧٩٦/٩.

(١٢) تفسير مجاهد: ٤٩٦.

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٢٣٨): ص ١٩٢٩/٦.

قال مسروق: "أنهار الجنة تجري في غير أخدود، ثمها كالقلال، كلما نزلت ثمرة عادت مثلها أخرى، والعنقود اثنا عشر ذراعا"^(١).

قوله تعالى: {خَالِدِينَ فِيهَا} [الحديد : ١٢]، أي: "لا تخرجون منها أبدًا"^(٢).

قال الطبري: "يقول: ماكثين في الجنات، لا ينتقلون عنها ولا يتحولون"^(٣).

قال ابن كثير: "أي : ماكثين فيها أبدًا"^(٤).

عن سعيد بن جبير: " {خَالِدِينَ فِيهَا}، يعني: لا يموتون"^(٥).

قوله تعالى: {ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [الحديد : ١٢]، أي: "ذلك الجزاء هو الفوز العظيم لكم في الآخرة"^(٦).

قال الطبري: "يقول: خلودهم في الجنات التي وصفها، هو النجاح العظيم الذي كانوا

يطلبونه بعد النجاة من عقاب الله، ودخول الجنة خالدين فيها"^(٧).

عن أبي مالك، قوله: " {ذلك}، يعني: هذا"^(٨).

قال سعيد بن جبير: " يعني: ذلك الثواب الفوز العظيم"^(٩).

القرآن

{يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ (١٣)}

[الحديد : ١٣]

التفسير:

يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا، وهم على الصراط: انتظرونا نستضيء من نوركم، فتقول لهم الملائكة -على وجه السخرية منهم-: ارجعوا وراءكم فاطلبوا نوراً، ففصل بينهم بسور له باب، باطنه مما يلي المؤمنين فيه الرحمة، وظاهره مما يلي المنافقين من جهته العذاب.

قوله تعالى: {يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ}

[الحديد : ١٣]، أي: "يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا، وهم على الصراط: انتظرونا نستضيء من نوركم"^(١٠).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: هو الفوز العظيم في يوم يقول المنافقون والمنافقات،

للذين آمنوا بالله ورسوله: انتظرونا نستصبح من نوركم"^(١١).

قال ابن كثير: " هذا إخبار منه تعالى عما يقع يوم القيامة في العرصات من الأحوال

المزعجة، والزلازل العظيمة، والأمور الفظيعة وإنه لا ينجو يومئذ إلا من آمن بالله ورسوله، وعمل بما أمر الله، به وترك ما عنه زجر"^(١٢).

قال الزمخشري: " {انظُرُونَا}، أي: انتظرونا، لأنهم يسرع بهم إلى الجنة كالبروق

الخاطفة على ركاب تزف بهم. وهؤلاء مشاة. وانظروا إلينا، لأنهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم والنور بين أيديهم فيستضيئون به"^(١٣).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٦٧٨): ص ٨٤٥/٣.

(٢) التفسير الميسر: ٥٣٩.

(٣) تفسير الطبري: ١٨٠/٢٣.

(٤) تفسير ابن كثير: ١٦/٨.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٩٥٩): ص ٨٩١/٣، و(١٠٥٠٠): ص ١٨٣٣/٦.

(٦) التفسير الميسر: ٥٣٩.

(٧) تفسير الطبري: ١٨٠/٢٣.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٤٦٥): ص ١٩٦٦/٦.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٩٦٠): ص ٨٩١ /٣.

(١٠) التفسير الميسر: ٥٣٩.

(١١) تفسير الطبري: ١٨٠/٢٣، ١٨١.

(١٢) تفسير ابن كثير: ١٦/٨.

عن أبي أمامة قال: "تبعث ظلمة يوم القيامة فما من مؤمن ولا كافر يرى كفه، حتى يبعث الله بالنور إلى المؤمنين بقدر أعمالهم، فيتبعهم المنافقون فيقولون: انظرونا نقتبس من نوركم" (١).

عن سليم ابن عامر قال: "خرجنا على جنازة في باب دمشق، ومعنا أبو أمامة الباهلي، فلما صلى على الجنازة وأخذوا في دفنها، قال أبو أمامة: أيها الناس، إنكم قد أصبحتم وأمسيتم في منزل تقتسمون فيه الحسنات والسيئات، وتوشكون أن تظعنوا منه إلى منزل آخر، وهو هذا يشير إلى القبر- بيت الوحدة، وبيت الظلمة، وبيت الدود، وبيت الضيق، إلا ما وسع الله، ثم تنتقلون منه إلى مواطن يوم القيامة، فإنكم في بعض تلك المواطن حتى يغشى الناس في أمر من الله، ف تبيض وجوه وتسود وجوه، ثم تنتقلون منه إلى منزل آخر تغشى الناس ظلمة شديدة، ثم يقسم النور فيعطى المؤمن نورا، ويترك الكافر والمنافق فلا يعطيان شيئا وهو المثل الذي ضربه الله في كتابه قال: أو كظلمات في بحر لجي إلى قوله: فما له من نور فلا يستضيء الكافر والمنافق بنور المؤمن، كما لا يستضيء الأعمى بنور البصير، ويقول المنافقون ... للذين آمنوا: {انظرونا نقتبس من نوركم} [الحديد: ١٣] ، {قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا} [الحديد: ١٣]، وهي خدعة الله التي خدع بها المنافقين حيث قال: {يخادعون الله وهو خادعهم} [النساء: ١٤٢]، فيرجعون إلى المكان الذي قسم فيه النور. فلا يجدون شيئا، فيصرفون إليهم وقد ضرب {بينهم سور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب} [الحديد: ١٣].. الآية، يقول سليم بن عامر: فما يزال المنافق مغترا حتى يقسم النور، ويميز الله بين المؤمن والمنافق" (٢).

عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن الله يدعو الناس يوم القيامة بأسمائهم سترًا منه على عباده، وأما عند الصراط فإن الله يعطي كل مؤمن نورا، وكل منافق نورا، فإذا استوتوا على الصراط سلب الله نور المنافقين والمنافقات فقال المنافقون: {انظرونا نقتبس من نوركم} وقال المؤمنون: {ربنا أئمم لنا نورنا} [التحریم: ٨]. فلا يذكر عند ذلك أحد أحدا" (٣).

وقرى: «أنظرونا»، من النظرة وهي الإمهال: جعل اتئادهم في المضي إلى أن يلحقوا بهم إنظارا لهم (٤).

قوله تعالى: {قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا} [الحديد: ١٣]، أي: "فتقول لهم الملائكة -على وجه السخرية منهم-: ارجعوا وراءكم فاطلبوا نورا" (٥).
قال الطبري: "يقول جل ثناؤه: فيجابون بأن يقال لهم: ارجعوا من حيث جئتم، واطلبوا لأنفسكم هنالك نورا، فإنه لا سبيل لكم إلى الاقتباس من نورنا" (٦).

قال الزمخشري: "طرد لهم وتهكم بهم، أي: ارجعوا إلى الموقف إلى حيث أعطينا هذا النور فالتمسوه هنالك، فمن ثم يقتبس. أو ارجعوا إلى الدنيا، فالتمسوا نورا بتحصيل سببه وهو الإيمان. أو ارجعوا خائبين وتتحوا عنا، فالتمسوا نورا آخر، فلا سبيل لكم إلى هذا النور، وقد علموا أن لا نور وراءهم، وإنما هو تخيب وإقنات لهم" (٧).

قال ابن عباس: "بينما الناس في ظلمة، إذ بعث الله نورا، فلما رأى المؤمنون النور توجهوا نحوه، وكان النور دليلا من الله إلى الجنة؛ فلما رأى المنافقون المؤمنين قد انطلقوا،

(١) الكشاف: ٤٧٥/٤.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٨٢٢): ص ٣٣٣٧/١٠.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٨٢١): ص ٣٣٣٧/١٠.

(٤) المعجم الكبير (١٢٢/١١) وقال الهيثمي في المجمع (٣٩٥/١٠) : "فيه إسحاق بن بشر وهو متروك".

(٥) انظر: الكشاف: ٤٧٥/٤.

(٦) التفسير الميسر: ٥٣٩.

(٧) تفسير الطبري: ١٨١/٢٣.

(٨) الكشاف: ٤٧٥/٤-٤٧٦.

تبعوهم، فأظلم الله على المنافقين، فقالوا حينئذ: انظرونا نقتبس من نوركم، فإننا كنا معكم في الدنيا؛ قال المؤمنون: ارجعوا من حيث جئتم من الظلمة، فالتمسوا هنالك النور" (١).
 قوله تعالى: {فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ} [الحديد : ١٣]، أي: " فضرب بين المؤمنين والمنافقين بحاجز له باب، يحجز بين أهل الجنة وأهل النار" (٢).
 وفي قوله تعالى: {فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ} [الحديد : ١٣]، ثلاثة وجوه من التفسير: أحدها : أنه حائط بين الجنة والنار ، قاله الحسن (٣)، وقتادة (٤)، وبه قال الطبري (٥).
 قال الطبري: " فضرب الله بين المؤمنين والمنافقين بسور، وهو حاجز بين أهل الجنة وأهل النار" (٦).

قال قتادة: " السور: حائط بين الجنة والنار" (٧).
 الثاني : أنه حجاب في الأعراف ، قاله مجاهد (٨)، وابن زيد (٩)، وبه قال ابن كثير (١٠).
 قال يحيى: "والأعراف جبل أحد فيما بلغني يمثل يوم القيامة بين الجنة والنار" (١١).
 عن مجاهد، في قوله: {بِسُورٍ لَهُ بَابٌ}، قال: " كالحجاب في الأعراف" (١٢).
 عن مجاهد: " {فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ} تفسيره: السور: الأعراف" (١٣).
 قال مجاهد: " إن المنافقين كانوا مع المؤمنين أحياء في الدنيا يناكحونهم ويعاشرونهم، وكانوا معهم أمواتا، ويعطون النور جميعا يوم القيامة فيطفأ نور المنافقين إذا بلغوا السور يماز بينهم يومئذ، والسور كالحجاب في الأعراف، فيقولون: {انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراعكم فالتمسوا نورا} [الحديد : ١٣]" (١٤).
 عن ابن وهب، قال: " قال ابن زيد، في قوله: {فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ}، قال: هذا السور الذي قال الله: {وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ}" (١٥).
 الثالث : أنه سور المسجد الشرقي، بيت المقدس. قاله عبد الله بن عمرو بن العاص (١٦)، وابن عباس (١٧)، وكعب الأحمار (١٨).

روي عن علي بن عبد الله بن عباس: " عند وادي جهنم، فحدث عن أبيه قال: { فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ } [الحديد: ١٣] فقال: «هذا موضع السور عند وادي جهنم»" (١٩).
 عن شريح: " أن كعبا كان يقول في الباب الذي في بيت المقدس: إنه الباب الذي قال الله {فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ}" (١).

(١) أخرجه الطبري: ١٨٢/٢٣.

(٢) صفوة التفاسير: ٣٠٥/٣.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير: ١٧/٨.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ١٨٢/٢٣.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ١٨١/٢٣.

(٦) تفسير الطبري: ١٨١/٢٣.

(٧) أخرجه الطبري: ١٨٢/٢٣.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ١٨٢/٢٣.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ١٨٣/٢٣.

(١٠) انظر: تفسير ابن كثير: ١٧/٨.

(١١) نقلا عن تفسير ابن أبي زمنين: ٣٥١/٤.

(١٢) أخرجه الطبري: ١٨٢/٢٣.

(١٣) ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٣٥١ /٤ -.

(١٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٨٢٤): ص ٣٣٣٨/١٠.

(١٥) أخرجه الطبري: ١٨٣/٢٣.

(١٦) انظر: تفسير الطبري: ١٨٣/٢٣.

(١٧) انظر: تفسير الطبري: ١٨٣/٢٣.

(١٨) انظر: تفسير الطبري: ١٨٣/٢٣.

(١٩) أخرجه الطبري: ١٨٣/٢٣.

عن أبي العوام مؤدّن بيت المقدس، قال: "سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: إن السور الذي ذكره الله في القرآن: {فَضْرَبَ بَيْنَهُمْ سُورَ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ}، هو السور الشرقي، باطنه المسجد، وظاهره وادي جهنم" (١).

قال ابن كثير: " وهذا محمول منهم على أنهم أرادوا بهذا تقريب المعنى ومثالا لذلك، لا أن هذا هو الذي أريد من القرآن هذا الجدار المعين ونفس المسجد وما وراءه من الوادي المعروف بوادي جهنم ؛ فإن الجنة في السموات في أعلى عليين، والنار في الدركات أسفل سافلين. وقول كعب الأحبار : إن الباب المذكور في القرآن هو باب الرحمة الذي هو أحد أبواب المسجد، فهذا من إسرائيلياته وثرّاهته. وإنما المراد بذلك : سورٌ يُضْرَبُ يوم القيامة ليحجز بين المؤمنين والمنافقين، فإذا انتهى إليه المؤمنون دخلوه من بابه، فإذا استكملوا دخولهم أغلق الباب وبقي المنافقون من ورائه في الحيرة والظلمة والعذاب، كما كانوا في الدار الدنيا في كفر وجهل وشك وحيرة" (٢).

قوله تعالى: {بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ} [الحديد : ١٣]، أي: "في باطن السور الذي هو جهة المؤمنين الرحمة وهي الجنة، وفي ظاهره وهو جهة الكافرين العذاب وهو النار" (٣).

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: لذلك السور باب، باطنه فيه الرحمة، وظاهره من قبل ذلك الظاهر العذاب: يعني النار" (٤).

عن الحسن: " {بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ} قال: الجنة، {وَوَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ} قال: النار" (٥).

عن قتادة: " {وَوَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ}، أي: النار" (٦).

عن ابن زيد، في قوله: {بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ}، قال: الجنة وما فيها" (٧).

عن أبي فاختة، قال: "يجمع الله الخلائق يوم القيامة، ويرسل الله على الناس ظلمة، فيستغيثون ربهم، فيؤتي الله كل مؤمن يومئذ نورا، ويؤتي المنافقين نورا، فينطلقون جميعا متوجهين إلى الجنة معهم نورهم، فبينما هم كذلك إذ طفا الله نور المنافقين، فيترددون في الظلمة، ويسبقهم المؤمنون بنورهم بين أيديهم، فينادونهم: {انظرونا نقتبس من نوركم}، {فَضْرَبَ بَيْنَهُمْ سُورَ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ} حيث ذهب المؤمنون {فِيهِ الرَّحْمَةُ} ومن قِبَلِهِ الْجَنَّةُ، ويناديهم المنافقون: {أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ}. قالوا: {بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ}. فيقول المنافقون بعضهم لبعض، وهم يئسجون في الظلمة: تعالوا نلتمس إلى المؤمنين سبيلا، فيسقطون على هوة، فيقول بعضهم لبعض: إن هذا ينفق بكم إلى المؤمنين. فيتهافتون فيها، فلا يزالون يهونون فيها حتى ينتهوا إلى قعر جهنم، فهناك خدع المنافقون كما قال الله: {وَهُوَ خَادِعُهُمْ} [النساء: ١٤٢] (٨).

القرآن

{يُنَادُوهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ (١٤)} [الحديد : ١٤]

التفسير:

(١) أخرجه الطبري: ١٨٣/٢٣.

(٢) أخرجه الطبري: ١٨٣/٢٣.

(٣) تفسير ابن كثير: ١٨/٨.

(٤) صفوة التفاسير: ٣٠٥/٣.

(٥) تفسير الطبري: ١٨٤/٢٣.

(٦) أخرجه ابن أبي شيبه ١٣/١٧٥، ٥٢٨.

(٧) أخرجه الطبري: ١٨٤/٢٣.

(٨) أخرجه الطبري: ١٨٤/٢٣.

(٩) الدر المنثور: ٥٥-٥٤/٨ وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

ينادي المنافقون المؤمنين قائلين: ألم نكن معكم في الدنيا، نؤدي شعائر الدين مثلكم؟ قال المؤمنون لهم: بلى قد كنتم معنا في الظاهر، ولكنكم أهلكم أنفسكم بالنفاق والمعاصي، وتربصتم بالنبي الموت وبالمؤمنين الدوائر، وشككنتم في البعث بعد الموت، وخذعتكم أمانيتكم الباطلة، وبقيتم على ذلك حتى جاءكم الموت وخذعكم بالله الشيطان.

قوله تعالى: {يُنَادُواهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ} [الحديد : ١٤]، أي: "ينادي المنافقون المؤمنين قائلين: ألم نكن معكم في الدنيا، نؤدي شعائر الدين مثلكم؟"^(١).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: ينادي المنافقون المؤمنين حين حُجز بينهم بالسور، فيقوا في الظلمة والعذاب، وصار المؤمنون في الجنة، ألم نكن معكم في الدنيا نصلي ونصوم، وناكحكم ونوارثكم؟"^(٢).

قال ابن كثير: "أي: ينادي المنافقون المؤمنين: أما كنا معكم في الدار الدنيا، نشهد معكم الجمعات، ونصلي معكم الجماعات، ونقف معكم بعرفات، ونحضر معكم الغزوات، ونؤدي معكم سائر الواجبات"^(٣).

قال الشوكاني: "أي: موافقين لكم في الظاهر، نصلي بصلاتكم في مساجدكم، ونعمل بأعمال الإسلام مثلكم، والجملة مستأنفة كأنه قيل: فماذا قال المنافقون بعد ضرب السور بينهم وبين المؤمنين؟ فقال: ينادونهم"^(٤).

قال السعدي: أي: "نقول: «لا إله إلا الله»، ونصلي ونصوم ونجاهد، ونعمل مثل عملكم؟"^(٥).

قال الزمخشري: "يريدون موافقتهم في الظاهر"^(٦).

قوله تعالى: {قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ} [الحديد : ١٤]، أي: "قال المؤمنون لهم: بلى قد كنتم معنا في الظاهر، ولكنكم أهلكم أنفسكم بالنفاق والمعاصي"^(٧).

قال الطبري: "يقول: قال المؤمنون: بلى، بل كنتم كذلك، ولكنكم فتنتم أنفسكم، فنافقتهم وفتنتهم أنفسهم في هذا الموضع كانت النفاق"^(٨).

قال الزمخشري: "محنتموها بالنفاق وأهلكتموها"^(٩).

قال بعض السلف: "أي: فتنتم أنفسكم بالذات والمعاصي والشهوات"^(١٠).

قال أبو سنان [سعيد بن سنان البرجمي]: "فَتَنَّتُمْ أَنْفُسَكُمْ": بالمعاصي"^(١١).

عن مجاهد، قوله: {فَتَنَّتُمْ أَنْفُسَكُمْ}، قال: "النفاق، وكان المنافقون مع المؤمنين أحياء يناكحونهم، ويعشونهم، ويعاشرونهم، وكانوا معهم أموالاً، ويعطون النور جميعاً يوم القيامة، فيطفأ النور من المنافقين إذا بلغوا السور، ويمار بينهم حينئذ"^(١٢).

قوله تعالى: {وَتَرَبَّصُّمُ} [الحديد : ١٤]، أي: "وتربصتم بالنبي الموت وبالمؤمنين الدوائر"^(١٣).

قال الطبري: "يقول: وتلبثتم بالإيمان، ودافعتم بالإقرار بالله ورسوله"^(١).

(١) صفوة التفاسير: ٣٠٥/٣.

(٢) تفسير الطبري: ١٨٤/٢٣.

(٣) تفسير ابن كثير: ١٨/٨.

(٤) فتح القدير: ٢٠٥/٥.

(٥) تفسير السعدي: ٨٣٩.

(٦) الكشف: ٤٧٥/٤-٤٧٦.

(٧) صفوة التفاسير: ٣٠٥/٣.

(٨) تفسير الطبري: ١٨٤/٢٣.

(٩) الكشف: ٤٧٥/٤-٤٧٦.

(١٠) نقلاً عن: تفسير ابن كثير: ١٨/٨.

(١١) الدر المنثور: ٥٦/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(١٢) أخرجه الطبري: ١٨٤/٢٣.

(١٣) صفوة التفاسير: ٣٠٥/٣.

قال الزمخشري: "بالمؤمنين الدوائر"^(٢).
 عن ابن زيد، قوله: {وَتَرَبَّصُّنَا}، قال: "بالإيمان برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقرأ: {فَتَرَبَّصُّوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتْرَبِّصُونَ}"^(٣).
 عن قتادة: "وَتَرَبَّصُّنَا"، يقول: تربصوا بالحق وأهله"^(٤).
 قال أبو سنان [سعيد بن سنان البرجمي]: " {وَتَرَبَّصُّنَا} بالتوبة"^(٥).
 قوله تعالى: {وَأَرْتَبْنَاهُ} [الحديد : ١٤]، أي: "وشككتكم في البعث بعد الموت"^(٦).
 قال الطبري: "يقول: وشككتكم في توحيد الله، وفي نبوة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"^(٧).
 قال ابن كثير: "أي: بالبعث بعد الموت"^(٨).
 قال السعدي: "أي: شككتكم في خير الله الذي لا يقبل شكاً"^(٩).
 عن ابن زيد، قوله: {وَأَرْتَبْنَاهُ}، قال: "شكوا"^(١٠).
 قال أبو سنان [سعيد بن سنان البرجمي]: " {وَأَرْتَبْنَاهُ} شككتكم"^(١١).
 قال قتادة: "كانوا في شك من الله"^(١٢).
 قوله تعالى: {وَوَعَرَّيْتُمُ الْأَمَانِي} [الحديد : ١٤]، أي: "خدعتكم الأمانى الفارغة بسعة رحمة الله"^(١٣).
 قال الطبري: "يقول: وخدعتكم أمانى نفوسكم، فصدتكم عن سبيل الله، وأضلتكم"^(١٤).
 قال الزمخشري: "طول الآمال والطمع في امتداد الأعمار"^(١٥).
 قال ابن كثير: "أي: قلتم: سيغفر لنا. وقيل: غرتكم الدنيا"^(١٦).
 قال السعدي: "حيث تمنيتم أن تتألفوا منال المؤمنين، وأنتم غير موقنين"^(١٧).
 عن عكرمة: {وَوَعَرَّيْتُمُ الْأَمَانِي}، قال: "التسوية"^(١٨).
 قال أبو سنان [سعيد بن سنان البرجمي]: "قلتم: سيغفر لنا"^(١٩).
 قوله تعالى: {حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ} [الحديد : ١٤]، أي: "وبقيتم على ذلك حتى جاءكم الموت"^(٢٠).
 قال الطبري: "يقول: حتى جاء قضاء الله بمناياكم، فاجتاحتكم"^(٢١).
 قال ابن كثير: "أي: ما زلتم في هذا حتى جاء الموت"^(١).

- (١) تفسير الطبري: ١٨٤/٢٣.
- (٢) الكشاف: ٤٧٥/٤-٤٧٦.
- (٣) أخرجه الطبري: ١٨٥/٢٣.
- (٤) أخرجه الطبري: ١٨٥/٢٣.
- (٥) الدر المنثور: ٥٦ / ٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.
- (٦) صفوة التفاسير: ٣٠٥/٣.
- (٧) تفسير الطبري: ١٨٥/٢٣.
- (٨) تفسير ابن كثير: ١٨/٨.
- (٩) تفسير السعدي: ٨٣٩.
- (١٠) أخرجه الطبري: ١٨٥/٢٣.
- (١١) الدر المنثور: ٥٦ / ٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.
- (١٢) أخرجه الطبري: ١٨٥/٢٣.
- (١٣) صفوة التفاسير: ٣٠٦/٣.
- (١٤) تفسير الطبري: ١٨٥/٢٣.
- (١٥) الكشاف: ٤٧٥/٤-٤٧٦.
- (١٦) تفسير ابن كثير: ١٨/٨.
- (١٧) تفسير السعدي: ٨٣٩.
- (١٨) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٣ / ٣٣٨.
- (١٩) الدر المنثور: ٥٦ / ٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.
- (٢٠) صفوة التفاسير: ٣٠٥/٣.
- (٢١) تفسير الطبري: ١٨٥/٢٣.

قال السعدي: " أي: حتى جاءكم الموت وأنتم بتلك الحال الذميمة"^(٢).
عن أبي سنان [سعيد بن سنان البرجمي]: " {حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ} قال: الموت"^(٣).
عن شريك بن عبد الله -من طريق فضيل بن عبد الوهاب- في قوله - عز وجل -: {حَتَّى
جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ}، قال: الموت"^(٤).

قال قتادة: " كانوا على خدعة من الشيطان، والله ما زالوا عليها حتى قذفهم الله في
النار"^(٥).

قوله تعالى: {وَعَرَّكُم بِاللَّهِ الْعَرُورُ} [الحديد : ١٤]، أي: " وخذعكم بالله الشيطان"^(٦).
قال الطبري: " يقول: وخذعكم بالله الشيطان، فأطعمكم بالنجاة من عقوبته، والسلامة من
عذابه"^(٧).

قال الزمخشري: " وعرّك الشيطان بأن الله عفو كريم لا يعذبكم"^(٨).
قال السعدي: " الشيطان، الذي زين لكم الكفر والريب، فاطمأنتم به، ووثقتم بوعده،
وصدقتم خيره"^(٩).

عن مجاهد، وقاتدة، وابن زيد، في قوله: { وَعَرَّكُم بِاللَّهِ الْعَرُورُ }، أي: " الشيطان"^(١٠).
عن أبي سنان: " {وَعَرَّكُم بِاللَّهِ الْعَرُورُ}، قال: الشيطان"^(١١). وروي عن شريك بن
عبدالله مثله"^(١٢).

عن عكرمة -من طريق يحيى بن يمان، عن شيخ- في قوله تعالى: " {وَعَرَّكُم بِاللَّهِ
الْعَرُورُ}، قال: الشيطان"^(١٣).

قال ابن كثير: " ومعنى هذا الكلام من المؤمنين للمنافقين : إنكم كنتم معنا أي: بأبدان لا
نية لها ولا قلوب معها، وإنما كنتم في حيرة وشك فكنتم تُراوون الناس ولا تذكرون الله إلا قليلا،
وهذا القول من المؤمنين لا ينافي قولهم الذي أخبر الله به عنهم، حيث يقول - وهو أصدق
القائلين - : {كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ فِي جَنَّاتٍ يَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ مَا
سَلَكْتُمْ فِي سَفَرٍ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعَمِ الْمَسْكِينِ وَكُنَّا نَحُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ وَكُنَّا
نُكَدِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ} [المدثر : ٣٨ - ٤٧]، فهذا إنما خرج منهم على وجه التقرير
لهم والتوبيخ"^(١٤).

قال الحسن: " يعطى المؤمن يوم القيامة نورا ويعطى المنافق نورا يمشون به حتى
ينتهوا إلى الصراط، فإذا انتهوا إلى الصراط مضى المؤمنون بنورهم ويظفي نور المنافقين، ف
{ينادونهم ألم نكن معكم}؟ {قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأمانى حتى
جاء أمر الله وغرركم بالله الغرور}، قال الحسن: فتلك خديعة الله إياهم"^(١٥).

(١) تفسير ابن كثير: ١٨/٨.

(٢) تفسير السعدي: ٨٣٩.

(٣) الدر المنثور: ٥٦ / ٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل ٣ / ٣٤١ (١٦٦)، وكتاب الأحوال ٦ / ١٩٥ (١٤١).

(٥) أخرجه الطبري: ١٨٥/٢٣.

(٦) صفوة التفاسير: ٣٠٥/٣.

(٧) تفسير الطبري: ١٨٥/٢٣.

(٨) الكشف: ٤٧٥/٤-٤٧٦.

(٩) تفسير السعدي: ٨٣٩.

(١٠) أخرجه الطبري: ١٨٦/٢٣.

(١١) الدر المنثور: ٥٦ / ٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(١٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل ٣ / ٣٤١ (١٦٦)، وكتاب الأحوال ٦ / ١٩٥ (١٤١).

(١٣) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٣ / ٣٣٨.

(١٤) تفسير ابن كثير: ١٨/٨-١٩.

(١٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٦١٣٨): ص ٤/١٠٩٥.

القرآن

{قَالِيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٥)}

[الحديد : ١٥]

التفسير:

فاليوم لا يُقبل من أحد منكم -أيها المنافقون- عوض؛ ليفتدي به من عذاب الله، ولا من الذين كفروا بالله ورسوله، مصيركم جميعاً النار، هي أولى بكم من كل منزل، وبئس المصير هي. قوله تعالى: {قَالِيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا} [الحديد : ١٥]، أي: "فاليوم لا يُقبل من أحد منكم -أيها المنافقون- عوض؛ ليفتدي به من عذاب الله، ولا من الذين كفروا بالله ورسوله"^(١).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل المؤمنين لأهل النفاق، بعد أن ميز بينهم في القيامة: {قَالِيَوْمَ} أيها المنافقون لا يؤخذ منكم عوضاً منكم بدلاً من عقابكم وعذابكم، فيخلصكم من عذاب الله، ولا تؤخذ الفدية أيضاً من الذين كفروا"^(٢). قال ابن كثير: "أي: لو جاء أحدكم اليوم بملء الأرض ذهباً ومثله معه ليفتدي به من عذاب الله، ما قبل منه"^(٣).

عن قتادة: "قَالِيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا، يعني: المنافقين، ولا من الذين كفروا"^(٤).

عن ابن زيد: "قَالِيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ} : من المنافقين، {وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا} : معكم، {مَأْوَاكُمُ النَّارُ}"^(٥).

قوله تعالى: {مَأْوَاكُمُ النَّارُ} [الحديد : ١٥]، أي: "مصيركم جميعاً النار"^(٦).

قال الطبري: "يقول: مأواكم ومسكنكم الذي تسكنونه يوم القيامة النار"^(٧).

قال ابن كثير: "أي: هي مصيركم وإليها منقلبكم"^(٨).

قال الشوكاني: "أي: منزلكم الذي تأوون إليه النار"^(٩).

قال السعدي: "أي: مستقركم"^(١٠).

قوله تعالى: {هِيَ مَوْلَاكُمْ} [الحديد : ١٥]، أي: "هي أولى بكم من كل منزل"^(١١).

قال ابن عباس: "هي مصيركم"^(١٢).

وقال الكلبي: "هي أولى بكم"^(١٣).

قال الطبري: "يقول: النار أولى بكم"^(١٤).

قال ابن كثير: "أي: هي أولى بكم من كل منزل على كفركم وارتيا بكم"^(١٥).

قال السعدي: "التي تتولاكم وتضمكم إليها"^(١٦).

(١) صفوة التفاسير: ٣٠٥/٣.

(٢) تفسير الطبري: ١٨٦/٢٣.

(٣) تفسير ابن كثير: ١٩/٨.

(٤) أخرجه الطبري: ١٨٦/٢٣.

(٥) أخرجه الطبري: ١٨٧-١٨٦/٢٣.

(٦) صفوة التفاسير: ٣٠٥/٣.

(٧) تفسير الطبري: ١٨٧/٢٣.

(٨) تفسير ابن كثير: ١٩/٨.

(٩) فتح القدير: ٢٠٥/٥.

(١٠) تفسير السعدي: ٨٣٩.

(١١) صفوة التفاسير: ٣٠٥/٣.

(١٢) التفسير البسيط للواحد: ٢٩١/٢١.

(١٣) التفسير البسيط للواحد: ٢٩١/٢١.

(١٤) تفسير الطبري: ١٨٧/٢٣.

(١٥) تفسير ابن كثير: ١٩/٨.

قال الشوكاني: "أي: هي أولى بكم، والمولى في الأصل من يتولى مصالح الإنسان، ثم استعمل فيمن يلازمه، وقيل: معنى مولاكم: مكانكم عن قرب، من الولي وهو القرب. وقيل: إن الله يركب في النار الحياة والعقل، فهي تتميز غيظا على الكفار، وقيل: المعنى: هي ناصركم"^(٢).

قال الزمخشري: "قيل: هي أولى بكم، وحقيقة مولاكم: محراكم ومقمنكم «٢» . أي: مكانكم الذي يقال فيه هو أولى بكم، كما قيل: هو مئنة للكرم، أي مكان، لقول القائل: إنه لكريم. ويجوز أن يراد: هي ناصركم، أي: لا ناصر لكم غيرها. والمراد: نفى الناصر على البتات. ونحوه قولهم: أصيب فلان بكذا فاستنصر الجزع^(٣) . ومنه قوله تعالى: {يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ}، وقيل: تتولاكم كما توليتم في الدنيا أعمال أهل النار"^(٤).

قوله تعالى: {وَبُنِيَ الْمَصِيرُ} [الحديد : ١٥]، أي: "وبنئ المرجع والمنقلب نار جهنم"^(٥).

قال الطبري: "يقول: وبئن مصير من صار إلى النار"^(٦).

فوائد الآيات: [١١-١٥]:

- ١- تقرير البعث بذكر أحداثه وما يجري فيه.
- ٢- تقرير أن الفوز ليس ربح الشاة والبعير ولا الدار ولا البستان في الدنيا وإنما هو الزحزحة عن النار ودخول الجنان يوم القيامة هذا هو الفوز العظيم.
- ٣- من بشائر السعادة لأهل الإيمان قبل دخولهم الجنة تلقي الملائكة لهم وإعطائهم كتبهم بإيمانهم ووجود نور عال يسعى بين أيديهم وبأيامانهم يتقدمهم على الصراط إلى الجنة.
- ٤- نور يوم القيامة في وجوه المؤمنين أخذوه من الدنيا، وفي الحديث: «بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة»^(٧).
- وفي رواية: «بشر المشائين في الظلمات إلى المساجد بنور عظيم من عند الله يوم القيامة»^(٨).
- ٥- بيان صفات المنافقين في الدنيا وهي إبطان الكفر في نفوسهم والتريص بالمؤمنين للانقضاء عليهم متى ضعفوا أو هزموا وأمانتهم في عدم نصره الإسلام. وشكهم الملازم لهم حتى أنهم لم يخرجوا منه إلى أن ماتوا شاكين في صحة الإسلام وما جاء به وأخبر عنه من وعد ووعد.

القرآن

{أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (١٦)} [الحديد : ١٦]
التفسير:

(١) تفسير السعدي: ٨٣٩.

(٢) فتح القدير: ٢٠٥/٥.

(٣) لعله: الجزع، أي: نقيض الصبر.

(٤) الكشف: ٤٧٥/٤-٤٧٦.

(٥) صفوة التفاسير: ٣٠٦/٣.

(٦) تفسير الطبري: ١٨٧/٢٣.

(٧) سنن أبي داود(٥٦١):ص١٥٤/١، وسنن الترمذي(٢٢٣):ص٢٩٩/١، وقال: حديث غريب". [حكم الألباني]: صحيح

(٨) أخرجه الطبراني والبخاري كما في مجمع الزوائد (٣١/٢) قال الهيثمي: فيه محمد بن عبد الله بن عمير بن عبيد وهو منكر الحديث.

ألم يحن الوقت للذين صدّقوا الله ورسوله واتّبَعوا هديه، أن تلين قلوبهم عند ذكر الله وسماع القرآن، ولا يكونوا في قسوة القلوب كالذين أوتوا الكتاب من قبلهم -من اليهود والنصارى- الذين طال عليهم الزمان فبدّلوا كلام الله، فقست قلوبهم، وكثير منهم خارجون عن طاعة الله؟
اختلفوا فيمن نزلت الآية، على ثلاثة أقوال:

أحدها : أنها في المؤمنين من أمتنا، قاله ابن مسعود^(١)، وابن عباس^(٢)، والقاسم بن محمد^(٣)، والأعمش^(٤)، ومقاتل بن حيان^(٥).

قال الحسن : يستبطنهم وهم أحب خلقه إليه^(٦). وفي لفظ: "أما والله لقد استبطنهم وهم يقرؤون من القرآن أقل مما تقرأون. فانظروا في طول ما قرأتم منه وما ظهر فيكم من الفسق"^(٧)
قال ابن مسعود: "ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ} [الحديد : ١٦]، إلا أربع سنين"^(٨).

قال ابن عباس: "إن الله استبطن قلوب المهاجرين، فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن فقال: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا}.. الآية"^(٩).

قال الأعمش: "لما قدموا المدينة أصابوا من لين العيش ورفاهيته ففتروا، عن بعض ما كانوا عليه، فعوتبوا فنزلت في ذلك: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ} [الحديد : ١٦]"^(١٠).

قال القاسم بن محمد: "مل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملة فقالوا: حدثنا يا رسول الله، فأنزل الله: {حَنُّ نَفْسٍ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ} [يوسف : ٣]. ثم ملوا ملة، فقالوا: يا رسول الله: حدثنا فنزلت: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ} [الزمر : ٢٣]. ثم ملوا ملة، فقالوا: حدثنا يا رسول الله. فأنزل الله: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ} [الحديد : ١٦]"^(١١).

قال سعد: "أنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتلاه عليهم زمانا. فقالوا: يا رسول الله، لو قصصت علينا. فأنزل الله تعالى: {حَنُّ نَفْسٍ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ} [يوسف : ٣]، فتلاه عليهم زمانا، فقالوا: يا رسول الله، لو حدثتنا. فأنزل الله تعالى: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ} [الزمر : ٢٣]. قال: كل ذلك يؤمرون بالقرآن. قال خلاد: وزاد فيه آخر: قالوا: يا رسول الله، لو ذكرتنا. فأنزل الله تعالى: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ} [الحديد : ١٦]"^(١٢).

قال مقاتل بن حيان: "كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قد أخذوا في شيء من المزاح، فأنزل الله: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا}.. الآية"^(١٣).

قال ابن عطية: "روي أنه كثر المزاح والضحك في بعض تلك المدة في قوم من شبان المسلمين، فنزلت هذه الآية"^(١٤).

(١) انظر: صحيح مسلم (٣٠٢٧):ص٤/٢٣١٩، والسنن الكبرى للنسائي(١١٥٠٤):ص١٠/٢٨٩، وانظر: الكشف والبيان: ٢٤٠/٩، والنكت والعيون: ٤٧٧/٥ .

(٢)

(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٣٢٥):ص٧/٢١٠٠.

(٤) انظر: تفسير عبدالرزاق (٣١٦٢):ص٣/٢٨٨.

(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٨٨٢٦):ص١٠/٣٣٣٨.

(٦) النكت والعيون: ٤٧٧/٥.

(٧) نقلا عن: الكشف: ٤٧٧/٤.

(٨) صحيح مسلم(٣٠٢٧):ص٤/٢٣١٩، والسنن الكبرى للنسائي(١١٥٠٤):ص١٠/٢٨٩.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٨٢٥):ص١٠/٣٣٣٨.

(١٠) أخرجه عبدالرزاق في "التفسير"(٣١٦٢):ص٣/٢٨٨.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٣٢٥):ص٧/٢١٠٠.

(١٢) وأخرجه الحاكم في المستدرک(٥٤٤):ص٢/٣٧٦. وفي: "فقالوا: يا رسول الله، لو حدثتنا. فأنزل الله عز وجل {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا} [الزمر: ٢٣] الآية كل ذلك يؤمر بالقرآن".

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٨٢٦):ص١٠/٣٣٣٨.

قال الزمخشري: " قيل: كانوا مجديين بمكة، فلما هاجروا أصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه، فنزلت" (٢).

عن أبي بكر رضى الله عنه أنّ هذه الآية قرئت بين يديه وعنده قوم من أهل اليمامة، فبكوا بكاء شديداً، فنظر إليهم فقال: هكذا كنا حتى قست القلوب" (٣).

قال سعيد بن عمرو بن مرة: "قدم على أبي بكر الصديق وفد من اليمن، فقالوا: اقرأ علينا القرآن، فقرأ عليهم القرآن فجعلوا يبكون، فقال أبو بكر: كذا كنا حتى قست القلوب، وكان أبو بكر لا يملك دمعة حين يقرأ القرآن" (٤).

قال الزجاج: " هذه الآية - والله أعلم - نزلت في طائفة من المؤمنين حثوا على الرقة والرحمة والخشوع. فأما من كان ممن وصفه - عز وجل - بالخشوع والرقة والرحمة فطائفة من المؤمنين فوق هؤلاء" (٥).

قال قتادة: " ذكر لنا أن شذاد بن أوس كان يروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «إن أول ما يرفع من الناس الخشوع»" (٦).

قال قتادة: " كان شذاد بن أوس يقول: أول ما يرفع من الناس الخشوع" (٧).

الثاني: أنها نزلت في المنافقين، آمنوا بألسنتهم وكفروا بقلوبهم. قاله أبو صالح عن ابن عباس (٨)، والكلبي (٩).

قال ابن أبي زمنين: " أمرهم أن يخلصوا الإيمان؛ كما أخلص المؤمنون" (١٠).

وقال مقاتل: "سأل المنافقون سلمان الفارسي فقالوا: "حدثنا عن التوراة، فإن فيها العجائب، فأنزل الله- تعالى:- {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ} [الحديد : ١٦]" (١١).

الثالث: وقيل: أن هذا الخطاب لمن آمن بموسى وعيسى دون محمد عليهم السلام لأنه قال عقيب هذا: {وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ} [الحديد : ١٩]، أي: ألم يأن للذين آمنوا بالتوراة والإنجيل أن تلين قلوبهم للقرآن، وألا يكونوا كمتقدمي قوم موسى وعيسى، إذ طال عليهم الأمد بينهم وبين نبيهم ففقت قلوبهم. حكاها القرطبي (١٢).

وحكي الماوردي عن ابن حبان: " أنها نزلت في قوم موسى عليه السلام قبل أن يبعث النبي -صلى الله عليه وسلم- " (١٣).

قوله تعالى: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ} [الحديد : ١٦]، أي: " ألم يحن الوقت للذين صدقوا الله ورسوله وأتبعوا هديه، أن تلين قلوبهم عند ذكر الله وسماع القرآن" (١٤).

(١) المحرر الوجيز: ٢٦٤/٥.

(٢) الكشاف: ٤٧٨/٤.

(٣) نقلا عن: الكشاف: ٤٧٧/٤.

(٤) أخرجه الثعلبي في تفسيره: ١٠٠/٤.

(٥) معاني القرآن: ١٢٥/٥.

(٦) أخرجه الطبري: ١٨٨/٢٣.

(٧) أخرجه الطبري: ١٨٨/٢٣.

(٨) موضوع. عزاه ابن الجوزي في زاد المسير: ٢٣٥/٤ لأبي صالح، وهو متهم في ابن عباس، حيث روى وصاحبه الكلبي تفسير موضوعا عن ابن عباس، وهذا منه.

(٩) انظر: الكشف والبيان: ٢٣٩/٩، والنكت والعيون: ٤٧٧/٥، وأسباب النزول للواحي: ٤٢٦. والكلبي ضعيف.

(١٠) تفسير ابن أبي زمنين: ٣٥٣/٤.

(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٤١/٤. والخبر منكر جدا، أمارة الوضع لائحة عليه، ومقاتل بن سليمان متهم بالكذب.

(١٢) انظر: تفسير القرطبي: ٢٤٩/١٧.

(١٣) النكت والعيون: ٤٧٧/٥.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: ألم يحن للذين صدقوا الله ورسوله أن تلين قلوبهم لذكر الله، فتخضع قلوبهم له، ولما نزل من الحق، وهو هذا القرآن الذي نزله على رسوله صلى الله عليه وسلم" (١).

قال ابن كثير: "يقول الله تعالى: أما أن للمؤمنين أن تخضع قلوبهم لذكر الله، أي: تلين عند الذكر والموعظة وسماع القرآن، فتفهمه وتنقاد له وتسمع له وتطيعه" (٢).
قال ابن قتيبة: "ألم يأن للذين آمنوا، أي: ألم يحن. يقال: أنى الشيء يأتي؛ إذا حان" (٣).
قال سهل: "ألم يحن لهم أوان الخشوع عند سماع الذكر، فيشاهدوا الوعد والوعيد مشاهدة الغيب" (٤).

عن عكرمة: "ألم يأن للذين آمنوا، قال: يقول: ألم يتبين للذين آمنوا" (٥).
عن ابن عباس: "ألم يأن للذين آمنوا أن تخضع قلوبهم لذكر الله،" تطيع قلوبهم" (٦).
قال محمد بن كعب الفرطبي: "ألم يأن للذين آمنوا أن تخضع قلوبهم كانت الصحابة بمكة مجذبين، فلما هاجروا أصابوا الريف والنعمة، ففتروا عما كانوا فيه، ففست قلوبهم، فوعظهم الله، فأفاقوا" (٧).

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أَتَوْا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ﴾ [الحديد: ١٦]، أي: "ولا يكونوا في قسوة القلوب كالذين أتوا الكتاب من قبلهم -من اليهود والنصارى-" (٨).
قال الطبري: يقول: "ألم يأن الذين آمنوا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم أن لا يكونوا {كالذين أتوا} التوراة والإنجيل من بني إسرائيل" (٩).

قال ابن كثير: "نهى الله المؤمنين أن يتشبهوا بالذين حملوا الكتاب قبلهم من اليهود والنصارى، لما تناول عليهم الأمد بدلوا كتاب الله الذي بأيديهم واشتروا به ثمنا قليلا ونبذوه وراء ظهورهم، وأقبلوا على الآراء المختلفة والأقوال المؤتفكة، وقلدوا الرجال في دين الله، واتخذوا أبحارهم ورهبانهم أربابا من دون الله، فعند ذلك قست قلوبهم، فلا يقبلون موعظة، ولا تلين قلوبهم بوعد ولا وعيد" (١٠).

قال الزمخشري: "يجوز أن يكون نهيا لهم عن مماثلة أهل الكتاب في قسوة القلوب بعد أن وبخوا، وذلك أن بني إسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم، وإذا سمعوا التوراة والإنجيل خشعوا لله ورقت قلوبهم، فلما طال عليهم الزمان غلبهم الجفاء والقسوة واختلفوا وأحدثوا ما أحدثوا من التحريف وغيره" (١١).

قوله تعالى: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد: ١٦]، أي: "فطال عليهم الزمان فبدلوا كلام الله، ففست قلوبهم" (١٢).
قال الزجاج: "أي: لا تكونوا كالذين لما طالت عليهم المدة قست قلوبهم" (١٣).

(١) التفسير الميسر: ٥٣٩.

(٢) تفسير الطبري: ١٨٧/٢٣.

(٣) تفسير ابن كثير: ١٩/٨.

(٤) غريب القرآن: ٤٥٣.

(٥) تفسير التستري: ١٦٢.

(٦) الدر المنثور: ٨/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٧) أخرجه الطبري: ١٨٧/٢٣.

(٨) تفسير الثعلبي: ٢٤١/٩.

(٩) التفسير الميسر: ٥٣٩.

(١٠) تفسير الطبري: ١٨٨/٢٣.

(١١) تفسير ابن كثير: ٢٠/٨.

(١٢) الكشاف: ٤٧٧/٤.

(١٣) التفسير الميسر: ٥٣٩.

(١٤) معاني القرآن: ١٢٦/٥.

قال الطبري: {طَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ}، يعني: " ما بينهم وبين موسى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذلك الأمد الزمان، {فَقَسَّتْ قُلُوبُهُمْ} عن الخيرات، واشتدَّت على السكون إلى معاصي الله" (١).

عن مجاهد قوله: {الْأَمَدُ}، قال: "الدهر" (٢).
قال ابن أبي زمنين: " {قَطَّلَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ}: بقاؤهم في الدنيا، {فَقَسَّتْ قُلُوبُهُمْ}: غلظت" (٣).

قال سهل: " {فَقَسَّتْ قُلُوبُهُمْ}، يعني: باتباع الشهوة" (٤).
قال ابن كثير: " فعند ذلك قست قلوبهم، فلا يقبلون موعظة، ولا تلين قلوبهم بوعده ولا وعيد" (٥).

قال مقاتل بن حيان: "إنما يعني بذلك: مؤمني أهل الكتاب قبل أن يُبعث النبي - صلى الله عليه وسلم - طال عليهم الأمد، واستبطؤوا خروج النبي - صلى الله عليه وسلم -، فقست قلوبهم" (٦).

قوله تعالى: {وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ} [الحديد: ١٦]، أي: " وكثير منهم خارجون عن طاعة الله" (٧).

قال الطبري: " يقول جل ثناؤه: وكثير من هؤلاء الذين أوتوا الكتاب، من قبل أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاسقون" (٨).

قال ابن أبي زمنين: " يعني: من ثبت منهم على الشرك" (٩).
قال النسفي: أي: " خارجون عن دينهم رافضون لما في الكتابين، أي: وقليل منهم مؤمنون" (١٠).

قال ابن كثير: " أي : في الأعمال، فقلوبهم فاسدة، وأعمالهم باطلة. كما قال: {فَبِمَا نَفْسِهِمْ مِيثَاقُهُمْ لَعَنَاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ} [المائدة: ١٣]، أي : فسدت قلوبهم فقست وصار من سجيتهم تحريف الكلم عن مواضعه، وتركوا الأعمال التي أمروا بها، وارتكبوا ما نهوا عنه ؛ ولهذا نهى الله المؤمنين أن يتشبهوا بهم في شيء من الأمور الأصلية والفرعية" (١١).

عن الربيع بن عميلة الفزاري قال: "حدثنا عبد الله بن مسعود، حدثنا ما سمعت أعجب إلي منه، إلا شيئاً من كتاب الله أو شيئاً قاله النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن بني إسرائيل لما طال عليهم الأمد فقست قلوبهم اخترعوا كتاباً من عند أنفسهم، استهوته قلوبهم واستحلته ألسنتهم واستلذذته، وكان الحق يحول بينهم وبين كثير من شهواتهم فقالوا: تعالوا ندع بني إسرائيل إلى كتابنا هذا، فمن تابنا عليه تركناه، ومن كره أن يتابعنا قتلناه، ففعلوا ذلك، وكان فيهم رجل فقيه، فلما رأى ما يصنعون عمد إلى ما يعرف من كتاب الله فكتبه في شيء لطيف، ثم أدرجه فجعله في قرن ثم علق ذلك في عنقه، فلما أكثروا القتل قال بعضهم لبعض: يا هؤلاء، إنكم قد أفسيتم القتل في بني إسرائيل فادعوا فلانا فاعرضوا عليه كتابكم، فإنه إن تابعكم فسيتابعكم بقية الناس، وإن أبي فاقتلوه، فدعوا فلانا ذلك الفقيه فقالوا: تؤمن بما في كتابنا؟ قال: وما فيه؟ اعرضوه علي فعرضوه عليه إلى آخره ثم قالوا: أتؤمن بهذا؟ قال نعم، أمنت بما في هذا وأشار بيده إلى القرن،

(١) تفسير الطبري: ١٨٩/٢٣.

(٢) أخرجه الطبري: ١٨٩/٢٣.

(٣) تفسير ابن أبي زمنين: ٣٥٣/٤.

(٤) تفسير التستري: ١٦٢.

(٥) تفسير ابن كثير: ٢٠/٨.

(٦) تفسير الثعلبي ٩/ ٢٤١.

(٧) التفسير الميسر: ٥٣٩.

(٨) تفسير الطبري: ١٨٩/٢٣.

(٩) تفسير ابن أبي زمنين: ٣٥٣/٤.

(١٠) تفسير النسفي: ٤٣٨/٣.

(١١) تفسير ابن كثير: ٢٠/٨.

فتركوه، فلما مات نبشوه فوجدوه متعلقا ذلك القرن، فوجدوا فيه ما يعرف من كتاب الله، فقال بعضهم: لبعض يا هؤلاء ما كنا نسمع هذا أصابه فتنة فافتقرت بنوا إسرائيل على ثنتين وسبعين ملة، وخير ملهم ملة أصحاب ذي القرن»^(١).

وأخرج الطبري بسنده عن إبراهيم، قال: "جاء عتريس بن عرقوب إلى ابن مسعود، فقال: يا عبد الله هلك من لم يأمر بالمعروف وبينه عن المنكر، فقال عبد الله: هلك من لم يعرف قلبه معروفا، ولم ينكر قلبه منكرا، إن بني إسرائيل لما طال عليهم الأمد، وقست قلوبهم اخترعوا كتابا من بين أيديهم وأرجلهم، استهوته قلوبهم، واستحلته ألسنتهم، وقالوا: نعرض بني إسرائيل على هذا الكتاب، فمن أمن به تركناه، ومن كفر به قتلناه، قال: فجعل رجل منهم كتاب الله في قرن، ثم جعل القرن بين تندوتيه؛ فلما قيل له: أتؤمن بهذا؟ قال: أمنت به، ويوميء إلى القرن الذي بين تندوتيه، ومالي لا أومن بهذا الكتاب، فمن خير ملهم اليوم ملة صاحب القرن"^(٢).

قال ابن مسعود: "أوشك بكم إن بقيتم، أو بقي من بقي منكم، أن تروا أمورا تتكرونها لا تستطيعون لها غيرا، فحسب المرء منكم أن يعلم الله من قلبه أنه لها كاره"^(٣).

القرآن

{اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون (١٧)} [الحديد : ١٧]

التفسير:

اعلموا أن الله سبحانه وتعالى يحيي الأرض بالمطر بعد موتها، فتخرج النباتات، فكذلك الله قادر على إحياء الموتى يوم القيامة، وهو القادر على تليين القلوب بعد قسوتها. قد بينا لكم دلائل قدرتنا؛ لعلكم تعقلونها فتتعظوا.

قوله تعالى: {اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها} [الحديد : ١٧]، أي: "اعلموا أن الله سبحانه وتعالى يحيي الأرض بالمطر بعد موتها، فتخرج النباتات، فكذلك الله قادر على إحياء الموتى يوم القيامة، وهو القادر على تليين القلوب بعد قسوتها"^(٤).

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره {اعلموا} أيها الناس {أن الله يحيي الأرض} الميتة التي لا تنبت شيئا، بعد دثورها ودروسها، يقول: وكما نحى هذه الأرض الميتة بعد دروسها، كذلك نهدي الإنسان الضالَّ عن الحق إلى الحق، فنوفقه ونسده للإيمان حتى يصير مؤمنا من بعد كفره، ومهتديا من بعد ضلاله"^(٥).

قال الزجاج: "معناه: أن إحياء الأرض بعد موتها دليل على توحيد الله، ومن آياته الدالة على ذلك"^(٦).

قال النحاس: " قيل: فالذي فعل هذا هو الذي يهدي ويسدد من أراد هدايته ومن ضل عن طريق الحق"^(٧).

قال الزمخشري: " هذا تمثيل لأثر الذكر في القلوب، وأنه يحييها كما يحيي الغيث الأرض"^(٨).

قال الشوكاني: أي: " قادر على أن يبعث الأجسام بعد موتها، ويلين القلوب بعد قسوتها"^(٩).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٨٢٩): ص ٣٣٣٩/١٠.

(٢) أخرجه الطبري: ١٨٨/٢٣-١٨٩.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٨٣٠): ص ٣٣٤٠/١٠.

(٤) التفسير الميسر: ٥٣٩.

(٥) تفسير الطبري: ١٨٩/٢٣-١٩٠.

(٦) معاني القرآن: ١٢٦/٥.

(٧) إعراب القرآن: ٢٣٩/٤.

(٨) الكشف: ٤٧٨/٤.

(٩) فتح القدير: ٢٠٧/٥.

قال ابن كثير: "فيه إشارة إلى أنه، تعالى، يلين القلوب بعد قسوتها، ويهدي الحيارى بعد ضلّتها، ويفرّج الكروب بعد شدتها، فكما يحيي الأرض الميتة المجذبة الهامدة بالغيث الهثان الوابل كذلك يهدي القلوب القاسية ببراہين القرآن والدلائل، ويولج إليها النور بعد ما كانت مقفلة لا يصل إليها الواصل، فسبحان الهادي لمن يشاء بعد الإضلال، والمضل لمن أراد بعد الكمال، الذي هو لما يشاء فعال، وهو الحكم العدل في جميع الفعال، اللطيف الخبير الكبير المتعال"^(١).
عن ابن عباس: {اعلموا أنّ الله يحيي الأرض بعد موتها}، "يعني: أنه يُلين القلوب بعد قسوتها"^(٢).

وقال جعفر بن محمد: "يحييها بالعدل بعد الجور"^(٣).
قوله تعالى: {قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقَلُونَ} [الحديد: ١٧]، أي: "قد بيّنّا لكم دلائل قدرتنا؛ لعلكم تعقلونها فتتعظوا"^(٤).

قال الطبري: "يقول: قد بيّنّا لكم الأدلة والحجج لتعقلوا"^(٥).
قال النحاس: "أي: بالحجج والبراهين لتكونوا على رجاء من أن تعقلوا ذلك"^(٦).
قال الشوكاني: "أي: كي تعقلوا ما تضمنته من المواعظ وتعملوا بموجب ذلك"^(٧).
قال مقاتل: "يعني: بـ «الآيات»: النبت. {لَعَلَّكُمْ تَعْقَلُونَ}، يقول: لكي تعقلوا وتنفكروا في أمر البعث"^(٨).

عن ابن جريج: في قوله {ومن آياته}، قال: "كل شيء في القرآن آيات، بذلك تعرفون الله إنكم لن تروه فتعرفونه على رؤية ولكن تعرفون بآياته وخلقه"^(٩).
عن سعيد بن جبير، قوله: "{لعلكم}، يعني: لكي"^(١٠).
عن ابن زيد: "في قول الله: {يعقلون}، قال: يتفكرون"^(١١).

القرآن

{إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١٨)}
[الحديد: ١٨]

التفسير:

إن المتصدقين من أموالهم والمتصدقات، وأنفقوا في سبيل الله نفقات طيبة بها نفوسهم؛ ابتغاء وجه الله تعالى، يضاعف لهم ثواب ذلك، ولهم فوق ذلك ثواب جزيل، وهو الجنة.
سبب النزول:

قال مقاتل: "نزلت في أبي الدحداح الأنصاري، وذلك أن النبي- صلى الله عليه وسلم- أمر الناس بالصدقة ورغبهم في ثوابها، فقال أبو الدحداح الأنصاري: يا رسول الله، فإني قد جعلت حديقتي صدقة لله ولرسوله. ثم جاء إلى الحديقة، وأم الدحداح في الحديقة، فقال: يا أم الدحداح، إني قد جعلت حديقتي صدقة لله ولرسوله فخذي بيد صبيته فأخرجيهم من الحائط. فلما أصابهم حر الشمس بكوا، فقالت: أمهم لا تبكوا فإن أباكم قد باع حائطه من ربه، فقال رسول

(١) تفسير ابن كثير: ٢١/٨.

(٢) عزاه السيوطي إلى ابن المبارك في الزهد، وفيه ١/ ١١١ (٢٦١) عن صالح المري.

(٣) التفسير الثعلبي: ٧٠/٢٦، [ط. دار التفسير].

(٤) التفسير الميسر: ٥٣٩.

(٥) تفسير الطبري: ١٩٠/٢٣.

(٦) إعراب القرآن: ٢٣٩/٤.

(٧) فتح القدير: ٢٠٧/٥.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٤٢/٤.

(٩) الدر المنثور: ٤٩٠/٦، وعزاه إلى ابن المنذر.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٣٢١): ص ٢٠٩٩/٧.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (٢٤٠٨): ص ٤٥٥/٢.

الله- صلى الله عليه وسلم- كم من نخلة مذلا عذوقها قد رأيتها لأبي الدحداح في الجنة، فنزلت فيه: {إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدَّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا} (١).
قوله تعالى: {إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدَّقَاتِ} [الحديد : ١٨]، أي: "إن المتصدقين من أموالهم والمصدقات" (٢).

قال ابن كثير: "يخبر تعالى عما يثيب به المُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدَّقَاتِ بِأَمْوَالِهِمْ عَلَى أَهْلِ الْحَاجَةِ وَالْفَقْرِ وَالْمَسْكِنَةِ" (٣).

وقرأ ابن كثير وعاصم: «إِنَّ الْمُتَّصِدِّقِينَ وَالْمُتَّصِدَّقَاتِ»، بتخفيف الصاد وتشديد الدال، ومعناه: إن المؤمنين والمؤمنات ممن صدق الله ورسوله فأمن بما أتى به النبي - صلى الله عليه وسلم - (٤).

قوله تعالى: {وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا} [الحديد : ١٨]، أي: "وأنفقوا في سبيل الله نفقات طيبة بها نفوسهم؛ ابتغاء وجه الله تعالى" (٥).
قال الزجاج: "أي: تصدقوا من مال طيب" (٦).
قال مقاتل: "يعني: محتسبا طيبة بها نفسه" (٧).
قال الطبري: "يعني: بالنفقة في سبيله، وفيما أمر بالنفقة فيه، أو فيما ندب إليه" (٨).
قال ابن كثير: "أي: دفعوه بنية خالصة ابتغاء وجه الله، لا يريدون جزاء ممن أعطوه ولا شكورا" (٩).

قال الزمخشري: "القرض الحسن: أن يتصدق من الطيب عن طيبة النفس وصحة النية على المستحق للصدقة" (١٠).

قال الحسن: "كل ما في القرآن من القرض الحسن فهو التطوع" (١١).
قوله تعالى: {يُضَاعَفْ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ} [الحديد : ١٨]، أي: "يضاعف لهم ثواب ذلك، ولهم فوق ذلك ثواب جزيل، وهو الجنة" (١٢).

قال الطبري: "يقول: يضاعف الله لهم قروضهم التي أقرضوها إياه، فيوفيهم ثوابها يوم القيامة، ولهم ثواب من الله على صدقهم، وقروضهم إياه كريم، وذلك الجنة" (١٣).
قال الزجاج: "أي: يضاعف لهم ما عملوا، ويكون ذلك التضعيف أجرا كريما" (١٤).
قال ابن كثير: "أي: يقابل لهم الحسنة بعشر أمثالها، ويزداد على ذلك إلى سبعمائة ضعف وفوق ذلك {وَلَهُمْ} ثواب جزيل حسن، ومرجع صالح ومآب {كَرِيمٌ} (١٥).
عن ابن جريج، في قوله: "{لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ}"، قال: كل شيء في القرآن: {لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ}، {وَرَزَقٌ كَرِيمٌ} فهو الجنة" (١٦).

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٤٢/٤.

(٢) التفسير الميسر: ٥٣٩.

(٣) تفسير ابن كثير: ٢٢/٨.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ١٩٠/٢٣، ومعاني القرآن للزجاج: ١٢٦/٥.

(٥) التفسير الميسر: ٥٣٩.

(٦) معاني القرآن: ١٢٦/٥.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٤٢/٤.

(٨) تفسير الطبري: ١٩٠/٢٣.

(٩) تفسير ابن كثير: ٢٢/٨.

(١٠) الكشاف: ٤٧٨/٤.

(١١) تفسير الثعلبي: ٢٤٣/٩.

(١٢) التفسير الميسر: ٥٣٩.

(١٣) تفسير الطبري: ١٩٠/٢٣.

(١٤) معاني القرآن: ١٢٦/٥.

(١٥) تفسير ابن كثير: ٢٢/٨.

(١٦) الدر المنثور: ٢٤٦/٥، وعزاه إلى ابن المنذر.

قال محمد بن كعب القرظي: "إذا سمعت الله يقول: {رزق كريم}، فهي الجنة"^(١).
قرئ: يضعف، ويضعاف، بكسر العين، أي: يضعاف الله"^(٢).

القرآن

{وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١٩)} [الحديد : ١٩]

التفسير:

والذين آمنوا بالله ورسوله ولم يفرقوا بين أحد منهم، أولئك هم الصديقون الذين كمل تصديقهم بما جاءت به الرسل، اعتقادًا وقولًا وعملاً، والشهداء عند ربهم لهم ثوابهم الجزيل عند الله، ونورهم العظيم يوم القيامة، والذين كفروا وكذبوا بأدلتنا وحججنا أولئك أصحاب الجحيم، فلا أجر لهم، ولا نور.

سبب النزول:

قال مقاتل: "فقال الفقراء-أي بعد نزول الآية السابقة"^(٣): - ليس لنا أموال نجاهد بها أو نتصدق بها، فأنزل الله- تعالى-: {وَالَّذِينَ آمَنُوا...}"^(٤).

قوله تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} [الحديد : ١٩]، أي: "والذين آمنوا بالله ورسوله ولم يفرقوا بين أحد منهم، أولئك هم الصديقون الذين كمل تصديقهم بما جاءت به الرسل، اعتقادًا وقولًا وعملاً"^(٥).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: والذين أقرّوا بوحدانية الله وإرساله رسله، فصدقوا الرسل وامنوا بما جاءهم به من عند ربهم، أولئك هم الصديقون"^(٦).

قال الزجاج: " {الصَّادِقُونَ} على وزن «الفعيلين»، وأحدهم: صديق. وهو اسم للمبالغة في الفعل تقول: رجل صديق. كثير التصديق، وكذلك: رجل سكيت. كثير السكوت. فالمعنى إن المؤمن المصدق بالله ورسوله هو المبالغ في الصدق"^(٧).

قوله تعالى: {وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ} [الحديد : ١٩]، أي: "والشهداء عند ربهم لهم ثوابهم الجزيل عند الله، ونورهم العظيم يوم القيامة"^(٨).

قال ابن كثير: " {وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ}، {لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ}، أي: لهم عند ربهم أجر جزيل ونور عظيم يسعى بين أيديهم، وهم في ذلك يتفاوتون بحسب ما كانوا في الدار الدنيا من الأعمال"^(٩).

قال مسروق: "سألنا عبد الله عن هذه الآية: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} [آل عمران: ١٦٩]، قال: أما إنا قد سألنا عن ذلك، فقال: «أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعاً»، فقال: "هل تشتهون شيئاً؟ قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٣٩٩٠): ص ٢٥٠٠/٨.

(٢) انظر: الكشاف: ٤/٤٧٨.

(٣) {إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَبُوا اللَّهَ قَرَضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ} [الحديد : ١٨].

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤/٢٤٢.

(٥) التفسير الميسر: ٥٤٠.

(٦) تفسير الطبري: ١٩٠/٢٣.

(٧) معاني القرآن: ٥/١٢٦.

(٨) التفسير الميسر: ٥٤٠.

(٩) تفسير ابن كثير: ٨/٢٣.

من أن يسألوا، قالوا: يا رب، نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا^(١).

عمر ابن الخطاب يقول: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: "الشهداء أربعة: رجل مؤمن جيد الإيمان لقي العدو فصدق الله فقتل، فذلك الذي ينظر الناس إليه هكذا، ورفع رأسه حتى سقطت قلنسوة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أو قلنسوة عمر، والثاني رجل مؤمن لقي العدو فكأنما يضرب ظهره بشوك الطلح، جاءه سهم غرب فقتله، فذلك في الدرجة الثانية، والثالث رجل مؤمن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً ولقي العدو فصدق الله عز وجل حتى قتل، فذلك في الدرجة الثالثة، والرابع رجل مؤمن أسرف على نفسه إصرافاً كثيراً، لقي العدو فصدق الله حتى قتل، فذلك في الدرجة الرابعة"^(٢).
واختلفوا في نظم الآية على قولين:

أحدهما: أن قوله {وَالشَّهَدَاءُ} من صفة {الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ}، فالذين آمنوا بالله ورسوله هم الصديقون وهم الشهداء عند ربهم، قاله مجاهد^(٣)، وزيد بن أسلم^(٤).
عن مجاهد: "وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ"، قال: كل مؤمن شهيد، ثم قرأها^(٥).
عن مجاهد، في قوله: {الصَّادِقُونَ وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ}، قال: "بالإيمان على أنفسهم بالله"^(٦).

عن البراء بن عازب، قال: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «مُؤْمِنُونَ أُمَّتِي شُهَدَاءُ». قال: ثم تلا النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية: {وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ}^(٧).

عن معن أبي قيس: "أنه سمع هذيلاً يحدث، قال: ذكروا الشهداء، فقال عبد الله: الرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، والرجل يقاتل للدنيا، والرجل يقاتل للسمعة، والرجل يقاتل للمغرم؛ قال شعبة شيئاً هذا معناه: والرجل يقاتل يريد وجه الله، والرجل يموت على فراشه وهو شهيد، وقرأ عبد الله هذه الآية: {وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ}^(٨).

قال الزمخشري: "يريد: أن المؤمنين بالله ورسوله هم عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء: وهم الذين سبقوا إلى التصديق واستشهدوا في سبيل الله، {لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ}، أي: مثل أجر الصديقين والشهداء ومثل نورهم، فإن قلت: كيف يسوى بينهم في الأجر ولا بد من التفاوت؟ قلت: المعنى أن الله يعطي المؤمنين أجرهم ويضاعفه لهم بفضله، حتى يساوى أجرهم مع أضعافه أجر أولئك"^(٩).

الثاني: أن تمام الكلام عند قوله عز وجل: {أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ}. ثم ابتداء فقال عز وجل: {وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ}. هذا قول ابن عباس^(١٠)، ومسروق^(١١)، وأبي الضحى^(١٢)، والفراء^(١٣).

(١) صحيح مسلم (١٨٨٧): ص ١٨٨٧/٣.

(٢) المسند (١٥٠): ص ١٢٠/١.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ١٩٢/٢٣.

(٤) انظر: النكت والعيون: ٤٧٩/٥.

(٥) أخرجه الطبري: ١٩٢/٢٣.

(٦) أخرجه الطبري: ١٩٢/٢٣.

(٧) أخرجه الطبري: ١٩٢/٢٣. قال ابن كثير: ٢٣/٨: "هذا حديث غريب".

(٨) أخرجه الطبري: ١٩٢/٢٣.

(٩) الكشاف: ٤٧٨/٤.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ١٩١/٢٣.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ١٩١/٢٣.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ١٩١/٢٣.

(١٣) انظر: معاني القرآن: ١٣٥/٣.

قال ابن كثير: " قوله: {وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} هذا تمام لجملة، وصف المؤمنين بالله ورسله بأنهم صديقون" (١).

قال مقاتل: " {وَالشُّهَدَاءُ}، يعني: من استشهد منهم" (٢).

وقال الفراء: " {وَالشُّهَدَاءُ}، يعني: النبيين" (٣).

عن ابن عباس، في قوله: " {وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ}، قال: هذه مفصولة، {وَالشُّهَدَاءُ} عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ" (٤).

عن أبي الضحى: " {أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ}، ثم استأنف الكلام فقال: { وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ} " (٥).

عن مسروق: {أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ} عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ، قال: هي للشهداء خاصة" (٦). وفي لفظ: " هي خاصة للشهداء" (٧).

عن أبي الضحى: " {أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ}، ثم استأنف الكلام فقال: { وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ} " (٨).

عن مسروق: {أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ} عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ، قال: هي للشهداء خاصة" (٩). وفي لفظ: " هي خاصة للشهداء" (١٠).

عن مكحول الشامي - من طريق برد - قال: " {أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ} للشهداء خاصة" (١١).

عن عبيد، قال: " سمعت الضحاك يقول: في قوله: {وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} هذه مفصولة، سماهم الله صديقين بأنهم آمنوا بالله وصدقوا رسله، ثم قال: {وَالشُّهَدَاءُ} عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ. هذه مفصولة" (١٢).

قال الضحاك: " {أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} هم ثمانية نفر من هذه الأمة، سبقوا أهل الأرض في زمانهم إلى الإسلام: أبو بكر، وعلي، وزيد، وعثمان، وطلحة، والزبير، وسعد، وحمزة، وتاسعهم عمر بن الخطاب" (١٣).

وروي عن مسروق، عن عبد الله في قوله: " {أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ} عِنْدَ رَبِّهِمْ قال: هم ثلاثة أصناف" (١٤).

قال ابن كثير: " يعني: المصدقين، والصديقين، والشهداء، كما قال الله تعالى: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ}

(١) تفسير ابن كثير: ٢٢/٨.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٤٢/٤.

(٣) انظر: معاني القرآن: ١٣٥/٣.

(٤) أخرجه الطبري: ١٩١/٢٣.

(٥) أخرجه الطبري: ١٩١/٢٣.

(٦) أخرجه الطبري: ١٩١/٢٣.

(٧) تفسير عبدالرزاق (٣١٦٤): ص ٢٨٨/٣.

(٨) أخرجه الطبري: ١٩١/٢٣.

(٩) أخرجه الطبري: ١٩١/٢٣.

(١٠) تفسير عبدالرزاق (٣١٦٤): ص ٢٨٨/٣.

(١١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (ت: محمد عوامة) ٢٧٥ / ١٠ (١٩٧٢٨).

(١٢) أخرجه الطبري: ١٩١/٢٣.

(١٣) تفسير الثعلبي ٢٣٤ / ٩، وتفسير البغوي ٣٨ / ٨.

(١٤) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٢٢/٨.

[النساء : ٦٩] ففرق بين الصديقين والشهداء، فدل على أنهما صنفان. ولا شك أن الصديق أعلى مقامًا من الشهيد^(١).

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم، كما يتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق، من المشرق أو المغرب، لتفاضل ما بينهم» قالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال: «بلى والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»^(٢).

قال الزجاج: " يصلح أن يكون كلاما مستأنفا مرفوعا بالابتداء، فيكون المعنى: «والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم». و«الشهداء»: هم الأنبياء، ويجوز أن يكون {وَالشُّهَدَاءُ} نسقا على ما قبله، فيكون المعنى: أولئك هم الصديقون وأولئك هم الشهداء عند ربهم، ويكون: {لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ} للجماعة من الصديقين والشهداء^(٣).

قال الطبري: "والذي هو أولى الأقوال عندي في ذلك بالصواب قول من قال: الكلام والخبر عن الذين آمنوا، متناه عند قوله: {وَأُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ}، وإن قوله: {وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ} خبر مبتدأ عن الشهداء، وإنما قلنا: إن ذلك أولى الأقوال في ذلك بالصواب، لأن ذلك هو الأغلب من معانيه في الظاهر، وأن الإيمان غير موجب في المتعارف للمؤمن اسم شهيد لا بمعنى غيره، إلا أن يراد به شهيد على ما آمن به وصدقته، فيكون ذلك وجهها، وإن كان فيه بعض البعد، لأن ذلك ليس بالمعروف من معانيه، إذا أطلق بغير وصل، فتأويل قوله: {وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ} إذن: والشهداء الذين قُتِلُوا في سبيل الله، أو هلكوا في سبيله عند ربهم، لهم ثواب الله إياهم في الآخرة ونورهم^(٤).

قال أبو إسحاق، عن عمرو بن ميمون في قوله: " {وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ}، قال: يجيئون يوم القيامة معًا كالإصبعين^(٥).

قوله تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ} [الحديد : ١٩]، أي: والذين كفروا وكذبوا بأدلتنا وحججنا أولئك أصحاب الجحيم، فلا أجر لهم، ولا نور^(٦). قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: والذين كفروا بالله وكذبوا بأدلتنا وحججه، أولئك أصحاب الجحيم^(٧).

قال ابن كثير: " لما ذكر السعداء ومآلهم، عطف بذكر الأشقياء وبين حالهم^(٨). قال الشوكاني: " أي: جمعوا بين الكفر وتكذيب الآيات، {وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ} يعذبون بها، ولا أجر لهم ولا نور، بل عذاب مقيم وظلمة دائمة^(٩).

قال السعدي: " فكذبوا بها بعد ما أبانت الحقائق. {وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ} الملازمون لها ملازمة الصاحب لصاحبه^(١٠).

عن أبي مالك: " {الجحيم}، قال: ما عظم من النار^(١١).

(١) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٢٢/٨.

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٢٥٦):ص١١٩/٤، وصحيح مسلم برقم (٢٨٣١):ص٢١٧٧/٤.

[يتراءون] يرون وينظرون ويتكلمون لذلك. (أهل الغرف) أصحاب المنازل العالية والغرف جمع غرفة وهي العلية. (الغابر) الذاهب أو الباقي بعد انتشار ضوء الفجر. (الأفق) أطراف السماء. (لتفاضل ما بينهم) ليعد منازل أهل الغرف وعلو درجاتهم عن باقي أهل الجنة].

(٣) معاني القرآن: ١٢٦/٥.

(٤) تفسير الطبري: ٩٣/٢٣.

(٥) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٢٣/٨.

(٦) التفسير الميسر: ٥٤٠.

(٧) تفسير الطبري: ٩٣/٢٣.

(٨) تفسير ابن كثير: ٢٣/٨.

(٩) فتح القدير: ٢٠٨/٥.

(١٠) تفسير السعدي: ٢٢٤.

و«الجحيم»: "النار الشديدة الإيقاد، ويقال جح فلان النار: إذا شدد إيقادها، ويقال أيضا لعين الأسد: جحمة لشدة اتقادها"^(٢).
فوائد الآيات: [١٦-١٩]:

- ١- التحذير من الغفلة ونسيان ذكر الله وما عنده من نعيم وما لديه من نكال وعذاب.
 - ٢- الحث على الرقة والخشوع لله سبحانه عند سماع ما أنزله من الكتاب والحكمة، والحذر من التشبه باليهود والنصارى، في قسوة قلوبهم، وخروجهم عن طاعة الله
 - ٣- وجوب التذكير للمؤمنين والوعظ والإرشاد والتعليم خشية أن تقسوا قلوبهم فيفسقوا كما فسق أهل الكتاب ويكفروا كما كفروا.
 - ٤- تقرير حقيقة وهي أن الأرض تحيا بالغيث والقلوب تحيا بالعلم والمواعظ والتذكير بالله.
 - ٥- بيان أصناف المؤمنين ورتبهم وهم المتصدقون والمقرضون في سبيل الله أموالهم والمؤمنون بالله ورسله حق الإيمان والصديقون وشهداء الجهاد في سبيل الله جعلنا الله منهم.
- قال السعدي: "فهذه الآيات جمعت أصناف الخلق، المتصدقين، والصدقيين، والشهداء، وأصحاب الجحيم:

- ف«المتصدقون»: الذين كان جل عملهم الإحسان إلى الخلق، وبذل النفع إليهم بغاية ما يمكنهم، خصوصا بالنفع بالمال في سبيل الله.
- و«الصديقون»: هم الذين كملوا مراتب الإيمان والعمل الصالح، والعلم النافع، واليقين الصادق.
- و«الشهداء»: هم الذين قاتلوا في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، وبذلوا أنفسهم وأموالهم فقتلوا.
- و«أصحاب الجحيم»: هم الكفار الذين كذبوا بآيات الله.
- وبقي قسم ذكرهم الله في سورة «فاطر»، وهم «المقتصدون»، الذين أدوا الواجبات وتركوا المحرمات، إلا أنهم حصل منهم تقصير ببعض حقوق الله وحقوق عباده، فهؤلاء مآلهم الجنة، وإن حصل لهم عقوبة ببعض ما فعلوا"^(٣).

القرآن

{اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (٢٠) [الحديد : ٢٠]

التفسير:

اعلموا -أيها الناس- أنما الحياة الدنيا لعب ولهو، تلعب بها الأبدان وتلهو بها القلوب، وزينة تنزبنون بها، وتفخر بينكم بمتاعها، وتكاثر بالعدد في الأموال والأولاد، مثلها كمثل مطر أعجب الزُّرَّاع نباته، ثم يهيج هذا النبات فيبيس، فتراه مصفراً بعد خضرته، ثم يكون فتاتاً يابساً متهشماً، وفي الآخرة عذاب شديد للكفار ومغفرة من الله ورضوان لأهل الإيمان. وما الحياة الدنيا لمن عمل لها ناسياً آخرته إلا متاع الغرور.

قوله تعالى: {اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ} [الحديد : ٢٠]، أي: "اعلموا -أيها الناس- أنما الحياة الدنيا لعب ولهو، تلعب بها الأبدان وتلهو بها القلوب"^(٤).
قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: اعلموا أيها الناس إن متاع الحياة الدنيا المعجلة لكم، ما هي إلا لعب ولهو تتفكّهون به"^(١).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٠٥٣): ص ١٨٩٤/٦.

(٢) فتح القدير للشوكاني: ٧٩/٢.

(٣) تفسير السعدي: ٨٤٠.

(٤) التفسير الميسر: ٥٤٠.

قال النحاس: "أي: يفرح الإنسان بحياته فيها كما يفرح باللعب، ثم تزول حياته كما يزول لعبه"^(٢).

قال السمعاني: "أي: هي ما يلعب به ويلهي .. والمراد به: كل ما أريد به غير الله، أو كل ما شغل عن الدين. ويقال: لعب ولهو: أكل وشرب. ويقال: اللعب الأولاد، واللهو النساء"^(٣).

قال الثعلبي: "لعبٌ": لعب باطل لا حاصل له، {ولهوٌ}: فرح ثم ينقضي"^(٤).

قال الواحدي: أي: "في انقضائها وقلة حاصلها"^(٥).

قال مقاتل: "زهدهم في الدنيا لكي لا يرغبوا فيها"^(٦).

قال ابن عباس في هذه الآية: "يريد ما كان لغير الله فهو باطل وغرور"^(٧).

قوله تعالى: {وَزِينَةٌ} [الحديد: ٢٠]، أي: "وزينة تتزينون بها"^(٨).

قال الثعلبي: "منظر يتزينون به"^(٩).

قال الواحدي: "يتزينون بها"^(١٠).

قال ابن عباس: "يريد يتزين الناس بما لا يحب الله ولا يرضى"^(١١).

قوله تعالى: {وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ} [الحديد: ٢٠]، أي: "وتفاخر بينكم بمتاعها"^(١٢).

قال الطبري: يقول: "يفخر بعضهم على بعض بما أولى فيها من رياشها"^(١٣).

قال الثعلبي: "يفخر به بعضهم على بعض"^(١٤).

قال ابن عباس: "يفخر الرجل قريبه وجاره"^(١٥).

قوله تعالى: {وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ} [الحديد: ٢٠]، أي: "وتكاثر بالعدد في الأموال والأولاد"^(١٦).

قال الطبري: يقول: "ويباهي بعضهم بعضا بكثرة الأموال والأولاد"^(١٧).

قال الواحدي: "مباهاةً بكثرتها"^(١٨).

قال السمعاني: "أي: تطاول بكثرة الأولاد والأموال. والفرق بين التفاخر والتكاثر: أن التفاخر قد يكون ممن له ولد ومال مع من لا ولد له ولا مال، وأما التكاثر لا يكون إلا ممن له ولد ومال مع من له ولد ومال"^(١٩).

قال ابن عباس: "يجمع ما لا يحل له تكاثراً به، ويتطاول على أولياء الله بماله وخدمه وولده"^(٢٠).

(١) تفسير الطبري: ١٩٣/٢٣.

(٢) إعراب القرآن: ٢٤١/٤.

(٣) تفسير السمعاني: ٣٧٤/٥.

(٤) الكشاف والبيان: ٢٤٤/٩.

(٥) الوجيز: ١٠٦٩.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٤٣/٤.

(٧) التفسير البسيط: ٣٠٠/٢١، والتفسير الوسيط للواحدي: ٢٥٢/٤.

(٨) تفسير الطبري: ١٩٣/٢٣.

(٩) الكشاف والبيان: ٢٤٤/٩.

(١٠) الوجيز: ١٠٦٩.

(١١) التفسير البسيط: ٣٠٠/٢١، وتفسير القرطبي: ٢٥٥/٥.

(١٢) التفسير الميسر: ٥٤٠.

(١٣) تفسير الطبري: ١٩٣/٢٣.

(١٤) الكشاف والبيان: ٢٤٤/٩.

(١٥) التفسير البسيط: ٣٠٠/٢١، والتفسير الوسيط للواحدي: ٢٥٢/٤، وتفسير البغوي: ٢٩٨/٤.

(١٦) التفسير الميسر: ٥٤٠.

(١٧) تفسير الطبري: ١٩٣/٢٣.

(١٨) الوجيز: ١٠٦٩.

(١٩) تفسير السمعاني: ٣٧٥-٣٧٤/٥.

(٢٠) التفسير البسيط: ٣٠٠/٢١، والتفسير الوسيط: ٢٥٢/٤.

عن أبي هريرة -رضي الله عنه-، عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، قال: «من طلب الدنيا حلالا استعافا عن المسألة وسعيا على أهله وتعطفا على جاره، جاء يوم القيامة وجهه كالقمر ليلة البدر، ومن طلب الدنيا حلالا مفاخرا مكاثرا مراتيا، لقي الله وهو عليه غضبان»^(١). وقد ورد في بعض الأخبار أن النبي قال: " من طلب الدنيا تعففا عن السؤال، وصيانة للولد والعيال، جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر، ومن طلبها تفاخرا وتكاثرا ورياء للناس، فليتبوأ مقعده من النار"^(٢).

قال علي بن أبي طالب لعمار بن ياسر: «لا تحزن على الدنيا، فإن الدنيا ستة أشياء: مطعوم، ومشروب، وملبوس، ومشموم، ومركوب، ومنكوح. فأكبر طعامها العسل وهي بزقة ذبابة، وأكبر شرابها الماء ويستوي فيه جميع الحيوان، وأكبر الملبوس الديباج وهي نسجة دود، وأكبر المشموم المسك، وهي دم فأرة ظبية، وأكبر المركوب الفرس وعليها يقتل الرجال، وأكبر المنكوح النساء وهو مبال في مبال. والله إن المرأة ليزين أحسنها يراد به أقبحها»^(٣). قوله تعالى: {كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ} [الحديد : ٢٠]، أي: " مثلها كمثل مطر أعجب الزُّرَّاعَ نباته"^(٤).

قال الزجاج: "«الكفار» ههنا له تفسيران: أحدهما أنه الزرع، وإذا أعجب الزراع نباته مع علمهم به، فهو في غاية ما يستحسن. ويكون «الكفار» -ههنا-: الكفار بالله، وهم أشد إعجابا بزينة الدنيا من المؤمنين"^(٥).

عن مجاهد: " {أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ} يعني: الزراع"^(٦). قوله تعالى: {ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا} [الحديد : ٢٠]، أي: " ثم يبیس بعد خضرته ونُضْرته فتراه مصفر اللون بعد أن كان زاهياً ناضراً"^(٧).

قال الطبري: يقول: " ثم يبیس ذلك النبات، {فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا}، بعد أن كان أخضر نضراً"^(٨). قال الزجاج: " معنى {يَهِيْجُ} : يأخذ في الجفاف فيبتدى به الصفرة"^(٩). قال الحسن بن مسلم بن يثاق: " ثم يبیس ذلك الزرع من بعد خضرته، يقال للأرض إذا بیس ما فيها من الخضر وذوی"^(١٠): هاجت الأرض، وهاج الزرع"^(١١). وقرئ: «مصفارا»^(١٢).

قوله تعالى: {ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا} [الحديد : ٢٠]، أي: " ثم يكون فُتَاتًا يابسًا متهشمًا"^(١٣). قال الطبري: " يقول : ثم يكون ذلك النبات حطامًا، يعني به: أنه يكون نباتا يابسًا متهشمًا"^(١٤).

قال الزجاج: " أي: متحطما متكسرا ذاهبا، وضرب الله هذا مثلا لزوال الدنيا"^(١٥).

-
- (١) مسند إسحاق بن راهويه (٣٥٢): ص ٣٥٣/١، وبحر الفوائد بمعاني الأخبار للكلاباذي: ١٢٦.
(٢) نقلا عن: تفسير السمعي: ٣٧٥/٥.
(٣) حكاه عنه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٤٤/٩، وانظر: تفسير القرطبي: ٢٥٥ / ١٧.
(٤) التفسير الميسر: ٥٤٠.
(٥) معاني القرآن: ١٢٧/٥.
(٦) التفسير البسيط للواحدي: ٣٠١/٢١، وتفسير ابن كثير: ٣١٣/٣.
(٧) قال الأزهرى: " والعرب تقول: للزرع كافر؛ لأنه يكفُر البَدْرَ الذي يبذره بتراب الأرض". [نقلا عن: التفسير البسيط للواحدى: ٣٠١/٢١]
(٨) صفوة التفاسير: ٣٠٩/٣.
(٩) تفسير الطبري: ١٩٣/٢٣-١٩٤.
(١٠) معاني القرآن: ١٢٧/٥.
(١١) ذوى: ذَبَلٌ وَضَعْفٌ. لسان العرب (ذوي).
(١٢) أخرجه الطبري: ٢٧٦/٢١.
(١٣) انظر: الكشاف: ٤٧٩/٤.
(١٤) التفسير الميسر: ٥٤٠.
(١٥) تفسير الطبري: ١٩٤/٢٣.

قال السمعاني: "وقيل: يكون نباتا لا قمح فيه"^(٢).
قال الزمخشري في الآية: "شبه حال الدنيا وسرعة تقضيها مع قلة جدواها بنبات أنبته الغيث فاستوى واكتهل وأعجب به الكفار الجاحدون لنعمة الله فيما رزقهم من الغيث والنبات، فبعث عليه العاهة فهاج واصفرّ وصار حطاما عقوبة لهم على جحودهم، كما فعل بأصحاب الجنة وصاحب الجنتين"^(٣).
قوله تعالى: {وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ} [الحديد : ٢٠]، أي: "وفي الآخرة عذاب شديد للكفار ومغفرة من الله ورضوان لأهل الإيمان"^(٤).
قال الطبري: "يقول : وفي الآخرة عذاب شديد للكفار. {وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ} لأهل الإيمان بالله ورسوله"^(٥).
قال الزجاج: "فمغفرة لأولياء الله، وعذاب لأعدائه"^(٦).
قال السمعاني: {وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ}، يعني: لمن أثر الدنيا على الآخرة. وقوله: {وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ} يعني لمن أثر الآخرة على الدنيا"^(٧).
قال قتادة: "يقول: صار الناس إلى هذين الحرفين في الآخرة"^(٨).
قال ابن عباس: "عذاب شديد لأعداء الله {وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ} لأوليائه وأهل طاعته"^(٩).
قال الزمخشري في الآية: "أراد أن الدنيا ليست إلا محقرات من الأمور وهي اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر. وأما الآخرة فما هي إلا أمور عظام، وهي: العذاب الشديد والمغفرة ورضوان الله"^(١٠).
قوله تعالى: {وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْغُرُورِ} [الحديد : ٢٠]، أي: "وما الحياة الدنيا لمن عمل لها ناسيا آخرته إلا متاع الغرور"^(١١).
قال الطبري: "يقول : وما زينة الحياة الدنيا المعجلة لكم أيها الناس، إلا متاع الغرور"^(١٢).
قال ابن كثير: "أي : هي متاع فان غار لمن ركن إليه فإنه يغتر بها وتعجبه حتى يعتقد أنه لا دار سواها ولا معاد وراءها، وهي حقيرة قليلة بالنسبة إلى الدار الآخرة"^(١٣).
قال السمعاني: "مَتَاعُ الْغُرُورِ: هو كل ما لا أصل له، أو كل ما لا بقاء عليه"^(١٤).
عن أبي هريرة، عن النبي-صلى الله عليه وسلم-، قال: "موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها"^(١٥). وفي رواية الطبري: "اقرأوا: {وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْغُرُورِ}"^(١).

-
- (١) معاني القرآن: ١٢٧/٥.
(٢) تفسير السمعاني: ٣٧٥/٥.
(٣) الكشاف: ٤٧٨/٤.
(٤) التفسير الميسر: ٥٤٠.
(٥) تفسير الطبري: ١٩٤/٢٣.
(٦) معاني القرآن: ١٢٧/٥.
(٧) تفسير السمعاني: ٣٧٥/٥.
(٨) أخرجه الطبري: ١٩٤/٢٣.
(٩) التفسير البسيط: ٣٠٢/٢١، و "الوسيط" ٤/٢٥٢، وتفسير البغوي: ٤/٢٩٨.
(١٠) الكشاف: ٤٧٨/٤.
(١١) التفسير الميسر: ٥٤٠.
(١٢) تفسير الطبري: ١٩٤/٢٣.
(١٣) تفسير ابن كثير: ٨/٢٤-٢٥.
(١٤) تفسير السمعاني: ٣٧٥/٥.
(١٥) حديث أنس: أخرجه ابن عساکر (٣٧٣/٢٣).
حديث سهل: أخرجه البخاري (١١٨٧/٣) رقم (٣٠٧٨)، والترمذي (١٨٠/٤)، رقم (١٦٤٨) وقال: حسن صحيح.
وابن ماجه (١٤٤٨/٢) رقم (٤٣٣٠). وأخرجه أيضا: الحميدى (٤١٥/٢) رقم (٩٣٠)، وأحمد (٤٣٣/٣) رقم (١٥٦٠٢).

قال سهل: "الدنيا نفس نائمة، والآخرة نفس يقظانة. قيل: فما النجاة منها؟ قال: أصل ذلك العلم، ثم ثمرته مخالفة الهوى في اجتناب المناهي، ثم مكابدة النفس على أداء الأوامر على الطهارة من الأذناس، فيورث السهولة في التعبد والحلول بعده في مقامات العابدين، ثم يذيقه الله ما أذاق أوليائه وأصفياه وهي درجة المذاق"^(٢).

عن أبي مالك: {الغرور}: يعني: زينة الدنيا"^(٣).

قال سعيد بن جبير: "متاع الغرور: هو ما يلهيك عن طلب الآخرة وما لم يلهك فليس بمتاع الغرور ولكنه متاع بلاغ إلى ما هو خير منه"^(٤).

عن الأعمش: "وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ، قال: زاد الراعي"^(٥).

عن الأعمش: "متاع الحياة الدنيا، قال: مثل زاد الراعي"^(٦).

عن الأعمش: "متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل، قال المتاع: زاد الراعي مخلاته فيها طعامه"^(٧). عن قتادة: "متاع الحياة الدنيا، قال: هي متاع متروكة أوشكت والله الذي لا إله إلا هو أن تضمحل عن أهلها فخذوا من هذا المتاع طاعة الله إن استطعتم ولا قوة إلا بالله"^(٨).

عن هشام بن حسان، قال: سمعت الحسن يقول: "متاع الدنيا قليل، قال: رحم الله عبدا صاحبها على ذلك"^(٩).

قال سفيان بن عيينة: "العلم قبل العمل، ألا تراه قال: {اعلموا أنما الحياة الدنيا} إلى قوله: {سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها}!"^(١٠).

القرآن

{سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢١)} [الحديد : ٢١]

التفسير:

سابقوا -أيها الناس- في السعي إلى أسباب المغفرة من التوبة النصوح والابتعاد عن المعاصي؛ لِتُجْزَوْا مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض، وهي مُعَدَّة للذين وَحَدُوا الله وَاتَّبَعُوا رسله، ذلك فضل الله الذي يؤتیه مَن يشاء من خلقه، فالجنة لا تُنال إلا برحمة الله وفضله، والعمل الصالح. والله ذو الإحسان والعطاء الكثير الواسع على عباده المؤمنين.

قوله تعالى: {سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} [الحديد : ٢١]، أي: "سابقوا -أيها الناس- في السعي إلى أسباب المغفرة من التوبة النصوح والابتعاد عن المعاصي؛ لِتُجْزَوْا مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض"^(١١).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: {سَابِقُوا} أيها الناس {إلى} عمل يوجب لكم {مَغْفِرَةً} مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ"^(١).

- حديث أبي هريرة: أخرجه الترمذی (٢٣٢/٥، رقم ٣٠١٣) وقال: حسن صحيح. وأخرجه أيضا: ابن حبان (٤٣٤/١٦، رقم ٧٤١٧)، والحاكم (٣٢٧/٢، رقم ٣١٧٠) وقال: صحيح على شرط مسلم.
- (١) تفسير الطبري: ١٩٤/٢٣. قال ابن كثير: "٢٥/٨": وهذا الحديث ثابت في الصحيح بدون هذه الزيادة.
- (٢) تفسير التستري: ١٦٢.
- (٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٦١٤): ص ٨٣٣/٣.
- (٤) التفسير البسيط: ٣٠٢/٢١، وتفسير البغوي: ٢٩٨/٤، ولباب التأويل: ٣٦/٧، وفتح القدير: ١٧٥/٥.
- (٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٦١٢): ص ٨٣٣/٣.
- (٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٣٠٧): ص ١٩٤٠/٦.
- (٧) تفسير سفيان الثوري (٣٤١: ١٥: ١١): ص ١٢٦.
- (٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٣٠٨): ص ١٩٤٠/٦.
- (٩) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٤٧٧): ص ١٩٦٨/٦.
- (١٠) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٧/٢٨٥.
- (١١) التفسير الميسر: ٥٤٠.

قال النحاس: "أي: سابقوا بالأعمال التي توجب المغفرة" (٢).
 قال الزجاج: "المعنى: سابقوا بالأعمال الصالحة، وقيل إن الجنات سبع، وقيل أربع
 لقوله: {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ} [الرحمن : ٤٦]، وقوله بعد ذلك: {وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ}
 [الرحمن : ٦٢]. وقيل: {عَرْضُهَا} ولم يذكر طولها - والله أعلم - وإنما ذكر عرضها -ههنا-
 تمثيل للعباد بما يفعلونه ويقع في نفوسهم، وأكبر ما يقع في نفوسهم مقدار السماوات
 والأرض" (٣).

عن سعيد بن جبير: "إلى مغفرة من ربكم"، قال: لذنوبكم" (٤).
 قال سعيد بن جبير: "يعني: عرض سبع سموات وسبع أرضين لو لصق بعضهن إلى بعض
 فالجنة في عرضهن" (٥).

قال عطاء عن ابن عباس: "يريد لرجل واحد، يعني أن لكل واحد جنة بهذه السعة" (٦).
 قال ابن كيسان: "عنى به جنة واحدة من الجنان" (٧).
 عن رياح بن عبيدة -من طريق داود بن أبي هند- في قوله: "سابقوا إلى مغفرة من
 ربكم"، قال: التكبيرة الأولى، والصف الأول" (٨).
 عن أنس بن مالك -من طريق ثابت البناني- في قوله: "سابقوا إلى مغفرة من ربكم"،
 قال: التكبيرة الأولى" (٩).

عن كريب، قال: "أرسلني ابن عباس إلى رجل من أهل الكتاب أسأله عن هذه الآية جنة
 عرضها السماوات والأرض قال: فأخرج أسفار موسى فجعل ينظر، قال: تلفق كما يلفق الثوب،
 وأما طولها فلا يقدر قدره إلا الله" (١٠)، وروي عن يزيد بن أبي مالك نحو ذلك" (١١).

عن يعلى بن مرة، قال: "لقيت التتوخي رسول هرقل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 بحمص، شيخاً كبيراً قد فُئِد. قال: قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب هرقل،
 فناول الصحيفة رجلاً عن يساره. قال قلت: من صاحبكم الذي يقرأ؟ قالوا: معاوية. فإذا كتاب
 صاحبي: "إنك كتبت تدعوني إلى جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين، فأين النار؟
 " فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: سبحان الله! فأين الليل إذا جاء النهار؟" (١٢).

وعن طارق بن شهاب قال: "جاء رجل من اليهود إلى عمر فقال: تقولون: {جنة عرضها
 السماوات والأرض}، أين تكون النار؟ فقال له عمر: رأيت النهار إذا جاء أين يكون الليل؟
 رأيت الليل إذا جاء، أين يكون النهار؟ فقال: إنه لمثلها في التوراة، فقال له صاحبه: لم
 أخبرته؟ فقال له صاحبه: دعه، إنه بكل موقن" (١٣).

قوله تعالى: {أَعَدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ} [الحديد : ٢١]، أي: "وهي معدة للذين
 وحدوا الله واتبعوا رسوله" (١٤).

قال الطبري: "يعني: الذين وحدوا الله، وصدقوا رسوله" (١).

(١) تفسير الطبري: ١٩٤/٢٣.

(٢) إعراب القرآن: ٢٤١/٤.

(٣) معاني القرآن: ١٢٧/٥-١٢٨.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٤١٥٥): ص ٧٦١/٣.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٤١٥٨): ص ٧٦٢/٣.

(٦) التفسير البسيط: ٣٠٣/٢١.

(٧) حكاه عنه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٤٤/٩.

(٨) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٨/٢٦٣.

(٩) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦/١٨٨ (٢٦٤٧).

(١٠) تفسير ابن أبي حاتم (٤١٥٧): ص ٧٦٢/٣.

(١١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٤١٥٧): ص ٧٦٢/٣.

(١٢) أخرجه الطبري (٧٨٣١): ص ٢٠٩/٧.

(١٣) أخرجه الطبري (٧٨٣٥): ص ٢١٢/٧.

(١٤) التفسير الميسر: ٥٤٠.

عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "للجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك"^(٢).

قال ابن كثير: " ففي هذا الحديث دليل على اقتراب الخير والشر من الإنسان، وإذا كان الأمر كذلك ؛ فلهذا حثه الله على المبادرة إلى الخيرات، من فعل الطاعات، وترك المحرمات، التي تكفر عنه الذنوب والزلات، وتحصل له الثواب والدرجات"^(٣).

قوله تعالى: {ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ} [الحديد : ٢١]، أي: " ذلك الموعود به من المغفرة والجنة هو عطاء الله الواسع، يتفضل به على من يشاء من عبادة من غير إيجاب"^(٤). قال الطبري: يقول: " هذه الجنة التي عرضها كعرض السماء والأرض، التي أعدّها الله للذين آمنوا بالله ورسوله، فضل الله تفضل به على المؤمنين، والله يؤتي فضله من يشاء من خلقه"^(٥).

قال ابن كثير: " أي : هذا الذي أهلهم الله له هو من فضله ومنه عليهم وإحسانه إليهم"^(٦). قال الزجاج: " وهذا دليل أنه لا يدخل أحد الجنة إلا بفضل الله"^(٧). عن السدي: " {يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ}، قال: يختص به من يشاء"^(٨).

عن أبي هريرة: " أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى، والنعيم المقيم، فقال: «وما ذاك؟» قالوا: يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون ولا نتصدق، ويعتقون ولا نعتق، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أفلا أعلمكم شيئاً تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم؟ ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم» قالوا: بلى، يا رسول الله قال: «تسبحون، وتكبرون، وتحمدون، دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين مرة». قال أبو صالح: فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا، ففعلوا مثله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»"^(٩).

قوله تعالى: {وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} [الحديد : ٢١]، أي: " والله ذو الإحسان والعطاء الكثير الواسع على عباده المؤمنين"^(١٠).

قال الطبري: يقول: " وهو ذو الفضل العظيم عليهم، بما بسط لهم من الرزق في الدنيا، ووهب لهم من النعم، وعرفهم موضع الشكر، ثم جزاهم في الآخرة على الطاعة ما وصف أنه أعدّه لهم"^(١١).

عن سعيد بن جبير، قوله: " {العظيم}، يعني: وافر"^(١٢).

فوائد الآيتين: [٢٠-٢١]:

١- التحذير من الاغترار بالحياة الدنيا.

٢- الدعوة إلى المسابقة في طلب مغفرة الذنب ودخول الجنة.

(١) تفسير الطبري: ١٩٥/٢٣.

(٢) المسند (٣٨٧/١) وصحيح البخاري برقم (٦٤٨٨).

(٣) تفسير ابن كثير: ٢٥/٨.

(٤) صفوة التفاسير: ٣١٠/٣.

(٥) تفسير الطبري: ١٩٥/٢٣.

(٦) تفسير ابن كثير: ٢٥/٨.

(٧) معاني القرآن: ١٢٨/٥.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٥٤٥): ص ١١٦٢/٤.

(٩) صحيح مسلم (٥٩٥): ٤١٦/١، وأخرجه البخاري (٨٤٣): ص ١٦٨/١ باختلاف يسير في الألفاظ، وليس فيه قول أبي صالح.

(١٠) التفسير الميسر: ٥٤٠.

(١١) تفسير الطبري: ١٩٥/٢٣.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٧٠٤): ص ٦٨٣/٢.

٣- بيان الجنة وبيان ما يكسبها وهو الإيمان بالله ورسله ومستلزماته من التوحيد والعمل الصالح.

القرآن

{مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} (٢٢) { [الحديد : ٢٢]

التفسير:

ما أصابكم -أيها الناس- من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم من الأمراض والجوع والأسقام إلا هو مكتوب في اللوح المحفوظ من قبل أن تُخْلَق الخليفة. إن ذلك على الله تعالى يسير.

قوله تعالى: {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا} [الحديد : ٢٢]، أي: "ما أصابكم -أيها الناس- من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم من الأمراض والجوع والأسقام إلا هو مكتوب في اللوح المحفوظ من قبل أن تُخْلَق الخليفة"^(١).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: ما أصابكم أيها الناس من مصيبة في الأرض بجذوبها وقحوطها، وذهاب زرعها وفسادها، {وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ} بالأوصاب والأوجاع والأسقام، إلا في أم الكتاب، من قبل أن نخلق الأنفس. يقال: قد برأ الله هذا الشيء، بمعنى: خلقه فهو بارئ"^(٢).

قال السعدي: "وهذا شامل لعموم المصائب التي تصيب الخلق، من خير وشر، فكلها قد كتبت في اللوح المحفوظ، صغيرها وكبيرها"^(٣).

قال أبو عبيدة: "الخالق: البارئ"^(٤).

قال ابن عباس: "هو شيء قد فرغ منه من قبل أن نبرأ النفس"^(٥).

قال قتادة: "أما مصيبة الأرض: فالسنون. وأما في أنفسكم: فهذه الأمراض والأوصاب، {مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا}: من قبل أن نخلقها"^(٦).

وقال قتادة: "وبلغنا أنه ليس أحد يصيبه خدش عود، ولا نكبة قدم، ولا خلجان عرق إلا بذنب، وما يعفو عنه أكثر"^(٧).

قال الحسن: "كل مصيبة بين السماء والأرض ففي كتاب الله من قبل أن تبرأ النسمة"^(٨).

قال الضحاك: "هو شيء قد فرغ منه، {مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا}: من قبل أن نبرأ النفس"^(٩).

قال ابن زيد: "المصائب والرزق والأشياء كلها مما تحب وتكره فرغ الله من ذلك كله، قبل أن يبرأ النفوس ويخلقها"^(١٠).

وعن ابن عباس، في قوله: {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا}، يقول: في الدين والدنيا. {إلا في كتاب}: من قبل أن نخلقها"^(١١).

وفي عود الضمير في قوله تعالى {مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا} [الحديد : ٢٢]، وجوه^(١٢):

أحدها: الضمير عائد على المصيبة. قاله ابن عباس^(١٣).

(١) التفسير الميسر: ٥٤٠.

(٢) تفسير الطبري: ١٩٥/٢٣.

(٣) تفسير السعدي: ٨٤٢.

(٤) مجاز القرآن: ٢٥٤/٢.

(٥) أخرجه الطبري: ١٩٥/٢٣-١٩٦.

(٦) أخرجه الطبري: ١٩٦/٢٣.

(٧) أخرجه الطبري: ١٩٦/٢٣.

(٨) أخرجه الطبري: ١٩٦/٢٣.

(٩) أخرجه الطبري: ١٩٦/٢٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ١٩٦/٢٣.

(١١) أخرجه الطبري: ١٩٦/٢٣-١٩٧.

(١٢) المحرر الوجيز: ٢٦٨/٥.

(١٣) تفسير الثعلبي: ٢٤٥/٩.

عن ابن عباس: {مِنْ قَبْلِ أَنْ نُبْرَأَهَا}، "يعني: المصيبة"^(١).
الثاني: على الأرض. حكاه ابن عطية^(٢).
وقيل: على الأنفس، قاله ابن عباس^(٣)، وأبو العالية^(٤)، وقتادة^(٥)، والضحاك^(٦)، وابن زيد^(٧).
عن أبي العالية: {مِنْ قَبْلِ أَنْ نُبْرَأَهَا}، يعني: النسمة"^(٨).
قال ابن كثير: "الأحسن عوده على الخليفة والبرية؛ لدلالة الكلام عليها"^(٩).
قال ابن عطية: "وذكر المهدي جواز عود الضمير على جميع ما ذكر، وهي كلها معان صحاح، لأن الكتاب السابق أزلي قبل هذه كلها"^(١٠).
قوله تعالى: {إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} [الحديد: ٢٢]، أي: "إن إثبات ذلك على كثرتة سهل هين على الله عز وجل وإن كان عسيراً على العباد"^(١١).
قال الطبري: يقول: "إن خلق النفوس، وإحصاء ما هي لاقية من المصائب على الله سهل يسير"^(١٢).
قال ابن الجوزي: "أي: إن إثبات ذلك على كثرتة هين على الله عز وجل"^(١٣).
قال ابن عطية: "يريد: تحصيل الأشياء كلها في الكتاب"^(١٤).
قال ابن كثير: "أي: أن علمه تعالى الأشياء قبل كونها وكتابتها لها طبق ما يوجد في حينها سهل على الله، عز وجل؛ لأنه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون"^(١٥).
قال السعدي: "وهذا أمر عظيم لا تحيط به العقول، بل تذهل عنده أفئدة أولي الألباب، ولكنه على الله يسير"^(١٦).
قال ابن كثير: "وهذه الآية الكريمة من أدل دليل على القدرية نفاة العلم السابق - قبهم الله -"^(١٧).
قال عبد الله بن عمرو بن العاص: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة"^(١٨).

القرآن

{لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٢٣) الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٢٤)} [الحديد: ٢٣-٢٤]

- (١) تفسير الثعلبي: ٢٤٥/٩.
- (٢) المحرر الوجيز: ٢٦٨/٥.
- (٣) انظر: تفسير الطبري: ١٩٦/٢٣-١٩٧.
- (٤) تفسير الثعلبي: ٢٤٥/٩.
- (٥) انظر: تفسير الطبري: ١٩٦/٢٣.
- (٦) انظر: تفسير الطبري: ١٩٦/٢٣.
- (٧) انظر: تفسير الطبري: ١٩٦/٢٣.
- (٨) تفسير الثعلبي: ٢٤٥/٩.
- (٩) تفسير ابن كثير: ٢٦/٨.
- (١٠) المحرر الوجيز: ٢٦٨/٥.
- (١١) صفوة التفاسير: ٣١٠/٣.
- (١٢) تفسير الطبري: ١٩٧/٢٣.
- (١٣) زاد المسير: ٢٣٧/٤.
- (١٤) المحرر الوجيز: ٢٦٨/٥.
- (١٥) تفسير ابن كثير: ٢٦/٨.
- (١٦) تفسير السعدي: ٨٤٢.
- (١٧) تفسير ابن كثير: ٢٦/٨.
- (١٨) المسند (١٦٩/٢) وصحيح مسلم برقم (٢٦٥٣) وسنن الترمذي برقم (٢١٥٦).

التفسير:

لكي لا تحزنوا على ما فاتكم من الدنيا، ولا تفرحوا بما آتاكم فرحَ بطر وأشر. والله لا يحب كل متكبر بما أوتي من الدنيا فخور به على غيره. هؤلاء المتكبرون هم الذين ييخلون بمالهم، ولا ينفقونه في سبيل الله، ويأمرون الناس بالبخل بتحسينه لهم. ومن يتولَّى عن طاعة الله لا يضر إلا نفسه، ولن يضر الله شيئاً، فإن الله هو الغني عن خلقه، الحميد الذي له كل وصف حسن كامل، وفعل جميل يستحق أن يحمد عليه.

قوله تعالى: {لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ} [الحديد : ٢٣]، أي: "لكي لا تحزنوا على ما فاتكم من الدنيا، ولا تفرحوا بما آتاكم فرحَ بطر وأشر"^(١).

قال الطبري: يقول: "ما أصابكم أيها الناس من مصيبة في أموالكم ولا في أنفسكم، إلا في كتاب قد كتب ذلك فيه، من قبل أن نخلق نفوسكم، لكيلا تحزنوا، {عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ} من الدنيا، فلم تدركوه منها، {وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ} منها"^(٢).

قال ابن عطية: "معناه: فعل الله ذلك كله وأعلمكم به ليكون سبب تسليمكم وقلة أكثر أثمكم بأمر الدنيا، فلا تحزنوا على ما فات، ولا تفرحوا بالفرح المبطر بما آتاكم منها"^(٣).

قال ابن كثير: "أي: أعلمناكم بتقدم علمنا وسبق كتابتنا للأشياء قبل كونها، وتقديرنا الكائنات قبل وجودها، لتعلموا أن ما أصابكم لم يكن ليخطنكم، وما أخطاكم لم يكن ليصيبكم، فلا تأسوا على ما فاتكم، فإنه لو قدر شيء لكان {وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ}، أي: جاءكم، وتفسير^(٤): "آتاكم" أي: أعطاكم. وكلاهما متلازمان، أي: لا تفخروا على الناس بما أنعم الله به عليكم، فإن ذلك ليس بسعيكم ولا كدكم، وإنما هو عن قدر الله ورزقه لكم، فلا تتخذوا نعم الله أشراً وبطراً، تفخرون بها على الناس؛ ولهذا قال: {وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ}، أي: مختال في نفسه متكبر فخور، أي: على غيره"^(٥).

قال السعدي: "أخبر الله عباده بذلك لأجل أن تتقرر هذه القاعدة عندهم، وبينوا عليها ما أصابهم من الخير والشر، فلا يأسوا ويحزنوا على ما فاتهم، مما طمحت له أنفسهم وتشوفوا إليه، لعلمهم أن ذلك مكتوب في اللوح المحفوظ، لا بد من نفوذه ووقوعه، فلا سبيل إلى دفعه، ولا يفرحوا بما آتاهم الله فرحَ بطر وأشر، لعلمهم أنهم ما أدركوه بحولهم وقوتهم، وإنما أدركوه بفضل الله ومنه، فيشتغلوا بشكر من أولى النعم ودفع النقم"^(٦).

قال ابن زيد: "لا تأسوا على ما فاتكم من الدنيا، ولا تفرحوا بما آتاكم منها"^(٧).
عن ابن عباس: "لكي لا تأسوا على ما فاتكم من الدنيا، {وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ} منها"^(٨).

عن ابن عباس: "لكي لا تأسوا على ما فاتكم، قال: الصبر عند المصيبة، والشكر عند النعمة"^(٩).

قال ابن عباس: "ليس أحد إلا يحزن ويفرح، ولكن من أصابته مصيبة فجعلها صبراً، ومن أصابه خير فجعله شكراً"^(١٠).

(١) التفسير الميسر: ٥٤٠.

(٢) تفسير الطبري: ١٩٧/٢٣.

(٣) المحرر الوجيز: ٢٦٨/٥.

(٤) في بعض النسخ: ويقرأ "آتاكم". وإنما القراءة الثانية "أعطاكم". بقصر الألف. لذلك الصواب "وتفسير "آتاكم" كما في طبعة دار الكتب العلمية: ٥٩/٨.

(٥) تفسير ابن كثير: ٢٧/٨.

(٦) تفسير السعدي: ٨٤٢.

(٧) أخرجه الطبري: ١٩٨/٢٣.

(٨) أخرجه الطبري: ١٩٧/٢٣-١٩٨.

(٩) أخرجه الطبري: ١٩٨/٢٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ١٩٨/٢٣.

وقال عكرمة : "ليس أحد إلا وهو يفرح ويحزن، ولكن اجعلوا الفرح شكراً والحزن صبراً"^(١).

قرأ أبو عمرو وحده: «أتاكم» على وزن مضى، وهذا ملائم لقوله: فاتكّم. وقرأ الباقون من السبعة: «أتاكم»، على وزن أعطاكم، بمعنى أتاكم الله تعالى، وهي قراءة الحسن والأعرج وأهل مكة^(٢).

قوله تعالى: {وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} [الحديد : ٢٣]، أي: "والله لا يحب كل متكبر بما أوتي من الدنيا فخور به على غيره"^(٣).
قال الطبري: "يقول: والله لا يحب كل متكبر بما أوتي من الدنيا، فخور به على الناس"^(٤).

قال ابن كثير: "أي : مختال في نفسه متكبر فخور، أي : على غيره"^(٥).
قال السعدي: "أي: متكبر فظ غليظ، معجب بنفسه، فخور بنعم الله، ينسبها إلى نفسه، وتطغيه وتلهيه، كما قال تبارك وتعالى: {ثُمَّ إِذَا خَوْلَانَهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْنُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ}"^(٦).

عن مجاهد: "إن الله لا يحب كل مختال فخور" [لقمان: ١٨] ، يعني: «كل متكبر»^(٧).
عن مجاهد، في قوله: "فخور" [لقمان: ١٨] قال: «هو الذي يعدد ما أعطاه، وهو لا يشكر الله»^(٨).

عن جعفر بن برقان، قال: "سمعت يزيد بن الأصم، وتلا هذه الآية: {وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمَسَّ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} قال: هو أن يكلمك الرجل فتلوي وجهك محقرة له"^(٩).

قوله تعالى: {الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ} [الحديد : ٢٤]، أي: "هؤلاء المتكبرون هم الذين يبخلون بمالهم، ولا ينفقونه في سبيل الله، ويأمرون الناس بالبخل بتحسينه لهم"^(١٠).

قال الطبري: يقول: "والله لا يحب كل مختال فخور، الباخلين بما أوتوا في الدنيا على اختيالهم به وفخرهم بذلك على الناس، فهم يبخلون بإخراج حق الله الذي أوجبه عليهم فيه، ويشحون به، وهم مع بخلهم به أيضا يأمرون الناس بالبخل"^(١١).
قال ابن كثير: "أي : يفعلون المنكر ويحضون الناس عليه"^(١٢).

قال السعدي: "أي: يجمعون بين الأمرين الذميين، اللذين كل منهما كاف في الشر البخل: وهو منع الحقوق الواجبة، ويأمرون الناس بذلك، فلم يكفهم بخلهم، حتى أمروا الناس بذلك، وحثوهم على هذا الخلق الذميم، بقولهم وفعلهم، وهذا من إعراضهم عن طاعة ربهم وتوليهم عنها"^(١٣).

(١) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٢٧/٨.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ١٩٨/٢٣، والمحرر الوجيز: ٢٦٨/٥.

(٣) التفسير الميسر: ٥٤٠.

(٤) تفسير الطبري: ١٩٩/٢٣.

(٥) تفسير ابن كثير: ٢٧/٨.

(٦) تفسير السعدي: ٨٤٢.

(٧) تفسير مجاهد: ٥٤٢.

(٨) تفسير مجاهد: ٥٤٢.

(٩) تفسير إسحاق البستي(٢١٤): ص ٨٩/٢.

(١٠) التفسير الميسر: ٥٤٠.

(١١) تفسير الطبري: ١٩٩/٢٣.

(١٢) تفسير ابن كثير: ٢٧/٨.

(١٣) تفسير السعدي: ٨٤٢.

قوله تعالى: {وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} [الحديد : ٢٤]، أي: "ومن يتولَّ عن طاعة الله لا يضر إلا نفسه، ولن يضر الله شيئاً، فإن الله هو الغني عن خلقه، الحميد الذي له كل وصف حسن كامل، وفعل جميل يستحق أن يحمد عليه"^(١).

قال ابن عباس: "ومن يتول عن الإيمان فإن الله غني عن عبادته، حميد إلى أوليائه"^(٢). قال الطبري: يقول: "ومن يدبر معرضاً عن عظمة الله، تاركاً العمل بما دعاه إليه من الإنفاق في سبيله، فرحاً بما أوتي من الدنيا، مختالاً به فخوراً يخيلاً فإن الله هو الغني عن ماله ونفقته، وعن غيره من سائر خلقه، الحميد إلى خلقه بما أنعم به عليهم من نعمه"^(٣). قال ابن كثير: " {وَمَنْ يَتَوَلَّ}، أي: عن أمر الله وطاعته {فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} كما قال موسى عليه السلام: {إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ} [إبراهيم : ٨]"^(٤).

قال السعدي: " {وَمَنْ يَتَوَلَّ} عن طاعة الله فلا يضر إلا نفسه، ولن يضر الله شيئاً، {فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} الذي غناه من لوازم ذاته، الذي له ملك السموات والأرض، وهو الذي أغنى عباده وأقنأهم، الحميد الذي له كل اسم حسن، ووصف كامل، وفعل جميل، يستحق أن يحمد عليه ويثنى ويعظم"^(٥). وقرئ: «فَإِنَّ اللَّهَ الْغَنِيُّ»، بحذف «هو» من الكلام^(٦).

القرآن

{لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢٥)}

[الحديد : ٢٥]

التفسير:

لقد أرسلنا رسلنا بالحجج الواضحات، وأنزلنا معهم الكتاب بالأحكام والشرائع، وأنزلنا الميزان؛ ليتعامل الناس بينهم بالعدل، وأنزلنا لهم الحديد، فيه قوة شديدة، ومنافع للناس متعددة، وليعلم الله علماً ظاهراً للخلق من ينصر دينه ورسله بالغيب. إن الله قوي لا يقهر، عزيز لا يغالب. قوله تعالى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ} [الحديد : ٢٥]، أي: "لقد أرسلنا رسلنا بالحجج الواضحات"^(٧).

قال الطبري: يقول: "لقد أرسلنا رسلنا بالمفصلات من البيان والدلائل"^(٨). قال ابن كثير: "أي: بالمعجزات، والحجج الباهرات، والدلائل القاطعات"^(٩). قال السعدي: "وهي الأدلة والشواهد والعلامات الدالة على صدق ما جاءوا به وحقيقته"^(١٠).

قوله تعالى: {وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ} [الحديد : ٢٥]، أي: "وأنزلنا معهم الكتاب بالأحكام والشرائع، وأنزلنا الميزان؛ ليتعامل الناس بينهم بالعدل"^(١١).

(١) التفسير الميسر: ٥٤٠.

(٢) التفسير البسيط: ٣٠٨/٢١.

(٣) تفسير الطبري: ١٩٩/٢٣.

(٤) تفسير ابن كثير: ٢٧/٨.

(٥) تفسير السعدي: ٨٤٢.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٠/٢٣.

(٧) التفسير الميسر: ٥٤٠.

(٨) تفسير الطبري: ٢٠٠/٢٣.

(٩) تفسير ابن كثير: ٢٧/٨.

(١٠) تفسير السعدي: ٨٤٢.

(١١) التفسير الميسر: ٥٤٠.

قال الطبري: يقول: " وأنزلنا معهم الكتاب بالأحكام والشرائع، والميزان، ليعمل الناس بينهم بالعدل" (١).

قال السعدي: " {وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ}، وهو اسم جنس يشمل سائر الكتب التي أنزلها الله لهداية الخلق وإرشادهم، إلى ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، {وَالْمِيزَانَ} وهو العدل في الأقوال والأفعال، والدين الذي جاءت به الرسل، كله عدل وقسط في الأوامر والنواهي وفي معاملات الخلق، وفي الجنايات والقصاص والحدود والمواريث وغير ذلك، وذلك {لِيُقِيمَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ} قياما بدين الله، وتحصيلا لمصالحهم التي لا يمكن حصرها وعدّها، وهذا دليل على أن الرسل متفقون في قاعدة الشرع، وهو القيام بالقسط، وإن اختلفت أنواع العدل، بحسب الأزمنة والأحوال" (٢).

قال ابن كثير: " {وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ} وهو : النقل المصدق {وَالْمِيزَانَ} وهو : العدل. وهو الحق الذي تشهد به العقول الصحيحة المستقيمة المخالفة للأراء السقيمة، كما قال : {أَقْمِنُ كَانَ عَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ} [هود : ١٧]، وقال : {فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا} [الروم : ٣٠]، وقال : {وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ} [الرحمن : ٧] ؛ ولهذا قال في هذه الآية : {لِيُقِيمَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ}، أي : بالحق والعدل وهو : اتباع الرسل فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا به، فإن الذي جاؤوا به هو الحق الذي ليس وراءه حق، كما قال : {وَوَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا} [الأنعام : ١١٥] أي : صدقًا في الإخبار، وعدلا في الأوامر والنواهي. ولهذا يقول المؤمنون إذا تبوؤوا غرف الجنات، والمنازل العاليات، والسرر المصفوفات : {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَبَّنَا بِالْحَقِّ} [الأعراف : ٤٣] (٣).

عن قتادة: " {الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ}، قال: الميزان: العدل" (٤).
قال ابن زيد: " الميزان: ما يعمل الناس، ويتعاطون عليه في الدنيا من معاشهم التي يأخذون ويعطون، يأخذون بميزان، ويعطون بميزان، يعرف ما يأخذ وما يعطي. قال: والكتاب فيه دين الناس الذي يعملون ويتركون، فالكتاب للأخرة، والميزان للدنيا" (٥).
قوله تعالى: {وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ} [الحديد : ٢٥]، أي: " وأنزلنا لهم الحديد، فيه قوة شديدة، ومنافع للناس متعددة" (٦).

قال الطبري: يقول: " وأنزلنا لهم الحديد فيه بأس شديد، يقول: فيه قوة شديدة، ومنافع للناس، وذلك ما ينتفعون به منه عند لقاءهم العدو، وغير ذلك من منافعه" (٧).
قال ابن كثير: " أي : وجعلنا الحديد رادعًا لمن أبى الحق وعانده بعد قيام الحجة عليه ؛ ولهذا أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة توحى إليه السور المكية، وكلها جدال مع المشركين، وبيان وإيضاح للتوحيد، وتبيان ودلائل، فلما قامت الحجة على من خالف شرع الله الهجرة، وأمرهم بالقتال بالسيوف، وضرب الرقاب والهام لمن خالف القرآن وكذب به وعانده.. {فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ} يعني : السلاح كالسيوف، والحراب، والسنان، والنصال، والدروع، ونحوها. {وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ}، أي : في معاشهم كالسكة والفأس والقدوم، والمنشار، والإزميل، والمجرقة، والآلات التي يستعان بها في الحراثة والحياسة والطبخ والخبز وما لا قوام للناس بدونه، وغير ذلك" (٨).

(١) تفسير الطبري: ٢٠٠/٢٣، ٢٠٠١. [بتصرف]

(٢) تفسير السعدي: ٨٤٢.

(٣) تفسير ابن كثير: ٢٧/٨.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٠٠/٢٣.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٠٠/٢٣.

(٦) التفسير الميسر: ٥٤٠.

(٧) تفسير الطبري: ٢٠١/٢٣.

(٨) تفسير ابن كثير: ٢٧/٨-٢٨.

عن الحسن: "وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ: {خَلَقْنَاهُ} (١).
 عن مجاهد: قوله: {وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ}، وجئته وسلاح، وأنزله
 ليعلم الله من ينصره" (٢).
 قال ابن زيد: "البأس الشديد: السيف والسلاح الذي يقاتل الناس بها، {وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ}
 بعد، يحفرون بها الأرض والجبال وغير ذلك" (٣).
 قال ابن عباس: "ثلاثة أشياء نزلت مع آدم صلوات الله عليه: السندان، والكلبتان،
 والميعة، والمطرقة" (٤).
 عن عكرمة في قوله: "وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ" الآية قال: إن أول ما أنزل الله من الحديد
 الكلبتين والذي يضرب عليه الحديد" (٥).
 عن الحسن: "أنه سئل عن شرب خبث الحديد فكرهه، فقيل له: أليس الله - عز وجل -
 قال في كتابه: {وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ}؟ قال: لم يجعل الله منافعه في
 بطونهم، ولكن جعله في أبوابهم وسروجهم" (٦).
 عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بُعِثْتُ بالسيف بين يَدَيَّ
 الساعة حتى يُعَبِّدَ اللهُ وحده لا شريك له، وجُعِلَ رزقي تحت ظلِّ رُمْحِي، وجعل الذلة والصغار
 على من خالف أمري، ومن تشبَّه بقوم فهو منهم" (٧).
 قال السعدي: "وقرن تعالى في هذا الموضع بين الكتاب والحديد، لأن بهذين الأمرين
 ينصر الله دينه، ويعلي كلمته بالكتاب الذي فيه الحجة والبرهان والسيف الناصر بإذن الله،
 وكلاهما قيامه بالعدل والقسط، الذي يستدل به على حكمة الباري وكماله، وكمال شريعته التي
 شرعها على السنة رسله" (٨).
 قوله تعالى: {وَلْيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرَسُولُهُ بِالْغَيْبِ} [الحديد: ٢٥]، أي: "وليعلم الله علماً
 ظاهراً للخلق من ينصر دينه ورسله بالغيب" (٩).
 قال الطبري: يقول: "أرسلنا رسلنا إلى خلقنا وأنزلنا معهم هذه الأشياء ليعدلوا بينهم،
 وليعلم حزب الله من ينصر دين الله ورسله بالغيب منه عنهم" (١٠).
 قال ابن كثير: "أي: من نيته في حمل السلاح نصرته الله ورسله" (١١).
 قال السعدي: "أي: ليقوم تعالى سوق الامتحان بما أنزله من الكتاب والحديد، فيتبين من
 ينصره وينصر رسله في حال الغيب، التي ينفع فيها الإيمان قبل الشهادة، التي لا فائدة بوجود
 الإيمان فيها، لأنه حينئذ يكون ضرورياً" (١٢).
 قال الحسن: "الغيب: ما غاب عنكم ما لم تروه" (١٣).
 قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} [الحديد: ٢٥]، أي: "إن الله قوي لا يُفْهَرُ، عزيز لا
 يغالب" (١٤).

- (١) الكشاف: ٤/٤٨٠.
 (٢) أخرجه الطبري: ٢٠١/٢٣.
 (٣) أخرجه الطبري: ٢٠١/٢٣.
 (٤) أخرجه الطبري: ٢٠١/٢٣.
 (٥) الدر المنثور: ٦٤/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.
 (٦) أخرجه المستغفري في كتاب طب النبي - صلى الله عليه وسلم - ص ٣٤٨، ت: د. أحمد فارس السلوم، ط
 ١، ١٤٣٧ هـ.
 (٧) المسند (٥٠/٢) وسنن أبي داود برقم (٤٠٣١).
 (٨) تفسير السعدي: ٨٤٢.
 (٩) التفسير الميسر: ٥٤٠.
 (١٠) تفسير الطبري: ٢٠١/٢٣.
 (١١) تفسير ابن كثير: ٢٨/٨.
 (١٢) تفسير السعدي: ٨٤٢.
 (١٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٢٠٤): ص ١٨٦٤-١٨٦٥.

قال الطبري: يقول: "إن الله قويّ على الانتصار ممن بارزه بالمعاداة، وخالف أمره ونهيه، عزيز في انتقامه منهم، لا يقدر أحد على الانتصار منه مما أحلّ به من العقوبة"^(٢).
قال ابن كثير: "أي: هو قوي عزيز، ينصر من نصره من غير احتياج منه إلى الناس، وإنما شرع الجهاد ليلو بعضهم ببعض"^(٣).

قال السعدي: "أي: لا يعجزه شيء، ولا يفوته هارب، ومن قوته وعزته أن أنزل الحديد الذي منه الآلات القوية، ومن قوته وعزته أنه قادر على الانتصار من أعدائه، ولكنه يبغى أوليائه بأعدائه، ليعلم من ينصره بالغيب"^(٤).

قال قتادة: "قويا في أمره، عزيزا في نعمته"^(٥).

قال محمد بن إسحاق: "العزير في نصرته ممن كفر إذا شاء"^(٦).

قال أبو العالية: "عزير في نعمته إذا انتقم"^(٧). وروي عن قتادة والربيع بن أنس نحو ذلك^(٨).

فوائد الآيات: [٢٢-٢٥]:

- ١- تقرير عقيدة القضاء والقدر.
- ٢- بيان الحكمة في معرفة القضاء والقدر والإيمان بهما.
- ٣- حرمة الاختيال والفخر والبخل والأمر بالبخل.
- ٤- بيان إفضال الله وإنعامه على الناس بإرسال الرسل وإنزال الكتب والميزان وإنزال الحديد بما فيه منافع للناس وبأس شديد.

القرآن

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِثْلُ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٍ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٦)} [الحديد : ٢٦]

التفسير:

ولقد أرسلنا نوحًا وإبراهيم إلى قومهما، وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتب المنزلة، فمن ذريتهما مهتدٍ إلى الحق، وكثير منهم خارجون عن طاعة الله.

قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ} [الحديد : ٢٦]، أي: "ولقد أرسلنا نوحًا وإبراهيم إلى قومهما"^(٩).

قال الطبري: يقول: "ولقد أرسلنا أيها الناس نوحا إلى خلقنا، وإبراهيم خليفه إليهم رسولا"^(١٠).

قال أبو حيان: "لما ذكر تعالى إرسال الرسل جملة، أفرد منهم في هذه الآية نوحا وإبراهيم، عليهما السلام، تشريفا لهما بالذكر. أما نوح، فلأنه أول الرسل إلى من في الأرض وأما إبراهيم، فلأنه انتسب إليه أكثر الأنبياء عليهم السلام، وهو معظم في كل الشرائع"^(١١).

(١) التفسير الميسر: ٥٤٠.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠١/٢٣.

(٣) تفسير ابن كثير: ٢٨/٨.

(٤) تفسير السعدي: ٨٤٢.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٤٣/٢٠.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٤٩٨): ص ٩٨٣/٣.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٨٣٣): ص ١٦٦٤/٥.

(٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٦٦٤/٥.

(٩) التفسير الميسر: ٥٤١.

(١٠) تفسير الطبري: ٢٠٢/٢٣.

(١١) البحر المحيط في التفسير: ١١٤/١٠.

قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ} [الحديد : ٢٦]، أي: "وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتب المنزلة"^(١).

قال الطبري: "وكذلك كانت النبوة في ذريتهما، وعليهم أنزلت الكتب: التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان، وسائر الكتب المعروفة"^(٢).

قال ابن كثير: "يخير تعالى أنه منذ بعث نوحًا، عليه السلام، لم يرسل بعده رسولاً ولا نبياً إلا من ذريته، وكذلك إبراهيم، عليه السلام، خليل الرحمن، لم ينزل من السماء كتاباً ولا أرسل رسولاً ولا أوحى إلى بشر من بعده، إلا وهو من سلالة كما قال في الآية الأخرى: {وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ} يعني حتى كان آخر أنبياء بني إسرائيل عيسى ابن مريم الذي بشر من بعده بمحمد، صلوات الله وسلامه عليهما"^(٣).

قال ابن عباس: "الكتاب قال: الخط بالقلم"^(٤).

قوله تعالى: {فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ} [الحديد : ٢٦]، أي: "فمن ذريتهما مهتدٍ إلى الحق"^(٥).

قال الطبري: "يقول: فمن ذريتهما مهتدٍ إلى الحق مستبصر"^(٦).

قال القرطبي: "أي: من انتم بإبراهيم ونوح، وقيل: من ذريتهما مهتدون"^(٧).

قال السعدي: "مُهْتَدٍ {بِدَعْوَتِهِمْ، مَنْقَادَ لِأَمْرِهِمْ، مُسْتَرشِدَ بِهَدَاهِمُ}"^(٨).

قوله تعالى: {وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ} [الحديد : ٢٦]، أي: "وكثير منهم خارجون عن طاعة

الله"^(٩).

قال الطبري: "يعني: من ذريتهما ضلال، خارجون عن طاعة الله إلى معصيته"^(١٠).

قال القرطبي: أي: "كافرون خارجون عن الطاعة"^(١١).

قال السعدي: "أي: خارجون عن طاعة الله وطاعة الرسل والأنبياء، كما قال تعالى:

{وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ} [يوسف : ١٠٣]"^(١٢).

القرآن

{ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَنِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٧)} [الحديد : ٢٧]

التفسير:

ثم أتبعنا على آثارهم برسُلنا الذين أرسلناهم بالبينات، وقفينا بعيسى بن مريم، وآتيناه الإنجيل، وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه على دينه ليلاً وشفقة، فكانوا متوادين فيما بينهم، وابتدعوا رهبانية بالغلو في العبادة ما فرضناها عليهم، بل هم الذين التزموا بها من تلقاء أنفسهم، قصدهم بذلك رضا الله، فما قاموا بها حق القيام، فآتينا الذين آمنوا منهم بالله ورسله أجرهم حسب إيمانهم، وكثير منهم خارجون عن طاعة الله مكذبون بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

(١) التفسير الميسر: ٥٤١.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠٢/٢٣.

(٣) تفسير ابن كثير: ٢٨/٨.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٢٥٦): ص ١٧٢٥٥/٩.

(٥) التفسير الميسر: ٥٤١.

(٦) تفسير الطبري: ٢٠٢/٢٣.

(٧) تفسير القرطبي: ٢٦٢/١٧.

(٨) تفسير السعدي: ٨٤٢.

(٩) التفسير الميسر: ٥٤١.

(١٠) تفسير الطبري: ٢٠٢/٢٣.

(١١) تفسير القرطبي: ٢٦٢/١٧.

(١٢) تفسير السعدي: ٨٤٢.

قوله تعالى: {ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا} [الحديد : ٢٧]، أي: "ثم أتبعنا على آثار نوح وإبراهيم برسُلنا الذين أرسلناهم بالبينات"^(١).

قال الطبري: يقول: "ثم أتبعنا على آثارهم برسُلنا الذين أرسلناهم بالبينات على آثار نوح وإبراهيم برسُلنا، وأتبعنا بعيسى ابن مريم"^(٢).

قال القرطبي: "أي: أتبعنا على آثار الذرية. وقيل: على آثار نوح وإبراهيم {بِرُسُلِنَا} موسى وإلياس وداود وسليمان ويونس وغيرهم"^(٣).

قوله تعالى: {وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ} [الحديد : ٢٧]، أي: "وجعلنا عيسى ابن مريم بعد أولئك الرسل، وأنزلنا عليه الإنجيل"^(٤).

عن أبي مالك، قوله: "وقفينا {بِرُسُلِنَا} يعني - أتبعنا"^(٥).

قال الطبري: يقول: "وأتبعنا بعيسى ابن مريم"^(٦).

قال القرطبي: "فهو من ذرية إبراهيم من جهة أمه"^(٧).

قال أبو حيان: "ذكره تشريفا له، ولانتشار أمته، ونسبه لأمه على العادة في الإخبار عنه"^(٨).

قال السعدي: "خص الله عيسى عليه السلام؛ لأن السياق مع النصارى، الذين يزعمون اتباع عيسى عليه السلام"^(٩).

قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً} [الحديد : ٢٧]، أي: "وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه على دينه ليبا وشفقة، فكانوا متوادين فيما بينهم"^(١٠).

قال الطبري: يقول: "وجعلنا في قلوب الذين اتبعوا عيسى على مناجاه وشريعته، {رَأْفَةً} وهو أشد الرحمة، {وَرَحْمَةً}"^(١١).

قال ابن كثير: "وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه {وهم الحواريون} {رَأْفَةً وَرَحْمَةً}، أي : رافة وهي الخشية {وَرَحْمَةً} بالخلق"^(١٢).

عن قتادة: "وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رافة ورحمة"، فهاتان من الله"^(١٣).

قال السعدي: "ولهذا كان النصارى ألين من غيرهم قلوبا، حين كانوا على شريعة عيسى عليه السلام"^(١٤).

قال القرطبي: "فكان يواد بعضهم بعضا. وقيل: هذا إشارة إلى أنهم أمروا في الإنجيل بالصلح وترك إيذاء الناس وألان الله قلوبهم لذلك، بخلاف اليهود الذين قست قلوبهم وحرقوا الكلم عن مواضعه. والرأفة اللين، والرحمة الشفقة. وقيل: الرأفة تخفيف الكل، والرحمة تحمل الثقل. وقيل: الرأفة أشد الرحمة"^(١٥).

(١) التفسير الميسر: ٥٤١.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠٢/٢٣.

(٣) تفسير القرطبي: ٢٦٢/١٧.

(٤) صفوة التفاسير: ٣١٢/٣.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٨٠): ص ١٦٨/١.

(٦) تفسير الطبري: ٢٠٢/٢٣.

(٧) تفسير القرطبي: ٢٦٢/١٧.

(٨) البحر المحيط في التفسير: ١١٤/١٠.

(٩) تفسير السعدي: ٨٤٢.

(١٠) التفسير الميسر: ٥٤١.

(١١) تفسير الطبري: ٢٠٢/٢٣.

(١٢) تفسير ابن كثير: ٢٩/٨.

(١٣) أخرجه الطبري: ٢٠٣/٢٣.

(١٤) تفسير السعدي: ٨٤٢.

(١٥) تفسير القرطبي: ٢٦٢/١٧.

قوله تعالى: {وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ} [الحديد : ٢٧]، أي: " وابتدعوا رهبانية بالغلوّ في العبادة ما فرضناها عليهم، بل هم الذين التزموا بها من تلقاء أنفسهم، قَصْدُهُمْ بذلك رضا الله" (١).

قال الطبري: يقول: " {وَرَهْبَانِيَّةً} أحدثوها، ما افترضنا تلك الرهبانية عليهم، لكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله" (٢).

قال ابن كثير: " {وَرَهْبَانِيَّةً} ابتدعتها أمة النصارى، ما شرعناها لهم، وإنما هم التزموها من تلقاء أنفسهم" (٣).

عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "لكل نبي رهبانية، ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله عز وجل" (٤). وفي رواية: "لكل أمة رهبانية، ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله" (٥).

عن أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه، أن رجلا جاءه فقال : أوصني فقال : سألت عما سألت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبلك، أوصيك بتقوى الله، فإنه رأس كل شيء، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن، فإنه روحك في السماء وذكرك في الأرض" (٦).

وفي قوله تعالى: {إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ} [الحديد : ٢٧]، وجهان من التفسير: أحدهما : ما كتبنا عليهم ذلك إنما كتبنا عليهم ابتغاء رضوان الله" (٧).

قال الزجاج: " معناه: لم نكتبها عليهم ألبتة، ويكون {إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ} بدلا - من الهاء والألف، فيكون المعنى: ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله، وابتغاء رضوان الله اتباع ما أمر به" (٨).

الثاني : أنهم قصدوا بذلك رضوان الله، قاله سعيد بن جبير (٩)، وقتادة (١٠)، وابن زيد (١١).

قال القرطبي: " وذلك لأنهم حملوا أنفسهم على المشقات في الامتناع من المطعم والمشرب والنكاح والتعلق بالكهوف والصوامع، وذلك أن ملوكهم غيروا وبدلوا وبقي نفر قليل فترهبوا وتبتلوا" (١٢).

عن الحسن: " {وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا} افترضها الله عليهم حين ابتدعوها" (١٣).

قال قتادة: " لم تُكتب عليهم، ابتدعوها ابتغاء رضوان الله" (١٤).

قال قتادة : " والرهبانية ابتدعها قوم من أنفسهم، ولم تُكتب عليهم، ولكن ابتغوا بذلك وأرادوا رضوان الله، فما رعوها حقّ رعايتها، ذُكر لنا أنهم رفضوا النساء، واتخذوا الصوامع" (١٥).

(١) التفسير الميسر: ٥٤١.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠٢/٢٣.

(٣) تفسير ابن كثير: ٢٩/٨.

(٤) المسند (٢٦٦/٣) وفيه زيد العمى ضعيف.

(٥) مسند أبي يعلى (٢١٠/٧).

(٦) المسند (٨٢/٣) وقال الهيثمي في المجمع (٢١٥/٤) : "رجال أحمد ثقات".

(٧) انظر: معاني القرآن للزجاج: ١٣٠/٥، وتفسير ابن كثير: ٢٩/٨.

(٨) معاني القرآن: ١٣٠/٥.

(٩) انظر: تفسير ابن كثير: ٢٩/٨.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٣/٢٣.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٣/٢٣.

(١٢) تفسير القرطبي: ٢٦٣/١٧.

(١٣) ذكره يحيى بن سلام -تفسير ابن أبي زمنين ٤ / ٣٥٦ -.

(١٤) أخرجه الطبري: ٢٠٣/٢٣.

(١٥) أخرجه الطبري: ٢٠٣/٢٣.

قال الضحاك: "كان الله - عز وجل - كتب عليهم القتال قبل أن يبعث محمداً - صلى الله عليه وسلم -، فلما استخرج أهل الإيمان، ولم يبقَ منهم إلا القليل، وكثر أهل الشرك، وانقطعت الرسل؛ اعتزلوا الناس، فصاروا في الغيران، فلم يزالوا كذلك حتى غيرت طائفة منهم، فتركوا دين الله وأمره وعهده الذي عهده إليهم، وأخذوا بالبدع، فابتدعوا النصرانية واليهودية، فقال الله - عز وجل - : {فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا}، وثبتت طائفة منهم على دين عيسى، حتى بعث الله محمداً - صلى الله عليه وسلم -، فأمنوا به"^(١).

قال ابن زيد: "ابتدعوها ابتغاء رضوان الله تطوعاً، فما رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا"^(٢).
قال أبا أمامة الباهلي: "إن الله كتب عليكم صيام رمضان، ولم يكتب عليكم قيامه، وإنما القيام شيء ابتدعتموه، وإن قوماً ابتدعوا بدعة لم يكتبها الله عليهم، ابتغوا بها رضوان الله، فلم يرعوا حق رعايتها، فعابهم الله بتركها، فقال: {وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا}"^(٣).

قوله تعالى: {فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا} [الحديد : ٢٧]، أي: "فما قاموا بها حق القيام"^(٤).
قال ابن عباس: "يقول: ما أطاعوني فيها، وتكلموا فيها بمعصية الله"^(٥).
وفي المشار إليهم في قوله تعالى: {فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا} [الحديد : ٢٧]، قولان: القول الأول: أنهم الذين ابتدعوا الرهبانية، تهود منهم قوم وتنسروا. وهذا مذهب الضحاك^(٦)، وقتادة^(٧)، وهو مروى عن أبي أمامة^(٨)، وحكاه ابن الجوزي عن الجمهور^(٩).
ثم في معنى الكلام ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم ما رَعَوْهَا لتبديل دينهم وتغييرهم له قبل مبعث الرسول الله -صلى الله عليه وسلم-، قاله عطية العوفي^(١٠).

الثاني: لتقصيرهم فيما ألزموه أنفسهم. ذكره الزجاج^(١١).

قال القرطبي: "أي: فما قاموا بها حق القيام. وهذا خصوص، لأن الذين لم يرعوا بعض القوم، وإنما تسببوا بالترهب إلى طلب الرياسة على الناس وأكل أموالهم، كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ} [التوبة : ٣٤]، وهذا في قوم أداهم الترهيب إلى طلب الرياسة في آخر الأمر"^(١٢).

قال ابن كثير: "أي : فما قاموا بما التزموه حق القيام. وهذا ذم لهم من وجهين، أحدهما : في الابتداع في دين الله ما لم يأمر به الله. والثاني : في عدم قيامهم بما التزموه مما زعموا أنه قرابة يقربهم إلى الله، عز وجل"^(١٣).

قال الزجاج: "فلما ألزموا أنفسهم ذلك التطوع ودخلوا فيه لزمهم إتمامه، كما أن الإنسان إذا جعل على نفسه صوماً لم يفترض عليه لزمه أن يتمه"^(١٤).

- (١) .
- (٢) أخرجه الطبري: ٢٠٣/٢٣.
- (٣) أخرجه الطبري: ٢٠٦/٢٣.
- (٤) التفسير الميسر: ٥٤١.
- (٥) أخرجه الطبري: ٢٠٥/٢٣-٢٠٦.
- (٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٦/٢٣.
- (٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٣/٢٣.
- (٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٦/٢٣.
- (٩) انظر: زاد المسير: ٢٣٩/٤.
- (١٠) انظر: النكت والعيون: ٤٨٥/٥، وزاد المسير: ٢٣٩/٤.
- (١١) انظر: معاني القرآن: ١٣٠/٥.
- (١٢) تفسير القرطبي: ٢٦٣/١٧.
- (١٣) تفسير ابن كثير: ٢٩/٨.
- (١٤) معاني القرآن: ١٣٠/٥.

الثالث: لكفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم لما بُعث، فكانوا تاركين لطاعة الله، فما رَعوا تلك الرهبانية حق رعايتها، ذكره الزجاج^(١).

واختاره الزجاج، وقال: "ودليل ذلك قوله عز وجل: {قَاتِنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ} [الحديد: ٢٧]، أي: الذين آمنوا منهم بالنبي -عليه السلام-"^(٢).

والقول الثاني: أنهم الذين اتبعوا مبتدعي الرهبانية في رهبانيتهم، ما رَعوها بسلوك طريق أوليهم، روى هذا المعنى سعيد بن جبير عن ابن عباس^(٣).

قال ابن عباس: "كانت ملوك بعد عيسى بدّلوا التوراة والإنجيل، وكان فيهم مؤمنون يقرءون التوراة والإنجيل، فقيل لملكهم: ما نجد شيئا أشدّ علينا من شتم يشتمناه هؤلاء، أنهم يقرءون {وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} هؤلاء الآيات، مع ما يعيبوننا به في قراءتهم، فادعهم فليقرءوا كما نقرأ، وليؤمنوا كما آمننا به، قال: فدعاهم فجمعهم وعرض عليهم القتل، أو يتركوا قراءة التوراة والإنجيل، إلا ما بدّلوا منها، فقالوا: ما تريدون إلى ذلك فدعونا؛ قال: فقالت طائفة منهم: ابنوا لنا اسطوانة، ثم ارفعونا إليها، ثم أعطونا شيئا نرفع به طعامنا وشرابنا، فلا نردّ عليكم، وقالت طائفة منهم: دعونا نسيح في الأرض، ونهيم ونشرب كما تشرب الوحوش، فإن قدرتم علينا بأرضكم فاقتلونا، وقالت طائفة: ابنوا لنا دورا في الفيافي، ونحتقر الآبار، ونحترق البقول، فلا نردّ عليكم، ولا نمرّ بكم، وليس أحد من أولئك إلا وله حميم فيهم؛ قال: ففعلوا ذلك، فأنزل الله جلّ ثناؤه: {وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا}، الآخرون قالوا: نتعبد كما تعبد فلان، ونسيح كما ساحت فلان، ونتخذ دورا كما اتخذ فلان، وهم على شركهم لا علم لهم بإيمان الذين اقتدوا بهم؛ قال: فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبق منهم إلا قليل، انحطّ رجل من صومعته، وجاء سائح من سياحته، وجاء صاحب الدار من داره، وآمنوا به وصدّقوه، فقال الله جلّ ثناؤه: {يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ}، قال: أجرين لإيمانهم بعيسى، وتصديقهم بالتوراة والإنجيل، وإيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم، وتصديقهم به. قال: {وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ} : القرآن، وإتباعهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال: {لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}"^(٤).

وقال ابن عباس: "وذلك أن الله عزّ وجلّ كتب عليهم القتال قبل أن يبعث محمدا صلى الله عليه وسلم، فلما استخرج أهل الإيمان، ولم يبق منهم إلا قليل، وكثر أهل الشرك، وذهب الرسل وقهروا، اعتزلوا في الغيران، فلم يزل بهم ذلك حتى كفرت طائفة منهم، وتركوا أمر الله عزّ وجلّ ودينه، وأخذوا بالبدعة والنصرانية وباليهودية، فلم يرعوا حق رعايتها، وثبتت طائفة على دين عيسى ابن مريم صلوات الله عليه، حين جاءهم بالبينات، وبعث الله عزّ وجلّ محمدا رسولا صلى الله عليه وسلم وهم كذلك، فذلك قوله: {يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ} ... إلى {وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ}"^(٥).

قال الضحاك: "كان الله عزّ وجلّ كتب عليهم القتال قبل أن يبعث محمدا صلى الله عليه وسلم فلما استخرج أهل الإيمان، ولم يبق منهم إلا القليل، وكثر أهل الشرك، وانقطعت الرسل، اعتزلوا الناس، فصاروا في الغيران، فلم يزالوا كذلك حتى غيرت طائفة منهم، فتركوا دين الله وأمره، وعهده الذي عهده إليهم، وأخذوا بالبدع، فابتدعوا النصرانية واليهودية، فقال الله عزّ

(١) انظر: معاني القرآن: ١٣٠/٥.

(٢) معاني القرآن: ١٣٠/٥.

(٣) انظر: الطبري: ٢٠٣/٢٣-٢٠٤، وزاد المسير: ٢٣٩/٤.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٠٣/٢٣-٢٠٤.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٠٥/٢٣-٢٠٦.

وجلّ لهم: {فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا}، وثبتت طائفة منهم على دين عيسى صلوات الله عليه، حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم، فأمنوا به^(١).

عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اِخْتَلَفَ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، نَجَا مِنْهُمْ ثَلَاثٌ وَهَلَكَ سَائِرُهُمْ: فِرْقَةٌ مِنَ الثَّلَاثِ وَأَزَتْ الْمُلُوكَ وَقَاتَلَتْهُمْ عَلَى دِينِ اللَّهِ وَدِينِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، فَقَاتَلَتْهُمْ الْمُلُوكُ؛ وَفِرْقَةٌ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ طَاقَةٌ بِمُوزَاةِ الْمُلُوكِ، فَأَقَامُوا بَيْنَ ظَهْرَانِي قَوْمَهُمْ يَدْعُونَهُمْ إِلَى دِينِ اللَّهِ وَدِينِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، فَقَاتَلَتْهُمْ الْمُلُوكُ، وَنَشَرَتْهُمْ بِالْمَنَاشِيرِ؛ وَفِرْقَةٌ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ طَاقَةٌ بِمُوزَاةِ الْمُلُوكِ، وَلَا بِالْمَقَامِ بَيْنَ ظَهْرَانِي قَوْمَهُمْ يَدْعُونَهُمْ إِلَى دِينِ اللَّهِ وَدِينِ عِيسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، فَحَفُّوا بِالْبَرَارِيِّ وَالْجِبَالِ، فَتَرَهَّبُوا فِيهَا، فَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: {وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاَهَا عَلَيْهِمْ} قال: ما فعلوها إلا ابتغاء رضوان الله، {فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا}، قال: ما رعاها الذين من بعدهم حقَّ رعايتها، {فَاتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ}، قال: وهم الذين آمنوا بي، وصدقوني. قال: {وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ}، قال: وفهم الذين جحدوني وكذبوني^(٢).

قوله تعالى: {فَاتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ} [الحديد: ٢٧]، أي: "فاتينا الذين آمنوا منهم بالله ورسله أجرهم حسب إيمانهم"^(٣).

قال الطبري: يقول: "فأعطينا الذين آمنوا بالله ورسله من هؤلاء، الذين ابتدعوا الرهبانية ثوابهم على ابتغائهم رضوان الله، وإيمانهم به وبرسوله في الآخرة"^(٤).

عن ابن زيد: "فَاتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ"، قال: الذين رعو ذلك الحق"^(٥).
قوله تعالى: {وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ} [الحديد: ٢٧]، أي: "وكثير منهم خارجون عن طاعة الله مكذبون بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم"^(٦).

قال الطبري: يقول: "وكثير منهم أهل معاص، وخرج عن طاعته، والإيمان به"^(٧).

قال مقاتل: "يعني: الذين تهودوا، وتنصروا"^(٨).

عن مجاهد: {وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ} "يعني: أهل الرهبانية والبدعة"^(٩).

فوائد الآيتين: [٢٦-٢٧]:

- ١- بيان منة الله على عباده بإرسال الرسل.
 - ٢- بيان سنة الله في الناس وهي أنه إذا أرسل الرسل لهداية الناس يهتدي بعض ويضل بعض فيفسق.
 - ٣- ثناء الله على عيسى بن مريم وأتباعه بحق الحواريين وغيرهم إلى أن غيرت الملوك دين المسيح وضل الناس وأصبحوا فاسقين عن دين الله تعالى.
 - ٤- تحريم البدع والابتداع ولا رهبانية في الإسلام ولكن يعبد الله بما شرع.
- قال القرطبي في قوله تعالى: {وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاَهَا عَلَيْهِمْ} [الحديد: ٢٧]، "دليل على العزلة عن الناس في الصوامع والبيوت، وذلك مندوب إليه عند فساد الزمان وتغير الأصدقاء والإخوان، فعند فساد الزمان يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن"^(١٠).

(١) أخرجه الطبري: ٢٠٦/٢٣.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٠٤/٢٣-٢٠٥.

(٣) التفسير الميسر: ٥٤١.

(٤) تفسير الطبري: ٢٠٧/٢٣.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٠٧/٢٣.

(٦) التفسير الميسر: ٥٤١.

(٧) تفسير الطبري: ٢٠٧/٢٣.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٤٧/٤.

(٩) تفسير الثعلبي: ١٠٨/٢٦.

(١٠) تفسير القرطبي: ٤٥/١٩، ٢٦٤/١٧.

القرآن

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٨) { [الحديد : ٢٨]

التفسير:

يا أيها الذين آمنوا، امتثلوا أوامر الله واجتنبوا نواهيه وامنوا برسوله، يؤتكم ضعفين من رحمته، ويجعل لكم نوراً تهتدون به، ويغفر لكم ذنوبكم، والله غفور لعباده، رحيم بهم.

سبب النزول:

عن سعيد بن حبير، قال: "بعث النبي صلى الله عليه وسلم جعفرا في سبعين راكبا إلى النجاشي يدعوه، فقدم عليه، فدعاه فاستجاب له وأمن به؛ فلما كان عند انصرافه، قال ناس ممن قد آمن به من أهل مملكته، وهم أربعون رجلا ائذن لنا، فنأتي هذا النبي، فنسلم به، ونساعد هؤلاء في البحر، فإننا أعلم بالبحر منهم، فقدموا مع جعفر على النبي صلى الله عليه وسلم، وقد تهيأ النبي صلى الله عليه وسلم لوقعة أحد؛ فلما رأوا ما بالمسلمين من الخصاصة وشدة الحال، استأذنوا النبي صلى الله عليه وسلم، قالوا: يا نبي الله إن لنا أموالا ونحن نرى ما بالمسلمين من الخصاصة، فإن أذنت لنا انصرفنا، فجتنا بأموالنا، وواسينا المسلمين بها، فأذن لهم، فانصرفوا، فاتوا بأموالهم، فواسوا بها المسلمين، فأنزل الله فيهم: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ} إلى قوله: {وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ}، فكانت النفقة التي واسوا بها المسلمين؛ فلما سمع أهل الكتاب ممن لم يؤمن بقوله: {يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا}؛ فخرخوا على المسلمين فقالوا: يا معشر المسلمين، أما من آمن منا بكتابكم وكتابنا، فله أجره مرتين، ومن لم يؤمن بكتابكم فله أجر كأجوركم، فما فضلكم علينا، فأنزل الله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ}، فجعل لهم أجرهم، وزادهم النور والمغفرة، ثم قال: {لِكَيْلَا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ}، وهكذا قرأها سعيد بن حبير: {لِكَيْلَا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ} (١).

قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ} [الحديد : ٢٨]، أي: "يا أيها الذين آمنوا، امتثلوا أوامر الله واجتنبوا نواهيه وامنوا برسوله" (٢).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله من أهل الكتابين التوراة والإنجيل، خافوا الله بأداء طاعته، واجتنبوا معاصيه، وامنوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم" (٣).

قال ابن الجوزي: "عامة المفسرين على أن هذا الخطاب لليهود والنصارى، والمعنى: يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى اتقوا الله، وامنوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم" (٤).

قال أبو حيان: "الظاهر أنه نداء لمن آمن من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، فمعنى {آمنوا}: دوماً واثبتوا، وهكذا المعنى في كل أمر يكون المأمور ملتبساً بما أمر به" (٥).

عن ابن عباس، والضحاك: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ}، قالوا: "يعني: الذين آمنوا من أهل الكتاب" (٦).

قوله تعالى: {يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ} [الحديد : ٢٨]، أي: "يؤتكم ضعفين من رحمته" (٧).

قال ابن الجوزي: أي: "يؤتكم نصيبين، وحظين من رحمة" (٨).

(١) أخرجه الطبري: ٢٠٩/٢٣.

(٢) التفسير الميسر: ٥٤١.

(٣) تفسير الطبري: ٢٠٧/٢٣.

(٤) زاد المسير: ٢٣٩/٤.

(٥) البحر المحيط في التفسير: ١١٦/١٠.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٠٧/٢٣، ٢٠٨.

(٧) التفسير الميسر: ٥٤١.

قال القرطبي: "أي: مثلين من الأجر على إيمانكم بعتسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم، وهذا مثل قوله تعالى: {أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا} [القصص : ٥٤]، والكفل الحظ والنصيب"^(٢).

قال الطبري: يقول: "يُعْطِكُمْ ضَعْفَيْنِ مِنَ الْأَجْرِ، لِإِيْمَانِكُمْ بِعَيْسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالْأَنْبِيَاءَ قَبْلَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ إِيْمَانِكُمْ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ بَعَثَ نَبِيًّا. وَأَصْلُ الْكُفْلِ: الْحِظُّ، وَأَصْلُهُ: مَا يَكْتَفِلُ بِهِ الرَّكَّابُ، فَيَحْبِسُهُ وَيَحْفَظُهُ عَنِ السَّقُوطِ؛ يَقُولُ: يُحَصِّنُكُمْ هَذَا الْكُفْلُ مِنَ الْعَذَابِ، كَمَا يُحَصِّنُ الْكُفْلُ الرَّكَّابَ مِنَ السَّقُوطِ"^(٣).

قال الفراء: "الكفل: الحظ، وهو في الأصل ما يكتفل به الراكب فيحبسه ويحفظه عن السقوط، يقول: يحصنكم الكفل من عذاب الله، كما يحصن هذا الراكب الكفل من السقوط"^(٤). قال الزجاج: "معناه: يؤتكم نصيبين من رحمته، وإنما اشتقاقه في اللغة من: «الكفل»، وهو كساء يجعله الراكب تحته إذا ارتدفت لئلا يسقط، فتأويله: يؤتكم نصيبين يحفظانكم من هلكة المعاصي"^(٥).

عن ابن عباس: "يُؤْتِيَكُمْ كَفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ"، قال: أجرين، لإيمانهم بعتسى صلى الله عليه وسلم، وتصديقهم بالتوراة والإنجيل، وإيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم، وتصديقهم به"^(٦). وفي لفظ: "أجرين: إيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم، وإيمانهم بعتسى صلى الله عليه وسلم، والتوراة والإنجيل"^(٧).

قال الضحاك: "يقول: أجرين بإيمانكم بالكتاب الأول، والذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم"^(٨).

قال ابن زيد: "أجرين: أجر الدنيا، وأجر الآخرة"^(٩). عن أبي موسى: "يُؤْتِيَكُمْ كَفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ"، قال: الكفلان: ضعفان من الأجر - بلسان الحبشة -"^(١٠).

قال ابن عباس: "الكفلان: أجران بإيمانهم الأول، وبالكتاب الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم"^(١١).

عن ابن عباس، ومجاهد، في قوله: "يُؤْتِيَكُمْ كَفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ"، قالوا: "ضعفين"^(١٢). عن الشعبي، قال: "إن الناس يوم القيامة على أربع منازل: رجل كان مؤمنا بعتسى، فأمن بمحمد صلى الله عليه وسلم، فله أجر. ورجل كان كافرا بعتسى، فأمن بمحمد صلى الله عليه وسلم، فله أجر. ورجل كان كافرا بعتسى، فكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم، فبأه بغضب على غضب. ورجل كان كافرا بعتسى من مشركي العرب، فمات بكفره قبل محمد فبأه بغضب"^(١٣).

عن العباس بن الوليد، قال: "أخبرني أبي، قال: سألت سعيد بن عبد العزيز، عن الكفل كم هو؟ قال: ثلاث مئة وخمسون حسنة، والكفلان: سبع مئة حسنة. قال سعيد: سأل عمر بن

(١) زاد المسير: ٢٣٩/٤.

(٢) تفسير القرطبي: ٢٦٦/١٧.

(٣) تفسير الطبري: ٢٠٨/٢٣.

(٤) معاني القرآن: ١٣٧/٣.

(٥) معاني القرآن: ١٣١/٥.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٠٨/٢٣.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٠٨/٢٣.

(٨) أخرجه الطبري: ٢١٠/٢٣.

(٩) أخرجه الطبري: ٢١٠/٢٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٢١٠/٢٣.

(١١) أخرجه الطبري: ٢٠٩/٢٣.

(١٢) أخرجه الطبري: ٢٠٨/٢٣، ٢٠٩.

(١٣) أخرجه الطبري: ٢١٠/٢٣.

الخطاب رضي الله عنه حبرا من أحبار اليهود: كم أفضل ما ضعفت لكم الحسنة؟ قال: كفل ثلاث مئة وخمسون حسنة؛ قال: فحمد الله عمر على أنه أعطانا كفلين، ثم ذكر سعيد قول الله عز وجل في سورة الحديد {يُؤْتِكُمْ كَفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ}، فقلت له: الكفلان في الجمعة مثل هذا؟ قال: نعم" (١).

عن أبي بردة بن أبي موسى، عن أبيه، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ثلاثة لهم أجران: رجل من أهل الكتاب، آمن بنبيه وأمن بمحمد صلى الله عليه وسلم، والعبد المملوك إذا أدى حق الله وحق مواليه، ورجل كانت عنده أمة فأدبها فأحسن تأديبها، وعلمها فأحسن تعليمها، ثم أعتقها فتزوجها فله أجران "، ثم قال عامر: أعطيناها بغير شيء، قد كان يركب فيما دونها إلى المدينة" (٢).

عن عبد الله بن عمر، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إنما آجالكم في آجال من خلا من الأمم، كما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس، وإنما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استأجر عمالا فقال: من يعمل من بكرة إلى نصف النهار على قيراط قيراط، ألا فعملت اليهود ثم قال: من يعمل من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط، ألا فعملت النصارى، ثم قال: من يعمل من صلاة العصر إلى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين، ألا فعملتم" (٣).

عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استعمل عمالا فقال: من يعمل لي من صلاة الصبح إلى نصف النهار على قيراط قيراط؟ ألا فعملت اليهود. ثم قال: من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط؟ ألا فعملت النصارى. ثم قال من يعمل لي من صلاة العصر إلى غروب الشمس على قيراطين قيراطين؟ ألا فأنتم الذي عملتم. فغضبت النصارى واليهود، وقالوا: نحن أكثر عمالا وأقل عطاء. قال: هل ظلمتكم من أجركم شيئا؟ قالوا: لا. قال: فإنما هو فضلي أوتيته من أشياء" (٤).

وفي صحيح البخاري عن أبي بردة، عن أبي موسى، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استأجر قوماً يعملون له عمالا يوماً إلى الليل على أجر معلوم، فعملوا إلى نصف النهار فقالوا: لا حاجة لنا في أجرك الذي شرطت لنا، وما عملنا باطل. فقال لهم: لا تفعلوا، أكملوا بقية عملكم وخذوا أجركم كاملاً فأبوا وتركوا، واستأجر آخرين بعدهم فقال: أكملوا بقية يومكم ولكم الذي شرطت لهم من الأجر، فعملوا حتى إذا كان حين صلوا العصر قالوا: ما عملنا باطل، ولك الأجر الذي جعلت لنا فيه. فقال أكملوا بقية عملكم؛ فإن ما بقي من النهار شيء يسير. فأبوا، فاستأجر قوماً أن يعملوا له بقية يومهم، فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس، فاستكملوا أجر الفريقين كليهما، فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور" (٥).

عن أبي أمامة الباهلي، أنه قال: شهدت خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حجة الوداع، فقال قولا كثيرا حسنا جميلا وكان فيها: "من أسلم من أهل الكتابين فله أجره مرتين، وله مثل الذي لنا، وعليه مثل الذي علينا، ومن أسلم من المشركين فله أجره، وله الذي لنا، وعليه مثل الذي علينا" (٦).

(١) أخرجه الطبري: ٢١٠/٢٣.

(٢) صحيح البخاري (٩٧): ص ٣١/١، وأخرجه مسلم في الإيمان باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس رقم (١٥٤).

(٣) أخرجه الطبري: ٢١١/٢٣.

(٤) المسند (١١١/٢)، وتفسير الطبري: ٢١١/٢٣-٢١٢.

(٥) صحيح البخاري برقم (٢٢٧١).

(٦) أخرجه الطبري: ٢١٢/٢٣.

قوله تعالى: {وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ} [الحديد : ٢٨]، أي: "ويجعل لكم نوراً تهتدون به"^(١).

وفي قوله تعالى: {وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ} [الحديد : ٢٨]، على أربعة وجوه: أحدها : أنه الفرقان واتباعهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قاله ابن عباس^(٢).

وفي رواية عن ابن عباس: " {وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ}، قال: القرآن"^(٣).
الثاني : أنه الهدى، قاله مجاهد^(٤).

قال الزجاج: " يجعل لهم سبيلا واضحا من الهدى تهتدون به"^(٥).

قال السعدي: " أي: يعطيكم علما وهدى ونورا تمشون به في ظلمات الجهل"^(٦).

الثالث: ضياء {تَمْشُونَ بِهِ} في الآخرة على الصراط، وفي القيامة إلى الجنة، رواه أبو صالح عن ابن عباس^(٧)، وبه قال مقاتل^(٨).

قال مقاتل: " يعني: تمرن به على الصراط إلى الجنة نورا تهتدون به"^(٩).

قال الزجاج: " وهو علامة المؤمنين في القيامة، ودليل ذلك قوله: {يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِمْ مِنْ نُورِكُمْ} [الحديد : ١٣]"^(١٠).

الرابع : أنه الدين المتبوع في مصالح الدنيا وثواب الآخرة. أفاده الماوردي^(١١).

قال القرطبي: " وقيل: تمشون به في الناس تدعونهم إلى الإسلام فتكونون رؤساء في دين الإسلام لا تزول عنكم رئاسة كنتم فيها. وذلك أنهم خافوا أن تزول رئاستهم لو آمنوا بمحمد عليه السلام. وإنما كان يفوتهم أخذ رشوة يسيرة من الضعفة بتحريف أحكام الله، لا الرياسة الحقيقية في الدين"^(١٢).

قال الطبري: " وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره وعد هؤلاء القوم أن يجعل لهم نورا يمشون به، والقرآن، مع اتباع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نور لمن آمن بهما وصدقهما، وهدى؛ لأن من آمن بذلك، فقد اهتدى"^(١٣).

قوله تعالى: {وَيَغْفِرْ لَكُمْ} [الحديد : ٢٨]، أي: " ويغفر لكم ذنوبكم"^(١٤).

قال الطبري: " يقول: ويصفح لكم عن ذنوبكم، فيسترها عليكم"^(١٥).

قوله تعالى: {وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [الحديد : ٢٨]، أي: " والله غفور لعباده، رحيم بهم"^(١٦).

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: والله ذو مغفرة ورحمة"^(١٧).

قال ابن إسحاق: {والله غفور رحيم}، " أي: يغفر الذنوب ، ويرحم العباد ، على ما فيهم"^(١٨).

(١) التفسير الميسر: ٥٤١.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢١٢/٢٣.

(٣) أخرجه الطبري: ٢١٢/٢٣.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢١٣/٢٣.

(٥) معاني القرآن: ١٣١/٥.

(٦) تفسير السعدي: ٨٤٣.

(٧) انظر: زاد المسير: ٢٣٩/٤.

(٨) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٤٧/٤.

(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٤٧/٤.

(١٠) انظر: معاني القرآن: ١٣١/٥. [بتصرف]

(١١) انظر: النكت والعيون: ٤٨٦/٥.

(١٢) تفسير القرطبي: ٢٦٧/١٧.

(١٣) تفسير الطبري: ٢١٣/٢٣.

(١٤) التفسير الميسر: ٥٤١.

(١٥) تفسير الطبري: ٢١٣/٢٣.

(١٦) التفسير الميسر: ٥٤١.

(١٧) تفسير الطبري: ٢١٣/٢٣.

(١٨) أخرجه الطبري (٧٨٢٢): ص ٢٠٣/٧.

عن قتادة: "قوله: {غفورا}، قال: للذنوب الكثيرة أو الكبيرة"^(١).
 قال قتادة: "قوله: {رحيما}، بعباده"^(٢).
 قال سعيد بن جبير: "قوله: {رحيما} بهم بعد التوب"^(٣).

القرآن

**{لِنَلِّمَ يَعْلَمَ أَهْلَ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ
 وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢٩)} [الحديد : ٢٩]**

التفسير:

أعطاكم الله تعالى ذلك كله؛ ليعلم أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، أنهم لا يقدرُونَ على شيء من فضل الله يكسبونه لأنفسهم أو يمنحونه لغيرهم، وأن الفضل كله بيد الله وحده يؤتيه من يشاء من عباده، والله ذو الإحسان والعطاء الكثير الواسع على خلقه.
 في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها: عن قتادة، قوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ} [الحديد : ٢٨]، الآية، قال: لما نزلت هذه الآية، حسد أهل الكتاب المسلمين عليها، فأنزل الله عز وجل {لِنَلِّمَ يَعْلَمَ أَهْلَ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ} ... الآية، قال: ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: "إنما مثلنا ومثل أهل الكتابين قبلنا، كمثّل رجل استأجر أجراً، يعملون إلى الليل على قيراطٍ، فلما اننصف النهار سئموا عمله وملّوا، فحاسبهم، فأعطاهم على قدر ذلك، ثم استأجر أجراً إلى الليل على قيراطين، يعملون له بقية عمله، فقيل له ما شأن هؤلاء أقلهم عملاً وأكثرهم أجراً؟ قال: مالي أعطي من شئت، فأرجو أن تكون نحن أصحاب القيراطين"^(٤).

عن قتادة: "كفّلين من رحمته" [الحديد : ٢٨]، قال: بلغنا أنها حين نزلت حسد أهل الكتاب المسلمين، فأنزل الله: {لِنَلِّمَ يَعْلَمَ أَهْلَ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ}"^(٥).
 الثاني: قال مجاهد: قالت اليهود: يوشك أن يخرج منا نبي فيقطع الأيدي والأرجل، فلما خرج من العرب كفروا، فأنزل الله: {لِنَلِّمَ يَعْلَمَ أَهْلَ الْكِتَابِ} [الحديد : ٢٩]، الآية. يعني: بـ«الفضل»: النبوة"^(٦).

الثالث: أنه لما نزل في مسلمي أهل الكتاب قوله: {الَّذِينَ آمَنُوا بِالْكِتَابِ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ} [القصص : ٥٢]، إلى قوله عز وجل: {أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ} [القصص : ٥٤]، افتخروا على المسلمين بزيادة الأجر، فشق ذلك على المسلمين، فنزلت هاتان الآيتان. وهذا المعنى في رواية أبي صالح عن ابن عباس^(٧)، وبه قال مقاتل^(٨).

قال مقاتل: "فجعل الله- تعالى- لمن آمن بمحمد- صلى الله عليه وسلم- من أهل الإنجيل أجرهم مرتين بإيمانهم بالكتاب الأول وكتاب محمد- صلى الله عليه وسلم-، فافتخروا على أصحاب النبي- صلى الله عليه وسلم- بذلك، فقالوا: نحن أفضل منكم في الأجر لنا أجران بإيماننا بالكتاب الأول، والكتاب الآخر الذي جاء به محمد- صلى الله عليه وسلم- فشق على المسلمين،

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٥١٠٣): ص ٩١٥/٣.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٤٩٥): ص ٨٩٦/٣.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٤٩٤): ص ٨٩٦/٣.

(٤) أخرجه الطبري: ٢١٤/٢٣.

(٥) أخرجه الطبري: ٢١٤/٢٣.

(٦) الدر المنثور: ٦٨/٨، وعواه إلى عبد بن حميد وابن المنذر، وحكاه عنه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٥١/٩، والبيهقي في "التفسير": ٤٥/٨، والقرطبي في "التفسير": ٢٦٨/١٧.

(٧) عزاه ابن الجوزي لأبي صالح عن ابن عباس، انظر: زاد المسير: ٢٤٠/٤، وهذه رواية ساقطة، مدارها على الكلبي، وهو ممن يضع الحديث.

(٨) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٤٧/٤، وتقدم مرارا أن مقاتل متهم بالكذب، فهو ممن يضع الحديث.

فقالوا: ما بالنا قد هاجرنا مع النبي- صلى الله عليه وسلم- وأما به قبلكم ، وغزونا معه وأنتم لم تغزوا فأنزل الله- تعالى- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ} [الحديد : ٢٨] ..^(١).

قوله تعالى: {لِنَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ} [الحديد : ٢٩]، أي: " أعطاكم الله تعالى ذلك كله؛ ليعلم أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، أنهم لا يقدرون على شيء من فضل الله يكسبونه لأنفسهم أو يمنحونه لغيرهم"^(٢).

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبمحمد صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب، يفعل بكم ربكم هذا لكي يعلم أهل الكتاب أنهم لا يقدرون على شيء من فضل الله الذي آتاكم وخصكم به، لأنهم كانوا يرون أن الله قد فضّلهم على جميع الخلق، فأعلمهم الله جلّ ثناؤه أنه قد أتى أمة محمد صلى الله عليه وسلم من الفضل والكرامة، ما لم يؤتاهم، وأن أهل الكتاب حسدوا المؤمنين لما نزل قوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}، فقال الله عزّ وجلّ: فعلت ذلك؛ ليعلم أهل الكتاب أنهم لا يقدرون على شيء من فضل الله"^(٣).

قال ابن كثير: " أي : ليتحققوا أنهم لا يقدرون على ردّ ما أعطاه الله، ولا على إعطاء ما منع الله، {وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}"^(٤).

قال السعدي: " أي: بينا لكم فضلنا وإحساننا لمن آمن إيماناً عاماً، واتقى الله، وآمن برسوله، لأجل أن أهل الكتاب يكون لديهم علم بأنهم لا يقدرون على شيء من فضل الله أي: لا يحجرون على الله بحسب أهوائهم وعقولهم الفاسدة، فيقولون: {لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى} ويتمنون على الله الأمانى الفاسدة، فأخبر الله تعالى أن المؤمنين برسوله محمد صلى الله عليه وسلم، المتقين لله، لهم كفلان من رحمته، ونور، ومغفرة، رغما على أنوف أهل الكتاب"^(٥).

قال أبو حيان: " ليعلم أهل الكتاب الذين لم يسلموا أنهم لا ينالون شيئاً مما ذكر من فضله من الكفلين والنور والمغفرة، لأنهم لم يؤمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم ينفعهم إيمانهم بمن قبله، ولم يكسبهم فضلا قط. وإذا كان النداء لمؤمني هذه الأمة والأمر لهم، فروي أنه لما نزل هذا الوعد لهم حسدهم أهل الكتاب، وكانت اليهود تعظم دينها وأنفسها، وتزعم أنهم أعباء الله وأهل رضوانه، فنزلت هذه الآية معلمة أن الله تعالى فعل ذلك وأعلم به. ليعلم أهل الكتاب أنهم ليسوا كما يزعمون"^(٦).

قال ابن الجوزي: " المعنى: أنه جعل الأجر لمن آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ليعلم من لم يؤمن به أنه لا أجر لهم ولا نصيب في فضل الله، وقيل: أن الخطاب للمسلمين، فيكون المعنى: يؤتكم أجرين ليعلم مؤمنو أهل الكتاب أنهم لا يقدرون على شيء من فضل الله الذي خصّكم به فإنه فضلكم على جميع الخلائق"^(٧).

عن مجاهد، قال: "قالت اليهود: يوشك أن يخرج منا نبيٌّ، فيقطع الأيدي والأرجل. فلما خرج من العرب كفروا؛ فأنزل الله: {لِنَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ} الآية. يعني بالفضل: النبوة"^(٨).
عن ابن عباس: {لِنَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ}: الذين يتسمعون، {أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ}"^(٩).

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٤٧/٤.

(٢) التفسير الميسر: ٥٤١.

(٣) تفسير الطبري: ٢١٣/٢٣-٢١٤.

(٤) تفسير ابن كثير: ٣٣/٨.

(٥) تفسير السعدي: ٨٤٣.

(٦) البحر المحيط في التفسير: ١١٧/١٠.

(٧) زاد المسير: ٢٣٩/٤.

(٨) الدر المنثور: ٦٨/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٩) أخرجه الطبري: ٢١٤/٢٣.

وقيل: " {لَيْلًا يَعْلَمُ}، إنما هو ليعلم: ودُكر أن ذلك في قراءة عبد الله: «لِكَيْ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَا يَقْدِرُونَ»^(١).

عن أبي المعلى، قال: "كان سعيد بن جبير يقول: «لِكَيْلَا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ»"^(٢).
قوله تعالى: {وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ} [الحديد : ٢٩]، أي: " وأن الفضل كله بيد الله وحده يؤتيه مَنْ يشاء من عباده"^(٣).

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: وليعلموا أن الفضل بيد الله دونهم، ودون غيرهم من الخلق، يعطي فضله ذلك من يشاء من خلقه، ليس ذلك إلى أحد سواه"^(٤).

قال السعدي: أي: " ممن اقتضت حكمته تعالى أن يؤتيه من فضله"^(٥).

قال ابن الجوزي: " فأتاه المؤمنين"^(٦).

قال مقاتل: أي: " الإسلام"^(٧).

قوله تعالى: {وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} [الحديد : ٢٩]، أي: " والله ذو الإحسان والعطاء الكثير الواسع على خلقه"^(٨).

عن سعيد بن جبير، قوله: " {العظيم}، يعني: وافر"^(٩).

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: والله ذو الفضل على خلقه، العظيم فضله"^(١٠).

قال السعدي: " الذي لا يقدر قدره"^(١١).

قال مقاتل: " فأشرك المؤمنين في الكفلين مع أهل الإنجيل"^(١٢).

قال السعدي: " فلا يستكثر هذا الثواب على فضل ذي الفضل العظيم، الذي عم فضله أهل السماوات والأرض، فلا يخلو مخلوق من فضله طرفة عين ولا أقل من ذلك"^(١٣).
فوائد الآيتين: [٢٨-٢٩]:

١- أعظم نصيحة تقدم لأهل الكتاب لو أخذوا بها تضمنها نداء الله لهم وما وعدهم به في هذه الآية الكريمة.

٢- فضل الإيمان والتقوى إذ هما سبيل الولاية والكرامة في الدنيا والآخرة.

٣- إبطال مزاعم أهل الكتاب في احتكار الجنة لهم، وإعلامهم بأنهم محرومون منها ما لم يؤمنوا برسول الله ويتقوا الله بفعل أوامره واجتناب نواهيه.

«آخر تفسير سورة (الحديد)، والحمد لله وحده»

(١) أخرجه الطبري: ٢١٥/٢٣.

(٢) أخرجه الطبري: ٢١٥/٢٣.

(٣) التفسير الميسر: ٥٤١.

(٤) تفسير الطبري: ٢١٥/٢٣.

(٥) تفسير السعدي: ٨٤٣.

(٦) زاد المسير: ٢٣٩/٤.

(٧) تفسير مقاتل بن سيمان: ٢٤٧/٤.

(٨) التفسير الميسر: ٥٤١.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٧٠٤): ص ٦٨٣/٢.

(١٠) تفسير الطبري: ٢١٥/٢٣.

(١١) تفسير السعدي: ٨٤٣.

(١٢) تفسير مقاتل بن سيمان: ٢٤٧/٤.

(١٣) تفسير السعدي: ٨٤٣.

بسم الله الرحمن الرحيم تفسير سورة «المجادلة»

«سورة المجادلة»: هي السورة الثامنة والخمسون بحسب ترتيب سور المصحف العثماني، وهي السورة المائة وثلاث وفق تعداد نزول سور القرآن، نزلت بعد «سورة المنافقين»^(١)، وقبل «سورة التحريم».

قال ابن عاشور: "والذي يظهر أن سورة المجادلة نزلت قبل «سورة الأحزاب»؛ لأن الله تعالى قال في «سورة الأحزاب»: {وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ} [الأحزاب : ٤]، وذلك يقتضي أن تكون هذه الآية نزلت بعد إبطال حكم الظهار بما في «سورة المجادلة»؛ لأن قوله: {وَمَا جَعَلَ} يقتضي إبطال التحريم بالمظاهرة، وإنما أبطل بآية «سورة المجادلة»^(٢).

وقال السخاوي: "نزلت سورة المجادلة بعد سورة المنافقين، وقبل سورة الحجرات"^(٣). وآياتها اثنتان وعشرون عند الجمهور، وإحدى وعشرون عند المكيين. وكلماتها أربعمئة وثلاث وسبعون. وحروفها ألف وسبعمائة واثنتان وتسعون. المختلف فيها آية واحدة: {في الأدلّين} [المجادلة : ٢٠]، مجموع فواصل آياتها «من زرد»، وعلى حرف «الزاء» آية واحدة: {عزير} [المجادلة : ٢١] فحسب^(٤).

■ أسماء السورة:

■ أولاً:- اسمها التوقيفي: «سورة المجادلة»:

سميت هذه السورة في كتب التفسير وفي المصاحف وكتب السنة «سورة المجادلة»، لأنها افتتحت بقضية مجادلة امرأة أوس بن الصامت^(٥) لدى النبي صلى الله عليه وسلم في شأن مظاهرة زوجها في قوله تعالى: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} (١) [المجادلة : ١].

ولم يذكر المفسرون ولا شارحو كتب السنة ضبط كلمة «المجادلة» بكسر الدال، أو فتحها. وذكر الخفاجي في «حاشية البيضاوي» أن كسر الدال هو المعروف^(٦).

قال ابن عاشور: "كسر الدال أظهر؛ لأن السورة أفتتحت بذكر التي تجادل في زوجها، فحقيقة أن تضاف إلى صاحبة الجدل، وهي التي ذكرها الله بقوله: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا} [المجادلة : ١]"^(٧).

■ ثانياً:- أسماؤها الاجتهادية:

■ الاسم الأول: «سورة قد سمع»:

أورد هذه التسمية الخفاجي في حاشيته^(٨)، والأوسي في تفسيره^(٩)، قال ابن عاشور: "إن هذا الاسم هو الاسم المشتهر في الكتابات في التونس"^(١٠).

(١) ونزلت سورة «المنافقون» بعد غزوة بني المصطلق، في السنة الخامسة من الهجرة فيكون نزول سورة «المجادلة» ، فيما بين صلح الحديبية وغزوة تبوك.

(٢) التحرير والتنوير: ٦/٢٨.

(٣) نقلا عن: التحرير والتنوير: ٦/٢٨.

(٤) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/ ٤٥٦.

(٥) أوس بن الصامت الأنصاري الخزرجي، شهد بدرًا، وأحدًا، والخندق، والمشاهد كلها مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مات في خلافة عثمان وله خمس وثمانون. انظر: "الطبقات الكبرى" ٣/ ٥٤٧، و"الإصابة" ١/ ٢٢٠، و"التقريب" ١/ ٨٥.

(٦) انظر: حاشية الشَّهَابِ عَلَى تَفْسِيرِ الْبَيْضَاوِيِّ، الْمُسَمَّاةُ: عِنَايَةُ الْقَاضِي وَكِفَايَةُ الرَّاضِي عَلَى تَفْسِيرِ الْبَيْضَاوِيِّ: ١٦٤/٨.

(٧) التحرير والتنوير: ٥/٢٨.

(٨) انظر حاشية الشَّهَابِ عَلَى تَفْسِيرِ الْبَيْضَاوِيِّ، الْمُسَمَّاةُ: عِنَايَةُ الْقَاضِي وَكِفَايَةُ الرَّاضِي عَلَى تَفْسِيرِ الْبَيْضَاوِيِّ: ١٦٤/٨.

(٩) انظر: روح المعاني: ٢/٢٨.

- وإن صحت هذه التسمية فإن وجه تسميتها أنها افتتحت بهذا اللفظ: «قد سمع»، ولم تفتتح غيرها من سور القرآن بهذا اللفظ.
- **الاسم الثاني: «سورة الظهر»:**
سميت في مصحف أبي بن كعب: «سورة الظهر»^(٢). ووجه تسميتها لما ذكر فيها من أحكام ظهار الزوج من زوجته وما يترتب عليه.
وهذان الاسمان «قد سمع، والظهار»، هما من اجتهاد الصحابة رضي الله عنهم- والعلماء، ولم يرد فيهما من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نص صريح.
- **مكية السورة ومدنيتها:**
في مكان نزول السورة، ثلاثة أقوال:
أحدها: أنها مدنية. قاله ابن عباس^(٣)، وابن الزبير^(٤)، والحسن^(٥)، ومجاهد^(٦)، وعكرمة^(٧)، وقتادة^(٨)، والجمهور^(٩).
الثاني: أن العشر الأول منها مدني، والباقي مكّي. قاه عطاء^(١٠).
الثالث: أنها مدنية سوى آية، وهي قوله عزّ وجلّ: {مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ} [المجادلة: ٧]. قاله ابن السائب الكلبى^(١١)، والنقاش^(١٢).
قال ابن عطية: "هي مدنية بإجماع"^(١٣).
- **مناسبة السورة لما قبلها:**
ومناسبتها لما قبلها من وجوه:
١- أن الأولى ختمت بفضل الله، وافتتحت هذه بما هو من هذا الوادي.
٢- أنه ذكر في مطلع الأولى صفاته الجليلة ومنها الظاهر والباطن- وذكر في مطلع هذه أنه سمع قول المجادلة التي شكت إليه تعالى^(١٤).
- **أغراض السورة ومقاصدها**
تتمثل مقاصد سورة المجادلة في التالي:
١- الحكم في قضية مظاهرة أوس بن الصامت من زوجه خولة، وبيان حكم ظهار الرجل من امرأته، بأن يقول لها -مثلاً-: أنت عليّ كظهر أمي.
٢- إبطال ما كان في الجاهلية من تحريم المرأة إذا ظاهر منها زوجها، وأن عملهم مخالف لما أراده الله سبحانه، وأنه من أوهامهم وزورهم التي كبتهم الله بإبطالها.
٣- الإعلام بإيقاع البأس الشديد، الذي أشارت إليه سورة الحديد بمن حاد الله ورسوله؛ لما له سبحانه من تمام العلم، اللازم عنه تمام القدرة، اللازم عنه الإحاطة بجميع صفات الكمال.

(١) التحرير والتنوير: ٥/٢٨.
(٢) ذكره السيوطي في "الإتقان: ١٧٤/١، ومعترك الأقران: ١٩٩/٣.
(٣) انظر: الدر المنثور: ٦٩/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وأبو الشيخ في العظمة والبيهقي، وانظر: زاد المسير: ٢٣٢/٤. حكاه بدون إسناد.
(٤) انظر: الدر المنثور: ٦٩/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٥) انظر: زاد المسير: ٢٤١/٤. حكاه بدون إسناد.
(٦) انظر: زاد المسير: ٢٤١/٤. حكاه بدون إسناد.
(٧) انظر: زاد المسير: ٢٤١/٤. حكاه بدون إسناد.
(٨) انظر: زاد المسير: ٢٤١/٤. حكاه بدون إسناد.
(٩) انظر: زاد المسير: ٢٤١/٤. وحكاه عن الجمهور.
(١٠) انظر: زاد المسير: ٢٤١/٤. حكاه بدون إسناد.
(١١) انظر: زاد المسير: ٢٤١/٤. حكاه بدون إسناد.
(١٢) انظر: المحرر الوجيز: ٢٧٢/٥.
(١٣) المحرر الوجيز: ٢٧٢/٥.
(١٤) انظر: تفسير المراغي: ٣/٢٨.

- ٤- أن الله تعالى يعلم جميع ما في السماوات والأرض، ومن ذلك أنه يعلم السر والنجوى، وبيان مصير الذين يتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول صلى الله عليه وسلم.
- ٥- بيان ضلالات المنافقين ومنها مناجاتهم بمرأى المؤمنين ليغيظوهم ويحزنوهم، ومنها موالاتهم اليهود، وحلفهم على الكذب.
- ٦- بيان آداب مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم. وشرع التصديق قيل مناجاته صلى الله عليه وسلم، وأن على المؤمنين إذا قيل لهم: تقسحوا في المجالس أن يتقسحوا.
- ٧- الثناء على المؤمنين في مجافاتهم اليهود والمشركين، وأن الذين يتولون قوماً معادين الإسلام أعد الله لهم عذاباً مهيناً.
- ٨- أن الله تعالى قضى بأن يغلب هو ورسله جميع أعداء الدين، وأن الله ورسوله وحزبهما هم الغالبون.
- ٩- أن من يترك مودة من يحادون الله ورسوله -ولو كانوا أقاربهم- أولئك كتب الله في قلوبهم الإيمان، وأيدهم بروح منه، وأنهم سيدخلون جنات تجري من تحتها الأنهار.^(١)

■ الناسخ والمنسوخ:

قال هبة الله بن سلامة: "فيها أية منسوخة وهي إحدى فضائل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لأنه روى عنه أنه قال: «إن في كتاب الله أية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي إلى يوم القيامة. فقيل: وما هي. قال: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لما كثرت عليه المسائل تيرم خيفة أن يفرض على أمته ما يشق عليها فتندم فعلم الله ذلك منه فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المجادلة: ١٢]، فأمسكوا عن السؤال فقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ولم أملك إذ ذلك إلا دينارا فصرفته بعشرة دراهم وكنت كلما أردت أن أسأله عن مسألة تصدقت بدرهم حتى لم يبق معي غير درهم واحد فتصدقت به وسألته فنسخت الآية ونزلت ناسختها: ﴿أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المجادلة: ١٣]»^(٢)، فصارت ناسخة لها واختص علي بفضلها"^(٣).

عن علي بن أبي طالب، قال: لما نزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ﴾، قال لي النبي صلى الله عليه وسلم ما ترى؟ دينار؟ قلت: لا يطيقونه، قال: فنصف دينار؟ قلت: لا يطيقونه. قال: فكم؟ قلت: شعيرة^(٤). قال: إنك لزهيد. قال: فنزلت: ﴿أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ﴾، الآية. قال: فبي خفف الله عن هذه الأمة"^(٥).

(١) انظر: مقاصد صورة "الواقعة"، مقال منشور في موقع إسلام ويب.

(٢) سوف يأتي تخريجه بعد هذا النص.

(٣) الناسخ والمنسوخ: ١٧٤.

(٤) شعيرة: يعني: وزن شعيرة من ذهب.

(٥) أخرجه الترمذي (٣٣٠٠) والنسائي في «خصائص علي» (١٥٢) وابن أبي شيبة (٨١ / ١٢) وأبو يعلى في «مسنده» (١ / ٣٩١، ٦٩٤١، ٦٩٤٢) وابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢٨ / ٢١) وابن عدي في «الكامل» (٥ / ٣٩٠ - ٣٩١) والعقيلي في «الضعفاء» (٣ / ٢٤٣) والحسكاني في «شواهد التنزيل» (٢ / ٢٣٤ - ٢٣٥ / ٩٥٤، ٩٥٥) وابن المغازلي في «مناقب علي» (٣٧٢) والنحاس في «ناسخه» (ص ٢٣٣).

من طريق: عثمان بن المغيرة الأشجعي به. وإسناده ضعيف لأجل علي بن علقمة؛ قال فيه البخاري: «في حديثه نظر» وقال عنه الحافظ في «التقريب»: «مقبول»! قلت: بل هو مجهول؛ تفرد بالرواية عنه سالم بن أبي الجعد، وقال ابن حبان في «المجروحين» (٢ / ١٠٩): «منكر الحديث؛ ينفرد عن علي بما لا يشبه حديثه. ثم قال: والذي عندي ترك حديثه». وقال الألباني في «ضعيف سنن الترمذي» (٦٥٢): «ضعيف الإسناد».

قال علي بن أبي طالب: "آية في كتاب الله عزّ وجلّ ما عمل بها أحد من الناس غيري آية النجوى، كان لي دينار فبعته بعشرة دراهم، فكلما أردت أن أناجي رسول الله صلى الله عليه وسلم تصدّقت بدرهم، فما عمل بها أحد قبلي ولا بعدي"^(١).

روي عن ابن عباس في قوله عزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ [المجادلة: ١٣] الآية"^(٢).

■ فضائل السورة:

لم يصح شيء في فضل سورة «المجادلة» سوى كونها من سور «المفصل»، المذكور فضله في بداية فضل سورة «ق».

- عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: " أعطيت مكان التوراة «السبع الطول»، وأعطيت مكان الزبور «المئين»، وأعطيت مكان الإنجيل: «المثاني» وفضلت بـ «المفصل»"^(٣).

و«المفصل»-بتشديد الصاد-: هو ما يلي المثاني من قصار السور، والتي تستحب القراءة ببعضها في بعض الصلوات الخمس على ما هو مبين في كتب الفقه^(٤)، وأشهر الأقوال أن أول المفصل «الحجرات»، وأول وسط المفصل: «عبس» وأول قصار المفصل: «والضحى»، هذا أشهر أقوال المالكية، وطلب هذا لأجل الصلاة المفروضة. ففي الصبح يستحب القراءة بطوال المفصل، وفي الظهر والعشاء بمتوسطه، وفي المغرب بقصاره.

- ومما انفردت به هذه السورة تكرير الاسم الأعظم الجامع في قصة «المجادلة»، وجميع السورة، تكريراً لم يكن في سواها، بحيث لم تخل منه آية، وأما الآيات التي تكرر في كل منها مرتين أو أكثر، فكثيرة .
وقد ورد في «فضل السورة»، حديثان ضعيفان:

- أحدهما: روى الثعلبي في تفسيره عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة»^(٥).

- الثاني: حديث علي: «يا علي من قرأها قضى الله له ألف حاجة أدناها أن يعتقه من النار، ونزلت عليه ألف ملك يستغفرون له بالليل، ويكتبون له الحسنات، وله بكل آية قرأها مثل ثواب من يطلب قوته من الحلال»^(٦).

(١) أخرجه ابن الجوزي في "نواسخ القرآن" (٢١٤): ص ٢٠٢-٢٠٣، وأبو عبيد في «ناسخه» (٤٧٣). من طريق: ليث، عن مجاهد به. وأخرجه الحاكم (٢ / ٤٨١ - ٤٨٢) وابن أبي شيبة (١٢ / ١٢١٧٤) والجصاص في «أحكام القرآن» (٣ / ٥٢٦) والمغازلي في «مناقب علي» (٣٧٣).
وصحّحه الحاكم على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه القاسم بن سلام في "الناسخ والمنسوخ" (٤٧٠): ص ٢٥٨.
(٣) أخرجه أحمد (٤ / ١٠٧، رقم ١٧٠٢٣). قال الهيثمي (٧ / ٤٦): فيه عمران القطان وثقه ابن حبان وغيره وضعفه النسائي وغيره وبقية رجاله ثقات. وأخرجه الطبراني (٢٢ / ٧٥ رقم ١٨٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢ / ٤٦٥، رقم ٢٤١٥ مكرر). وأخرجه أيضاً: الطيالسي (ص ١٣٦ رقم ١٠١٢) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٥ / ٢٧١٦ رقم ٦٤٨٥). وقال المناوي (١ / ٥٦٦): فيه عمرو بن مرزوق، أورده الذهبي في الضعفاء وقال: كان يحيى بن سعيد لا يرضاه.

(٤) أما السبع الطول فقد ذكرناها عند تفسير قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾ [الحجر: ٨٧]. والمئين: كل سورة بلغت مائة فصاعداً. والمثاني: كل سورة دون المئين وفوق المفصل، والمفصل: هو ما يلي المثاني من قصار السور، وإنما سميت مفصلاً لقصرها وكثرة الفصول فيها بسطر: «بسم الله الرحمن الرحيم»..

(٥) الكشف والبيان: ٢٥٣/٩، [وقد مرّ أنه حديث موضوع غير ثابت].

(٦) نقلاً عن: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٥٧/١.

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله
نسأل أن يوفقنا جميعاً لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا
وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

القرآن

{قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (١)} [المجادلة : ١]

التفسير:

قد سمع الله قول خولة بنت ثعلبة التي تراجعت في شأن زوجها أوس بن الصامت، وفيما صدر عنه في حقها من الظهار، وهو قوله لها: «أنت علي كظهر أمي»، أي: في حرمة النكاح، وهي تتضرع إلى الله تعالى؛ لتفريج كربتها، والله يسمع تخاطبكما ومراجعتكما. إن الله سميع لكل قول، بصير بكل شيء، لا تخفى عليه خافية.

سبب النزول:

عن عائشة قالت: "الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلى النبي صلى الله عليه وسلم تكلمه وأنا في ناحية البيت، ما أسمع ما تقول: فأنزل الله عز وجل: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا} [المجادلة: ١] " إلى آخر الآية" (١).

وعن عائشة، أنها قالت: "تبارك الذي أوعى سمعه كل شيء، إنني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة، ويخفى علي بعضه، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي تقول: يا رسول الله، أكل شبابي، ونثرت له بطني، حتى إذا كبرت سني، وانقطع ولدي، ظاهر مئي، اللهم إنني أشكو إليك. قالت: فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآية: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا} وقال: وزوجها أوس بن الصامت" (٢).

عن يوسف بن عبد الله بن سلام، عن خولة (٣) بنت ثعلبة قالت: "في - والله - وفي أوس بن صامت أنزل الله عز وجل صدر سورة المجادلة قالت: كنت عنده وكان شيخا كبيرا قد ساء خلقه وضجر، قالت: فدخل علي يوما فراجعت بشيء فغضب، فقال: أنت علي كظهر أمي، قالت: ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعة، ثم دخل علي، فإذا هو يريدني على نفسي، قالت: فقلت: كلا والذي نفس خويلة بيده، لا تخلص إلي وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه، قالت: فوثبني وامتعت منه، فغلبته بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف، فألقيته عني، قالت: ثم خرجت إلى بعض جاراتي فاستعرت منها ثيابها، ثم خرجت حتى جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلست بين يديه، فذكرت له ما لقيت منه، فجعلت أشكو إليه صلى الله عليه وسلم ما ألقى من سوء خلقه، قالت: فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "يا خويلة، ابن عمك شيخ كبير فاتقي الله فيه"، قالت: فوالله ما برحت حتى نزل في القرآن، فتعشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يتغشاه، ثم سري عنه فقال لي: "يا خويلة، قد أنزل الله فيك وفي صاحبك"، ثم قرأ علي: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} إلى قوله: {وَاللَّكَاظِمِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ}، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مريه فليعتق رقبة"، قالت: فقلت: والله يا رسول الله ما عنده ما يعتق، قال: "فليصم شهرين متتابعين"، قالت: فقلت: والله يا رسول الله إنه شيخ كبير ما به من صيام، قال: "فليطعم ستين مسكينا، وسقا من تمر"، قالت: فقلت: والله يا رسول الله ما ذاك عنده، قالت: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فإننا سنعينه بعرق من تمر"، قالت: فقلت: وأنا يا رسول الله

(١) أخرجه أحمد في "المسند" (٢٤١٩٥): ص ٢٢٨/٤٠، والبخاري تعليقا في كتاب التوحيد، باب «وكان الله سميعا بصيرا»: ١٣ / ٣٢٧، والنسائي ج ٦ ص ١٣٧، وابن ماجه رقم ١٨٨ ورقم ٢٠٦٣، والحاكم ج ٢ ص ٤٨١ وقال صحيح الإسناد وأقره الذهبي، وأخرجه الطبري في "التفسير" ٢٢٦/٢٣، وأبو الشيخ في "العظمة" (١٩١)، واللالكائي في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" (٦٨٩)، والبيهقي في "السنن" ٣٨٢/٧، وفي "السنن الصغير" ١٣٨/٣، وفي "معرفة السنن والآثار" ١١٥/١١، وفي "الأسماء والصفات" (٣٨٥)، وفي "الاعتقاد والهداية" ص ٥١.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٨٤٠): ص ٣٣٤٢/١٠.

(٣) قال السندي: خولة بنت ثعلبة، ويقال: خويلة، بالتصغير.

سأعينه بعرق آخر، قال: " قد أصبت وأحسنت، فاذهبي فتصدقي عنه، ثم استوصي بابن عمك خيرا "، قالت: ففعلت، قال: عبد الله قال: أبي قال سعد: العرق الصن" (١).

وقال مقاتل: " وذلك أن خولة بنت ثعلبة بن مالك بن أحرم الأنصاري، من بني عمرو بن عوف بن الخزرج، كانت حسنة الجسم، فرأها زوجها ساجدة في صلاتها، فلما انصرفت أرادها زوجها فأبت عليه، فغضب فقال: أنت علي كظهر أمي، واسمه أوس بن الصامت أخو عبادة بن الصامت ابن قيس بن أحرم الأنصاري فأنت خولة النبي- صلى الله عليه وسلم- فقالت: إن زوجي، يا رسول الله، تزوجني وأنا شابة، ذات مال، وأهل، حتى إذا أكل مالي، وأفنى شبابي، وكبرت سني، ووهن عظمي، جعلني عليه كظهر أمه، ثم ندم، فهل من شيء يجمعني وإياه، فسكت النبي- صلى الله عليه وسلم- عنها، وكان الظهار، والإيلاء، وعدد النجوم من طلاق الجاهلية، فوقت الله- تعالى- في الإيلاء أربعة أشهر، وجعل في الظهار الكفارة، ووقت من عدد النجوم ثلاث تطليقات، فأنزل الله- تعالى- {الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ...} [المجادلة: ٢] " (٢).

قوله تعالى: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا} [المجادلة: ١]، أي: " قد سمع الله قول خولة بنت ثعلبة التي تراجعت في شأن زوجها أوس بن الصامت، وفيما صدر عنه في حقها من الظهار، وهو قوله لها: «أنت علي كظهر أمي» ، أي: في حرمة النكاح" (٣).

قال مقاتل: " يعني: تكلمك في زوجها" (٤).
قال البيهقي: أي: " تخاصمك وتحاورك وتراجعك في زوجها" (٥).
قال مجاهد: " تجادل محمدا صلى الله عليه وسلم، فهي تشتكي إلى الله عند كبره وكبرها، حتى انتفض وانتفض رحمها" (٦).

قال قتادة: " ذاك أوس بن الصامت ظاهر من امرأته خويلة ابنة ثعلبة" (٧).
قال ابن عباس: " كان ظهار الجاهلية طلاقا، فأول من ظاهر في الإسلام أوس بن الصامت، أخو عبادة بن الصامت من امرأته الخزرجية، وهي خولة بنت ثعلبة بن مالك؛ فلما ظاهر منها حسبت أن يكون ذلك طلاقا، فأنت به نبي الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا رسول الله إن أوسا ظاهر مني، وإننا إن افترقنا هلكنا، وقد نثرت بطني منه، وقدمت صحبتته؛ فهي تشكو ذلك وتبكي، ولم يكن جاء في ذلك شيء، فأنزل الله عز وجل: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا} إلى قوله: {وَاللَّكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ}، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أتقدر على رقبة تعتقها؟ فقال: لا والله يا رسول الله، ما أقدر عليها، فجمع له رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أعتق عنه، ثم راجع أهله" (٨).

قال ابن عباس: " كان الرجل إذا قال لامرأته في الجاهلية: أنت علي كظهر أمي حرمت في الإسلام، فكان أول من ظاهر في الإسلام أوس بن الصامت، وكانت تحته ابنة عم له، يقال لها خويلة بنت خويلد، وظاهر منها، فأسقط في يديه، وقال: ما أراك إلا قد حرمت علي، وقالت له مثل ذلك، قال: فانطلقني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدت عنده ماشطة تمشط رأسه، فأخبرته، فقال: يا خويلة ما أمرنا في أمرك بشيء، فأنزل الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا خويلة أبشري، قالت: خيرا، قال: فقرأ عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي

(١) أخرجه أحمد في "المسند" (٢٧٣١٩): ص ٤٥٠/٣٠٢-٣٠٠.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٥٧/٤.

(٣) التفسير الميسر: ٥٤٢.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٥٧/٤.

(٥) تفسير البيهقي: ٣٩/٥.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٢٤/٢٣.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٢١/٢٣.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٢٧/٢٣.

إلى الله} إلى قوله: {فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا} قالت: وأي رقبة لنا، والله ما يجد رقبة غيري، قال: {فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ}، قالت: والله لولا أنه يشرب في اليوم ثلاث مرّات لذهب بصره، قال: {فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِاطِعَامُ سِتِّينَ مَسْكِينًا}، قالت: من أين؟ ما هي إلا أكلة إلى مثلها، قال: فرعاه بشطر وسق ثلاثين صاعا، والوسق ستون صاعا، فقال: «ليطعم ستين مسكينا وليراجعك»^(١).

عن ابن زيد قال: "لقى عمر ابن الخطاب امرأة يقال لها خولة وهو يسير مع الناس، فاستوقفته، فوقف لها، ودنا منها وأصغى إليها رأسه ووضع يديه على منكبيها حتى قضت حاجتها وانصرفت، فقال له رجل يا أمير المؤمنين: حبست رجال قريش على هذه العجوز، قال: ويحك وتدري من هذه؟ قال: لا. قال: هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات، هذه خولة بنت ثعلبة، والله لو لم تنصرف عني إلى الليل ما انصرفت حتى تقضي حاجتها"^(٢).

عن زكريا عن عامر قال: "المرأة التي جادلت في زوجها خولة بنت الصامت، وأمها معاذة التي أنزل الله فيها: {وَلَا تُكْرَهُوا قَنَائِكُمْ عَلَى الْبَغَاءِ إِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَحْصِنُوا} [النور: ٣٣]"^(٣). قال ابن كثير: "صوابه: خولة امرأة أوس بن الصامت"^(٤).

وروي عن سلمة بن صخر الأنصاري قال: "كنتُ امرأة قد أوتيت من جماع النساء ما لم يؤت غيري، فلما دخل رمضان تظهرت من امرأتي حتى ينسلخ رمضان، فرقا من أن أصيب في ليلتي شيئا فأتابع في ذلك إلى أن يدركني النهار، وأنا لا أقدر أن أنزع، فبينما هي تخدمني من الليل إذ تكشف لي منها شيء، فوثبت عليها، فلما أصبحت غدوت على قومي فأخبرتهم خبري وقلت: انطلقوا معي إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فأخبره بأمري. فقالوا: لا والله لا نفع؛ نتخوف أن ينزل فينا -أو يقول فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم- مقالة يبقى علينا عارها، ولكن اذهب أنت فاصنع ما بدا لك. قال: فخرجت حتى أتيت النبي صلى الله عليه وسلم، فأخبرته خبري. فقال لي: "أنت بذاك". فقلت: أنا بذاك. فقال: "أنت بذاك". فقلت: أنا بذاك. قال: "أنت بذاك". قلت: نعم، ها أناذا فأمض في حكم الله تعالى فإني صابر له. قال: "أعتق رقبة". قال: فضربت صفحة رقبتني بيدي وقلت: لا والذي بعثك بالحق ما أصبحت أملك غيرها. قال: "فصم شهرين". قلت: يا رسول الله، وهل أصابني ما أصابني إلا في الصيام؟ قال: "فتصدق". فقلت: والذي بعثك بالحق، لقد بتنا ليلتنا هذه وحشيتي ما لنا عشاء. قال: "اذهب إلى صاحب صدقة بني زريق فقل له فليدفعها إليك، فأطعم عنك منها وسقا من تمر ستين مسكينا، ثم استعن بسائره عليك وعلى عيالك". قال: فرجعت إلى قومي فقلت: وجدت عندكم الضيق وسوء الرأي، ووجدت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم السعة والبركة، قد أمر لي بصدقكم، فادفعوها إلي. فدفعوها إلي"^(٥).

قال ابن كثير: "ظاهر السياق: أن هذه القصة كانت بعد قصة أوس بن الصامت وزوجته خويلة بنت ثعلبة، كما دلّ عليه سياق تلك وهذه بعد التأمل"^(٦).

قال الزمخشري: "فإن قلت: ما معنى {قَدْ} في قوله: {قَدْ سَمِعَ}؟ قلت: معناه التوقع، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمجادلة كانا يتوقعان أن يسمع الله مجادلتها وشكواها وينزل في ذلك ما يفرج عنها"^(٧).

(١) أخرجه الطبري: ٢٢١/٢٣-٢٢٢.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٨٤١): ص ٣٣٤٢/١٠. قال ابن كثير: ٣٥/٨: "هذا منقطع بين أبي يزيد وعمر بن الخطاب".

(٣) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٣٥/٨.

(٤) تفسير ابن كثير: ٣٥/٨.

(٥) المسند (٣٧/٤) وسنن أبي داود برقم (٢٢١٣) وسنن ابن ماجه برقم (٢٠٦٢) وسنن الترمذي برقم (٣٢٩٩).

(٦) تفسير ابن كثير: ٣٧/٨.

(٧) الكشف: ٤٨٥/٤.

وفي قراءة عبد الله بن مسعود: «قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُحَاوِرُكَ فِي زَوْجِهَا»^(١).
قوله تعالى: {وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ} [المجادلة : ١]، أي: "وهي تتضرع إلى الله تعالى؛
لتفريج كربتها"^(٢).

قال مقاتل: "يعني: وتضرع إلى الله"^(٣).
قال الطبري: "يقول: وتشتكي المجادلة ما لديها من الهمّ بظهار زوجها منها إلى الله،
وتسأله الفرج"^(٤).

قوله تعالى: {وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا} [المجادلة : ١]، أي: "والله يسمع تخاطبكما
ومراجعتكما"^(٥).

قال السمعاني: "أي: تراجعكما"^(٦).
قال البغوي: أي: "مراجعتكما الكلام"^(٧).
قال الطبري: "يعني: تحاور رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والمجادلة خولة ابنة
ثعلبة"^(٨).

قال مقاتل: "يعني: خولة، امرأة أوس بن الصامت، والنبى- صلى الله عليه وسلم"^(٩).
قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} [المجادلة : ١]، أي: "إن الله سميع لكل قول، بصير
بكل شيء، لا تخفى عليه خافية"^(١٠).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: إن الله سميع لما يتجاوبانه ويتحاورانه، وغير ذلك من
كلام خلقه، بصير بما يعلمون ويعمل جميع عبادته"^(١١).

قال البغوي: أي: "سميع لما تتاجيه وتتضرع إليه، بصير بمن يشكوا إليه، ثم ذم
الظهار"^(١٢).

قال ابن عباس: "سميع لمن يناجيه ويتضرع إليه"^(١٣).

القرآن

{الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مَنْ نَسَاهُمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ
مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ (٢)} [المجادلة : ٢]

التفسير:

الذين يُظَاهِرُونَ منكم من نسائهم، فيقول الرجل منهم لزوجته: «أنت عليّ كظهر أمي» -أي: في
حرمة النكاح- قد عصوا الله وخالفوا الشرع، ونسأؤهم لسنن في الحقيقة أمهاتهم، إنما هن
زوجاتهم، ما أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم. وإن هؤلاء المظاهرين ليقولون قولاً كاذباً فظيماً لا
تُعرف صحته. وإن الله لعفو غفور عمّن صدر منه بعض المخالفات، فتداركها بالتوبة النصوح.

قوله تعالى: {الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مَنْ نَسَاهُمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ} [المجادلة : ٢]، أي: "الذين
يُظَاهِرُونَ منكم من نسائهم، فيقول الرجل منهم لزوجته: «أنت عليّ كظهر أمي» -أي: في

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٧/٢٣.

(٢) التفسير الميسر: ٥٤٢.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٥٧/٤.

(٤) تفسير الطبري: ٢٢٧/٢٣.

(٥) التفسير الميسر: ٥٤٢.

(٦) تفسير السمعاني: ٣٨٢/٥.

(٧) تفسير البغوي: ٣٩/٥.

(٨) تفسير الطبري: ٢٢٧/٢٣.

(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٥٧/٤.

(١٠) التفسير الميسر: ٥٤٢.

(١١) تفسير الطبري: ٢٢٧/٢٣.

(١٢) تفسير البغوي: ٣٩/٥.

(١٣) التفسير البسيط: ٣٢٧/٢١.

حرمة النكاح- قد عصوا الله وخالفوا الشرع، ونساؤهم لسنن في الحقيقة أمهاتهم، إنما هن زوجاتهم" (١).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: الذين يحرّمون نساءهم على أنفسهم تحريم الله عليهم ظهور أمهاتهم، فيقولون لهنّ: أنتن علينا كظهور أمهاتنا، وذلك كان طلاق الرجل امرأته في الجاهلية، {مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ}، يقول تعالى ذكره: ما نساؤهم اللاتي يُطاهرن منهنّ بأمهاتهم، فيقولوا لهنّ: أنتن علينا كظهور أمهاتنا، بل هنّ لهم حلال" (٢).

قال ابن كثير: "أي: لا تصير المرأة بقول الرجل: «أنت عليّ كأمي» أو «مثل أمي» أو «كظهر أمي» وما أشبه ذلك، لا تصير أمه بذلك" (٣).

عن أبي قلابة، قال: "كان الظهار طلاقاً في الجاهلية، الذي إذا تكلم به أحدهم لم يرجع في امرأته أبداً، فأنزل الله عزّ وجلّ فيه ما أنزل" (٤).

وقرى: «يَظَاهِرُونَ» و«يَظَاهِرُونَ»، و«يَظَاهِرُونَ» (٥).
قوله تعالى: {إِنَّ أُمَّهَاتَهُمْ لِلَّائِي وَلَدْنَهُمْ} [المجادلة: ٢]، أي: "ما أمهاتهم إلا اللاتي ولدنهم" (٦).

قال ابن كثير: "إنما أمه التي ولدته" (٧).

قال الطبري: "لا اللاتي قالوا لهنّ ذلك" (٨).

قال الزمخشري: "يريد: أن الأمهات على الحقيقة إنما هنّ الوالدات وغيرهنّ ملحقات بهنّ لدخولهنّ في حكمهنّ، فالمرضعات أمهات لأنهنّ لما أرضعن دخلن بالرضاع في حكم الأمهات، وكذلك أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين، لأن الله حرّم نكاحهن على الأمة فدخلن بذلك في حكم الأمهات. وأما الزوجات فأبعد شيء من الأمومة لأنهنّ لسن بأمهات على الحقيقة. ولا بداخلات في حكم الأمهات" (٩).

قوله تعالى: {وَرَأَيْتَهُمْ لَيْقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا} [المجادلة: ٢]، أي: "وإن هؤلاء المظاهرين ليقولون قولاً كاذباً فظيماً لا تُعرف صحته" (١٠).

قال الطبري: "وإن الرجال ليقولون منكراً من القول الذي لا تُعرف صحته؛ {وَزُورًا}، يعني: كذباً" (١١).

قال ابن عباس: "فظيماً" (١٢).

وقال مقاتل: "لا يعرف ذلك في الشرع" (١٣).

قال ابن كثير: "أي: كلاماً فاحشاً باطلاً" (١٤).

قال قتادة: "الزور: الكذب" (١٥).

(١) التفسير الميسر: ٥٤٢.

(٢) تفسير الطبري: ٢٢٧/٢٣-٢٢٨.

(٣) تفسير ابن كثير: ٨:٣٩.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٢٨/٢٣.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٨/٢٣.

(٦) التفسير الميسر: ٥٤٢.

(٧) تفسير ابن كثير: ٨:٣٩.

(٨) تفسير الطبري: ٢٢٧/٢٣-٢٢٨.

(٩) الكشاف: ٤٨٥/٤-٤٨٦.

(١٠) التفسير الميسر: ٥٤٢.

(١١) تفسير الطبري: ٢٢٧/٢٣-٢٢٨.

(١٢) التفسير البسيط: ٣٢٩/٢١.

(١٣) التفسير البسيط: ٣٢٩/٢١.

(١٤) تفسير ابن كثير: ٨:٣٩.

(١٥) أخرجه الطبري: ٢٢٨/٢٣.

قال الزمخشري: "فكان قول المظاهر: منكرا من القول تنكره الحقيقة وتتكبره الأحكام الشرعية وزورا وكذبا باطلا منحرفا عن الحق" (١).

قوله تعالى: {وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُؤٌ غَفُورٌ} [المجادلة : ٢]، أي: "وإن الله لعفو غفور عمّن صدر منه بعض المخالفات، فتداركها بالتوبة النصوح" (٢).

قال الطبري: يقول: "إن الله لذو عفو وصفح عن ذنوب عباده إذا تابوا منها وأنابوا، غفور لهم أن يعاقبهم عليها بعد التوبة" (٣).

قال الزمخشري: "لما سلف منه إذا تيب عنه ولم يعد إليه" (٤).

قال مقاتل: {لَعَفُؤٌ}، حين لم يعاقبه، {غَفُورٌ} له لتحرّيمه الحلال" (٥).

قال ابن كثير: "أي: عما كان منكم في حال الجاهلية. وهكذا أيضاً عما خرج من سبق اللسان، ولم يقصد إليه المتكلم، كما رواه أبو داود: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول لامرأته: «يا أختي. فقال: أختك هي؟» (٦)، فهذا إنكار ولكن لم يجرمها عليه بمجرد ذلك؛ لأنه لم يقصده، ولو قصده لحرمت عليه؛ لأنه لا فرق على الصحيح بين الأم وبين غيرها من سائر المحارم من أخت وعمة وخالة وما أشبه ذلك" (٧).

عن قتادة: "قوله: {غفور}، قال: للذنوب الكثيرة أو الكبيرة" (٨).

قال سعيد بن المسيب: "ليس شيء أحب إلي من عفو" (٩).

قال سلمة بن وهرام صاحب طاووس: "أن الله تبارك وتعالى إنما سمي نفسه «العفو»، وليعفو، و«الغفور»، ليغفر" (١٠).

القرآن

{وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا ذَلِكُمْ تَوْعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [المجادلة : ٣]

التفسير:

والذين يحرّمون نساءهم على أنفسهم بالمظاهرة منهم، ثم يرجعون عن قولهم ويعزمون على وطء نساءهم، فعلى الزوج المظاهر -والحالة هذه- كفارة التحريم، وهي عتق رقبة مؤمنة عبد أو أمة قبل أن يطأ زوجته التي ظاهر منها، ذلكم هو حكم الله -فيمن ظاهر من زوجته- توعظون به، أيها المؤمنون؛ لكي لا تفعلوا في الظهار وقول الزور، وتكفروا إن وقعتم فيه، ولكي لا تعودوا إليه، والله لا يخفي عليه شيء من أعمالكم، وهو مجازيكم عليها.

قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ} [المجادلة : ٣]، أي: "والذين يحرّمون نساءهم على أنفسهم بالمظاهرة منهم" (١١).

قال الطبري: "يقول جلّ ثناؤه: والذين يقولون لنساءهم: أنتنّ علينا كظهور أمهاتنا" (١٢).

قوله تعالى: {ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا} [المجادلة : ٣]، أي: "ثم يرجعون عن قولهم ويعزمون على وطء نساءهم" (١٣).

(١) الكشاف: ٤٨٦/٤.

(٢) التفسير الميسر: ٥٤٢.

(٣) تفسير الطبري: ٢٢٩/٢٣.

(٤) الكشاف: ٤٨٦/٤.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٥٨/٤.

(٦) سنن أبي داود برقم (٢٢١٠) من حديث أبي تميمة الهجيمي، رضي الله عنه.

(٧) تفسير ابن كثير: ٨:٣٩.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (٥١٠٣): ص ٩١٥/٣.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٣٨٠): ص ٩٦٣/٣.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٣٧٩): ص ٩٦٣/٣.

(١١) التفسير الميسر: ٥٤٢.

(١٢) تفسير الطبري: ٢٢٩/٢٣.

اختلف السلف والأئمة في المراد بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ [المجادلة : ٣]، على أقوال:

أحدهما: أنه العزم على الوطء^(٢). وهذا قول قتادة^(٣). وهو مشهور قول العراقيين أبي حنيفة وأصحابه^(٤).

عن قتادة: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾، قال: يريد أن يغشى بعد قوله^(٥).

قال قتادة: "حرّمها، ثم يريد أن يعود لها فيطأها"^(٦).

قال سعيد بن جبير: "يعني: يريدون أن يعودوا في الجماع الذي حرمه على أنفسهم"^(٧).

وقال الحسن، وطاوس، والزهري: "العود: هو الوطء"^(٨).

قال ابن الجوزي: "اللام في «لما» بمعنى «إلى»، والمعنى: ثم يعودون إلى تحليل ما حرّموا على أنفسهم من وطء الزوجة بالعزم على الوطء"^(٩).

وروي عن مالك: "فإن عزم على وطئها كان عودا، وإن لم يعزم لم يكن عودا"^(١٠).

الثاني: العزم على الإمساك بعد التظاهر منها، قاله مالك^(١١).

الثالث: العزم عليهما، أي: الوطء والإمساك. وهو قول مالك في موطنه^(١٢).

الرابع: أنه الوطء نفسه فإن لم يطأ لم يكن عودا، قاله الحسن^(١٣)، ومالك أيضا^(١٤).

الخامس: هو أن يمسكها زوجة بعد الظهار مع القدرة على الطلاق، لأنه لما ظاهر قصد التحريم، فإن وصل به الطلاق فقد جرى على خلاف ما ابتدأه من إيقاع التحريم ولا كفارة عليه. وإن أمسك عن الطلاق فقد عاد إلى ما كان عليه فتجب عليه الكفارة. وهذا قول الإمام الشافعي^(١٥).

السادس: أن الظهار يوجب تحريما لا يرفعه إلا الكفارة. ومعنى العود عند القائلين بهذا: أنه لا يستبيح وطأها إلا بكفارة يقدمها، قاله أبو حنيفة وأصحابه والليث بن سعد^(١٦).

السابع: أنه تكرير الظهار بلفظه. وهذا قول أهل الظاهر النافين للقياس، قالوا: إذا كرر اللفظ بالظهار فهو العود، وإن لم يكرر فليس بعود. وهذا اختيار ابن حزم^(١٧)، وقول داود^(١٨)، ويسند

(١) التفسير الميسر: ٥٤٢.

(٢) أي: "أنه الرجوع في تحريم ما حرّم على نفسه من زوجته، التي كانت له حلالا قبل تظاهره، فيحلها بعد تحريمه إياها على نفسه بعزمه على غشيانها ووطئها.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٩/٢٣.

(٤) نقلا عن: تفسير القرطبي: ٢٨٠/١٧.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٢٩/٢٣.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٢٩/٢٣.

(٧) حكاه في زاد المسير: ٢٤٣/٤، بدون إسناد. وانظر: تفسير ابن كثير: ٣٩/٨.

(٨) حكاه في زاد المسير: ٢٤٣/٤، بدون إسناد. وانظر: تفسير ابن كثير: ٣٩/٨. حكاه عن الحسن، بلفظ: "يعني: الغشيان في الفرج".

(٩) زاد المسير: ٢٤٣/٤.

(١٠) نقلا عن: تفسير القرطبي: ٢٨٠/١٧.

(١١) نقلا عن: تفسير القرطبي: ٢٨٠/١٧.

(١٢) نقلا عن: تفسير القرطبي: ٢٨٠/١٧.

(١٣) نقلا عن: تفسير القرطبي: ٢٨٠/١٧.

(١٤) نقلا عن: تفسير القرطبي: ٢٨٠/١٧.

(١٥) نقلا عن: تفسير القرطبي: ٢٨٠/١٧.

(١٦) نقلا عن: تفسير القرطبي: ٢٨٠/١٧.

(١٧) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٣٩/٨.

(١٨) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٣٩/٨.

ذلك إلى بكير بن الأشج^(١)، وأبي العالية^(٢)، وأبي حنيفة أيضا^(٣)، وهو قول الفراء^(٤). وضعفه ابن كثير: "وقال: وهذا القول باطل"^(٥).

وقال أبو العالية: "وظاهر الآية يشهد له، لأنه قال: {ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا} [المجادلة : ٣]، أي: إلى قول ما قالوا"^(٦).

وأخرج الطبري بسنده عن أبي العالية في قوله: {ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا}، قال: "أي: يرجع فيه"^(٧).

قال الفراء: " يصلح فيها في العربية: ثم يعودون إلى ما قالوا، وفيما قالوا. يريد: يرجعون عما قالوا، وقد يجوز في العربية أن تقول: إن عاد لما فعل، يريد إن فعله مرة أخرى"^(٨).

قال الطبري: " والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: معنى اللام في قوله: {لِمَا قَالُوا} بمعنى: «إلى» أو «في»، لأن معنى الكلام: ثم يعودون لنقض ما قالوا من التحريم فيحلونه، وإن قيل معناه: ثم يعودون إلى تحليل ما حرّموا، أو في تحليل ما حرّموا فصواب، لأن كل ذلك عود له، فتأويل الكلام: ثم يعودون لتحليل ما حرّموا على أنفسهم مما أحله الله لهم"^(٩).

قوله تعالى: {فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا} [المجادلة : ٣]، أي: " فعلى الزوج المظاهر -والحالة هذه- كفارة التحريم، وهي عتق رقبة مؤمنة عبد أو أمة قبل أن يبطأ زوجته التي ظاهر منها"^(١٠).

قال الطبري: " يقول: فعليه تحرير رقبة، يعني عتق رقبة عبد أو أمة، من قبل أن يماس الرجل المظاهر امرأته التي ظاهر منها أو تماسه"^(١١).

قال ابن كثير: " أي : فاعتاق رقبة كاملة من قبل أن يتماسا، فها هنا الرقبة مطلقة غير مقيدة بالإيمان، وفي كفارة القتل مقيدة بالإيمان، فحمل الشافعي، رحمه الله، ما أطلق ها هنا على ما قيد هناك لاتحاد الموجب، وهو عتق الرقبة، واعتضد في ذلك بما رواه عن مالك بسنده، عن معاوية بن الحكم السلمي، في قصة الجارية السوداء، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «أعتقها فإنها مؤمنة»^(١٢)^(١٣).

قال الزمخشري: " تجزئ الرقبة المسلمة والكافرة جميعا، لأنها في الآية مطلقة، وعند الشافعي لا تجزئ إلا المؤمنة. لقوله تعالى في كفارة القتل: {فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ}، ولا تجزئ أم الولد والمدير والمكاتب الذي أدى شيئا، فإن لم يؤد شيئا جاز. وعند الشافعي: لا يجوز"^(١٤).

واختلف في تفسير قوله تعالى: {مَنْ قَبْلُ أَنْ يَتَمَاسًا} [المجادلة : ٣]، على وجهين: أحدهما: أنه كناية عن الجماع. فلا يجوز للمظاهر الوطيء قبل التكفير، فإن جامعها قبل التكفير أثم وعصى ولا يسقط عنه التكفير. وهذا قول الحسن^(١)، وعطاء بن أبي رباح^(٢)، وسفيان^(٣).

(١) نقلا عن: تفسير القرطبي: ٢٨٠/١٧-٢٨١، وتفسير ابن كثير: ٣٩/٨.

(٢) نقلا عن: تفسير القرطبي: ٢٨١/١٧.

(٣) نقلا عن: تفسير القرطبي: ٢٨١/١٧.

(٤) انظر: معاني القرآن: ١٣٩/٣.

(٥) تفسير ابن كثير: ٣٩/٨.

(٦) نقلا عن: تفسير القرطبي: ٢٨٠/١٧-٢٨١.

(٧) تفسير الطبري: ٢٢٩/٢٣.

(٨) معاني القرآن: ١٣٩/٣.

(٩) تفسير الطبري: ٢٣٠/٢٣.

(١٠) التفسير الميسر: ٥٤٢.

(١١) تفسير الطبري: ٢٣٠/٢٣.

(١٢) الموطأ (٧٧٧/٢) والمسند (٤٤٧/٥) وصحيح مسلم برقم (٥٣٧).

(١٣) تفسير ابن كثير: ٤٠/٨.

(١٤) الكشاف: ٤٨٨/٤.

قال الزجاج: " كناية عن الجماع، ودليل ذلك قوله: {وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ} [البقرة: ٢٣٧]، فالمعنى: من قبل أن تدخلوا بهن" (٤).

وهذا القول يبيح: "للمظاهر التقبيل والمضاجعة والاستمتاع بأعلى المرأة كالحائض" (٥).

وحكي عن مجاهد: "أنه إذا وطئ قبل أن يشرع في التكفير لزمته كفارة أخرى" (٦).

وعن غيره: "أن الكفارة الواجبة بالظهار تسقط عنه ولا يلزمه شيء أصلاً، لأن الله تعالى أوجب الكفارة وأمر بها قبل المسيس، فإذا أخرها حتى مس فقد فات وقتها" (٧).

قال القرطبي: "والصحيح ثبوت الكفارة، لأنه بوطئه ارتكب إثماً فلم يكن ذلك مسقطاً للكفارة، ويأتي بها قضاء كما لو أخر الصلاة عن وقتها" (٨).

عن ابن عباس، في قوله: {وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا}، فهو الرجل يقول لامرأته: أنت علي كظهر أمي، فإذا قال ذلك، فليس يحل له أن يقربها بنكاح ولا غيره حتى يكفر عن يمينه بعتق رقبة، {فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا} والمس: النكاح، {فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا}، وإن هو قال لها: أنت علي كظهر أمي إن فعلت كذا وكذا، فليس يقع في ذلك ظهار حتى يحنث، فإن حنث فلا يقربها حتى يكفر، ولا يقع في الظهار طلاق" (٩).

قال أبو مسلم: "وإنما كنى تعالى بقوله: {تَمَسُوهُنَّ} [البقرة: ٢٣٧] عن المجامعة، تأديباً للعباد في اختيار أحسن الألفاظ فيما يتخاطبون به" (١٠).

عن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: "أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال: إني ظاهرت من امرأتي، ثم وقعت عليها قبل أن أكفر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألم يقل الله تبارك وتعالى: {مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا}»، قال: أعجبتني. قال: «أمسك حتى تكفر»" (١١).

عن الحسن: "أنه كان لا يرى بأساً أن يغشى المظاهر دون الفرج" (١٢).

عن سفيان: "إنما المظاهرة عن الجماع. ولم ير بأساً أن يقضي حاجته دون الفرج أو فوق الفرج، أو حيث يشاء، أو يباشر" (١٣).

عن عطاء بن أبي رباح-من طريق ابن جريج- أنه سئل عن هذه الآية: "{مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا}" قال: هو الجماع" (١٤).

الثاني: أن المراد كل معاني المسيس، والآية على العموم.

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢٣١/٢٣.

(٢) أخرجه عبد الرزاق (١١٤٩٣). وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٣١/٢٣.

(٤) معاني القرآن: ١٣٥/٥.

(٥) المحرر الوجيز: ٢٧٤/٥.

(٦) نقلاً عن: تفسير القرطبي: ٢٨٣/١٧.

(٧) نقلاً عن: تفسير القرطبي: ٢٨٣/١٧.

(٨) تفسير القرطبي: ٢٨٣/١٧.

(٩) أخرجه الطبري: ٢٣٠/٢٣-٢٣١.

(١٠) محاسن التأويل: ١٦١/٢.

(١١) رواه (٤٨٣٣):ص١١/١١٣، ورواه الحاكم في المستدرک (٢٠٤/٢) والبيهقي في السنن الكبرى (٣٨٦/٧) من طريق إسماعيل بن مسلم، عن عمرو بن دينار به نحوه، وقال الذهبي: "فيه إسماعيل بن مسلم وهو واه".

قال البزاز: "وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن ابن عباس بإسناد أحسن من هذا الإسناد على أن إسماعيل بن مسلم قد تكلم فيه وروى عنه جماعة كثيرة من أهل العلم وفي هذا الحديث من الفقه أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يأمره إلا بكفارة واحدة".

(١٢) أخرجه الطبري: ٢٣١/٢٣.

(١٣) أخرجه الطبري: ٢٣١/٢٣.

(١٤) أخرجه عبد الرزاق (١١٤٩٣). وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

قال يونس، قال: بلغني عن الحسن أنه كره للمظاهر المسيس^(١).
قال ابن عطية: "وقال جمهور أهل العلم قوله: {مَنْ قَبِلَ أَنْ يَتَمَاسًا}، عام في نوع المسيس
الوطء والمباشرة، فلا يجوز لمظاهر أن يطأ ولا يقبل ولا يلمس بيده، ولا يفعل شيئاً من هذا
النوع إلا بعد الكفارة، وهذا قول مالك رحمه الله"^(٢).

عن ابن عباس: أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم قد ظاهر من امرأته، فوقع
عليها، فقال: يا رسول الله، إني قد ظاهرت من زوجتي فوقعت عليها قبل أن أكفر، فقال: "ما
حملك على ذلك، يرحمك الله؟" قال: رأيت خلخالها في ضوء القمر. قال: "فلا تقربها حتى تفعل
ما أمرك الله به"^(٣).

قوله تعالى: {ذَلِكُمْ تُوَعِّظُونَ بِهِ} [المجادلة : ٣]، أي: "ذلكم هو حكم الله -فيمين ظاهر من
زوجته- توعظون به، أيها المؤمنون؛ لكي لا تقعوا في الظهار وقول الزور، وتكفروا إن وقعت
فيه، ولكي لا تعودوا إليه"^(٤).

قال القرطبي: "أي تؤمرون به"^(٥).

قال ابن كثير: "أي: تزجرون به"^(٦).

قال الزجاج: "المعنى: ذلكم التخليط في الكفارة توعظون به"^(٧).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: أوجب ربكم ذلك عليكم عظة لكم تتعظون به، فتنتهون
عن الظهار وقول الزور"^(٨).

قال ابن عطية: "ذلك إشارة إلى التحرير، أي: فعل عظة لكم لتنتهوا عن الظهار"^(٩).

قال الزمخشري: " {ذَلِكُمْ الْحُكْمُ تُوَعِّظُونَ بِهِ}، لأن الحكم بالكفارة دليل على ارتكاب
الجنائية، فيجب أن تتعظوا بهذا الحكم حتى لا تعودوا إلى الظهار وتخافوا عقاب الله عليه"^(١٠).

قوله تعالى: {وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [المجادلة : ٣]، أي: "والله لا يخفى عليه شيء من
أعمالكم، وهو مجازيكم عليها"^(١١).

قال الطبري: يقول: "والله بأعمالكم التي تعملونها أيها الناس ذو خبرة، لا يخفى عليه
شيء منها، وهو مجازيكم عليها، فانتهوا عن قول المنكر والزور"^(١٢).

قال ابن كثير: "أي: خبير بما يصلحكم، عليم بأحوالكم"^(١٣).

عن قتادة، قوله: " {خَبِيرٌ}، قال: "خبير بخلقه"^(١٤).

القرآن

- (١) أخرجه الطبري: ٢٣١/٢٣.
- (٢) المحرر الوجيز: ٢٧٤/٥.
- (٣) أخرجه أبو داود (٢٢٢٣)، والنسائي ١٦٧/٦، والترمذي (١١٩٩)، وابن ماجه (٢٠٦٥)، وابن الجارود (٧٤٧)، والحاكم ٢٠٤/٢، والبيهقي ٣٨٦/٧ من طريق الحكم بن أبان، عن عكرمة.
قال الترمذي: "هذا حديث حسن غريب صحيح".
- (٤) التفسير الميسر: ٥٤٢.
- (٥) تفسير القرطبي: ٢٨٣/١٧.
- (٦) تفسير ابن كثير: ٤١/٨.
- (٧) معاني القرآن: ١٣٥/٥.
- (٨) تفسير الطبري: ٢٣١/٢٣.
- (٩) المحرر الوجيز: ٢٧٤/٥.
- (١٠) الكشاف: ٤٨٧/٤.
- (١١) التفسير الميسر: ٥٤٢.
- (١٢) تفسير الطبري: ٢٣١/٢٣.
- (١٣) تفسير ابن كثير: ٤١/٨.
- (١٤) تفسير عبدالرزاق (٢٣٨٩): ص ٥٦/٣.

{فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فُصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتْتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتِمَّاسًا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤)} [المجادلة : ٤]

التفسير:

فمن لم يجد رقبة يُعتقها، فالواجب عليه صيام شهرين متواليين من قبل أن يطأ زوجته، فمن لم يستطع صيام الشهرين لعذر شرعي، فعليه أن يطعم ستين مسكيناً ممن لا يملكون ما يكفيهم ويسد حاجتهم ما يشبعهم، ذلك الذي بيّناه لكم من أحكام الظهر؛ من أجل أن تصدّقوا بالله وتتبعوا رسوله وتعملوا بما شرعه الله، وتتركوا ما كنتم عليه في جاهليّتكم، وتلك الأحكام المذكورة هي أوامر الله وحدوده فلا تتجاوزوها، وللجاهدين بها عذاب موعج.

قوله تعالى: {فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فُصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتْتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتِمَّاسًا} [المجادلة : ٤]، أي: "فمن لم يجد رقبة يُعتقها، فالواجب عليه صيام شهرين متواليين من قبل أن يطأ زوجته" (١). قال ابن عباس: والمس: النكاح" (٢).

قال الطبري: يقول: "فمن لم يجد منكم ممن ظاهر من امرأته رقبة يحررها، فعليه صيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا؛ والشهران المتتابعان هما اللذان لا فصل بينهما بإفطار في نهار شيء منهما إلا من عذر" (٣).

وإذا كان الإفطار بالعذر ففيه اختلاف بين أهل العلم، على قولين:

أحدهما: إذا كان إفطاره لعذر فزال العذر، بنى على ما مضى من الصوم. قاله سعيد بن المسيب (٤)، وآخرون.

عن سعيد بن المسيب أنه قال في رجل صام من كفارة الظهر، أو كفارة القتل، ومرض فأفطر، أو أفطر من عذر، قال: عليه أن يقضي يوماً مكان يوم، ولا يستقبل صومه" (٥). عن سعيد بن المسيب: "في المظاهر، الذي عليه صوم شهرين متتابعين، فصام شهراً، ثم أفطر، قال: يتم ما بقي" (٦).

عن الحسن وسعيد بن المسيب: "في رجل صام من كفارة الظهر شهراً أو أكثر ثم مرض، قال: يعتد بما مضى إذا كان له عذر" (٧).

عن الحسن: "في الرجل يكون عليه الصوم في قتل أو نذر أو ظهار، فصام بعضه ثم أفطر، قال: إن كان معذوراً فإنه يقضي" (٨).

عن الحسن، قال: "إن أفطر من عذر أتم، وإن كان من غير عذر استأنف" (٩).

عن عطاء، قال: من كان عليه صوم شهرين متتابعين فمرض فأفطر، قال: يقضي ما بقي عليه" (١٠).

عن عطاء بن أبي رباح وعمرو بن دينار: "في الرجل يفطر في اليوم الغيم، يظن أن الليل قد دخل عليه في الشهرين المتتابعين، أنه لا يزيد على أن يبذله، ولا يستأنف شهرين آخرين" (١١).

عن عطاء قال: "إن جامع المعتكف، وقد بقي عليه أيام من اعتكافه، قال: يتم ما بقي، والمظاهر كذلك" (١).

(١) التفسير الميسر: ٥٤٢.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٣٠/٢٣-٢٣١.

(٣) تفسير الطبري: ٢٣٢/٢٣.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٢/٢٣.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٣٢/٢٣.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٣٢/٢٣.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٣٢/٢٣.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٣٢/٢٣-٢٣٣.

(٩) أخرجه الطبري: ٢٣٣/٢٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٢٣٣/٢٣.

(١١) أخرجه الطبري: ٢٣٣/٢٣.

عن عامر الشعبي: " في رجل ظاهر، فصام شهرين متتابعين إلا يومين ثم مرض، قال: يتم ما بقي" (٢).

عن الشعبي في رجل عليه صيام شهرين متتابعين، فصام فمرض فأفطر، قال: يقضي ولا يستأنف" (٣).

الثاني: يستقبل من أفطر بعذر أو غير عذر، لأنه لم يتابع صوم شهرين. وهذا قول إبراهيم (٤).
عن إبراهيم: " في رجل عليه صيام شهرين متتابعين فأفطر، قال: يستأنف، والمرأة إذا حاضت فأفطرت تقضي" (٥).

عن إبراهيم، قال: "إذا مرض فأفطر استأنف، يعني من كان عليه صوم شهرين متتابعين فمرض فأفطر" (٦).

قال الطبري: " وأولى القولين عندنا بالصواب قول من قال: يبني المفطر بعذر، ويستقبل المفطر بغير عذر، لإجماع الجميع على أن المرأة إذا حاضت في صومها الشهرين المتتابعين بعذر، فمثله، لأن إبطار الحائض بسبب حيضها بعذر كان من قبل الله، فكلّ عذر كان من قبل الله فمثله" (٧).

قوله تعالى: {فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا} [المجادلة: ٤]، أي: "فمن لم يستطع صيام الشهرين لعذر شرعي، فعليه أن يطعم ستين مسكيناً ممن لا يملكون ما يكفيهم ويسد حاجتهم ما يشبعهم" (٨).

قال الطبري: يقول: " فمن لم يستطع منهم الصيام فعليه إطعام ستين مسكيناً" (٩).
عن عكرمة، أن الرجل قال: "والله يا نبي الله، ما أجد رقبة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما أنا بزائدك» فأنزل الله: {فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا} [المجادلة: ٤] فقال: والله يا نبي الله، ما أطيق الصوم، إني إذا لم أكل في اليوم كذا وكذا أكلة ولقيت فجعل يشكو إليه، فقال: «ما أنا بزائدك»، فنزلت: {فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا} [المجادلة: ٤] (١٠).

قوله تعالى: {ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ} [المجادلة: ٤]، أي: "ذلك الذي بيّناه لكم من أحكام الظهار؛ من أجل أن تصدقوا بالله وتتبعوا رسوله وتعملوا بما شرعه الله، وتتركوا ما كنتم عليه في جاهليتكم" (١١).

قال الطبري: يقول: " هذا الذي فرضت على من ظاهر منكم، ما فرضت في حال القدرة على الرقبة، ثم خفت عنه مع العجز بالصوم، ومع فقد الاستطاعة على الصوم بالإطعام، وإنما فعلته كي تقر الناس بتوحيد الله ورسالة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، ويصدقوا بذلك، ويعملوا به، وينتهوا عن قول الزور والكذب" (١٢).

قال الزمخشري: " {ذلك} البيان والتعليم للأحكام والتنبيه عليها لتصدقوا {بالله ورسوله} في العمل بشرائعه التي شرعها من الظهار وغيره، ورفض ما كنتم عليه في جاهليتكم" (١٣).

(١) أخرجه الطبري: ٢٣٣/٢٣.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٣٣/٢٣.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٣٤/٢٣.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٤/٢٣.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٣٤/٢٣.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٣٤/٢٣.

(٧) تفسير الطبري: ٢٣٤/٢٣.

(٨) التفسير الميسر: ٥٤٢.

(٩) تفسير الطبري: ٢٣٤/٢٣.

(١٠) أخرجه عبدالرزاق في "التفسير" (٣١٦٦): ص ٣/٢٩١.

(١١) التفسير الميسر: ٥٤٢.

(١٢) تفسير الطبري: ٢٣٤/٢٣.

(١٣) الكشاف: ٤٨٩/٤.

قال ابن كثير: "أي: شرعنا هذا لهذا"^(١).
 قوله تعالى: {وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ} [المجادلة: ٤]، أي: "وتلك الأحكام المذكورة هي أوامر الله وحدوده فلا تتجاوزوها"^(٢).
 قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: وهذه الحدود التي حدّها الله لكم، والفروض التي بينها لكم حدود الله فلا تتعدّوها أيها الناس"^(٣).
 قال الزمخشري: "وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ} التي لا يجوز تعديها"^(٤).
 قال مقاتل: "يعني: سنة الله وأمره في كفارة الظهر"^(٥).
 قال ابن كثير: "أي: محارمه فلا تنتهكوها"^(٦).
 قال ابن عطية: "أي: فالتزموها وقفوا عندها"^(٧).
 قوله تعالى: {وَالْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [المجادلة: ٤]، أي: "وللجاحدين والمكذابين بهذه الحدود عذاب مؤلم موجع"^(٨).
 قال ابن عباس: "لمن جحد هذا وكذب به"^(٩).
 قال الطبري: يقول: "وَالْكَافِرِينَ} بها، وهم جاحدو هذه الحدود وغيرها من فرائض الله أن تكون من عند الله، عذاب مؤلم"^(١٠).
 قال الزمخشري: "وَالْكَافِرِينَ} الذين لا يتبعونها ولا يعملون عليها {عَذَابٌ أَلِيمٌ}"^(١١).
 قال ابن كثير: "أي: الذين لم يؤمنوا ولا التزموا بأحكام هذه الشريعة، لا تعتقدوا أنهم ناجون من البلاء، كلا ليس الأمر كما زعموا، بل لهم عذاب أليم، أي: في الدنيا والآخرة"^(١٢).
 قال ابن عطية: "توعد الكافرين بهذا الحديث والحكم الشرعي"^(١٣).
 قال الألوسي: "وأطلق «الكافر» على متعدي الحدود تغليظاً لجزره، ونظير ذلك قوله: تعالى: {وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} [آل عمران: ٩٧]"^(١٤).
 فوائد الآيات: [٤-١]:

- ١- إجابة الله لأوليائه بتفريج كربهم وقضاء حوائجهم فله الحمد وله الشكر.
- ٢- حرمة الظهر باعتباره منكراً وكذباً وزوراً فيجب التوبة منه.
- ٣- بيان حكم المظاهر وهو أن عليه عتق رقبة قيل أن يجامع امرأته المظاهر منها. فإن لم يجد الرقبة المؤمنة صام شهرين متتابعين من الهلال إلى الهلال وإذا انقطع التتابع لمرض بنى على ما صامه. فإن لم يستطع لمرض ونحوه أطعم ستين مسكيناً فأعطى لكل مسكين على حدة مداً من بر أو مدين من غير البر كالشعير والتمر.
- ٤- لو جامع المظاهر قبل إخراج الكفارة أثم فليستغفر ربه وليخرج كفارته. ولا شيء عليه لحديث الترمذي الصحيح.
- ٥- طاعة الله ورسوله إيمان، ومعصية الله ورسوله من الكفران.

(١) تفسير ابن كثير: ٤١/٨.

(٢) التفسير الميسر: ٥٤٢.

(٣) تفسير الطبري: ٢٣٤/٢٣.

(٤) الكشاف: ٤٨٩/٤.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٥٨/٤.

(٦) تفسير ابن كثير: ٤١/٨.

(٧) المحرر الوجيز: ٢٧٤/٥.

(٨) صفوة التفاسير: ٣١٧/٣.

(٩) التفسير البسيط للواحدي: ٣٣٧/٢١.

(١٠) تفسير الطبري: ٢٣٤/٢٣.

(١١) الكشاف: ٤٨٩/٤.

(١٢) تفسير ابن كثير: ٤١/٨.

(١٣) المحرر الوجيز: ٢٧٤/٥.

(١٤) روح المعاني: ٢١٤/١٤.

القرآن
﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ
وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [المجادلة : ٥]

التفسير:

إن الذين يشاقون الله ورسوله ويخالفون أمرهما خذلوا وأهينوا، كما خذل الذين من قبلهم من الأمم الذين حادوا الله ورسوله، وقد أنزلنا آيات واضحة الحجة تدل على أن شرع الله وحدوده حق، ولجاحدي تلك الآيات عذاب مُدْلٌ في جهنم.
سبب النزول:

قال مقاتل: "﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [المجادلة : ٥]، نزلت في اليهود والمنافقين" (١).
قال ابن عطية: "هذه الآيات نزلت في منافقين وقوم من اليهود كانوا في المدينة يتمرسون برسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، ويتربصون بهم الدوائر، ويدبرون عليهم ويتمنون فيهم المكروه ويتناجون بذلك، فنزلت هذه الآيات إلى آخر أمر النجوى فيهم" (٢).
قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة : ٥]، أي: "إن الذين يشاقون الله ورسوله ويخالفون أمرهما" (٣).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: إن الذين يخالفون الله في حدوده وفرائضه، فيجعلون حدودًا غير حدوده، وذلك هو المحادة لله ورسوله" (٤).

قال النحاس: "أي: يخالفون الله ورسوله ويصيرون في حد أعدائه" (٥).
قال الزجاج: "ومعنى: ﴿يُحَادُّونَ اللَّهَ﴾: ويشاقون الله، أي: هم في غير الحد الذي يكون فيه أولياء الله، وكذلك يشاقون يكونون في الشق الذي فيه أعداء الله" (٦).
قال ابن كثير: "يخبر تعالى عن شاقوا الله ورسوله وعاندوا شرعه" (٧).
وقال قتادة: "يعادون الله ورسوله" (٨).

قال ابن عطية: "المحادة: أن يعطي الإنسان صاحبه حد قوله أو سلاحه وسائر أفعاله. وقال قوم: هو أن يكون الإنسان في حد، وصاحبه في حد مخالف" (٩).
قوله تعالى: ﴿كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [المجادلة : ٥]، أي: "خذلوا وأهينوا، كما خذل الذين من قبلهم من الأمم الذين حادوا الله ورسوله" (١٠).
قال الطبري: "يعني: غيظوا وأخزوا كما غيظ الذين من قبلهم من الأمم الذين حادوا الله ورسوله، وخزوا" (١١).

وفي قوله تعالى: ﴿كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [المجادلة : ٥]، وجوه من التفسير:
أحدها: خزوا كما خزي الذين من قبلهم. قاله قتادة (١٢).
قال مقاتل: "يعني: أخزوا كما أخزى الذين من قبلهم من الأمم الخالية" (١٣).

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٥٩/٤.

(٢) المحرر الوجيز: ٢٧٥/٥.

(٣) التفسير الميسر: ٥٤٢.

(٤) تفسير الطبري: ٢٣٥/٢٣.

(٥) إعراب القرآن: ٢٤٩/٤.

(٦) معاني القرآن: ١٣٦/٥.

(٧) تفسير ابن كثير: ٤١/٨.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٣٥/٢٣.

(٩) المحرر الوجيز: ٢٧٥/٥.

(١٠) التفسير الميسر: ٥٤٢.

(١١) تفسير الطبري: ٢٣٥/٢٣.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٥/٢٣.

(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٥٩/٤.

قال الزجاج: "معنى: {كُتِبُوا}: أدلوا وأخزوا بالعذاب وبأن غلبوا، كما نزل بمن قبلهم ممن حاد الله"^(١).

قال ابن كثير: "أي: أهينوا ولعنوا وأخزوا، كما فعل بمن أشبههم ممن قبلهم"^(٢).

قال الراغب: "الْكَبْتُ: الرَّدُّ بعنف وتذليل"^(٣).

قال ابن عطية: "كبت الرجل: إذا بقي خزيان يبصر ما يكره ولا يقدر على دفعه"^(٤).

الثاني: معناه: أهلكوا كما أهلك الذين من قبلهم، قاله الأخفش^(٥)، وأبو عبيدة^(٦).

قال النحاس: "الأصل: كبدوا. من قولهم: كبده. إذا أصابه بوجع في كبده"^(٧).

الثالث: غيظوا وأحزبوا يوم الخندق {كما كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ}، يريد: من قاتل الأنبياء من قبلهم. قاله الفراء^(٨).

الرابع: لعنوا كما لعن الذين من قبلهم، قاله السدي^(٩).

وقال القاسم بن سلام: "لعنوا، بلغة مذحج"^(١٠).

الخامس: ردوا مقهورين. حكاه الماوردي^(١١).

قوله تعالى: {وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ} [المجادلة: ٥]، أي: "وقد أنزلنا آيات واضحة الحجة تدل على أن شرع الله وحدوده حق"^(١٢).

قال الطبري: "يقول: وقد أنزلنا دلالات مفصلات، وعلامات محكمات تدل على حقائق حدود الله"^(١٣).

قال ابن كثير: "أي: واضحة لا يخالفها ولا يعاندها إلا كافر فاجر مكاب"^(١٤).

قال الزمخشري: "تدل على صدق الرسول وصحة ما جاء به"^(١٥).

قال مقاتل: "يعني: القرآن، فيه البيان أمره ونهي"^(١٦).

قوله تعالى: {وَاللَّكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ} [المجادلة: ٥]، أي: "ولجاحدي تلك الآيات عذاب مُدَلٌّ في جهنم"^(١٧).

قال الطبري: يقول: "ولجاحدي تلك الآيات البيِّنَات التي أنزلناها على رسولنا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومنكريها عذاب يوم القيامة، مهين: يعني: مُدَلٌّ في جهنم"^(١٨).

قال الزمخشري: "وَاللَّكَافِرِينَ} بهذه الآيات {عَذَابٌ مُهِينٌ} يذهب بعزهم وكبرهم"^(١٩).

قال ابن كثير: "أي: في مقابلة ما استكبروا عن اتباع شرع الله، والانقياد له، والخضوع لديه"^(٢٠).

(١) معاني القرآن: ١٣٦/٥.

(٢) تفسير ابن كثير: ٤١/٨.

(٣) المفردات في غريب القرآن: ٦٩٥.

(٤) المحرر الوجيز: ٢٧٥/٥.

(٥) نقلا عن: النكت والعيون: ٤٨٩/٥.

(٦) انظر: مجاز القرآن: ٢٥٥/٢.

(٧) إعراب القرآن: ٢٤٩/٤.

(٨) انظر: معاني القرآن: ١٣٩/٣.

(٩) انظر: النكت والعيون: ٤٨٩/٥.

(١٠) لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم: ١١.

(١١) انظر: النكت والعيون: ٤٩٠/٥.

(١٢) التفسير الميسر: ٥٤٢.

(١٣) تفسير الطبري: ٢٣٥/٢٣.

(١٤) تفسير ابن كثير: ٤١/٨.

(١٥) الكشاف: ٤٨٩/٤.

(١٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٥٩/٤.

(١٧) التفسير الميسر: ٥٤٢.

(١٨) تفسير الطبري: ٢٣٥/٢٣.

(١٩) الكشاف: ٤٨٩/٤.

قال مقاتل بن حيان: "يعني بالمهين الهوان"^(٢).

القرآن

{يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٦)}

[المجادلة : ٦]

التفسير:

واذكر -أيها الرسول- يوم القيامة، يوم يحيي الله الموتى جميعًا، ويجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيخبرهم بما عملوا من خير وشر، أحصاه الله وكتبه في اللوح المحفوظ، وحفظه عليهم في صحائف أعمالهم، وهم قد نسوه. والله على كل شيء شهيد، لا يخفى عليه شيء. سبب النزول:

قال مقاتل: "نزلت في المنافقين في أمر المناجاة"^(٣).

قوله تعالى: {يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا} [المجادلة : ٦]، أي: "واذكر -أيها الرسول- يوم القيامة، يوم يحيي الله الموتى جميعًا، ويجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد"^(٤).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: وللكافرين عذاب مهين في يوم يبعثهم الله جميعًا، وذلك {يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا} من قبورهم لموقف القيامة"^(٥).

قال ابن كثير: "وذلك يوم القيامة، يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد"^(٦). قوله تعالى: {فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا} [المجادلة : ٦]، أي: "فيخبرهم بما عملوا من خير وشر"^(٧).

قال الطبري: {فَيُنَبِّئُهُمُ} الله {بِمَا عَمِلُوا}^(٨).

قال ابن كثير: "يخبرهم بالذي صنعوا من خير وشر"^(٩).

قوله تعالى: {أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ} [المجادلة : ٦]، أي: "أحصاه الله وكتبه في اللوح المحفوظ، وحفظه عليهم في صحائف أعمالهم، وهم قد نسوه"^(١٠).

قال الطبري: يقول: "أحصى الله ما عملوا، فعدّه عليهم، وأثبتّه وحفظه، ونسيه عاملوه"^(١١).

قال ابن كثير: "أي: ضبطه الله وحفظه عليهم، وهم قد نسوا ما كانوا عليه"^(١٢).

قوله تعالى: {وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [المجادلة : ٦]، أي: "والله على كل شيء شهيد، لا يخفى عليه شيء"^(١٣).

قال الطبري: "يقول: {وَاللَّهُ} جل ثناؤه {عَلَى كُلِّ شَيْءٍ} عملوه، وغير ذلك من أمر خلقه {شَهِيدٌ}، يعني: شاهد يعلمه ويحيط به، فلا يعزب عنه شيء منه"^(١٤).

قال ابن كثير: "أي: لا يغيب عنه شيء، ولا يخفى ولا ينسى شيئاً"^(١).

(١) تفسير ابن كثير: ٤١/٨.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٩١٨): ص ١٧٤/١.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٥٩/٤.

(٤) التفسير الميسر: ٥٤٢.

(٥) تفسير الطبري: ٢٣٦/٢٣.

(٦) تفسير ابن كثير: ٤١/٨.

(٧) التفسير الميسر: ٥٤٢.

(٨) تفسير الطبري: ٢٣٦/٢٣.

(٩) تفسير ابن كثير: ٤١/٨.

(١٠) التفسير الميسر: ٥٤٢.

(١١) تفسير الطبري: ٢٣٦/٢٣.

(١٢) تفسير ابن كثير: ٤١/٨.

(١٣) التفسير الميسر: ٥٤٢.

(١٤) تفسير الطبري: ٢٣٦/٢٣.

القرآن

{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧)} [المجادلة : ٧]

التفسير:

ألم تعلم أن الله تعالى يعلم كل شيء في السموات والأرض؟ ما يتناجى ثلاثة من خلقه بحديث سرٍّ إلا هو رابعهم بعلمه وإحاطته، ولا خمسة إلا هو سادسهم، ولا أقل من هذه الأعداد المذكورة ولا أكثر منها إلا هو معهم بعلمه في أي مكان كانوا، لا يخفى عليه شيء من أمرهم، ثم يخبرهم تعالى يوم القيامة بما عملوا من خير وشر ويجازيهم عليه. إن الله بكل شيء عليم لا تخفى عليه خافية.

سبب النزول:

روى عن ابن عباس: "أنها نزلت في ربيعة وحبيب ابني عمرو وصفوان بن أمية، كانوا يوماً يتحدثون، فقال أحدهم: أترى أن الله يعلم ما نقول؟ فقال الآخر: يعلم بعضاً ولا يعلم بعضاً. وقال الثالث: إن كان يعلم بعضاً فهو يعلم كله، وصدق" (٢).

قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} [المجادلة : ٧]، أي: "ألم تعلم أن الله تعالى يعلم كل شيء في السموات والأرض؟" (٣). قال مقاتل: "يقول: أحاط علمه بذلك كله" (٤).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ألم تنظر يا محمد بعين قبلك فترى {أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} من شيء، لا يخفى عليه صغير ذلك وكبيره؛ يقول جل ثناؤه: فكيف يخفى على من كانت هذه صفته أعمال هؤلاء الكافرين وعصيانهم ربهم" (٥).

قوله تعالى: {مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ} [المجادلة : ٧]، أي: "ما يتناجى ثلاثة من خلقه بحديث سرٍّ إلا هو رابعهم بعلمه وإحاطته" (٦).

قال مقاتل: "يعني: نفر ثلاثة، {إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ}، يعني: علمه معهم إذا تناجوا" (٧). قال الطبري: "وصف جل ثناؤه قربه من عباده وسماعه نجواهم، وما يكتُمونه الناس من أحاديثهم، فيتحدثونه سرًّا بينهم، فقال: {مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ} من خلقه، {إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ}، يسمع سرهم ونجواهم، لا يخفى عليه شيء من أسرارهم" (٨).

قال الزجاج: "أي ما يكون من خلوة ثلاثة يسرون شيئاً ويتناجون به إلا وهو رابعهم عالم به، وهو في كل مكان، أي: بالعلم" (٩).

قال الطبري: "وعني بقوله: {هُوَ رَابِعُهُمْ}، بمعنى: أنه مشاهدتهم بعلمه، وهو على عرشه" (١٠).

قال السمعاني: "يعني: بالعلم والقدرة" (١١).

(١) تفسير ابن كثير: ٤١/٨.

(٢) حكاه عنه الزمخشري في "الكشاف": ٤٩٠/٤، وأبو حيان في البحر المحيط: ١٢٥/١٠.

(٣) التفسير الميسر: ٥٤٣.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٥٩/٤.

(٥) تفسير الطبري: ٢٣٦/٢٣.

(٦) التفسير الميسر: ٥٤٣.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٥٩/٤.

(٨) تفسير الطبري: ٢٣٦/٢٣-٢٣٧.

(٩) معاني القرآن: ١٣٧/٥.

(١٠) تفسير الطبري: ٢٣٦/٢٣-٢٣٧.

(١١) تفسير السمعاني: ٣٨٦/٥.

عن الضحاك، في قوله: "مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ} ... إلى قوله: {هُوَ مَعَهُمْ}، قال: هو فوق العرش وعلمه معهم {أَيُّمًا كَانُوا ثُمَّ يُبَيِّنُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}"^(١).

قال الأصهبهاني: "النجوى -ها هنا-: المتناجون، فأما قوله: {إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ}، فمعناه:

التناجي، وأصله السر"^(٢).

و«نجوى»: مشتق من: «النجوة». وهو ما ارتفع وتحنى، تقول: فلان من هذا المكان بنجوة. إذا كانت ناحية منه، ومعنى: تناجون: يتخالون بما يريدون"^(٣).

قال السمعاني: "السرار: يكون بين اثنين، والنجوى تكون بين ثلاثة وأكثر إذا أخفى"^(٤).
وقرى: «مَا تَكُونُ»، بالتاء^(٥).

قوله تعالى: {وَلَا خَمْسَةَ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ} [المجادلة : ٧]، أي: "ولا يكون من نجوى خمسة إلا هو سادسهم كذلك"^(٦).

قال مقاتل: "يعني: علمه معهم"^(٧).

وفي قراءة عبد الله: «وَلَا أَرْبَعَةَ إِلَّا هُوَ خَامِسُهُمْ»، لأن المعنى غير مضمور له، فكفى ذكر بعض العدد من بعض^(٨).

قوله تعالى: {وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيَّنَ مَا كَانُوا} [المجادلة : ٧]، أي: "ولا أقل من هذه الأعداد المذكورة ولا أكثر منها إلا هو معهم بعلمه في أي مكان كانوا، لا يخفى عليه شيء من أمرهم"^(٩).

قال مقاتل: "يعني: ولا أقل من ثلاث نفر، وهما اثنان. ولا أكثر من خمسة نفر {إِلَّا هُوَ} يعني: إلا وعلمه {مَعَهُمْ أَيَّنَ مَا كَانُوا} من الأرض"^(١٠).

قال الطبري: "يقول: ولا أقل من ثلاثة {وَلَا أَكْثَرَ} من خمسة، {إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ} إذا تناجوا، في أي موضع ومكان كانوا"^(١١).

قال ابن كثير: "أي: يطلع عليهم يسمع كلامهم وسرهم ونجواهم، ورسله أيضًا مع ذلك تكتب ما يتناجون به، مع علم الله وسمعه لهم، كما قال: {أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ} [التوبة : ٧٨] وقال {أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ} [الزخرف : ٨٠] ؛ ولهذا حكى غير واحد الإجماع على أن المراد بهذه الآية معية علم الله تعالى ولا شك في إرادة ذلك ولكن سمعه أيضا مع علمه محيط بهم، وبصره نافذ فيهم، فهو، سبحانه، مطلع على خلقه، لا يغيب عنه من أمورهم شيء"^(١٢).

قال الزجاج: "ذكر الله هذه الآية لأن المنافقين واليهود كانوا يتناجون، فيوهمون المسلمين أنهم يتناجون فيما يسوءهم ويؤذيهم فيحزنون لذلك، فنهى الله عز وجل - عق تلك النجوى فعاد المنافقون واليهود إلى ذلك"^(١٣).

(١) أخرجه الطبري: ٢٣٧/٢٣.

(٢) إعراب القرآن: ٤٣٠.

(٣) معاني القرآن: ١٣٧/٥.

(٤) تفسير السمعاني: ٣٨٦/٥.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٧/٢٣.

(٦) تفسير الطبري: ٢٣٦/٢٣-٢٣٧.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٥٩/٤.

(٨) انظر: معاني القرآن للفراء: ١٤٠/٣.

(٩) التفسير الميسر: ٥٤٣.

(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٥٩/٤.

(١١) تفسير الطبري: ٢٣٧/٢٣.

(١٢) تفسير ابن كثير: ٤٢/٨.

(١٣) معاني القرآن: ١٣٧/٥.

قوله تعالى: {ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ} [المجادلة : ٧]، أي: "ثم يخبرهم تعالى يوم القيامة بما عملوا من خير وشر ويجازيهم عليه"^(١).

قال الطبري: يقول: "ثم يخبر هؤلاء المتناجين وغيرهم بما عملوا من عمل، مما يحبه ويسخطه يوم القيامة"^(٢).

قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [المجادلة : ٧]، أي: "إن الله بكل شيء عليم لا تخفى عليه خافية"^(٣).

قال الطبري: "يقول: إن الله بنجواهم وأسرارهم، وسرائر أعمالهم، وغير ذلك من أمورهم وأمور عباده عليم"^(٤).

قال سعيد بن جبیر: " {عليم} يعني: عالما بها"^(٥).

عن محمد بن إسحاق: {عليم}: "عليم بما يخفون"^(٦).

قال الإمام أحمد: "افتتح الآية بالعلم، واختتمها بالعلم"^(٧).

قال الحارث المحاسبی: "أبان الله جل وعز في تلاوتها أنه لا يريد أنه كائن في الأشياء بنفسه إذ وصلها ولم يقطعها كما قطع الكلام الذي أراد به كونه فوق عرشه فقال عز وجل: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} [المجادلة : ٧]، فبدأ بالعلم وأخبر أنه مع كل مناج حيث وجد وختم الآية بالعلم وقال: {إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [المجادلة : ٧]، فبدأ بالعلم وختم بالعلم، فبيّن أنه أراد أنه يعلمهم حيث ما كانوا لا يخفون عليه ولا يخفى عليه مناجاتهم تفردوا أو اجتمعوا، ولو اجتمع قوم في السفلى وناظر إليهم في العلو ويسمع كلامهم، فقال إني لم أزل معكم أراكم وأعلم مناجاتكم كان صادقا، والله المثل الأعلى عن شبه الخلق"^(٨).

فوائد الآيات: [٧-٥]:

- ١- وعيد الله الشديد بالإكبات والذل والهوان لكل من يحاد الله ورسوله.
- ٢- إحاطة علم الله بكل شيء وشهوده لكل شيء وإحصاءه لكل أعمال العباد حال توجب مراقبة الله تعالى والخشية منه والحياء منه أشد الحياء.
- ٣- الإرشاد إلى أن التنجني للمشاورة في الخير ينبغي أن يكون عدد المتناجين ثلاثة أو خمسة أو سبعة ليكون الواحد عدلا مرجحا للخلاف قاضيا فيه إذ اختلف اثنان لا بد من واحد يرجح جانب الخلاف وإذا اختلف أربعة لا بد من خامس يرجح جانب الخلاف.

القرآن

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِاللَّيْلِ وَالنَّجْوَى وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا فَيَنْسَوْنَ الْمَصِيرَ} (٨) [المجادلة : ٨]

التفسير:

ألم تر -أيها الرسول- إلى اليهود الذين نهوا عن الحديث سرا بما يثير الشك في نفوس المؤمنين، ثم يرجعون إلى ما نهوا عنه، ويتحدثون سرا بما هو إثم وعدوان ومخالفة لأمر الرسول؟ وإذا جاءك -أيها الرسول- هؤلاء اليهود لأمر من الأمور حيوك بغير التحية التي جعلها الله لك تحية،

(١) التفسير الميسر: ٥٤٣.

(٢) تفسير الطبري: ٢٣٦/٢٣-٢٣٧.

(٣) التفسير الميسر: ٥٤٣.

(٤) تفسير الطبري: ٢٣٦/٢٣-٢٣٧.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٩٤٨): ص ٨٩٠/٣.

(٦) أخرجه الطبري (٧٧١٩): ص ١٦٥/٧، وابن أبي حاتم (١٠٢٠٥): ص ١٨٦٧/٦.

(٧) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٤٢/٨.

(٨) فهم القرآن: ٣٥٢-٣٥٣.

فقالوا: (السام عليك) أي: الموت لك، ويقولون فيما بينهم: هلا يعاقبنا الله بما نقول لمحمد إن كان رسولا حقا، تكفيهم جهنم يدخلونها، ويقاسون حرها، فبئس المرجع هي. سبب النزول:

أولا:- في سبب نزول قوله تعالى: ﴿لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِاللَّيْلِ وَالنَّجْوَى وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾ [المجادلة: ٨]، وجوه:

أحدها: أنها نزلت في اليهود والمنافقين، وذلك أنهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين، وينظرون إلى المؤمنين ويتغامزون بأعينهم، فإذا رأى المؤمنون نجواهم قالوا: ما نراهم إلا وقد بلغهم عن أقبائنا وإخواننا الذين خرجوا في السرايا قتل أو موت أو مصيبة أو هزيمة، فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم، فلا يزالون كذلك حتى يقدم أصحابهم وأقرباؤهم. فلما طال ذلك وكثر شكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرهم ألا يتناجوا دون المسلمين فلم ينتهوا عن ذلك، وعادوا إلى مناجاتهم، فأنزل الله سبحانه هذه الآية. قاله ابن عباس^(١)، ومجاهد^(٢)

عن ابن عباس، ومجاهد: "﴿لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى﴾ نزلت في اليهود والمنافقين؛ وذلك أنهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين، وينظرون إلى المؤمنين، ويتغامزون بأعينهم، فإذا رأى المؤمنون نجواهم قالوا: ما نراهم إلا وقد بلغهم عن أقبائنا وإخواننا الذين خرجوا في السرايا قتل أو موت أو مصيبة أو هزيمة، فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم، فلا يزالون كذلك حتى يقدم أصحابهم وأقرباؤهم، فلما طال ذلك وكثر شكوا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فأمرهم أن لا يتناجوا دون المسلمين، فلم ينتهوا عن ذلك، وعادوا إلى مناجاتهم؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية"^(٣).

الثاني: أنها نزلت في اليهود، قاله مجاهد-أيضا-^(٤)، والمقاتلان^(٥).

عن مقاتل بن حيان: "كان بين يهود وبين النبي صلى الله عليه وسلم موادة فكانوا إذا مر بهم رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جلسوا يتناجون بينهم، حتى يظن المؤمن أنهم يتناجون بقتله أو بما يكره المؤمن، فإذا رأى المؤمن ذلك خشيم فترك طريقه عليهم فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عن النجوى فلم ينتهوا، فأنزل الله: ﴿لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾"^(٦).

وقال مقاتل بن سليمان: "يعني: اليهود كان بينهم وبين محمد- صلى الله عليه وسلم- موادة، فإذا رأوا رجلا من المسلمين وحده يتناجون بينهم، فيظن المسلم أنهم يتناجون بقتله أو بما يكره، فيترك الطريق من المخافة فبلغ ذلك النبي- صلى الله عليه وسلم-، فنهاهم عن النجوى، فلم ينتهوا وعادوا إلى النجوى، فقال- الله تعالى-: ﴿لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى﴾ [المجادلة: ٨]"^(٧).

الثالث: أنها نزلت في المنافقين. قاله ابن السائب الكلبي^(٨).

قال السمعاني: "نزلت الآية في قوم من المنافقين كان رسول الله إذا بعث سرية قالوا فيما بينهم: قد أصاب السرية، وكذا قد أسروا وقتلوا وما يشبه ذلك إرجافا بالمسلمين، فنهاهم النبي عن ذلك، فكانوا يقولون قد نبئنا"^(٩).

(١) ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان" (تفسير الثعلبي): ٢٥٧/٩، والواحد في "أسباب النزول": ٤٣٠، وابن الجوزي في "زاد المسير": ٢٤٥/٤. والخير بدون إسناد.

(٢) علقه الواحدي في أسباب النزول ص ٤١٠ - ٤١١. وأورده الثعلبي ٢٥٧/٩.

(٣) علقه الواحدي في أسباب النزول ص ٤١٠ - ٤١١. وأورده الثعلبي ٢٥٧/٩.

(٤) عزاه إليه ابن الجوزي في "زاد المسير": ٢٤٦/٤. بدون إسناد.

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٦٠/٤، و"الكشف والبيان" (تفسير الثعلبي): ٢٥٧/٩. حكاها عنهما.

وانظر: تفسير ابن كثير: ٤٢/٨، حكاها عن مقاتل بن حيان.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٨٤٢): ص ٣٣٤٣/١٠، وانظر: تفسير ابن كثير: ٤٢/٨.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٦٠/٤.

(٨) عزاه إليه ابن الجوزي في "زاد المسير": ٢٤٦/٤. وهو متروك منهم.

(٩) تفسير السمعاني: ٣٨٦/٥.

الرابع : قال ابن زيد: " كان الرجل يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله الحاجة ليري الناس أنه قد ناجى فيقول لهم: إنما يتناجون في حرب حضرت، أو جمع قد جمع لكم، أو أمر مهم قد وقع، فأنزل الله سبحانه: {لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى} [المجادلة : ٨]، أي: المناجاة"^(١).

حكاه الثعلبي عن ابن زيد، بدون إسناد. وقد أخرج الطبري بسنده عن ابن زيد نحوه في سبب نزول قوله تعالى: {لِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا} [المجادلة : ١٠]^(٢).
ثانياً:- في سبب نزول قوله تعالى: {وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ} [المجادلة : ٨]، وجهان:
أحدهما: أنها نزلت في اليهود، وهذا قول عبدالله بن عمرو^(٣)، ومجاهد^(٤)، وقتادة^(٥)، وابن زيد^(٦).

عن عبد الله بن عمرو: " أن اليهود كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم:- سام عليك، ثم يقولون في أنفسهم، لولا يعذبنا الله بما نقول، فنزلت هذه الآية: {وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ}، إلى آخر الآية"^(٧).
عن مجاهد، في قوله: " {وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ}، قال:- يقولون: سام عليكم، قال: هم أيضاً يهود"^(٨).

الثاني: أنها نزلت في المنافقين. وهذا قول ابن عباس^(٩).
عن ابن عباس: قوله: {وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ} ... إلى {فَيُنسَ الْمَصِيرُ}- قال:- " كان المنافقون يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حيوه: (سام عليكم)، فقال الله: {حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَيُنسَ الْمَصِيرُ}"^(١٠).

قوله تعالى: {لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى} [المجادلة : ٨]، أي:- " ألم تر -أيها الرسول- إلى اليهود الذين نُهُوا عن الحديث سراً بما يثير الشك في نفوس المؤمنين"^(١١).
قال الطبري: " يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: {لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى} من اليهود"^(١٢).

عن مجاهد، في قوله: {لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى}، قال: " اليهود"^(١٣).
وروي عن أبي سعيد الخدري، قال: " كنا نتناوب رسول الله صلى الله عليه وسلم، نبيت عنده ؛ يطرقه من الليل أمر وتبدو له حاجة فلما كانت ذات ليلة كثر أهل التوب والمحتسبون حتى كنا أندية نتحدث، فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " ما هذا النجوى ؟ ألم

(١) نقلا عن " الكشف والبيان " (تفسير الثعلبي): ٢٥٧/٩.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٤٢/٢٣.

(٣) انظر: مسند أحمد(٦٥٨٩):ص١١/١٥٩-١٦٠.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٩/٢٣-٢٤٠.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٣/٢٤٠.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٣/٢٤٠.

(٧) مسند أحمد(٦٥٨٩):ص١١/١٥٩-١٦٠، وأخرجه البزار (٢٢٧١)، والبيهقي في "شعب الإيمان" (٩١٠٠). وأورده الهيثمي في "المجمع" ١٢١/٧-١٢٢، وقال: "رواه أحمد والبزار والطبراني، وإسناده جيد،

لأن حمادا سمع من عطاء بن السائب في حالة الصحة".

وأخرجه مسلم(١١):ص٤/١٧٠٧. بنحوه.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٣٩/٢٣-٢٤٠.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٣/٢٣٩.

(١٠) أخرجه الطبري: ٢٣/٢٣٩، وابن أبي حاتم(١٨٨٤٤):ص١٠/٣٣٤٣. بنحوه.

(١١) التفسير الميسر: ٥٤٣.

(١٢) تفسير الطبري: ٢٣/٢٣٨.

(١٣) أخرجه الطبري: ٢٣/٢٣٨.

تُنْهَوُا عَنِ النَّجْوَى ؟" قلنا : تبنا إلى الله يا رسول الله، إنا كنا في ذكر المسيح، فَرَقَا مِنْهُ. فقال :
 "ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي منه ؟" قلنا : بلى يا رسول الله. قال : "الشرك الخفي،
 أن يقوم الرجل يعمل لمكان رجل" (١).

قوله تعالى: {ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا تُوْهُوا عَنْهُ} [المجادلة : ٨]، أي: "ثم يرجعون إلى ما نُهوا
 عنه" (٢).

قال الطبري: "يقول جلّ ثناؤه: ثم يرجعون إلى ما نهوا عنه من النجوى" (٣).
 قوله تعالى: {وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ} [المجادلة : ٨]، أي: "و يتحدثون سرّاً بما هو إثم وعدوان ومخالفة لأمر الرسول" (٤).

قال الطبري: يقول: "ويتناجون بما حرم الله عليهم من الفواحش والعدوان، وذلك خلاف
 أمر الله، ومعصية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم" (٥).

قال ابن كثير: "أي : يتحدثون فيما بينهم بالإثم، وهو ما يختص بهم، والعدوان، وهو ما
 يتعلق بغيرهم، ومنه معصية الرسول ومخالفته، يُصِرُّونَ عَلَيْهَا وَيَتَوَاصُونَ بِهَا" (٦).

وقرأ يحيى وحمزة والأعمش: «وَيَتَنَاجَوْنَ» (٧).
 قوله تعالى: {وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ} [المجادلة : ٨]، أي: "وإذا جاءك -
 أيها الرسول- هؤلاء اليهود لأمر من الأمور حيّوك بغير التحية التي جعلها الله لك تحية، فقالوا:
 (السام عليك) أي: الموت لك" (٨).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وإذا جاءك يا محمد
 هؤلاء الذين نهوا عن النجوى، الذين وصف الله جلّ ثناؤه صفتهم، حيّوك بغير التحية التي
 جعلها الله لك تحية، وكانت تحيتهم التي كانوا يحيونه بها، التي أخبر الله أنه لم يحيه بها فيما
 جاءت به الأخبار، أنهم كانوا يقولون: السام عليك" (٩).

قال مجاهد: "يقولون: سام عليكم، قال: هم أيضاً يهود" (١٠).
 عن قتادة، في قوله تعالى: {حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ}، قال: «كانت اليهود يقولون:
 (سام عليك) للنبي صلى الله عليه وسلم» (١١).

عن قتادة، في قوله: "حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ"، قال: اليهود كانت تقول: سام
 عليكم" (١٢).

قال قتادة: «كانت اليهود يقولون: (سام عليك) للنبي صلى الله عليه وسلم» (١٣).
 قال عطاء الخراساني: "كانوا يقولون إذا جاؤوا إلى النبي - صلى الله عليه وسلم -: سامٌ
 عليك" (١٤).

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٣٠/٣) وابن ماجة في السنن برقم (٤٢٠٤) من طريق كثير بن زيد به نحوه،
 وقال البوصيري في الزوائد (٢٩٦/٣) : "هذا إسناد حسن، كثير بن زيد وربيع بن عبد الرحمن مختلف فيهما".
 قال ابن كثير ٤٣/٨: "هذا إسناد غريب، وفيه بعض الضعفاء".

(٢) التفسير الميسر: ٥٤٣.

(٣) تفسير الطبري: ٢٣٨/٢٣.

(٤) التفسير الميسر: ٥٤٣.

(٥) تفسير الطبري: ٢٣٨/٢٣.

(٦) تفسير ابن كثير: ٤٣/٨.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٨/٢٣.

(٨) التفسير الميسر: ٥٤٣.

(٩) تفسير الطبري: ٢٣٨/٢٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٢٤٠/٢٣.

(١١) أخرجه عبدالرزاق في "التفسير" (٣١٧٠): ص ٢٩٢/٣.

(١٢) أخرجه الطبري: ٢٤٠/٢٣.

(١٣) أخرجه عبدالرزاق في "التفسير" (٣١٧٠): ص ٢٩٢/٣.

قال مسروق: " كانت اليهودُ يأتون النبيَّ - صلى الله عليه وسلم -، فيقولون: السَّام عليكم" (٢).

عن الزهري: " أن عائشة فطنت إلى قولهم، فقالت: وعليكم السَّامة واللعنة. فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «مهلاً، يا عائشة، إنَّ الله يحبُّ الرِّفق في الأمر كله». فقالت: يا نبي الله، ألم تسمع ما يقولون؟! قال: «أفلم تسمعي ما أوردَّ عليهم؟! أقول: عليكم»" (٣).

روي عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: استأذن رهط من اليهود على النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: السام عليك، فقلت: بل عليكم السام واللعنة، فقال: «يا عائشة، إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله» قلت: أولم تسمع ما قالوا؟ قال: " قلت: وعليكم" (٤).

عن أنس بن مالك: " أن نبي الله صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس مع أصحابه، إذ أتى عليهم يهودي، فسلم عليهم، فردوا عليه، فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم: "هل تدرون ما قال؟" قالوا: سلم يا رسول الله، قال: "بل قال: سأم عليكم، أي تسأمون دينكم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أقلت سأم عليكم؟ قال: نعم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا سلم عليكم أحد من أهل الكتاب فقولوا وعليك": أي عليك ما قلت" (٥).

عن ابن زيد، في قوله: "﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾، قال: هؤلاء يهود، جاء ثلاثة نفر منهم إلى باب النبي صلى الله عليه وسلم، فتناجوا ساعة، ثم استأذن أحدهم، فأذن له النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: السام عليكم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "عليك"، ثم الثاني، ثم الثالث قال ابن زيد: السام: الموت" (٦).

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ [المجادلة : ٨]، أي: ويقولون فيما بينهم: هلا يعاقبنا الله بما نقول لمحمد إن كان رسولا حقاً" (٧). قال عبد الله بن عمرو بن العاص: " يعنون: " ألا يعذبنا الله بما نقول حين نشتم محمداً" (٨).

قال الطبري: " يقول جل ثناؤه: ويقول محبوك بهذه التحية من اليهود: هلا يعاقبنا الله بما نقول لمحمد صلى الله عليه وسلم، فيعجل عقوبته لنا على ذلك" (٩).

قال السمعاني: " المعنى: أنهم كانوا يقولون: لو كان محمد نبياً لعذبنا الله بما نقول" (١٠). قال الفراء: " كانت اليهود تأتي النبيَّ صلى الله عليه، فيقولون: السام عليك، فيقول لهم: وعليكم، فيقولون: لو كان مُحَمَّدٌ نبياً لا ستجيب له فينا لأنَّ السام: الموت، فذلك قوله: ﴿لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾، أي: هلاً" (١١).

قال ابن كثير: " أي : يفعلون هذا، ويقولون ما يحرفون من الكلام وإيهام السلام، وإنما هو شتم في الباطن، ومع هذا يقولون في أنفسهم : لو كان هذا نبياً لعذبنا الله بما نقول له في الباطن ؛ لأن الله يعلم ما نسرره، فلو كان هذا نبياً حقاً لأوشك أن يعاجلنا الله بالعقوبة في الدنيا" (١٢).

(١) أخرجه أبو جعفر الرملي في جزئه (تفسير عطاء) ص ١١٩.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٣٩/٢٣.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٤٠/٢٣.

(٤) صحيح البخاري (٦٩٢٩): ص ١٦/٩، وتفسير الطبري: ٢٤٠/٢٣.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٤٠/٢٣.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٤٠/٢٣.

(٧) التفسير الميسر: ٥٤٣.

(٨) تفسير مجاهد: ٦٥٠.

(٩) تفسير الطبري: ٢٤٠/٢٣.

(١٠) تفسير السمعاني: ٣٨٧/٥.

(١١) معاني القرآن: ١٤١/٣.

(١٢) تفسير ابن كثير: ٤٣/٨-٤٤.

قوله تعالى: {حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا فَيَبْسُ الْمَصِيرُ} [المجادلة : ٨]، أي: "تكفيهم جهنم يدخلونها، ويقاسون حرها، فبئس المرجع هي"^(١).
 قال الطبري: "يقول الله: حسب قاتلي ذلك يا محمد جهنم، وكفاهم بها يصلونها يوم القيامة، فبئس المصير جهنم"^(٢).
 قال السمعاني: "أي: كافيهم عذاب جهنم، يدخلونها، {وبئس} المنقلب والمرجع"^(٣).
 قال ابن كثير: "أي: جهنم كفايتهم في الدار الآخرة {يصلونها فبئس المصير}"^(٤).

القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٩)} [المجادلة : ٩]
 التفسير:

يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، إذا تحدثتم فيما بينكم سرًا، فلا تحدثوا بما فيه إثم من القول، أو بما هو عدوان على غيركم، أو مخالفة لأمر الرسول، وتحدثوا بما فيه خير وطاعة وإحسان، وخافوا الله بامتنالكم وأمره واجتنابكم نواهيه، فإليه وحده مرجعكم بجميع أعمالكم وأقوالكم التي أحصاها عليكم، وسيجازيكم بها.
 قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} [المجادلة : ٩]، أي: "يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه"^(٥).

قال عطاء: " {آمَنُوا} يريد: الذين آمنوا بزعمهم"^(٦).
 عن خزيمة قال: "ما تقرأون في القرآن: {يا أيها الذين آمنوا}، فإنه في التوراة: «يا أيها المساكين»"^(٧).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله"^(٨).
 قال الزمخشري: "خطاب للمنافقين الذين آمنوا بألسنتهم. ويجوز أن يكون للمؤمنين، أي: إذا تناجيتهم فلا تتشبهوا بأولئك في تناجيتهم بالشر"^(٩).
 قال السمعاني: "إذا حملنا الآية على المنافقين فقوله: {يا أيها الذين آمنوا} أي: آمنوا بألسنتهم، والأصح أن الخطاب للمؤمنين، أمرهم الله تعالى ألا يكونوا كالمنافقين وكاليهود"^(١٠).
 قال ابن كثير: "ثم قال الله مؤدبًا عباده المؤمنين ألا يكونوا مثل الكفرة والمنافقين: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ}"^(١١).
 قال الشوكاني: "لما فرغ سبحانه عن نهي اليهود والمنافقين عن النجوى أرشد المؤمنين إذا تناجوا فيما بينهم أن لا يتناجوا بما فيه إثم وعدوان ومعصية لرسول الله كما يفعله اليهود والمنافقون، قيل: الخطاب للمنافقين، والمعنى: يا أيها الذين آمنوا بموسى، والأول أولى"^(١٢).

(١) التفسير الميسر: ٥٤٣.

(٢) تفسير الطبري: ٢٤٠/٢٣-٢٤١.

(٣) تفسير السمعاني: ٣٨٧/٥.

(٤) تفسير ابن كثير: ٤٤/٨.

(٥) التفسير الميسر: ٥٤٣.

(٦) تفسير البغوي ٥٦ / ٨.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٨٨٤): ص ١٦٦٩/٥.

(٨) تفسير الطبري: ٢٤١/٢٣.

(٩) الكشاف: ٤٩١/٤.

(١٠) تفسير السمعاني: ٣٨٧/٥.

(١١) تفسير ابن كثير: ٤٤/٨.

(١٢) فتح القدير: ٢٢٤/٥.

قوله تعالى: {إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ} [المجادلة : ٩]، أي: "إذا تحدثتم فيما بينكم سرًّا، فلا تتحدثوا بما فيه إثم من القول، أو بما هو عدوان على غيركم، أو مخالفة لأمر الرسول"^(١).

قال الطبري: يقول: " {إِذَا تَنَاجَيْتُمْ} بينكم، {فَلَا تَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ}"^(٢).

قال ابن كثير: "أي: كما يتناجى به الجهلة من كفره أهل الكتاب ومن مالأهم على ضلالهم من المنافقين"^(٣).

قوله تعالى: {وَتَنَاجَوْا بِالْبُرِّ وَالتَّقْوَى} [المجادلة : ٩]، أي: "وتحدثوا بما فيه خير وطاعة وإحسان"^(٤).

قال الطبري: يقول: "ولكن {وَتَنَاجَوْا} بطاعة الله، وما يقربكم منه، وباتقائه بأداء ما كلفكم من فرائضه واجتناب معاصيه"^(٥).

قال سهل: "بذكر الله وقراءة القرآن والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"^(٦).

قال الزجاج: "أي: إذا تخاليتم للسر، فلا تخالوا إلا بالبر والتقوى، ولا تكونوا كاليهود والمنافقين"^(٧).

قوله تعالى: {وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} [المجادلة : ٩]، أي: "وخافوا الله بامتنالك أوامره واجتنابكم نواهيه، فإليه وحده مرجعكم بجميع أعمالكم وأقوالكم التي أحصاها عليكم، وسيجازيكم بها"^(٨).

قال الطبري: "يقول: وخافوا الله الذي إليه مصيركم، وعنده مجتمعكم في تضييع فرائضه، والتقدم على معاصيه أن يعاقبكم عليه عند مصيركم إليه"^(٩).

قال ابن كثير: "أي: فيخبركم بجميع أعمالكم وأقوالكم التي أحصاها عليكم، وسيجزىكم بها"^(١٠).

عن صفوان بن محرز قال: "كنت أخذًا بيد ابن عمر، إذ عرض له رجل فقال: كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى يوم القيامة؟ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستتره من الناس، ويقرره بذنوبه، ويقول له: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أن قد هلك، قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم. ثم يُعطي كتاب حسناته، وأما الكفار والمنافقون فيقول الأشهاد: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم، ألا لعنة الله على الظالمين"^(١١).

القرآن

{إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٠)} [المجادلة : ١٠]

التفسير:

- (١) التفسير الميسر: ٥٤٣.
- (٢) تفسير الطبري: ٢٤١/٢٣.
- (٣) تفسير ابن كثير: ٤٤/٨.
- (٤) التفسير الميسر: ٥٤٣.
- (٥) تفسير الطبري: ٢٤١/٢٣.
- (٦) تفسير التستري: ١٦٤.
- (٧) معاني القرآن: ١٣٨/٥.
- (٨) التفسير الميسر: ٥٤٣.
- (٩) تفسير الطبري: ٢٤١/٢٣.
- (١٠) تفسير ابن كثير: ٤٤/٨.
- (١١) المسند (٧٤/٢) وصحيح البخاري برقم (٤٦٨٥) وصحيح مسلم برقم (١٧٦٨).

إنما التحدث خفية بالإثم والعدوان من وسوسة الشيطان، فهو المزيّن لها، والحامل عليها؛ ليُدخل الحزن على قلوب المؤمنين، وليس ذلك بمؤذي المؤمنين شيئاً إلا بمشيئة الله تعالى وإرادته. وعلى الله وحده فليعتمد المؤمنون به.

في سبب نزول الآية، قولان:

أحدهما: قال قتادة: "كان المنافقون يتناجون بينهم، وكان ذلك يغيظ المؤمنين، ويكبر عليهم، فأنزل الله في ذلك القرآن: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئاً﴾، ... الآية"^(١).

قال معمر: "كان المسلمون إذا رأوا المنافقين خلوا يتناجون، يشقّ عليهم، فنزلت: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾"^(٢).

وقال الكلبي: "أن المنافقين كانوا إذا غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم أو بعث سرية يتغامزون بالرجل إذا رأوه، وعلموا أن له حميماً في الغزو، فيتناجون وينظرون إليه، فيقول الرجل: ما هذا إلا شيء قد بلغهم من حميمي، فلا يزال من ذلك في غم وحزن، حتى يقدم حميمه؛ فأنزل الله هذه الآية"^(٣).

الثاني: قال ابن زيد: "كان الرجل يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله الحاجة، ليرى الناس أنه قد ناجى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: وكان النبي صلى الله عليه وسلم لا يمنع ذلك من أحد. قال: والأرض يومئذ حرب على أهل هذا البلد، وكان إبليس يأتي القوم فيقول لهم: إنما يتناجون في أمور قد حضرت، وجموع قد جمعت لكم وأشياء، فقال الله: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ... إلى آخر الآية"^(٤).

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [المجادلة: ١٠]، أي: "إنما التحدث خفية بالإثم والعدوان من وسوسة الشيطان، فهو المزيّن لها، والحامل عليها؛ ليُدخل الحزن على قلوب المؤمنين"^(٥).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: إنما المناجاة من الشيطان"^(٦).

قال الزجاج: "أي: النجوى بالإثم والعدوان من الشيطان"^(٧).

قال البغوي: "أي: من تزيين الشيطان، إنما يزين لهم ذلك ليحزن المؤمنين"^(٨).

وقال السمعاني: "يعني: أن النجوى بينهم هي من الشيطان. ليحزنوا بما يسمعون من الإرجاف بالسرية"^(٩).

قال ابن كثير: "أي: إنما النجوى - وهي المُسَارَّة - حيث يتوهم مؤمن بها سوءاً ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعني: إنما يصدر هذا من المتناجين عن تسويل الشيطان وتزيينه، ﴿لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، أي: ليسوءهم"^(١٠).

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [المجادلة: ١٠]، ثلاثة وجوه من التفسير:

أحدها: ما كان يتناجى به المنافقون بعضهم بعضاً، وكان ذلك يغيظ المؤمنين، ويكبر عليهم. قاله قتادة^(١١)، ومعمر^(١).

(١) أخرجه الطبري: ٢٤١/٢٣.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٤٢/٢٣.

(٣) حكاه عنه ابن أبي زمنين في "التفسير": ٣٦٠/٤.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٤٢/٢٣.

(٥) التفسير الميسر: ٥٤٣.

(٦) تفسير الطبري: ٢٤١/٢٣.

(٧) معاني القرآن: ١٣٨/٥.

(٨) تفسير البغوي: ٤٤/٥.

(٩) تفسير السمعاني: ٣٨٧/٥.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٤٤/٨.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٢٤١/٢٣.

الثاني : أنها الأحلام التي يراها الإنسان في منامه فتحزنه. وهذا قول عطية^(٢).
الثالث: ما كان يتناجى به اليهود والمنافقون من الأراجيف بالمسلمين. حكاها الماوردي^(٣).
عن يحيى بن داود البلخي، قال: "سئل عطية -وأنا أسمع- الرؤيا، فقال: الرؤيا على ثلاث منازل، فمنها وسوسة الشيطان، فذلك قوله: {إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ}، ومنها ما يحدث نفسه بالنهار فيراه بالليل، ومنها كالأخذ باليد"^(٤).

قال الطبري: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عُني به مناجاة المنافقين بعضهم بعضاً بالإثم والعدوان، وذلك أن الله جلّ ثناؤه تقدم بالنهي عنها بقوله: {إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ}، ثم عما في ذلك من المكروه على أهل الإيمان، وعن سبب نهيه إياهم عنه، فقال: {إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا}، فبيّن بذلك، إذ كان النهي عن رؤية المرء في منامه كان كذلك، وكان عقيب نهيه عن النجوى بصفة أنه من صفة ما نهى عنه"^(٥).

قال سهل: "النجوى: إلقاء من العدو إلى نفس الطبع، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «للملك لمة وللشيطان لمة»"^(٦)^(٧).

عن ابن عمر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا كانوا ثلاثة، فلا يتناجى اثنان دون الثالث»"^(٨).

وفي رواية: "«إذا كنتم ثلاثة، فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما، فإن ذلك يحزنه»"^(٩).
قوله تعالى: {وَلَيْسَ بَضَارُهُمْ شَيْئًا إِنَّا بِلِذْنِ اللَّهِ} [المجادلة: ١٠]، أي: "وليس ذلك بمؤذي المؤمنين شيئاً إلا بمشيئة الله تعالى وإرادته"^(١٠).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: وليس التناجى بضرار المؤمنين شيئاً إلا بإذن الله، يعني بقضاء الله وقدره"^(١١).

قال الزجاج: "أي: ليس يضر التناجى المؤمنين شيئاً، ويجوز أن يكون وليس بضرارهم الشيطان شيئاً، وقوله: {إلا بإذن الله}، أي: لا يضرهم شيء إلا ما أراد الله"^(١٢).
قال البغوي: "وليس التناجى بضرارهم شيئاً، وقيل: ليس الشيطان بضرارهم شيئاً، إلا بإذن الله"^(١٣).

قال ابن كثير: أي: "وليس ذلك بضرارهم شيئاً إلا بإذن الله، ومن أحسن من ذلك شيئاً فليستعد بالله وليتوكل على الله، فإنه لا يضره شيء بإذن الله"^(١٤).
وقال السمعاني: "يعني: أن الإرجاف لا يضر السرية، {إلا بإذن الله} أي: بعلم الله"^(١٥).

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢٤٢/٢٣.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٤٢/٢٣.

(٣) انظر: النكت والعيون: ٤٩١/٥.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٤٢/٢٣.

(٥) تفسير الطبري: ٢٤٢/٢٣-٢٤٣.

(٦) المعجم الكبير ١٠١/٩ ومسند البزار ٣٩٤/٥..

(٧) تفسير التستري: ١٦٤.

(٨) أخرجه البخاري(٦٢٨٨):ص٦٤/٨، ومسلم(٢١٨٣):ص١٧١٧/٤، وابن أبي شيبة ٥٨١/٨ وأحمد ٤٥/٢ و١٢١ و١٢٣ و١٢٦ و١٤١ و١٤٦ والحميدي ٦٤٦ وابن ماجه ٣٧٧٦ وابن حبان ٥٨٠. من طرق عن نافع به. وأخرجه ابن ماجه ٣٧٧٦ ومالك ٩٨٨/٢ وأحمد ٩/٢ والحميدي ٦٤٥ وابن حبان ٥٨٠ و٥٨١ و٥٨٢.

والبغوي في «شرح السنة» ٣٤٠٣ من طريق عبد الله بن دينار عن ابن عمر به.

(٩) صحيح مسلم((٩)):ص١٧١٨/٤، وأخرجه البغوي في "التفسير": ٤٤/٥.

(١٠) التفسير الميسر: ٥٤٣.

(١١) تفسير الطبري: ٢٤٣/٢٣.

(١٢) معاني القرآن: ١٣٨/٥.

(١٣) تفسير البغوي: ٤٤/٥.

(١٤) تفسير ابن كثير: ٤٤/٨.

(١٥) تفسير السمعاني: ٣٨٨/٥.

قال الزمخشري: "فإن قلت: كيف لا يضرهم الشيطان أو الحزن إلا بإذن الله؟ قلت: كانوا يوهمون المؤمنين في نجواهم وتغامزهم أن غزاتهم غلبوا وأن أقاربهم قتلوا، فقال: لا يضرهم الشيطان أو الحزن بذلك الموهوم إلا بإذن الله، أي: بمشيئته، وهو أن يقضى الموت على أقاربهم أو الغلبة على الغزاة"^(١).

عن سفيان: "وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله"، قال: بقضاء الله"^(٢). قوله تعالى: {وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} [المجادلة: ١٠]، أي: "وعلى الله وحده فليعتمد المؤمنون به"^(٣).

قال محمد بن إسحاق: "وعلى الله لا على الناس فليتوكل المؤمنون"^(٤). قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: وعلى الله فليتوكل في أمورهم أهل الإيمان به، ولا يحزنوا من تناجي المنافقين ومن يكيدهم بذلك، وأن تناجيهم غير ضارهم إذا حفظهم ربهم"^(٥).

قال الزجاج: "أي: يكون أمرهم إلى الله ويستعيذون به من الشيطان الرجيم"^(٦). قال الشوكاني: "أي: يكون أمرهم إليه، ويفوضونه في جميع شؤونهم، ويستعيذون بالله من الشيطان، ولا يبالون بما يزينه من النجوى"^(٧).

قال السمعاني: "أي: فليثق المؤمنون"^(٨).

فوائد الآيات: [٨-١٠]:

- ١- بيان مكر اليهود والمنافقين وكيدهم للمؤمنين في كل زمان ومكان.
- ٢- إذا حيا الكافر المؤمن ورد عليه المؤمن رد عليه بقوله وعليكم لما صح أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليه ناس من اليهود فقالوا السام عليك يا أبا القاسم فقال صلى الله عليه وسلم وعليكم. فقالت عائشة رضي الله عنها عليكم السام ولعنكم الله وغضب عليكم. فقال لها عليه الصلاة والسلام يا عائشة عليك بالرفق وإيالك والعنف والفحش فقالت ألا تسمعهم يقولون السام؟ فقال لها أو ما سمعت ما أقول: وعليكم. فأنزل الله هذه الآية رواه الشيخان.
- ٣- إذا سلم الذمي وكان سلامه بلفظ السلام عليكم لا بأس أن يرد عليه بلفظه.
- ٤- حرمة التناجي بغير البر والتقوى وقوله تعالى: {إِنَّمَا مَن أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيَّنَّ النَّاسَ} [النساء: ١١٤]، الآية من سورة النساء.
- ٥- لا يجوز أن يتناجى اثنان دون الثالث لما يوقع ذلك في نفس الثالث من حزن لا سيما إن كان ذلك في سفر أو في حرب وما إلى ذلك.
- ٦- وجوب التوكل على الله وترك الأوهام والوساوس فإنها من الشيطان.

القرآن

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١)

[المجادلة: ١١]

التفسير:

يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، إذا طلب منكم أن يوسع بعضكم لبعض المجالس فأوسعوا، يوسع الله عليكم في الدنيا والآخرة، وإذا طلب منكم -أيها المؤمنون- أن

(١) الكشاف: ٤٩١/٤.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٢٠): ص ١٩٤/١.

(٣) التفسير الميسر: ٥٤٣.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٧٣٢): ص ١٥٢٣/٥، و(١٠٣١٦): ص ١٨١٢/٦.

(٥) تفسير الطبري: ٢٤٣/٢٣.

(٦) معاني القرآن: ١٣٨/٥.

(٧) فتح القدير: ٢٢٤/٥.

(٨) تفسير السمعاني: ٣٨٨/٥.

تقوموا من مجالسكم لأمر من الأمور التي يكون فيها خير لكم فقوموا، يرفع الله مكانة المؤمنين المخلصين منكم، ويرفع مكانة أهل العلم درجات كثيرة في الثواب ومراتب الرضوان، والله تعالى خبير بأعمالكم لا يخفى عليه شيء منها، وهو مجازيكم عليها.
سبب النزول:

قال قتادة: "نزلت هذه الآية في مجالس الذكر، وذلك أنهم كانوا إذا رأوا أحدهم مقبلاً ضنوا بمجالسهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرهم الله أن يفسح بعضهم لبعض" (١).
قال مقاتل بن حيان: "أنزلت هذه الآية يوم جمعة وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ في الصفة وفي المكان ضيق، وكان يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار، فجاء ناس من أهل بدر وقد سبقوا إلى المجلس، فقاموا حيال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، فرد النبي صلى الله عليه وسلم عليهم، ثم سلموا على القوم بعد ذلك فردوا عليهم. فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم. فعرف النبي صلى الله عليه وسلم ما يحملهم على القيام فلم يفسح لهم. فشق ذلك عليه فقال لمن حوله من المهاجرين والأنصار من غير أهل بدر: قم يا فلان وأنت يا فلان فلم يزل يقيمهم بعدة نفر الذين هم قيام من أهل بدر. فشق ذلك على من أقيم من مجلسه فنزلت هذه الآية" (٢).

وقال مقاتل بن سليمان: "وذلك أن النبي - صلى الله عليه وسلم - جلس في صفة ضيقة، ومعه أصحابه فجاء نفر من أهل بدر، منهم: ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري، فسلموا على النبي - صلى الله عليه وسلم -، فرد عليهم، ثم سلموا على القوم، فردوا عليهم، وجعلوا ينتظرون ليوسع لهم فلم يفعلوا، فشق قيامهم على النبي - صلى الله عليه وسلم - وكان يكرم أهل بدر وذلك يوم الجمعة، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قم يا فلان، وقم يا فلان. لمن لم يكن من أهل بدر، بعدد القيام من أهل بدر، فعرف النبي - صلى الله عليه وسلم - الكراهية في وجهه من أقيم منهم، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: رحم الله رجلاً تقسح لأخيه، فجعلوا يقومون لهم بعد ذلك، فقال المنافقون للمسلمين: أتزعمون أن صاحبكم يعدل بين الناس، فوالله، ما عدل على هؤلاء، إن قوما سبقوا فأخذوا مجلسهم وأحبوا قربه فأقامهم، وأجلس من أبطأ عن الخير، فوالله، إن أمر صاحبكم كله فيه اختلاف. فأنزل - الله تعالى -: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ} [المجادلة: ١١] (٣).

قال الزجاج: "قيل إن الآية نزلت بسبب عبد الله بن شماس وكان من أهل الصفة، وكان من يجلس في مجلس النبي - صلى الله عليه وسلم - من ذوي الغنى والشرف كأنهم لا يوسعون لمن هو دونهم، فأمر الله المؤمنين بالتواضع وأن يفسحوا في المجلس لمن أراد النبي - صلى الله عليه وسلم - ليتساوى الناس بالأخذ بالخط منه" (٤).

قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} [المجادلة: ١١]، أي: "يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله و عملوا بشره" (٥).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله" (٦).

قال الصابوني: "نداء من الله تعالى للمؤمنين بأكرم وصف وألف عبارة، أي: يا من صدقتم الله ورسوله وتحليتكم بالإيمان الذي هو زينة الإنسان" (٧).

قال ابن عباس: "ما أنزل الله آية في القرآن، يقول فيها: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}، إلا كان على شريفها وأميرها" (٨).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٨٤٥) ص: ٣٣٤٣/١٠.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٨٤٥) ص: ٣٣٤٣-٣٣٤٤. وانظر: الدر المنثور: ٨٢/٨.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٦١-٢٦٢.

(٤) معاني القرآن: ١٣٩/٥.

(٥) التفسير الميسر: ٥٤٣.

(٦) تفسير الطبري: ٢٤٣/٢٣.

(٧) صفوة التفسير: ٢٣١/٣.

قوله تعالى: {إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا} [المجادلة : ١١]، أي: "إذا طلب منكم أن يوسع بعضكم لبعض المجالس فأوسعوا"^(٢).

قال الطبري: "يعني بقوله: تفسحوا: توسعوا، من قولهم مكان فسيح إذا كان واسعاً"^(٣).

عن ابن عمر، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه»^(٤).

عن جابر بن عبد الله، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لا يقيم أحدكم أخاه يوم الجمعة، ولكن ليقل: أفسحوا"^(٥).

عن أبي بكر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه، ثم يقعد فيه» أو قال: «إذا أقام الرجل الرجل من مجلسه فلا يجلس فيه، ولا يمسح الرجل يده بثوب من لا [ص: ١٢٨] يملك"^(٦).

وفي قوله تعالى: {إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ} [المجادلة : ١١]، وجوه من التفسير: أحدها: مجلس النبي -صلى الله عليه وسلم- خاصة، إذا جلس فيه قوم تشاحوا بأمكنتهم على من يدخل عليهم أن يوثروه بها أو يفسحوا له فيها، فأمروا بذلك قاله مجاهد^(٧)، والضحاك^(٨)، وقتادة^(٩)، وابن زيد^(١٠).

قال الضحاك: "كان هذا للنبي صلى الله عليه وسلم ومن حوله خاصة يقول: استوسعوا حتى يصيب كل رجل منكم مجلساً من النبي صلى الله عليه وسلم، وهي أيضاً مقاعد للقتال"^(١١).

قال ابن زيد: "هذا مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان الرجل يأتي فيقول: افسحوا لي رحمكم الله، فيضن كل أحد منهم بقربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمرهم الله بذلك، ورأى أنه خير لهم"^(١٢).

قال قتادة: "كان الناس يتنافسون في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم، ف قيل لهم: {إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا}"^(١٣).

قال قتادة: "كانوا إذا رأوا من جاءهم مقبلاً ضنوا بمجلسهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمرهم أن يفسح بعضهم لبعض"^(١٤).

الثاني: أنها في مجالس الذكر كلها، قاله قتادة-أيضاً-^(١٥).

قال قتادة: "نزلت هذه الآية في مجالس الذكر، وذلك أنهم كانوا إذا رأوا أحدهم مقبلاً ضنوا بمجالسهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمرهم الله أن يفسح بعضهم لبعض"^(١٦).

الرابع: أن ذلك في مجلس القتال، قاله ابن عباس^(١)، والحسن^(٢)، وأبو العالية^(٣)، ومحمد بن كعب القرظي^(٤)، ويزيد بن أبي حبيب^(٥).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٣٥): ص ١٩٦/١.

(٢) التفسير الميسر: ٥٤٣.

(٣) تفسير الطبري: ٢٤٣/٢٣.

(٤) صحيح البخاري برقم (٦٢٦٩) وصحيح مسلم برقم (٢١٧٧).

(٥) مسند الشافعي (٦٦٣): ص ١٨٧٩/٢.

(٦) المسند (٢٠٤٨٦): ص ١٢٧/٣٤.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٤٣/٢٣-٢٤٤.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٤٤/٢٣.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٤٤/٢٣.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٤٤/٢٣.

(١١) أخرجه الطبري: ٢٤٤/٢٣.

(١٢) أخرجه الطبري: ٢٤٤/٢٣.

(١٣) أخرجه الطبري: ٢٤٤/٢٣.

(١٤) أخرجه الطبري: ٢٤٤/٢٣.

(١٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨٨٤٥): ص ٣٣٤٣/١٠.

(١٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٨٤٥): ص ٣٣٤٣/١٠.

عن الحسن، {فَافْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ}، وقال: في القتال^(٦).
قال الحسن: "كانوا يجيئون، فيجلسون رُكُامًا؛ بعضهم خَلْفَ بعض، فأمرُوا أن يَتَفَسَّحُوا في المجلس، فأفسح بعضهم لبعض"^(٧).
قال أبو العالية والقرظي: "هذا في مجالس الحرب ومقاعد القتال، كان الرجل يأتي القوم في الصّف، فيقول: توسّعوا. فيأبُونَ عليه؛ لحرصهم على القتال، ورغبتهم في الشهادة"^(٨).
قال يزيد بن أبي حبيب: "أنزل ذلك على رسول الله في الحرب، في القتال ينشزوا للقتال ويفسحوا في المجلس أن يكمنوا للقتال؛ قال: وذلك من مكيدة الحرب"^(٩).
قال الطبري: "الصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أمر المؤمنين أن يَتَفَسَّحُوا في المجلس، ولم يخصص بذلك مجلس النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دون مجلس القتال، وكلا الموضوعين يقال له مجلس، فذلك على جميع المجالس من مجالس رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومجالس القتال"^(١٠).
وقرئ: «في المجلس»^(١١).
قوله تعالى: {يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ} [المجادلة : ١١]، أي: "يوسع الله عليكم في الدنيا والآخرة"^(١٢).

قال الطبري: "يقول: يوسع الله منازلكم في الجنة"^(١٣).
قال ابن كثير: "وذلك أن الجزاء من جنس العمل، كما جاء في الحديث الصحيح : "من بَنَى اللهُ مسجداً بنى اللهُ له بيتاً في الجنة"^(١٤). وفي الحديث الآخر : «ومن يَسَّرَ على مُعْسِرٍ يَسِّرَ اللهُ عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره اللهُ في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»^(١٥). ولهذا أشباه كثيرة ؛ ولهذا قال : {فَافْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ}^(١٦).
قوله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا} [المجادلة : ١١]، أي: "وإذا طلب منكم -أيها المؤمنون- أن تقوموا من مجالسكم لأمر من الأمور التي يكون فيها خير لكم فقوموا"^(١٧).
قال الطبري: يقول: "وإذا قيل لكم قوموا إلى قتال عدو، أو صلاة، أو عمل خير، أو تفرّقوا عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقوموا"^(١٨).
وفي قوله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا} [المجادلة : ١١]، وجوه من التفسير: أحدها : معناه: وإذا قيل لكم انهضوا إلى القتال فانهضوا ، قاله الحسن^(١).

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢٣/٢٤٤-٢٤٥.

(٢) انظر: النكت والعيون: ٤٩٢/٥.

(٣) تفسير الثعلبي ٩/٢٥٩، وتفسير البيهقي ٨/٥٨.

(٤) تفسير الثعلبي ٩/٢٥٩، وتفسير البيهقي ٨/٥٨.

(٥) انظر: تفسير القرآن من الجامع لابن وهب (٣٥٦): ص٢/١٦٨.

(٦) الدر المنثور: ٨/٨٢، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٧) الدر المنثور: ٨/٨٢، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٨) تفسير الثعلبي ٩/٢٥٩، وتفسير البيهقي ٨/٥٨.

(٩) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب (٣٥٦): ص٢/١٦٨.

(١٠) تفسير الطبري: ٢٣/٢٤٥.

(١١) انظر: السبعة في القراءات: ٦٢٩.

(١٢) التفسير الميسر: ٥٤٣.

(١٣) تفسير الطبري: ٢٣/٢٤٥.

(١٤) رواه البخاري في صحيحه برقم (٤٥٠) ومسلم في صحيحه برقم (٥٣٣) من حديث عثمان، رضي الله عنه.

(١٥) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

(١٦) تفسير ابن كثير: ٨/٤٥.

(١٧) التفسير الميسر: ٥٤٣.

(١٨) تفسير الطبري: ٢٣/٢٤٥.

قال الحسن: " هذا كله في الغزو" (٢).

الثاني : إذا دعيتم إلى الخير فأجيبوا ، قاله قتادة (٣).

الثاني : إذا نودي للصلاة فاسعوا إليها ، قاله الضحاك (٤)، ومقاتل بن حيان (٥).

قال الضحاك: " كان إذا نودي إلى للصلاة تتأقل رجال، فأمرهم الله إذا نودي للصلاة أن يرتفعوا إليها، يقوموا إليها" (٦).

الرابع : إذا دعيتم إلى الخير والصلاة. قاله ابن عباس (٧).

قال ابن عباس: " إذا قيل: انشزوا فانشزوا إلى الخير والصلاة" (٨).

الخامس : إذا دعيتم إلى كل خير، قتال عدو، أو أمر بالمعروف، أو حق ما كان. وهذا قول مجاهد (٩).

السادس : أنهم كانوا إذا جلسوا في بيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أطالوا ليكون كل واحد منهم هو الآخر عهداً به ، فأمرهم الله أن ينشزوا إذا قيل لهم انشزوا ، قاله ابن زيد (١٠).

قال ابن زيد: " انشزوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: هذا في بيته إذا قيل انشزوا، فارتفعوا عن النبي صلى الله عليه وسلم، فإن له حوائج، فأحب كل رجل منهم أن يكون آخر عهده برسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: {وَإِذَا قِيلَ انشزُوا فَانشزُوا} (١١)، قوله تعالى: {يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ} [المجادلة : ١١]، أي: " يرفع الله مكانة المؤمنين المخلصين منكم، ويرفع مكانة أهل العلم درجات كثيرة في الثواب ومراتب الرضوان" (١٢).

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: يرفع الله المؤمنين منكم أيها القوم بطاعتهم ربهم، فيما أمرهم به من التفسح في المجلس إذا قيل لهم تفسحوا، أو بنشوزهم إلى الخيرات إذا قيل لهم انشزوا إليها، ويرفع الله الذين أوتوا العلم من أهل الإيمان على المؤمنين، الذين لم يؤتوا العلم بفضل علمهم درجات، إذا عملوا بما أمروا به" (١٣).

قال ابن كثير: " أي : لا تعتقدوا أنه إذا فسح أحد منكم لأخيه إذا أقبل، أو إذا أمر بالخروج فخرج، أن يكون ذلك نقصاً في حقه، بل هو رفعة ومزية عند الله، والله تعالى لا يضيع ذلك له، بل يجزيه بها في الدنيا والآخرة، فإن من تواضع لأمر الله رفع الله قدره، ونشز ذكره" (١٤).

قال الزجاج: " والدليل على فضل أهل العلم ما روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «عبادة العالم يوماً واحداً تعدل عبادة العابد الجاهل أربعين سنة»" (١٥).

(١) أخرجه الطبري: ٢٤٥/٢٣-٢٤٦.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٤٥/٢٣-٢٤٦.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٤٥/٢٣-٢٤٦.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٤٦/٢٣.

(٥) انظر: النكت والعيون: ٤٩٢/٥.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٤٦/٢٣.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٤٥/٢٣.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٤٥/٢٣.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٤٥/٢٣.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٤٦/٢٣.

(١١) أخرجه الطبري: ٢٤٦/٢٣.

(١٢) التفسير الميسر: ٥٤٣.

(١٣) تفسير طبري: ٢٤٦/٢٣.

(١٤) تفسير ابن كثير: ٤٨/٨.

(١٥) معاني القرآن: ١٣٩/٥. وذكره تاج القراء في "غرائب التفسير وعجائب التأويل": ١١٩٤/٢، والنسفي في "التفسير": ٤٤٩/٣.

قال ابن زيد، في قوله: "يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ" في دينهم إذا فعلوا ما أمروا به"^(١).

وعن ابن مسعود: "أيها الناس افهموا هذه الآية، لترغبكم في العلم"^(٢).
قال قتادة: "إن بالعلم لأهله فضلا وإن له على أهله حقا، ولعمري للحق عليك أيها العالم فضل، والله معطي كل ذي فضل فضله"^(٣).

قال مطرف بن عبد الله بن الشَّخِير: "فضل العلم أحب إلي من فضل العبادة، وخير دينكم الورع"^(٤).

وكان عبد الله بن مطرف يقول: "إنك لتلقى الرجلين أحدهما أكثر صوماً وصلاة وصدقة، والآخر أفضل منه بوناً بعيداً، قيل له: وكيف ذلك؟ فقال: هو أشدهما ورعاً لله عن محارمه"^(٥).

عن عمران القصير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي"^(٦).

وعن النبي صلى الله عليه وسلم: «فضل العالم على العابد سبعين درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض»^(٧).

عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أخبركم عن الأجود الأجود؟ الله الأجود الأجود. وأنا أجود ولد آدم. وأجودهم من بعدي رجل علم فأنشر علمه يبعث يوم القيامة أمة وحده. ورجل جاد بنفسه في سبيل الله عز وجل حتى يقتل»^(٨).

عن ابن عباس قال: "معلم الخير يستغفر له كل شيء، حتى الحوت في البحر"^(٩).
وعن ابن عباس: خير سليمان بين العلم والمال والملك، فاختار العلم فأعطى المال والملك معه"^(١٠).

وعن بعض الحكماء: "ليت شعري أي شيء أدرك من فاتته العلم، وأي شيء فات من أدرك العلم. وعن الأحنف: كاد العلماء يكونون أرباباً، وكل عز لم يوطد"^(١١) بعلم فألى ذل ما يصير"^(١٢).

وعن الزبير: "العلم ذكر، فلا يحبه إلا ذكورة الرجال"^(١٣).
قوله تعالى: {وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [المجادلة: ١١]، أي: "والله تعالى خبير بأعمالكم لا يخفى عليه شيء منها، وهو مجازيكم عليها"^(١٤).

-
- (١) أخرجه الطبري: ٢٤٧/٢٣.
 - (٢) نقلا عن: غرائب التفسير وعجائب التأويل، لتاج القراء: ١١٩٤/٢.
 - (٣) أخرجه الطبري: ٢٤٧/٢٣.
 - (٤) أخرجه الطبري: ٢٤٧/٢٣.
 - (٥) أخرجه الطبري: ٢٤٧/٢٣.
 - (٦) رواه ابن أبي زمنين في التفسير: ٣٦١/٤.
 - (٧) مسند أبي يعلى (٨٥٦): ص ١٦٣/٢. إسناده ضعيف.
 - (٨) المقصد الأسنى في زوائد أبي يعلى الموصلي (١٠٥): ص ١٧٥/١.
 - (٩) رواه ابن أبي زمنين في التفسير: ٣٦١/٤.
 - (١٠) نقلا عن: الكشاف: ٤٩٣/٤، وذكره صاحب الفردوس هكذا، وذكره قبله ابن عبد البر في "كتاب العلم"، بلا إسناد.
 - (١١) في الصحاح: وطدت الشيء، أي: أثبتته وثقلته.
 - (١٢) نقلا عن: الكشاف: ٤٩٣/٤.
 - (١٣) نقلا عن: الكشاف: ٤٩٣/٤. والزبير: هو أبو أحمد محمد بن عبد الله بن الزبير مولى لبنى أسد، وليس من ولد الزبير بن العوام، كذا في "الهداية والإرشاد".
 - (١٤) التفسير الميسر: ٥٤٣.

قال الطبري: يقول: "والله بأعمالكم أيها الناس ذو خبرة، لا يخفى عليه المطيع منكم ربه من العاصي، وهو مجاز جميعكم بعمله المحسن بإحسانه، والمسيء بالذي هو أهله، أو يعفو"^(١).
قال ابن كثير: "أي: خبير بمن يستحق ذلك وبمن لا يستحقه"^(٢).
عن قتادة: "خبيراً، قال: خبير بخلقه"^(٣).

عن عامر بن وائلة، أن نافع بن عبد الحارث، لقي عمر بعسفان، وكان عمر يستعمله على مكة، فقال: من استعملت على أهل الوادي، فقال: ابن أبزي، قال: ومن ابن أبزي؟ قال: مولى من مواليها، قال: فاستخلفت عليهم مولى؟ قال: إنه قارئ لكتاب الله عز وجل، وإنه عالم بالفرائض، قال عمر: أما إن نبيكم صلى الله عليه وسلم قد قال: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً، ويضع به آخرين»^(٤).

القرآن

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٢) [المجادلة : ١٢]
التفسير:

يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، إذا أردتم أن تكلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم سرّاً بينكم وبينه، فقدّموا قبل ذلك صدقة لأهل الحاجة، ذلك خير لكم لما فيه من الثواب، وأزكى لقلوبكم من المآثم، فإن لم تجدوا ما تتصدقون به فلا حرج عليكم؛ فإن الله غفور لعباده المؤمنين، رحيم بهم.
سبب النزول:

عن ابن عباس في قوله: {إِذَا تَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ}، الآية قال: "إن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شقوا عليه، فأراد الله أن يخفف عن نبيه صلى الله عليه وسلم، فلما قال ذلك امتنع كثير من الناس وكفوا عن المسألة فأنزل الله بعد هذا: {أَشْفَقْتُمْ}، الآية، فوسع الله عليهم ولم يضيق"^(٥).

قال مقاتل بن حيان: نزلت الآية في الأغنياء، وذلك أنهم كانوا يأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيكثرن مناجاته ويغلبون الفقراء على المجالس، حتى كره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك من طول جلوسهم ومناجاتهم، فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية، وأمر بالصدقة عند المناجاة، فأما أهل العسرة فلم يجدوا شيئاً، وأما أهل الميسرة فدخلوا، واشتد ذلك على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فنزلت الرخصة"^(٦).

قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} [المجادلة : ١٢]، أي: "يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه"^(٧).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله"^(٨).

قال ابن مسعود رضي الله عنه: "إذا سمعت الله يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}، فأرعاها سمعك] يعني: استمع لها؛ فإنه خير يأمر به، أو شر ينهى عنه"^(٩).

(١) تفسير الطبري: ٢٤٧/٢٣.

(٢) تفسير ابن كثير: ٤٨/٨.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٥٢٩٤): ص ٢٧١٣/٨.

(٤) صحيح مسلم (٨١٧): ص ٥٥٩/١.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٨٤٨): ص ٣٣٤٤/١٠.

(٦) أسباب النزول للواحي: ٤٣٢، مرسل.

(٧) التفسير الميسر: ٥٤٤.

(٨) تفسير الطبري: ٢٤٧/٢٣.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٣٧): ص ١٩٦/١.

قوله تعالى: {إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ} [المجادلة : ١٢]، أي: "إذا أردتم أن تكلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم سرّاً بينكم وبينه، فقدّموا قبل ذلك صدقة لأهل الحاجة"^(١).

قال الطبري: يقول: "إذا ناجيتم رسول الله، فقدّموا أمام نجواكم صدقة تتصدقون بها على أهل المسكنة والحاجة"^(٢).

قال الزجاج: "أي: إذا خاليتم الرسول بالسر فقدّموا قبل ذلك صدقة وافعلوا ذلك"^(٣).
قال ابن كثير: "يقول تعالى أمرا عباده المؤمنين إذا أراد أحدهم أن يناجي رسول الله صلى الله عليه وسلم، أي: يساره فيما بينه وبينه، أن يقدم بين يدي ذلك صدقة تطهره وتزكيه وتؤهله لأن يصلح لهذا المقام"^(٤).

قال مجاهد: "نهوا عن مناجاة النبي صلى الله عليه وسلم حتى يتصدقوا، فلم يناجه إلا علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-، قدم ديناراً فتصدق به، ثم أنزلت الرخصة في ذلك"^(٥).
قال علي -رضي الله عنه-: "إن في كتاب الله عزّ وجلّ آية ما عمل بها أحد قبلي، ولا يعمل بها أحد بعدي: {يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ}، قال: فُرِضَتْ، ثم نُسِخَتْ"^(٦).

عن قتادة: " {إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ}، قال: إنها منسوخة ما كانت إلا ساعة من نهار"^(٧).

قال قتادة: "سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحفوه بالمسألة، فوعظهم الله بهذه الآية، وكان الرجل تكون له الحاجة إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم، فلا يستطيع أن يقضيها، حتى يقدم بين يديه صدقة، فاشتد ذلك عليهم، فأنزل الله عزّ وجلّ الرخصة بعد ذلك {فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}"^(٨).

عن ابن عباس، قوله: " {يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ} ... إلى {فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}، قال: كان المسلمون يقدمون بين يدي النجوى صدقة، فلما نزلت الزكاة نسخت هذا"^(٩).

قال ابن عباس: "وذلك أن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى شقوا عليه، فأراد الله أن يخفف عن نبيه؛ فلما قال ذلك صبر كثير من الناس، وكفوا عن المسألة، فأنزل الله بعد هذا: {فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ}، فوسع الله عليهم، ولم يضيق"^(١٠).

قال ابن زيد: "لئلا يناجي أهل الباطل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيشقق ذلك على أهل الحق، قالوا: يا رسول الله ما نستطيع ذلك ولا نطيعه، فقال الله عزّ وجلّ: {أَلَسْتُمْ أَنْ تَقْدَمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ}، وقال: {لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ}، من جاء يناجيك في هذا فاقبل مناجاته، ومن جاء يناجيك في غير هذا فاقطع أنت ذلك عنه لا تناجه. قال: وكان المنافقون ربما ناجوا فيما لا حاجة لهم فيه، فقال الله عزّ وجلّ: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ

(١) التفسير الميسر: ٥٤٤.

(٢) تفسير الطبري: ٢٤٧/٢٣.

(٣) معاني القرآن: ١٣٩/٥.

(٤) تفسير ابن كثير: ٤٩/٨.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٤٨/٢٣.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٤٨/٢٣.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٤٩/٢٣.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٤٩-٢٤٨/٢٣.

(٩) أخرجه الطبري: ٢٤٩/٢٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٢٤٩/٢٣.

النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ} قال: لأن الخبيث يدخل في ذلك" (١).

عن عكرمة والحسن البصري قالاً: "قال في المجادلة: {إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدْتُمَا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} ، فنسختها الآية التي بعدها، فقال: {أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} (٢).

قوله تعالى: {ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ} [المجادلة : ١٢]، أي: "ذلك خير لكم لما فيه من الثواب، وأزكى لقلوبكم من المآثم" (٣).

قال الطبري: " يقول: وتقديمكم الصدقة أمام نجواكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، خير لكم عند الله {وأطهر} لقلوبكم من المآثم" (٤).

قال ابن العربي: "في الآية دليل على أن الأحكام لا تترب بحسب المصالح فإن الله تعالى قال {ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ} ثم نسخ ذلك مع كونه خيراً وأطهر. ولكن قد يقال إن ما قد نسخ من أجله قد يكون أكثر منفعة للمسلمين في دينهم ودنياهم. وإن كان خافياً عن المسلمين لا يعلمونه" (٥).

قوله تعالى: {فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [المجادلة : ١٢]، أي: "فإن لم تجدوا ما تتصدقون به فلا حرج عليكم؛ فإن الله غفور لعباده المؤمنين، رحيم بهم" (٦).

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: فإن لم تجدوا ما تتصدقون به أمام مناجاتكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن الله ذو عفو عن ذنوبكم إذا تبتم منها، رحيم بكم أن يعاقبكم عليها بعد التوبة، وغير مؤاخذكم بمناجاتكم رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن تقدموا بين يدي نجواكم إياه صدقة" (٧).

قال ابن كثير: " {فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا}، أي : إلا من عجز عن ذلك لفقده {فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} فما أمر بها إلا من قدر عليها" (٨).

القرآن

{أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٣)} [المجادلة : ١٣]

التفسير:

أخشيتم الفقر إذا قدمتم صدقة قبل مناجاتكم رسول الله؟ فإذا لم تفعلوا ما أمرتم به، وتاب الله عليكم، ورخص لكم في ألا تفعلوه، فاثبتوا وداوموا على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله في كل ما أمرتم به، والله سبحانه خبير بأعمالكم، ومجازيكم عليها. سبب النزول:

قال علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-: "إن في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد ولا يعمل بها أحد بعدي، آية النجوى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدْتُمَا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ} [المجادلة: ١٢] صدقة الآية. قال: كان عندي دينار فبعته بعشرة دراهم فناجيت النبي صلى الله عليه وسلم، فكنت كلما ناجيت النبي صلى الله عليه وسلم قدمت بين يدي نجواي درهما، ثم

(١) أخرجه الطبري: ٢٤٩/٢٣-٢٥٠.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٥٠/٢٣.

(٣) التفسير الميسر: ٥٤٤.

(٤) تفسير الطبري: ٢٤٧/٢٣.

(٥) انظر: أحكام القرآن: ٢٠٣/٤. [بتصرف]

(٦) التفسير الميسر: ٥٤٤.

(٧) تفسير الطبري: ٢٥٠/٢٣.

(٨) تفسير ابن كثير: ٤٩/٨.

نسخت فلم يعمل بها أحد فنزلت: {أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ} [المجادلة: ١٣] الآية^(١).

وعن مصعب بن سعد، عن سعد رضي الله عنه قال: "نزلت في ثلاث آيات من كتاب الله عز وجل: نزل تحريم الخمر، نادمت رجلا فعارضته وعارضني، فعربدت عليه فشججته، فأنزل الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ} [المائدة: ٩٠] إلى قوله: {فَهَلْ أُنْتُمْ مُنْتَهُونَ} [المائدة: ٩١] ، ونزلت في: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّ كُرْهًا} [الأحقاف: ١٥] إلى آخر الآية، ونزلت: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ} [المجادلة: ١٢] فقدمت شعيرة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنك لزهيد». فنزلت الأخرى: {أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ} [المجادلة: ١٣] الآية كلها^(٢).

قوله تعالى: {أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ} [المجادلة: ١٣]، أي: "أخشيتم الفقر إذا قدّمتم صدقة قبل مناجاتكم رسول الله؟"^(٣).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: أشقّ عليكم وخشيتم أيها المؤمنون بأن تقدموا بين يدي نجواكم رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقات الفاقة، وأصل الإشفاق في كلام العرب: الخوف والحذر، ومعناه في هذا الموضع: أخشيتم بتقديم الصدقة الفاقة والفقر"^(٤).

قال الثعلبي: "أبخلتم وخفتم بالصدقة الفاقة {أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ}"^(٥).

قال السمعاني: "معناه: أشفقتم على أموالكم وبخلتم بها؟"^(٦).

قال ابن كثير: "أي: أخفتم من استمرار هذا الحكم عليكم من وجوب الصدقة قبل مناجاة الرسول"^(٧).

قال مقاتل: "يعني: أهل الميسرة"^(٨).

عن ابن عباس: "{أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا} أَبْخَلْتُمْ؟"^(٩).

عن مجاهد: "{أَشْفَقْتُمْ}، قال: شقّ عليكم تقديم الصدقة، فقد وُضِعَتْ عنكم، وأمروا بمناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير صدقة حين شقّ عليهم ذلك"^(١٠).

عن قتادة: "{أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ} فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ} فريضتان واجبتان لا رجعة لأحد فيهما، فنسخت هذه الآية ما كان قبلها من أمر الصدقة في النجوى"^(١١).

قال ابن جريج: "نهوا عن مناجاة النبي- صلى الله عليه وسلم- حتى يتصدقوا، فلم يناجيه أحد إلا علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- فقدّم دينارا تصدّق به ثم أنزلت الرخصة فقال: {أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ} يقول: أشقّ عليكم تقديم الصدقة، قال: فوضعت عنهم وأمروا بمناجاة رسول الله- صلى الله عليه وسلم- بغير صدقة حين شقّ ذلك عليهم"^(١٢).

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (٣٧٩٤): ص ٥٢٤/٢، وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي. وزاد السيوطي نسبه في الدر (١٨٤ / ٦) لسعيد بن منصور وإسحاق بن راهويه وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٢) المعجم الكبير للطبراني (٣٣١): ص ١٤٧/١.

(٣) التفسير الميسر: ٥٤٤.

(٤) تفسير الطبري: ٢٥١/٢٣.

(٥) الكشف والبيان: ٢٦٢/٩.

(٦) تفسير السمعاني: ٣٩٠/٥.

(٧) تفسير ابن كثير: ٤٩/٨.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٦٣/٤.

(٩) تفسير البغوي ٦١ / ٨.

(١٠) أخرجه الطبري: ٢٥١/٢٣.

(١١) أخرجه الطبري: ٢٥١/٢٣.

(١٢) رواه القاسم بن سلام في ناسخه (٤٧٢): ص ٢٥٩/١.

قوله تعالى: {فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ} [المجادلة : ١٣]، أي: " فإذا لم تفعلوا ما أمرتم به وشقَّ ذلك عليكم، وعفا الله عنكم بأن رخص لكم مناجاته من غير تقديم صدقة" (١).

قال الطبري: يقول: " فإذا لم تقدموا بين يدي نجاكم صدقات، ورزقكم الله التوبة من ترككم ذلك" (٢).

قال الثعلبي: " فتجاوز عنكم ولم يعاقبكم بترك الصدقة، وقيل: الواو صلة. مجازه «وإذا لم تفعلوا تاب الله عليكم»: تجاوز عنكم وخفف ونسخ الصدقة" (٣).

قال ابن كثير: " فنسخ وجوب ذلك عنهم، وقد قيل : إنه لم يعمل بهذه الآية قبل نسخها سوى علي بن أبي طالب، رضي الله عنه" (٤).

قوله تعالى: {فَأَقِمْوَا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ} [المجادلة : ١٣]، أي: " فاكثفوا بالمحافظة على الصلاة ودفع الزكاة المفروضة" (٥).

قال الزهري: " إقامتها: أن يصلي الصلوات الخمس لوقتها" (٦).

وعن عكرمة: {وَأْتُوا الزَّكَاةَ}، قال: " زكاة المال من كل مائتي درهم خمسة دراهم" (٧).

وعن الحسن في قوله: {وَأْتُوا الزَّكَاةَ}، قال: " فريضة واجبة، لا تنفع الأعمال إلا بها مع الصلاة" (٨). وروي عن قتادة نحو ذلك (٩).

قال الطبري: يقول " فأتوا فرائض الله التي أوجبها عليكم، ولم يضعها عنكم من الصلاة والزكاة" (١٠).

قال مقاتل: " فأقيموا الصلاة لمواقيتها وآتوا الزكاة لحينها.. فنسخت الزكاة الصدقة التي كانت عند المناجاة" (١١).

قال السمعاني: " نسخ ذلك الأمر بهذه الآية، كأنه قال: فإذا لم تفعلوا ونسخناه منكم {فَأَقِمْوَا الصَّلَاةَ} أي: حافظوا عليها {وَأْتُوا الزَّكَاةَ} أي: أدوها" (١٢).

قال مقاتل بن حيان: " إنما كان ذلك عشر ليال ثم نسخ" (١٣).

وقال الكلبي: " ما كانت إلا ساعة من النهار" (١٤).

قوله تعالى: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ} [المجادلة : ١٣]، أي: " أطيعوا أمر الله وأمر رسوله في جميع أحوالكم" (١٥).

قال الطبري: يقول: " وأطيعوا الله ورسوله، فيما أمركم به، وفيما نهاكم عنه" (١٦).

قال السمعاني: أي: " فيما يأمران من الأمر" (١٧).

(١) صفوة التفاسير: ٣٢٣/٣.

(٢) تفسير الطبري: ٢٥١/٢٣.

(٣) الكشف والبيان: ٢٦٢/٩.

(٤) تفسير ابن كثير: ٤٩/٨.

(٥) صفوة التفاسير: ٣٢٣/٣.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٦٢٢): س١٠٠٤/٣.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٦٢٦): س١٠٠٤/٣.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٦٢٧): س١٠٠٥/٣.

(٩) نظر: تفسير ابن أبي حاتم (٥٦٢٧): س١٠٠٥/٣.

(١٠) تفسير الطبري: ٢٥١/٢٣.

(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٦٣/٤.

(١٢) تفسير السمعاني: ٣٩٠/٥.

(١٣) نقلا عن: الكشف والبيان (تفسير الثعلبي): ٢٦٢/٩.

(١٤) نقلا عن: الكشف والبيان (تفسير الثعلبي): ٢٦٢/٩.

(١٥) صفوة التفاسير: ٣٢٣/٣.

(١٦) تفسير الطبري: ٢٥١/٢٣.

(١٧) تفسير السمعاني: ٣٩١/٥.

قال الزجاج: "أي: أطيعوه في كل أمر، ودخل في ذلك التفسيح في المجلس لتقارب الناس في الدنو من النبي عليه السلام"^(١).

قال عطاء: "طاعة الرسول اتباع الكتاب والسنة"^(٢).

قوله تعالى: {وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [المجادلة : ١٣]، أي: "والله سبحانه خبير بأعمالكم، ومجازيكم عليها"^(٣).

قال الطبري: "يقول جلّ ثناؤه: والله ذو خبرة وعلم بأعمالكم، وهو محصيا عليكم ليجازيكم بها"^(٤).

قال السمعاني: "أي: عليم بأعمالكم"^(٥).

عن قتادة: "خبيراً"، قال: خبير بخلقهم"^(٦).

فوائد الآيات: [١١-١٣]:

١- الندب إلى فضيلة التوسع في مجالس العلم والتذكير.

وقد اختلف الفقهاء في جواز القيام للوارد إذا جاء على أقوال :

- فمنهم من رخص في ذلك محتجاً بحديث : «قوموا إلى سيدكم»^(٧).

- ومنهم من منع من ذلك محتجاً بحديث : «من أحبَّ أن يَتمثلَ له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار»^(٨).

- ومنهم من فصل، فقال : يجوز عند القدوم من سفر، وللحاكم في محل ولايته، كما دل عليه قصة سعد بن معاذ، فإنه لما استقدمه النبي صلى الله عليه وسلم حاكماً في بني قريظة فرآه مقبلاً قال للمسلمين : «قوموا إلى سيدكم». وما ذاك إلا ليكون أنفذ لحكمه، والله أعلم. فأما اتخاذه ديدناً فإنه من شعار العجم. وقد جاء في السنن أنه لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان إذا جاء لا يقومون له، لما يعلمون من كراهته لذلك.

وفي الحديث المروي في السنن : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجلس حيث انتهى به المجلس، ولكن حيث يجلس يكون صدر ذلك المجلس، وكان الصحابة، رضي الله عنهم، يجلسون منه على مراتبهم، فالصديق يجلسه عن يمينه، وعمر عن يساره، وبين يديه غالباً عثمان وعلي ؛ لأنهما كانا ممن يكتب الوحي، وكان يأمرهما بذلك، كما رواه مسلم من حديث الأعمش، عن عمارة بن عمير، عن أبي معمر، عن أبي مسعود، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : «ليليني منكم أولوا الأحلام والنهى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»^(٩). وما ذاك إلا ليعقلوا عنه ما يقوله، صلوات الله وسلامه عليه ؛ ولهذا أمر أولئك النفر بالقيام ليجلس الذين وردوا من أهل بدر، إما لتقصير أولئك في حق البدرين، أو ليأخذ البدريون من العلم بنصيبيهم، كما أخذ أولئك قبلهم، أو تعليماً بتقديم الأفاضل إلى الأمام.

(١) معاني القرآن: ١٤٠/٥.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٧٧١):ص١٦٥٤/٥.

(٣) التفسير الميسر: ٥٤٤.

(٤) تفسير الطبري: ٢٥١/٢٣.

(٥) تفسير السمعاني: ٣٩١/٥.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٥٢٩٤):ص٢٧١٣/٨.

(٧) رواه البخاري في صحيحه برقم (٣٠٤٣) ومسلم في صحيحه برقم (١٧٦٨) من حديث أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه.

(٨) رواه أبو داود في السنن برقم (٥٢٢٩) والترمذي في السنن برقم (٢٧٥٥) من حديث معاوية رضي الله عنه، وقال الترمذي : "إسناد حسن".

(٩) صحيح مسلم برقم (٤٣٢).

عن أبي مسعود قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح مناكبنا في الصلاة ويقول : "استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم، ليليني منكم أولو الأحلام والنهي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم"^(١). قال أبو مسعود فأنتم اليوم أشد اختلافاً.

قال ابن كثير: "وإذا كان هذا أمره لهم في الصلاة أن يليه العقلاء ثم العلماء، فبطريق الأولى أن يكون ذلك في غير الصلاة"^(٢).

عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "أقيموا الصفوف، وحاذوا بين المناكب، وسدوا الخلل، وليئوا بأيدي إخوانكم، ولا تدروا فرجات للشيطان، ومن وصل صفاً وصله الله، ومن قطع صفاً قطعه الله"^(٣).

ولهذا كان أبي بن كعب - سيد القراء - إذا انتهى إلى الصف الأول انتزع منه رجلاً يكون من أفناء الناس، ويدخل هو في الصف المقدم، ويحتج بهذا الحديث : «ليليني منكم أولو الأحلام والنهي».

وأما عبد الله بن عمر فكان لا يجلس في المكان الذي يقوم له صاحبه عنه، عملاً بمقتضى ما تقدم من روايته الحديث الذي أوردناه.

وفي الحديث الصحيح : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس، إذ أقبل ثلاثة نفر، فأما أحدهم فوجد فرجة في الحلقة فدخل فيها، وأما الآخر فجلس وراء الناس، وأدبر الثالث ذاهباً. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ألا أنبئكم بخبر الثلاثة، أما الأول فأوى إلى الله فأواه الله، وأما الثاني فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الثالث فأعرض فأعرض الله عنه"^(٤).
عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "لا يحل لرجل أن يفرق بين اثنين إلا بإذنهما"^(٥).

٢- الندب والترغيب في القيام بالمعروف وأداء الواجبات إذا دعي المؤمن إلى ذلك.

٣- فضيلة الإيمان وفضل العلم والعمل به.

٤- مشروعية النسخ في الشريعة قبل العمل بالمنسوخ وبعده إذ هذه الصدقة نسخت قبل أن يعمل بها اللهم إلا ما كان من علي ؑ رضي الله عنه فإنه أخبر أنه تصدق بدينار وناجى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نسخت هذه الصدقة فكان يقول في القرآن آية لم يعمل بها أحد غيري وهي فضيلة له رضي الله عنه.

٥- في إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله في الواجبات والمحرمات عوض عما يفوت المؤمن من النوافل.

القرآن

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤)} [المجادلة : ١٤]

التفسير:

ألم تر إلى المنافقين الذين اتخذوا اليهود أصدقاء ووالهم؟ والمنافقون في الحقيقة ليسوا من المسلمين ولا من اليهود، ويحلفون كذباً أنهم مسلمون، وأنت رسول الله، وهم يعلمون أنهم كاذبون فيما حلفوا عليه.

سبب نزول الآيات: [١٤-١٨]:

(١)المسند (١٢٢/٤) وصحيح مسلم برقم (٤٣٢) وسنن أبي داود برقم (٦٧٤) وسنن النسائي (٨٧/٢) وسنن ابن ماجة برقم (٩٧٦).

(٢) تفسير ابن كثير: ٤٧/٨.

(٣)سنن أبي داود برقم (٦٦٦).

(٤)رواه البخاري في صحيحه برقم (٦٦) ومسلم في صحيحه برقم (٢١٧٦).

(٥)المسند (٢١٣/٢) وسنن أبي داود برقم (٤٨٤٥) وسنن الترمذي برقم (٢٧٥٢).

عن السدي في قوله تعالى: {ألم ترَ إلى الذين تولّوا قوماً}، الآية قال: "بلغنا أنه نزلت في عبد الله بن نبئل وكان رجلاً من المنافقين"^(١). [ضعيف]
 قال مقاتل: "قوله: {ألم ترَ إلى الذين تولّوا قوماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ}، يقول: ألم تنظر يا محمد إلى الذين ناصحوا اليهود بولائيتهم فهو عبد الله بن نبئل المنافق.. فقال النبي- صلى الله عليه وسلم- لعبد الله بن نبئل: إنك تواد اليهود فحلف عبد الله بالله أنه لم يفعل وأنه ناصح، فأنزل الله- تعالى:- {وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤)} [المجادلة : ١٤]"^(٢).
 وذكر الواحدي عن السدي ومقاتل: "نزلت في عبد الله بن نبئل المنافق، كان يجالس النبي صلى الله عليه وسلم ثم يرفع حديثه إلى اليهود. فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجرة من حجره إذ قال: يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار، وينظر بعيني شيطان. فدخل عبد الله بن نبئل، وكان أزرق، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: علام تشتمني أنت وأصحابك؟ فحلف بالله ما فعل ذلك، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: فعلت. فانطلق فجاء بأصحابه، فحلفوا بالله ما شتموه. فأنزل الله تعالى هذه الآيات"^(٣).

عن ابن عباس، قال: "كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في ظل حجرة من حُجْرِهِ، وعنده نفر من المسلمين قد كاد يَقلُصُّ عنهم الظلُّ، قال: فقال: إنه سيأتاكم إنسانٌ ينظر إليكم بعيني شيطان، فإذا أتاكم فلا تكلموه، قال: فجاء رجل أزرق، فدعاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكلّمه، قال: علام تشتمني أنت وفلانٌ وفلانٌ؟ نفرٌ دعاهم بأسمائهم، قال: فذهب الرجل فدعاهم، فحلفوا بالله اعتذروا إليه، قال: فأنزل الله عز وجل {فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ} الآية"^(٤). [صحيح]

قوله تعالى: {ألم ترَ إلى الذين تولّوا قوماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ} [المجادلة : ١٤]، أي: " ألم تر إلى المنافقين الذين اتخذوا اليهود أصدقاء ووالوهم؟"^(٥).
 قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد -صلى الله عليه وسلم-: ألم تنظر بعين قلبك يا محمد، فترى إلى القوم الذين {تولّوا قوماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ}، وهم المنافقون تولّوا اليهود وناصروهم"^(٦).

قال ابن كثير: "يقول تعالى منكرًا على المنافقين في موالاتهم الكفار في الباطن، وهم في نفس الأمر لا معهم ولا مع المؤمنين، كما قال تعالى: {مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى

(١) ذكره السيوطي في "اللباب النقول" (ص ٢٥٧)، و"الدر المنثور" (٨٥ / ٨) ونسبه لابن أبي حاتم. قلنا: وسنده ضعيف؛ لإعضاله.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٦٣/٤-٢٦٥.

(٣) أسباب النزول: ٤٣٣. مرسل.

(٤) أخرجه أحمد في المسند(٢٤٠٧):ص٤/٢٣١-٢٣٢، وابن أبي شيبة وأحمد بن منيع في "مسنديهما"؛ كما في "إتحاف الخيرة المهرة" (٨ / ١٧٢ رقم ٧٨٥٠)، والطبري في "جامع البيان" (٢٣ / ٢٥٣)، والطبراني في "المعجم الكبير" (١٢ / ٦، ٧ رقم ١٢٣٠٧)، والبزار في "المسند" (٣ / ٧٤، ٧٥ رقم ٢٢٧٠ - "كشف")، وابن أبي حاتم في "تفسيره"؛ كما في "تفسير القرآن العظيم" (٤ / ٣٥١)، والحاكم في "المستدرک" (٢ / ٤٨٢)، والبيهقي في "دلائل النبوة" (٥ / ٢٨٢، ٢٨٣)، والواحدي في "أسباب النزول" (ص ٢٧٧) من طرق عن سماك بن حرب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به.

قلنا: وهذا سند صحيح رجاله ثقات رجال مسلم.

قال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي.

وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٧ / ١٢٢): "رواه الطبراني وأحمد والبزار؛ ورجال الجميع رجال الصحيح". وقال الحافظ ابن كثير: "إسناد جيد ولم يخرجه".

وقال البوصيري: "هذا إسناد صحيح".

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٨ / ٨٥) وزاد نسبه لابن المنذر وابن مردويه.

(٥) التفسير الميسر: ٥٤٤.

(٦) تفسير الطبري: ٢٥٢/٢٣.

هُؤْلَاءِ وَمَنْ يُضَلِّلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا} [النساء : ١٤٣] وقال ها هنا : {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ} يعني : اليهود، الذين كان المنافقون يمالئونهم ويوالونهم في الباطن" (١).

قال الزجاج: "هُؤْلَاءِ الْمُنَافِقُونَ تَوَلَّوْا الْيَهُودَ" (٢).

قال قتادة: "هم المنافقون تولوا اليهود وناصرهم" (٣).

قال قتادة: "هم اليهود تولاهم المنافقون" (٤).

قال ابن جريج: "هم اليهود والمنافقون" (٥).

قال ابن زيد: "هُؤْلَاءِ كَفَرَةُ أَهْلِ الْكِتَابِ الْيَهُودِ وَالَّذِينَ تَوَلَّوْهُمُ الْمُنَافِقُونَ تَوَلَّوْا الْيَهُودَ، وَقَرَأَ قَوْلَ اللَّهِ: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ} حَتَّى بَلَغَ {وَاللَّهُ يَسْتَهْذِبُ عَنْهُمْ لِكَذِبُونَهُمْ}، لَنْ كَانَ ذَلِكَ لَا يَفْعَلُونَ وَقَالَ: هُؤْلَاءِ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا: لَا نَدْعُ حُلَفَاءَنَا وَمَوَالِينَا يَكُونُوا مَعَنَا لِنَصْرَتِنَا وَعِزَّتِنَا، وَمَنْ يَدْفَعُ عَنَّا نَخْشَى أَنْ تَصِيبَنَا دَائِرَةٌ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنَّكَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ} حَتَّى بَلَغَ {فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ} وَقَرَأَ حَتَّى بَلَغَ {أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ}، قَالَ: لَا يَبْرُزُونَ" (٦).

قوله تعالى: {مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ} [المجادلة : ١٤]، أي: "والمنافقون في الحقيقة ليسوا من المسلمين ولا من اليهود" (٧).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: ما هؤلاء الذين تولوا هؤلاء القوم الذين غضب الله عليهم، منكم يعني: من أهل دينكم وملتكم، ولا منهم ولا هم من اليهود الذين غضب الله عليهم، وإنما وصفهم بذلك منكم جل ثناؤه لأنهم منافقون إذا لقوا اليهود، قالوا: {وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شِيَابِئِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ}" (٨).

قال ابن كثير: "أي: هؤلاء المنافقون، ليسوا في الحقيقة لا منكم أيها المؤمنون، ولا من الذين تولوهم وهم اليهود" (٩).

قوله تعالى: {وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [المجادلة : ١٤]، أي: "ويحلفون كذباً أنهم مسلمون، وأنت رسول الله، وهم يعلمون أنهم كاذبون فيما حلفوا عليه" (١٠).

قال ابن جريج: " {وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} قَالَ: حَلَفَهُمْ إِنْهُمْ لِمَنْكُمْ" (١١).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: ويحلفون على الكذب، وذلك قولهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم: نشهد إنك لرسول الله وهم كاذبون غير مصدقين به، ولا مؤمنين به، كما قال جل ثناؤه: {وَاللَّهُ يَسْتَهْذِبُ مِنَ الْمُنَافِقِينَ لَكَذِبُونَ}، وقد ذكر أن هذه الآية نزلت في رجل منهم عاتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر بلغه عنه، فحلف كذباً" (١٢) (١٣).

قال ابن كثير: "يعني: المنافقين يحلفون على الكذب وهم عالمون بأنهم كاذبون فيما حلفوا، وهي اليمين الغموس، ولا سيما في مثل حالهم اللعين، عياداً بالله منه فإنهم كانوا إذا لقوا الذين آمنوا قالوا: آمنا، وإذا جاءوا الرسول حلفوا بالله له أنهم مؤمنون، وهم في ذلك يعلمون

(١) تفسير ابن كثير: ٥١/٨-٥٢.

(٢) معاني القرآن: ١٤٠/٥.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٥٢/٢٣.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٥٢/٢٣.

(٥) الدر المنثور: ٨٥/٨، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٥٢/٢٣.

(٧) التفسير الميسر: ٥٤٤.

(٨) تفسير الطبري: ٢٥٢/٢٣-٢٥٣.

(٩) تفسير ابن كثير: ٥٢/٨.

(١٠) التفسير الميسر: ٥٤٤.

(١١) الدر المنثور: ٨٥/٨، وعزاه إلى ابن المنذر.

(١٢) انظر: رواية ابن عباس في سبب نزول الآية.

(١٣) تفسير الطبري: ٢٥٣/٢٣.

أنهم يكذبون فيما حلفوا به ؛ لأنهم لا يعتقدون صدق ما قالوه، وإن كان في نفس الأمر مطابقاً ؛ ولهذا شهد الله بكذبهم في أيمانهم وشهادتهم لذلك" (١).

القرآن

{أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٥)} [المجادلة : ١٥]

التفسير:

أعدَّ الله لهؤلاء المنافقين عذاباً بالغ الشدة والألم، إنهم ساء ما كانوا يعملون من النفاق والحلف على الكذب.

قوله تعالى: {أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا} [المجادلة : ١٥]، أي: "أعدَّ الله لهؤلاء المنافقين عذاباً بالغ الشدة والألم" (٢).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: أعدَّ الله لهؤلاء المنافقين الذين تولَّوا اليهود عذاباً في الآخرة شديداً" (٣).

قال ابن كثير: "أي : أرصد الله لهم على هذا الصنيع العذاب الأليم على أعمالهم السيئة، وهي موالاته الكافرين ونصحهم، ومعاداة المؤمنين وغشهم" (٤).

قال السعدي: "فجزاء هؤلاء الخونة الفجرة الكذبة، أن الله أعد لهم عذاباً شديداً، لا يقدر قدره، ولا يعلم وصفه" (٥).

قوله تعالى: {إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [المجادلة : ١٥]، أي: "إنهم ساء ما كانوا يعملون من النفاق والحلف على الكذب" (٦).

قال الطبري: "أي: في الدنيا بغشهم المسلمين، ونصحهم لأعدائهم من اليهود" (٧).

قال ابن كثير: "أي : "وهي موالاته الكافرين ونصحهم، ومعاداة المؤمنين وغشهم" (٨).

قال السعدي: "حيث عملوا بما يسخط الله ويوجب عليهم العقوبة واللعنة" (٩).

القرآن

{اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (١٦)} [المجادلة : ١٦]

التفسير:

اتخذ المنافقون أيمانهم الكاذبة وقاية لهم من القتل بسبب كفرهم، ولمنع المسلمين عن قتالهم وأخذ أموالهم، فبسبب ذلك صدَّوا أنفسهم وغيرهم عن سبيل الله وهو الإسلام، فلهم عذاب مُدْلٌ في النار؛ لاستكبارهم عن الإيمان بالله ورسوله وصدَّهم عن سبيله.

قوله تعالى: {اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً} [المجادلة : ١٦]، أي: "اتخذ المنافقون أيمانهم الكاذبة وقاية لهم من القتل بسبب كفرهم، ولمنع المسلمين عن قتالهم وأخذ أموالهم" (١٠).

قال الطبري: "يقول جلّ ثناؤه: جعلوا حلفهم وأيمانهم جنة يستجنون بها من القتل ويدفعون بها عن أنفسهم وأموالهم وذرائعهم، وذلك أنهم إذا أطلع منهم على النفاق، حلفوا للمؤمنين بالله إنهم لمنهم" (١١).

(١) تفسير ابن كثير: ٥٢/٨.

(٢) التفسير الميسر: ٥٤٤.

(٣) تفسير الطبري: ٢٥٣/٢٣.

(٤) تفسير ابن كثير: ٥٢/٨.

(٥) تفسير السعدي: ٨٤٧.

(٦) التفسير الميسر: ٥٤٤.

(٧) تفسير الطبري: ٢٥٣/٢٣.

(٨) تفسير ابن كثير: ٥٢/٨.

(٩) تفسير السعدي: ٨٤٧.

(١٠) التفسير الميسر: ٥٤٤.

(١١) تفسير الطبري: ٢٥٤/٢٣.

قال ابن كثير: "أي: أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر، واتقوا بالإيمان الكاذبة"^(١).
قال القشيري: "أي: وقاية وسترا، ومن استتر بجنة طاعته لتسلم له دنياه فإن سهام التقدير من ورائه تكشفه من حيث لا يشعر.. فلا دينه يبقى، ولا دنياه تسلم"^(٢).
قال السعدي: "أي: ترسا ووقاية، يتقون بها من لوم الله ورسوله والمؤمنين"^(٣).
قال قتادة: "اتخذوا حلفهم جنة؛ ليعصموا بها دماءهم وأموالهم"^(٤).
قال الضحاك: "حلفهم بالله إنهم لمنكم جنة"^(٥).
قال مجاهد: "يجنئون بها"^(٦).
قوله تعالى: {فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} [المجادلة : ١٦]، أي: "فبسبب ذلك صدوا أنفسهم وغيرهم عن سبيل الله وهو الإسلام"^(٧).
قال الطبري: "يقول جل ثناؤه: فصدوا بأيمانهم التي اتخذوها جنة المؤمنين عن سبيل الله فيهم، وذلك أنهم كفر، وحكم الله وسبيله في أهل الكفر به من أهل الكتاب القتل، أو أخذ الجزية، وفي عبدة الأوثان القتل، فالمنافقون يصدون المؤمنين عن سبيل الله فيهم بأيمانهم إنهم مؤمنون، وإنهم منهم، فيحولون بذلك بينهم وبين قتلهم، ويمتنعون به مما يمتنع منه أهل الإيمان بالله"^(٨).
قال ابن كثير: "فظن كثير ممن لا يعرف حقيقة أمرهم صدقهم فاعتر بهم فحصل بهذا صد عن سبيل الله لبعض الناس"^(٩).
قال السعدي: "فبسبب ذلك صدوا أنفسهم وغيرهم عن سبيل الله، وهي الصراط الذي من سلكه أفضى به إلى جنات النعيم"^(١٠).
عن السدي: {وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} [الحج: ٢٥]، "يعني: ويمنعون الناس عن دين الله الإسلام"^(١١).
قال السدي: "أما {سبيل الله}: فمحمد- صلى الله عليه وسلم"^(١٢).
عن سعيد بن جبیر: "في سبيل الله، قال: في طاعة الله"^(١٣).
قوله تعالى: {فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ} [المجادلة : ١٦]، أي: "فلهم عذاب مُدْلٌ في النار؛ لاستكبارهم عن الإيمان بالله ورسوله وصددهم عن سبيله"^(١٤).
قال الطبري: "يقول: فلهم عذاب مُدْلٌ لهم في النار"^(١٥).
قال ابن كثير: "أي: في مقابلة ما امتنوا من الحلف باسم الله العظيم في الإيمان الكاذبة الحائثة"^(١٦).

-
- (١) تفسير ابن كثير: ٥٢/٨.
(٢) لطائف الإشارات: ٥٥٤/٣.
(٣) تفسير السعدي: ٨٤٧.
(٤) أخرجه الطبري: ٣٩٤/٢٣، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.
(٥) أخرجه الطبري: ٣٩٤/٢٣.
(٦) تفسير مجاهد ص ٦٦١، وأخرجه الطبري: ٣٩٤/٢٣، بلفظ: قال: "يجنئون بها، قال ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا"، وعبد بن حميد - كما في فتح الباري ٦٤٦/٨ - وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر.
(٧) التفسير الميسر: ٥٤٤.
(٨) تفسير الطبري: ٢٥٤/٢٣.
(٩) تفسير ابن كثير: ٥٢/٨.
(١٠) تفسير السعدي: ٨٤٧.
(١١) تفسير يحيى بن سلام: ٣٦١/١.
(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٠٧٨): ص ١٦٨٧/٦.
(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٥٠٢): ص ١٨٥٤/٦.
(١٤) التفسير الميسر: ٥٤٤.
(١٥) تفسير الطبري: ٢٥٤/٢٣.
(١٦) تفسير ابن كثير: ٥٢/٨.

قال السعدي ومن صد عنه فليس إلا الصراط الموصل إلى الجحيم، {قَلْهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ} حيث استكبروا عن الإيمان بالله والانقياد لأياته، أهانهم بالعذاب السرمدى، الذي لا يفتر عنهم ساعة ولا هم ينظرون" (١).

القرآن

{لَنْ نُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٧)}

[المجادلة : ١٧]

التفسير:

لن تدفع عن المنافقين أموالهم ولا أولادهم من عذاب الله شيئاً، أولئك أهل النار يدخلونها فيبقون فيها أبداً، لا يخرجون منها.

قوله تعالى: {لَنْ نُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا} [المجادلة : ١٧]، أي: لن تدفع عن المنافقين أموالهم ولا أولادهم من عذاب الله شيئاً" (٢).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: لن تغني عن هؤلاء المنافقين يوم القيامة أموالهم، فيفتدوا بها من عذاب الله المهين لهم ولا أولادهم، فينصرونهم ويستنقذونهم من الله إذا عاقبهم" (٣).

قال ابن كثير: "أي: لن يدفع ذلك عنهم بأساً إذا جاءهم" (٤).

قال السمعاني: "هو قول الكافرين يوم القيامة: {شَعَلْنَا} عن الحق {أَمْوَالَنَا وَأَهْلُونَا} [الفتح : ١١] ، يقول: لا عذر لهم فيه، ولا يغنيهم ذلك" (٥).

قوله تعالى: {أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [المجادلة : ١٧]، أي: "أولئك أهل النار يدخلونها فيبقون فيها أبداً، لا يخرجون منها" (٦).

قال الطبري: "يقول: هؤلاء الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم، وهم المنافقون أصحاب النار، يعني أهلها الذين هم فيها خالدون، يقول: هم في النار ماكثون إلى غير النهاية" (٧).

قال مقاتل: "يعنى: مقيمين في النار لا يموتون" (٨).

عن أبي مالك، قوله: "{أصحاب النار}: يعذبون فيها" (٩).

عن السدي: "{هم خالدون}: خالداً أبداً" (١٠).

عن سعيد بن جبیر: "{خَالِدِينَ فِيهَا}، يعنى: لا يموتون" (١١).

القرآن

{يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٨)}

[المجادلة : ١٨]

التفسير:

(١) تفسير السعدي: ٨٤٧.

(٢) التفسير الميسر: ٥٤٤.

(٣) تفسير الطبري: ٢٥٤/٢٣.

(٤) تفسير ابن كثير: ٥٢/٨.

(٥) تفسير السمعاني: ٢٩٧/١.

(٦) التفسير الميسر: ٥٤٤.

(٧) تفسير الطبري: ٢٥٤/٢٣.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٦٤/٤.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٣٠): ص ٩٤/١.

(١٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٧٦/٦. حكاه دون ذكر الإسناد.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٩٥٩): ص ٨٩١/٣، و (١٠٥٠٠): ص ١٨٣٣/٦.

يوم القيامة يبعث الله المنافقين جميعاً من قبورهم أحياء، فيحلفون له أنهم كانوا مؤمنين، كما كانوا يحلفون لكم -أيها المؤمنون- في الدنيا، ويعتقدون أن ذلك ينفعهم عند الله كما كان ينفعهم في الدنيا عند المسلمين، ألا إنهم هم البالغون في الكذب حدًا لم يبلغه غيرهم. قوله تعالى: {يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا} [المجادلة : ١٨]، أي: "يوم القيامة يبعث الله المنافقين جميعاً من قبورهم أحياء"^(١).

قال الطبري: يقول: " هؤلاء الذين ذكرهم هم أصحاب النار، يوم يبعثهم الله جميعاً من قبورهم أحياء كهيئاتهم قبل مماتهم، فيحلفون له كما يحلفون لكم كاذبين مبطلين فيها"^(٢). قال ابن كثير: " أي : يحشرهم يوم القيامة عن آخرهم فلا يغادر منهم أحداً"^(٣). قوله تعالى: {فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ} [المجادلة : ١٨]، أي: " فيحلفون له أنهم كانوا مؤمنين، كما كانوا يحلفون لكم -أيها المؤمنون- في الدنيا"^(٤).

قال الطبري: يقول: " فيحلفون له كما يحلفون لكم كاذبين مبطلين فيها"^(٥). قال ابن كثير: " أي : يحلفون بالله عز وجل، أنهم كانوا على الهدى والاستقامة، كما كانوا يحلفون للناس في الدنيا ؛ لأن من عاش على شيء مات عليه وبعث عليه"^(٦). قال مقاتل: " وذلك أنهم كانوا إذا قالوا شيئاً أو عملوا شيئاً، وأرادوه، سألهم المؤمنون عن ذلك، فيقولون: والله لقد أردنا الخير فيصدقهم المؤمنون بذلك، فإذا كان يوم القيامة سئلوا عن أعمالهم الخبيثة فاستعانوا بالكذب كعادتهم في الدنيا، فذلك قوله: يحلفون لله في الآخرة كما يحلفون لكم في الدنيا"^(٧).

قال قتادة: " إن المنافق حلف له يوم القيامة كما حلف لأوليائه في الدنيا"^(٨). قال قتادة: " والله حالف المنافقون ربهم يوم القيامة، كما حالفوا أوليائه في الدنيا"^(٩). قال سعيد بن جبير: " كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ظلِّ حجرة قد كاد يَفْلُصُ عنه الظلَّ، فقال: "إِنَّهُ سَيَأْتِيكُمْ رَجُلٌ، أَوْ يَطَّلِعُ رَجُلٌ بِعَيْنِ شَيْطَانٍ فَلَا تُكَلِّمُوهُ" فلم يلبث أن جاء، فاطلع فإذا رجل أزرق، فقال له: "عَلَامَ تَسْتَمْنِي أَنْتَ وَفَلَانٌ وَفَلَانٌ؟" قال: فذهب فدعا أصحابه، فحلفوا ما فعلوا، فنزلت: {يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ}"^(١٠).

قوله تعالى: {وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ} [المجادلة : ١٨]، أي: " ويعتقدون أن ذلك ينفعهم عند الله كما كان ينفعهم في الدنيا عند المسلمين"^(١١). قال مقاتل: أي: " من الدين فان يغني عنهم ذلك من الله شيئاً"^(١٢). قال الطبري: " يقول: ويظنون أنهم في أيمانهم وحلفهم بالله كاذبين على شيء من الحق"^(١٣).

(١) التفسير الميسر: ٥٤٤.

(٢) تفسير الطبري: ٢٥٥/٢٣.

(٣) تفسير ابن كثير: ٥٢/٨.

(٤) التفسير الميسر: ٥٤٤.

(٥) تفسير الطبري: ٢٥٥/٢٣.

(٦) تفسير ابن كثير: ٥٢/٨.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٦٤/٤.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٥٥/٢٣.

(٩) أخرجه الطبري: ٢٥٥/٢٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٢٥٥/٢٣.

(١١) التفسير الميسر: ٥٤٤.

(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٦٤/٤.

(١٣) تفسير الطبري: ٢٥٥/٢٣.

قال ابن كثير: "ويعتقدون أن ذلك ينفعهم عند الله كما كان ينفعهم عند الناس، فيجرون عليهم الأحكام الظاهرة؛ ولهذا قال: {وَيَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ}، أي: حلفهم ذلك لربهم، عز وجل" (١).

قوله تعالى: {أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ} [المجادلة: ١٨]، أي: "ألا إنهم هم البالغون في الكذب حدًا لم يبلغه غيرهم" (٢).

قال الطبري: أي: "فيما يحلفون عليه" (٣).
قال ابن كثير: "ثم قال منكرًا عليهم حسبانهم {أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ} فأكد الخبر عنهم بالكذب" (٤).

قال القشيري: "عقوبتهم الكبرى ظلّم أن ما عملوا مع الخلق يتمشّي أيضا في معاملة الحقّ، ففرط الأجنبية وغاية الجهل أكتبهم على مناخرهم في وهدة ندمهم" (٥).

القرآن

{سَتَحُودُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ} [المجادلة: ١٩]

التفسير:

غلب عليهم الشيطان، واستولى عليهم، حتى تركوا أوامر الله والعمل بطاعته، أولئك حزب الشيطان وأتباعه. ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون في الدنيا والآخرة.

قوله تعالى: {سَتَحُودُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ} [المجادلة: ١٩]، أي: "غلب عليهم الشيطان، واستولى عليهم، حتى تركوا أوامر الله والعمل بطاعته" (٦).

قال الفراء: "غلب عليهم" (٧).
قال ابن قتيبة: "أي: غلب عليهم واستولى" (٨).

قال أبو عبيدة: "غلب عليهم، وحازهم، قال العجاج (٩):
يحوذهنّ وله حوذى ... كما يحوذ الفئة الكمي" (١٠).

قال الطبري: أي: "غلب عليهم الشيطان {فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ}" (١١).
قال ابن كثير: "أي: استحوذ على قلوبهم الشيطان حتى أنساهم أن يذكروا الله، عز وجل، وكذلك يصنع بمن استحوذ عليه" (١٢).

قال الزجاج: "معنى {سَتَحُودُ} - في اللغة - استولى، يقال: حذت الإبل وحزتها إذا استوليت عليها وجمعتها" (١٣).

قال القشيري: "إذا استحوذ الشيطان على عبد أنساه ذكر الله، والنفس إذا استولت على إنسان أنسته الله" (١٤).

(١) تفسير ابن كثير: ٥٢/٨.

(٢) التفسير الميسر: ٥٤٤.

(٣) تفسير الطبري: ٢٥٥/٢٣.

(٤) تفسير ابن كثير: ٥٢/٨.

(٥) لطائف الإشارات: ٥٥٤/٣.

(٦) التفسير الميسر: ٥٤٤.

(٧) معاني القرآن: ١٤٢/٣.

(٨) غريب القرآن: ٤٥٨.

(٩) ديوانه ٧١، واللسان والتاج (حوز). وهو يصف ثورا وكلابا.

(١٠) مجاز القرآن: ١٤١/١، و٢٥٥/٢.

(١١) تفسير الطبري: ٢٥٥/٢٣.

(١٢) تفسير ابن كثير: ٥٣/٨.

(١٣) معاني القرآن: ١٤٠/٥.

(١٤) لطائف الإشارات: ٥٥٥/٣.

عن أبي الدرداء : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " ما من ثلاثة في قرية ولا بدو، لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان، فعليك بالجماعة، فإنما يأكل الذئب القاصية". قال زائدة : قال السائب : يعني الصلاة في الجماعة"^(١).
قوله تعالى: {أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ} [المجادلة : ١٩]، أي: " أولئك حزب الشيطان وأتباعه"^(٢).

قال مقاتل: " يعني: شيعه الشيطان"^(٣).
قال الطبري: " يعني: جنده وأتباعه"^(٤).
قال ابن كثير: " يعني : الذين استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله "^(٥).
قال الزجاج: " قال أبو عبيدة: حزب الشيطان جند الشيطان، والأصل في اللغة أن الحزب: الجمع والجماعة، يقال منه: قد تحزب القوم إذا صاروا فرقا، جماعة كذا وجماعة كذا"^(٦).

قال ابن زيد: " الحزب: ولاية الذين يتولاهم ويتولونه"^(٧).
قوله تعالى: {أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ} [المجادلة : ١٩]، أي: " ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون في الدنيا والآخرة"^(٨).
قال الطبري: " يقول: ألا إن جند الشيطان وأتباعه هم الهالكون المغبونون في صَفَقَتِهِمْ"^(٩).

قال القشيري: " لقد خسر حزب الشيطان، وأخسر منه من أعان نفسه- التي هي أعدى عدوه، إلا بأن يسعى في قهرها لعله ينجو من شرّها"^(١٠).
عن عكرمة، قال: "إنما سمي الشيطان لأنه تشيطن"^(١١).

فوائد الآيات: [١٤-١٩]:

- ١- حرمة موالاته اليهود.
- ٢- حرمة الحلف على الكذب وهي اليمين الغموس.
- ٣- من علامات استحواذ الشيطان على الإنسان تركه لذكر الله بقلبه ولسانه ولوعده ووعيده بأعماله وأقواله.

القرآن

{إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذْنَانِ (٢٠)} [المجادلة : ٢٠]

التفسير:

إن الذين يخالفون أمر الله ورسوله، أولئك من جملة الأذلاء المغلوبين المهانين في الدنيا والآخرة.

قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} [المجادلة : ٢٠]، أي: " إن الذين يخالفون أمر الله ورسوله"^(١٢).

(١) سنن أبي داود برقم (٥٤٧).

(٢) التفسير الميسر: ٥٤٤.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٦٥/٤.

(٤) تفسير الطبري: ٢٥٥/٢٣.

(٥) تفسير ابن كثير: ٥٣/٨.

(٦) معاني القرآن: ١٤١/٥.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٣٠): ص ٣١٧٢/١٠.

(٨) التفسير الميسر: ٥٤٤.

(٩) تفسير الطبري: ٢٥٦/٢٣.

(١٠) لطائف الإشارات: ٥٥٥/٣.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٨٧): ص ٨٧/١.

(١٢) التفسير الميسر: ٥٤٤.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: إن الذين يخالفون الله ورسوله في حدوده، وفيما فرض عليهم من فرائضه فيعادونه"^(١).

قال ابن كثير: "يقول تعالى مخبراً عن الكفار المعاندين المحادين لله ورسوله، يعني: الذين هم في حدٍّ والشرع في حدٍّ، أي: مجانبون للحق مشاقون له، هم في ناحية والهدى في ناحية"^(٢).

قال قتادة: "يقول: يعادون الله ورسوله"^(٣).

قال مجاهد: "يعادون، يشاقون"^(٤).

قوله تعالى: {أُولَئِكَ فِي الْأَذْلَلِينَ} [المجادلة: ٢٠]، أي: "أولئك من جملة الأذلاء المغلوبين المهانين في الدنيا والآخرة"^(٥).

قال مقاتل: "يعنى: في الهالكين"^(٦).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين يحادون الله ورسوله في أهل الذلة، لأن الغلبة لله ورسوله"^(٧).

قال الزجاج: "أي: أولئك في المغلوبين"^(٨).

قال ابن كثير: "أي: في الأشقياء المبعدين المطرودين عن الصواب، الأذلين في الدنيا والآخرة"^(٩).

قال ابن عباس: "يريد الذل في الدنيا والخزي في الآخرة"^(١٠). وروي عن عطاء مثله"^(١١).

القرآن

{كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلِينَ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢١)} [المجادلة: ٢١]

التفسير:

كتب الله في اللوح المحفوظ وحكم بأن النصر له وكتابته ورسله وعباده المؤمنين. إن الله سبحانه قوي لا يعجزه شيء، عزيز على خلقه. سبب النزول:

قال مقاتل: "وذلك أن المؤمنين قالوا للنبي- صلى الله عليه وسلم- لئن فتح الله علينا مكة وخيبر وما حولها فنحن نرجو أن يظهرنا الله ما عاش النبي- صلى الله عليه وسلم- على أهل الشام وفارس والروم. فقال عبد الله بن أبي للمسلمين: أتظنون بالله أن أهل الروم وفارس كبعض أهل هذه القرى التي غلبتموهم عليها، كلا والله لهم أكثر جمعاً، وعدداً. فأنزل الله- تعالى- في قول عبد الله بن أبي {وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الفتح: ٤]، وأنزل {كَتَبَ اللَّهُ} كتاباً وأمضاه، {لَأَعْلِينَ أَنَا وَرُسُلِي}، يعني: النبي- صلى الله عليه وسلم- وحده، {إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ}، يقول: أقوى وأعز من أهل الشام والروم وفارس"^(١٢). "لقول عبد الله بن أبي: هم أشد بأساً وأعز عزيزاً"^(١٣).

(١) تفسير الطبري: ٢٥٦/٢٣.

(٢) تفسير ابن كثير: ٥٣/٨.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٥٦/٢٣.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٥٦/٢٣.

(٥) التفسير الميسر: ٥٤٤.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٦٥/٤.

(٧) تفسير الطبري: ٢٥٦/٢٣.

(٨) معاني القرآن: ١٤١/٥.

(٩) تفسير ابن كثير: ٥٣/٨.

(١٠) التفسير البسيط للواحدى: ٣٦٥/٢١.

(١١) التفسير الوسيط للواحدى: ٢٦٨/٤.

(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٦٥/٤.

(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٩/٤.

قوله تعالى: {كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي} [المجادلة : ٢١]، أي: "كتب الله في اللوح المحفوظ وحكم بأن النصر له وكتابه ورسله وعباده المؤمنين"^(١).

قال أبو عبيدة: "كَتَبَ اللَّهُ"، أي: قضى الله"^(٢).

قال الطبري: "يقول: قضى الله وخط في أم الكتاب، لأغلبن أنا ورسلي من حادني وشاقني"^(٣).

قال الزجاج: "أي: قضى الله قضاء ثابتا، ومعنى «غلبة الرسل»، على نوعين: من بعث بالحرب فغالب في الحرب. ومن بعث منهم بغير حرب فهو غالب بالحجة"^(٤).

قال ابن كثير: "أي: قد حكم وكتب في كتابه الأول وقدره الذي لا يُخالف ولا يُمانع، ولا يبدل، بأن النصر له وكتابه ورسله وعباده المؤمنين في الدنيا والآخرة، وأن العاقبة للمتقين، كما قال تعالى: {إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ الْعَذَابُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ} [غافر : ٥١، ٥٢]"^(٥).

قال قتادة: "كتب الله كتابا وأمضاه"^(٦).

قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} [المجادلة : ٢١]، أي: "إن الله سبحانه قوي لا يعجزه شيء، عزيز على خلقه"^(٧).

قال الطبري: "يقول: إن الله جلّ ثناؤه ذو قوة وقدرة على كلّ من حادّه، ورسوله أن يهلكه، ذو عزة فلا يقدر أحد أن ينتصر منه إذا هو أهلك وليه، أو عاقبه، أو أصابه في نفسه بسوء"^(٨).

قال الزجاج: "أي: مانع حربه من أن يذل، لأنه قال جل وعلا: {أولئك في الأذليل}. و«العزيم»: الذي لا يغلب ولا يقهر"^(٩).

قال ابن كثير: "أي: كتب القوي العزيز أنه الغالب لأعدائه. وهذا قدر محكم وأمر مبرم، أن العاقبة والنصرة للمؤمنين في الدنيا والآخرة"^(١٠).

قال القشيري: "الذي ليس له إلا التدبير... كيف تكون له مقاومة مع التقدير؟"^(١١).

قال قتادة: "قويا في أمره، عزيزا في نعمته"^(١٢).

قال محمد بن إسحاق: "العزيز في نصرته ممن كفر إذا شاء"^(١٣).

قال أبو العالية: "عزيم في نعمته إذا انتقم"^(١٤). وروي عن قتادة والربيع بن أنس نحو ذلك^(١٥).

القرآن

- (١) التفسير الميسر: ٥٤٤.
- (٢) مجاز القرآن: ٢٥٥/٢.
- (٣) تفسير الطبري: ٢٥٦/٢٣-٢٥٧.
- (٤) معاني القرآن: ١٤١/٥.
- (٥) تفسير ابن كثير: ٥٣/٨-٥٤.
- (٦) أخرجه الطبري: ٢٥٧/٢٣.
- (٧) التفسير الميسر: ٥٤٤.
- (٨) تفسير الطبري: ٢٥٧/٢٣.
- (٩) معاني القرآن: ١٤١/٥.
- (١٠) تفسير ابن كثير: ٥٤/٨.
- (١١) لطائف الإشارات: ٥٥٥/٣. التدبير للخلق والتقدير للحق.
- (١٢) أخرجه الطبري: ٢٤٣/٢٠.
- (١٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٤٩٨): ص ٩٨٣/٣.
- (١٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٨٣٣): ص ١٦٦٤/٥.
- (١٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٦٦٤/٥.

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ
أبناءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا
إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢٢)﴾ [المجادلة : ٢٢]

التفسير:

لا تجد -أيها الرسول- قوماً يصدّقون بالله واليوم الآخر، ويعملون بما شرع الله لهم، يحبون
ويوالون من عادى الله ورسوله وخالف أمرهما، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو
أقرباءهم، أولئك الموالون في الله والمعادون فيه ثبتت في قلوبهم الإيمان، وقواهم بنصر منه
وتأييد على عدوهم في الدنيا، ويدخلهم في الآخرة جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها
الأنهار، ماكثين فيها زمناً ممتداً لا ينقطع، أحلّ الله عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم، ورضوا
عن ربهم بما أعطاهم من الكرامات ورفيع الدرجات، أولئك حزب الله وأوليائوه، وأولئك هم
الفائزون بسعادة الدنيا والآخرة.

اختلفوا فيمن نزلت على خمسة أقوال:

أحدها: أنها نزلت في أبي عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح. قاله سعيد بن عبد العزيز^(١)، عبد
الله بن شوذب^(٢).

عن عبد الله بن شوذب قال: "جعل أبو أبي عبيدة يتصدى لأبي عبيدة يوم بدر، فجعل
أبو عبيدة يحيد عنه، فلما أكثر، قصده أبو عبيدة فقتله، فأنزل الله عز وجل فيه هذه الآية حين
قتل أباه: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [المجادلة: ٢٢] إلى آخر الآية"^(٣). [ضعيف]
قال ابن كثير: "ولهذا قال عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، حين جعل الأمر شورى
بعده في أولئك الستة، رضي الله عنهم: «ولو كان أبو عبيدة حياً لاستخلفته»"^(٤)،^(٥).

الثاني: أنها نزلت في أبي بكر الصديق-رضي الله عنه- وذلك أن أبا قحافة سب رسول الله صلى
الله عليه وسلم، فصغّه أبو بكر صغّة شديدة سقط منها، ثم ذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه
وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أو فعلته»؟ قال: نعم. قال: فلا تعد إليه، فقال أبو
بكر: والله لو كان السيف قريباً مني لقتلته، فنزلت هذه الآية، قاله ابن جريج^(٦). [ضعيف]

(١) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٥٤/٨.

(٢) انظر: المعجم الكبير للطبراني (٣٦٠): ص ١٥٤/١.

(٣) أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير" (٣٦٠): ص ١٥٤/١، وعنه أبو نعيم في "حلية الأولياء" (١/ ١٠١)،
و"معرفه الصحابة" (٢/ ٢١، ٢٢ رقم ٥٧٦) -ومن طريقه ابن عساكر في "تاريخ دمشق" (ص ٢٦٦ -
مطبوع) عن أبي يزيد القراطيسي، والحاكم في "المستدرک" (٣/ ٢٦٤، ٢٦٥) -وعنه البيهقي في "السنن
الكبرى" (٩/ ٢٧) - من طريق الربيع بن سليمان، كلاهما عن أسد بن موسى ثنا ضمرة بن ربيعة عن عبد الله
بن شوذب به.

قلنا: وهذا إسناد ضعيف؛ لإعضاله.

قال البيهقي عقبه: "هذا منقطع".

وسكت عنه الحاكم والذهبي.

وقال الحافظ ابن حجر في "الإصابة" (٢/ ٢٤٤): "أخرجه الطبراني بسند جيد عن عبد الله بن شوذب".

وقال في "فتح الباري" (٧/ ٩٣): "مرسل".

وقال في "التلخيص الحبير" (٤/ ١١٣): "هذا معضل".

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٨/ ٨٦) و"لباب النقول" (ص ٢٠٨) وزاد نسبه لابن أبي حاتم.

(٤) في الطبقات الكبرى: ٣/ ٣١٥. قال عمر بن الخطاب: "لو أدركت أبا عبيدة بن الجراح لاستخلفته وما
شاورت، فإن سئلت عنه قلت: استخلفت أمين الله وأمين رسوله".

(٥) تفسير ابن كثير: ٥٤/٨.

(٦) ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٨/ ٨٦)، و"لباب النقول" (ص ٢٠٨) ونسبه لابن المنذر، وذكره
الواحدي في "أسباب النزول": ٤٣٤، وابن الجوزي في "زاد المسير": ٢٥١/٤.

وابن جريج مدلس، لم يذكر من حدثه، ومع ذلك هو معضل، فالخبر شبه موضوع، قال الإمام أحمد: هذه
المراسيل التي يرسلها ابن جريج كأنها موضوعة.

عن عبد الرحمن بن ثابت بن قيس بن الشماس: أنه استأذن النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يزور خاله من المشركين؛ فأذن له، فلما قدم؛ قرأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأناس حوله: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١).

الثالث: ما روى مقاتل بن حيان، عن مرة الهمداني، عن عبد الله بن مسعود في هذه الآية: "﴿وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ﴾، يعني: أبا عبيدة بن الجراح قتل أباه عبد الله بن الجراح يوم أحد، ﴿أَوْ أَبْنَاءَهُمْ﴾، يعني: أبا بكر دعا ابنه يوم بدر إلى البراز، وقال: يا رسول الله: دعني أكر في الرعدة^(٢) الأولى. فقال له رسول الله: «متعنا بنفسك يا أبا بكر، أما تعلم أنك عندي بمنزلة سمعي وبصري؟». ﴿وَإِخْوَانَهُمْ﴾، يعني: مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد. ﴿أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾، يعني: عمر، قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر، وعليها وحمزة وعبيدة قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر"^(٣).

قال ابن كثير: "ومن هذا القبيل حين استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين في أسارى بدر، فأشار الصديق بأن يفادوا، فيكون ما يؤخذ منهم قوة للمسلمين، وهم بنو العم والعشيرة، ولعل الله أن يهديهم. وقال عمر: لا أرى ما رأى يا رسول الله، هل تمكني من فلان - قريب لعمر - فأقتله، وتمكن علياً من عقيل، وتمكن فلاناً من فلان، ليعلم الله أنه ليست في قلوبنا هودة للمشركين... القصة بكاملها"^(٤).

الخامس: أنها نزلت في حاطب بن أبي بلتعة حين كتب إلى أهل مكة يخبرهم أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عزم على قصدهم. قاله مقاتل^(٥)، والفراء^(٦).

قال الزجاج: "جاء في التفسير أن هذه الآية نزلت بسبب حاطب بن أبي بلتعة، وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - عزم على قصد أهل مكة فكتب حاطب يشرح لهم القصة وينذرهم ليحرزوا فنزل الوحي على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فذكر حاطب لما وبخ بذلك أن له بمكة أهلاً وأنه ليس له أحد يكتفهم، وإنما فعل ذلك ليحاط أهله، فأعلم الله - عز وجل - أن إيمان المؤمن يفسد بمودة الكفار بالمعونة على المؤمنين. وأعلم الله تعالى أنه من كان مؤمناً بالله واليوم الآخر لا يوالي من كفر، ولو كان أباه أو أمه أو أخاه أو أحداً من عشيرته"^(٧).

السادس: أنها نزلت في عبد الله بن عبد الله بن أبي، وذلك أنه كان جالساً إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ماءً، فقال عبد الله: يا رسول الله أبق فضلة من شرابك، قال: وما تصنع بها؟ فقال: أسقيها أبي، لعل الله سبحانه يظهر قلبه، ففعل، فأتى بها أباه، فقال: ما هذا؟ قال: فضلة من شراب رسول الله جئتك بها لتشربها، لعل الله يظهر قلبك، فقال: هلا جئتني ببول أمك! فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، انذن لي في قتل أبي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ارفق به، وأحسن إليه، فنزلت هذه الآية، قاله السدي^(٨).

(١) ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٨ / ٨٦) ونسبه لابن مردويه.

(٢) الرعدة: الخيل.

(٣) ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٦٤-٢٦٥، والواحد في "أسباب النزول": ٤٣٤.

(٤) تفسير ابن كثير: ٥٤/٨.

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٦٥-٢٦٦.

(٦) انظر: معاني القرآن: ١٤٢/٣.

(٧) معاني القرآن: ١٤١/٥.

(٨) انظر: زاد المسير: ٢٥١/٤-٢٥٢. ولم أقف عليه، وهو مرسل بكل حال فهو واه.

قال النحاس: "أصح ما روي في هذا أنه نزل في المنافقين الذين والوا اليهود لأنهم لا يقرّون بالله جل وعز على ما يجب الإقرار به ولا يؤمنون باليوم الآخر فيخافون العقوبة"^(١).
قال ابن الجوزي: "وهذه الآية قد بيّنت أن مودة الكفار تقدح في صحة الإيمان، وأن من كان مؤمناً لم يوال كافراً وإن كان أباه أو ابنه أو أحداً من عشيرته"^(٢).

قوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة : ٢٢]، أي: "لا تجد -أيها الرسول- قوماً يصدّقون بالله واليوم الآخر، ويعملون بما شرع الله لهم، يحبون ويوالون من عادى الله ورسوله وخالف أمرهما، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو أقرباءهم"^(٣).

قال الطبري: يقول: "لا تجد يا محمد قوماً يصدّقون الله، ويقروّن باليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله وشاقّهما وخالف أمر الله ونهيه، ولو كان الذين حادّوا الله ورسوله آباءهم {أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم}.. وإنما أخبر الله جلّ ثناؤه نبيه عليه الصلاة والسلام بهذه الآية: {ألم تر إلى الذين تولّوا قوماً غضب الله عليهم}، ليسوا من أهل الإيمان بالله ولا باليوم الآخر، فلذلك تولّوا الذين تولّوهم من اليهود"^(٤).

قال ابن كثير: "أي : لا يوادون المحادين ولو كانوا من الأقربين، كما قال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَدِّثْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران : ٢٨] الآية، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَبِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة : ٢٤]"^(٥).

قال قتادة: "لا تجد يا محمد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر، يوادّون من حادّ الله ورسوله: أي من عادى الله ورسوله"^(٦).

قال سهل: "كل من صح إيمانه فإنه لا يأنس بمبتدع ويجابهه، ولا يواكله ولا يشاربه ولا يصاحبه، ويظهر له من نفسه العداوة والبغضاء، ومن داهن مبتدعاً سلبه الله حلاوة السنن، ومن تحبب إلى مبتدع يطلب عزة في الدنيا وعرضاً، أدله الله بذلك العز، وأفقره الله بذلك الغنى، ومن ضحك إلى مبتدع نزع الله نور الإيمان من قلبه، ومن لم يصدق فليجرب"^(٧).

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ [المجادلة : ٢٢]، أي: "أولئك الموالون في الله والمعادون فيه ثبتت في قلوبهم الإيمان"^(٨).

قال الطبري: "يقول جلّ ثناؤه: هؤلاء الذين لا يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم، أو أبناءهم، أو إخوانهم، أو عشيرتهم، كتب الله في قلوبهم الإيمان"^(٩).

قال ابن كثير: "أي : من اتصف بأنه لا يواد من حاد الله ورسوله ولو كان أباه أو أخاه، فهذا ممن كتب الله في قلبه الإيمان، أي : كتب له السعادة وقررها في قلبه وزين الإيمان في بصيرته"^(١٠).

(١) إعراب القرآن: ٢٥٥/٤.

(٢) زاد المسير: ٢٥٢/٤.

(٣) التفسير الميسر: ٥٤٥.

(٤) تفسير الطبري: ٢٥٧/٢٣.

(٥) تفسير ابن كثير: ٥٤/٨.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٥٨/٢٣.

(٧) تفسير التستري: ١٦٤.

(٨) التفسير الميسر: ٥٤٥.

(٩) تفسير الطبري: ٢٥٨/٢٣.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٥٤/٨.

قال السمعاني: "أي: أدخل في قلوبهم الإيمان. وقيل: كتب أي: جعل في قلوبهم علامة تدل على إيمانهم"^(١).

وقال السدي: "كُتِبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانُ { جعل في قلوبهم الإيمان"^(٢).

قال الزجاج: "يعني: الذين لا يوادون من حاد الله ورسوله، ويوالون المؤمنين"^(٣).

قال الربيع بن أنس: "يعني: أثبت الإيمان في قلوبهم فهي موقنة مخلصه"^(٤).

وقيل: "حكم لهم بالإيمان فذكر القلوب لأنها موضعه"^(٥).

قوله تعالى: {وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ} [المجادلة : ٢٢]، أي: "وقواهم بنصر منه وتأييد على عدوهم في الدنيا"^(٦).

قال الطبري: " يقول: وقواهم ببرهان منه ونور وهدى"^(٧).

وقال ابن عباس: " {وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ}، أي: قواهم"^(٨).

قال الزجاج: "أي: قواهم بنور الإيمان بإحياء الإيمان، ودليل ذلك قوله: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا} [الشورى : ٥٢]، فكذلك: {وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ} [المجادلة : ٢٢]"^(٩).

قال الحسن: "وقواهم بنصر منه"^(١٠).

قال السدي: "يعني: بالإيمان"^(١١).

قال ربيع: "بالقرآن وحبته"^(١٢).

وقيل: أمدهم بجبريل - عليه السلام -"^(١٣).

قوله تعالى: {وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا} [المجادلة : ٢٢]، أي: "ويدخلهم في الآخرة جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، ماكتين فيها زماناً ممتداً لا ينقطع"^(١٤).

قال الطبري: " يقول: ويدخلهم بساتين تجري من تحت أشجارها الأنهار، ماكتين فيها أبداً"^(١٥).

قوله تعالى: {رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ} [المجادلة : ٢٢]، أي: "أحلَّ الله عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم، ورضوا عن ربهم بما أعطاهم من الكرامات ورفع الدرجات"^(١٦).

قال الطبري: يقول: " {رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ} بطاعتهم إياه في الدنيا، {وَرَضُوا عَنْهُ} في الآخرة بإدخاله إياهم الجنة"^(١٧).

(١) تفسير السمعاني: ٣٩٤/٥.

(٢) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٥٥/٨.

(٣) معاني القرآن: ١٤٢/٥.

(٤) حكاة عنه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٦٥/٩.

(٥) حكاة الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٦٥/٩.

(٦) التفسير الميسر: ٥٤٥.

(٧) تفسير الطبري: ٢٥٨/٢٣.

(٨) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٥٥/٨.

(٩) معاني القرآن: ١٤٢/٥.

(١٠) حكاة عنه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٦٥/٩.

(١١) حكاة عنه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٦٥/٩.

(١٢) حكاة عنه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٦٥/٩.

(١٣) حكاة الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٦٥/٩.

(١٤) التفسير الميسر: ٥٤٥.

(١٥) تفسير الطبري: ٢٥٨/٢٣.

(١٦) التفسير الميسر: ٥٤٥.

(١٧) تفسير الطبري: ٢٥٨/٢٣.

قال النحاس: " {رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ}، أي: بطاعتهم في الدنيا. {وَرَضُوا عَنْهُ} بإدخالهم الجنة"^(١).

قال ابن كثير: " في قوله: {رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ} سر بديع، وهو أنه لما سخطوا على القرائب والعشائر في الله عوضهم الله بالرضا عنهم، وأرضاهم عنه بما أعطاهم من النعيم المقيم، والفوز العظيم، والفضل العميم"^(٢).

قال عطاء: " {رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ} بطاعتهم (ورضوا عنه) بثوابه وما تفضل به عليهم من الكرامة سوى الثواب"^(٣).

قوله تعالى: {أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ} [المجادلة : ٢٢]، أي: " أولئك جماعة الله وخاصته وأولياؤه"^(٤).

قال الطبري: " يقول: أولئك الذين هذه صفتهم جند الله وأولياؤه"^(٥).

قال ابن كثير: " أي : هؤلاء حزبُ الله، أي : عباد الله وأهل كرامته"^(٦).

قال النحاس: " أي: جنده وجماعته. وتحزب القوم: تجمعوا"^(٧).

قال الزجاج: " «حزب الله»، أي: الداخلون في الجمع الذي اصطفاه الله وارتضاه"^(٨).

عن سعد بن سعيد الجرجاني، عن بعض مشيخته قال: "قال داود -عليه السلام-: «إلهي، من حزبك وحول عرشك؟». فأوحى الله سبحانه إليه: «يا داود، الغاضّة أبصارهم، النقيّة قلوبهم، السليمة أكتفهم، أولئك حزبي وحول عرشي»"^(٩).

قوله تعالى: {أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [المجادلة : ٢٢]، أي: " وأولئك هم الفائزون بسعادة الدنيا والآخرة"^(١٠).

قال الطبري: " يقول: ألا إن جند الله وأولياؤه هم الباقيون المُنجحون بإدراكهم ما طلبوا، والتمسوا ببيعتهم في الدنيا، وطاعتهم ربهم"^(١١).

قال الزجاج: " {أَلَا} كلمة تنبيه، وتوكيد للقصة. و{وَالْمُفْلِحُونَ}: المدركون البقاء في النعيم الدائم"^(١٢).

قال النحاس: " {وَالْمُفْلِحُونَ}، قيل: أي الذين ظفروا بما أرادوا"^(١٣).

قال ابن كثير: " تنويه بفلاحهم وسعادتهم ونصرهم في الدنيا والآخرة، في مقابلة ما أخبر عن أولئك بأنهم حزب الشيطان. ثم قال: {أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ}"^(١٤).

عن زيد بن أسلم، عن أبيه، أن عمر، خرج إلى المسجد يوماً فوجد معاذ بن جبل عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكي، فقال: ما يبكيك يا معاذ؟ قال: يبكي حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: «اليسير من الرياء شرك، ومن عادى أولياء الله فقد بارز

(١) إعراب القرآن: ٢٥٥/٤.

(٢) تفسير ابن كثير: ٥٤/٨.

(٣) التفسير البسيط للواحي: ٦١٠/٧، وتفسير البغوي: ٤٦٧/٢.

(٤) صفوة التفاسير: ٣٢٥/٣.

(٥) تفسير الطبري: ٢٥٨/٢٣.

(٦) تفسير ابن كثير: ٥٤/٨.

(٧) إعراب القرآن: ٢٥٥/٤.

(٨) معاني القرآن: ١٤٢/٥.

(٩) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٦٥/٩. وانظر: تفسير القرطبي: ٣٠٩/١٧.

(١٠) التفسير الميسر: ٥٤٥.

(١١) تفسير الطبري: ٢٥٨/٢٣.

(١٢) معاني القرآن: ١٤٢/٥.

(١٣) إعراب القرآن: ٢٥٥/٤.

(١٤) تفسير ابن كثير: ٥٤/٨.

الله بالمحاربة، إن الله يحب الأبرار الأتقياء الأخفياء، الذين إن غابوا لم يفتقدوا، وإن حضروا لم يعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى، يخرجون من كل غيراء مظلمة»^(١).
قال ابن كثير: "فهؤلاء أولياء الله تعالى الذين قال الله: {وَأُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}"^(٢).

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أحب في الله وأبغض في الله وعاد في الله ووال في الله فإنما تنال ولاية الله بذلك ثم قرأ {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ} الآية"^(٣).

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أوحى الله إلى نبي من الأنبياء أن قل لفلان العابد أما زهدك في الدنيا فتعجلت راحة نفسك وأما انقطاعك إلي فتعززت بي فماذا عملت في مالي عليك قال يا رب: وما لك علي قال: هل واليت لي وليا أو عاديت لي عدوا"^(٤).

عن واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يبعث الله يوم القيامة عبدا لا ذنب له فيقول له: بأي الأمرين أحب إليك أن أجزيك بعملك أم بنعمتي عليك قال: رب أنت تعلم أنني لم أعصك قال: خذوا عيدي بنعمة من نعمي فما يبقى له حسنة إلا استغرقتنا تلك النعمة فيقول: رب بنعمتك ورحمتك فيقول: بنعمتي وبرحمتي ويؤتى بعبد محسن في نفسه لا يرى أن له سيئة فيقال له: هل كنت توالي أوليائي قال: يا رب كنت من الناس سلما قال: هل كنت تعادي أعدائي قال: يا رب لم أكن أحب أن يكون بيني وبين أحد شيء فيقول الله تبارك وتعالى: وعزتي لا ينال رحمتي من لم يوال أوليائي ويعاد أعدائي"^(٥).

عن البراء بن عازب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله"^(٦).

وفي رواية أخرج الديلمي من طريق الحسن عن معاذ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللهم لا تجعل لفاجر عندي يدا ولا نعمة فيوده قلبي، فإني وجدت فيما أحيت إلي: {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ}" الآية"^(٧).

عن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهم، لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندي يدا ولا نعمة، فإني وجدت فيما أوحيت إلي: {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ}». قال سفيان: يرون أنها نزلت فيمن يخالط السلطان"^(٨).

كتب أبو حازم الأعرج إلى الزهري: "عافانا الله وإياك -أبا بكر- من الفتن، ورحمك من النار، فقد أصبحت بحالٍ ينبغي لمن عرفك بها أن يرحمك بها؛ أصبحت شيئا كبيرا قد أثقتك نعم الله عليك، مما أصح من بدنك، وأطال من عمرك، وعلمت حُجَجَ الله مما حملك من كتابه، وفقهك فيه من دينه، وفهمك من سنة... ولقد جاء نعتهم على لسان رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إن الله يحب الأخفياء الأتقياء الأبرياء، الذين إذا غابوا لم يُفتقدوا، وإذا شهدوا لم

(١) المستدرک علی الصحیحین (٤): ص ٤٤/١، وقال: "هذا حديث صحيح ولم يخرج في الصحیحین". وأخرجه ابن ماجة في (٣٩٨٩): ص ١٣٢٠/٣. بسند ضعيف.

(٢) تفسير ابن كثير: ٥٥/٨.

(٣) الدر المنثور: ٨٧/٨ وعزاه إلى الحكيم الترمذي.

(٤) الدر المنثور: ٨٧/٨ وعزاه إلى ابن أبي شيبة والحكيم الترمذي في نوادر الأصول وابن أبي حاتم.

(٥) الدر المنثور: ٨٧/٨ وعزاه إلى ابن أبي شيبة والحكيم الترمذي في نوادر الأصول وابن أبي حاتم.

(٦) الدر المنثور: ٨٧/٨ وعزاه إلى الطيالسي وابن أبي شيبة.

(٧) الدر المنثور: ٨٧/٨.

(٨) رواه نعيم بن الحماد كما في تفسير ابن كثير: ٥٥/٨، وذكره السيوطي في الدر المنثور: ٨٧/٨، عن ابن مردويه عن كثير بن عطية عن رجل...

(٩) رواه نعيم بن الحماد كما في تفسير ابن كثير: ٥٥/٨، وذكره السيوطي في الدر المنثور: ٨٧/٨، عن ابن مردويه عن كثير بن عطية عن رجل...

يُعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى، يَخْرُجُونَ مِنْ كُلِّ فِتْنَةٍ سَوْدَاءٍ مَظْلَمَةٍ، فَهَؤُلَاءِ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : {أَوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}». وَجَاءَ يُجْرِيهِ اللَّهُ عَلَى يَدَيْ أَعْدَائِهِ لِأَوْلِيَائِهِمْ، وَمِقَّةٌ يَقْذِفُهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ لَهُمْ، فَيُعْظِمُهُمُ النَّاسُ تَعْظِيمَ أَوْلَئِكَ لَهُمْ، وَيَرْغَبُ النَّاسُ فِيهِمَا فِي أَيْدِيهِمْ كَرَغْبَةِ أَوْلَئِكَ فِيهِ إِلَيْهِمْ، {أَوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ}»^(١).

فوائد الآيات: [٢٠-٢٢]:

- ١- كتب الله الذل والصغار على من حاده وحاد رسوله بمخالفتهما فيما يحببان ويكرهان.
 - ٢- قضى الله تعالى بنصرة رسوله فنصره إنه قوي عزيز.
 - ٣- حرمة موالات الكافر بالنصرة والمحبة ولو كان أقرب قريب، وقد قاتل أصحاب رسول الله آباءهم وأبناءهم وإخوانهم وعشيرتهم في بدر. وفيهم نزلت هذه الآية تبشرهم برضوان الله تعالى لهم، وإنعامه عليهم اللهم اجعلنا منهم واحشرنا في زمرةهم.
- «أخر تفسير سورة (المجادلة)، والحمد لله وحده»

(١) أخرجه ابن عساکر في تاريخ دمشق ٢٢ / ٤١ - ٤٤.

بسم الله الرحمن الرحيم تفسير سورة «الحشر»

هي السورة التاسعة والخمسون بحسب الرّسم القرآني، نزلت بعد «سورة البينة» وقبل «سورة النصر»، أي: أنها من أواخر السور التي نزلت على الرسول -صلى الله عليه وسلم- من السور القرآنية؛ حيث تُعدّ السورة الثامنة والتسعون في ترتيب النزول، ويبلغ عدد آياتها أربع وعشرون، كلماتها أربعمائة وخمس وأربعون. حروفها ألف وتسعمائة وثلاث عشرة. فواصل آياتها «من بر» على الباء آيتان: {العقَاب} [الحشر : ٤ ، ٧] في موضعين^(١).

■ أسماء السورة:

■ أولاً:- اسمها التوقيفي: «سورة الحشر»:

سمّيت «سورة الحشر» بهذا الاسم للحديث عن الحشر وورود هذا اللفظ فيها، ولأنه ورد فيها ذكر حشر بني النضير، إذ إنّ هذه السورة نزلت عقب إخراج بني النضير من المدينة إلى الشام في السنة الرابعة من الهجرة، فاشتهرت هذه السورة باسم «سورة الحشر»، لقوله -تعالى- فيها: {هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ} [الحشر : ٢]، والمراد بالحشر حشران؛ الحشر الأول: هو جمع بني النضير وإخراجهم من المدينة المنورة إلى الشام في عهد النبوة، والحشر الثاني: المراد فيه إجلاؤهم من خيبر إلى الشام في عهد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-^(٢).

■ ثانياً:- اسمها الاجتهادي: «سورة بني النضير»:

وتُسمى سورة الحشر أيضاً باسم آخر وهو: سورة بني النضير، وهو الاسم الذي أطلقه ابن عباس -رضي الله عنه- لنا يُظنّ أنّ المقصود بالحشر يوم القيامة؛ ويظهر هذا في قوله -تعالى- فيها: {هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ} [الحشر : ٢]، أي: إنّ المقصود بالحشر هو إخراج بني النضير، وقد ورد في الأثر عن سعيد بن جبیر قال: "قلت لابن عباس سورة الحشر قال: قال: سورة النضير"^(٣)، وفي رواية: "نزلت في بني النضير"^(٤).

■ مكية السورة ومدنيتها:

روي عن ابن عباس، قال: "نزلت سورة الحشر بالمدينة"^(٥). وروي عن ابن الزبير^(٦)، مثل ذلك.

قال ابن عطية: "هذه السورة مدنية باتفاق من أهل العلم، وهي سورة بني النضير"^(٧). قال ابن الجوزي: "هي مدنية كلها بإجماعهم، وذكر المفسرون أنّ جميعها نزل في بني النضير"^(٨).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

ومناسبتها لما قبلها من وجوه:

- ١- إن في آخر السالفة قال: {كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبَنَ أَنَا وَرُسُلِي} [المجادلة : ٢١]، وفي أول هذه قال: {فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ} [الحشر : ٢].
- ٢- إن في السابقة ذكر من حاد الله ورسوله، وفي أول هذه ذكر من شاق الله ورسوله.

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٥٨/١.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٧٥/٤.

(٣) الدر المنثور: ٨٨/٨. وعزاه إلى عبد بن حميد والبخاري ومسلم وابن المنذر وابن مردويه.

(٤) الدر المنثور: ٨٨/٨. وعزاه إلى سعيد بن منصور والبخاري وابن مردويه.

(٥) انظر: الدر المنثور: ٨٨/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(٦) انظر: الدر المنثور: ٨٨/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٧) المحرر الوجيز: ٢٨٣/٥. وسوف يأتي الخبر عن بني نضير في سبب نزول الآية رقم (٢) من السورة.

(٨) زاد المسير: ٢٥٣/٤.

٣- إن في السالفة ذكر حال المنافقين واليهود وتولى بعضهم بعضاً، وفي هذه ذكر ما حل باليهود، وعدم غناء تولى المنافقين إياهم^(١).

■ أغراض السورة ومقاصدها

تتمثل مقاصد سورة الحشر في التالي:

١- افتتاحية السورة واختتامها بالتسبيح والتعظيم لله تعالى وإظهار عزته وحكمته في تصريف الأمور، وتأمل كيف ختمت الآية الأولى والأخيرة بقوله {وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [الحشر : ١]، إشارة للغرض الذي بنيت عليه السورة ولذلك جاءت الآية الثانية مباشرة في بيان صورة من قدرته في قوله {هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ} [الحشر : ٢].

٢- ذكر حال اليهود وأنصارهم المنافقين : فذكر أولاً حادثة يهود بني النضير وما كان من شأنهم في توهين أمرهم وخزيهم في قوله {فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ} [الحشر : ٢]، وقوله {وَالْخَزْيَ الْفَاسِقِينَ} [الحشر : ٥]، وذكر أيضاً حال قوم سابقين من اليهود وهم بنو قينقاع في قوله: {كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاتُوا وِبَالَ أَمْرِهِمْ} [الحشر : ١٥]، وذكر أيضاً قبل ذلك بيان حال المنافقين المناصرين لليهود وبيان جبنهم: {لَئِنْ أَخْرَجُوا لَمْ يَخْرُجُوا مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَمْ يَنْصُرُوهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لِيُؤَلِّقُوا النَّدْبَارَ ثُمَّ لَمْ يُنصُرُوا} [الحشر : ١٢].

٣- استعراض حال المهاجرين والأنصار ومن بعدهم، وبيان عظم شأنهم في نصره الدين وصدقهم وقوة ترابطهم، مقابل ذكر حال اليهود وأنصارهم المنافقين. في قوله: {الْفُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ} [الحشر : ٨]... {وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ} [الحشر : ٩]، {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ} [الحشر : ١٠]...، إشارة لأسباب تأييد الله لهم وتحفيزاً للمؤمنين في الاقتداء بهم.

٤- تذكير المؤمنين ووعظهم باليوم الآخر، تحذيراً من الغفلة ومشابهة أهل الكتاب والمنافقين الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم.

٥- إبراز الفرق بين الفريقين، فلايستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة وهي كالنتيجة للفريقين، ولذلك قال في ختامها: {أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ} [الحشر : ٢٠].

٦- التأكيد على عظمة القرآن في كونه سبباً لتصدع الجبال من خشية الله، وهو إشعار للمؤمنين والكافرين بأن هذا القرآن الذي بين لهم قدرة الله تعالى وأظهر عاقبة الفريقين حري بأن يكون موقظاً لهم ومحركاً لقلوبهم.

٧- وختمت السورة بأسماء الله تعالى، التي تضاعف قوة الإيمان بالله في النفوس وتوثق اليقين به تعالى. وهو المقصود من السورة. والله تعالى أعلم.

■ الناسخ والمنسوخ:

السورة ليس فيها منسوخ، وفيها ناسخ وهو قوله تعالى: {مَا أَقَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى} [الحشر : ٧]، نسخ الله تعالى بها آية الأنفال: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الثَّقَالِ} [الأنفال : ١]^(٢).

■ فضائل السورة:

■ عن عبد الله بن عمرو، قال: "أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أقرئني يا رسول الله، فقال: «اقرأ ثلاثاً من ذوات الر»، فقال: كبرت سني، واشتد قلبي، وغلظ لساني، قال: «فاقرأ ثلاثاً من ذوات حاميم»، فقال مثل مقالته، فقال: «اقرأ ثلاثاً من المسبحات»، فقال مثل مقالته، فقال الرجل: يا رسول الله، أقرئني سورة جامعة، فأقرأه النبي صلى الله عليه وسلم إذا زلزلت الأرض حتى فرغ منها، فقال الرجل: والذي بعثك

(١) انظر: تفسير المراغي: ٣٠/٢٨.

(٢) انظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس: ٧٠٤، والناسخ والمنسوخ لهبة الله بن سلامة: ١٧٥، والناسخ والمنسوخ لابن حزم: ٥٩.

- بالحق، لا أزيد عليها أبداً، ثم أدبر الرجل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أفح الرويجل» مرتين^(١).
- عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: " أعطيت مكان التوراة «السبع الطول»، وأعطيت مكان الزبور «المئين»، وأعطيت مكان الإنجيل: «المثاني» وفضلت بـ «المفصل»^(٢).
- و«المفصل»-بتشديد الصاد-: هو ما يلي المثاني من قصار السور، والتي تستحب القراءة ببعضها في بعض الصلوات الخمس على ما هو مبين في كتب الفقه^(٣)، وأشهر الأقوال أن أول المفصل «الحجرات»، وأول وسط المفصل: «عيسى» وأول قصار المفصل: «والضحى»، هذا أشهر أقوال المالكية، وطلب هذا لأجل الصلاة المفروضة، ففي الصبح يستحب القراءة بطوال المفصل، وفي الظهر والعشاء بمتوسطه، وفي المغرب بقصاره.
- عن عرياض بن سارية: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ المسبحات قبل أن يرقد، وقال: «إن فيهن آية أفضل من ألف آية»^(٤).
- عن معقل بن يسار، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: من قال حين يصبح ثلاث مرات: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، ثم قرأ الثلاث آيات من آخر سورة الحشر، وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي، إن مات في ذلك اليوم مات شهيداً، ومن قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة^(٥).

(١) "مسند أحمد" (٦٥٧٥) ، وسنن أبي داود(١٣٩٩):ص٥٧/٢، والسنن الكبرى للنسائي (٧٩٧٣) و (١٠٤٨٤) ، وصحيح ابن حبان (٧٧٣):٥٠/٣.

إسناده حسن، من أجل عيسى بن هلال الصديقي، وصححه الحاكم والذهبي.

وقوله: من ذوات (الر)، أي: من السور التي تبدأ بهذه الأحرف الثلاثة التي تقرأ مقطعة: ألف، لام، راء، والذي في القرآن منها خمس سور: يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر.

وقوله من ذوات {حم}، أي: من السور التي تبدأ بهذين الحرفين: حاء، ميم، وهي في القرآن سبع سور: غافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجنات، والأحقاف.

وقوله: من المسبحات، أي: السور التي أولها سَبَّحْ وَبَسَّحْ وَسَبَّحْ، وهي الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن والأعلى.

(٢) أخرجه أحمد (١٠٧ /٤) ، رقم (١٧٠٢٣). قال الهيثمي (٤٦ /٧): فيه عمران القطان وثقه ابن حبان وغيره وضعفه النسائي وغيره وبقيه رجاله ثقات. وأخرجه الطبراني (٧٥ /٢٢) رقم (١٨٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢ /٤٦٥، رقم ٢٤١٥ مكرر). وأخرجه أيضاً: الطيالسي (ص ١٣٦ رقم ١٠١٢) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٥ /٢٧١٦ رقم ٦٤٨٥). وقال المناوي (١ /٥٦٦): فيه عمرو بن مرزوق، أورده الذهبي في الضعفاء وقال: كان يحيى بن سعيد لا يرضاه.

(٣) أما السبع الطول فقد ذكرناها عند تفسير قوله: {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي} [الحجر: ٨٧] . والمئين: كل سورة بلغت مائة فصاعداً. والمثاني: كل سورة دون المئين وفوق المفصل، والمفصل: هو ما يلي المثاني من قصار السور، وإنما سميت مفصلاً لقصرها وكثرة الفصول فيها بسطر: «بسم الله الرحمن الرحيم»..

(٤) الدر المنثور: ٤٦/٨. وعزاه إلى أحمد وأبي داود والترمذي، وحسنه النسائي وابن مردويه والبيهقي في "شعب الإيمان".

(٥) أخرجه أحمد في المسند(٢٠٣٠٦):ص٤٢١/٣٣، وأخرجه الدارمي (٣٤٢٥) ، والترمذي (٢٩٢٢)، والطبراني في "الكبير" ٢٠ /٥٣٧) ، وفي "الدعاء" (٣٠٨) ، وابن السني في "عمل اليوم والليلة" (٨٠) من طريق أبي أحمد الزبير بن محمد بن عبد الله، بهذا الإسناد. قال الترمذي: حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

وأورده الذهبي في "الميزان" ٦٣١/١ من هذا الطريق، وقال: لم يحسنه الترمذي، وهو حديث غريب جداً. والحديث ضعيف، فيه خالد بن ظهمان وضعفه ابن معين، وقال: خلط قبل موته بعشر سنين، وكان قبل ذلك ثقة، وكان في تخليطه كل ما جاؤوا به يقرؤه، وحسن الرأي فيه أبو داود وأبو حاتم، وأما نافع بن أبي نافع الراوي عن معقل، فإن كان هو نافع بن الحارث أبا دواد الأعمى فيما قاله أبو داود، فهو متروك الحديث وإن كان غيره فهو لا يعرف كما قاله الذهبي في "الميزان" ٢٤٢/٤، وانظر ترجمة نافع هذا في "تهذيب التهذيب" لابن حجر.

- عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ آخر سورة الحشر غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»^(١).
 - عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قرأ آخر سورة الحشر ثم مات من يومه وليته كفر عنه كل خطيئة عملها"^(٢).
 - عن أنس: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر رجلاً إذا أوى إلى فراشه أن يقرأ آخر سورة الحشر، وقال: إن مت مت شهيداً"^(٣).
 - عن ابن عباس قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم -عليه السلام-: «من قرأ سورة «الحشر» لم يبق جنة ولا نار ولا عرش ولا كرسي ولا حجاب ولا السماوات السبع والأرضون السبع والهوام والرياح والطير والشجر والدواب والجبال والشمس والقمر والملائكة إلا صلوا عليه، واستغفروا له، فإن مات من يومه أو ليلته مات شهيداً»^(٤).
 - عن محمد بن الحنفية: "أن البراء بن عازب قال لعلي بن أبي طالب: سألتك بالله إلا ما خصصتني بأفضل ما خصك به رسول الله صلى الله عليه وسلم مما خصه به جبريل مما بعث به إليه الرحمن، قال: يا براء إذا أردت أن تدعو الله باسمه الأعظم فاقراً من أول الحديد عشر آيات وآخر سورة الحشر، ثم قل: يا من هو هكذا وليس شيء هكذا غيره أسألك أن تفعل بي كذا وكذا، فوالله يا براء لو دعوت علي لخسف بي"^(٥).
 - عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من تعوذ بالله من الشيطان ثلاث مرات ثم قرأ آخر سورة الحشر، بعث الله إليه سبعين ألف ملك يطردون عنه شياطين الإنس والجن، إن كان ليلاً حتى يصبح وإن كان نهاراً حتى يمسي"^(٦).
 - عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قرأ خواتيم الحشر في ليل أو نهار فمات في يومه أو ليلته، فقد أوجب له الجنة"^(٧).
 - عن عتيبة قال: "حدثنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه من قرأ خواتيم الحشر حين يصبح أدرك ما فاتته من ليلته وكان محفوظاً إلى أن يمسي، ومن قرأها حين يمسي أدرك ما فاتته من يومه وكان محفوظاً إلى أن يصبح، وإن مات أوجب"^(٨).
 - عن الحسن قال: "من قرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر إذا أصبح فمات من يومه ذلك طبع بطابع الشهداء وإن قرأ إذا مسى فمات من ليلته طبع بطابع الشهداء"^(٩).
 - عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اسم الله الأعظم في ستة آيات من آخر سورة الحشر"^(١٠).
- هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعاً لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

(١) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٦٦/٩.

(٢) الدر المنثور: ١٢٢/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٣) الدر المنثور: ١٢٢/٨، وعزاه إلى ابن السني في عمل يوم وليلة وابن مردويه.

(٤) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٦٦/٩.

(٥) الدر المنثور: ١٢٢/٨، وعزاه إلى أبي علي عبد الرحمن بن محمد النيسابوري في فوائده.

(٦) الدر المنثور: ١٢٢/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٧) الدر المنثور: ١٢٣/٨، وعزاه إلى بن عدي وابن مردويه والخطيب والبيهقي في شعب الإيمان.

(٨) الدر المنثور: ١٢٣/٨، وعزاه إلى ابن الضريس.

(٩) الدر المنثور: ١٢٣/٨، وعزاه إلى الدارمي وابن الضريس.

(١٠) الدر المنثور: ١٢٣/٨، وعزاه إلى الديلمي.

القرآن

{سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١)} [الحشر: ١]

التفسير:

نزّه الله عن كل ما لا يليق به كل ما في السموات وما في الأرض، وهو العزيز الذي لا يغالب، الحكيم في قدره وتدبيره وصنعه وتشريعه، يضع الأمور في مواضعها. سبب نزول الآيات: [٥-١]:

عن عروة بن الزبير، قال: " ثم كانت وقعة بني النضير وهم طائفة من اليهود على رأس سنة أشهر من وقعة بدر، وكان منزلهم بناحية من المدينة، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على الجلاء وإن لهم ما أقلت الإبل من الأموال والأمتعة إلا الحلقة وهي السلاح، فأجلاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل الشام قال: والجلاء أنه كتب عليهم في أي من التوراة، وكانوا من سبط لم يصيبهم الجلاء قبل ما سلط عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله فيهم: {سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} [الحشر: ١]، إلى قوله: {وَلِيُخْزِي الْفَاسِقِينَ} [الحشر: ٥]"^(١).

قوله تعالى: {سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} [الحشر: ١]، أي: "نزّه الله عن كل ما لا يليق به كل ما في السموات وما في الأرض"^(٢).

قال الطبري: يعني: "صلى الله، وسجد له، {مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} من خلقه"^(٣).

قال ابن كثير: "يخبر تعالى أن جميع ما في السموات وما في الأرض من شيء يسبح له ويمجده ويقده، ويصلي له ويوحده كقوله: {تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ} [الإسراء: ٤٤]"^(٤).

قال الزجاج: "افتتح الله السورة بذكر تقديسه وأن له أشياء تبرئه من السوء، ومثل ذلك قوله: {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ} [الإسراء: ٤٤]"^(٥).

قال ابن عباس: "صلى الله {ما في السماوات} ممن خلق من الملائكة {والأرض}، من شيء فيه روح أولا رو فيه"^(٦).

عن الضحاك: "أنه الصلاة، سميت تسبيحا لما تتضمنه من التسبيح"^(٧).

قوله تعالى: {وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [الحشر: ١]، أي: "وهو العزيز الذي لا يغالب، الحكيم في قدره وتدبيره وصنعه وتشريعه، يضع الأمور في مواضعها"^(٨).

قال الطبري: "يقول: وهو العزيز في انتقامه ممن انتقم من خلقه على معصيتهم إياه، الحكيم في تدبيره إياهم"^(٩).

قال ابن كثير: " {وَهُوَ الْعَزِيزُ}، أي: منيع الجباب {الْحَكِيمُ} في قدره وشرعه"^(١٠).

قال محمد بن إسحاق: "العزيز: في نصرته ممن كفر به إذا شاء"^(١١)، الحكيم: في عذره وحقته إلى عباده"^(١٢).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٨٤٩): ص ١٠/٣٣٤٥.

(٢) التفسير الميسر: ٥٤٥.

(٣) تفسير الطبري: ٢٥٩/٢٣.

(٤) تفسير ابن كثير: ٥٧/٨.

(٥) معاني القرآن: ١٤٣/٥.

(٦) تفسير القرطبي: ٢٣٥/١٧.

(٧) النكت والعيون: ٤٦٨/٥.

(٨) التفسير الميسر: ٥٤٥.

(٩) تفسير الطبري: ٢٥٩/٢٣.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٥٧/٨.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٨٣٤): ص ٥/١٦٦٤.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٨٣٦): ص ٥/١٦٦٤.

قال أبو العالية: {عزیز} في نغمته إذا انتقم^(١). وروي عن قتادة والربيع بن أنس نحو ذلك^(٢).

عن أبي العالية: {حكيم}، قال: حكيم في أمره^(٣).
قال محمد بن جعفر بن الزبير "الحكيم في عذره، وحجته إلى عباده"^(٤).

القرآن

{هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا
وَوَدَّوْا أَنْهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ
الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ (٢) [الحشر : ٢]
التفسير:

هو -سبحانه- الذي أخرج الذين جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، من أهل الكتاب، وهم يهود بني النضير، من مساكنهم التي جاؤوا بها المسلمين حول «المدينة»، وذلك أول إخراج لهم من «جزيرة العرب» إلى «الشام»، ما ظننتم -أيها المسلمون- أن يخرجوا من ديارهم بهذا الذل والهوان؛ لشدة بأسهم وقوة منعتهم، وظن اليهود أن حصونهم تدفع عنهم بأس الله ولا يقدر عليها أحد، فأتاهم الله من حيث لم يخطر لهم ببال، وألقى في قلوبهم الخوف والفرع الشديد، يُخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين، فاتعظوا يا أصحاب البصائر السليمة والعقول الراجحة بما جرى لهم.

قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ} [الحشر : ٢]، أي: هو -سبحانه- الذي أخرج الذين جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، من أهل الكتاب، وهم يهود بني النضير، من مساكنهم التي جاؤوا بها المسلمين حول «المدينة»، وذلك أول إخراج لهم من «جزيرة العرب» إلى «الشام»^(٥).

قال الطبري: يقول: "الله الذي أخرج الذين جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب، وهم يهود بني النضير من ديارهم، وذلك خروجهم عن منازلهم ودورهم، حين صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يؤمنهم على دمائهم ونسائهم وذرائعهم، وعلى أن لهم ما أقلت الإبل من أموالهم، ويخلو له دورهم، وسائر أموالهم، فأجابهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذلك، فخرجوا من ديارهم، فمنهم من خرج إلى الشام، ومنهم من خرج إلى خيبر"^(٦).

قال ابن زيد: "هؤلاء النضير حين أجلاهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم-"^(٧).
"لأول الحشر"، قال: الشام حين ردهم إلى الشام"^(٨).

قال يزيد بن رومان: "نزلت في بني النضير سورة الحشر بأسرها، يذكر فيها ما أصابهم الله عز وجل به من نغمته، وما سلط عليهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم وما عمل به فيهم، فقال: {هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ} ... الآيات"^(٩).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٨٣٣):ص٥/١٦٦٤.

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٦٦٤/٥.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٠٤٢):ص٦/١٧٦٤.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٠٤٣):ص٦/١٧٦٤.

(٥) التفسير الميسر: ٥٤٥.

(٦) تفسير الطبري: ٢٦٢/٢٣.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٦٢/٢٣.

(٨) أخرجه طبري: ٢٦٣/٢٣.

(٩) أخرجه الطبري: ٢٦٣/٢٣.

عن مجاهد، في قول الله عزّ وجلّ: {هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ}، قال: النضير حتى قوله: {وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ} (١).
عن قتادة: "هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ}، قيل: الشام، وهم بنو النضير حيّ من اليهود، فأجلاهم نبيّ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المدينة إلى خيبر، مرجعه من أحد" (٢).

قال الزهري: "هم بنو النضير قاتلهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى صالحهم على الجلاء، فأجلاهم إلى الشام، وعلى أن لهم ما أقلت الإبل من شيء إلا الحلقة، والحلقة: السلاح، كانوا من سبط لم يصيبهم جلاء فيما مضى، وكان الله عزّ وجلّ قد كتب عليهم الجلاء، ولولا ذلك عذبهم في الدنيا بالقتل والسبأ" (٣).

وفي قوله تعالى: {لِأَوَّلِ الْحَشْرِ} [الحشر : ٢]، وجوه:

أحدها : لأنهم أول من أجلاه النبي -صلى الله عليه وسلم- من اليهود ، قاله ابن حبان (٤).

الثاني: لأنهم أول من حشروا من أهل الكتاب ونفوا من الحجاز. قاله الكلبي (٥).

الثالث: لأن هذا كان أول الحشر من المدينة، والحشر الثاني من خيبر وجميع جزيرة العرب إلى أدرعات وأريحا من الشام في أيام عمر بن الخطاب -رضي الله عنه وعلى بدنه. قاله مرة الهمداني (٦).

الرابع: إنّما قال: {لِأَوَّلِ الْحَشْرِ}، لأنّ الله سبحانه فتح على نبيّه -عليه السلام- في أول ما قاتلهم. قاله يمان بن رباب (٧).

الخامس : أنه أول حشرهم، لما ذكره قتادة: أنه "تجىء نار من مَشْرِقِ الأَرْضِ، تُحْشِرُ النَّاسَ إِلَى مَغَارِبِهَا، فَتَبِيْتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا، تَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا، وَتَأْكُلُ مِنْ تَخَلْفِ" (٨).

السادس : لأنه أول حشرهم، لأنهم يحشرون بعدها إلى أرض المحشر في القيامة ، قاله الحسن (٩)، والزهري (١٠).

قال الزهري: "يقول تعالى ذكره: لأوّل الجمع في الدنيا، وذلك حشرهم إلى أرض الشام" (١١).

وروي عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه لما أجلى بني النضير قال لهم: «امضوا فهذا أول الحشر وأنا على الأثر» (١٢).

عن ابن عباس، قال : من شك في أن أرض المحشر هاهنا - يعني الشام فليئّل هذه الآية : {هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ}، قال لهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "اخرجوا". قالوا : إلى أين ؟ قال : "إلى أرض المحشر" (١٣).

عن عكرمة، قال: "مَنْ شَكَ أَنْ الْمَحْشَرَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ فليقرأ هذه الآية: {هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ}، فقد حُشِرَ النَّاسُ مَرَّةً، وَذَلِكَ حِينَ ظَهَرَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَى الْمَدِينَةِ أَجْلَى الْيَهُودِ" (١٤).

(١) أخرجه الطبري: ٢٦٢/٢٣.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٦٢/٢٣.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٦٢/٢٣.

(٤) انظر: النكت والعيون: ٤٩٩/٥.

(٥) نقلا عن: "الكشف والبيان (تفسير الثعلبي): ٢٦٨/٩.

(٦) نقلا عن: "الكشف والبيان (تفسير الثعلبي): ٢٦٨/٩-٢٦٩.

(٧) نقلا عن: "الكشف والبيان (تفسير الثعلبي): ٢٦٩/٩.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٦٣/٢٣.

(٩) انظر: النكت والعيون: ٤٩٩/٥.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٣/٢٣.

(١١) أخرجه الطبري: ٢٦٣/٢٣.

(١٢) أخرجه الطبري: ٢٦٣/٢٣.

(١٣) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٩/٨.

عن قتادة بن دعامة -من طريق معمر- قال: "تجيء نارٌ من مَشْرِقِ الأَرْضِ، تَحْشُرُ الناسَ إلى مَغْرِبِهَا، تَسْوَقُهُمْ سَوَاقَ البَرِّقِ الكَسِيرِ، تَبْيِيتُ مَعَهُمْ إِذَا بَاتُوا، وَتَقِيلُ مَعَهُمْ إِذَا قَالُوا، وَتَأْكُلُ مَنْ تَخَلَّفَ مِنْهُمْ"^(١).

عن قيس، قال: "قال جريرٌ لقومه فيما يَعِظُهُم: والله، إني لو دِدْتُ أُنِّي لم أكن بَنَيْتُ فِيهَا لَبْنَةً، مَا أَنْتُمْ إِلَّا كَالنَّعَامَةِ اسْتَنْتَرْتُ، وَإِنْ أَوْلَ أَرْضِكُمْ هَذِهِ خَرَابًا يُسْرَاهَا، ثُمَّ يَتَّبِعُهَا يُمْنَاهَا، وَإِنَّ المَحْشَرَ ههنا. وَأشار إلى الشام"^(٢).

قوله تعالى: {مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا} [الحشر : ٢]، أي: "ما ظننتم -أيها المسلمون- أن يخرجوا من ديارهم بهذا الذل والهوان؛ لشدة بأسهم وقوة منعهم"^(٣).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره للمؤمنين من أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ما ظننتم أن يخرج هؤلاء الذين أخرجهم الله من ديارهم من أهل الكتاب من مساكنهم ومنازلهم"^(٤).

قال ابن كثير: "أي: في مدة حصاركم لهم وقصرها، وكانت ستة أيام، مع شدة حصونهم ومنعتها"^(٥).

قوله تعالى: {وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَا يَعْتَهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ} [الحشر : ٢]، أي: "وظن اليهود أن حصونهم تدفع عنهم بأس الله ولا يقدر عليها أحد"^(٦).

قال الطبري: "وإنما ظن القوم فيما ذكر أن عبد الله بن أبي، وجماعة من المنافقين بعثوا إليهم لما حصرهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأمرؤنهم بالثبات في حصونهم، ويعدونهم النصر"^(٧).

قال الزجاج: "هؤلاء بنو النضير، كان لهم عز ومنعة من اليهود، فظن الناس أنهم لعزهم ومنعتهم لا يخرجون من ديارهم، وظن بنو النضير أن حصونهم تمنعهم من الله، أي: من أمر الله"^(٨).

عن يزيد بن رومان: "أن رهطاً من بني عوف بن الخزرج، منهم عبد الله بن أبي بن سلول، ووديعة ومالك، ابنا نوفل، وسويد وداعس، بعثوا إلى بني النضير أن اثبتوا وتمتعوا، فإننا لن نسلمكم، وإن قوتلتكم قاتلنا معكم، وإن خرجتم خرجنا معكم، فتربصوا لذلك من نصرهم، فلم يفعلوا، وكانوا قد تحصنوا في الحصون من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين نزل بهم"^(٩).

قوله تعالى: {فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا} [الحشر : ٢]، أي: "فأتاهم الله من حيث لم يخطر لهم ببال"^(١٠).

قال الطبري: "فأتاهم أمر الله من حيث لم يحتسبوا أنه يأتيهم، وذلك الأمر الذي أتاهم من الله حيث لم يحتسبوا، قذف في قلوبهم الرعب بنزول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهم في أصحابه"^(١١).

(١) الدر المنثور: ٩٣/٦، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٢) أخرجه عبد الرزاق ٢/٢٨٢.

(٣) الدر المنثور: ٩٠/٨، وعزاه إلى أحمد في "الزهد".

(٤) التفسير الميسر: ٥٤٥.

(٥) تفسير الطبري: ٢٦٣/٢٣-٢٦٤.

(٦) تفسير ابن كثير: ٥٩/٨.

(٧) التفسير الميسر: ٥٤٥.

(٨) تفسير الطبري: ٢٦٤/٢٣.

(٩) معاني القرآن: ١٤٣/٥.

(١٠) أخرجه الطبري: ٢٦٤/٢٣.

(١١) التفسير الميسر: ٥٤٥.

(١٢) تفسير الطبري: ٢٦٤/٢٣.

قال ابن كثير: "أي : جاءهم من أمر الله ما لم يكن لهم في بال، كما قال في الآية الأخرى: {قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ} [النحل : ٢٦]"^(١).

وفي قوله تعالى: {فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا} [الحشر : ٢]، وجهان: أحدهما: لم يحتسبوا بأمر الله. حكاه الماوردي^(٢).

الثاني: من حيث لم يحتسبوا بقتل ابن الأشرف. قاله ابن جبير^(٣)، والسدي^(٤).

قوله تعالى: {وَوَقَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبُ} [الحشر : ٢]، أي: "وألقى في قلوبهم الخوف والفرع الشديد"^(٥).

قال الطبري: "بنزول رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم في أصحابه"^(٦).

قال ابن كثير: "أي : الخوف والهلع والجزع، وكيف لا يحصل لهم ذلك وقد حاصروهم الذي نُصِرَ بالرعب مسيرة شهر، صلوات الله وسلامه عليه"^(٧). وقال الثعلبي: "بقتل سيدهم كعب بن الأشرف"^(٨).

قال الزجاج: "كان بنو النضير لما دخل النبي عليه السلام المدينة عاقده إلا يكونوا عليه ولا معه، - فلما كان يوم أحد وظهر المشركون على المسلمين نكثوا ودخلهم الريب، وكان كعب، بن الأشرف رئيسا لهم فخرج في ستين رجلا إلى مكة وعاهد المشركين على التظاهر على النبي عليه السلام، فأطلع الله نبيه عليه السلام على ذلك، فلى ما صار إلى المدينة وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - محمد بن مسلمة ليقتله، وكان محمد بن مسلمة رضيعا لكعب، فاستأذن محمد بن مسلمة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في، أن ينال منه ليعتر كعب بن الأشرف، فجاءه محمد ومعه جماعة فاستنزله من منزله وأوهمه أنه قد حمل عليه في أخذ الصدقة منه فلما نزل أخذ محمد بن مسلمة بناصيته وكبر، فخرج أصحابه فقتلوه في مكانه، وغدا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - غازيا بني النضير فأناخ عليهم، وقيل إنه غزاهم على حمار مخطوم بليف"^(٩).

قوله تعالى: {يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ} [الحشر : ٢]، أي: "يهدمون بيوتهم بأيديهم من الداخل، وأيدي المؤمنين من الخارج"^(١٠).

قال الطبري: يعني: "بني النضير من اليهود، وأنهم يخربون مساكنهم، وذلك أنهم كانوا ينظرون إلى الخشبة فيما دُكر في منازلهم مما يستحسنونه، أو العمود أو الباب، فينزعون ذلك منها بأيديهم وأيدي المؤمنين"^(١١).

وفي قوله تعالى: {يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ} [الحشر : ٢]، وجوه من التفسير:

أحدها : بأيديهم بنقض المواعدة، وأيدي المؤمنين بالمقاتلة ، قاله الزهري^(١٢).

قال الزجاج: "معنى إخراجها بأيدي المؤمنين أنهم عرضوها لذلك"^(١٣).

(١) تفسير ابن كثير: ٥٩/٨.

(٢) انظر: النكت والعيون: ٤٩٩/٥.

(٣) انظر: النكت والعيون: ٤٩٩/٥.

(٤) انظر: النكت والعيون: ٤٩٩/٥.

(٥) التفسير الميسر: ٥٤٥.

(٦) تفسير الطبري: ٢٦٤/٢٣.

(٧) تفسير ابن كثير: ٥٩/٨.

(٨) الكشف والبيان: ٢٦٩/٩.

(٩) معاني القرآن: ١٤٣/٥-١٤٤.

(١٠) صفوة التفاسير: ٣٣٠/٣.

(١١) تفسير الطبري: ٢٦٤/٢٣.

(١٢) انظر: النكت والعيون: ٤٩٩/٥.

(١٣) معاني القرآن: ١٤٣/٥-١٤٤.

الثاني : بأيديهم في تركها، وأيادي المؤمنين في إجلائهم عنها، قاله أبو عمرو ابن العلاء^(١).
الثالث : بأيديهم في إخراب دواخلها وما فيها لئلا يأخذها المسلمون ، وبأيدي المؤمنين في إخراب ظواهرها ليصلوا بذلك إليهم. وهذا قول قتادة^(٢).

قال قتادة: " جعلوا يخرّبونها من أجوافها، وجعل المؤمنون يخرّبون من ظاهرها"^(٣).
قال عكرمة : "كانت منازلهم مزخرفة فحسدوا المسلمين أن يسكنوها فخرّبوها من داخل، وخرّبها المسلمون من خارج"^(٤).

عن معمر، عن الزُّهريّ، قال: "لما صالحوا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانوا لا يعجبهم خشية إلا أخذوها، فكان ذلك خرابها. وقال قتادة: كان المسلمون يخرّبون ما يليهم من ظاهرها، وتخرّبها اليهود من داخلها"^(٥).

وقال مقاتل ابن حيان : "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتلهم، فإذا ظهر على دَرَبٍ أو دار، هدم حيطانها ليتسع المكان للقتال. وكان اليهود إذا علوا مكاناً أو غلبوا على درب أو دار، نقبوا من أدبارها ثم حصنوها ودرّبوها"^(٦).

الرابع : معناه : أنهم كانوا كلما هدم المسلمون عليهم من حصونهم شيئاً نقضوا من بيوتهم ما بينون به من حصونهم، قاله ابن عباس^(٧)، والضحاك^(٨).

قال ابن عباس: " يعني بني النضير، جعل المسلمون كلما هدموا شيئاً من حصونهم جعلوا ينقضون بيوتهم ويخرّبونها، ثم بينون ما يخرّب المسلمون، فذلك هلاكهم"^(٩).

الخامس : أن تخريبهم بيوتهم أنهم لما صولحوا على حمل ما أقلته إبلهم جعلوا ينقضون ما أعجبهم من بيوتهم حتى الأوتار ليحملوها على إبلهم ، قاله عروة بن الزبير^(١٠)، وابن زيد^(١١).

قال ابن زيد: " هؤلاء النضير، صالحهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ما حملت الإبل، فجعلوا يقلعون الأوتاد يخرّبون بيوتهم"^(١٢).

قال يزيد بن رومان: " احتملوا من أموالهم، يعني بني النضير، ما استقلت به الإبل، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف بابه، فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به، قال: فذلك قوله: {يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ}، وذلك هدمهم بيوتهم عن نجف أبوابهم إذا احتملوا"^(١٣).

وقرى: «يخرّبون»، بالتشديد في الراء، بمعنى: يهدّمون بيوتهم^(١٤).
قوله تعالى: {فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ} [الحشر : ٢]، أي: " فاتعظوا يا أصحاب البصائر السليمة والعقول الراجحة بما جرى لهم"^(١٥).
قال ابن عباس: "يريد يا أهل اللب والعقل والبصائر"^(١٦).

(١) انظر: النكت والعيون: ٥٠٠/٥.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٤/٢٣.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٦٤/٢٣.

(٤) انظر: النكت والعيون: ٥٠٠/٥، وتفسير القرطبي: ٥/١٨.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٦٥-٢٦٤/٢٣.

(٦) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٦٠/٨.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٥/٢٣.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٥/٢٣.

(٩) أخرجه الطبري: ٢٦٥/٢٣.

(١٠) انظر: النكت والعيون: ٥٠٠/٥.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٣٦٥/٢٣.

(١٢) أخرجه الطبري: ٣٦٥/٢٣.

(١٣) أخرجه الطبري: ٣٦٥/٢٣.

(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٦/٢٣.

(١٥) التفسير الميسر: ٥٤٥.

(١٦) التفسير البسيط للواحدي: ٣٦٨/٢١.

قال الفراء: " يا أولي العقول، ويقال: يا أولي الأبصار: يا من عاين ذلك بعينه"^(١).
قال الطبري: يقول: " فاتعظوا يا معشر ذوي الأفهام بما أحلّ الله بهؤلاء اليهود الذين
قذف الله في قلوبهم الرعب، وهم في حصونهم من نعمته، واعلموا أن الله وليّ من والاه، وناصر
رسوله على كلّ من ناوأه، ومحلّ من نعمته به نظير الذي أحلّ ببني النضير. وإنما عنى
بالأبصار في هذا الموضع أبصار القلوب، وذلك أن الاعتبار بها يكون دون الإبصار
بالعيون"^(٢).

قال السمعاني: " الاعتبار: هو النظر في الشيء ليعرف به جنسه ومثله. وقيل معناه:
فانظروا وتدبروا يا ذوي العقول والفهوم، كيف سلط الله المؤمنين عليهم، وسلطهم على أنفسهم؟
وقد استدلت بهذه الآية على جواز القياس في الأحكام، لأن القياس نوع اعتبار؛ إذ هو تعبير شيء
بمثله بمعنى جامع بينهما ليتفقا في حكم الشرع"^(٣).

القرآن

{وَلَوْ لَأَنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ} [الحشر : ٣]

التفسير:

ولولا أن كتب الله عليهم الخروج من ديارهم وقضاه، لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي، ولهم في
الآخرة عذاب النار.

قوله تعالى: {وَلَوْ لَأَنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا} [الحشر : ٣]، أي: " ولولا
أن كتب الله عليهم الخروج من ديارهم وقضاه، لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي"^(٤).

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: ولولا أن الله قضى وكتب على هؤلاء اليهود من بني
النضير في أم الكتاب الجلاء من أرضهم وديارهم، لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي، ولكنه رفع
العذاب عنهم في الدنيا بالقتل، وجعل عذابهم في الدنيا والجلاء. و«الجلاء»: هو الانتقال من
موضع إلى موضع، وبلدة إلى أخرى"^(٥).

قال الزمخشري: " يعني: أن الله قد عزم على تطهير أرض المدينة منهم وإراحة
المسلمين من جوارهم وتوريتهم أموالهم، فلولا أنه كتب عليهم الجلاء واقتضته حكمته ودعاه إلى
اختياره أنه أشق عليهم من الموت لعذبهم في الدنيا بالقتل كما فعل بإخوانهم بنى قريظة"^(٦).

وفي معنى: «الجلاء»، أقوال:

أحدها: أن «الجلاء»: الفناء. قاله عكرمة^(٧).

قال ابن كثير: " أي : لولا أن كتب الله عليهم هذا الجلاء، وهو النفي من ديارهم
وأموالهم، لكان لهم عند الله عذاب آخر من القتل والسبي"^(٨).

الثاني: أنه القتل. قاله عكرمة أيضا-^(٩).

الثالث: يعني بـ «الجلاء»: خروج الناس من أرض إلى أخرى. وهذا قول ابن عباس^(١٠)،
وقتادة^(١١).

(١) معاني القرآن: ١٤٣/٣.

(٢) تفسير الطبري: ٢٦٦/٢٣.

(٣) تفسير السمعاني: ٣٩٧/٢.

(٤) التفسير الميسر: ٥٤٥.

(٥) تفسير الطبري: ٢٦٦/٢٣-٢٦٧.

(٦) الكشف: ٥٠٠/٤.

(٧) انظر: تفسير ابن كثير: ٦٠/٨.

(٨) تفسير ابن كثير: ٦٠/٨.

(٩) انظر: تفسير ابن كثير: ٦٠/٨.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٧/٢٣.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٧/٢٣.

قال قتادة: الجلاء : " خروج الناس من البلد إلى البلد" (١).

قال ابن عباس: " الجلاء: إخراجهم من أرضهم إلى أرض أخرى" (٢).

قال أبو عبيدة: " جلوا من أرض إلى أرض جلاء وأجلبتهم أنا" (٣).

قال الثعلبي: «الجلاء»: " الخروج عن الوطن" (٤).

قال ابن خالويه: " يقال: استعمل فلان على الجالة والجالية، وهو الذي يأخذ الجزية من أهل الذمة" (٥).

قال الواحدي: " معنى «الجلاء» -في اللغة-: الخروج من الوطن والتحول منه، يقال منه: جلا القوم عن منازلهم. وتقول: أجلبناهم عن بلادهم فجلوا، كما قال الشاعر (٦):

وأجلوا عن مساكن فارقوها ... كما جلت الفراخ من العشاش

يقول: لولا أن الله قضى عليهم أنهم يخرجون عن أوطانهم بالمدينة إلى الشام وخيبر، قوله تعالى: {لَعَذَابُهُمْ فِي الدُّنْيَا بِالْقَتْلِ وَالسَّبْيِ، ولسلطكم عليهم كما فعل بقريظة، والمعنى: أنه رفع العذاب عنهم في الدنيا بالقتل وجعل عذابهم في الدنيا الجلاء" (٧).

قال الزهري: " كان النضير من سبب لم يصبهم جلاء فيما مضى، وكان الله قد كتب عليهم الجلاء، ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي" (٨).

والفرق بين «الجلاء والإخراج» - وإن كان معناهما في الإبعاد واحد - من وجهين (٩):

أحدهما: أن «الجلاء»: ما كان مع الأهل والولد، والإخراج قد يكون مع بقاء الأهل والولد.

الثاني: أن «الجلاء»: لا يكون إلا لجماعة، والإخراج يكون لجماعة ولو واحد.

عن يزيد بن رومان: " {وَلَوْ لَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ}، وكان لهم من الله نعمة، {لَعَذَابُهُمْ فِي الدُّنْيَا}، أي: بالسيف" (١٠).

قال ابن عباس: " كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد حاصرهم حتى بلغ منهم كل مبلغ، فأعطوه ما أراد منهم، فصالحهم على أن يحقن لهم دماءهم، وأن يخرجهم من أرضهم وأوطانهم، ويسيرهم إلى أذرعات الشام، وجعل لكل ثلاثة منهم بعيراً وسقاء" (١١).

قال السمعاني: " واستدل بعضهم بهذه الآية على أن الإخراج من الدار بمنزلة القتل؛ وعليه يدل قوله تعالى: {أَنْ أَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ} [النساء: ٦٦]" (١٢).

قوله تعالى: {وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ} [الحشر: ٣]، أي: " ولهم في الآخرة عذاب النار" (١٣).

قال الطبري: " مع ما حلّ بهم من خزي الدنيا بالجلاء عن أرضهم ودورهم" (١٤).

قال الزمخشري: " {وَلَهُمْ} -سواء أجلوا أو قتلوا- {عَذَابُ النَّارِ}، يعنى: إن نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب الآخرة" (١٥).

(١) أخرجه الطبري: ٢٦٧/٢٣.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٦٧/٢٣.

(٣) مجاز القرآن: ٢٥٦/٢.

(٤) الكشف والبيان: ٢٧٠/٩.

(٥) كتاب إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم: ١٠٧.

(٦) الشعر بلا نسبة في "التفسير البسيط": ٣٦٩/٢١، ولم أقف على قائله فيما توفرت عندي من المصادر.

(٧) التفسير البسيط: ٣٦٩/٢١.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٦٧/٢٣.

(٩) انظر: النكت والعيون: ٥٠١/٥.

(١٠) أخرجه الطبري: ٢٦٧/٢٣.

(١١) أخرجه الطبري: ٢٦٨/٢٣.

(١٢) تفسير السمعاني: ٣٩٧/٥.

(١٣) التفسير الميسر: ٥٤٥.

(١٤) تفسير الطبري: ٢٦٧/٢٣.

(١٥) الكشاف: ٥٠٠/٤.

قال ابن كثير: "أي: حتم لازم لا بد لهم منه"^(١).
عن يزيد بن رومان: "وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ، مع ذلك"^(٢).

القرآن

{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤)} [الحشر : ٤]

التفسير:

ذلك -الذي أصاب اليهود في الدنيا وما ينتظرهم في الآخرة- لأنهم خالفوا أمر الله وأمر رسوله أشدَّ المخالفة، وحاربوهما وسعوا في معصيتهما، ومن يخالف الله ورسوله فإن الله شديد العقاب له.

قوله تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ} [الحشر : ٤]، أي: "ذلك -الذي أصاب اليهود في الدنيا وما ينتظرهم في الآخرة- لأنهم خالفوا أمر الله وأمر رسوله أشدَّ المخالفة، وحاربوهما وسعوا في معصيتهما"^(٣).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: هذا الذي فعل الله بهؤلاء اليهود ما فعل بهم من إخراجهم من ديارهم، وقذف الرعب في قلوبهم من المؤمنين، وجعل لهم في الآخرة عذاب النار بما فعلوا هم في الدنيا من مخالفتهم الله ورسوله في أمره ونهيه، وعصيائهم ربهم فيما أمرهم به من اتباع محمد -صلى الله عليه وسلم-"^(٤).

قال يحيى بن سلام: "يعني: عادوا الله ورسوله. وكقول شعيب: {لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي} يقول: لا تحملنكم عدواني"^(٥).

قال القشيري: "ذلك بأنهم خالفوا أمر الله. و«المشاققة»: أن يتحول المرء إلى شقِّ آخر"^(٦).

قال السمعاني: "أي: نازعوا الله ورسوله"^(٧).

قال السعدي: "عادوهما وحاربوهما، وسعوا في معصيتهما"^(٨).

قال ابن كثير: "أي: إنما فعل الله بهم ذلك وسلط عليهم رسوله وعباده المؤمنين؛ لأنهم خالفوا الله ورسوله، وكذبوا بما أنزل الله على رسله المتقدمين في البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم، وهم يعرفون ذلك كما يعرفون أبناءهم"^(٩).

قال الزجاج: "شاقوا: جانبوا، صاروا في شق غير شق المؤمنين، ومثل شاقوا جانبوا وحازبوا وحاربوا، معنى «حازبوا»: صار هؤلاء حزبا وهؤلاء حزبا"^(١٠).

قال ابن عباس: "يريد: حاربوا الله وحاربوا رسوله"^(١١).

قال قتادة: "الشقاق: الفراق"^(١٢).

قوله تعالى: {وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [الحشر : ٤]، أي: "ومن يخالف الله ورسوله فإن الله شديد العقاب له"^(١).

(١) تفسير ابن كثير: ٦١/٨.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٦٧/٢٣.

(٣) التفسير الميسر: ٥٤٦.

(٤) تفسير الطبري: ٢٦٨/٢٣.

(٥) التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه: ١٥٥.

(٦) لطائف الإشارات: ٥٥٨/٣.

(٧) تفسير السمعاني: ٢٥٢/٢.

(٨) تفسير السعدي: ٨٥٠.

(٩) تفسير ابن كثير: ٦١/٨.

(١٠) معاني القرآن: ٤٠٥/٢.

(١١) التفسير البسيط للواحدى: ٥٧/١٠.

(١٢) تفسير ابن أبي زمنين: ١٦٩/٢.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: ومن يخالف الله في أمره ونهيه، فإن الله شديد العقاب"^(٢).

قال السعدي: "عادوهما وحاربهما، وسعوا في معصيتهما"^(٣).
عن علي بن زيد، قال: "تلا مطرف هذه الآية: [شديد العقاب]، قال: لو يعلم الناس قدر عقوبة الله، ونقمة الله، وبأس الله، ونكال الله، لما رقا لهم دمع، وما قرت أعينهم بشيء"^(٤).

القرآن

{مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ (٥)}

[الحشر: ٥]

التفسير:

ما قطعتم -أيها المؤمنون- من نخلة أو تركتموها قائمة على ساقها، من غير أن تتعرضوا لها، فبإذن الله وأمره؛ وليُذَلَّ بذلك الخارجين عن طاعته المخالفين أمره ونهيه، حيث سلطكم على قطع نخيلهم وتحريقها.

في سبب نزول الآية وجوه:

أحدها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرق نخل بني النضير وقطع، فنزلت هذه الآية.
عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: «حرق رسول الله صلى الله عليه وسلم نخل بني النضير وقطع، وهي البويرة» فنزلت: {مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ} [الحشر: ٥]^(٥).

عن ابن عمر، «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع نخل بني النضير، وحرق»

ولها يقول حسان:

وَهَانَ عَلَىٰ سِرَاةِ بَنِي لُؤَيٍّ ... حَرِيقٌ بِالْبُؤَيْرَةِ مُسْتَطِيرٌ،

وفي ذلك نزلت: {مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا} [الحشر: ٥] الآية^(٦).

الثاني: أنها نزلت لاختلاف كان من المسلمين في قطعها وتركها.

قال قتادة: "فقطع المسلمون يومئذ النخل، وأمسك آخرون كراهية أن يكون إفساداً، فقالت اليهود: الله أذن لكم في الفساد؟ فأنزل الله: {مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ}"^(٧).

قال مجاهد: "نهى بعض المهاجرين بعضاً عن قطع النخل، وقالوا: إنما هي مغنم المسلمين، ونزل القرآن بتصديق من نهى عن قطعه، وتحليل من قطعه من الإثم، وإنما قطعه وتركه بإذنه"^(٨).

روي عن ابن عباس، في قول الله عز وجل: {مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ

أُصُولِهَا} قال: "اللينة النخلة، {وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ} قال: استنزلوهم من حصونهم، قال: أمروا

(١) التفسير الميسر: ٥٤٦.

(٢) تفسير الطبري: ٢٦٨/٢٣.

(٣) تفسير السعدي: ٨٥٠.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١٥): ص ٣٤٥/١.

(٥) أخرجه البخاري في المغازي (٤٠٣١) وفي التفسير (٤٨٨٤). وأخرجه مسلم في الجهاد والسير (٢٩)

(٦) ١٧٤٦ ص (١٣٦٥). وأبو داود في الجهاد (٢٦١٥)، وأخرجه الترمذي في السير (١٥٥٢) وفي التفسير

(٣٣٠٢) وقال: هذا حديث حسن صحيح. وأخرجه النسائي في التفسير (٥٩٣). وزاد السيوطي نسبه في الدر

(١٨٨ / ٦) لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن جرير والبيهقي في الدلائل.

(٦) أخرجه البخاري في الجهاد (٣٠٢١)، ومسلم في الجهاد والسير (٣٠ / ١٧٤٦) ص [واللفظ له] ١٣٦٥، وزاد

المزي نسبه في تحفة الأشراف (٨٤٥٧) للنسائي في السير في الكبرى. وأخرجه الطبري في تفسيره

(٢٧٢/٢٣). وزاد السيوطي نسبه في الدر (١٨٨ / ٦) لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن مردويه والبيهقي

في الدلائل.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٧١/٢٣.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٧٢/٢٣.

بقطع النخل فحك في صدورهم. فقال المسلمون: قد قطعنا بعضا وتركنا بعضا، فلنسالن رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لنا فيما قطعنا من أجر؟ وهل علينا فيما تركنا من وزر؟ فأنزل الله تعالى: {مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا}، الآية^(١).
الثالث: أنها نزلت لقول اليهود لرسول الله-صلى الله عليه وسلم-: إنك كنت تنهى عن الفساد وتعيبه، فما بالك تقطع نخلنا وتُحرقها؟ فأنزل الله هذه الآية، فأخبرهم أن ما قطع من ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ترك، فعن أمر الله فعل.
قال الزجاج: "فأنكر بنو النضير قطع النخل، فأعلم الله - عز وجل - أن ذلك بإذنه القطع والترك جميعا"^(٢).

قال يزيد بن رومان: "لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم، يعني ببني النضير تحصنوا منه في الحصون، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع النخل، والتحريق فيها، فنادوه: يا محمد، قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه، فما بال قطع النخل وتحريقها؟ فأنزل الله عز وجل: {مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ}"^(٣).

قال مقاتل: "وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم- أمر بقطع ضرب من النخيل من أجود التمر، يقال له: اللين، شديد الصفرة ترى النواة من اللحي من أجود التمر بغيب فيه الضرس، النخلة أحب إلى أحدهم من وصيف، فجزع أعداء الله لما رأوا ذلك الضرب من النخيل يقطع. فقالوا: يا محمد، أوجدت فيما أنزل الله عليك الفساد في الأرض أو الإصلاح في الأرض، فأكثروا القول ووجد المسلمون زمامة من قطعهم النخيل خشية أن يكون فسادا، فأنزل الله- تعالى-: {مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ} وكانوا قطعوا أربع نخلات كرام عن أمر النبي- صلى الله عليه وسلم- غير العجوة"^(٤).

قال الواحدي: "وذلك: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل ببني النضير، وتحصنوا في حصونهم، أمر بقطع نخيلهم وإحراقها، فجزع أعداء الله عند ذلك، وقالوا: زعمت يا محمد أنك تريد الإصلاح، أفمن صلاح عقر الشجر المثمر وقطع النخيل؟ وهل وجدت فيما زعمت: أنه أنزل عليك، الفساد في الأرض؟ فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم. فوجد المسلمون في أنفسهم من قولهم، وخشوا أن يكون ذلك فسادا، واختلفوا في ذلك، فقال بعضهم: لا تقطعوا فإنه مما أفاء الله علينا، وقال بعضهم: بل اقطعوا. فأنزل الله تبارك وتعالى: {لَمَّا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ} ... الآية، تصديقا لمن نهى عن قطعه، وتحليلا لمن قطعه. وأخبر: أن قطعه وتركه بإذن الله تعالى"^(٥).

قال الماوردي: "وفيه دليل على أن كل مجتهد مصيب"^(٦).

الرابع: ما روي عن الأوزاعي، قال: "أتى النبي صلى الله عليه وسلم يهودي فسأله عن المشيئة، فقال: «المشيئة لله تعالى»، قال: فإنني أشاء أن أقوم، قال: قد شاء الله أن تقوم، قال: فإنني أشاء أن أقعد، قال: «فقد شاء الله أن تقعد»، قال: فإنني أشاء أن أقطع هذه النخلة قال: فقد شاء الله أن تقطعها" قال: فإنني أشاء أن أتركها قال: «فقد شاء الله أن تتركها» قال: فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام، فقال: لقلت حجبتك كما لقنها إبراهيم عليه السلام قال: ونزل القرآن فقال: {لَمَّا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ} [الحشر: ٥]"^(٧).

(١) سنن الترمذي(٣٣٠٣):ص٢٦٢/٥، وقال: " هذا حديث حسن غريب، وروى بعضهم هذا الحديث عن حفص بن غياث، عن حبيب بن أبي عمرة، عن سعيد بن جبير، مرسلا ولم يذكر فيه عن ابن عباس".

(٢) معاني القرآن: ١٤٤/٥.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٧١/٢٣.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٧٦/٤-٢٧٧.

(٥) أسباب النزول: ٤٣٦-٤٣٧.

(٦) النكت والعيون: ٥٠٢/٥.

(٧) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات(٢٩٦):ص٣٦٧/١، والواحدي في "أسباب النزول": ٤٣٨، وانظر:

قوله تعالى: {مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ} [الحشر: ٥]، أي: "ما قطعتم -أيها المؤمنون- من نخلة أو تركتموها قائمة على ساقها، من غير أن تتعرضوا لها، فبإذن الله وأمره"^(١).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: ما قطعتم من ألوان النخل، أو تركتموها قائمة على أصولها، فبأمر الله قطعتم ما قطعتم، وتركتم ما تركتم، وليغيظ بذلك أعداءه، ولم يكن فسادًا"^(٢).
قال السعدي: "لما لام بنو النضير رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين في قطع النخيل والأشجار، وزعموا أن ذلك من الفساد، وتوصلوا بذلك إلى الطعن بالمسلمين، أخبر تعالى أن قطع النخيل إن قطعوه أو إبقاءهم إياه إن أبقوه، إنه بإذنه تعالى، وأمره {وَلْيُخْزِي الْفَاسِقِينَ} حيث سلطكم على قطع نخلم، وتحريقها، ليكون ذلك نكالا لهم، وخزيا في الدنيا، وذلا يعرف به عجزهم التام، الذي ما قدروا على استنقاذ نخلم، الذي هو مادة قوتهم"^(٣).
قال يزيد بن رومان: "أي: فبأمر الله قطعت، ولم يكن فسادًا، ولكن نقمة من الله، وليخزي الفاسقين"^(٤).

وفي معنى: «اللين» أقوال^(٥):

أحدها: أن «اللين»: ما دون العجوة من النخل. قاله ابن عباس^(٦)، وعكرمة^(٧)، وقتادة^(٨)، والزهري^(٩)، ويزيد بن رومان^(١٠).

قال ابن عباس: "النخلة دون العجوة"^(١١).

قال قتادة: "اللين: ما خلا العجوة من النخل"^(١٢).

قال الزهري: "ألوان النخل كلها إلا العجوة"^(١٣).

قال يزيد بن رومان: "اللين ما خالف العجوة من التمر"^(١٤).

قال أبو عبيدة: "أي: من نخلة، وهي ألوان النخل ما لم تكن العجوة أو البرني"^(١٥).

قال الزجاج: "أي: ما قطعتم من نخلة، والنخل كله ما عدا البرني والعجوة يسميه أهل

المدينة: الألوان، وأصل لين: لونه، فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها فليلنة"^(١٦).

الثاني: النخلة من أي الأصناف كانت من غير استثناء، العجوة منه وغير العجوة. وهذا قول مجاهد^(١٧)، وعمرو بن ميمون^(١٨)، وعطية^(١٩)، وابن زيد^(٢٠)، وابن حبان^(١).

الدر المنثور: ١٩٢/٦.

(١) التفسير الميسر: ٥٤٦.

(٢) تفسير الطبري: ٢٦٨/٢٣، ٢٧٢.

(٣) تفسير السعدي: ٨٥٠.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٧٢/٢٣.

(٥) انظر: النكت والعيون: ٥٠٢/٥.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٩/٢٣.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٩/٢٣-٢٧٠.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٩/٢٣.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٩/٢٣.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٩/٢٣.

(١١) أخرجه الطبري: ٢٦٩/٢٣.

(١٢) أخرجه الطبري: ٢٦٩/٢٣.

(١٣) أخرجه الطبري: ٢٦٩/٢٣.

(١٤) أخرجه الطبري: ٢٦٩/٢٣.

(١٥) مجاز القرآن: ٢٥٦/٢.

(١٦) معاني القرآن: ١٤٤/٥.

(١٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٩/٢٣.

(١٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٧٠/٢٣.

(١٩) انظر: التفسير البسيط للواحد: ٣٧٠/٢١.

(٢٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٧٠/٢٣.

قال ابن زيد: " اللينة: النخلة؛ عجوة كانت أو غيرها، قال الله: {مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ}، قال: الذي قطعوا من نخل النضير حين غدرت النضير"^(٢).

وقال مجاهد: " نهى بعض المهاجرين بعضا عن قطع النخل، وقالوا: إنما هي مغنم المسلمين، ونزل القرآن بتصديق من نهى عن قطعه، وتحليل من قطعه من الإثم، وإنما قطعه وتركه بإذنه"^(٣).

الثالث: أن اللينة: لون من النخل. رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس^(٤).

الرابع: أنها كرام النخل، قاله سفيان^(٥).

قال سفيان: " من كرام نخلهم"^(٦).

الخامس: أنها العجوة خاصة، قاله جعفر بن محمد^(٧)، وذكر: " أن العتيق والعجوة كانا مع نوح في السفينة، والعتيق الفحل، وكانت العجوة أصل الإناث كلها ولذلك شق على اليهود قطعها"^(٨).

الرابع: أن اللينة: الفسيلة، لأنها ألين من النخلة، حكاه الماوردي^(٩)، وأنشد قول الشاعر:

غرسوا لينها بمجرى معين ... ثم حفوا النخيل بالأجام

الخامس: أنها ضرب من النخل ثمره أجود الثمر يرى نواه من ظاهره، النخلة منها أحب إليهم من وصيف^(١٠). قاله المقاتلان^(١١).

السادس: أن اللينة جميع الأشجار للينها بالحياة، حكاه الماوردي-أيضا-^(١٢)، وأنشد قول ذي الرمة^(١٣):

طِرَاقُ الْخَوَافِي وَأَقْعُ فَوْقَ لِينَةٍ ... نَدَى لَيْلِهِ فِي رَيْشِهِ يَتَرَفَّرُ

قال الأخفش: سميت لينة اشتقاقاً من اللون لا من اللين^(١٤).

قال الطبري: " الصواب من القول في ذلك قول من قال: اللينة: النخلة، وهن من ألوان

النخل ما لم تكن عجوة، وإياها عنى ذو الرمة بقوله^(١٥):

طِرَاقُ الْخَوَافِي وَأَقْعُ فَوْقَ لِينَةٍ ... نَدَى لَيْلِهِ فِي رَيْشِهِ يَتَرَفَّرُ"^(١٦).

قال السعدي: " اللينة: اسم يشمل سائر النخيل على أصح الاحتمالات وأولاهها"^(١٧).

(١) انظر: النكت والعيون: ٥٠٢/٥.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٧٠/٢٣.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٦٩/٢٣-٢٧٠.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٧٠/٢٣.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٧٠/٢٣.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٧٠/٢٣.

(٧) انظر: النكت والعيون: ٥٠٢/٥.

(٨) نقلا عن: النكت والعيون: ٥٠٢/٥.

(٩) انظر: النكت والعيون: ٥٠٢/٥.

(١٠) الوصيف: الخادم، غلاما كان أو جارياً.

(١١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٧٧/٤، والكشف والبيان: ٢٧١/٩، والتفسير البسيط للواحدي:

٣٧١/٢١، وتفسير البغوي: ٧٢/٨، وزاد المسير: ٢٠٨/٨، وتفسير القرطبي: ٩/١٨.

(١٢) انظر: النكت والعيون: ٥٠٢/٥.

(١٣) ديوان ذي الرمة: ١٧٥.

(١٤) انظر: معاني القرآن: ٥٣٨/٢. [بتصرف]

(١٥) البيت لذي الرمة (اللسان: ريع) والرواية فيه "ريعه" في موضع "لينة"، وأنشده أبو عبيدة، "مجاز القرآن"

٨٨/٢، وفيه: مشرف، بدل: واقع. وأنشده ابن قتيبة، "غريب القرآن" ٣١٨، ونسبه لذي الرمة، وفيه: مشرفاً،

بدل: واقع. يصف ذي الرمة نظره كنظر البازي-نوع من الطيور- ومعنى: طراق: بعضه على بعض،

والخوافي: ما دون القوادم من جناح الطائر، والربيعة: المكان المرتفع، ويترقق: يجيء ويذهب. "ديوان ذي

الرمة" ١٧٥.

(١٦) تفسير الطبري: ٢٧٠/٢٣.

(١٧) تفسير السعدي: ٨٥٠.

قال الشافعي رحمه الله: ولا بأس بقطع الشجر المثمر - وغير المثمر - . وتخريب العامر، وتحريفه من بلاد العدو، وكذلك لا بأس بتحريق ما قدر لهم عليه من مال وطعام لا روح فيه؛ لأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حرق نخل بني النضير، وأهل خيبر، وأهل الطائف، وقطع، فأنزل الله - عزَّ وجلَّ - في بني النضير: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا﴾، فأما ماله روح: فإنه يألم مما أصابه فقتله محرم، إلا بأن يذبح فيؤكل، ولا يحل قتله لمغاظة العدو؛ لأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «من قتل عصفوراً فما فوقها بغير حقها سأله الله عنها». قيل: وما حقها يا رسول الله؟ قال: "يدعها فيأكلها ولا يقطع رأسها فيرمي به" (١). الحديث (٢).

وفي قراءة عبد الله: «ما قطعتم من لينة ولا تركتم قوما على أصوله إلا باذن الله» (٣). قوله تعالى: ﴿وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الحشر : ٥]، أي: "وليدلَّ بذلك الخارجين عن طاعته المخالفين أمره ونهيه، حيث سلطكم على قطع نخيلهم وتحريقها" (٤). قال الطبري: "وليدلَّ الخارجين عن طاعة الله عزَّ وجلَّ، المخالفين أمره ونهيه، وهم يهود بني النضير" (٥).

قال الزجاج: "بأن يريهم أموالهم يتحكم فيها المسلمون كيف أحبوا" (٦).

قال ابن عباس: "يخبرهم أنها نعمة منه" (٧).

قال ابن شهاب: "لتغيظهم" (٨).

عن محمد بن شهاب الزهري، قال: "بلغني: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أحرق بعض أموال بني النضير، فقال قائل: فهان على سراة بني لؤي ... حريقاً بالبؤيرة مستطير" (٩). قال مقاتل بن حيان: "يعني يهود أهل النضير وكان قطع النخل وعقر الشجر خزيًا لهم" (١٠).

فوائد الآيات: [١-٥]:

١- بيان جلال الله وعظمته مع عزه وحكمته في تسيبته من كل المخلوقات العلوية والسفلية وفي إجلاء بني النضير من ديارهم وهو أول حشر وإجلاء تم لهم وسيعقبه حشر ثان وثالث (١).

(١) «من قتل عصفورا بغير حقه سأله الله عنه يوم القيامة قالوا وما حقه قال يذبحه ذبحا ولا يأخذ بعنقه فيقطعه».

أخرجه أحمد (١٩٧/٢، رقم ٦٨٦١)، والبيهقي (٢٧٩/٩، رقم ١٨٩١٢). وأخرجه أيضا: الطيالسي (ص ٣٠١، رقم ٢٢٧٩)، والبخاري (٤٣٣/٦، رقم ٢٤٦٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٨٣/٧، رقم ١١٠٧٥)، والخطيب في موضح أوهام الجمع والتفريق (٥١٩/١).

وفي لفظ: «من قتل عصفورا عبثا عج إلى الله يوم القيامة منه يقول يا رب إن فلانا قتلني عبثا ولم يقتلني لمنفعة».

أخرجه أحمد (٣٨٩/٤، رقم ١٩٤٨٨)، والنسائي (٢٣٩/٧، رقم ٤٤٤٦)، وابن قانع (٣٤٣/١)، وابن حبان (٢١٤/١٣، رقم ٥٨٩٤)، والطبراني (٣١٧/٧، رقم ٧٢٤٥)، وأخرجه أيضا: البخاري في التاريخ الكبير (٢٧٧/٤)، وابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (٢١٤/٣، رقم ١٥٧٢)، والخطيب (١١/٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٨٣/٧، رقم ١١٠٧٦).

ومن غريب الحديث: "عج": وهو رفع الصوت بالتلبية.

(٢) تفسير الإمام الشافعي: ١٣٢١/٣.

(٣) معاني القرآن للفراء: ١٤٤/٣.

(٤) التفسير الميسر: ٥٤٦.

(٥) تفسير الطبري: ٢٧٣/٢٣.

(٦) معاني القرآن: ١٤٤/٥.

(٧) الدر المنثور: ٩٢/٨، وعزاه إلى ابن إسحاق، وابن مردويه. وانظر: سيرة ابن هشام ١٩٢/٢ - ١٩٥.

(٨) الدر المنثور: ٩٨/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٩) الدر المنثور: ٩٨/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(١٠) أخرجه البيهقي في الدلائل ٣/٣٥٨، وانظر: الدر المنثور: ٩٨/٨.

٢- بيان أكبر عبرة في خروج بني النضير، وذلك لما كان لهم من قوة ولما عليه المؤمنون من ضعف ومع هذا فقد انهزموا شر هزيمة وتركوا البلاد والأموال ورحلوا إلى غير رجعة. فعلى مثل هذا يتعظ المتعظون فإنه لا قوة تنفع مع قوة الله، فلا يغتر العقلاء بقواهم المادية بل عليهم أن يعتمدوا على الله أولاً وآخرأ.

٣- علة هزيمة بني النضير ليست إلا محادثتهم لله والرسول ومخالفتهم لهما وهذه سنته تعالى في كل من يحاده ويحاد رسوله فإنه ينزل به أشد أنواع العقوبات.

٤- عفو الله تعالى على المجتهد إذا أخطأ وعدم مؤاخذته، فقد اجتهد المؤمنون في قطع نخل بني النضير من أجل إغاضتهم حتى ينزلوا من حصونهم. وأخطأوا في ذلك إذ قطع النخل المثمر فساد، ولكن الله تعالى لم يؤاخذهم لأنهم مجتهدون.

القرآن

﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أُوجِفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحشر : ٦]

التفسير:

وما أفاءه الله على رسوله من أموال يهود بني النضير، فلم تركبوا لتحصيله خيلاً ولا إبلاً ولكن الله يسلِّط رسوله على مَنْ يَشَاءُ مِنْ أَعْدَائِهِ، فيستسلمون لهم بلا قتال. والله على كل شيء قدير لا يعجزه شيء.

سبب نزول الآيتين: [٦، ٧]:

قال ابن عباس: "أمر الله عزّ وجلّ نبيه بالسير إلى قريظة والنضير، وليس للمسلمين يومئذ كثير خيل ولا ركاب، فجعل ما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلّم يحكم فيه ما أراد، ولم يكن يومئذ خيل ولا ركاب يوجف بها. قال: والإيجاف: أن يوضعوا السير، وهي لرسول الله صلى الله عليه وسلّم، فكان من ذلك خيبر وفدك وفري عريبة، وأمر الله رسوله أن يعد لينبع، فأتاها رسول الله صلى الله عليه وسلّم، فاحتواها كلها، فقال ناس: هلا قسمها، فأنزل الله عزّ وجلّ عذره، فقال: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾، ثم قال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ ... الآية"^(٢).

وحكى الكلبي: "أنها نزلت في رؤساء المسلمين قالوا فيما ظهر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم- من أموال المشركين، يا رسول الله صفيك والربع ودعنا والباقي فهكذا كنا نفعل في الجاهلية

لك المرباع منها والصفايا ... وحكمك والنشيطه والفضول
فأنزل الله هذه الآية"^(٤).

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ﴾ [الحشر : ٦]، أي: "وما أعاد الله وردّه غنيمة على رسوله من أموال يهود بني النضير"^(٥).

(١) الحشر: أي الجمع الأول هو إجلاؤهم من المدينة، والثاني: هو إجلاؤهم عن الديار الحجازية على يد عمر رضي الله عنه لوصية الرسول صلى الله عليه وسلّم بذلك في قوله " لا يجتمع دينان في الجزيرة" والثالث: هو إجلاؤهم من فلسطين بعد تجمعهم فيها وإقام دولتهم. جاء بهذا حديث مسلم "لتقاتلن اليهود ... " الحديث فسوف يتم إجلاؤهم حتى لا يجتمعوا مرة أخرى إلى قيام الساعة.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٧٤/٢٣-٢٧٥.

(٣) لعبد الله بن عنة الضبي في: "الأصمعيات" ص ٣٧، "تهذيب اللغة" ٢ / ٣٦٩، ١١ / ٣١٤، ١٢ / ٤١، ٢٤٩، "لسان العرب" ١١ / ٥٢٦ (فضل)، ١٤ / ٤٦٢ (صفا)، "تاج العروس" ٢١ / ٢٠ (نشط).

(٤) انظر: النكت والعيون: ٥ / ٥٠٤.

(٥) صفوة التفسير: ٣ / ٣٣٠.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: والذي رده الله على رسوله منهم، يعني من أموال بني النضير. وقيل: إنه عنى بذلك أموال قريظة"^(١).

عن يزيد بن رومان: "وَمَا أَقَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ"، يعني: بني النضير"^(٢).

وقال الضحاك: "يعني: يوم قريظة"^(٣).

قوله تعالى: {فَمَا أُوجِفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ} [الحشر : ٦]، أي: "فلم تركبوا لتحصيله خيلا ولا إبلًا"^(٤).

قال الطبري: "يقول: فما أوضعتم فيه من خيل ولا في إبل وهي الركاب. وإنما وصف جل ثناؤه الذي أقاءه على رسوله منهم بأنه لم يوجف عليه بخيل من أجل أن المسلمين لم يلقوا في ذلك حرباً، ولا كلفوا فيه مؤونة، وإنما كان القوم معهم، وفي بلادهم، فلم يكن فيه إيجاف خيل ولا ركاب"^(٥).

قال ابن كثير: "الفيء: كل مال أخذ من الكفار بغير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب، كأموال بني النضير هذه، فإنها مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، أي: لم يقاتلوا الأعداء فيها بالمبارزة والمصالحة، بل نزل أولئك من الرعب الذي ألقى الله في قلوبهم من هيبه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأقاهه الله على رسوله؛ ولهذا تصرف فيه كما شاء، فردّه على المسلمين في وجوه البر والمصالح التي ذكرها الله، عز وجل، في هذه الآيات"^(٦).

قال مقاتل: "يقول لم تركبوا فرسا، ولا بعيرا، ولكن مشيتم مشيا حتى فتحتموها، غير أن النبيّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ركب حمارا له"^(٧).

قال الزجاج: "يعني: ما أقاء الله على رسوله من بني النضير مما لم يوجفوا عليه خيلا ولا ركابا - والركاب الإبل والوجيف دون التقريب من السير، يقال: وجف الفرس وأوجفته، والمعنى أنه لا شيء لكم فيه إنما هو لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - خالصا يعمل فيه ما أحب، وكذلك كل ما فتح على الأئمة مما لم يوجف المسلمون عليه خيلا ولا ركابا"^(٨).

فل مجاهد: "يذكر ربهم أنه نصرهم، وكفاهم بغير كراع، ولا عدة في قريظة وخيبر، ما أقاء الله على رسوله من قريظة، جعلها لمهاجرة قريش"^(٩).

قال قتادة: "يقول: ما قطعتم إليها واديا، ولا سرتم إليها سيرا، وإنما كان حوائط لبني النضير طعمة أطعمها الله رسوله، ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: "أيما قرية أعطت الله ورسوله، فهي لله ولرسوله، وأيما قرية فتحها المسلمون عنوة فإن الله خمسه ولرسوله وما بقي غنيمة لمن قاتل عليها"^(١٠).

قال الزهري: "صالح النبي صلى الله عليه وسلم أهل فدك وقرى قد سماها لا أحفظها، وهو محاصر قوما آخرين، فأرسلوا إليه بالصلح، قال: {فَمَا أُوجِفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ}، يقول: بغير قتال. قال الزهري: فكانت بنو النضير للنبي صلى الله عليه وسلم خالصة لم يفتحوها عنوة، بل على صلح، فقسمها النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين لم يعط الأنصار منها شيئا، إلا رجلين كانت بهما حاجة"^(١١).

(١) تفسير الطبري: ٢٧٣/٢٣.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٧٤/٢٣.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٧٥/٢٣.

(٤) التفسير الميسر: ٥٤٦.

(٥) تفسير الطبري: ٢٧٣/٢٣.

(٦) تفسير ابن كثير: ٦٥/٨.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٧٨/٤.

(٨) معاني القرآن: ١٤٥/٥.

(٩) أخرجه الطبري: ٢٧٤/٢٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٢٧٣/٢٣.

(١١) أخرجه الطبري: ٢٧٤-٢٧٣/٢٣.

قوله تعالى: {وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ} [الحشر : ٦]، أي: "ولكن الله يسلِّط رسله على من يشاء من أعدائه، فيستسلمون لهم بلا قتال"^(١).

قال الطبري: "يخبر بذلك جل ثناؤه أن ما أفاء الله عليه من أموال لم يُوجف المسلمون بالخيال والركاب، من الأعداء مما صالحوه عليه له خاصة يعمل فيه بما يرى. يقول: فمحمد صلى الله عليه وسلم إنما صار إليه أموال بني النضير بالصلح لا عنوة، فتقع فيها القسمة"^(٢).

قوله تعالى: {وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [الحشر : ٦]، أي: "والله على كل شيء قدير لا يعجزه شيء"^(٣).

قال الطبري: "يقول: والله على كل شيء أراده ذو قدرة لا يُعجزه شيء، وبفُدرته على ما يشاء سلط نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم على ما سلط عليه من أموال بني النضير، فحازه عليهم"^(٤).

قال ابن كثير: "أي: هو قدير لا يغالب ولا يمانع، بل هو القاهر لكل شيء"^(٥).

القرآن

{مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٧)} [الحشر : ٧]

التفسير:

ما أفاءه الله على رسوله من أموال مشركي أهل القرى من غير ركوب خيل ولا إبل فله ولرسوله، يُصرف في مصالح المسلمين العامة، ولذي قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم بنو هاشم وبنو المطلب، واليتامى وهم الأطفال الفقراء الذين مات آباؤهم، والمساكين، وهم أهل الحاجة الذين لا يملكون ما يكفيهم ويسد حاجتهم، وابن السبيل، وهو الغريب المسافر الذي نَوَدت نفقته وانقطع عنه ماله؛ وذلك حتى لا يكون المال ملكاً متداولاً بين الأغنياء وحدهم، ويحرم منه الفقراء والمساكين. وما أعطاكم الرسول من مال، أو شرعه لكم من شرع، فخذوه، وما نهاكم عن أخذه أو فعله فانتهوا عنه، واتقوا الله بامتثال أوامره وترك نواهيه. إن الله شديد العقاب لمن عصاه وخالف أمره ونهيه.

قوله تعالى: {مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ} [الحشر : ٧]، أي: "ما أفاءه الله على رسوله من أموال مشركي أهل القرى من غير ركوب خيل ولا إبل"^(٦).

قال الطبري: يعني: "الذي ردّ الله عزّ وجلّ على رسوله من أموال مشركي القرى"^(٧).

قال ابن كثير: "أي: جميع البلدان التي تُفْتَحُ هكذا، فحكمها حكم أموال بني النضير"^(٨).

قال مقاتل: "يعني: قريظة والنضير، وخيبر، وفدك، وقريتي عرينة"^(٩).

اختلف العلماء في المراد بهذا «الفيء»، على أقوال:

أحدها: عني بذلك الجزية والخراج. وهذا قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه-^(١٠)، وابن شهاب الزهري^(١١)، ومعر^(١).

- (١) التفسير الميسر: ٥٤٦.
- (٢) تفسير الطبري: ٢٧٥/٢٣.
- (٣) التفسير الميسر: ٥٤٦.
- (٤) تفسير الطبري: ٢٧٥/٢٣.
- (٥) تفسير ابن كثير: ٦٥/٨.
- (٦) التفسير الميسر: ٥٤٦.
- (٧) تفسير الطبري: ٢٧٥/٢٣.
- (٨) تفسير ابن كثير: ٦٥/٨.
- (٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٧٨/٤.
- (١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٧٦/٢٣.
- (١١) الدر المنثور: ١٠٠/٨، وعزاه السيوطي إلى عبد الرزاق، وابن المنذر. وهو في تفسير عبد الرزاق ٢/

قال معمر: "بلغني أنها الجزية، والخراج: خراج أهل القرى"^(٢).
 روي عن مالك بن أوس بن الحدثان، قال: "قرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه: {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ}، حتى بلغ: {عَلَيْمٌ حَكِيمٌ}، ثم قال: هذه لهؤلاء، ثم قال: {وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى} ... الآية، ثم قال: هذه الآية لهؤلاء، ثم قرأ: {مَا أَقَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى}، حتى بلغ: {لِلْفُقَرَاءِ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ}، ثم قال: استوعبت هذه الآية المسلمين عامة، فليس أحد إلا له حق، ثم قال: لئن عشت لياتين الراعي وهو يسير حُمُرَه نصيبه، لم يعرق فيها جبينه"^(٣).
 الثاني: عنى بذلك الغنيمة التي يصيبها المسلمون من عدوهم من أهل الحرب بالقتال عنوة. وهذا قول يزيد بن الرومان^(٤).

عن يزيد بن رومان: "إِنَّمَا أَقَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ}، ما يوجف عليه المسلمون بالخيال والركاب، وفتح بالحرب عنوة، {فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ}، قال: هذا قسم آخر فيما أصيب بالحرب بين المسلمين على ما وضعه الله عليه"^(٥).

الثالث: أنه الغنيمة التي يأخذها المسلمون من أموال الكفار عنوة، وكانت في بدء الإسلام للذين سماهم الله ها هنا دون الغالبين الموجهين عليها، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى في الأنفال: {وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ} [الأنفال: ٤١]، الآية. وهذا قول قتادة^(٦).

قال قتادة: "فنسخت هذه ما كان قبلها في سورة الأنفال، وجعل الخمس لمن كان له الفياء في سورة الحشر، وكانت الغنيمة تقسم خمسة أخماس، فأربعة أخماس لمن قاتل عليها، ويقسم الخمس الباقي على خمسة أخماس، فخمس لله وللرسول، وخمس لقرابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حياته، وخمس لليتامى، وخمس للمساكين، وخمس لابن السبيل؛ فلما قضى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما هذين السهمين: سهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسهم قرابته، فحملا عليه في سبيل الله صدقة عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"^(٧).

الرابع: أنه ما صالح عليه أهل الحرب المسلمين من أموالهم، وقوله: {مَا أَقَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ}... الآيات، بيان قسم المال الذي ذكره الله في الآية التي قبل هذه الآية، وذلك قوله: {مَا أَقَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أُوجِفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ}. حكاها الطبري عن بعض المتفقهة من المتأخرين^(٨).

قال الطبري: "والصواب من القول في ذلك عندي أن هذه الآية حكمها غير حكم الآية التي قبلها، وذلك أن الآية التي قبلها مال جعله الله عز وجل لرسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- خاصة دون غيره، لم يجعل فيه لأحد نصيباً، وبذلك جاء الأثر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه"^(٩).

٢٨٤ ، و الطبري: ٢٧٦/٢٣، من قول معمر-كما سيأتي-.

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢٧٦/٢٣.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٧٦/٢٣.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٧٦/٢٣.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٧٦/٢٣-٢٧٧، ونواسخ القرآن لابن الجوزي: ٦٠٠/٢.

ويزيد بن رومان المدني، مولى آل الزبير، ثقة من الخامسة، مات سنة: ١٣٠هـ، وروايته عن أبي هريرة مرسلة. انظر: التقريب (٣٨٢).

(٥) أخرجه الطبري: ٢٧٦/٢٣-٢٧٧.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٧٧/٢٣، ونواسخ القرآن لابن الجوزي: ٦٠٠/٢.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٧٧/٢٣.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٧٧/٢٣.

(٩) تفسير الطبري: ٢٧٧/٢٣-٢٧٨.

عن مالك بن أوس بن الحدثان، قال: "أرسل إليّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فدخلت عليه، فقال: إنه قد حضر أهل أبيات من قومك وأنا قد أمرنا لهم برضخ، فاقسمه بينهم، فقلت: يا أمير المؤمنين مر بذلك غيري، قال: اقبضه أيها المرء فبيننا أنا كذلك، إذ جاء يرفأ مولاة، فقال: عبد الرحمن بن عوف، والزبير، وعثمان، وسعد يستأذنون، فقال: ائذن لهم؛ ثم مكث ساعة، ثم جاء فقال: هذا عليّ والعباس يستأذنان، فقال: ائذن لهما؛ فلما دخل العباس قال: يا أمير المؤمنين اقض بيني وبين هذا الغادر الخائن الفاجر، وهما جاءا يختصمان فيما أفاء الله على رسوله من أعمال بني النضير، فقال القوم: اقض بينهما يا أمير المؤمنين، وأرح كل واحد منهما من صاحبه، فقد طالعت خصومتها، فقال: أنشدكم الله الذي بإذنه تقوم السموات والأرض، أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تورت ما تركناه صدقة" قالوا: قد قال ذلك؛ ثم قال لهما: أتعلمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك؟ قالوا نعم؛ قال: فسأخبركم بهذا الفيء، إن الله خص نبيه صلى الله عليه وسلم بشيء لم يعطه غيره، فقال: {مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أُوجِفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ}، فكانت هذه لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة، فوالله ما احتازها دونكم، ولا استأثر بها دونكم، ولقد قسمها عليكم حتى بقي منها هذا المال، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفق على أهله منه سنتهم، ثم يجعل ما بقي في مال الله" (١).

قوله تعالى: {قُلِّلْهُ وَلِلرَّسُولِ} [الحشر : ٧]، أي: "فحكمتها أنها لله تعالى يضعها حيث يشاء، ولرسوله يصرها على نفسه وعلى مصالح المسلمين" (٢).

قال الزجاج: "معنى {قُلِّلْهُ}، أي: له أن يأمركم فيه بما أحب" (٣).
قال ابن الجوزي: "واختلف العلماء فيها يصنع بسهم الرسول صلى الله عليه وسلم بعد وفاته، فقال قوم: هو للخليفة بعده، وقال قوم: يصرف في المصالح، فعلى هذا تكون هذه الآية مبينة لحكم الفيء والتي في الأنفال (٤) مبينة لحكم الغنيمة فلا يتوجه نسخ" (٥).

عن علي بن الحسين، قال: "روى لنا الثقة أن عمر بن عبد العزيز، قال: دخلت آية الفيء في آية الغنائم، قال أحمد بن شيبويه هذا أشبه من قول قتادة، وسورة الحشر نزلت بعد الأنفال بسنة فمحال أن ينسخ ما قبل ما بعد" (٦).

عن ليث بن أبي رقية، قال: "كتب عمر بن عبد العزيز إلى أمراء الأجناد، أن سبيل الخمس سبيل الفيء" (٧).

قوله تعالى: {وَلِذِي الْقُرْبَىٰ} [الحشر : ٧]، أي: "ولأقرباء الرسول من بني هاشم وعبد المطلب" (٨).

قال الطبري: "يعني: ذوي قرابات النبي - صلى الله عليه وسلم - لأنهم قد منعوا الصدقة فجعل لهم حق في الفيء" (٩).

قال الزجاج: "معنى {قُلِّلْهُ}، أي: له أن يأمركم فيه بما أحب" (١).

(١) أخرجه الطبري: ٢٧٨/٢٣-٢٧٩.

(٢) صفوة التفسير: ٣/٣٣١.

(٣) معاني القرآن: ١٤٥/٥.

(٤) قوله تعالى: {وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (٤١) [الأنفال : ٤١].

(٥) نواسخ القرآن: ٦٠٢/٢. وإحكام الآية هو اختيار الطبري في جامع البيان ٢٧٧/٢٣-٢٧٨، والنحاس في ناسخه ص: ٢٣٢ - ٢٣٣ وابن العربي في أحكام القرآن ٤/١٧٧٣، ومكي بن أبي طالب في الإيضاح ص: ٣٧٠ - ٣٧١.

(٦) أخرجه ابن الجوزي في "نواسخ القرآن": ٦٠٢/٢.

(٧) أخرجه ابن الجوزي في "نواسخ القرآن": ٦٠٢/٢.

(٨) صفوة التفسير: ٣/٣٣١.

(٩) تفسير الطبري: ٢٧٩/٢٣.

قوله تعالى: {وَالْيَتَامَى} [الحشر : ٧]، أي: "ولليتامى الذين مات أبواؤهم" (٢).
قال الطبري: "وهم أهل الحاجة من أطفال المسلمين الذين لا مال لهم" (٣).
قوله تعالى: {وَالْمَسَاكِينَ} [الحشر : ٧]، أي: "وللمساكين ذوي الحاجة والفقير" (٤).
قال الطبري: "وهم الجامعون فاقدة وذلّ المسألة" (٥).
قوله تعالى: {وَأَيْنَ السَّبِيلِ} [الحشر : ٧]، أي: "وللغريب المنقطع في سفره" (٦).
قال الطبري: "وهم المنقطع بهم من المسافرين في غير معصية الله عزّ وجلّ" (٧).
قوله تعالى: {كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ} [الحشر : ٧]، أي: "وذلك حتى لا يكون المال ملكًا متداولًا بين الأغنياء وحدهم، ويحرم منه الفقراء والمساكين" (٨).
قال الطبري: "يقول جلّ ثناؤه. وجعلنا ما أفاء على رسوله من أهل القرى لهذه الأصناف، كيلا يكون ذلك الفيء دُولَةً يتداوله الأغنياء منكم بينهم، يصرفه هذا مرّة في حاجات نفسه، وهذا مرّة في أبواب البرّ وسبيل الخير، فيجعلون ذلك حيث شاءوا، ولكننا سننا فيه سنة لا تُغيّر ولا تُبدل" (٩).
قال ابن كثير: "أي : جعلنا هذه المصارف لمال الفيء لئلا يبقى مأكلة يتغلب عليها الأغنياء ويتصرفون فيها، بمحض الشهوات والآراء، ولا يصرفون منه شيئًا إلى الفقراء" (١٠).
قال الزمخشري: "كيلا يكون الفيء الذي حقه أن يعطى الفقراء ليكون لهم بلغة يعيشون بها جدا بين الأغنياء يتكاثرون به. أو كيلا يكون دولة جاهلية بينهم. ومعنى الدولة الجاهلية: أن الرؤساء منهم كانوا يستأخرون بالغنيمة لأنهم أهل الرياسة والدولة والغلبة، وكانوا يقولون من عزّ بزّ. والمعنى: كيلا يكون أخذه غلبة وأثرة جاهلية. ومنه قول الحسن: «اتخذوا عباد الله خولا، ومال الله دولا»، يريد: من غلب منهم أخذه واستأثر به. وقيل: «الدولة» ما يتداول، كالغرفة: اسم ما يعترف، يعنى: كيلا يكون الفيء شيئًا يتداوله الأغنياء بينهم ويتعاورونه، فلا يصيب الفقراء. والدولة- بالفتح- بمعنى التداول، أي: كيلا يكون ذا تداول بينهم. أو كيلا يكون إمساكه تداولًا بينهم لا يخرجونه إلى الفقراء" (١١).
عن سعيد بن المسيّب، قال: "قسّم عمر ذات يوم قسماً من المال، فجعلوا يُثنون عليه، فقال: ما أحقكم! لو كان لي ما أعطيتكم منه درهماً" (١٢).
عن الحسن البصري، قال: "كتب عمر إلى حذيفة: أن أعطِ الناس أعطيتهم وأرزاقهم. فكتب إليه: إنّا قد فعلنا، وبقي شيء كثير. فكتب إليه عمر: إنّه فيئهم الذي أفاء الله عليهم، ليس هو ليعمر، ولا لآل عمر، أقسمه بينهم" (١٣).
عن عبد الله بن أبي نجيح، قال: "المال ثلاثة: مَعْنَم، أو فيء، أو صدقة، فليس منه درهم إلا بين الله موضعه" (١٤).

- (١) معاني القرآن: ١٤٥/٥.
- (٢) صفوة التفاسير: ٣٣١/٣.
- (٣) تفسير الطبري: ٢٧٩/٢٣.
- (٤) صفوة التفاسير: ٣٣١/٣.
- (٥) تفسير الطبري: ٢٧٩/٢٣.
- (٦) صفوة التفاسير: ٣٣١/٣.
- (٧) تفسير الطبري: ٢٧٩/٢٣.
- (٨) التفسير الميسر: ٥٤٦.
- (٩) تفسير الطبري: ٢٧٩/٢٣.
- (١٠) تفسير ابن كثير: ٦٧/٨.
- (١١) الكشاف: ٥٠٣-٥٠٢/٤.
- (١٢) أخرجه البيهقي في سننه ٦/٣٥٨. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.
- (١٣) أخرجه ابن سعد ٣/٢٩٩.
- (١٤) الدر المنثور: ١٠٣/٨، وعزاه إلى أبي داود في ناسخه.

قوله تعالى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا} [الحشر : ٧]، أي: " . وما أعطاكم الرسول من مال، أو شرعه لكم من شرع، فخذوه، وما نهاكم عن أخذه أو فعله فانتهوا عنه" (١).

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: وما أعطاكم رسول الله صلى الله عليه وسلم مما أفاء عليه من أهل القرى فخذوه، {وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ} من الغلول وغيره من الأمور {فَانْتَهُوا} " (٢).
قال ابن كثير: " أي : مهما أمركم به فافعلوه، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه، فإنه إنما يأمر بخير وإنما ينهى عن شر " (٣).

قال الحسن: " يؤتيهم الغنائم ويمنعهم الغلول " (٤).

عن مسروق قال : " جاءت امرأة إلى ابن مسعود فقالت : بلغني أنك تنهى عن الواشمة والواصلة، أشيء وجدته في كتاب الله أو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : بلى، شيء وجدته في كتاب الله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم. قالت : والله لقد تصفحت ما بين دفتي المصحف فما وجدت فيه الذي تقول! قال : فما وجدت فيه : {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا} ؟ قالت : بلى. قال : فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن الواصلة والواشمة والنامصة. قالت : فلعله في بعض أهلك. قال : فادخلي فانظري. فدخلت فنظرت ثم خرجت، قالت : ما رأيت بأسا. فقال لها : أما حفظت وصية العبد الصالح : {وَمَا أَرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمُ عَنْهُ} " (٥).

عن ابن مسعود، قال : " لعن الله الواشحات والمستوشحات، والمتنمصات، والمتفلجات للحسن، المغيرات خلق الله، عز وجل. قال : فبلغ امرأة في البيت يقال لها : " أم يعقوب "، فجاءت إليه فقالت : بلغني أنك قلت كيت وكيت. قال : ما لي لا ألعن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي كتاب الله. فقالت : إني لأقرأ ما بين لوحيه فما وجدته. فقال : إن كنت قرأته فقد وجدته. أما قرأت : {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا} ؟ قالت : بلى. قال : فإن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عنه. قالت : إني لأظن أهلك يفعلونه. قال : اذهبي فانظري فذهبت فلم تر من حاجتها شيئا، فجاءت فقالت : ما رأيت شيئا. قال : لو كانت كذلك لم تُجَامعنا " (٦).

عن أبي هريرة ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إذا أمرتكم بأمر فانتوا منه ما استطعتم، وما نهيتكم عنه فاجتنبوه " (٧).

عن ابن عمر وابن عباس : " أنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنه نهى عن الدباء والحنتم والنقير والمزقت، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم : {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا} " (٨).

عن الهيثم بن عمران العبيسي، قال: سمعت إسماعيل بن عبيد الله، يقول: " ينبغي لنا أن نحفظ ما جاءنا عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فإن الله يقول: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا}، فهو عندنا بمنزلة القرآن " (٩).

قوله تعالى: {وَاتَّقُوا اللَّهَ} [الحشر : ٧]، أي: " واتقوا الله بامتنال أو امره وترك نواهيه " (١).

(١) التفسير الميسر: ٥٤٦.

(٢) تفسير الطبري: ٢٨٠/٢٣.

(٣) تفسير ابن كثير: ٦٧/٨.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٨٠/٢٣.

(٥) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٦٧/٨.

(٦) المسند (٤٣٣/١) وصحيح البخاري برقم (٤٨٨٧) وصحيح مسلم برقم (٢١٢٥).

(٧) صحيح البخاري برقم (٧٢٨٨) وصحيح مسلم برقم (١٣٣٧).

(٨) سنن النسائي الكبرى برقم (١١٥٧٨).

(٩) أخرجه المروزي في السنة ص ١٠٥ (١٠٣)، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٨ / ٤٣٦.

قال الطبري: "يقول: وخافوا الله، واحذروا عقابه في خلافكم على رسوله بالتقدم على ما نهاكم عنه، ومعصيتكم إياه"^(١).

قال الزمخشري: "أن تخالفوه وتتهاونوا بأوامره ونواهيه"^(٢).

قال ابن كثير: "أي: اتقوه في امتثال أوامره وترك زواجره"^(٣).

قال محمد بن إسحاق: {واتقوا الله}، أي: أطيعوا الله"^(٤).

قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [الحشر: ٧]، أي: "إن الله شديد العقاب لمن عصاه وخالف أمره ونهيه"^(٥).

قال الطبري: "لمن خالف رسوله، والأجود أن يكون عاما في كل ما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى عنه، وأمر الفيء داخل في عمومه"^(٦).

قال الزمخشري: "أن تخالفوه وتتهاونوا بأوامره ونواهيه"^(٧).

قال ابن كثير: "أي: فإنه شديد العقاب لمن عصاه وخالف أمره وأباه، وارتكب ما عنه زجره ونهاه"^(٨).

عن علي بن زيد، قال: "تلا مطرف هذه الآية: [شديد العقاب]، قال: لو يعلم الناس قدر عقوبة الله، ونعمة الله، وبأس الله، ونكال الله، لما رقأ لهم دمع، وما قرت أعينهم بشيء"^(٩).

فوائد الآيتين: [٦-٧]:

- ١- بيان أن مال بني النضير كان فيئا خاصا برسول الله صلى الله عليه وسلم.
- ٢- أن الفيء وهو ما حصل عليه المسلمون بدون قتال^(١٠) وإنما بفرار العدو وتركه أو بصلح يتم بينه وبين المسلمين هذا الفيء يقسم على ما ذكر تعالى في هذه الآية إذ قال وما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله، وللرسول، ولذي القربى، واليتامى، والمساكين، وابن السبيل. وأما الغنائم وهي ما أخذت عنوة بالقوة وسافر إليها المسلمون فإنها تخمس خمس لله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل يوزع بينهم بالسوية، والأربعة الأخماس الباقية تقسم على المجاهدين الذين شاركوا بالمعارك وخاضوها للرجال قسم وللنساء قسمان.
- ٣- وجوب طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتطبيق أحكامه والاستئذان بسنته المؤكدة وحرمة مخالفته فيما نهى عنه أمته روى الشيخان أن ابن مسعود رضي الله عنه قال لعن الله الواشحات^(١١) والمنتصات والمتفلجات للحسن المغيرات لخلق الله فبلغ ذلك امرأة من أسد يقال لها أم يعقوب كانت تقرأ القرآن فقالت بلغني أنك لعنت كيت وكيت. فقال: مالي لا لعن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في كتاب الله عز وجل؟ فقالت لقد قرأت ما بين لوجي المصحف فما وجدته، قال إن كنت قرأته فقد وجدته. أما قرأت قوله تعالى {وَمَا آتَاكُمْ^(١٢)

(١) التفسير الميسر: ٥٤٦.

(٢) تفسير الطبري: ٢٨٠/٢٣.

(٣) الكشاف: ٥٠٣/٤.

(٤) تفسير ابن كثير: ٦٨/٨.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٧٠٠): ص ١١٨٩/٤.

(٦) التفسير الميسر: ٥٤٦.

(٧) تفسير الطبري: ٢٨٠/٢٣.

(٨) الكشاف: ٥٠٣/٤.

(٩) تفسير ابن كثير: ٦٨/٨.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١٥): ص ٣٤٥/١.

(١١) هذه المسألة خلافية بين الفقهاء وما في التفسير هو الذي عليه الأكثر منهم وهو الراجح والله أعلم.

(١٢) الوشم معروف، ملعونة فاعلته والمفعول لها، والتنمص نتف الشعر من الوجه والتفلج توسعة ما بين الأسنان بمنشار وغيره للتجمل بذلك.

(١٣) الإيتاء: مستعار لتبليغ الأمر إليهم إذ جعل تشريعه وتبليغه كإيتاء شيء بأيديهم كقوله تعالى: {خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ} إذ يريد التشريع الذي شرعه لهم في التوراة.

الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} قالت: بلى. قال: فإنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد نهى عنه. أي: الوشم.. الخ.

القرآن

{لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨)} [الحشر : ٨]

التفسير:

وكذلك يُعطى من المال الذي أفاءه الله على رسوله الفقراء المهاجرون، الذين اضطرتهم كفار «مكة» إلى الخروج من ديارهم وأموالهم يطلبون من الله أن يتفضل عليهم بالرزق في الدنيا والرضوان في الآخرة، وينصرون دين الله ورسوله بالجهاد في سبيل الله، أولئك هم الصادقون الذين صدّقوا قولهم بفعلهم.

قوله تعالى: {لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ} [الحشر : ٨]، أي: "وكذلك يُعطى من المال الذي أفاءه الله على رسوله الفقراء المهاجرون، الذين اضطرتهم كفار «مكة» إلى الخروج من ديارهم وأموالهم" (١).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: كيلا يكون ما أفاء الله على رسوله دولة بين الأغنياء منكم، ولكن يكون للفقراء المهاجرين. وقيل: عُني بالمهاجرين: مهاجرة قريش" (٢).

قال السمعاني: "فديارهم مكة وغيرها، وأموالهم ما خلفوها عند هجرتهم" (٣).

عن مجاهد: "مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ، من قريظة جعلها لمهاجرة قريش" (٤).
قال قتادة: "هؤلاء المهاجرون تركوا الديار والأموال والأهلين والعشائر، خرجوا حبًا لله ولرسوله، واختاروا الإسلام على ما فيه من الشدة، حتى لقد ذكر لنا أن الرجل كان يعصب الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع، وكان الرجل يتخذ الحفيرة في الشتاء ماله دثار غيرها" (٥).

عن سعيد بن جبير، وسعيد بن عبد الرحمن بن أبزى، قالوا: "كان ناس من المهاجرين لأحدهم الدار والزوجة والعبد والناقة يحجّ عليها ويغزو، فنسبهم الله إلى أنهم فقراء، وجعل لهم سهمًا في الزكاة" (٦).

قوله تعالى: {يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا} [الحشر : ٨]، أي: "يطلبون من الله أن يتفضل عليهم بالرزق في الدنيا والرضوان في الآخرة" (٧).

قال السمعاني: "أي: يطلبون فضل الله ورضاه" (٨).
قال ابن كثير: "أي : خرجوا من ديارهم وخالفوا قومهم ابتغاء مرضاة الله ورضوانه" (٩).

قوله تعالى: {وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} [الحشر : ٨]، أي: "وينصرون دين الله ورسوله بالجهاد في سبيل الله" (١٠).

(١) التفسير الميسر: ٥٤٦.

(٢) تفسير الطبري: ٢٨٠/٢٣.

(٣) تفسير السمعاني: ٤٠٠/٥.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٨١/٢٣.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٨١/٢٣.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٨١/٢٣.

(٧) التفسير الميسر: ٥٤٦.

(٨) تفسير السمعاني: ٤٠٠/٥.

(٩) تفسير ابن كثير: ٦٨/٨.

(١٠) التفسير الميسر: ٥٤٦.

قال الطبري: "يقول: وينصرون دين الله الذي بعث به رسوله محمدا - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" (١).

قوله تعالى: {أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} [الحشر: ٨]، أي: "أولئك هم الصادقون الذين صدقوا قولهم بفعلهم" (٢).

قال الطبري: "يقول: هؤلاء الذين وصف صفتهم من الفقراء المهاجرين هم الصادقون فيما يقولون" (٣).

قال ابن كثير: "أي: هؤلاء الذين صدقوا قولهم بفعلهم، وهؤلاء هم سادات المهاجرين" (٤).

قال مقاتل: "في إيمانهم وليسوا بكاذبين في إيمانهم كالمنافقين" (٥).

قال السمعاني: "أي: الصادقون عقدا وقولا وفعلًا" (٦).

قال ابن العربي: "رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما توفي اضطرب الأمر، وماج الناس، ومرج قولهم، وتشوفوا إلى رأس يرجع إليه تدبيرهم، واجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة، ولهم الهجرة، وفيهم الدوحة، والمهاجرون عليهم نزل، وانتدب الشيطان ليزيغ قلوب فريق منهم، فسول للأنصار أن يعقدوا لرجل منهم الأمر؛ فجاء المهاجرون. فاجتمعوا إلى أبي بكر، وقالوا: نرسل إليهم. قال أبو بكر: "لا، ألا نأتيهم في موضعهم"، فنوزع في ذلك، فصرم وتقدم واتبعته المهاجرون حتى جاء الأنصار في مكانهم، وتناولوا، فقالت الأنصار في كلامها: منا أمير ومنكم أمير، فتصدر أبو بكر بحقه، وتكلم على مقتضى الدين ووقفه، وقال: "يا معشر الأنصار؛ قد علمتم أنا رهط رسول الله وعترته الأذنون، وأصل العرب، وقطب الناس. وقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «الأئمة من قريش إلى أن تقوم الساعة». وقد سمانا الله في كتابه الصادقين حين قال: {لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} [الحشر: ٨]. وسماكم المفلحين، فقال: {وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر: ٩]. وأمركم الله أن تكونوا معنا حيث كنا، فقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} [التوبة: ١١٩]. وقال لكم النبي «سترون بعدي أثره، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض». وقال لنا في آخر خطبة خطبها: «أوصيكم بالأنصار خيرا أن تقبلوا من محسنهم، وتتجاوزوا عن مسيئهم؛ ولو كان لكم في الأمر شيء ما رأيتم أثره، ولا وصى بكم». فلما سمعوا ذلك من علمه، ووعوه من قوله تذكروا الحق؛ فانقادوا له، والتزموا حكمه؛ فبادر عمر إلى أبي عبيدة، وقال له: يا أبا عبيدة؛ امدد يدك بأبيك. فقال أبو عبيدة: ما سمعت منك تهة في الإسلام قبلها، أتبايعني وأبو بكر فيكم؟ فقال له عمر: امدد يدك بأبيك يا أبا بكر. فمد أبو بكر يده وبايعه، وبايعه الناس، وصار الحق في نصابه، ودخل الدين من بابه" (٧).

القرآن

{وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر: ٩]

(١) تفسير الطبري: ٢٨١/٢٣.

(٢) التفسير الميسر: ٥٤٦.

(٣) تفسير الطبري: ٢٨١/٢٣.

(٤) تفسير ابن كثير: ٦٨/٨.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٧٩/٤.

(٦) تفسير السمعاني: ٤٠٠/٥.

(٧) أحكام القرآن: ٤١٦/٢-٤١٧.

التفسير:

والذين استوطنوا «المدينة» ، وأمنا من قبل هجرة المهاجرين -وهم الأنصار- يخبون المهاجرين، ويواسونهم بأموالهم، ولا يجدون في أنفسهم حسداً لهم مما أعطوا من مال الفيء وغيره، ويُقدِّمون المهاجرين وذوي الحاجة على أنفسهم، ولو كان بهم حاجة وفقر، ومن سلّم من البخل ومَنع الفضل من المال فأولئك هم الفائزون الذين فازوا بمطوبهم. في سبب نزول الآية، قولان:

أحدهما: عن أبي هريرة -رضي الله عنه-: " أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فبعث إلى نسائه، فقلن: ما معنا إلا الماء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من يضم أو يضيف هذا»، فقال رجل من الأنصار: أنا، فانطلق به إلى امرأته، فقال: أكرمي ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياني، فقال: هيئي طعامك، وأصبحي سراجك، ونومي صبيانك إذا أرادوا عشاء، فهيات طعامها، وأصبحت سراجها، ونومت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته، فجعل يريانه أنهما يأكلان، فباتا طاويين، فلما أصبح غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «ضحك الله الليلة، أو عجب، من فعالكما»، فأنزل الله: {وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شَحْنًا نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر: ٢٩] (١). [صحيح]

الثاني: عن ابن عمر -رضي الله عنهما-، قال: "أهدي لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة، فقال: «إن أخي فلانا وعباله أحوج إلى هذا منا» قال: فبعث إليه فلم يزل يبعث إليه واحدا إلى آخر حتى تداولها سبعة أبيات حتى رجعت إلى الأول فنزلت: {وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ} [الحشر: ٢٩] (٢). [ضعيف]

قوله تعالى: {وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ} [الحشر: ٩]، أي: "والذين استوطنوا «المدينة» ، وأمنا من قبل هجرة المهاجرين -وهم الأنصار- (٣). قال الطبري: " يقول: اتخذوا المدينة مدينة الرسول -صلى الله عليه وسلم- فابتنوها منازل، {وَالْإِيمَانَ} بالله ورسوله من قبل المهاجرين" (٤).

قال ابن كثير: " ثم قال تعالى مادحا للأنصار، ومبيها فضلهم وشرفهم وكرمهم وعدم حسدهم، وإيثارهم مع الحاجة، فقال: {وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ}، أي: سكنوا دار الهجرة من قبل المهاجرين وأمنا قبل كثير منهم" (٥).

قال السمعاني: " أجمع أهل التفسير على أن المراد بهم الأنصار، وقوله: {تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ}، أي: استوطنوا المدينة، وقبلوا الإيمان. وقيل: {تَبَوَّءُوا الدَّارَ}، أي: أعدوا الديار للمهاجرين وواسوهم في كل مالهم، وقوله: {وَالْإِيمَانَ}، أي: جعلوا دورهم دور الإيمان، وذلك بإظهارهم الإيمان فيما بينهم" (٦).

عن مجاهد، في قوله: " {وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ}، وهم الأنصار من قبلهم، من قبل المهاجرين، ثم نعت سخاوة أنفسهم عندما زوى عنهم ذلك [ص: ٦٥٣] الفيء، وإيثارهم المهاجرين بذلك الفيء، ولم يصب الأنصار من ذلك الفيء شيئا" (٧).

(١) أخرجه البخاري في المناقب (٣٧٩٨)، وفي التفسير (٤٨٨٩). وأخرجه مسلم في الأشربة (١٧٢)، ١٧٣/٢٠٥٤ (ص ١٦٢٤، ١٦٢٥). وأخرجه الترمذي في التفسير (٣٣٠٤). والنسائي في التفسير (٦٠٢).

(٢) إسناده ضعيف: عبيد الله بن الوليد ضعيف [تقريب ١/٤٤٠] و [المجروحين ٢/٦٣]. والحديث أخرجه الحاكم (٣٧٩٩): ص ٥٢٦/٢، وصححه، وتعقبه الذهبي بقوله: " عبيد الله بن الوليد ضعفه. وأخرجه الواحدي في "أسباب النزول": ٤٣٩، وعزاه السيوطي في الدر (١٩٥/٦) للحاكم وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان.

(٣) التفسير الميسر: ٥٤٦.

(٤) تفسير الطبري: ٢٨٢/٢٣.

(٥) تفسير ابن كثير: ٦٨/٨.

(٦) تفسير السمعاني: ٤٠١-٤٠٠/٥.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٨٢/٢٣.

قال عمر رضي الله عنه: "أوصي الخليفة بالمهاجرين الأولين: أن يعرف لهم حقهم، وأوصي الخليفة بالأنصار الذين تبوءوا الدار والإيمان، من قبل أن يهاجر النبي صلى الله عليه وسلم: أن يقبل من محسنهم، ويعفو عن مسيئهم"^(١).

فإن قيل: "كيف يستقيم قوله: {مَنْ قَبْلَهُمْ}، والأنصار إنما آمنوا من بعد المهاجرين؟ والجواب أن قوله: {مَنْ قَبْلَهُمْ} ينصرف إلى تبوء الدار لا إلى الإيمان والثاني أن قوله {مَنْ قَبْلَهُمْ} وإن انصرف إلى الإيمان فالمراد منه قبل هجرتهم؛ لأن الأنصار كانوا قد آمنوا قبل هجرتهم"^(٢).

قوله تعالى: {يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ} [الحشر : ٩]، أي: "يحبون المهاجرين، ويواسونهم بأموالهم"^(٣).

قال الطبري: يقول: "يحبون من ترك منزله، وانتقل إليهم من غيرهم، وعُني بذلك الأنصار يحبون المهاجرين"^(٤).

قال الزجاج: "أي: يحب الأنصار المؤمنين"^(٥).

قال السمعاني: "أي: من أهل مكة وغيرهم"^(٦).

قال ابن كثير: "أي: من كرمهم وشرف أنفسهم، يُحِبُّونَ المهاجرين ويواسونهم بأموالهم"^(٧).

قال ابن زيد: "هؤلاء الأنصار يحبون من هاجر إليهم من المهاجرين"^(٨).
عن قتادة: "وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا"، يقول: مما أعطوا إخوانهم هذا الحي من الأنصار، أسلموا في ديارهم، فابتنوا المساجد والمسجد، قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم فأحسن الله عليهم الثناء في ذلك، وهاتان الطائفتان الأوتلتان من هذه الآية، أخذتا بفضلهما، ومضتا على مهلهما، وأثبت الله حظهما في الفيء"^(٩).

عن أنس قال: "قال المهاجرون: يا رسول الله، ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل ولا أحسن بذلا في كثير، لقد كفونا المونة، وأشركونا في المهنة، حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله! قال: "لا ما أثنيتم عليهم ودعوتهم الله لهم"^(١٠).

عن أنس بن مالك: "حين خرج معه إلى الوليد قال: دعا النبي صلى الله عليه وسلم الأنصار أن يُقْطِعَ لهم البحرين، قالوا: لا إلا أن تُقْطِعَ لإخواننا من المهاجرين مثلها. قال: "إما لا فاصبروا حتى تلقوني، فإنه سيصيبكم بعدي أثره"^(١١).

عن أبي هريرة قال: "قالت الأنصار: اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل. قال: لا. فقالوا: تكفونا المونة وتشارككم في الثمرة؟ قالوا: سمعنا وأطعنا"^(١٢).

قوله تعالى: {وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا} [الحشر : ٩]، أي: "ولا يجدون في أنفسهم حسداً لهم مما أعطوا من مال الفيء وغيره"^(١٣).

(١) صحيح البخاري (٤٨٨٨): ص ٤٨/٦.

(٢) تفسير السمعاني: ٤٠١/٥.

(٣) التفسير الميسر: ٥٤٦.

(٤) تفسير الطبري: ٢٨٢/٢٣.

(٥) معاني القرآن: ١٤٦/٥.

(٦) تفسير السمعاني: ٤٠١/٥.

(٧) تفسير ابن كثير: ٦٩/٨.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٨٢/٢٣.

(٩) أخرجه الطبري: ٢٨٢/٢٣.

(١٠) المسند (٢٠٠/٣).

(١١) صحيح البخاري برقم (٣٧٩٤).

(١٢) صحيح البخاري برقم (٢٣٢٥).

(١٣) التفسير الميسر: ٥٤٦.

قال الزجاج: "أي: لا يجد الأنصار في صدورهم حاجة مما يعطى المهاجرون"^(١).
قال ابن كثير: "أي: ولا يجدون في أنفسهم حسداً للمهاجرين فيما فضلهم الله به من
المنزلة والشرف، والتقديم في الذكر والرتبة"^(٢).

قال الطبري: يقول: ولا يجد الذين تبوءوا الدار من قبلهم، وهم الأنصار في صدورهم
حسداً مما أوتي المهاجرين من الفيء، وذلك لما ذكر لنا من أن رسول الله -صلى الله عليه
وسلم- قسم أموال بني النضير بين المهاجرين الأولين دون الأنصار، إلا رجلين من الأنصار،
أعطاهما لفقريهما، وإنما فعل ذلك لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- خاصة"^(٣).

عن الحسن، في قوله: "وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا"، قال: الحسد"^(٤).
عن الحسن: «حَاجَةٌ فِي صُدُورِهِمْ»، قال: حسداً في صدورهم"^(٥).

قال ابن عباس: "هم الأنصار، ذكر الذين قسم لهم من الخير ونعت سفاطة أنفسهم عند
ما زوى عنهم فيء النضير وأثرتهم المهاجرين على أنفسهم، فجعل فيء النضير لقريش لم
يشركهم فيه أحد من الأنصار إلا رجلاً: أبو دجانة الساعدي وسهل بن حنيف"^(٦).

عن محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر: "أنه حدث أن بني النضير خلوا الأموال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانت النضير لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة، يضعها
حيث يشاء، فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المهاجرين الأولين دون الأنصار، إلا
أن سهل بن حنيف وأبا دجانة سيماء بن خريشة ذكرا فقرا، فأعطاهما رسول الله صلى الله عليه
وسلم"^(٧).

عن ابن وهب، قال: "قال ابن زيد، في قوله: {وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا
أُوتُوا}، المهاجرون. قال: وتكلم في ذلك: (يعني: أموال بني النضير) بعض من تكلم من
الأنصار، فعاتبهم الله عز وجل في ذلك فقال: {وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ
مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}. قال، قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم: «إِنَّ إِخْوَانَكُمْ قَدْ تَرَكُوا الْأَمْوَالَ وَالْأَوْلَادَ وَخَرَجُوا إِلَيْكُمْ»،
فقالوا: أموالنا بينهم قطائع، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟»، قالوا: وما
ذلك يا رسول الله؟ قال: «هُمْ قَوْمٌ لَا يَعْرِفُونَ الْعَمَلَ فَتَحَفُّوهُمْ وَتُقَاسِمُوهُمْ التَّمْرَ»، فقالوا: نعم يا
رسول الله"^(٨).

عن أنس قال: "كنا جلوساً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "يطلع عليكم الآن
رجل من أهل الجنة". فطلع رجل من الأنصار تنظف لحيته من وضوئه، قد تعلق نعليه بيده
الشمال، فلما كان الغد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل مثل المرة
الأولى. فلما كان اليوم الثالث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل مقالته أيضاً، فطلع ذلك
الرجل على مثل حالته الأولى فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم تبعه عبد الله بن عمرو بن
العاص، فقال: إني لآحيت أبي فأقسمت ألا أدخل عليه ثلاثاً، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى
تمضي فعلت. قال: نعم. قال أنس: فكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الثلاث الليالي فلم يره
يقوم من الليل شيئاً، غير أنه إذا تعارّ قلب على فراشه، ذكر الله وكبر، حتى يقوم لصلاة الفجر.
قال عبد الله: غير أنني لم أسمع يقول إلا خيراً، فلما مضت الثلاث ليال وكدت أن أحتقر عمله،
قلت: يا عبد الله، لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجر ولكن سمعت رسول الله صلى الله

(١) معاني القرآن: ١٤٦/٥.

(٢) تفسير ابن كثير: ٦٩/٨.

(٣) تفسير الطبري: ٢٨٢/٢٣.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٨٤/٢٣.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٨٤/٢٣.

(٦) تفسير القرآن من الجامع لابن هب (١٩٣): ص ٨٦/١.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٨٣/٢٣.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٨٣/٢٣.

عليه وسلم يقول لك ثلاث مرار يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة". فطلعت أنت الثلاث المرار فأردت أن أوي إليك لأنظر ما عملك فأقتدي به، فلم أرك تعمل كثير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: ما هو إلا ما رأيت. فلما وليت دعائي فقال: ما هو إلا ما رأيت، غير أنني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشًا، ولا أحسد أحدًا على خير أعطاه الله إياه. قال عبد الله: هذه التي بلغت بك، وهي التي لا تطاق^(١).

قوله تعالى: {وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ} [الحشر: ٩]، أي: "ويقدمون المهاجرين وذوي الحاجة على أنفسهم، ولو كان بهم حاجة وفقر"^(٢).

عن الحسن: {ولو كان بهم خصاصة} [الحشر: ٩]، يعني: «فاقة»^(٣).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: وهو يصف الأنصار الذين تَبَوَّءُوا الدار والإيمان من قبل المهاجرين، ويعطون المهاجرين أموالهم إيثارًا لهم بها على أنفسهم ولو كان بهم حاجة وفاقة إلى ما آثروا به من أموالهم على أنفسهم، والخصاصة: مصدر، وهي أيضًا اسم، وهو كل ما تخلَّته ببصرك كالكوّة والفرجة في الحائط، تجمع خَصَاصَاتٍ وخصاص، كمال قال الراجز^(٤):

قَدْ عَلِمَ الْمَقَاتِلُ هَجًا ... وَالنَّاطِرَاتُ مِنْ خَصَاصٍ لَمَجَا
لَأُورِيئَهَا دُلْجًا أَوْ مُنْجًا"^(٥).

قال السمعاني: "أي: يقدمون المهاجرين على أنفسهم، {لَوْ كَانَ بِهِمْ} فقر وحاجة"^(٦).

قال سهل: "تقول العرب: فلان مخصوص إذا كان فقيرًا، فيؤثرون رضا الله على هواهم، والإيثار شاهد الحب"^(٧).

قال ابن كثير: "يعني: حاجة، أي: يقدمون المحاويع على حاجة أنفسهم، ويبدعون بالناس قبلهم في حال احتياجهم إلى ذلك، وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "أفضل الصدقة جهد المقل". وهذا المقام أعلى من حال الذين وصف الله بقوله: {وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ} [الإنسان: ٨]. وقوله: {وَأَتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ} [البقرة: ١٧٧] فإن هؤلاء يتصدقون وهم يحبون ما تصدقوا به، وقد لا يكون لهم حاجة إليه ولا ضرورة به، وهؤلاء آثروا على أنفسهم مع خصاصتهم وحاجتهم إلى ما أنفقوه. ومن هذا المقام تصدق الصديق، رضي الله عنه، بجميع ماله، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما أبقيت لأهلك؟". فقال: أبقيت لهم الله ورسوله. وهذا الماء الذي عُرض على عكرمة وأصحابه يوم اليرموك، فكل منهم يأمر بدفعه إلى صاحبه، وهو جريح مثل أحوج ما يكون إلى الماء، فرده الآخر إلى الثالث، فما وصل إلى الثالث حتى ماتوا عن آخرهم ولم يشربه أحد منهم، رضي الله عنهم وأرضاهم"^(٨).

حكى عن وهيب بن الورد أنه قال: "يقول الله تعالى: «وعزتي وعظمتي وجلالي، ما من عبد أثر هواي على هواه إلا قللت همومه وجمعت عليه ضيعته، ونزعت الفقر من قلبه، وجعلت الغنى بين عينيه، واتجرت له من وراء كل تاجر. وعزتي وجلالي، ما من عبد أثر هواه على هواي إلا كثرت همومه، وفرقت عليه ضيعته، ونزعت الغنى من قلبه، وجعلت الفقر بين عينيه، ثم لا أبالي في أي واد هلك»"^(٩).

(١) المسند (١٦٦/٣) وسنن النسائي الكبرى برقم (١٠٦٩٩).

(٢) التفسير الميسر: ٥٤٦.

(٣) تفسير مجاهد: ٦٥٣.

(٤) لم اقف على قائلها.

(٥) تفسير الطبري: ٢٨٤/٢٣.

(٦) تفسير السمعاني: ٤٠١/٥.

(٧) تفسير التستري: ١٦٥.

(٨) تفسير ابن كثير: ٧١-٧٠/٨.

(٩) نقلًا عن: تفسير التستري: ١٦٥-١٦٦.

قوله تعالى: {وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر : ٩]، أي: "ومن سلم من البخل ومنع الفضل من المال فأولئك هم الفائزون الذين فازوا بمطلوبهم"^(١).
قال مقاتل: "يعني: ومن يقية الله حرص نفسه، يعني: الأنصار حين طابت أنفسهم عن الفياء لإخوانهم"^(٢).

قال ابن كثير: "أي: من سلم من الشح فقد أفلح وأنجح"^(٣).
قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: من وقاه الله شح نفسه {فأولئك هم} المخلدون في الجنة. والشح في كلام العرب: البخل، ومنع الفضل من المال؛ ومعه قول عمرو بن كلثوم^(٤):
تَرَى اللَّحْزَ الشَّحِيحَ إِذَا أُمِرَتْ ... عَلَيْهِ لِمَالِهِ فِيهَا مُهَيَّبًا
يعني بالشحيح: البخيل"^(٥).

قال القرطبي: "الشح والبخل سواء، وجعل بعض أهل اللغة الشح أشد من البخل"^(٦).
قال النحاس: "المعروف في كلام العرب أن الشح أزيد من البخل، وأنه يقال: شح فلان يشح إذا اشتد بخله"^(٧).

قال الفراء: "يقال: من أدى الزكاة فقد وقى شح نفسه"^(٨).
قال سهل: "أي: ومن يوق حرص نفسه وبخلها على شيء هو غير الله وغير ذكره، فأولئك هم الباقيون مع الله حياة طيبة بحياة طيبة"^(٩).
قال ابن عيينة: "«الشح»: الظلم. وليس الشح أن تبخل بما في يدك، لأن الله تعالى يقول: {وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَن نَفْسِهِ} [سورة الحمد آية: ٣٨]"^(١٠).
عن سعيد بن جبير، في قوله: "وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ"، قال: إدخال الحرام، ومنع الزكاة"^(١١).

قال ابن زيد: "من وقى شح نفسه فلم يأخذ من الحرام شيئاً، ولم يقربه، ولم يدعه الشح أن يحبس من الحلال شيئاً، فهو من المفلحين، كما قال الله عزّ وجلّ"^(١٢).
قال ابن زيد: "من لم يأخذ شيئاً لشيء نهاه الله عزّ وجلّ عنه، ولم يدعه الشح على أن يمنع شيئاً من شيء أمره الله به، فقد وقاه الله شح نفسه، فهو من المفلحين"^(١٣).
عن طاووس بن كيسان، قال: "البخل: أن يبخل الإنسان بما في يديه، والشح: أن يشح على ما في أيدي الناس"^(١٤).

قال ابن وهب: "وسمعت الليث بن سعد قال: الشح: ترك الفرائض، وانتهاك المحارم، و [...] المال"^(١).

-
- (١) التفسير الميسر: ٥٤٦.
 - (٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٨٠/٤.
 - (٣) تفسير ابن كثير: ٧١/٨.
 - (٤) الشاهد لعمرو بن كلثوم في ديوانه ٦٥، ولسان العرب (سخن) وخزانة الأدب ٣/ ١٧٨، وشرح ديوان امرئ القيس ٣٢٠، وشرح الفصائد السبع ٣٧٣، وشرح الفصائد العشر ٣٢٢، وشرح المعلقات السبع ١٦٦، وتاج العروس (سخن) ، وبلا نسبة في لسان العرب (لحز) ، ومقاييس اللغة ٥/ ٢٣٧. واللحز: الضيق الصدر السيء الخلق اللئيم. والشحيح: البخيل: الحريص.
 - (٥) تفسير الطبري: ٢٨٥/٢٣.
 - (٦) تفسير القرطبي: ٢٩/١٨.
 - (٧) إعراب القرآن: ٢٦٢/٤.
 - (٨) معاني القرآن: ١٦١/٣.
 - (٩) تفسير التستري: ١٦٦.
 - (١٠) غريب القرآن: ٤٠٢.
 - (١١) ذكره يحيى بن سلام - كما في تفسير ابن أبي زمنين ٤/ ٣٦٩ - . وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.
 - (١٢) أخرجه الطبري: ٢٨٧/٢٣.
 - (١٣) أخرجه الطبري: ٢٨٧/٢٣.
 - (١٤) الدر المنثور: ١٠٧/٨، وعزاه إلى ابن المنذر.

عن أبي الشعثاء، عن أبيه، قال: "أتى رجل ابن مسعود فقال: إني أخاف أن أكون قد هلكت، قال: وما ذلك؟ قال: أسمع الله يقول: {وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ}، وأنا رجل شحيح لا يكاد يخرج من يدي شيء، قال: ليس ذلك بالشح الذي ذكر الله في القرآن، إنما الشح أن تأكل مال أخيك ظلماً، ذلك البخل، وبئس الشيء البخل" (٢).

عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إياكم والظلم، فإن الظلم ظلماتٌ يوم القيامة، واتقوا الشحَّ، فإن الشحَّ أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم" (٣).

عن أبي هريرة، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد أبداً، ولا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبداً" (٤).

عن أبي الهياج الأسدي، قال: "كنت أطوف بالبيت، فرأيت رجلاً يقول: اللهم قني شح نفسي، لا يزيد على ذلك، فقلت له، فقال: إني إذا وقيت شح نفسي لم أسرق، ولم أزن، ولم أفعل شيئاً، وإذا الرجل عبد الرحمن بن عوف" (٥).

عن عبد الله بن عمر، قال: "إن نجوت من ثلاث طمعت أن أنجو. قال عبد الله بن صفوان ما هنّ أنبيك فيهنّ، قال: أخرج المال العظيم، فأخرجه ضراراً، ثم أقول: أقرض ربي هذه الليلة، ثم تعود نفسي فيه حتى أعيده من حيث أخرجته، وإن نجوت من شأن عثمان، قال ابن صفوان: أما عثمان فقتل يوم قتل، وأنت تحبّ قتله وترضاه، فأنت ممن قتله؛ وأما أنت فرجل لم يقك الله شح نفسك، قال: صدقت" (٦).

وفي قراءة أبي حيوة وابن أبي عبيدة: «ومن يوق شح نفسه»، بكسر الشين، ورفعها الأغلب في قراءة (٧).

القرآن

{وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٠)} [الحشر : ١٠]
التفسير:

والذين جاؤوا من المؤمنين من بعد الأنصار والمهاجرين الأولين يقولون: ربنا اغفر لنا ذنوبنا، واغفر لإخواننا في الدين الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا حسداً وحقداً لأحد من أهل الإيمان، ربنا إنك ترحم عبادك رحمة واسعة في عاجلهم وآجلهم.

قوله تعالى: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ} [الحشر : ١٠]، أي: "والذين جاؤوا من المؤمنين من بعد الأنصار والمهاجرين الأولين" (٨).

وفي قوله تعالى: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ} [الحشر : ١٠]، ثلاثة أقوال:

أحدهما: أنهم الذين هاجروا بعد ما قوي الإسلام، قاله السدي (٩)، والكلبي (١٠).

الثاني: أنهم التابعون. حكاه السمعاني (١١).

الثالث: التابعون لهم بإحسان إلى يوم القيامة، قاله مقاتل (١).

(١) أخرجه عبد الله بن وهب في الجامع ٢/ ١٥٨ (٣٢٦)، وما بين المعقوفين كذا ورد فيه.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٨٦-٢٨٧، ورواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٧٢/٨

(٣) المسند (٣٢٣/٣) وصحيح مسلم برقم (٢٥٧٨).

(٤) رواه النسائي في السنن (١٣/٦).

(٥) أخرجه الطبري: ٢٨٦/٢٣.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٨٧-٢٨٦/٢٣.

(٧) انظر: معاني القرآن للفراء: ١٦١/٣، والبحر المحيط: ٢٤٧/٨.

(٨) التفسير الميسر: ٥٤٦.

(٩) انظر: النكت والعيون: ٥٠٧/٥.

(١٠) انظر: النكت والعيون: ٥٠٧/٥.

(١١) انظر: تفسير السمعاني: ٤٠٢/٥.

قال مقاتل: " يعني: من بعد المهاجرين والأنصار فدخلوا في الإسلام إلى يوم القيامة، وهم التابعون" (٢).

قال الشوكاني: " الظاهر شمول الآية لمن جاء بعد السابقين من الصحابة المتأخر إسلامهم في عصر النبوة، ومن تبعهم من المسلمين بعد عصر النبوة إلى يوم القيامة لأنه يصدق على الكل أنهم جاءوا بعد المهاجرين الأولين والأنصار" (٣).

قال مجاهد: " هم الذين أسلموا نعتوا أيضا منهم عبد الله بن نبتل، وأوس بن قبيظي" (٤).
قال الزجاج: " المعنى: ما أفاء الله على رسوله فله وللرسول ولهؤلاء المسلمين وللذين يجيئون من بعدهم إلى يوم القيامة، ما أقاموا على محبة أصحاب رسول الله عليه السلام. ودليل ذلك قوله: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ} في حال قولهم: {رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ}. الآية. فمن يترحم على أصحاب رسول الله ولم يكن في قلبه غل لهم أجمعين فله حظ في فيء المسلمين، ومن شتمهم ولم يترحم عليهم أو كان في قلبه غل لهم فما جعل الله له حقا في شيء من فيء المسلمين. فهذا نص الكتاب بين" (٥).

قال ابن كثير: " هؤلاء هم القسم الثالث ممن يستحق فقراؤهم من مال الفيء، وهم المهاجرون ثم الأنصار، ثم التابعون بإحسان، كما قال في آية براءة: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ} [التوبة: ١٠٠] فالتابعون لهم بإحسان هم: المتبعون لآثارهم الحسنة وأوصافهم الجميلة، الداعون لهم في السر والعلانية" (٦).

عن ابن أبي ليلي، قال: "كان الناس على ثلاث منازل: المهاجرون الأولون: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ}، وأحسن ما يكون أن يكون بهذه المنزلة" (٧).

وروى مصعب بن سعد قال: "الناس على ثلاثة منازل، فمضت منزلتان وبقيت الثالثة: فأحسن ما أنتم عليه أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت" (٨).

عن الزهري قال: "قال عمر، رضي الله عنه: {وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ} قال الزهري: قال عمر: هذه لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة، فرى عربية: فذك وكذا وكذا، فما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فله وللرسول ولذي القربى واليتامي والمساكين وابن السبيل والفقراء الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم، {وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ} {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ} فاستوعبت هذه الآية الناس، فلم يبق أحد من المسلمين إلا له فيها حق - قال أيوب: أو قال: حظ - إلا بعض من تملكون من أرقانكم" (٩).

قوله تعالى: {يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ} [الحشر: ١٠]، أي: "يقولون: ربنا اغفر لنا ذنوبنا، واغفر لإخواننا في الدين الذين سبقونا بالإيمان" (١٠).

قال مقاتل: "الماضين من المهاجرين والأنصار، فهذا استغفار" (١١).
قال الشوكاني: "المراد بالأخوة هنا أخوة الدين، أمرهم الله أن يستغفروا لأنفسهم ولمن تقدمهم من المهاجرين والأنصار" (١).

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٨٠/٤.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٨٠/٤.

(٣) فتح القدير: ٢٤٠/٥.

(٤) تفسير مجاهد: ٦٥٣، وأخرجه الطبري: ٢٨٧/٢٣-٢٨٨. [مختصرا]

(٥) معاني القرآن: ١٤٧/٥.

(٦) تفسير ابن كثير: ٧٢/٨-٧٣.

(٧) أخرجه الطبري: ١٨٨/٢٣.

(٨) نقلا عن: النكت والعيون: ٥٠٧/٥.

(٩) سنن أبي داود برقم (٢٩٦٦).

(١٠) التفسير الميسر: ٥٤٦.

(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٨٠/٤.

قال الضحاك: "أمروا بالاستغفار لهم، وقد علم ما أحدثوا"^(٢).
 قال قتادة: "إنما أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-، ولم يؤمروا بسبهم، وذكر لنا أن غلاماً لحاطب بن أبي بلتعة جاء نبى الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا نبى الله ليدخلن حاطب في حي النار، قال: "كذبت إنه شهد بدرًا والحديبية" وذكر لنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أغلظ لرجل من أهل بدر، فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم: "وما يُذريك يا عمر لعله قد شهد مشهدًا أطلع الله فيه إلى أهله، فأشهد ملائكته إني قد رَضِيتُ عَنْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ، فَلْيَعْمَلُوا مَا شَاءُوا" فما زال بعضنا منقبضًا من أهل بدر، هائبًا لهم، وكان عمر رضي الله عنه يقول: وإلى أهل بدر تهالك المتهالون، وهذا الحي من الأنصار، أحسن الله عليهم التناء"^(٣).

قوله تعالى: {وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا} [الحشر : ١٠]، أي: "ولا تجعل في قلوبنا حسدًا وحقداً لأحد من أهل الإيمان"^(٤).

قال الطبري: "لا تجعل في قلوبنا غمرا وضغنا لأحد من أهل الإيمان بك يا ربنا"^(٥).

قال ابن زيد: "لا تورث قلوبنا غلا لأحد من أهل دينك"^(٦).

قال الشوكاني: "أمرهم الله سبحانه بعد الاستغفار للمهاجرين والأنصار أن يطلبوا من الله سبحانه أن ينزع من قلوبهم الغل للذين آمنوا على الإطلاق، فيدخل في ذلك الصحابة دخولا أوليا لكونهم أشرف المؤمنين، ولكون السياق فيهم، فمن لم يستغفر للصحابة على العموم ويطلب رضوان الله لهم فقد خالف ما أمره الله به في هذه الآية، فإن وجد في قلبه غلا لهم فقد أصابه نزع من الشيطان، وحل به نصيب وافر من عصيان الله بعداوة أوليائه وخير أمة نبيه صلى الله عليه وسلم، وانفتح له باب من الخذلان يفد به على نار جهنم إن لم يتدارك نفسه باللجوء إلى الله سبحانه والاستغاثة به بأن ينزع عن قلبه ما طرقة من الغل لخير القرون وأشرف هذه الأمة، فإن جاوز ما يجده من الغل إلى شتم أحد منهم، فقد انقاد للشيطان بزمام ووقع في غضب الله وسخطه، وهذا الداء العضال إنما يصاب به من ابتلي بمعلم من الرافضة، أو صاحب من أعداء خير الأمة الذين تلاعب بهم الشيطان، وزين لهم الأكاذيب المختلفة والأقاصيص المفتراة والخرافات الموضوعية، وصرفهم عن كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وعن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمنقولة إلينا بروايات الأئمة الأكابر في كل عصر من العصور، فاشتروا الضلالة بالهدى، واستبدلوا الخسران العظيم بالربح الوافر، وما زال الشيطان الرجيم ينقلهم من منزلة إلى منزلة، ومن رتبة إلى رتبة، حتى صاروا أعداء كتاب الله، وسنة رسوله، وخير أمته، وصالحي عبادته، وسائر المؤمنين، وأهملوا فرائض الله، وهجروا شعائر الدين، وسعوا في كيد الإسلام وأهله كل السعي، ورموا الدين وأهله بكل حجر ومدر، والله من ورائهم محيط"^(٧).

عن الأعمش أنه قرأ: (رَبَّنَا لَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غَمْرًا لِلَّذِينَ آمَنُوا)^(٨).

قال السمعاني: "في الآية دليل على أن الترحم للسلف والدعاء لهم بالخير وترك ذكرهم بالسوء من علامة المؤمنين"^(٩).

(١) فتح القدير: ٢٤٠/٥.

(٢) الدر المنثور: ١١٤/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٨٧/٢٣-٢٨٨.

(٤) التفسير الميسر: ٥٤٦.

(٥) تفسير الطبري: ٢٨٧/٢٣-٢٨٩. [باختصار]

(٦) أخرجه الطبري: ١٨٨/٢٣.

(٧) فتح القدير: ٢٤٠/٥-٢٤١.

(٨) الدر المنثور: ١٠٢/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٩) تفسير السمعاني: ٤٠٢/٥-٤٠٣.

وروي: " أن رجلا جاء إلى مالك بن أنس فجعل يقع في جماعة من الصحابة مثل: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وغيرهم، فقال له: أنت من الفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم؟ قال: لا. قال: أنت من الذين تبوعوا الدار والإيمان من قبلهم؟ قال: لا. فقال: أشهد أنك لست من الذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان" (١).

قال ابن كثير: " وما أحسن ما استنبط الإمام مالك من هذه الآية الكريمة : أن الرافضي الذي يسب الصحابة ليس له في مال الفيء نصيب لعدم اتصافه بما مدح الله به هؤلاء في قولهم : {رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} " (٢).

عن عائشة أنها قالت : "أمروا أن يستغفروا لهم، فسبوهم! ثم قرأت هذه الآية : {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ} الآية" (٣).

عن عائشة قالت : "أمرتم بالاستغفار لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، فسببتموهم. سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول : « لا تذهب هذه الأمة حتى يلعن آخرها أولها »" (٤).

وعن ابن عباس أنه قال: "ليس لمن يقع في الصحابة ويذكرهم بالسوء في الفيء نصيب، وتلا هذه الآيات الثلاث" (٥).

وروي: " أن عمر بن عبد العزيز سئل عما جرى بين الصحابة من القتال وسفك الدماء فقال: تلك دماء طهر الله يدي عنها، فلا أحب أن أغمس لساني فيها" (٦).

قال أبو موسى الأشعري: " وأجمعوا على الكف عن ذكر الصحابة - عليهم السلام - إلا بخير ما يذكرون به، وعلى أنهم أحق أن ينشر محاسنهم، ويلتمس لأفعالهم أفضل المخارج، وأن نطن بهم أحسن الظن، وأحسن المذاهب ممثلين في ذلك لقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا ذكر أصحابي فأمسكوا» (٧). وقال أهل العلم: معنى ذلك لا تذكرهم إلا بخير الذكر" (٨).

قال السمعاني: "المراد به الإمساك عن ذكر المساوي لاعتن ذكر المحاسن. وفي بعض الروايات: «إذا ذكر النجوم فأمسكوا»" (٩).

فذهب أهل السنة والجماعة إلى ما ذكره الأشعري عن صحابة النبي الكريم - عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم - قال الإمام أحمد: "ومن الحجة الواضحة الثابتة البيّنة المعروفة ذكر محاسن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم أجمعين والكف عن ذكر مساوئهم، والخلاف الذي شجر بينهم، فمن سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أحداً منهم فهو مبتدع رافضي خبيث، مخالف لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً، بل حبه سنة، والدعاء لهم قربة، والافتداء بهم وسيلة، والأخذ بآثارهم فضيلة" (١٠).

(١) نقلا عن: تفسير السمعاني: ٤٠٣/٥.

(٢) تفسير ابن كثير: ٧٣/٨.

(٣) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٧٣/٨.

(٤) رواه البيهقي في معالم التنزيل للبيهقي (٠٨/٨) وله شاهد في صحيح مسلم برقم (٣٠٢٢) عن عروة قال : قالت لي عائشة : "يا ابن أخي، أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فسبوهم".

(٥) نقلا عن: تفسير السمعاني: ٤٠٣/٥.

(٦) نقلا عن: تفسير السمعاني: ٤٠٣/٥.

(٧) الحديث أخرجه الطبراني من حديث عبد الله بن مسعود.

انظر المعجم الكبير ٢٤٤/١٠، وقال المناوي: "قال الحافظ العراقي في سنده ضعيف، وقال الهيثمي فيه يزيد ابن ربيعة ضعيف، وقال ابن رجب: روي من وجوه في أسانيدنا مقال" انظر فيض القدير ٣٤٨/١، وذكره الألباني في صحيح الجامع الصغير وحكم له بالصحة. انظر ٢٠٩/١، وقال في سلسلة الأحاديث الصحيحة: روي من حديث ابن مسعود وثوبان وابن عمر وطاوس ومرسل وكلها ضعيفة الأسانيد ولكن بعضها يشد بعضها. انظر ٤٢/١.

(٨) رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب: ١٧٢.

(٩) تفسير السمعاني: ٤٠٣/٥.

(١٠) رسالة السنة ص ٧٧، ٧٨.

وقال الطحاوي: "ونحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان"^(١).

وقال الخطيب البغدادي: "عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم، وإخباره عن طهارتهم، واختياره لهم في نص القرآن، فمن ذلك قوله تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ}"^(٢).

وقال ابن حجر العسقلاني: "اتفق أهل السنة على أن جميع الصحابة عدول، ولم يخالف في ذلك إلا شذمة من المبتدعة"^(٣).

وقال ابن عيينة: "من نطق في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلمة فهو صاحب هوى"^(٤).

وقال ابن حجر الهيتمي: "اعلم أن الذي أجمع عليه أهل السنة والجماعة أنه يجب على كل مسلم تزكية جميع الصحابة بإثبات العدالة لهم والكف عن الطعن فيهم والثناء عليهم...، ثم نقل قول أبي زرعة: "إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه زنديق، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حق، والقرآن حق، وما جاء به حق، وإنما أدى إلينا ذلك كله الصحابة، فمن جرحهم إنما أراد إبطال الكتاب والسنة، فيكون الجرح به ألسق والحكم عليه بالزندقة والضلال والكذب والفساد هو الأقوم الأحق"^(٥).

قال البربهاري: "وخير هذه الأمة بعد وفاة نبيها: أبو بكر وعمر وعثمان، هكذا روي لنا عن ابن عمر؛ قال: كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا: إن خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم: أبو بكر وعمر وعثمان ويسمع النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فلا ينكره.

ثم أفضل الناس بعد هؤلاء: علي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح، وكلهم يصلح للخلافة.

ثم أفضل الناس بعد هؤلاء: أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، القرن الأول الذي بعث فيهم: المهاجرون الأولون والأنصار، وهم من صلى القبلتين ثم أفضل الناس بعد هؤلاء: من صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً أو شهراً أو سنة أقل أو أكثر، ترحم عليهم وتذكر فضله وتكف عن زلته، ولا تذكر أحداً منهم إلا بخير، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا ذكر أصحابي فأمسكوا»^(٦).

عن علي بن الحسين بن علي -من طريق ابنه محمد- قال: "جلس إلي قوم من أهل العراق، فذكروا أبا بكر وعمر، فمسوا منهما، ثم ابتدأوا في عثمان، فقلت لهم: أخبروني؛ أنتم من المهاجرين {الذين أخرجوا من ديارهم} إلى قوله: {وأولئك هم الصادقون}؟ قالوا: لا، لسنا منهم. قال: فأنتم من الذين قال الله - عز وجل -: {والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم} إلى قوله: {وأولئك هم المفلحون}؟ قالوا: لا، لسنا منهم. قال: فقلت لهم: وأما أنتم فقد تبرأتم وشهدتم وأقررتم أن تكونوا منهم، وأنا أشهد أنكم لستم من الفرقة الثالثة الذين قال الله تعالى: {والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل

(١) شرح الطحاوية: ٤١٤.

(٢) الكفاية في علم الرواية: ٩٣.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة ٩/١.

(٤) شرح السنة، للبربهاري: ٥٥.

(٥) انظر الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة بتحقيق الدكتور عبد الوهاب عبد اللطيف: ٢٠٨-

٢١١.

(٦) شرح السنة: ٥٣-٥٥.

في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم}، قوموا عني، لا بارك الله فيكم، ولا قرب دوركم، أنتم مستهزون بالإسلام، ولستم من أهله"^(١).

قوله تعالى: {رَبَّنَا إِنَّكَ رَعُوفٌ رَحِيمٌ} [الحشر : ١٠]، أي: "ربنا إنك ترحم عبادك رحمة واسعة في عاجلهم وأجلهم"^(٢).

قال الطبري: "يقول: إنك ذو رأفة بخلقك، وذو رحمة بمن تاب واستغفر من ذنوبه"^(٣).

قال الشوكاني: "أي: كثير الرأفة والرحمة، بلغهما لمن يستحق ذلك من عبادك"^(٤).

قال قتادة: "قوله: {رحيما}، بعباده"^(٥).

قال سعيد بن جبير: "قوله: {رحيما} بهم بعد التوب"^(٦).

فوائد الآيات: [٨-١٠]:

١- بيان فضل المهاجرين والأنصار، وأن حبهم إيمان وبغضهم كفران.

٢- فضيلة الإيثار على النفس.

٣- فضيلة إيواء المهاجرين ومساعدتهم على العيش في دار الهجرة المهاجرين الذين هاجروا في سبيل الله تعالى فراراً بدينهم ونصرة لإخوانهم المجاهدين والمرابطين.

٤- خطر الشح وهو البخل بما وجب إخراجها من المال والحرص على جمعه من الحلال والحرام.

٥- بيان طبقات المسلمين ودرجاتهم وهي ثلاثة بالإجمال:

الأولى:- المهاجرون الأولون.

الثانية:- الأنصار الذين تبوءوا الدار "المدينة" وألّفوا الإيمان.

الثالثة:- من جاء بعدهم من التابعين وتابعي التابعين إلى قيام الساعة من أهل الإيمان والتقوى.

٦- ينبغي للمسلم أن يذكر سلفه بخير، ويدعو لهم، وأن يحب صحابة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ويذكرهم بخير، ويترضى عنهم، لقوله تعالى: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَعُوفٌ رَحِيمٌ} [الحشر : ١٠].

القرآن

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} [الحشر : ١١]

التفسير:

ألم تنظر إلى المنافقين، يقولون لإخوانهم في الكفر من يهود بني النضير: لئن أخرجكم محمد ومن معه من منازلكم لنخرجن معكم، ولا نطيع فيكم أحداً أبداً سألنا خذلانكم أو ترك الخروج معكم، ولئن قاتلوكم لنعاوننكم عليهم؟ والله يشهد إن المنافقين لكاذبون فيما وعدوا به يهود بني النضير.

سبب النزول:

قال السدي: "قد أسلم ناس من أهل قريظة والنضير وكان فيهم منافقون، وكانوا يقولون لأهل النضير: لئن أخرجتم لنخرجن معكم. فنزلت فيهم هذا الآية: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمْ، الآية"^(١).

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤١/٣٨٩.

(٢) التفسير الميسر: ٥٤٦.

(٣) تفسير الطبري: ٢٣/٢٨٩.

(٤) فتح القدير: ٥/٢٤١.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٤٩٥): ص ٣/٨٩٦.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٤٩٤): ص ٣/٨٩٦.

قال مقاتل: " أنزل في دس المنافقين إلى اليهود أنا معكم في النصر والخروج فقال: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا}، نزلت في عبد الله بن نبتل، وعبد الله بن أبي رافع ابن يزيد، كلهم من الأنصار، {يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمْ «الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ» مِنَ الْيَهُودِ، منهم: حيي بن أخطب، وجددي وأبو ياسر، ومالك ابن الضيف، وأهل قريظة، {لَئِنْ أَخْرَجْتُمْ مُحَمَّدٌ مِنَ الْمَدِينَةِ كَمَا أَخْرَجَ أَهْلَ النُّضَيْرِ، {لَنُخْرِجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا}، يقول: لا نطيع في خذلانكم أحدا أبدا، يعني بـ«أحد»: النبي- صلى الله عليه وسلم- وحده" (٢).

قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا} [الحشر: ١١]، أي: "ألا تعجب يا محمد من شأن هؤلاء المنافقين الذين أظهروا خلاف ما أضمرُوا؟" (٣).

قال ابن عباس: " يعني: عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه، ومن كان منهم على مثل أمرهم" (٤).

قال مجاهد: " يعني: عبد الله بن أبي ابن سلول ورفاقه" (٥).

وفي رواية قال مجاهد: " عبد الله بن أبي بن سلول، ورفاعة أو رافعة بن تابوت. وقال الحارث: رفاعه بن تابوت، ولم يشك فيه، وعبد الله بن نبتل، وأوس بن قبيط" (٦).

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره لنبيه محمد -صلى الله عليه وسلم-: ألم تنظر بعين قلبك يا محمد، فترى إلى الذين نافقوا وهم فيما ذكر عبد الله بن أبي ابن سلول، ووديعه ومالك، ابنا نوفل، وسويد وداعس، بعثوا إلى بني النضير حين نزل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم للحرب أن اثبتوا وتمنعوا، فإننا لن نسلمكم، وإن قوتلتم قاتلنا معكم، وإن خرجتم، خرجنا معكم، فتربصوا لذلك من نصرهم، فلم يفعلوا، وقذف الله في قلوبهم الرعب، فسألوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن يجليهم، ويكف عن دمائهم على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة" (٧).

قوله تعالى: {يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ} [الحشر: ١١]، أي: " يقولون ليهود بني قريظة والنضير الذين كفروا برسالة محمد -صلى الله عليه وسلم-" (٨).

قال الطبري: " يعني: بني النضير" (٩).

عن ابن عباس: " {يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ}، يعني: بني النضير" (١٠).

قال السمعاني: " فيه قولان: أحدهما: أنهم بنو النضير، قال لهم المنافقون ذلك قبل أن أجلوا. والقول الآخر: أنهم بنو قريظة، قال لهم المنافقون ذلك بعد أن أجلى بنو النضير" (١١).

قوله تعالى: {لَئِنْ أَخْرَجْتُمْ لَنُخْرِجَنَّ مَعَكُمْ} [الحشر: ١١]، أي: "لئن أخرجتم من المدينة لنخرجن معكم منها" (١٢).

قال الطبري: " يقول: لئن أخرجتم من دياركم ومنازلكم، وأجليتم عنها لنخرجن معكم، فنجلى عن منازلنا وديارنا معكم" (١٣).

(١) الدر المنثور: ١١٥/٨، وأخرجه ابن أبي حاتم (١٨٨٥٨): ص ٣٣٤٧/١٠. [مختصرا]

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٨٠/٤.

(٣) صفوة التفاسير: ٣٣٤/٣.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٩٠/٢٣.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٥٣.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٨٩/٢٣.

(٧) تفسير الطبري: ٢٨٩/٢٣.

(٨) صفوة التفاسير: ٣٣٤/٣.

(٩) تفسير الطبري: ٢٩٠/٢٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٢٩٠/٢٣.

(١١) تفسير السمعاني: ٤٠٤/٥.

(١٢) صفوة التفاسير: ٣٣٤/٣.

(١٣) تفسير الطبري: ٢٩٠/٢٣.

قال السمعاني: "أي: لئن أخرجتم من المدينة لنخرجن معكم في القتال"^(١).
 قوله تعالى: {وَلَا تُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا} [الحشر : ١١]، أي: "ولا نطيع أمر محمد في قتالكم، ولا نسمع من أحدٍ إذا أمرنا بخذلانكم"^(٢).
 قال الطبري: "يقول: ولا نطيع أحدًا سألنا خذلانكم، وترك نصرتكم، ولكننا نكون معكم"^(٣).

قال مقاتل: "يقول: لا نطيع في خذلانكم أحدًا أبدًا، يعني بـ«أحد»: النبي- صلى الله عليه وسلم- وحده"^(٤).

قال السمعاني: "أي: لا نطيع محمدا فيكم"^(٥).
 قوله تعالى: {وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرْكُمْ} [الحشر : ١١]، أي: "ولئن قاتلكم أحد لنعاوننكم على عدوكم ونكون بجانبكم"^(٦).

قال الطبري: "يقول: وإن قاتلكم محمد صلى الله عليه وسلم ومن معه لننصرنكم معشر النضير عليهم"^(٧).

قال السمعاني: "معناه: ولئن قاتلكم محمدا لنكونن معكم في القتال"^(٨).
 قوله تعالى: {وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} [الحشر : ١١]، أي: "والله يشهد إن المنافقين لكاذبون فيما قالوه ووعدوهم به"^(٩).

قال الطبري: "يقول: والله يشهد إن هؤلاء المنافقين الذين وعدوا بني النضير النصر على محمد -صلى الله عليه وسلم- {لكاذبون} في وعدهم إياهم ما وعدوهم من ذلك"^(١٠).
 قال ابن كثير: "أي : لكاذبون فيما وعدوهم به إما أنهم قالوا لهم قولاً من نيتهم ألا يفوا لهم به، وإما أنهم لا يقع منهم الذي قالوه"^(١١).

القرآن

{لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون} [الحشر : ١٢]

التفسير:

لئن أخرج اليهود من «المدينة» لا يخرج المنافقون معهم، ولئن قوتلوا لا يقاتلون معهم كما وعدوا، ولئن قاتلوا معهم ليولن الأدبار فراراً منهزمين، ثم لا ينصروهم الله، بل يخذلهم، ويذلهم.
 قوله تعالى: {لئن أخرجوا لا يخرجون معهم} [الحشر : ١٢]، أي: "لئن أخرج اليهود من «المدينة» لا يخرج المنافقون معهم"^(١٢).

قال الطبري: "يقول: "لئن أخرج بنو النضير من ديارهم، فأجلوا عنها لا يخرج معهم المنافقون الذين وعدوهم الخروج من ديارهم"^(١٣).

قال السمعاني: "يعني: لئن أخرج اليهود لا يخرج معهم المنافقون"^(١).

(١) تفسير السمعاني: ٤٠٤/٥.

(٢) صفوة التفاسير: ٣٣٤/٣.

(٣) تفسير الطبري: ٢٩٠/٢٣.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٨٠/٤.

(٥) تفسير السمعاني: ٤٠٤/٥.

(٦) صفوة التفاسير: ٣٣٤/٣.

(٧) تفسير الطبري: ٢٩٠/٢٣.

(٨) تفسير السمعاني: ٤٠٤/٥.

(٩) صفوة التفاسير: ٣٣٤/٣.

(١٠) تفسير الطبري: ٢٩٠/٢٣.

(١١) تفسير ابن كثير: ٧٤/٨.

(١٢) التفسير الميسر: ٥٤٧.

(١٣) تفسير الطبري: ٢٩٠/٢٣-٢٩١.

قال النحاس: "أي: لئن أخرج بنو النضير لا يخرج المنافقون معهم، فخير بالغيث، وكان الأمر على ذلك" (٢).

قوله تعالى: {وَلَئِن قُوتِلُوا لَأَنصُرُونَهُمْ} [الحشر : ١٢]، أي: "ولئن قوتلوا لا يقاتلون معهم كما وعدوا" (٣).

قال الطبري: يقول: "ولئن قاتلهم محمد صلى الله عليه وسلم لا ينصرهم المنافقون الذين وعدوهم النصر" (٤).

قال السمعاني: "أي: لئن قوتل اليهود لا ينصرهم المنافقون" (٥).

قال ابن كثير: "أي: لا يقاتلون معهم" (٦).

قوله تعالى: {وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلِّنَنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُصَرُّونَ} [الحشر : ١٢]، أي: "ولئن قاتلوا معهم ليولنن الأدبار فراراً منهزمين، ثم لا ينصرهم الله، بل يخذلهم، ويذلهم" (٧).

قال الطبري: يقول: "ولئن نصر المنافقون بني النضير ليولنن الأدبار منهزمين عن محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه هاربين منهم، قد خذلوهم، ثم لا ينصر الله بني النضير على محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه، بل يخذلهم" (٨).

قال ابن كثير: أي: " {وَلَئِن قَاتَلُوا مَعَهُمْ لَيُؤَلِّنَنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُصَرُّونَ} وهذه بشارة مستقلة بنفسها" (٩).

فإن قيل: كيف قال: {لَا يَنْصُرُونَهُمْ}، ثم قال {وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ}، وإذا أخبر الله تعالى أنهم لا ينصرونهم كيف يجوز أن ينصروهم؟ والجواب من وجوه (١٠):

أحدها: أن قوله: {لَا يَنْصُرُونَهُمْ} في قوم من المنافقين، وقوله: {وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ} أي: في قوم آخرين منهم، وهم الذين لم يقولوا ذلك القول.

الثاني: أن قوله: {لَا يَنْصُرُونَهُمْ}، أي: طائعين، وقوله: {وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ} أي: مكرهين.

الثالث: أن قوله: {لَا يَنْصُرُونَهُمْ} أي: لا يدومون على نصرهم. وقوله: {وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ} أي: ينصروهم في الابتداء.

الرابع: -كما قاله الزجاج-: هو أنهم لا ينصرونهم على ما قال الله تعالى، وقوله: {وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ}، أي: قصدوا نصرتهم، لولوا الأدبار أي: انهزموا، وذلك بما يلقي الله تعالى في قلوبهم من الرعب. وقوله: {ثُمَّ لَا يُصَرُّونَ} أي: لا ينصر اليهود" (١١).

قال الزجاج: "قال أهل اللغة في هذا قولين: قالوا: معناه: أنهم لو تعاطوا نصرهم، أي: {وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ} لئن نصرهم من بقي منهم {لَيُؤَلِّنَنَّ الْأَدْبَارَ}" (١٢).

القرآن

{لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (١٣)} [الحشر : ١٣]
التفسير:

(١) تفسير السمعاني: ٤٠٤/٥.

(٢) إعراب القرآن: ٢٦٣/٤.

(٣) التفسير الميسر: ٥٤٧.

(٤) تفسير الطبري: ٢٩١/٢٣.

(٥) تفسير السمعاني: ٤٠٤/٥.

(٦) تفسير ابن كثير: ٧٤/٨.

(٧) التفسير الميسر: ٥٤٧.

(٨) تفسير الطبري: ٢٩١/٢٣.

(٩) تفسير ابن كثير: ٧٤/٨.

(١٠) انظر: تفسير السمعاني: ٤٠٤/٥-٤٠٥.

(١١) تفسير السمعاني: ٤٠٤/٥-٤٠٥.

(١٢) معاني القرآن: ١٤٧/٥.

لخوف المنافقين وخشيتهم إياكم -أيها المؤمنون- أعظم وأشد في صدورهم من خوفهم وخشيتهم من الله؛ وذلك بسبب أنهم قوم لا يفقهون عظمة الله والإيمان به، ولا يرهبون عقابه.
قوله تعالى: {لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ} [الحشر : ١٣]، أي: "لخوف المنافقين وخشيتهم إياكم -أيها المؤمنون- أعظم وأشد في صدورهم من خوفهم وخشيتهم من الله"^(١).

قال ابن عباس: "يريد هم منكم"^(٢).

قال ابن عباس: "هم منكم أشد خوفاً منهم من الله"^(٣).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: لأنتم أيها المؤمنون أشد رهبة في صدور اليهود من بني النضير من الله، يقول: هم يرهبونهم أشد من رهبتهم من الله"^(٤).

قال ابن كثير: "أي : يخافون منكم أكثر من خوفهم من الله، كقوله: {إِذَا قَرَّبُوا قُرْبَانَ يَتُوبُونَ عَلَيْهِمْ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَكْثَرُ مِمَّا ظَنَّنُوا مِمَّنْ لَا يَخَافُونَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً} [النساء : ٧٧]"^(٥).

قال الفراء: "يقول: أنتم يا معشر المسلمين أهيب في صدورهم، يعني: بني النضير، من عذاب الله عندهم، وذلك أن بني النضير كانوا ذوي بأس، فخذف الله في قلوبهم الرعب من المسلمين، ونزل في ذلك: {بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ}، ليقوى المسلمون عليهم"^(٦).

قال القشيري: "أخبر- سبحانه- أن المسلمين أشد رهبة في صدورهم من الله، وذلك لقلة يقينهم، وإعراض قلوبهم عن الله"^(٧).

قوله تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ} [الحشر : ١٣]، أي: "وذلك بسبب أنهم قوم لا يفقهون عظمة الله والإيمان به، ولا يرهبون عقابه"^(٨).

قال ابن عباس: "من أجل أنهم قوم لا يفقهون عظمة الله"^(٩).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: هذه الرهبة التي لكم في صدور هؤلاء اليهود التي هي أشد من رهبتهم من الله من أجل أنهم قوم لا يفقهون، قدر عظمة الله، فهم لذلك يستخفون بمعاصيه، ولا يرهبون عقابه قدر رهبته منكم"^(١٠).

قال النحاس: "أي: من أجل أنهم قوم لا يفقهون قدر عظمة الله جل وعز فهم يجترءون على معاصيه ولا يتخوفون عقابه"^(١١).

قال السمعاني: "أي: لا يعلمون عظمة الله وقدرته فيخافون منه"^(١٢).

القرآن

{لَا يُفَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ (١٤)} [الحشر : ١٤]
التفسير:

(١) التفسير الميسر: ٥٤٧.

(٢) التفسير البسيط للواحدى: ٣٨٧/٢١.

(٣) التفسير الوسيط للواحدى: ٢٧٦/٤.

(٤) تفسير الطبري: ٢٩١/٢٣.

(٥) تفسير ابن كثير: ٧٤/٨.

(٦) معاني القرآن: ١٤٦/٣.

(٧) لطائف الإشارات: ٥٦٣/٣.

(٨) التفسير الميسر: ٥٤٧.

(٩) التفسير البسيط للواحدى: ٣٨٧/٢١.

(١٠) تفسير الطبري: ٢٩١/٢٣.

(١١) إعراب القرآن: ٢٦٤/٤.

(١٢) تفسير السمعاني: ٤٠٥/٥.

لا يواجهكم اليهود بقتال مجتمعين إلا في قرى محصنة بالأسوار والخنادق، أو من خلف
الحيطان التي يتسترون بها؛ لجنبهم وللرعب الذي تمكن من قلوبهم، عداوتهم فيما بينهم شديدة،
تظن أنهم مجتمعون على كلمة واحدة، ولكن قلوبهم متفرقة؛ وذلك بسبب أنهم قوم لا يعقلون أمر
الله ولا يتدبرون آياته.

قوله تعالى: ﴿لَا يُفَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ [الحشر : ١٤]،
أي: " لا يواجهكم اليهود بقتال مجتمعين إلا في قرى محصنة بالأسوار والخنادق، أو من خلف
الحيطان التي يتسترون بها؛ لجنبهم وللرعب الذي تمكن من قلوبهم" (١).

قال الطبري: " يقول جلّ ثناؤه: يقاتلكم هؤلاء اليهود بني النضير مجتمعين إلا في قرى
محصنة بالحصون، لا يبرزون لكم بالبراز، أو من خلف حيطان" (٢).

قال القشيري: " أخبر أنهم لا يجسرون على مقاتلة المسلمين إلا مخاتلة، أو من وراء
جدران" (٣).

قال السمعاني: " يعني: أنهم لا يمكنهم أن يصفوكم في القتال ويواجهوكم به، وإنما
يفاتلونكم في الحصون ووراء الجدر لقتلهم ودخول الرعب عليهم" (٤).

قال ابن كثير: " يعني : أنهم من جنبهم وهلعهم لا يقدرّون على مواجهة جيش الإسلام
بالمبارزة والمقابلة بل إما في حصون أو من وراء جدر محاصرين، فيقاتلون للدفع عنهم
ضرورة" (٥).

وقرئت: «أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدَارٍ»، - على الواحد - وقرئت: بتسكين الدال (٦).

قوله تعالى: ﴿بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ شَدِيدًا﴾ [الحشر : ١٤]، أي: " عداوتهم فيما بينهم شديدة" (٧).

قال الطبري: يقول: " عداوة بعض هؤلاء الكفار من اليهود بعضًا شديدة" (٨).

قال ابن كثير: " أي : عداوتهم فيما بينهم شديدة، كما قال: ﴿وَيُذِيقُ بَعْضَكُمْ بِأَسِّ بَعْضٍ﴾

[الأنعام : ٦٥]" (٩).

قال ابن أبي زمنين: " أي: إذا اجتمعوا قالوا: لنفعلن بمحمد كذا ولنفعلن به كذا" (١٠).

قال مجاهد: " يعني " أنهم يقولون فيما بينهم: لنفعلن كذا ولنفعلن كذا" (١١).

قال القشيري: " وإنما يشتدّ بأسهم فيما بينهم، أي: إذا حارب بعضهم بعضًا، فأما معكم

... فلا" (١٢).

قال ابن قتيبة: " البأس: الشدة بالقتال" (١٣).

قوله تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ [الحشر : ١٤]، أي: " تظن أنهم مجتمعون

على كلمة واحدة، ولكن قلوبهم متفرقة" (١٤).

قال الفراء: " {تَحْسَبُهُمْ}، يعني: بنى النضير جميعًا، وقلوبهم مختلفة" (١٥).

(١) التفسير الميسر: ٥٤٧.

(٢) تفسير الطبري: ٢٩١/٢٣.

(٣) لطائف الإشارات: ٥٦٣/٣.

(٤) تفسير السمعاني: ٤٠٥/٥.

(٥) تفسير ابن كثير: ٧٤/٨.

(٦) انظر: معاني القرآن للزجاج: ١٤٨/٥.

(٧) التفسير الميسر: ٥٤٧.

(٨) تفسير الطبري: ٢٩٢/٢٣.

(٩) تفسير ابن كثير: ٧٥/٨.

(١٠) تفسير ابن أبي زمنين: ٣٧١/٤.

(١١) نقلًا عن: تفسير السمعاني: ٤٠٥/٥.

(١٢) لطائف الإشارات: ٥٦٣/٣.

(١٣) تأويل مشكل القرآن: ٢٧٣.

(١٤) التفسير الميسر: ٥٤٧.

(١٥) معاني القرآن: ١٤٦/٣.

قال الطبري: "يعني: المنافقين وأهل الكتاب، يقول: تظنهم مؤتلفين مجتمعة كلمتهم، وقلوبهم مختلفة لمعاداة بعضهم بعضاً"^(١).

قال ابن كثير: "أي: تراهم مجتمعين فتحسبهم مؤتلفين، وهم مختلفون غاية الاختلاف"^(٢).

قال ابن أبي زمنين: "أي: مفرقة في قتالكم"^(٣).

قال الزجاج: "أي: مختلفون لا تستوي قلوبهم ولا يتعاونون بنيات مُجْتَمِعَةً لأن الله - عزَّ وجلَّ - ناصر حزبه وخاذل أعدائه"^(٤).

قال السمعاني: "يعني: أن المنافقين قط لا يخلصون لليهود، ولا اليهود للمنافقين"^(٥).

قال إبراهيم النخعي: يعني: "المنافقون، وأهل الكتاب"^(٦). وروي عن أبي مجلز مثله^(٧).

عن مجاهد، قوله: "تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى"، قال: المنافقون يخالف دينهم دين النصير"^(٨).

قال مجاهد: "هم المنافقون وأهل الكتاب"^(٩). وفي رواية: "المشركون وأهل الكتاب"^(١٠).

قال قتادة: "تجد أهل الباطل مختلفة شهادتهم، مختلفة أهواؤهم، مختلفة أعمالهم، وهم مجتمعون في عداوة أهل الحق"^(١١).

عن علي بن أبي طالب، قال: "المؤمنون بعضهم لبعض نصحاء وأدّون، وإن افتقرت منازلهم، والفجرة بعضهم لبعض عَشَشَةُ حَوْنَةٍ، وإن اجتمعت أبدانهم"^(١٢).

قال سهل: "أهل الحق مجتمعون، وأهل الباطل متفرقون أبداً، وإن اجتمعوا في أبدانهم

وتوافقوا في الظاهر، فإن الله تعالى يقول في كتابه العزيز: {تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى}"^(١٣).

قال القشيري: "اجتماع النفوس - مع تنافر القلوب واختلافها - أصل كل فساد، وموجب

كل تخاذل، ومقتضى تجاسر العدو، واتفاق القلوب والاشترار في الهمة والتساوي في القصد

يوجب كل ظفر وكل سعادة.. ولا يكون ذلك للأعداء قط فليس فيهم إلا اختلال كل حال، وانتفاض كل شمل"^(١٤).

وفي قراءة عبد الله: «وقلوبهم أشتت»، بمعنى: أشدّ تشتتاً، أي: أشدّ اختلافاً^(١٥).

قوله تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ} [الحشر : ١٤]، أي: "وذلك بسبب أنهم قوم لا

يعقلون أمر الله ولا يتدبرون آياته"^(١٦).

(١) تفسير الطبري: ٢٩٢/٢٣.

(٢) تفسير ابن كثير: ٧٥/٨.

(٣) تفسير ابن أبي زمنين: ٣٧١/٤.

(٤) معاني القرآن: ١٤٨/٥.

(٥) تفسير السمعاني: ٤٠٥/٥.

(٦) أخرجه أبو إسحاق الفزاري في سيره ٢٠٥، وانظر: تفسير ابن كثير: ٧٥/٨.

(٧) أخرجه أبو إسحاق الفزاري في سيره ٢٠٥.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٩٢/٢٣.

(٩) أخرجه الطبري: ٢٩٢/٢٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٢٩٣/٢٣.

(١١) أخرجه الطبري: ٢٩٢/٢٣.

(١٢) الدر المنثور: ١١٦/٨، وعزاه إلى الديلمي.

(١٣) تفسير التستري: ١٦٦.

(١٤) لطائف الإشارات: ٥٦٣/٣ - ٥٦٤.

(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٩٣/٢٣.

(١٦) التفسير الميسر: ٥٤٧.

قال الطبري: " يقول جل ثناؤه: هذا الذي وصفت لكم من أمر هؤلاء اليهود والمنافقين، وذلك تشتيت أهوائهم، ومعادة بعضهم بعضاً من أجل أنهم قوم لا يعقلون ما فيه الحظ لهم مما فيه عليهم البخس والنقص"^(١).

قال السمعاني: " أي: لا يتدبرون بعقولهم، فهم بمنزلة من لا عقل له"^(٢).

قال الخطيب الإسكافي: " وأما قوله: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ}، فإنه بعد قوله: {جُدِرَ بِأَسْهُمُ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى}، ومعناه: لا يجمعهم الحق على طريقة واحدة، بل هم أتباع أهوائهم فهم مختلفون باختلاف آرائهم، ولو عقلوا الرشد من الغي، لاجتمعوا على الحق فاختلفهم لأنهم لا يعقلون ما يدعو إلى طاعة الله ويهدي إلى ما قال الله: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ...} [الأنعام: ١٥٣]، فالحق سبيل واحد مستقيم، والباطل سبل كثيرة تحمل عليها أهواء متشعبة، فقد بان لك أن كلا من الخاتمتين ختم بما يقتضيه"^(٣).

فوائد الآيات: [١١-١٤]:

- ١- تقرير حقيقة وهي أن الكفر ملة واحدة وأن الكافرين إخوان.
- ٢- خلف الوعد آية النفاق وعلاماته البارزة.
- ٣- الجبن والخوف صفة من صفات اليهود اللازمة لهم ولا تنفك عنهم.
- ٤- عامة الكفار يبدون متحدين ضد الإسلام وهم كذلك ولكنهم يما بينهم تمزقهم العداوات وتقطعهم الأطماع وسوء الأغراض والنيات.

القرآن

{كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٥)} [الحشر: ١٥]

التفسير:

مثل هؤلاء اليهود فيما حلَّ بهم من عقوبة الله كمثل كفار قريش يوم «بدر»، ويهود بني قينقاع، حيث ذاقوا سوء عاقبة كفرهم وعداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب أليم موجع.

قوله تعالى: {كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا} [الحشر: ١٥]، أي: " مثل هؤلاء اليهود فيما حلَّ بهم من عقوبة الله كمثل كفار قريش يوم «بدر»، ويهود بني قينقاع"^(٤).

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: مثل هؤلاء اليهود من بني النضير والمنافقين فيما الله صانع بهم من إحلال عقوبته بهم {كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ}، يقول: كشبههم"^(٥).

وفي قوله تعالى: {كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا} [الحشر: ١٥]، أقوال:

أحدها: أنهم كفار قريش الذين قتلوا يوم بدر، فإنهم قبلهم ومثل لهم في أن غلبوا وقهروا. قاله مجاهد^(٦)، وقتادة^(٧)، والسدي^(٨)، ومقاتل^(٩).

قال الزجاج: " مثل ما نال أهل بدر"^(١٠).

قال مقاتل: " يعني: قبل أهل بدر، كان قبل ذلك بستين"^(١١).

(١) تفسير الطبري: ٢٩٢/٢٣.

(٢) تفسير السمعاني: ٤٠٦/٥.

(٣) درة التنزيل وغرة التأويل: ١٢٦٥/١-١٢٦٦.

(٤) التفسير الميسر: ٥٤٧.

(٥) تفسير الطبري: ٢٩٣/٢٣.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٩٣/٢٣.

(٧) انظر: المحرر الوجيز: ٢٩٠/٥.

(٨) انظر: النكت والعيون: ٥٠٩/٥.

(٩) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٨١/٤.

(١٠) معاني القرآن: ١٤٨/٦.

(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٨١/٤.

قال الواحدي: " وكان ذلك قبل غزوة بني النضير بستة أشهر" (١).
قال الزمخشري: " أي: مثلهم كمثل أهل بدر في زمان قريب" (٢).
الثاني: أنهم بنو النضير الذين أجلوا من الحجاز إلى الشام، قاله قتادة (٣).
الثالث: أنهم بنو قريظة، كان قبلهم إجلاء بني النضير. حكاه الماوردي (٤).
الرابع: أنهم بنو قينقاع، لأن النبي صلى الله عليه وسلم أجلاهم عن المدينة قبل بني النضير وكانوا مثلاً لهم. قاله ابن عباس (٥)، وقاتدة (٦)، وابن إسحاق (٧)، وبه قال ابن كثير (٨).
قال ابن كثير: " وهذا القول أشبه بالصواب، فإن يهود بني قينقاع كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أجلاهم قبل هذا" (٩).
الخامس: أنهم منافقوا الأمم المتقدمة، وذلك أنهم غلبوا ونالتهم الذلة على وجه الدهر فهم مثل لهؤلاء. حكاه ابن عطية (١٠).
قال ابن عطية: " ولكن قوله: {قريباً}، إما أن يكون في زمن موسى وإلا فالتأويل المذكور يضعف، إلا أن تجعل قريباً ظرفاً للذوق، فيكون التقدير: «ذاقوا وبال أمرهم قريباً» من عصيانهم وبحدثانه، ولا يكون المعنى أن المثل قريب في الزمن من الممثل له" (١١).
قال النحاس: " اختلف أهل التأويل في الذين من قبلهم، هاهنا، فقال ابن عباس: هم بنو قينقاع، وقال مجاهد: هم أهل بدر، والصواب أن يقال في هذا: إن الآية عامة، وهؤلاء جميعاً ممن كان قبلهم" (١٢).
قال الطبري: " وأولى الأقوال بالصواب إن يقال: إن الله عز وجلّ مثل هؤلاء الكفار من أهل الكتاب مما هو مذيقهم من نكاله بالذين من قبلهم من مكذّبي رسوله صلى الله عليه وسلم، الذين أهلكهم بسخطه، وأمر بني قينقاع ووقعة بدر، كانا قبل، جلاء بني النضير، وكلّ أولئك قد ذاقوا وبال أمرهم، ولم يخص الله عز وجلّ منهم بعضاً في تمثيل هؤلاء بهم دون بعض، وكلّ ذائق وبال أمره، فمن قربت مدته منهم قبلهم، فهم ممثلون بهم فيما عُنوا به من المثل" (١٣).
قوله تعالى: {ذاقوا وبال أمرهم} [الحشر: ١٥]، أي: " حيث ذاقوا سوء عاقبة كفرهم وعداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الدنيا" (١٤).
قال الطبري: " يقول: نالهم عقاب الله على كفرهم به" (١٥).
قال الزمخشري: أي: " سوء عاقبة كفرهم وعداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم. من قولهم: كلاً وبيل: وخيم سيئ العاقبة، يعنى: ذاقوا عذاب القتل في الدنيا" (١٦).
قال مجاهد: يعنى: «كفار قريش يوم بدر» (١٧).

-
- (١) التفسير البسيط: ٣٨٩/٢١.
(٢) الكشف: ٥٠٧/٤.
(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨٨٥٩): ص ٣٣٤٧/١٠.
(٤) انظر: النكت والعيون: ٥٠٩/٥.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٩٣/٢٣.
(٦) انظر: تفسير ابن كثير: ٧٥/٨.
(٧) انظر: تفسير ابن كثير: ٧٥/٨.
(٨) انظر: تفسير ابن كثير: ٧٥/٨.
(٩) تفسير ابن كثير: ٧٥/٨.
(١٠) انظر: المحرر الوجيز: ٢٩٠/٥.
(١١) المحرر الوجيز: ٢٩٠/٥.
(١٢) إعراب القرآن: ٤٠٢/٣.
(١٣) تفسير الطبري: ٢٩٤/٢٣.
(١٤) التفسير الميسر: ٥٤٧.
(١٥) التصاريح لتفسير القرآن مما اشتهت أسماؤه وتصرفت معانيه: ٢٣٤.
(١٦) الكشف: ٥٠٧/٤.
(١٧) تفسير مجاهد: ٦٥٣.

قوله تعالى: {وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [الحشر : ١٥]، أي: "ولهم في الآخرة عذاب أليم موجع"^(١).
 قال الطبري: "يقول: ولهم في الآخرة مع ما نالهم في الدنيا من الخزي عذاب أليم، يعني: موجع"^(٢).
 قال الزمخشري: أي: "في الآخرة عذاب النار"^(٣).
 قال أبو العالية: "الأليم: الموجع في القرآن كله"^(٤)، وروي عن سعيد بن جبير، وأبي مالك، والضحاك، وقتادة، وأبي عمران الجوني، نحو ذلك^(٥).

القرآن

{كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ
 [الحشر : ١٦]
 التفسير:

ومثل هؤلاء المنافقين في إغراء اليهود على القتال ووعدهم بالنصر على رسول الله صلى الله عليه وسلم، كمثل الشيطان حين زين للإنسان الكفر ودعاه إليه، فلما كفر قال: إني بريء منك، إني أخاف الله رب الخلق أجمعين.

قوله تعالى: {كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ} [الحشر : ١٦]، أي: "ومثل هؤلاء المنافقين في إغراء اليهود على القتال ووعدهم بالنصر على رسول الله صلى الله عليه وسلم، كمثل الشيطان حين زين للإنسان الكفر ودعاه إليه"^(٦).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: مثل هؤلاء المنافقين الذين وعدوا اليهود من النصير، النصر إن قوتلوا، أو الخروج معهم إن أخرجوا، ومثل النصير في غرورهم إياهم بإخلافهم الوعد، وإسلامهم إياهم عند شدة حاجتهم إليهم، وإلى نُصرتهم إياهم، كمثل الشيطان الذي غرَّ إنساناً، ووعد على اتباعه وكفره بالله، النصر عند الحاجة إليه، فكفر بالله واتبعه وأطاعه"^(٧).

قال الزمخشري: أي: "مثل المنافقين في إغرائهم اليهود على القتال ووعدهم إياهم النصر، ثم متاركتهم لهم وإخلافهم {كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ}، إذا استغوى الإنسان بكيده ثم تبرا منه في العاقبة، والمراد استغواؤه قريشا يوم بدر، وقوله لهم: {لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ} [الأنفال : ٤٨]، إلى قوله: {إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ} [الأنفال : ٤٨]"^(٨).

قال ابن كثير: "يعني: مثل هؤلاء اليهود في اغترارهم بالذين وعدوهم النصر من المنافقين، وقول المنافقين لهم: {وَإِنْ فُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ} ثم لما حقت الحقائق وجدَّ بهم الحصار والقتال، تخلوا عنهم وأسلموهم للهلكة، مثالهم في هذا كمثل الشيطان إذ سول للإنسان - والعياذ بالله - الكفر"^(٩).

قال السعدي: "ومثل هؤلاء المنافقين الذين غروا إخوانهم من أهل الكتاب {كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ} أي: زين له الكفر وحسنه ودعاه إليه"^(١٠).
 وفي قوله تعالى: {كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ} [الحشر : ١٦]، قولان:

(١) التفسير الميسر: ٥٤٧.

(٢) التصارييف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه: ٢٣٤.

(٣) الكشاف: ٥٠٧/٤.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٤٥١): ص ٨٢٣/٣.

(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٤٤٥١): ص ٨٢٣/٣.

(٦) التفسير الميسر: ٥٤٧.

(٧) التصارييف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه: ٢٣٤.

(٨) الكشاف: ٥٠٧/٤.

(٩) تفسير ابن كثير: ٧٥/٨.

(١٠) تفسير السعدي: ٨٥٣.

أحدهما: أنه مثلٌ ضربه الله تعالى للكافر في طاعة الشيطان، وهو عام في جميع الناس، قاله مجاهد^(١).

عن مجاهد بن جبر -من طريق ابن أبي نجيح-: «كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ»، قال: عامة الناس^(٢).

قال ابن عطية: "ذهب مجاهد وجمهور من المتأولين إلى أن «الشيطان» و «الإنسان» في هذه الآية أسماء جنس لأن العرف أن يعمل هذا شياطين بناس كما يغوي الشيطان الإنسان ثم يفر منه بعد أن يورطه، كذلك أغوى المنافقون بني النضير وحرصوهم على الثبوت ووعدوهم النصر، فلما نشب بنو النضير وكشفوا عن وجوههم تركهم المنافقون في أسوأ حال^(٣).
الثاني: أنه مثل ضربه الله تعالى لشخص معين، وعلى هذا جمهور المفسرين^(٤). وهذا شرح قصته:

ذكر أهل التفسير: "أن عابداً من بني إسرائيل كان يقال له: برصيصاً تعبد في صومعة له أربعين سنة لا يقدر عليه الشيطان، فجمع إبليس يوماً مرده الشياطين، فقال: ألا أحدٌ منكم يكفيني برصيصاً، فقال: الأبيض، وهو صاحب الأنبياء: أنا أكفيكه، فانطلق على صفة الرهبان، فأتى صومعته، فناداه فلم يجبه، وكان لا يفتل عن صلاته إلا في كل عشرة أيام، ولا يفطر إلا في كل عشرة أيام، فلما رأى أنه لا يجيبه أقبل على العبادة في أصل صومعته، فلما انفتل برصيصاً، اطّلع فراه منتصباً يصلي على هيئة حسنة، فناداه: ما حاجتك؟ فقال: إني أحببت أن أكون معك، أقتبس من عملك، وأتأدب بأدبك، ونجتم على العبادة، فقال برصيصاً: إني لفي شغل عنك، ثم أقبل على صلاته، وأقبل الأبيض يصلي، فلم يُقبل إليه برصيصاً أربعين يوماً، ثم انفتل، فراه يصلي، فلما رأى شدة اجتهاده قال: ما حاجتك؟ فأعاد عليه القول، فأذن له، فصعد إليه، فأقام معه حولاً لا يفطر إلا كل أربعين يوماً، ولا يفتل من صلاته إلا في كل أربعين يوماً، وربما زاد على ذلك، فلما رأى برصيصاً اجتهاده، أعجبه شأنه وتقاشرت إليه نفسه، فلما حال الحول قال الأبيض لبرصيصاً: إني منطلق عنك، فإن لي صاحباً غيرك ظننت أنك أشد اجتهاداً مما أرى، وكان يبلغنا عنك غير الذي أرى، فاشتد ذلك على برصيصاً، وكره مفارقتة، فلما ودّعه قال له الأبيض: إن عندي دَعَوَاتٍ أعلمكها، يشفي الله بها السقيم، ويعافي بها المبتلي، فقال برصيصاً: إني أكره هذه المنزلة، لأن لي في نفسي شغلاً، فأخاف أن يعلم الناس بهذا، فيشغلوني عن العبادة. فلم يزل به حتى علمه إياها، ثم انطلق إلى إبليس فقال: قد والله أهلك الرجل، فانطلق الأبيض، فتعرّض لرجل فخنقه، ثم جاءه في صورة رجل متطبّب، فقال لأهله: إن بصاحبكم جنوناً فأعالجه؟ قالوا: نعم، فقال لهم: إني لا أقوى على جنّيه، ولكن سأرشدكم إلى من يدعو له فيعافي فقالوا له: دلنا. فقال: انطلقوا إلى برصيصا العابد فإن عنده اسم الله الأعظم، فانطلقوا إليه فسألوه فدعا بتلك الكلمات، فذهب عنه الشيطان، وكان الأبيض يفعل بالناس ذلك، ثم يرشدهم إلى برصيصا، فيعاقون، فلما طال ذلك عليه انطلق إلى جارية من بنات ملوك إسرائيل، لها ثلاثة إخوة، فخنقها، ثم جاء إليهم في صورة متطبّب، فقال: أعالجها؟ قالوا: نعم. قال: إن الذي عرض لها مارد لا يطاق، ولكن سأرشدكم إلى رجل تدعونها عنده، فإذا جاء شيطانها دعا لها، قالوا: ومن هو؟ قال: برصيصا، قالوا: وكيف لنا أن يقبلها منّا، وهو أعظم شأناً من ذلك؟! قال: إن قبلها، وإلا فضعوها في صومعته، وقولوا له: هي أمانة عندك، فانطلقوا إليه، فأبى عليهم، فوضعوها عنده. وفي بعض الروايات أنه قال: ضعوها في ذلك الغار، وهو غار إلى جنب صومعته، فوضعوها، فجاء الشيطان فقال له: انزل إليها فامسحها بيدك تعافى، وتتصرف إلى أهلها، فنزل، فلما دنا إلى باب الغار دخل الشيطان فيها، فإذا هي تركض،

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢٩٧/٢٣.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٩٧/٢٣.

(٣) المحرر الوجيز: ٢٩٠/٥.

(٤) انظر: زاد المسير: ٢٦١/٤.

فسقطت عنها ثيابها، فنظر العابد إلى شيء لم ير مثله حسناً وجمالاً، فلم يتمالك أن وقع عليها، وضرب على أذنه، فجعل يختلف إليها إلى أن حملت، فقال له الشيطان: ويحك يا برصيصا قد افْتُضحت، فهل لك أن تقتل هذه وتتوب؟! فإن سألوك عنها قلت: جاء شيطانها، فذهب بها، فلم يزل به حتى قتلها، ودفنها، ثم رجع إلى صومعته، فأقبل على صلاته إذ جاء إخوتها يسألون عنها، فقالوا: يا برصيصا! ما فعلت أختنا؟ قال: قد جاء شيطانها فذهب بها، ولم أطقه، فصدَّقوه، وانصرفوا. وفي بعض الروايات أنه قال: دعوت لها، فعافاها الله، ورجعت إليكم، فتفرَّقوا ينظرون لها أثراً، فلما أمسوا جاء الشيطان إلى كبيرهم في منامه، فقال: ويحك: إن برصيصا فعل بأختك كذا وكذا، وإنه دفنها في موضع كذا من جبل كذا، فقال: هذا حلم، وبرصيصا خير من ذلك، فتتابع عليه ثلاث ليال، وهو لا يكثرث، فانطلق إلى الأوسط كذلك، ثم إلى الأصغر، بمثل ذلك، فقال الأصغر لإخوته: لقد رأيت كذا وكذا، فقال الأوسط: وأنا والله، فقال الأكبر: وأنا والله، فأتوا برصيصا، فسأله عنها، فقال: قد أعلمتكم بحالها، فكأنكم اتهمتموني، فقالوا: لا والله واستحيوا، وانصرفوا، فجاءهم الشيطان فقال: ويحكم إنها لمدفونة في موضع كذا وكذا، وإن إزارها لخارج من التراب، فانطلقوا، فحفروا عنها، فرأوها، فقالوا: يا عدو الله لم قتلتها؟ اهبط، فهدموا صومعته، ثم أوثقوه، وجعلوا في عنقه حبلاً، ثم قادوه إلى الملك فأقرَّ على نفسه، وذلك أنَّ الشيطان عرض له، فقال: تقتلها ثم تكابر، فاعترف، فأمر الملك بِقَتْلِهِ وصلبِهِ، فعرض له الأبيض، فقال: أتعرفني؟ قال: لا، قال: أنا صاحبك الذي علمتكَ الدعوات، ويحك ما اتَّقيت الله في أمانة خنت أهلها، أما استحييت من الله؟! ألم يكفك ذلك حتى أقررت فضحت نفسك وأشباهك بين الناس؟! فإن متَّ على هذه الحالة لم تفلح، ولا أحدٌ من نظرائك، قال: فكيف أصنع؟ قال: تطيعني في خصلة حتى أنجيك، وأخذ بأعينهم، وأخرجك من مكانك، قال: ما هي؟ قال: تسجد لي، فسجد له، فقال: هذا الذي أردت منك، صارت عاقبة أمرك أن كفرت إني بريء منك ثم قتل. فضرب الله هذا المثل لليهود حتى غرَّهم المنافقون، ثم أسلموهم^(١).

وردت هذه القصة عن ابن عباس موقوفاً: أخرجه الطبري وابن أبي حاتم، وإسناده واه^(٢)، فيه مجاهيل: وعطية العوفي واه. وورد عن علي، أخرجه الطبري وإسناده حسن^(٣). وورد عن ابن مسعود، أخرجه الطبري وإسناده ضعيف^(٤). وورد من وجوه متعددة^(٥)، ومصدر ذلك كله كتب الأقدمين، والله تعالى أعلم.

قال ابن عطية -معلقاً على القول الثاني-: "وهذا كله حديث ضعيف، والتأويل الأول هو وجه الكلام"^(٦).

(١) انظر: زاد المسير: ٢٦٢/٤-٢٦٣.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٩٥/٢٣-٢٩٦، وتفسير ابن أبي حاتم (١٨٨٦٠): ص ٣٣٤٨/١٠.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٩٤/٢٣-٢٩٥.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٩٥/٢٣.
(٥) ورد أيضاً عن طاووس، انظر: تفسير عبدالرزاق (٣١٩٣): ص ٢٩٩/٣، وتفسير الطبري: ٢٩٦/٢٣-٢٩٧، وفيه.

عن طاووس بن كيسان -من طريق معمر- قال: "كان رجل من بني إسرائيل، وكان عابداً وكان ربما داوى المجانين، وكانت امرأة جميلة أخذها الجنون فجاء بها إليه فتركت عنده فأعجبته فوقع عليها، فحملت فجاءه الشيطان فقال: إن علم بهذا افتضحت فاقتلها وأرقدما في بيتك، فقتلها ودفنها، فجاء أهلها بعد ذلك بزمان يسألونه عنها، فقال: ماتت فلم يتهموه لصلاحه فيهم ورضاه، فجاءهم الشيطان فقال: إنها لم تمت ولكنه وقع عليها فحملت فقتلها ودفنها، وهي في بيته في مكان كذا وكذا، فجاء أهلها فقالوا: ما نتهمك ولكن أخبرنا أين دفنتها، ومن كان معك؟ ففتشوا بيته فوجدوها حيث دفنها فأخذ فسجن فجاءه الشيطان، فقال: إن كنت تريد أن أخلصك مما أنت فيه، وتخرج منه، فاكفر بالله، فأطاع الشيطان وكفر فأخذ فقتل فتبرأ منه الشيطان حينئذ، قال طاووس: "فما أعلم إلا بهذه الآية أنزلت فيه {كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين} [الحشر: ١٦]"

(٦) المحرر الوجيز: ٢٩٠/٥.

قال ابن كثير: " ذكر بعضهم هاهنا قصة لبعض عباد بني إسرائيل هي كالمثال لهذا المثل، لا أنها المرادة وحدها بالمثل، بل هي منه مع غيرها من الوقائع المشاكلة لها.. واشتهر عند كثير من الناس أن هذا العابد هو برصيصا، والله أعلم. وهذه القصة مخالفة لقصة جريج العابد، فإن جريجاً اتهمته امرأة بغي بنفسها، وادعت أن حملها منه، ورفعت أمره إلى ولي الأمر، فأمر به فأنزل من صومعته وخربت صومعته وهو يقول : ما لكم ؟ ما لكم ؟ فقالوا : يا عدو الله، فعلت بهذه المرأة كذا وكذا. فقال : جريج : اصبروا. ثم أخذ ابنها وهو صغير جداً ثم قال : يا غلام، من أبوك ؟ قال أبي الراعي - وكانت قد أمكنته من نفسها فحملت منه - فلما رأى بنو إسرائيل ذلك عظموه كلهم تعظيماً بليغاً وقالوا : نعيد صومعتك من ذهب. قال : لا بل أعيدوها من طين، كما كانت"^(١).

قوله تعالى: {فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ} [الحشر : ١٦]، أي: " فلما كفر الإنسان، تبرأ منه الشيطان"^(٢).

قال الطبري: " فلما احتاج إلى نُصرتِهِ أسلمه وتبرأ منه"^(٣).

قال ابن كثير: " فإذا دخل فيما سوله تبرأ منه وتصل، وقال : {إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ}"^(٤).

قال السعدي: " فلما اغتر به وكفر، وحصل له الشقاء، لم ينفعه الشيطان، الذي تولاه ودعاه إلى ما دعاه إليه، بل تبرأ منه"^(٥).

قوله تعالى: {إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ} [الحشر : ١٦]، أي: " إني أخاف الله رب الخلق أجمعين"^(٦).

قال الطبري: " وقال له: {إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ} في نُصرتك"^(٧).

قال السعدي: " أي: ليس لي قدرة على دفع العذاب عنك، ولست بمغن عنك مثقال ذرة من الخير"^(٨).

قال ابن عطية: " قول الشيطان: {إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ}، رياء من قوله وليست على ذلك عقيدته، ولا يعرف الله حق معرفته ولا يحجزه خوفه عن سوء يوقع فيه ابن آدم من أول إلا آخر"^(٩).

القرآن

{فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (١٧)} [الحشر : ١٧]

التفسير:

فكان عاقبة أمر الشيطان والإنسان الذي أطاعه فكفر، أنهما في النار، ماكنين فيها أبداً، وذلك جزاء المعتدين المتجاوزين حدود الله.

قوله تعالى: {فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا} [الحشر : ١٧]، أي: " فكان عاقبة أمر الشيطان والإنسان الذي أطاعه فكفر، أنهما في النار، ماكنين فيها أبداً"^(١٠).

(١) تفسير ابن كثير: ٧٥/٨-٧٦.

(٢) صفوة التفاسير: ٣٣٥/٣.

(٣) التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه: ٢٣٤.

(٤) تفسير ابن كثير: ٧٥/٨.

(٥) تفسير السعدي: ٨٥٣.

(٦) التفسير الميسر: ٥٤٧.

(٧) التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه: ٢٣٤.

(٨) تفسير السعدي: ٨٥٣.

(٩) المحرر الوجيز: ٢٩٠/٥.

(١٠) التفسير الميسر: ٥٤٨.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: فكان عُقبى أمر الشيطان والإنسان الذي أطاعه، فكفر بالله أنهما خالدان في النار ماكنان فيها أبدًا"^(١).

قال ابن كثير: "أي: فكانت عاقبة الأمر بالكفر والفاعل له، وتصيرهما إلى نار جهنم خالدين فيها"^(٢).

قال السعدي: "أي: الداعي الذي هو الشيطان، والمدعو الذي هو الإنسان حين أطاعه"^(٣).

عن سليمان بن مهران الأعمش، أنه كان يقرأ: (فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَانِ فِيهَا)^(٤). وهي قراءة ابن مسعود: «خالدان فيها»، على أنه خبر «أن»^(٥).

قوله تعالى: {وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ} [الحشر: ١٧]، أي: "وذلك جزاء المعتدين المتجاوزين حدود الله"^(٦).

قال الطبري: "يقول: وذلك ثواب اليهود من النضير والمنافقين الذين وعدوهم النصر، وكلُّ كافر بالله ظالم لنفسه على كفره به أنهم في النار مخلدون"^(٧).

قال ابن كثير: "أي: جزاء كل ظالم"^(٨).

قال السعدي: "الذين اشتركوا في الظلم والكفر، وإن اختلفوا في شدة العذاب وقوته، وهذا دأب الشيطان مع كل أوليائه، فإنه يدعوهم ويدليهم إلى ما يضرهم بغرور، حتى إذا وقعوا في الشباك، وحاقت بهم أسباب الهلاك، تبرأ منهم وتخلى عنهم. واللوم كل اللوم على من أطاعه، فإن الله قد حذر منه وأنذر، وأخبر بمقاصده وغايته ونهايته، فالمقدم على طاعته، عاص على بصيرة لا عذر له"^(٩).

قال ابن عباس في الآية: "ضرب الله هذا المثل لليهود بني النضير والمنافقين من أهل المدينة، وذلك أن الله - عز وجل - أمر نبيّه - صلى الله عليه وسلم - بإجلاء بني النضير عن المدينة، ففسد المنافقون إليهم، وقالوا: لا نُجيبوا محمدًا إلى ما دعاكم، ولا نُخرجوا من دياركم، فإن قاتلكم فإنا معكم، وإن أخرجكم خَرَجنا معكم. فأجابوهم، فدرّبوا على حُصونهم، وتحصّنوا في ديارهم رجاء نصر المنافقين، حتى جاءهم النبيُّ - صلى الله عليه وسلم -، فناصره الحرب يَرْجُونَ نصرَ المنافقين، فخذلواهم، وتبرّءوا منهم كما تبرّأ الشيطان من برصيصا وخذله، فكان عاقبة الفريقين النار، قال عبد الله بن عباس: فكان الرّهبان بعد ذلك في بني إسرائيل لا يمشون إلا بالتقيّة والكتمان، وطمع أهل الفسوق والفجور في الأحبار، ورَمَوْهم بالبهتان والقبیح، حتى كان أمر جريج الراهب، فلما برّاه الله مما رمّوه به انبسطت بعده الرّهبان، وظهروا للناس"^(١٠).

القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَانْتَظِرُوا نَفْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [الحشر: ١٨]

التفسير:

- (١) تفسير الطبري: ٢٩٧/٢٣.
- (٢) تفسير ابن كثير: ٧٦/٨.
- (٣) تفسير السعدي: ٨٥٣.
- (٤) الدر المنثور: ١١٧/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.
- (٥) انظر: الكشف: ٥٠٧/٤.
- (٦) التفسير الميسر: ٥٤٨.
- (٧) تفسير الطبري: ٢٩٧/٢٣.
- (٨) تفسير ابن كثير: ٧٦/٨.
- (٩) تفسير السعدي: ٨٥٣.
- (١٠) تفسير الثعلبي ٢٨٦ /٩، وتفسير البغوي ٨ /٨٥.

يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله و عملوا بشرعه، خافوا الله، واحذروا عقابه بفعل ما أمركم به وترك ما نهاكم عنه، ولتتدبر كل نفس ما قدمت من الأعمال ليوم القيامة، وخافوا الله في كل ما تأتون وما تدرّون، إن الله سبحانه خبير بما تعملون، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، وهو مجازيكم عليها.

قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} [الحشر : ١٨]، أي: "يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله و عملوا بشرعه"^(١).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدّقوا الله و وحدوه"^(٢).
عن خبيثة قال: "ما تقرؤون في القرآن {يا أيها الذين آمنوا}، فإنه في التوراة: «يا أيها المساكين»"^(٣).

قوله تعالى: {اتَّقُوا اللَّهَ} [الحشر : ١٨]، أي: "خافوا الله، واحذروا عقابه بفعل ما أمركم به وترك ما نهاكم عنه"^(٤).

قال محمد بن إسحاق: {واتقوا الله}، أي: أطيعوا الله"^(٥).
قال الطبري: يقول: "اتقوا الله بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه"^(٦).
قال ابن كثير: "أمر بتقواه، وهي تشمل فعل ما به أمر، وترك ما عنه زجر"^(٧).

قال السعدي: "يأمر تعالى عباده المؤمنين بما يوجبهم الإيمان ويفتضيه من لزوم تقواه، سرا وعلانية، في جميع الأحوال، وأن يراعوا ما أمرهم الله به من أوامره وشرائعه وحدوده، وينظروا ما لهم وما عليهم، وماذا حصلوا عليه من الأعمال التي تنفعهم أو تضرهم في يوم القيامة، فإنهم إذا جعلوا الآخرة نصب أعينهم وقبلة قلوبهم، واهتموا بالمقام بها، اجتهدوا في كثرة الأعمال الموصلة إليها، وتصفيتها من القواطع والعوائق التي توقفهم عن السير أو تعوقهم أو تصرفهم، وإذا علموا أيضا، أن الله خبير بما يعملون، لا تخفى عليه أعمالهم، ولا تضيع لديه ولا يهملها، أوجب لهم الجد والاجتهاد. وهذه الآية الكريمة أصل في محاسبة العبد نفسه، وأنه ينبغي له أن يتفقدتها، فإن رأى زللا تداركه بالإقلاع عنه، والتوبة النصوح، والإعراض عن الأسباب الموصلة إليه، وإن رأى نفسه مقصرا في أمر من أوامر الله، بذل جهده واستعان بربه في تكميله وتتميمه، وإتقانه، ويقايس بين منن الله عليه وإحسانه وبين تقصيره، فإن ذلك يوجب له الحياء بلا محالة"^(٨).

قوله تعالى: {وَلَنَنْظُرُ نَفْسًا مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ} [الحشر : ١٨]، أي: "ولنتدبر كل نفس ما قدمت من الأعمال ليوم القيامة"^(٩).

قال الطبري: "يقول: ولينظر أحدكم ما قدّم ليوم القيامة من الأعمال، أمن الصالحات التي تنجيها أم من السيئات التي توبقها؟"^(١٠).

قال ابن كثير: "أي: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وانظروا ماذا ادخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم"^(١١).

(١) التفسير الميسر: ٥٤٨.

(٢) تفسير الطبري: ٢٩٩/٢٣.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٨٨٤): ص ١٦٦٩/٥.

(٤) التفسير الميسر: ٥٤٨.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٧٠٠): ص ١١٨٩/٤.

(٦) تفسير الطبري: ٢٩٩/٢٣.

(٧) تفسير ابن كثير: ٧٧/٨.

(٨) تفسير السعدي: ٨٥٣.

(٩) التفسير الميسر: ٥٤٨.

(١٠) تفسير الطبري: ٢٩٩/٢٣.

(١١) تفسير ابن كثير: ٧٧/٨.

قال الزمخشري: "الغد: يوم القيامة، سماه باليوم الذي يلي يومك تقريبا له، وقيل: عبر عن الآخرة بالغد كأن الدنيا والآخرة نهاران: يوم وغد، وتنكير الغد فلتعظيمه وإبهام أمره، كأنه قيل: لغد لا يعرف كنهه لعظمه"^(١).

عن قتادة والضحاك: "وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ، يعني: يوم القيامة"^(٢).
قال قتادة: "ما زال ريكب يقرب الساعة حتى جعلها كغد، و«غدٌ»: يوم القيامة"^(٣).
قال الحسن: "لم يزل يقربه حتى جعله كالغد"^(٤).
قال ابن زيد: "يعني: يوم القيامة الخير والشر؛ قال: والأمس في الدنيا، وغدٌ في الآخرة، وقرأ: {كأن لم تُغن بالأمس}، قال: كأن لم تكن في الدنيا"^(٥).
عن مالك بن دينار: "مكتوب على باب الجنة: وجدنا ما عملنا، ربنا ما قدمنا. خسرتنا ما خلفنا"^(٦).

قوله تعالى: {وَاتَّقُوا اللَّهَ} [الحشر : ١٨]، أي: "وخافوا الله في كل ما تأتون وما تدرّون"^(٧).

قال الطبري: "يقول: وخافوا الله بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه"^(٨).
قال ابن كثير: "وَاتَّقُوا اللَّهَ} تأكيد ثان"^(٩).
قال الزمخشري: "كرر الأمر بالتقوى تأكيدا: واتقوا الله في أداء الواجبات لأنه قرن بما هو عمل، واتقوا الله في ترك المعاصي لأنه قرن بما يجزى مجرى الوعيد"^(١٠).
قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [الحشر : ١٨]، أي: "إن الله سبحانه خبير بما تعملون، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، وهو مجازيكم عليها"^(١١).
عن قتادة، قوله: "خَبِيرٌ}، قال: "خبير بخلقه"^(١٢).
قال الطبري: "يقول: إن الله ذو خبرة وعلم بأعمالكم خيرا وشرها، لا يخفى عليه منها شيء، وهو مجازيكم على جميعها"^(١٣).

قال ابن كثير: "أي: اعلموا أنه عالم بجميع أعمالكم وأحوالكم لا تخفى عليه منكم خافية، ولا يغيب عنه من أموركم جليل ولا حقير"^(١٤).

عن المنذر ابن جريز، عن أبيه قال: "كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر النهار، قال: فجاءه قوم حفاة عراة مجتأبي النمار - أو: العباء - مُنْقَلَدِي السيوف عامتهم من مضر، بل كلهم من مضر، فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى بهم من الفاقة، قال: فدخل ثم خرج، فأمر بلالا فأذن وأقام الصلاة، فصلى ثم خطب، فقال: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ} إلى آخر الآية: {إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء : ١]. وقرأ الآية التي في الحشر: {وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ} تصدق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بُرّه، من صاع تمره - حتى قال - : ولو بشق تمره". قال: فجاء رجل من

- (١) الكشاف: ٥٠٨/٤.
- (٢) أخرجه الطبري: ٢٩٩/٢٣.
- (٣) أخرجه الطبري: ٢٩٩/٢٣.
- (٤) نقلا عن: الكشاف: ٥٠٨/٤.
- (٥) أخرجه الطبري: ٢٩٩/٢٣.
- (٦) نقلا عن: الكشاف: ٥٠٨/٤.
- (٧) التفسير الميسر: ٥٤٨.
- (٨) تفسير الطبري: ٢٩٩/٢٣.
- (٩) تفسير ابن كثير: ٧٧/٨.
- (١٠) الكشاف: ٥٠٨/٤.
- (١١) التفسير الميسر: ٥٤٨.
- (١٢) تفسير عبدالرزاق (٢٣٨٩): ص ٥٦/٣.
- (١٣) تفسير الطبري: ٢٩٩/٢٣.
- (١٤) تفسير ابن كثير: ٧٧/٨.

الأنصار بصرّة كادت كفه تُعجز عنها، بل قد عجزت، ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب، حتى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهلل وجهه كأنه مُذهبة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سَنَةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سَنَةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وَزْرُهَا وَوَزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ"^(١).

القرآن

{وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (١٩)} [الحشر : ١٩]

التفسير:

ولا تكونوا -أيها المؤمنون- كالذين تركوا أداء حق الله الذي أوجبه عليهم، فأنساهم بسبب ذلك حظوظ أنفسهم من الخيرات التي تنجيهم من عذاب يوم القيامة، أولئك هم الموصوفون بالفسق، الخارجون عن طاعة الله طاعة ورسوله.

قوله تعالى: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ} [الحشر : ١٩]، أي: "ولا تكونوا -أيها المؤمنون- كالذين تركوا أداء حق الله الذي أوجبه عليهم، فأنساهم بسبب ذلك حظوظ أنفسهم من الخيرات التي تنجيهم من عذاب يوم القيامة"^(٢).

قال ابن عباس: "يريد: قريظة، والنضير، وبني قينقاع"^(٣).

عن ابن عباس في قوله: "نسوا الله"، يقول: تركوا الله"^(٤).

عن السدي: "نسوا الله"، قال: تركوا طاعة الله"^(٥).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: ولا تكونوا كالذين تركوا أداء حق الله الذي أوجبه عليهم، فأنساهم الله حظوظ أنفسهم من الخيرات"^(٦).

قال ابن كثير: "أي: لا تنسوا ذكر الله فينسيكم العمل لمصالح أنفسكم التي تنفعكم في معادكم، فإن الجزاء من جنس العمل"^(٧).

قال سفيان: "نسوا حق الله، {فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ}؛ قال: حظ أنفسهم"^(٨).

قال السعدي: "والحرمان كل الحرمان، أن يغفل العبد عن هذا الأمر، ويشابهه قوما نسوا الله وغفلوا عن ذكره والقيام بحقه، وأقبلوا على حظوظ أنفسهم وشهواتها، فلم ينجحوا، ولم يحصلوا على طائل، بل أنساهم الله مصالح أنفسهم، وأغفلهم عن منافعها وفوائدها، فصار أمرهم فرطاً، فرجعوا بخسارة الدارين، وغبنوا غبناً، لا يمكنهم تداركه، ولا يجبر كسره، لأنهم هم الفاسقون، الذين خرجوا عن طاعة ربهم وأوضاعوا في معاصيه"^(٩).

قوله تعالى: {أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [الحشر : ١٩]، أي: "أولئك هم الموصوفون بالفسق، الخارجون عن طاعة الله طاعة ورسوله"^(١٠).

قال الطبري: يقول: "هؤلاء الذين نسوا الله، هم الفاسقون، يعني الخارجون من طاعة الله إلى معصيته"^(١١).

(١) المسند (٣٥٨/٤) وصحيح مسلم برقم (١٠١٧).

(٢) التفسير الميسر: ٥٤٨.

(٣) التفسير الوسيط للواحيدي: ٢٧٨/٤.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٥٠١): ص ١٨٣٢/٦.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٥٠٢): ص ١٨٣٢/٦.

(٦) تفسير الطبري: ٣٠٠/٢٣.

(٧) تفسير ابن كثير: ٧٧/٨.

(٨) أخرجه الطبري: ٣٠٠/٢٣.

(٩) تفسير السعدي: ٨٥٣.

(١٠) التفسير الميسر: ٥٤٨.

(١١) تفسير الطبري: ٣٠٠/٢٣.

قال ابن كثير: "أي: الخارجون عن طاعة الله، الهالكون يوم القيامة، الخاسرون يوم معادهم، كما قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩]"^(١).

عن نعيم بن نمحة، قال: "كان في خطبة أبي بكر رضي الله عنه: "أما تعلمون أنكم تغدون وتروحون لأجل معلوم، فمن استطاع أن ينقضي الأجل وهو في عمل الله عز وجل فليعمل، ولن تنالوا ذلك إلا بالله عز وجل، إن قوما جعلوا آجالهم لغيرهم فنهاكم الله أن تكونوا أمثالهم: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ﴾ [الحشر: ١٩]، أين من تعرفون من إخوانكم؟ قدموا ما قدموا في أيام سلفهم، وحلوا فيه بالشقوة، والسعادة، أين الجبارون الأولون الذين بنوا المدائن وحفوها بالحوائط، قد صاروا تحت الصخر والآبار، هذا كتاب الله عز وجل لا تفنى عجائبه فاستوصوا به، منه ليوم ظلمة وائتضحوا بسائه وبيانه، إن الله عز وجل أتنى على زكريا، وأهل بيته فقال: ﴿كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ، وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠] لا خير في قول لا يراد به وجه الله، ولا خير في مال لا ينفق في سبيل الله، ولا خير فيمن يغلب جهله حلمه، ولا خير فيمن يخاف في الله لومة لائم"^(٢).

القرآن

﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [الحشر: ٢٠]
التفسير:

لا يستوي أصحاب النار المعدَّبون، وأصحاب الجنة المنعمون، أصحاب الجنة هم الظافرون بكل مطلوب، الناجون من كل مكروه.

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ [الحشر: ٢٠]، أي: لا يستوي أصحاب النار المعدَّبون، وأصحاب الجنة المنعمون"^(٣).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: لا يعتدل أهل النار وأهل الجنة"^(٤).

قال ابن كثير: "أي: لا يستوي هؤلاء وهؤلاء في حكم الله يوم القيامة، كما قال: ﴿رَأْمٌ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاتية: ٢١]، وقال ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ﴾ الآية [غافر: ٥٨]. قال: ﴿رَأْمٌ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨]؟ في آيات أخر دلالات على أن الله، سبحانه، يكرم الأبرار، ويهين الفجار"^(٥).

قال السعدي: "فهل يستوي من حافظ على تقوى الله ونظر لما قدم لغيره، فاستحق جنات النعيم، والعيش السليم - مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين - ومن غفل عن ذكر الله، ونسي حقوقه، فشقي في الدنيا، واستحق العذاب في الآخرة، فالأولون هم الفائزون، والآخرون هم الخاسرون"^(٦).

قوله تعالى: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [الحشر: ٢٠]، أي: أصحاب الجنة هم الظافرون بكل مطلوب، الناجون من كل مكروه"^(٧).

(١) تفسير ابن كثير: ٧٧/٨.

(٢) المعجم الكبير للطبراني (٣٩): ص ٦٠/١. قال ابن كثير: ٧٨/٨: "هذا إسناد جيد، ورجاله كلهم ثقات، وشيخ حريز بن عثمان، وهو نعيم بن نمحة، لا أعرفه بنفي ولا إثبات، غير أن أبا داود السجستاني قد حكم بأن شيوخ حريز كلهم ثقات. وقد روي لهذه الخطبة شواهد من وجوه أخر، والله أعلم".

(٣) التفسير الميسر: ٥٤٨.

(٤) تفسير الطبري: ٣٠٠/٢٣.

(٥) تفسير ابن كثير: ٧٨/٨.

(٦) تفسير السعدي: ٨٥٣.

(٧) التفسير الميسر: ٥٤٨.

قال الطبري: يقول: " أهل الجنة هم المُدركون ما طلبوا وأرادوا، الناجون مما حذروا"^(١).

قال ابن كثير: " أي : الناجون المسلمون من عذاب الله، عز وجل"^(٢).
قال الزمخشري: " هذا تنبيه للناس وإيذان لهم بأنهم لفرط غفلتهم وقلة فكرهم في العاقبة وتهالكهم على إثثار العاجلة واتباع الشهوات: كأنهم لا يعرفون الفرق بين الجنة والنار والبون العظيم بين أصحابهما، وأن الفوز مع أصحاب الجنة، فمن حقهم أن يعلموا ذلك وينبهوا عليه، كما تقول لمن يعق أباه: هو أبوك، تجعله بمنزلة من لا يعرفه، فتنبيهه بذلك على حق الأبوة الذي يقتضى البر والتعطف، وقد استدل أصحاب الشافعي رضى الله عنه بهذه الآية على أن المسلم لا يقتل بالكافر، وأن الكفار لا يملكون أموال المسلمين بالقهر"^(٣).
فوائد الآيات: [١٥-٢٠]:

- ١- ضرب مثل لحال الكافرين في عدم الاتعاض بحال غيرهم.
- ٢- التحذير من سبل الشيطان وهي الإغراء بالمعاصي وتزيينها فإذا وقع العبد في الهلكة تبرأ الشيطان منه وتركه في محنته وعذابه.
- ٣- وجوب التقوى بفعل الأوامر وترك النواهي.
- ٤- وجوب مراقبة الله تعالى والنظر يومياً فيما قدم الإنسان للآخرة وما أخر.
- ٥- التحذير من نسيان الله تعالى المقتضى لعصيانه فإن عقوبته خطيرة وهي أن ينسى الله العبد نفسه فلا يقدم لها خيراً قط فيهلك ويخسر خسراً ميبيناً.
- ٦- عدم التساوي بين أهل النار وأهل الجنة، إذ أصحاب النار لم ينجوا من المرهوب وهو النار، ولم يظفروا بمرغوب وهو الجنة، وأصحاب الجنة على العكس سلموا من المرهوب، وظفروا بالمرغوب نجوا من النار ودخلوا الجنان.

القرآن

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الحشر: ٢١)

التفسير:

لو أنزلنا هذا القرآن على جبل من الجبال، ففهم ما فيه من وعد ووعيد، لأبصرته على قوته وشدة صلابته وضخامته، خاضعاً ذليلاً متشققاً من خشية الله تعالى. وتلك الأمثال نضربها، ونوضحها للناس؛ لعلهم يتفكرون في قدرة الله وعظمته.

قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]، أي: " لو أنزلنا هذا القرآن على جبل من الجبال، ففهم ما فيه من وعد ووعيد، لأبصرته على قوته وشدة صلابته وضخامته، خاضعاً ذليلاً متشققاً من خشية الله تعالى"^(٤).

قال ابن عباس: " يقول: لو أنزلت هذا القرآن على جبل حملته إياه تصدّع وخشع من ثقله، ومن خشية الله، فأمر الله عزّ وجلّ الناس إذا أنزل عليهم القرآن، أن يأخذوه بالخشية الشديدة والتخشع، قال: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾"^(٥).

قال الضحاك: " لو أنزلت هذا القرآن على جبل، فأمرته بالذي أمرتكم به، وخوفته بالذي خوفتكم به؛ إذا لخشع وتصدّع من خشية الله، فأنتم أحقّ أن تخشعوا وتذلّوا، وتلين قلوبكم لذكر الله"^(٦).

(١) تفسير الطبري: ٣٠٠/٢٣.

(٢) تفسير ابن كثير: ٧٨/٨.

(٣) الكشف: ٥٠٨/٤.

(٤) التفسير الميسر: ٥٤٨.

(٥) أخرجه الطبري: ٣٠١/٢٣.

(٦) الدر المنثور: ١٢١/٨، وعزاه إلى ابن المنذر.

قال الطبري: " يقول جل ثناؤه: لو أنزلنا هذا القرآن على جبل، وهو حجر، لرأيتَه يا محمد يا خاشعاً؛ يقول: متذللًا متصدعًا من خشية الله على قساوته، حذرًا من أن لا يؤدي حقَّ الله المفترض عليه في تعظيم القرآن، وقد أنزل على ابن آدم وهو بحقه مستخف، وعنه عما فيه من العبر والذكر مُعرض، كان لم يسمعها، كان في أذنيه وقرأ" (١).

قال الزجاج: " أعلم الله عزَّ وجلَّ أن من شأن القرآن وَعَظَمَتِهِ وَبَيَانِهِ أَنَّهُ لَوْ جُعِلَ فِي الْجَبَلِ تَمْيِيزٌ كَمَا جُعِلَ فِيكُمْ وَأُنزِلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ لَخَشِعَ وَتَصَدَّعَ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَمَعْنَى «خَشِعَ»: تَطَاطَأَ وَخَضَعَ، وَمَعْنَى: «تَصَدَّعَ» تَشَقَّقَ. وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ هَذَا عَلَى الْمَثَلِ لِقَوْلِهِ: {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ}، كَمَا قَالَ - سُبْحَانَهُ -: {لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا (٨٩) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَنْفَطِرُنَ مِنْهُ وَتَنْسَقُ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا} [مريم: ٨٩-٩٠] (٢).

قال ابن كثير: " يقول تعالى معظمًا لأمر القرآن، ومبينًا علو قدره، وأنه ينبغي وأن تخشع له القلوب، وتتصدع عند سماعه لما فيه من الوعد والوعيد الأكيد: {لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ}، أي: فإن كان الجبل في غلظته وقساوته، لو فهم هذا القرآن فتدبر ما فيه، لخشع وتصدع من خوف الله، عز وجل، فكيف يليق بكم أيها البشر ألا تلتين قلوبكم وتخشع، وتتصدع من خشية الله، وقد فهمتم عن الله أمره وتدبرتم كتابه؟ ولهذا قال تعالى: {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}.. وقد ثبت في الحديث المتواتر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عمل له المنبر، وقد كان يوم الخطبة يقف إلى جانب جذع من جذوع المسجد، فلما وضع المنبر أول ما وضع، وجاء النبي صلى الله عليه وسلم ليخطب فجاوز الجذع إلى نحو المنبر، فعند ذلك حنَّ الجذع وجعل يئن كما يئن الصبي الذي يُسَكَّنُ (٣)، لما كان يُسمع من الذكر والوحي عنده. ففي بعض روايات هذا الحديث قال الحسن البصري بعد إيرادِه: «فأنتم أحق أن تشناقوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجذع» (٤). وهكذا هذه الآية الكريمة، إذا كانت الجبال الصم لو سمعت كلام الله وفهمته، لخشعت وتصدعت من خشيتها فكيف بكم وقد سمعتم وفهمتم؟ وقد قال تعالى: {وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَةٌ بِهِ الْمَوْتَى} الآية [الرعد: ٣١]. وقد تقدم أن معنى ذلك: أي لكان هذا القرآن. وقال تعالى: {وَأَنَّ مِنَ الْجِبَارَةِ لِمَا يُنْفَجِرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لِمَا يَنْسَقِقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لِمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ} [البقرة: ٧٤] (٥).

قال الحارث المحاسبي: " أخبر جل وعز بعظيم قدره وضرب الجبل مثلًا لقلوب المستمعين له ليعقلوا فيندبروا آياته ويتفكروا في عجائبه فضرِبَ هذا المثل فدل به أن من لم يفهم عنه ما أنزل في كتابه أن قلبه أقسى من الحجر الأصم وأن ما فيه تتصدع الجبال لو فهمته خشية للمتكلم به يعظم بذلك قدره وقدرنا فيه ويبين لنا أن القلوب تخشع لفهمه وتخاف الله وجل وعز لعقلها ما أخبر به وأخبرنا أن الجبال الرواسي لو أنزل عليها كلامه لتصدعت خاشعة لتعظيمه" (٦).

قال قتادة: يعذر الله الجبل الأصم، ولم يعذر شقيَّ ابن آدم، هل رأيتم أحدًا قط تصدعت جوانحه من خشية الله" (٧).

(١) تفسير الطبري: ٣٠١-٣٠٠/٢٣.

(٢) معاني القرآن: ١٥٠/٥.

(٣) حديث حنين الجذع رواه البخاري في صحيحه برقم (٣٥٨٣) من حديث ابن عمر، وبرقم (٣٥٨٤، ٣٥٨٥) من حديث جابر، رضي الله عنه.

(٤) رواه أبو القاسم البغوي كما في البداية والنهاية للمؤلف (١٣٢/٦) من طريق شيبان بن فروخ، عن مبارك بن فضالة، عن الحسن، عن أنس في قصة الجذع، ثم زاد: فكان الحسن إذا حدث بهذا الحديث بكى ثم قال: "يا عباد الله الخشبة تحن إلي رسول الله شوقًا إليه لمكانه من الله، فأنتم أحق أن تشناقوا إلي لقائه".

(٥) تفسير ابن كثير: ٧٨/٨.

(٦) فهم القرآن: ٢٨٣-٢٨٢.

(٧) أخرجه الطبري: ٣٠١/٢٣.

قوله تعالى: {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَاصِرٍ لِلنَّاسِ لِيَذُكُرُوا بِهَا وَلِيَذُكُرَ الَّذِينَ يُضِلُّونَ} [الحشر : ٢١]، أي: "وتلك الأمثال نضربها، ونوضحها للناس؛ لعلهم يتفكرون في قدرة الله وعظمته"^(١).
قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: وهذه الأشياء نشبهها للناس- وذلك تعريفه جل ثناؤه إياهم أن الجبال أشد تعظيماً لحقه منهم مع قساوتها وصلابتها- {الْعَلْمُ يَنْفَكُرُونَ}، يقول: يضرب الله لهم هذه الأمثال ليتفكروا فيها، فينبوا، وينقادوا للحق"^(٢).
عن مجاهد: {ولعلمهم يتفكرون}، قال: يطيعون"^(٣).
عن عبد الله بن مسعود، وعلي، مرفوعاً، في قوله: {لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ} إلى آخر السورة، قال: «هي رُفِيَّة الصِّدَاعِ»^(٤).
عن إدريس بن عبد الكريم الحداد، قال: "قرأت على خلف، فلما بلغت هذه الآية: {لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ} قال: ضع يدك على رأسك؛ فإني قرأت على سليم، فلما بلغت هذه الآية قال: ضع يدك على رأسك؛ فإني قرأت على الأعمش، فلما بلغت هذه الآية قال: ضع يدك على رأسك؛ فإني قرأت على يحيى بن وثاب، فلما بلغت هذه الآية قال: ضع يدك على رأسك؛ فإني قرأت على علقمة والأسود، فلما بلغت هذه الآية قال: ضع يدك على رأسك؛ فإنا قرأنا على عبد الله، فلما بلغنا هذه الآية قال: ضعا أيديكما على رؤوسكما؛ فإني قرأت على النبي - صلى الله عليه وسلم - فلما بلغت هذه الآية قال لي: «ضع يدك على رأسك؛ فإن جبريل لما نزل بها إلي قال لي: ضع يدك على رأسك؛ فإنها شفاء من كل داء إلا السام». والسام: الموت"^(٥).
عن مالك بن دينار، قال: "أقسم لكم؛ لا يؤمن عبدٌ بهذا القرآن إلا صدع قلبه"^(٦).

القرآن

{هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢)} [الحشر : ٢٢]

التفسير:

هو الله سبحانه وتعالى المعبود بحق الذي لا إله سواه، عالم السر والعلن، يعلم ما غاب وما حضر، هو الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء، الرحيم بأهل الإيمان به.
قوله تعالى: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} [الحشر : ٢٢]، أي: "هو الله سبحانه وتعالى المعبود بحق الذي لا إله سواه"^(٧).
قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: الذي يتصدع من خشيته الجبل أيها الناس هو المعبود، الذي لا تتبغي العبادة والألوهية إلا له"^(٨).
قال ابن كثير: "أخبر تعالى أنه الذي لا إله إلا هو فلا رب غيره، ولا إله للوجود سواه، وكل ما يعبد من دونه فباطل"^(٩).
قال السعدي: "هذه الآيات الكريمات قد اشتملت على كثير من أسماء الله الحسنى وأوصافه العلى، عظيمة الشأن، وبديعة البرهان، فأخبر أنه المألوه المعبود، الذي لا إله إلا

(١) التفسير الميسر: ٥٤٨.

(٢) تفسير الطبري: ٣٠١/٢٣.

(٣) أخرجه الطبري: ٢١١/١٧.

(٤) أورده الديلمي في الفردوس ٣/ ٢٢٦ (٤٦٦٥) بنحوه.

قال الشوكاني في فتح القدير ٥/ ٢٤٨: «رواه الديلمي بإسنادين لا ندرى كيف حال رجالهم».

(٥) أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه ١/ ٣٧٧.

(٦) الدر المنثور: ١٢١/٨، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٧) التفسير الميسر: ٥٤٨.

(٨) تفسير الطبري: ٣٠١/٢٣-٣٠٢.

(٩) تفسير ابن كثير: ٧٩/٨.

هو، وذلك لكماله العظيم، وإحسانه الشامل، وتدبيره العام، وكل إله سواه فإنه باطل لا يستحق من العبادة مثقال ذرة، لأنه فقير عاجز ناقص، لا يملك لنفسه ولا لغيره شيئاً^(١).
قوله تعالى: {عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ} [الحشر : ٢٢]، أي: "عالم السر والعلن، يعلم ما غاب وما حضر"^(٢).

قال الطبري: يقول: "عالم غيب السموات والأرض، وشاهد ما فيهما مما يرى ويحس"^(٣).

قال ابن كثير: "أي : يعلم جميع الكائنات المشاهدات لنا والغائبات عنا فلا يخفى عليه شيء في الأرض، ولا في السماء من جليل وحقير وصغير وكبير، حتى الذر في الظلمات"^(٤).
قال الزمخشري: "الغَيْبُ: المَعْدُومُ، وَالشَّهَادَةُ: الموجود المدرك كأنه يشاهده. وقيل: ما غاب عن العباد وما شاهده. وقيل: السر والعلانية. وقيل: الدنيا والآخرة"^(٥).

قال السعدي: "وصف نفسه بعموم العلم الشامل، لما غاب عن الخلق وما يشاهدونه"^(٦).
عن ابن عباس: {عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ}، قال: "السرُّ، والعلانية"^(٧).
قال الحسن: "الشهادة: ما قد رأيتم من خلقه، والغيب: ما غاب عنكم ما لم تروه"^(٨).
عن ابن جريج: "عَالِمُ الْغَيْبِ}، قال: غيب ما يكون، وما هو كائن"^(٩).
قوله تعالى: {هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} [الحشر : ٢٢]، أي: "هو الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء، الرحيم بأهل الإيمان به"^(١٠).

قال الطبري: "يقول: هو رحمن الدنيا والآخرة، رحيم بأهل الإيمان به"^(١١).
قال ابن كثير: "المراد أنه ذو الرحمة الواسعة الشاملة لجميع المخلوقات، فهو رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، وقد قال تعالى: {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ} [الأعراف : ١٥٦]، وقال {كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ} [الأنعام : ٥٤]، وقال {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} [يونس : ٥٨]"^(١٢).

قال السعدي: "وصف بعموم رحمته التي وسعت كل شيء ووصلت إلى كل حي"^(١٣).
قال عطاء الخراساني: "كان الرحمن ، فلما اختزل الرحمن من اسمه كان الرحمن الرحيم"^(١٤).

(١) تفسير السعدي: ٨٥٤.

(٢) التفسير الميسر: ٥٤٨.

(٣) تفسير الطبري: ٣٠٢/٢٣.

(٤) تفسير ابن كثير: ٧٩/٨.

(٥) الكشاف: ٥٠٩/٤.

(٦) تفسير السعدي: ٨٥٤.

(٧) الدر المنثور: ١٢٣/٨، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٢٠٤): ص٦/١٨٦٤-١٨٦٥.

(٩) الدر المنثور: ١٢٣/٨، وعزاه إلى ابن المنذر.

(١٠) التفسير الميسر: ٥٤٨.

(١١) تفسير الطبري: ٣٠٢/٢٣.

(١٢) تفسير ابن كثير: ٧٩/٨.

(١٣) تفسير السعدي: ٨٥٤.

(١٤) أخرجه الطبري (١٤٩): ص١/١٣٠. وعلق عليه قائلا: "قال الطبري: "أراد عطاء أنه لما تسمّى به الكذاب مسليمة - وهو اختزاله إياه ، يعني اقتطاعه من أسمائه لنفسه - أخبر الله جل ثناؤه أن اسمه " الرحمن الرحيم " ليفصل بذلك لعباده اسمه من اسم من قد تسمّى بأسمائه ، إذ كان لا يسمّى أحد " الرحمن الرحيم " ، فيجمع له هذان الاسمان ، غيره جل ذكره. وإنما يتسمّى بعض خلقه إما رحيمًا ، أو يتسمّى رحمنًا. فأما " رحمن رحيم " ، فلم يجتمعا قط لأحد سواه ، ولا يجتمعان لأحد غيره، فكان معنى قول عطاء هذا : أن الله جل ثناؤه إنما فصل بتكرير الرحيم على الرحمن ، بين اسمه واسم غيره من خلقه ، اختلفت معناه أو اتفقا. والذي قال عطاء من ذلك غير فاسد المعنى ، بل جائز أن يكون جل ثناؤه خص نفسه بالتسمية بهما معًا مجتمعين، إبانة لها من خلقه ، ليعرف عباده بذكرهما مجموعين أنه المقصود بذكرهما دون من سواه من خلقه ،

عن سعيد بن جبير: "الرحيم"، يعني: رحيمًا بالمؤمنين" (١). وفي رواية: "رحيمًا بهم بعد التوب" (٢).

عن عطاء بن دينار: "رحيمًا بهم بعد التوبة" (٣).
قال قتادة: "قوله: {رحيمًا}، بعباده" (٤).

القرآن

{هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ
سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ} {٢٣} [الحشر : ٢٣]

التفسير:

هو الله المعبود بحق، الذي لا إله إلا هو، الملك لجميع الأشياء، المتصرف فيها بلا ممانعة ولا مدافعة، المنزه عن كل نقص، الذي سلم من كل عيب، المصدق رسله وأنبياءه بما أرسلهم به من الآيات البينات، الرقيب على كل خلقه في أعمالهم، العزيز الذي لا يغالب، الجبار الذي قهر جميع العباد، وأذن له سائر الخلق، المتكبر الذي له الكبرياء والعظمة. تنزه الله تعالى عن كل ما يشركونه به في عبادته.

قوله تعالى: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} [الحشر : ٢٣]، أي: "هو الله المعبود بحق، الذي لا إله إلا هو" (٥).

عن محمد بن إسحاق: "لا إله إلا هو"، قال: ليس معه غيره شريكا في أمره" (٦).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: هو المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له" (٧).

قال السعدي: "ثم كرر ذكر عموم إلهيته وانفراده بها" (٨).

قوله تعالى: {الْمَلِكُ} [الحشر : ٢٣]، أي: "الملك لجميع الأشياء، المتصرف فيها بلا ممانعة ولا مدافعة" (٩).

قال الطبري: "الملك الذي لا ملك فوقه، ولا شيء إلا دونه" (١٠).

قال ابن كثير: "أي: المالك لجميع الأشياء المتصرف فيها بلا ممانعة ولا مدافعة" (١١).

قال السعدي: "المالك لجميع الممالك، فالعالم العلوي والسفلي وأهله، الجميع ممالك لله، فقراء مدبرون" (١٢).

عن عثمان بن سعيد، قال جبريل: "يا محمد، لله الخلق كله والسموات كلهن ومن فيهن والأرضون كلهن ومن فيهن، ومن بينهن مما يعلم ومما لا يعلم" (١٣).

قوله تعالى: {الْقُدُّوسُ} [الحشر : ٢٣]، أي: "المنزه عن كل نقص" (١٤).

مع ما في تأويل كل واحد منهما من المعنى الذي ليس في الآخر منهما".

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٦٢٧): ص ١٩٩٢/٦.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٤٩٤): ص ٨٩٦/٣.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٧٠٥): ص ٢١٥٩/٧.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٤٩٥): ص ٨٩٦/٣.

(٥) التفسير الميسر: ٥٤٨.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٧٣٤): ص ٢٠١٠/٦.

(٧) تفسير الطبري: ٣٠٢/٢٣.

(٨) تفسير السعدي: ٨٥٤.

(٩) التفسير الميسر: ٥٤٨.

(١٠) تفسير الطبري: ٣٠٢/٢٣.

(١١) تفسير ابن كثير: ٧٩/٨.

(١٢) تفسير السعدي: ٨٥٤.

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٠٧٢): ص ١٠٨٥/٤. في تفسير قوله تعالى: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} [النساء : ١٣٢].

قال الطبري: " القدوس، قيل: هو المبارك" (٢).
 عن قتادة: " {الْقُدُّوسُ}، أي: المبارك" (٣).
 قال الزجاج: " القدوس: الطاهر، ومن هذا قيل: بيت المقدس، أي: بيت المكان الذي
 يتطهر فيه من الذنوب" (٤).
 قال الزمخشري: " {الْقُدُّوسُ}»: بالضم والفتح- وقد قرئ بهما- البليغ في النزاهة عما
 يستقبح. ونظيره: السبوح، وفي تسبيح الملائكة: سبوح قدوس رب الملائكة والروح" (٥).
 قوله تعالى: {السَّلَامُ} [الحشر: ٢٣]، أي: " الذي سلّم من كل عيب" (٦).
 قال الطبري: " يقول: هو الذي يسلم خلقه من ظلمه، وهو اسم من أسمائه" (٧).
 قال الزجاج: " اسم من أسماء الله عزّ وجلّ، وقيل السلام الذي قد سلّم الخلق من
 ظلمه" (٨).
 قال ابن كثير: " أي: من جميع العيوب والنقائص؛ بكماله في ذاته وصفاته وأفعاله" (٩).
 عن قتادة: " {السَّلَامُ}»: الله السلام" (١٠).
 عن جابر بن زيد قوله: " {السَّلَامُ}»، قال: هو الله" (١١).
 قال الزمخشري: " {السَّلَامُ}» بمعنى: السلامة. ومنه: «دارُ السَّلَامِ» و«سَلَامٌ عَلَيْكُمْ»،
 وصف به مبالغة في وصف كونه سليماً من النقائص. أو في إعطائه السلامة" (١٢).
 قال السعدي في قوله تعالى: {الْقُدُّوسُ السَّلَامُ} [الحشر: ٢٣]: " أي: المقدس السالم من
 كل عيب وآفة ونقص، المعظم الممجّد، لأن القدوس يدل على التنزيه عن كل نقص، والتعظيم
 لله في أوصافه وجلاله" (١٣).
 قوله تعالى: {الْمُؤْمِنُ} [الحشر: ٢٣]، أي: " المصدّق رسله وأنبياءه بما أرسلهم به من
 الآيات البيّنات" (١٤).
 قال الطبري: " يعني بالمؤمن: الذي يؤمن خلقه من ظلمه" (١٥).
 قال الزمخشري: " {المؤمن}»: واهب الأمن" (١٦).
 قال الزجاج: " {الْمُؤْمِنُ}»: الذي وَحَدَّ نَفْسَهُ بقوله: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ
 وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}. وقيل: «المؤمن»: الذي آمن الخلق من
 ظلمه" (١٧).
 قال السعدي: " أي: المصدّق لرسله وأنبيائه بما جاءوا به، بالآيات البيّنات، والبراهين
 القاطعات، والحجج الواضحات" (١٨).

- (١) التفسير الميسر: ٥٤٨.
- (٢) تفسير الطبري: ٣٠٢/٢٣.
- (٣) أخرجه الطبري: ٣٠٢/٢٣.
- (٤) معاني القرآن: ١٥٠/٥.
- (٥) الكشاف: ٥٠٩/٤.
- (٦) التفسير الميسر: ٥٤٨.
- (٧) تفسير الطبري: ٣٠٢/٢٣.
- (٨) معاني القرآن: ١٥٠/٥.
- (٩) تفسير ابن كثير: ٨٠/٨.
- (١٠) أخرجه الطبري: ٣٠٢/٢٣.
- (١١) أخرجه الطبري: ٣٠٢/٢٣.
- (١٢) الكشاف: ٥٠٩/٤.
- (١٣) تفسير السعدي: ٨٥٤.
- (١٤) التفسير الميسر: ٥٤٨.
- (١٥) تفسير الطبري: ٣٠٢/٢٣.
- (١٦) الكشاف: ٥٠٩/٤.
- (١٧) معاني القرآن: ١٥٠/٥.
- (١٨) تفسير السعدي: ٨٥٤.

عن قتادة: "المؤمنُ": آمن بقوله أنه حق^(١). وفي رواية: " آمن بقوله أنه حق"^(٢).
عن الضحاك: "المؤمنُ"، قال: المصدق، الموقن، آمن الناس بربهم فسماهم مؤمنين،
وآمن الرب الكريم لهم بإيمانهم صدقهم أن يسمى بذلك الاسم"^(٣).
قال الحسن: " المؤمن بنفسه قبل إيمان خلقه، كقوله: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} [آل عمران: ١٨] الآية"^(٤).

عن زيد بن علي، قال: "إنما سمى نفسه: {المؤمنُ}؛ لأنه آمنهم من العذاب"^(٥).
قوله تعالى: {المُهَيِّمُ} [الحشر: ٢٣]، أي: الرقيب على كل خلقه في أعمالهم"^(٦).
وفي تفسير قوله تعالى: {المُهَيِّمُ} [الحشر: ٢٣]، أقوال:
أحدها: معناه: الشاهد على خلقه بأعمالهم، وعلى نفسه بثوابهم، قاله ابن عباس-في رواية-^(٧)،
ومجاهد^(٨)، وقتادة^(٩)، والمفضل^(١٠)، وأنشد قول الشاعر^(١١):
شَهِدَ عَلِيٌّ اللَّهُ أَنِّي أَحِبُّهَا ... كَفَى شَاهِدًا رَبَّ الْعِبَادِ الْمُهَيِّمِ
عن قتادة: "المُهَيِّمُ"، قال: الشهيد عليه"^(١٢).
عن قتادة، قوله: "المُهَيِّمُ"، قال: أنزل الله عزَّ وجلَّ كتابًا فشَهِدَ عليه"^(١٣).
الثاني: معناه: الأمين، قاله ابن عباس-في رواية أخرى-^(١٤)، و الحسن^(١٥)، والضحاك^(١٦).
الثالث: المصدق، قاله ابن زيد^(١٧).

قال ابن زيد: " المصدق لكل ما حدّث، وقرأ: {وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ}، قال: فالقرآن مصدق على ما قبله من الكتب، والله مصدق في كل ما حدّث عما مضى من الدنيا، وما بقي، وما حدّث عن الآخرة"^(١٨).

الرابع: أن {المُهَيِّمُ} القاضي. قاله الضحاك-أيضا-^(١٩)، وسعيد بن المسيب^(٢٠).
الخامس: أن {المُهَيِّمُ} هو المُجِير. قاله محمد بن كعب القرظي^(٢١).
السادس: أنه الحافظ، حكاه ابن كامل^(٢٢).

-
- (١) أخرجه الطبري: ٢٠٢/٢٣-٢٠٣.
 - (٢) أخرجه الطبري: ٢٠٣/٢٣.
 - (٣) أخرجه الطبري: ٢٠٣/٢٣.
 - (٤) أخرجه يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٤/ ٣٧٣ -.
 - (٥) الدر المنثور: ١٢٢/٨، وعزاه إلى ابن المنذر.
 - (٦) التفسير الميسر: ٥٤٨.
 - (٧) انظر: تفسير الطبري: ٣٠٤/٢٣.
 - (٨) انظر: تفسير الطبري: ٣٠٤/٢٣.
 - (٩) انظر: تفسير الطبري: ٣٠٤/٢٣.
 - (١٠) انظر: النكت والعيون: ٥١٤/٥.
 - (١١) انظر: النكت والعيون: ٥١٤/٥.
 - (١٢) أخرجه الطبري: ٣٠٤/٢٣.
 - (١٣) أخرجه الطبري: ٣٠٤/٢٣.
 - (١٤) انظر: تفسير الطبري: ٣٠٤/٢٣.
 - (١٥) تفسير البغوي ٨/ ٨٧.
 - (١٦) انظر: تفسير الطبري: ٣٠٤/٢٣.
 - (١٧) انظر: تفسير الطبري: ٣٠٤/٢٣.
 - (١٨) أخرجه الطبري: ٣٠٤/٢٣.
 - (١٩) تفسير البغوي ٨/ ٨٧.
 - (٢٠) تفسير البغوي ٨/ ٨٧.
 - (٢١) تفسير الثعلبي ٩/ ٢٨٧، وجاء عقبه: كما قال: {وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ} [المؤمنون: ٨٨].
 - (٢٢) انظر: النكت والعيون: ٥١٤/٥.

وروي عن جامع بن شداد عن ذي قرابة له قال: "سمعت عمر بن الخطاب يقول: ثلاث كلمات إذا قلتها فهيمنوا عليها(أي: قولوا أمين حفظاً للدعاء): اللهم إني ضعيف فقوني. اللهم إني غليظ فلينني. اللهم إني بخيل فسخني"^(١).

قال الزمخشري: "«المُهَيَّمُنُ»: الرقيب على كل شيء، الحافظ له، «مفيعل»، من الأمن، إلا أن همزته قلبت هاء"^(٢).

الخامس: الرحيم، حكاه ابن تغلب^(٣)، واستشهد بقول أمية بن أبي الصلت^(٤):
مَلِيكٌ عَلَى عَرْشِ السَّمَاءِ مُهَيَّمٌ ... لِعِزَّتِهِ تَعْنُو الْوَجُوهُ وَتَسْجُدُ
قوله تعالى: {الْعَزِيزُ} [الحشر: ٢٣]، أي: "العزیز الذي لا يغالب"^(٥).

قال الطبري: "الشديد في انتقامه ممن انتقم من أعدائه"^(٦).

قال الزجاج: "أي: الممتنع الذي لا يغلبه شيء"^(٧).

قال ابن كثير: "أي: الذي قد عز كل شيء فقهره، وغلب الأشياء فلا ينال جنبه؛ وعزته وعظمته وجبروته وكبريائه"^(٨).

قال السعدي: "الذي لا يغالب ولا يمانع، بل قد قهر كل شيء، وخضع له كل شيء"^(٩).

عن قتادة: "«العزیزُ»، أي: في نعمته إذا انتقم"^(١٠).

قوله تعالى: {الْجَبَّارُ} [الحشر: ٢٣]، أي: "الجبار الذي قهر جميع العباد، وأذن له سائر الخلق"^(١١).

قال الطبري: "يعني: المصلح أمور خلقه، المصرفهم فيما فيه صلاحهم. وكان قتادة يقول: جبر خلقه على ما يشاء من أمره"^(١٢).

قال الزجاج: "تأويله: الذي جبر الخلق على ما أراده من أمره"^(١٣).

قال الزمخشري: "القاهر الذي جبر خلقه على ما أراده، أي: أجبره"^(١٤).

قال ابن كثير: "أي: الذي لا تليق الجبرية إلا له"^(١٥).

قال السعدي: "الذي قهر جميع العباد، وأذن له سائر الخلق، الذي يجبر الكسير، ويغني الفقير"^(١٦).

عن قتادة: "«الْجَبَّارُ»، قال: جَبَرَ خلقه على ما يشاء"^(١٧).

قال ابن عباس: "الْجَبَّارُ هو العظيم، وجبروت الله عظمتة"^(١٨).

(١) رواه ابن سعد في "الطبقات الكبرى": ٢٠٨/٣، والدولابي في "الكنى والأسماء" (١١٧٧)، والخلال في "السنة": (٤٠٠)، وأبو نعيم في "حلية الأولياء": ٥٣/١.

(٢) الكشاف: ٥٠٩/٤.

(٣) انظر: النكت والعيون: ٥١٤/٥.

(٤) ديوانه: ٢٩، وانظر: "الكشف والبيان" ٣٠٦/٤، "وتفسير القرطبي" ٢٤٨/١١، والبحر المحيط في التفسير: ٢٩٨٢/٤، ٧٣٧٣، والدر المصون: ٥٣٧/٢، ٥٧/٥.

(٥) التفسير الميسر: ٥٤٨.

(٦) تفسير الطبري: ٣٠٤/٢٣.

(٧) معاني القرآن: ١٥٠/٥.

(٨) تفسير ابن كثير: ٨٠/٨.

(٩) تفسير السعدي: ٨٥٤.

(١٠) أخرجه الطبري: ٣٠٤/٢٣.

(١١) التفسير الميسر: ٥٤٨.

(١٢) تفسير الطبري: ٣٠٤/٢٣.

(١٣) معاني القرآن: ١٥١/٥.

(١٤) الكشاف: ٥٠٩/٤.

(١٥) تفسير ابن كثير: ٨٠/٨.

(١٦) تفسير السعدي: ٨٥٤.

(١٧) أخرجه الطبري: ٣٠٤/٢٣.

(١٨) تفسير الثعلبي ٢٨٧/٩، وتفسير البغوي ٨٧/٨.

محمد بن كعب القرظي، قال: "إنما تسمى {الجبار} لأنه يجبر الخلق على ما أراده"^(١).
 عن السدي: " {العزیز الجبار} هو الذي يقهر الناس، ويجبرهم على ما أراد"^(٢).
 قوله تعالى: {المُتَكَبِّرُ} [الحشر : ٢٣]، أي: " المتكبر الذي له الكبرياء والعظمة"^(٣).
 قال الطبري: " قيل: عُنيَ به أنه تكبر عن كل شر"^(٤).
 عن قتادة: " {المُتَكَبِّرُ}، قال: تكبر عن كل شر"^(٥).
 قال الزجاج: " الذي تكبر عن ظلم عباده"^(٦).
 قال الزمخشري: " {المُتَكَبِّرُ}: البليغ الكبرياء والعظمة. وقيل: المتكبر عن ظلم عباده"^(٧).
 قال السعدي: " الذي له الكبرياء والعظمة، المتنزه عن جميع العيوب والظلم والجور"^(٨).
 عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يقول الله تبارك وتعالى: «العظمة إزارى، والكبرياء ردائي، فمن نازعني واحدة منهما قذفه في جهنم»^(٩).
 قوله تعالى: {سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [الحشر : ٢٣]، أي: " تنزه الله تعالى عن كل ما يشركونه به في عبادته"^(١٠).

قال الزجاج: " تنزيه الله عن شركهم"^(١١).
 قال السعدي: " وهذا تنزيه عام عن كل ما وصفه به من أشرك به وعانده"^(١٢).
 عن المسيب -من طريق الهذيل- قال: " {سُبْحَانَ اللَّهِ} إنصاف لله من السوء"^(١٣).
 عن ميمون بن مهران: {سبحان الله}: اسم يعظم الله به ويحاشى به من السوء"^(١٤).
 عن الحسن قال: " {سبحان الله}: اسم لا يستطيع الناس أن ينتحلوه"^(١٥).
 عن جابر بن زيد، قال: "إن اسم الله الأعظم هو الله، ألم تسمع يقول: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ}"^(١٦).

القرآن

{هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤)} [الحشر : ٢٤]
 التفسير:

هو الله سبحانه وتعالى الخالق المقدر للخلق، البارئ المنشئ الموجد لهم على مقتضى حكمته، المصور خلقه كيف يشاء، له سبحانه الأسماء الحسنى والصفات العلى، يسبح له جميع ما في السموات والأرض، وهو العزيز شديد الانتقام من أعدائه، الحكيم في تدبيره أمور خلقه.

(١) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٤٨). وعزاه السيوطي إلى سعيد ابن منصور، وابن المنذر.

(٢) تفسير البغوي ٨ / ٨٧.

(٣) التفسير الميسر: ٥٤٨.

(٤) تفسير الطبري: ٣٠٤ / ٢٣.

(٥) أخرجه الطبري: ٣٠٤ / ٢٣.

(٦) معاني القرآن: ١٥١ / ٥.

(٧) الكشاف: ٥٠٩ / ٤.

(٨) تفسير السعدي: ٨٥٤.

(٩) مسند أبي داود (٢٥٠٩): ص ١٤٠ / ٤.

(١٠) التفسير الميسر: ٥٤٨.

(١١) معاني القرآن: ١٥١ / ٥.

(١٢) تفسير السعدي: ٨٥٤.

(١٣) أخرجه الهذيل بن حبيب -كما في تفسير مقاتل بن سليمان ٤ / ٢٨٧ -.

(١٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٤٤): ص ٨١ / ١.

(١٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٤٥): ص ٨١ / ١.

(١٦) أخرجه الطبري: ٣٠٥ / ٢٣.

قوله تعالى: {هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ} [الحشر : ٢٤]، أي: "هو الله سبحانه وتعالى الخالق المقدر للخلق، البارئ المنشئ الموجد لهم على مقتضى حكمته"^(١).
قال عامر الشعبي: "اسم الله الأعظم: الله. ثم قرأ، أو قرأت عليه: {هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ} إلى آخرها"^(٢).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: هو المعبود الخالق، الذي لا معبود تصلح له العبادة غيره، ولا خالق سواه، البارئ الذي برأ الخلق، فأوجدهم بقدرته"^(٣).
قال الزمخشري: "{الخالق}: المقدر لما يوجد، و{البارئ}: المميز بعضه من بعض بالأشكال المختلفة"^(٤).

قال البغوي: "{الخالق}: المقدر والمقلب للشيء بالتدبير إلى غيره، كما قال: {يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ} [الزمر: ٦]، {البارئ}: المنشئ للأعيان من العدم إلى الوجود"^(٥).

قال السمعاني: "{الخالق}: أي: مقدر الأشياء ومخترعها، {البارئ}: قيل: هو في معنى الخالق على طريق التأكيد، وقيل: إن معناه المحيي بعد الإماتة"^(٦).

قال السعدي: "{هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ} لجميع المخلوقات {البارئ} للمبروءات"^(٧).
قال ابن كثير: "أي: الذي إذا أراد شيئاً قال له: كن، فيكون على الصفة التي يريد، والصورة التي يختار. كقوله: {فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ} [الانفطار: ٨]... والخلق: التقدير، والبراء: هو الفري، وهو التنفيذ وإبراز ما قدره وقرره إلى الوجود، وليس كل من قدر شيئاً ورتبه يقدر على تنفيذه وإيجاده سوى الله، عز وجل. قال الشاعر يمدح آخر^(٨):
ولأنت تفري ما خلقت... وبعض القوم يخلق ثم لا يفري

أي: أنت تنفذ ما خلقت، أي: قدرت، بخلاف غيرك فإنه لا يستطيع ما يريد. فالخلق: التقدير. والفري: التنفيذ. ومنه يقال: قدر الجراد ثم فرى، أي: قطع على ما قدره بحسب ما يريده"^(٩).

قوله تعالى: {الْمُصَوِّرُ} [الحشر: ٢٤]، أي: "المصور خلقه كيف يشاء"^(١٠).
قال الطبري: "المصور خلقه كيف شاء، وكيف يشاء"^(١١).

قال البغوي: "{الْمُصَوِّرُ}: الممثل للمخلوقات بالعلامات التي يتميز بعضها عن بعض. يقال: هذه صورة الأمر أي مثاله، فأولا يكون خلقا ثم براء ثم تصويرا"^(١٢).

قال ابن كثير: "أي: الذي ينفذ ما يريد إيجاده على الصفة التي يريدها"^(١٣).
قال السمعاني: "هو التصوير المعلوم يصور كل خلق على ما يشاء، وقيل: التصوير هو تركيب مخصوص في محل مخصوص من الخلق"^(١٤).

قال السعدي: "{الْمُصَوِّرُ}: للمصورات، وهذه الأسماء متعلقة بالخلق والتدبير والتقدير، وأن ذلك كله قد انفرد الله به، لم يشاركه فيه مشارك"^(١).

(١) التفسير الميسر: ٥٤٨.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبه في مصنفه (ت: محمد عوامة) ١٥ / ١٩٢ - ١٩٣ (٢٩٩٨٠).

(٣) تفسير الطبري: ٣٠٥/٢٣.

(٤) الكشاف: ٥١٠-٥٠٩/٤.

(٥) تفسير اليعقوبي: ٨٨/٨.

(٦) تفسير السمعاني: ٤١٠/٥.

(٧) تفسير السعدي: ٨٥٤.

(٨) الشعر لزهير بن أبي سلمى في ديوانه: ٩٤.

(٩) تفسير ابن كثير: ٨٠/٨.

(١٠) التفسير الميسر: ٥٤٨.

(١١) تفسير الطبري: ٣٠٥/٢٣.

(١٢) تفسير اليعقوبي: ٨٨/٨.

(١٣) تفسير ابن كثير: ٨٠/٨.

(١٤) تفسير السمعاني: ٤١٠-٤١١.

قال الزمخشري: " {المُصَوَّرُ} الممثل" (٢).
 وعن حاطب بن أبي بلتعة أنه قرأ: «البارئ المصور» (٣)، بفتح الواو ونصب الراء،
 أي: "الذي يبرأ المصور أي: يميز ما يصوره بتفاوت الهيئات" (٤).
 قوله تعالى: {لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} [الحشر : ٢٤]، أي: "له سبحانه الأسماء الحسنی
 والصفات العلی" (٥).

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: لله الأسماء الحسنی، وهي هذه الأسماء التي سمي الله
 بها نفسه، التي ذكرها في هاتين الآيتين" (٦).
 قال السعدي: " أي: له الأسماء الكثيرة جدا، التي لا يحصيها ولا يعلمها أحد إلا الله هو،
 ومع ذلك، فكلها حسنی أي: صفات كمال، بل تدل على أكمل الصفات وأعظمها، لا نقص في
 شيء منها بوجه من الوجوه، ومن حسنها أن الله يحبها، ويحب من يحبها، ويحب من عباده أن
 يدعوه ويسألوه بها" (٧).

قال السمعاني: " الحسنی: هو تأنيث الأحسن، وهي -هاهنا- بمعنى: العلیا" (٨).
 عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله تعالى تسعة وتسعين
 اسماً، مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر" (٩).
 وفي رواية: "إن الله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة" (١٠).
 قال الزجاج: " وتأويل: «من أحصاها دخل الجنة»: من وحد الله وذكر هذه الأسماء
 الحسنی يريد بها توحيد الله وإعظامه، دخل الجنة" (١١).
 قال ابن أبي زمنين: " من الناس من قال: معنى أحصاها: حفظها، ومنهم من قال:
 المعنى: من تعبد الله بها" (١٢).

وفي رواية الترمذي قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إن الله تسعة
 وتسعين اسماً، من أحصاها دخل الجنة، هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ: الرَّحْمَنُ، الرَّحِيمُ، الْمَلِكُ،
 الْقُدُّوسُ، السَّلَامُ، الْمُؤْمِنُ، الْمُهِمِّنُ، الْعَزِيزُ، الْجَبَّارُ، الْمُتَكَبِّرُ، الْخَالِقُ، الْبَارِئُ، الْمُصَوِّرُ، الْعَقَّارُ،
 الْقَهَّارُ، الْوَهَّابُ، الرَّزَّاقُ، الْفَتَّاحُ، الْعَلِيمُ، الْقَابِضُ، الْبَاسِطُ، الْخَافِضُ، الرَّافِعُ، الْمُعِزُّ، الْمُنْزِلُ،
 السَّمِيعُ، الْبَصِيرُ، الْحَكَمُ، الْعَدْلُ، اللَّطِيفُ، الْخَبِيرُ، الْحَلِيمُ، الْعَظِيمُ، الْعَفْوُ، الشَّكُورُ، الْعَلِيُّ،
 الْكَبِيرُ، الْحَفِيفُ، الْمُقْتِبُ، الْحَسِيبُ، الْجَلِيلُ، الْكَرِيمُ، الرَّقِيبُ، الْمُجِيبُ، الْوَاسِعُ، الْحَكِيمُ، الْوَدُودُ،
 الْمَجِيدُ، الْبَاعِثُ، الشَّهِيدُ، الْحَقُّ، الْوَكِيلُ، الْقَوِيُّ، الْمَتِينُ، الْوَلِيُّ، الْحَمِيدُ، الْمُحْصِي، الْمُبْدِي،
 الْمُعِيدُ، الْمُحْيِي، الْمُمِيتُ، الْحَيُّ، الْقَيُّومُ، الْوَاحِدُ، الْمَاجِدُ، الْوَاحِدُ، الْأَحَدُ، الصَّمَدُ، الْقَادِرُ، الْمُقْتَدِرُ،
 الْمُقَدِّمُ، الْمُؤَخَّرُ، الْأَوَّلُ، الْآخِرُ، الظَّاهِرُ، الْبَاطِنُ، الْوَالِي، الْمُتَعَالِ، الْبَرُّ، التَّوَّابُ، الْمُنْتَقِمُ، الْعَفْوُ،

(١) تفسير السعدي: ٨٥٤.

(٢) الكشاف: ٥١٠/٤.

(٣) انظر: الكشاف: ٥١٠/٤.

(٤) الكشاف: ٥١٠/٤.

(٥) التفسير الميسر: ٥٤٨.

(٦) تفسير الطبري: ٣٠٥/٢٣.

(٧) تفسير السعدي: ٨٥٤.

(٨) تفسير السمعاني: ٤١١/٥.

(٩) أخرجه أحمد (٢/ ٢٥٨، رقم ٧٤٩٣)، والبخاري (٥/ ٢٣٥٤، رقم ٦٠٤٧)، ومسلم (٤/ ٢٠٦٢، رقم ٢٦٧٧).

(١٠) أخرجه البخاري: الشروط (٢٧٣٦)، ومسلم: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٦٧٧)، والترمذي: الدعوات (٣٥٠٨)، وابن ماجه: الدعاء (٣٨٦٠، ٣٨٦١)، وأحمد (٢/ ٢٥٨، ٢/ ٢٦٧، ٢/ ٤٢٧، ٢/ ٤٩٩، ٢/ ٥١٦، ٢/ ٥٠٣).

(١١) معاني القرآن: ٣/ ٣٥٠.

(١٢) تفسير ابن أبي زمنين: ٣٧٤/٤.

الرَّؤُوفُ، مَالِكُ الْمَلِكِ، ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، الْمُقْسِطُ، الْجَامِعُ، الْعَنِيُّ، الْمُغْنِي، الْمَانِعُ، الضَّارُّ، التَّافِعُ، الثُّورُ، الْهَادِي، الْبَدِيعُ، الْبَاقِي، الْوَارِثُ، الرَّشِيدُ، الصَّبُورُ»^(١).

قال ابن كثير: "والذي عول عليه جماعة من الحفاظ أن سرد الأسماء في هذا الحديث مدرج فيه، وإنما ذلك كما رواه الوليد بن مسلم وعبد الملك بن محمد الصنعاني، عن زهير بن محمد: أنه بلغه عن غير واحد من أهل العلم أنهم قالوا ذلك، أي: أنهم جمعوها من القرآن كما رود عن جعفر بن محمد وسفيان بن عيينة وأبي زيد اللغوي، والله أعلم.

ثم ليعلم أن الأسماء الحسنى ليست منحصرة في التسعة والتسعين بدليل ما رواه الإمام أحمد في مسنده، عن يزيد بن هارون، عن فضيل بن مرزوق، عن أبي سلمة الجهني، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما أصاب أحدا قط هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك، ابن عبدك، ابن أمك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أعلمته أحداً من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهب همي، إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرحاً". فقيل: يا رسول الله، أفلا نتعلمها؟ فقال: "بلى، ينبغي لكل من سمعها أن يتعلمها»^(٢).

وذكر الفقيه الإمام أبو بكر بن العربي أحد أئمة المالكية في كتابه: «الأحوزي في شرح الترمذي»؛ أن بعضهم جمع من الكتاب والسنة من أسماء الله ألف اسم، فإله أعلم^(٣).

عن محمد بن جعفر، قال: "سألتُ أبي جعفر بن محمد الصادق عن الأسماء التسعة والتسعين التي من أحصاها دخل الجنة، فقال: هي في القرآن؛ ففي الفاتحة خمسة أسماء: يا الله، يا رب، يا رحمن، يا رحيم، يا مالك. وفي البقرة ثلاثة وثلاثون اسماً: يا محيط، يا قدير، يا عليم، يا حكيم، يا علي، يا عظيم، يا تواب، يا بصير، يا ولي، يا واسع، يا كافي، يا رءوف، يا بديع، يا

(١) رواه الترمذي رقم (٣٥٠٢) من حديث صفوان بن صالح قال: حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا شعيب بن أبي حمزة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة، وقال: حديث غريب، ورواه ابن حبان في صحيحه رقم (٢٣٨٢) موارد الظمان من طريق صفوان به، وأخرجه ابن ماجة رقم (٣٨٦١) في الدعاء، باب أسماء الله عز وجل، من طريق أخرى عن موسى بن عقبة عن الأعرج عن أبي هريرة مرفوعاً بنحو مما تقدم بزيادة ونقصان، قال البوصيري في "الزوائد": لم يخرج أحد من الأئمة الستة عدد أسماء الله الحسنى من هذا الوجه ولا غيره، غير ابن ماجة [ص: ١٧٥] والترمذي مع تقديم وتأخير، وطريق الترمذي أصح شيء في الباب، وفي إسناد طريق ابن ماجة ضعف لضعف عبد الملك بن محمد الصنعاني، وقال الحافظ في "تخريج الأذكار": "وهذان الطريقان يرجعان إلى رواية الأعرج، وفيهما اختلاف شديد في سرد الأسماء، وزيادة ونقص، ووقع سرد الأسماء في رواية ثالثة أخرجه الحاكم في "المستدرک" وجعفر الفريابي في "الذکر" من طريق عبد العزيز بن الحصين (يعني ابن الترمذي) عن أيوب عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة، قال الحاكم بعد تخريج الحديث من طريق صفوان بن صالح عن الوليد بن مسلم الطريق التي أخرجه الترمذي بلفظه سواء: أخرجه في الصحيح بأسانيد صحيحة دون ذكر الأسماء فيه، ولعله عندهما أن الوليد بن مسلم تفرد بسياقه وبطوله وذكر الأسماء فيه، ولم يذكره غيره لمسلم، نعم أكثرها في القرآن، ومنها ما ورد فيه الفعل أو المصدر دون الاسم، ومنها ما ليس في القرآن لا بنفسه ولا بورود فعله كالقديم والجميل ونحوهما. اهـ. وقال ابن كثير في التفسير: والذي عول عليه جماعة من الحفاظ أن سرد الأسماء في هذا الحديث مدرج فيه، وإنما ذلك كما رواه الوليد بن مسلم وعبد الملك بن محمد الصنعاني عن زهير بن محمد أنه بلغه عن غير واحد من أهل العلم أنهم قالوا ذلك، أي أنهم جمعوها من القرآن كما روى جعفر بن محمد وسفيان بن عيينة وأبو زيد اللغوي، والله أعلم.

أقول: ومع ذلك كله فقد ذكر الحديث ابن حبان في صحيحه، وحسنه النووي في أذكاره.

(٢) الحديث في مسند أحمد ج ٥ برقم ٣٧١٢ وقال الشيخ أحمد شاكر في تخريجه: "إسناده صحيح، وهو في مجمع الزوائد ١٠: ١٣٦. ونسبه لأحمد وأبي يعلى والبخاري، وقال: ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح، غير أبي سلمة الجهني، وقد وثقه ابن حبان" وانتهى الشيخ شاكر من بحثه إلى توثيق أبي سلمة، وسلامة الحديث من إرسال عبد الرحمن عن أبيه. كما صحح الحديث الشيخ ناصر الألباني وأشبع فيه القول برقم ١٩٨ من الأحاديث الصحيحة له. وهو في الموارد (٢٣٧٢) وفي المستدرک (١/ ٥٠٩).

(٣) تفسير ابن كثير: ٣/ ٥١٥.

شاكراً، يا واحد، يا سميع، يا قابض، يا باسط، يا حي، يا قيوم، يا غني، يا حميد، يا غفور، يا حلِيم، يا إله، يا قريب، يا مجيب، يا عزيز، يا نصير، يا قوي، يا شديد، يا سريع، يا خبير. وفي آل عمران: يا وهَّاب، يا قائم، يا صادق، يا باعث، يا مُنعم، يا مُتفضِّل. وفي النساء: يا رقيب، يا حسيب، يا شهيد، يا مقيت، يا وكيل، يا علي، يا كبير. وفي الأنعام: يا فاطر، يا قاهر، يا لطيف، يا برهان. وفي الأعراف: يا مُحْيي، يا مُميت. وفي الأنفال: يا نِعَمَ المولى، يا نِعَمَ النَّصير. وفي هود: يا حفيظ، يا مجيد، يا ودود، يا فعَّالٌ لما يريد. وفي الرعد: يا كبير، يا متعال. وفي إبراهيم: يا مَنَّان، يا وارث. وفي الحجر: يا خَلَّاق. وفي مريم: يا فَرْد. وفي طه: يا غَفَّار. وفي قد أفلح: يا كريم. وفي النور: يا حقُّ، يا مبين. وفي الفرقان: يا هادي. وفي سبأ: يا فَتَّاح. وفي الزمر: يا عالم. وفي غافر: يا غافر، يا قَابِلَ التَّوْبِ، يا ذا الطَّوْلِ، يا رفيع. وفي الذاريات: يا رَزَّاق، يا ذا الفُوَّة، يا متين. وفي الطور: يا بَرُّ. وفي اقتربت: يا مَلِيك، يا مقنن. وفي الرحمن: يا ذا الجلال والإكرام، يا رَبَّ المَشْرِقَيْنِ، يا رَبَّ المَعْرَيْنِ، يا باقي، يا مهيمن. وفي الحديد: يا أول، يا آخر، يا ظاهر، يا باطن. وفي الحشر: يا ملك، يا فُؤوس، يا سلام، يا مؤمن، يا مهيمن، يا عزيز، يا جبَّار، يا متكبِّر، يا خالق، يا بارئ، يا مصوِّر. وفي البروج: يا مُبْدئُ، يا معيد. وفي الفجر: يا وتر. وفي الإخلاص: يا أحد، يا صمد"^(١).

قوله تعالى: {يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الحشر : ٢٤]، أي: "، يسبح له جميع ما في السموات والأرض"^(٢).

قال الطبري: "يسبح له جميع ما في السموات والأرض، ويسجد له طوعاً وكرهاً"^(٣).

قال السعدي: "ومن كماله، وأن له الأسماء الحسنى، والصفات العليا، أن جميع من في السموات والأرض مفتقرون إليه على الدوام، يسبحون بحمده، ويسألونه حوائجهم، فيعطيهم من فضله وكرمه ما تقتضيه رحمته وحكمته"^(٤).

قوله تعالى: {وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [الحشر : ٢٤]، أي: "وهو العزيز شديد الانتقام من أعدائه، الحكيم في تدبيره أمور خلقه"^(٥).

قال الطبري: "يقول: وهو الشديد الانتقام من أعدائه، {الحكيم}، في تدبيره خلقه، وصرّفهم فيما فيه صلاحهم"^(٦).

قال ابن كثير: " {العزیز} : فلا يرام جنابه {الحكيم} في شرعه وقدره"^(٧).

قال السعدي: "الذي لا يريد شيئاً إلا ويكون، ولا يكون شيئاً إلا لحكمة ومصلحة"^(٨).

قال محمد بن إسحاق: "العزیز: في نصرته ممن كفر به إذا شاء"^(٩)، الحكيم: في عذره وحقته إلى عباده"^(١٠).

قال أبو العالية: " {عزیز} في نعمته إذا انتقم"^(١١). وروي عن قتادة والربيع بن أنس نحو ذلك"^(١٢).

عن أبي العالية: " {حكيم}، قال: حكيم في أمره"^(١).

(١) الدر المنثور: ٦١٥/٣-٦١٦، وعزاه إلى أبي نعيم.

(٢) التفسير الميسر: ٥٤٨.

(٣) تفسير الطبري: ٣٠٥/٢٣.

(٤) تفسير السعدي: ٨٥٤.

(٥) التفسير الميسر: ٥٤٨.

(٦) تفسير الطبري: ٣٠٥/٢٣.

(٧) تفسير ابن كثير: ٨١/٨.

(٨) تفسير السعدي: ٨٥٤.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٨٣٤): ص ١٦٦٤/٥.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٨٣٦): ص ١٦٦٤/٥.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٨٣٣): ص ١٦٦٤/٥.

(١٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٦٦٤/٥.

قال محمد بن جعفر بن الزبير " الحكيم في عذره، وحجته إلى عباده"^(٢).
عن معقل بن يسار، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "من قال حين يصبح ثلاث
مرات : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، ثم قرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر،
وكَلَّ اللهُ به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي، وإن مات في ذلك اليوم مات شهيداً، ومن
قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة"^(٣).

فوائد الآيات: [٢١-٢٤]:

- ١- بيان ما حواه القرآن من العظات والعبر، والأمر والنهي والوعد والوعيد الأمر الذي لو أن
جبلأ ركب فيه الإدراك والتمييز كالإنسان ونزل عليه القرآن لخشع وتصدع من خشية الله.
 - ٢- استحسان ضرب الأمثال للتنبيه والتعليم والإرشاد.
 - ٣- تقرير التوحيد، وأنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.
 - ٤- إثبات أسماء الله تعالى، وأنها كلها حسنى، وأنها متضمنة صفات عليا.
 - ٥- ذكر أسمائه تعالى تعليم لعباده بها ليدعوه بها ويتوسلوا بها إليه.
- «آخر تفسير سورة (الحشر)، والحمد لله وحده»

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٠٤٢):ص١٧٦٤/٦.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٠٤٣):ص١٧٦٤/٦.

(٣)المسند (٢٦/٥) وسنن الترمذي برقم (٢٩٢٢).

بسم الله الرحمن الرحيم تفسير سورة «المتحنة»

سورة «المتحنة» هي السورة الستون في ترتيب المصحف، أما ترتيبها في النزول فكان بعد «سورة الأحزاب»، وقبل «سورة النساء»، واتفق أهل العدد على عد أيها ثلاث عشرة آية. وآياتها طوال، وكلماتها ثلاثمائة وأربعون. وحروفها ألف وخمسمائة وعشر. مجموع فواصل آياتها «لم نرد»، على اللام منها آية: {السَّبِيل} [المتحنة : ١]. وعلى الدال آية: {الْحَمِيدُ} [المتحنة : ٦] (١).

■ أسماء السورة:

■ اسمها التوقيفي: «سورة المتحنة»:

عرفت هذه السورة في كتب التفسير وكتب السنة وفي المصاحف بـ«سورة المتحنة»، و«المتحنة» -بكسر الحاء-، أي: المختبرة، بإضافة الفعل إلى المرأة مجازاً، كما سميت سورة «براءة»: المبعثرة والفاضحة، لما كشفت عيوب المنافقين. ويقال: «المتحنة» -بفتح الحاء- وهو المشهور، بإضافة الفعل حقيقة إلى المرأة التي نزلت فيها، وهي أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، قال الله تعالى: {فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ} [المتحنة: ١٠]. وهي امرأة عبد الرحمن بن عوف، ولدت له إبراهيم بن عبد الرحمن (٢).

■ أسماؤها الاجتهادية:

الاسم الأول: «سورة الامتحان»:

وتسمى «سورة الامتحان»، لقوله تعالى: {فَامْتَحِنُوهُنَّ} [المتحنة : ١٠] (٣)، وبهذه التسمية قال مقاتل (٤)، وابن قتبية (٥)، والأزهري (٦)، وهبة الله بن سلامة (٧)، والثعلبي (٨)، والسخاوي (٩)، وآخرون.

الاسم الثاني: «سورة المودة»:

وتسمى «سورة المودة»، لقوله تعالى: {تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ} [المتحنة : ١]، وقوله تعالى: {تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ} [المتحنة : ١]، وقوه تعالى: {عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً} [المتحنة : ٧] (١٠). وذكر هذه التسمية أبو بكر النيسابوري (١١)، وأبو زرعة (١٢)، والسخاوي (١٣)، والفيروزآبادي (١٤).

■ مكة السورة ومدنيتها:

روي عن ابن عباس قال: "نزلت سورة المتحنة بالمدينة" (١٥). وروي عن ابن الزبير (١)، مثل ذلك.

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٠/١، والتحرير والتنوير: ١٣٠/٢٨.

(٢) انظر: التفسير المنير للزحلي: ١١٥/٢٨.

(٣) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٠/١.

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٩٥/٤.

(٥) انظر: تأويل مشكل القرآن: ٢١١.

(٦) انظر: معاني القراءات: ٦٥/٣.

(٧) انظر: الناسخ والمنسوخ: ٢٤.

(٨) انظر: الكشف والبيان: ٢٢/٨، ٢٦٤/٩.

(٩) انظر: جمال القراء: ٤٨٢، ٦٩١.

(١٠) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٠/١.

(١١) انظر: المبسوط في القراءات العشر: ١٣٦، ٤٣٤.

(١٢) انظر: حجة القراءات: ١١٣.

(١٣) انظر: جمال القراء: ٩٢.

(١٤) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٠/١.

(١٥) انظر: الدر المنثور: ١٢٤/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

٦- بيان حكم مبايعة الرسول صلى الله عليه وسلم لهن، وشروط البيعة وبنودها، وأصولها في الإسلام وداره.

٧- وختمت السورة بتأكيد النهي عن موالة أعداء المؤمنين من المشركين والكفار، حرصاً على وحدة الأمة والملة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ [الممتحنة : ١٣] (١).

قال الفيروزآبادي: "معظم مقصود السورة: النهي عن موالة الخارجين عن ملة الإسلام، والافتداء بالسلف الصالح في طريق الطاعة والعبادة، وانتظار المودة بعد العداوة، وامتحان المدعين بمطالبة الحقيقة، وأمر الرسول بكيفية البيعة مع أهل الستر والعفة، والتجنب من أهل الزيف والضلالة" (٢).

قال الطنطاوي: "هذا والمتأمل في هذه السورة الكريمة، يراها قد ساقطت للمؤمنين ألواناً من التربية التي تغرس العقيدة السليمة في قلوبهم، وتجعلهم يضحون من أجلها بكل شيء، ويقدمونها في تصرفاتهم على محبة الآباء والأبناء والعشيرة والأموال، وتكشف لهم عن سوء نيات الكافرين نحوهم، وعن حرصهم على إنزال الضرر بهم، كما ضربت لهم الأمثال بإبراهيم- عليه السلام- لكي يقتدوا به في قوة إيمانه، وفي إخلاصه لدينه، كما بينت لهم من يجوز لهم مودتهم من الكافرين، ومن لا يجوز لهم ذلك منهم.. ثم ختمت ببيان بعض الأحكام التي تتعلق بالنساء المؤمنات المتزوجات من الكافرين، وبالنساء اللاتي جنن إلى الرسول صلى الله عليه وسلم لكي يبايعنه على الإيمان والطاعة" (٣).

■ الناسخ والمنسوخ:

وفيها من المنسوخ ثلاث آيات:

أولاهن: قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة : ٨]، نسخت بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة : ٩]. وهذا مما نسخ فيه العموم بتفسير الخصوص.

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ [الممتحنة : ١٠]، الآية، فنسخت بقوله تعالى: ﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ [الممتحنة : ١٠]، وقيل نسخت بقوله تعالى: ﴿بِرَاءةٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة : ١]، الآية.

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ فَانْتَحِبُوا الَّذِينَ دَهَبَتْ أَرْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَأَنْفَقُوا اللَّهُ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ [الممتحنة : ١١]، نسخت بآية السيف (٤).

■ فضائل السورة:

- عن أبي ابن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة الممتحنة كان المؤمنون والمؤمنات له شفاء يوم القيامة» (٥). [ضعيف]

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعاً لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

(١) انظر: التفسير المنير للزحيلي: ١١٦/٢٨-١١٧.

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٠/١.

(٣) التفسير الوسيط: ٣١٨/١٤-٣١٩.

(٤) انظر: الناسخ والمنسوخ لابن حزم: ٥٩-٦٠، ونواسخ القرآن لابن الجوزي: ٢٠٦-٢٠٨.

(٥) أخرجه الثعلبي في "الكشف والبيان: ٢٩٠/٩، وذكره المستغفري في "فضائل القرآن": ٥٢١/٢، و الزمخشري في "الكشاف": ٧٨٦/٤، والبيضاوي في "أنوار التنزيل": ٢٠٧/٥. [وهو حديث موضوع، وقد نبه ابن حجر على ضعف رواية هذه الأحاديث وانقطاعها عن رسول الله]

القرآن

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْفُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١)﴾ [الممتحنة : ١]

التفسير:

يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، لا تتخذوا عدوي وعدوكم خلصاء وأحباء، تُفضون إليهم بالمودة، فتخبرونهم بأخبار الرسول صلى الله عليه وسلم، وسائر المسلمين، وهم قد كفروا بما جاءكم من الحق من الإيمان بالله ورسوله وما نزل عليه من القرآن، يخرجون الرسول ويخرجونكم -أيها المؤمنون- من «مكة»؛ لأنكم تصدقون بالله ربكم، وتوحدونه، إن كنتم -أيها المؤمنون- هاجرتم مجاهدين في سبيلي، طالبين مرضاتي عنكم، فلا توالوا أعدائي وأعداءكم، تُفضون إليهم بالمودة سرّاً، وأنا أعلم بما أخفيتم وما أظهرتم، ومن يفعل ذلك منكم فقد أخطأ طريق الحق والصواب، وضلّ عن قصد السبيل.

سبب النزول:

قال ابن كثير: "كان سبب نزول صدر هذه السورة الكريمة قصة حاطب بن أبي بلتعة، وذلك أن حاطباً هذا كان رجلاً من المهاجرين، وكان من أهل بدر أيضاً، وكان له بمكة أولاد ومال، ولم يكن من قريش أنفسهم، بل كان حليفاً لعثمان. فلما عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على فتح مكة لما نقض أهلها العهد، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين بالتجهيز لغزوهم، وقال: "اللهم، عمّ عليهم خبرنا". فعمد حاطب هذا فكتب كتاباً، وبعثه مع امرأة من قريش إلى أهل مكة، يعلمهم بما عزم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوهم، ليتخذ بذلك عندهم يداً، فأطلع الله رسوله على ذلك استجابة لدعائه. فبعث في أثر المرأة فأخذ الكتاب منها، وهذا بين في هذا الحديث المتفق على صحته" (١).

روي عبيد الله بن أبي رافع، كاتب علي، يقول: "سمعت علياً رضي الله عنه، يقول بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزيبر والمقداد، فقال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها طعينة معها كتاب فخذوه منها» فذهبنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالطعينة، فقلنا: أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي من كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب، فأخرجته من عقاصها، فأتينا به النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين ممن بمكة، يخبرهم ببعض أمر النبي صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما هذا يا حاطب؟» قال: لا تعجل علي يا رسول الله، إني كنت امرأ من قريش، ولم أكن من أنفسهم، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم بمكة، فأحببت إذ فاتتني من النسب فيهم، أن أصطنع إليهم يداً يحمون قرابتي، وما فعلت ذلك كفراً، ولا ارتداداً عن ديني، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنه قد صدقكم» فقال عمر: دعني يا رسول الله فأضرب عنقه، فقال: "إنه شهد بدراً وما يدريك؟ لعل الله عز وجل اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم" قال عمرو: ونزلت فيه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الممتحنة : ١]، قال: «لا أدري الآية في الحديث أو قول عمرو»، حدثنا علي، قال: قيل لسفيان: في هذا فنزلت: ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الممتحنة : ١] الآية، قال سفيان: هذا في حديث الناس حفظته من عمرو، ما تركت منه حرفاً وما أرى أحداً حفظه غيري" (٢).

(١) تفسير ابن كثير: ٨٢/٨.

(٢) أخرجه البخاري في التفسير (٤٨٩٠)، وفي الجهاد (٣٠٠٧) وفي المغازي (٤٢٧٤). وأخرجه مسلم في فضائل الصحابة (١٦١ / ٢٤٩٤) ص ١٩٤١، وأخرجه أبو داود في الجهاد (٢٦٥٠) والترمذي في التفسير (٣٣٠٥) وقال: حسن صحيح، وأخرجه النسائي في التفسير (٦٠٥)، والبيهقي في السنن (١٤٦ / ٩) وزاد

قال مقاتل: " وذلك أن النبي- صلى الله عليه وسلم- أمر الناس بالجهاد وعسكر، وكتب حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة. إن محمداً قد عسكر، وما أراه ألا يريدكم فخذوا حذرکم وأرسل بالكتاب مع سارة مولاة أبي عمرو بن صيفي بن هاشم وكانت قد جاءت من مكة إلى المدينة فأعطاها حاطب بن أبي بلتعة عشرة دنانير على أن تبلغ كتابه أهل مكة وجاء جبريل، فأخبر النبي- صلى الله عليه وسلم- بأمر الكتاب، وأمر حاطب فبعث رسول الله- صلى الله عليه وسلم- علي بن أبي طالب- عليه السلام-، والزبير بن العوام، وقال لهما: إن أعطتكما الكتاب عفواً خليا سبيلها، وإن أبت فاضربا عنقها. فسارا حتى أدركا بالحجفة وسألاها عن الكتاب فخلفت، ما معها كتاب، وقالت: لأنا إلى خيركم أفقر مني إلى غير ذلك. فابتحشاها، فلم يجدا معها شيئاً، فقال الزبير لعلي بن أبي طالب- رضي الله عنهما- ارجع بنا، فإننا لا نرى معها شيئاً. فقال علي: والله لأضربن عنقها، والله ما كذب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ولا كذبنا، فقال الزبير: صدقت اضرب عنقها. فسل على سيفه، فلما عرفت الجد منهما أخذت عليهما الموائيق، أن أعطيتكما الكتاب لا تقتلاني، ولا تسبباني، ولا ترداني إلى محمد- صلى الله عليه وسلم-، ولتخليان سبيلي فأعطاها الموائيق، فاستخرجت الصحيفة من ذؤابتها ودفعتها فحليا سبيلها وأقبلا بالصحيفة فوضعاها في يدي رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فقرأها. فأرسل إلى حاطب بن أبي بلتعة، فقال له: أتعرف هذا الكتاب؟ قال: نعم. قال: فما حملك على أن تنذر بنا عدونا؟ قال حاطب اعف عني عفا الله عنك، فو الذي أنزل عليك الكتاب ما كفرت منذ أسلمت ولا كذبتك منذ صدقتك، ولا أبغضتك منذ أحببتك، ولا واليتهم منذ عاديتهم، وقد علمت أن كتابي لا ينفعهم ولا يضرک فاعذرنی، جعلني الله فداك فإنه ليس من أصحابك أحد إلا وله بمكة من يمنع ماله وعشيرته غيري وكنت حليفاً ولست من أنفس القوم، وكان حلفائي قد هاجروا كلهم، وكنت كثير المال والضيعة بمكة فخفت المشركين على مالي فكتبت إليهم لأتوسل إليهم بها وأتخذها عندهم مودة لأدفع عن مالي، وقد علمت أن الله منزل بهم خزيه ونقمته وليس كتابي يغني عنهم شيئاً، فعرف رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أنه قد صدق فيما قال، فأنزل الله- تعالى- عظة للمؤمنين أن يعودوا لمثل صنيع حاطب بن أبي بلتعة، فقال- تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ لِقَوْمِ إِلَهُكُمْ بِالْمُؤَدَّةِ﴾ [المتحنة: ١]..^(١)

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [المتحنة: ١]، أي: "يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه"^(٢).

قال الطبري: " يقول: تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾.."^(٣)

قال السمعاني: " قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ في الآية دليل على أن حاطب لم يخرج من الإيمان بفعله ذلك"^(٤).

قال ابن عباس: " ما في القرآن آية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، إلا أن علياً شريفها وأميرها وسيدها، وما من أصحاب محمد إلا قد عوتب في القرآن إلا علي بن أبي طالب فإنه لم يعاتب في شيء منه"^(٥).

وقال الأعمش عن خيثمة: " ما قرأون من القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، فإن في التوراة "يا أيها المساكين"^(١).

السيوطي نسبته في الدر (٦/ ٢٠٢) لأحمد والحميدي وعبد بن حميد وأبي عوانة وابن حبان وابن جرير الطبري وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي وأبي نعيم كلاهما في الدلائل، والحديث عند أحمد (١/ ٧٩) من طريق عبيد الله بن أبي رافع به.

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٩٧/٤-٢٩٨.

(٢) التفسير الميسر: ٥٤٩.

(٣) تفسير الطبري: ٣٠٩/٢٣.

(٤) تفسير السمعاني: ٤١٣/٥.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٨٨٩): ص ٧١٨/٣.

وروي أن "رجلا أتى عبد الله ابن مسعود فقال: أعهد إلي، فقال: إذا سمعت الله تعالى يقول: {يا أيها الذين آمنوا}، فأرעה سمعك، فإنه خير يأمر به، أو شر ينهى عنه"^(٢).
قوله تعالى: {لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ} [المتحنة : ١]، أي: "لا تتخذوا عدوي وعدوكم خلصاء وأحباء"^(٣).

قال الطبري: يقول: " {لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي} من المشركين {وَعَدُوَّكُمْ} أنصاراً"^(٤).
قال السمعاني: "أي: أعدائي وأعداءكم، وهم مشركو قريش"^(٥).
قال يحيى بن سلام: "يعني: في النصيحة"^(٦).

قال سهل: "ذكر المفسرون: أنها أنزلت في حاطب بن أبي بلتعة وكان كتب إلى المشركين بمكة يخبرهم بمسير الرسول، صلى الله عليه وسلم إليهم، لأن عياله كانوا بمكة، ولم يكن له بها عشيرة تمنع منهم، فأراد أن يتقرب إليهم ليكفوا عن عياله فأنزل الله: {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوِّي وعدوكم أولياء تُلقون إليهم بالموءة}."^(٧)

قال قتادة: "ذكر لنا أن حاطباً كتب إلى أهل مكة يخبرهم سير النبي صلى الله عليه وسلم إليهم زمن الحديبية، فأطلع الله عزّ وجلّ نبيه عليه الصلاة والسلام على ذلك، وذكر لنا أنهم وجدوا الكتاب مع امرأة في قرن من رأسها، فدعاها النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "ما حملك على الذي صنعت؟" قال: والله ما شككت في أمر الله، ولا ارتددت فيه، ولكن لي هناك أهلاً ومالاً فأردت مصانعة قريش على أهلي ومالي. وذكر لنا أنه كان حليفاً لقريش لم يكن من أنفسهم، فأنزل الله عزّ وجلّ في ذلك القرآن، فقال: {إِنْ يَتَفَقَّحْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ}"^(٨).

عن الحسن البصري، قال: "كتب حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين كتاباً يذكر فيه مسير النبي - صلى الله عليه وسلم -، فبعث به مع امرأة، فبعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في طلبها، فأخذ الكتاب منها، فجيء به إلى النبي - صلى الله عليه وسلم -، فدعا حاطباً، فقال: «أنت كتبت هذا الكتاب؟». قال: نعم يا رسول الله، أما والله إني لمؤمن بالله وبرسوله، وما كفرت منذ أسلمت، ولا شككت منذ استيقنت، ولكني كنت امرأة لا تسب لي في القوم، إنما كنت حليفاً لهم، وفي أيديهم من أهلي ما قد علمت، فكتبت إليهم بشيء قد علمت أن لن يُغني عنهم من الله شيئاً أراد؛ أن أدرا به عن أهلي ومالي، فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله، خلّ عني وعن عدو الله هذا المنافق، فأضرب عنقه. فنظر إليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نظراً عرف عمر أنه قد غضب، ثم قال: «ويحك، يا ابن الخطاب، وما يدريك لعلّ الله قد اطلع على أهل موطن من موطن الخير، فقال للملائكة: اشهدوا أنّي قد غفرت لأعبدتي هؤلاء، فليعملوا ما شاؤوا». قال عمر: الله ورسوله أعلم. قال: «إنهم أهل بدر فاجتنب أهل بدر، إنهم أهل بدر فاجتنب أهل بدر، إنهم أهل بدر»"^(٩).

قيل للشافعي: "أرأيت المسلم يكتب إلى المشركين من أهل الحرب، بأن المسلمين يريدون غزوهم، أو بالعورة من عوراتهم، هل يحل ذلك دمه، ويكون في ذلك دلالة على ممالأة المشركين - على المسلمين -؟"

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٨٩٠): ص ٧١٨ / ٣.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٨٩١): ص ٧١٨ / ٣.

(٣) التفسير الميسر: ٥٤٩.

(٤) تفسير الطبري: ٣٠٩/٢٣.

(٥) تفسير السمعاني: ٤١٣/٥.

(٦) التصاريح لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه: ٢٣٩.

(٧) تفسير التستري: ٢١١.

(٨) أخرجه الطبري: ٣١٥/٢٣.

(٩) الدر المنثور: ١٢٨/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.

قال الشافعي رحمه الله: لا يحل دم من ثبتت له حرمة الإسلام، إلا أن يقتل، أو يزني بعد إحصان، أو يكفر كفوفاً بيناً بعد إيمان، ثم يثبت على الكفر. وليس الدلالة على عورة مسلم، ولا تأييد كافر بأن يحذر أن المسلمين يريدون منه غيرةً ليحذرها، أو يتقدم في نكاية المسلمين بكفر بين^(١).

قوله تعالى: {تُلْفُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُؤَدَّةِ} [المتحنة : ١]، أي: "تفضون إليهم بالمودة، فتخبرونهم بأخبار الرسول صلى الله عليه وسلم، وسائر المسلمين"^(٢).
قال الطبري: يقول: "تلقون إليهم مودتكم إياهم"^(٣).
قال مقاتل: "يعني: الصحيفة"^(٤).

قال سهل: "أي: تخبرونهم بما يخبر بمثله الرجل أهل مودته، وتتصحنون لهم"^(٥).
قال السمعاني: "أي: تلقون إليهم أخبار النبي وسره بالمودة التي بينكم وبينهم، ويقال: بالنصيحة، وقيل: بالكتاب. وسمي ذلك مودة وكذلك النصيحة؛ لأن ذلك دليل المودة"^(٦).
قال الزجاج: "قيل المعنى تُلْفُونَ إليهم المودة، والمعنى - والله أعلم - يلقون إليهم أخبار النبي عليه السلام وسره بالمودة التي بينكم وبينهم، ودليل هذا القول: {تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ}، ما يستره النبي عليه السلام بالمودة"^(٧).

قوله تعالى: {وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ} [المتحنة : ١]، أي: "وهم قد كفروا بما جاءكم من الحق من الإيمان بالله ورسوله وما نزل عليه من القرآن"^(٨).
قال الطبري: "يقول: وقد كفر هؤلاء المشركون الذين نهيتكم أن تتخذوهم أولياء بما جاءكم من عند الله من الحق، وذلك كفرهم بالله ورسوله وكتابه الذي أنزله على رسوله"^(٩).
قوله تعالى: {يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ} [المتحنة : ١]، أي: "يخرجون الرسول ويخرجونكم -أيها المؤمنون- من «مكة»؛ لأنكم تصدقون بالله ربكم، وتوحدونه"^(١٠).

قال الطبري: "يخرجون الرسول وإياكم من دياركم وأرضكم، لأن أمنتكم بالله"^(١١).
قال سهل: "أي: أخرجوا الرسول وأخرجوكم، لأن أمنتكم بالله وحده"^(١٢).
قال السمعاني: "معنى «الإخراج» -هاهنا-: هو الإلجاء إلى الخروج"^(١٣).
قال ابن كثير: "هذا مع ما قبله من التهيج على عداوتهم وعدم موالاتهم؛ لأنهم أخرجوا الرسول وأصحابه من بين أظهرهم، كراهة لما هم عليه من التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده؛ ولهذا قال: {أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ}، أي: لم يكن لكم عندهم ذنب إلا إيمانكم بالله رب العالمين، كقوله: {وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} [البروج : ٨]، وكقوله {الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ} [الحج : ٤٠]"^(١٤).

(١) تفسير الإمام الشافعي: ١٣٣٥-١٣٣٦/٣.

(٢) التفسير الميسر: ٥٤٩.

(٣) تفسير الطبري: ٣٠٩/٢٣.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٩٩/٤.

(٥) تفسير التستري: ٢١١.

(٦) تفسير السمعاني: ٤١٣/٥.

(٧) معاني القرآن: ١٥٥/٥.

(٨) التفسير الميسر: ٥٤٩.

(٩) تفسير الطبري: ٣١٠/٢٣.

(١٠) التفسير الميسر: ٥٤٩.

(١١) تفسير الطبري: ٣١٠/٢٣.

(١٢) تفسير التستري: ٢١١.

(١٣) تفسير السمعاني: ٤١٣/٥.

(١٤) تفسير ابن كثير: ٨٦/٨.

قوله تعالى: {إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي} [الممتحنة : ١]، أي: "إن كنتم -أيها المؤمنون- هاجرتم مجاهدين في سبيلي، طالبين مرضاتي عنكم، فلا تولوا أعدائي وأعداءكم"^(١).

قال الطبري: " من المؤخر الذي معناه التقديم، ووجه الكلام: يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق إن كنتم خرجتم جهادًا في سبيلي، وابتغاء مرضاتي"^(٢).

قال سهل: " يريد: فلا تلقوا إليهم بالمودة إن كنتم خرجتم مجاهدين في سبيلي طالبين رضاي"^(٣).

قال ابن كثير: " أي : إن كنتم كذلك فلا تتخذوهم أولياء، إن كنتم خرجتم مجاهدين في سبيلي باغين لمرضاتي عنكم فلا تولوا أعدائي وأعداءكم، وقد أخرجوكم من دياركم وأموالكم حنقًا عليكم وسخطًا لدينكم"^(٤).

قال الزمخشري: " {وإن كنتم خرجتم} متعلق بـ {لا تتخذوا}، يعني: لا تتولوا أعدائي إن كنتم أوليائي"^(٥).

قوله تعالى: {تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ} [الممتحنة : ١]، أي: "تُفضون إليهم بالمودة سرًّا، وأنا أعلم بما أخفيتم وما أظهرتم"^(٦).

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره للمؤمنين من أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تسرون أيها المؤمنون بالمودة إلى المشركين بالله، وأنا أعلم منكم بما أخفى بعضكم من بعض، فأسرته منه، وأعلم أيضًا منكم ما أعلنه بعضكم لبعض"^(٧).

قال سهل: " أي: كيف تستترون بمودتكم لهم مني وأنا أعلم بما تضمرون وما تظهرون؟"^(٨).

قال ابن كثير: " أي : تفعلون ذلك وأنا العالم بالسرائر والضمائر والظواهر"^(٩).

قال الزمخشري: " {تُسِرُّونَ} استتاف، ومعناه: أي طائل لكم في إسراركم وقد علمتم أن الإخفاء والإعلان بيان في علمي لا تفاوت بينهما، وأنا مطلع رسولي على ما تسرون"^(١٠).

قال السمعاني: " {تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ} خبر بمعنى النهي. وقوله: { وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ} أي: بما أسررتم وما أظهرتم"^(١١).

قوله تعالى: {وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ} [الممتحنة : ١]، أي: "ومن يفعل ذلك منكم فقد أخطأ طريق الحق والصواب، وضلَّ عن قصد السبيل"^(١٢).

قال الطبري: يقول: " ومن يسرُّ منكم إلى المشركين بالمودة أيها المؤمنون فقد ضلَّ: يقول: فقد جار عن قصد السبيل التي جعلها الله طريقًا إلى الجنة ومحجة إليها"^(١٣).

قال الزمخشري: " ومن يفعل هذا الإسرار فقد أخطأ طريق الحق والصواب"^(١٤).

(١) التفسير الميسر: ٥٤٩.

(٢) تفسير الطبري: ٣١٠/٢٣.

(٣) تفسير التستري: ٢١١.

(٤) تفسير ابن كثير: ٨٦/٨.

(٥) الكشف: ٥١٢/٤.

(٦) التفسير الميسر: ٥٤٩.

(٧) تفسير الطبري: ٣١١-٣١٠/٢٣.

(٨) تفسير التستري: ٢١١.

(٩) تفسير ابن كثير: ٨٦/٨.

(١٠) الكشف: ٥١٢/٤.

(١١) تفسير السمعاني: ٤١٤/٥.

(١٢) التفسير الميسر: ٥٤٩.

(١٣) تفسير الطبري: ٣١١/٢٣.

(١٤) الكشف: ٥١٢/٤.

قال السمعاني: "أي: أخطأ طريق الحق"^(١).
قال ابن أبي زمنين: {سَوَاءَ السَّبِيلِ}، أي: "قصد الطريق"^(٢).

القرآن

{إِنْ يَتَّقُواكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمُ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ
[الممتحنة : ٢]}

التفسير:

إن يظفر بكم هؤلاء الذين تُسرُّون إليهم بالمودة يكونوا حرباً عليكم، ويمدوا إليكم أيديهم بالقتل والسبي، وألسنتهم بالسب والشتم، وهم قد تمنَّوا -على كل حال- لو تكفرون مثلهم.
قوله تعالى: {إِنْ يَتَّقُواكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمُ بِالسُّوءِ} [الممتحنة : ٢]، أي: "إن يظفر بكم هؤلاء الذين تُسرُّون إليهم بالمودة يكونوا حرباً عليكم، ويمدوا إليكم أيديهم بالقتل والسبي، وألسنتهم بالسب والشتم"^(٣).
قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: إن يتفقكم هؤلاء الذين تسرُّون أيها المؤمنون إليهم بالمودة، يكونوا لكم حرباً وأعداء، {وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ} بالقتال {وَأَلْسِنَتَهُمُ بِالسُّوءِ}"^(٤).
قال ابن كثير: "أي : لو قدروا عليكم لما اتقوا فيكم من أذى ينالونكم به بالمقال والفعال"^(٥).

قال السمعاني: "العرب تقول: فلان ثقف لقف، إذا كان سريع الأخذ"^(٦).
قوله تعالى: {وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ} [الممتحنة : ٢]، أي: "وهم قد تمنَّوا -على كل حال- لو تكفرون مثلهم"^(٧).

قال الطبري: "يقول: وتمنوا لكم أن تكفروا بربكم، فتكونوا على مثل الذي هم عليه"^(٨).
قال السمعاني: "أي: وأحبوا لو تكفرون كما كفروا"^(٩).
قال السعدي: "فإن هذا غاية ما يريدون منكم"^(١٠).
قال ابن كثير: "أي : ويحرصون على ألا تتلوا خيراً، فهم عداوتهم لكم كامنة وظاهرة، فكيف توالون مثل هؤلاء ؟ وهذا تهيج على عداوتهم أيضاً"^(١١).
قال الزمخشري: "وتمنوا لو ترتدون عن دينكم، فإن مودة أمثالهم ومناصحتهم خطأ عظيم منكم ومغالطة لأنفسكم ونحوه قوله تعالى: {لَا يَأْتِيَنَّكُمْ خَبَالٌ}"^(١٢).
قال الزمخشري: "فإن قلت: كيف أورد جواب الشرط مضارعاً مثله ثم قال: {وَوَدُّوا} بلفظ الماضي؟

قلت: الماضي وإن كان يجرى في باب الشرط مجرى المضارع في علم الإعراب، فإن فيه نكتة، كأنه قيل: وودوا قبل كل شيء كفركم وارتدادكم، يعني: أنهم يريدون أن يلحقوا بكم مضار الدنيا والدين جميعاً: من قتل الأنفس، وتمزيق الأعراض، وردكم كفاراً، وردكم كفاراً

(١) تفسير السمعاني: ٤١٤/٥.

(٢) تفسير ابن أبي زمنين: ٣٧٤/٤.

(٣) التفسير الميسر: ٥٤٩.

(٤) تفسير الطبري: ٣١٦/٢٣.

(٥) تفسير ابن كثير: ٨٦/٨.

(٦) تفسير السمعاني: ٤١٤/٥.

(٧) التفسير الميسر: ٥٤٩.

(٨) تفسير الطبري: ٣١٦/٢٣.

(٩) تفسير السمعاني: ٤١٤/٥.

(١٠) تفسير السعدي: ٨٥٤.

(١١) تفسير ابن كثير: ٨٦/٨.

(١٢) الكشاف: ٥١٣/٤.

أسبق المضارّ عندهم وأولها، لعلمهم أن الدين أعز عليكم من أرواحكم، لأنكم بدّالون لها دونه، والعدوّ أهم شيء عنده أن يقصد أعز شيء عند صاحبه"^(١).

القرآن

{لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣)}

[المتحنة : ٣]

التفسير:

لن تنفعكم قراباتكم ولا أولادكم شيئاً حين توالون الكفار من أجلهم، يوم القيامة يفرق الله بينكم، فيُدخل أهل طاعته الجنة، وأهل معصيته النار. والله بما تعملون بصير، لا يخفى عليه شيء من أقوالكم وأعمالكم.

قوله تعالى: {لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ} [المتحنة : ٣]، أي: "لن تنفعكم قراباتكم ولا أولادكم شيئاً حين توالون الكفار من أجلهم"^(٢).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: لا يدعونكم أرحامكم وقراباتكم وأولادكم إلى الكفر بالله، واتخاذ أعدائه أولياء تلقون إليهم بالمودة، فإنه لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم عند الله يوم القيامة، فتدفع عنكم عذاب الله يومئذ، إن أنتم عصيتموه في الدنيا، وكفرتم به"^(٣).

قال الثعلبي: "يقول: لا تدعوكم قرابتكم وأولادكم التي بمكة إلى خيانة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وترك مناصحتهم وموالات أعدائهم ومظاهرتهم فلن ينفعكم {أرحامكم ولا أولادكم} التي عصيتم الله سبحانه لأجلهم"^(٤).

قال البغوي: "معناه: لا يدعونكم ولا يحملنكم ذو أرحامكم وقراباتكم وأولادكم الذين بمكة إلى خيانة الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وترك مناصحتهم وموالات أعدائهم فلن تنفعكم {أرحامكم ولا أولادكم} الذين عصيتم الله لأجلهم"^(٥).

قال السعدي: "فإن احتججتم وقلتم: نوالي الكفار لأجل القرابة والأموال، فلن تغني عنكم أموالكم ولا أولادكم من الله شيئاً"^(٦).

قال ابن كثير: "أي: قراباتكم لا تنفعكم عند الله إذا أراد الله بكم سوءاً، ونفعهم لا يصل إليكم إذا أرضيتموهم بما يسخط الله، ومن وافق أهله على الكفر ليرضيهم فقد خاب وخسر وضلّ عمله، ولا ينفعه عند الله قرابته من أحد، ولو كان قريباً إلى نبي من الأنبياء"^(٧).

عن أنس، أن رجلاً قال: يا رسول الله: أين أبي؟ قال: "في النار" فلما قُيِّ دعاه فقال: "إن أبي وأباك في النار"^(٨).

قوله تعالى: {يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ} [المتحنة : ٣]، أي: "يوم القيامة يفرق الله بينكم، فيُدخل أهل طاعته الجنة، وأهل معصيته النار"^(٩).

قال الطبري: يقول: "يفصل ربكم أيها المؤمنون بينكم يوم القيامة بأن يدخل أهل طاعته الجنة، وأهل معاصية والكفر به النار"^(١٠).

(١) الكشاف: ٥١٣/٤.

(٢) التفسير الميسر: ٥٤٩.

(٣) تفسير الطبري: ٣١٦/٢٣.

(٤) الكشف والبيان: ٢٩٢/٩.

(٥) تفسير البغوي: ٩٤/٨.

(٦) تفسير السعدي: ٨٥٤.

(٧) تفسير ابن كثير: ٨٦/٨-٨٧.

(٨) المسند (٢٦٨/٣) وصحيح مسلم برقم (٢٠٣) وسنن أبي داود برقم (٨١٧٤).

(٩) التفسير الميسر: ٥٤٩.

(١٠) تفسير الطبري: ٣١٦/٢٣.

قال الزمخشري: {يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُفْصِلُ بَيْنَكُمْ} وبين أقاربكم وأولادكم، {يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ} ... الآية، فما لكم ترفضون حق الله مراعاة لحق من يفرّ منكم غدا: خطأ رأيهم في موالاته الكفار بما يرجع إلى حال من والوه أولاً، ثم بما يرجع إلى حال من اقتضى تلك الموالاته ثانياً، ليربهم أن ما أقدموا عليه من أي جهة نظرت فيه وجدته باطلاً^(١).

قال السعدي: "فلذلك حذرکم من موالاته الكافرين الذين تضركم موالاتهم"^(٢).
وقرى: «يُفْصِلُ بَيْنَكُمْ»، بضم الياء وتخفيف الصاد وفتحها، على ما لم يسمّ فاعله^(٣).
قوله تعالى: {وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [الممتحنة: ٣]، أي: "والله بما تعملون بصير، لا يخفى عليه شيء من أقوالكم وأعمالكم"^(٤).

قال الطبري: يقول: "والله بأعمالكم أيها الناس ذو علم وبصر، لا يخفى عليه منها شيء، هو بجميعها محيط، وهو مجازيكم بها إن خيراً فخير، وإن شراً فشرّ، فاتقوا الله في أنفسكم واحذروه"^(٥).
فوائد الآيات: [٣-١]:

- ١- حرمة موالاته الكافرين بالنصرة والتأييد والمودة دون المسلمين.
- ٢- الذي ينقل أسرار المسلمين الحربية إلى الكافرين على خطر عظيم وإن صام وصلى.
- ٣- بيان أن الكافرين لا يرحمون المؤمنين متى تمكنوا منهم لأن قلوبهم عمياء لا يعرفون معروفاً ولا منكراً بظلمة الكفر في نفوسهم وعدم مراقبة الله عز وجل لأنهم لا يعرفونه ولا يؤمنون بما عنده من نعيم وجحيم يوم القيامة.
- ٤- فضل أهل بدر وكرامتهم على الله عز وجل.
- ٥- قبول عذر الصادقين الصالحين ذوي السبق في الإسلام إذا عثر أحدهم اجتهداً منه.
- ٦- عدم انتفاع المرء بقرابته يوم القيامة إذا كان مسلماً وهم كفرون.

القرآن

{قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْتَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٤)} [الممتحنة: ٤]

التفسير:

قد كانت لكم -أيها المؤمنون- قدوة حسنة في إبراهيم عليه السلام والذين معه من المؤمنين، حين قالوا لقومهم الكافرين بالله: إنا بريئون منكم وممّا تعبدون من دون الله من الآلهة والأنداد، كفرنا بكم، وأنكرنا ما أنتم عليه من الكفر، وظهر بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً ما دتم على كفركم، حتى تؤمنوا بالله وحده، لكن لا يدخل في الاقتداء استغفار إبراهيم لأبيه؛ فإن ذلك إنما كان قبل أن يتبين لإبراهيم أن أباه عدو لله، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه، ربنا عليك اعتمادنا، وإليك رجعنا بالتوبة، وإليك المرجع يوم القيامة.

سبب النزول:

قال علي بن أبي طالب: "لما أنزل الله - عز وجل - خبراً عن إبراهيم - عليه السلام - قال لأبيه: {سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي} [مريم: ٤٧] سمعتُ رجلاً يستغفر لوالديه وهما مشركان، فقلت له: تستغفر لهما وهما مشركان؟! فقال: أولم يستغفر إبراهيم لأبيه؟! فأنتيت النبيّ

(١) الكشاف: ٥١٣/٤.

(٢) تفسير السعدي: ٨٥٤.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٣١٦/٢٣.

(٤) التفسير الميسر: ٥٤٩.

(٥) تفسير الطبري: ٣١٦/٢٣.

- صلى الله عليه وسلم -، فذكرت ذلك له؛ فأنزل الله - عز وجل - : {قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم} إلى قوله: {إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك} (١).

قوله تعالى: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ} [الممتحنة : ٤]، أي: "قد كانت لكم -أيها المؤمنون- قدوة حسنة في إبراهيم عليه السلام والذين معه من المؤمنين" (٢).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: قد كان لكم أيها المؤمنون قدوة حسنة في إبراهيم خليل الرحمن، تقتدون به، والذين معه من أنبياء الله" (٣).

قال الفراء: "يعنى: حاطبا، «فيهم» في إبراهيم. يقول: في فعل إبراهيم، والذين معه إذ تبرؤوا من قومهم. يقول: ألا تأسيت يا حاطب بإبراهيم فتبرأ من أهلك كما برىء إبراهيم؟" (٤).

قال ابن كثير: "يقول تعالى لعباده المؤمنين الذين أمرهم بمصارمة الكافرين وعداوتهم ومجانبتهم والتبري منهم: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ}، أي: وأتباعه الذين آمنوا معه" (٥).

قال مقاتل: "{وَالَّذِينَ مَعَهُ}، من المؤمنين" (٦).

قال الزمخشري: "أي: كان فيهم مذهب حسن مرضى بأن يؤتسى به ويتبع أثره، وهو قولهم لكفار قومهم ما قالوا" (٧).

عن وهب، قال: "قال ابن زيد في قول الله عز وجل: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ}، قال: الذين معه الأنبياء" (٨).

قال ابن قتيبة: "{أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ}، أي: عبرة وأتمام" (٩).

قال الشوكاني: "أصل الأسوة بالضم والكسر: القدوة، ويقال: هو أسوتك، أي: مثلك وأنت مثله" (١٠).

قوله تعالى: {إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} [الممتحنة : ٤]، أي: "حين قالوا لقومهم الكافرين بالله: إنا بريئون منكم ومما تعبدون من دون الله من الآلهة والأنداد" (١١).

قال الطبري: "يقول: حين قالوا لقومهم الذين كفروا بالله، وعبدوا الطاغوت: أيها القوم إنا برآء منكم، ومن الذين تعبدون من دون الله من الآلهة والأنداد" (١٢).

قال ابن كثير: "أي: تبرأنا منكم {وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} (١٣).

قوله تعالى: {كَفَرْنَا بِكُمْ} [الممتحنة : ٤]، أي: "كفرنا بكم، وأنكرنا ما أنتم عليه من الكفر" (١٤).

قال الطبري: أي: "أنكرنا ما كنتم عليه من الكفر بالله وجدنا عبادتكم ما تعبدون من دون الله أن تكون حقا" (١).

(١) تفسير البغوي ٤ / ١٠١.

(٢) التفسير الميسر: ٥٤٩.

(٣) تفسير الطبري: ٣١٧/٢٣.

(٤) معاني القرآن: ١٤٩/٣.

(٥) تفسير ابن كثير: ٨٧/٨.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٠٠/٤.

(٧) الكشف: ٥١٤/٤.

(٨) أخرجه الطبري: ٣١٧/٢٣.

(٩) غريب القرآن: ٤٦١.

(١٠) فتح القدير: ٢٥٣/٥.

(١١) التفسير الميسر: ٥٤٩.

(١٢) تفسير الطبري: ٣١٧/٢٣.

(١٣) تفسير ابن كثير: ٨٧/٨.

(١٤) التفسير الميسر: ٥٤٩.

قال ابن كثير: "أي: بدينكم وطريقكم" (٢).
قال الزمخشري: أي: "أنا لا نعتدّ بشأنكم ولا بشأن آلهتكم، وما أنتم عندنا على شيء" (٣).

قوله تعالى: {وَبَدَأَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ} [المتحنة: ٤]، أي: "وظهر بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدًا ما دمتم على كفركم، حتى تؤمنوا بالله وحده" (٤).

قال الطبري: أي: "وظهر بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدًا على كفركم بالله، وعبادتكم ما سواه، ولا صلح بيننا ولا هودة، حتى تصدقوا بالله وحده، فتوحده، وتفرده بالعبادة" (٥).
قال ابن كثير: "يعني: وقد شرعت العداوة والبغضاء من الآن بيننا وبينكم، ما دمتم على كفركم فنحن أبدًا نتبرأ منكم ونبغضكم إلى أن تُوحّدوا الله فتعبده وحده لا شريك له، وتخلعوا ما تعبّدون معه من الأنداد والأوثان" (٦).

قال السعدي: "ثم صرحوا بعداوتهم غاية التصريح، فقالوا: {كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَأَ} أي: ظهر وبان {بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ} أي: البغض بالقلوب، وزوال مودتها، والعداوة بالأبدان، وليس لتلك العداوة والبغضاء وقت ولا حد، بل ذلك {أَبَدًا} ما دمتم مستمرين على كفركم {حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ} أي: فإذا آمنتم بالله وحده، زالت العداوة والبغضاء، وانقلبت مودة وولاية" (٧).
قال الزمخشري: "كاشفوهم بالعداوة وقشروا لهم العصا، وأظهروا البغضاء والمقت، وصرحوا بأن سبب عداوتهم وبغضائهم ليس إلا كفرهم بالله، وما دام هذا السبب قائمًا كانت العداوة قائمة، حتى إن أزالوه وآمنوا بالله وحده انقلبت العداوة موالاة، والبغضاء محبة، والمقت مقة" (٨)، فأفصحوا عن محض الإخلاص" (٩).

قوله تعالى: {إِنَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ} [المتحنة: ٤]، أي: "إلا في استغفار إبراهيم لأبيه فلا تقتدوا به، فإنه إنما استغفر لأبيه المشرك رجاء السلامة" (١٠).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه في هذه الأمور التي ذكرناها من مباينة الكفار ومعاداتهم، وترك موالاتهم إلا في قول إبراهيم لأبيه {لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ}، فإنه لا أسوة لكم فيه في ذلك، لأن ذلك كان من إبراهيم لأبيه عن موعده وعداها إياه قبل أن يتبين له أنه عدوّ الله؛ فلما تبين له أنه عدوّ الله تبرأ منه. يقول تعالى ذكره: فكذلك أنتم أيها المؤمنون بالله، فتبرّءوا من أعداء الله من المشركين به ولا تتخذوا منهم أولياء حتى يؤمنوا بالله وحده ويتبرّءوا عن عبادة ما سواه وأظهروا لهم العداوة والبغضاء" (١١).

قال السعدي: أي: "فلكم أيها المؤمنون أسوة حسنة في إبراهيم ومن معه في القيام بالإيمان والتوحيد، والقيام بلوازم ذلك ومقتضياته، وفي كل شيء تعبّدوا به الله وحده، {إلا} في خصلة واحدة وهي {قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ} أزر المشرك، الكافر، المعاند، حين دعاه إلى الإيمان والتوحيد، فامتنع، فقال إبراهيم: {لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ}.. فليس لكم أن تقتدوا بإبراهيم في هذه الحالة التي دعا بها للمشرك، فليس لكم أن تدعوا للمشركين، وتقولوا: إنا في ذلك متبعون لملة إبراهيم،

(١) تفسير الطبري: ٣١٧/٢٣.

(٢) تفسير ابن كثير: ٨٧/٨.

(٣) الكشف: ٥١٤/٤.

(٤) التفسير الميسر: ٥٤٩.

(٥) تفسير الطبري: ٣١٧/٢٣.

(٦) تفسير ابن كثير: ٨٧/٨.

(٧) تفسير السعدي: ٨٥٤.

(٨) قوله «والمقت مقة» أي: محبة.

(٩) الكشف: ٥١٤/٤.

(١٠) صفوة النقايسر: ٣٤٣/٣.

(١١) تفسير الطبري: ٣١٨/٢٣.

فإن الله ذكر عذر إبراهيم في ذلك بقوله: {وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا
إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لِأَوَّاهٍ حَلِيمٌ} (١).
قال الفراء: "أي: قد كانت لكم أسوة في أفاعيلهم إلا في قول إبراهيم: «لأستغفرن»، فإنه
ليس لكم فيه أسوة" (٢).

قال ابن كثير: "أي: لكم في إبراهيم وقومه أسوة حسنة تتأسون بها، إلا في استغفار
إبراهيم لأبيه، فإنه إنما كان عن موعدة وعدها إياه، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه. وذلك أن
بعض المؤمنين كانوا يدعون لأبائهم الذين ماتوا على الشرك ويستغفرون لهم، ويقولون: إن
إبراهيم كان يستغفر لأبيه، فأنزل الله، عز وجل: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا
لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ
إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لِأَوَّاهٍ حَلِيمٌ}
[التوبة: ١١٣، ١١٤]. وقال تعالى في هذه الآية الكريمة: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ
وَالَّذِينَ مَعَهُ} إلى قوله: {إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لِاسْتِغْفَرَ لَكَ وَمَا أَمَلْتُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ}، أي
: ليس لكم في ذلك أسوة، أي: في الاستغفار للمشركين" (٣).

قال أبو عبيدة: "ثم استثنى، {إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لِاسْتِغْفَرَ لَكَ} (٤).
قال الشوكاني: "هو استثناء متصل من قوله: «في إبراهيم» بتقدير مضاف محذوف
ليصح الاستثناء، أي: قد كانت لكم أسوة حسنة في مقالات إبراهيم إلا قوله لأبيه، أو من «أسوة
حسنة»، وصح ذلك لأن القول من جملة الأسوة، كأنه قيل: قد كانت أسوة حسنة في إبراهيم في
جميع أقواله وأفعاله إلا قوله لأبيه، أو من التبري والقطيعة التي ذكرت، أي: لم يواصله إلا
قوله.. أو هو منقطع، أي: لكن قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك، فلا تأتسوا به، فتستغفرون
للمشركين، فإنه كان عن موعدة وعدها إياه، أو أن ذلك إنما وقع منه لأنه ظن أنه قد أسلم، فلما
تبين له أنه عدو لله تبرأ منه وقد تقدم تحقيق هذا في سورة براءة" (٥).
عن مجاهد: " {إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ}، قال: نُهَوُّا أَنْ يَتَأَسَّوْا بِاسْتِغْفَارِ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ،
فِيَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ" (٦).

قال مجاهد: "يقول: في كل أمره أسوة، إلا الاستغفار لأبيه" (٧).
قال ابن زيد: "يقول: ليس لكم في هذا أسوة" (٨).
قال قتادة: "انتسوا به في كل شيء، ما خلا قوله لأبيه: {لِاسْتِغْفَرَ لَكَ}، فلا تأتسوا بذلك
منه، فإنها كانت عن موعدة وعدها إياه" (٩).
قال قتادة: "يقول: لا تأسوا بذلك فإنه كان عليه موعداً، وتأسوا بأمره كله" (١٠).
قوله تعالى: {وَمَا أَمَلْتُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ} [المتحنة: ٤]، أي: "ما أَدْفَعُ عَنْكَ مِنْ
عَذَابِ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَشْرَكَتَ بِهِ، وَلَا أَمَلْتُ لَكَ شَيْئاً غَيْرَ الْاسْتِغْفَارِ" (١١).
قال الطبري: "يقول: وما أَدْفَعُ عَنْكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ عِقَابَةٍ، إِنْ اللَّهُ عَاقَبَكَ عَلَى كُفْرِكَ بِهِ، وَلَا
أَعْنِي عَنْكَ مِنْهُ شَيْئاً" (١٢).

(١) تفسير السعدي: ٨٥٤.

(٢) معاني القرآن: ١٤٩/٣.

(٣) تفسير ابن كثير: ٨٧/٨-٨٨.

(٤) مجاز القرآن: ٢٥٧/٢.

(٥) فتح القدير: ٢٥٣/٥.

(٦) أخرجه الطبري: ٣١٨/٢٣.

(٧) أخرجه الطبري: ٣١٨/٢٣.

(٨) أخرجه الطبري: ٣١٨/٢٣.

(٩) أخرجه الطبري: ٣١٨/٢٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٣١٨/٢٣.

(١١) صفوة التفسير: ٣٤٣/٣.

(١٢) تفسير الطبري: ٣١٩/٢٣.

قال السعدي: " {و} الحال أني لا {أملكُ لك من الله من شيء} لكني أدعو ربي عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقياً" (١).

قال الشوكاني: " هذا من تمام القول المستثنى، يعني ما أغني عنك، وما أدفع عنك، من عذاب الله شيئاً، والجملة في محل نصب على الحال من فاعل «لأستغفرن» ، فالاستثناء متوجه إلى الاستغفار لا إلى هذا الفيد، فإنه إظهار للعجز وتفويض للأمر إلى الله، وذلك من خصال الخير" (٢).

قوله تعالى: {رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا} [المتحنة : ٤]، أي: "ربنا عليك اعتمدنا" (٣).
قال الطبري: " يقول جل ثناؤه مخبراً عن قيل إبراهيم وأنبياؤه صلوات الله عليهم: {رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا} " (٤).

قال ابن كثير: " أي : توكلنا عليك في جميع الأمور، وسألنا أمورنا إليك، وفوضناها إليك" (٥).

قال السعدي: أي: " ولكم أسوة حسنة في إبراهيم ومن معه، حين دعوا الله وتوكلوا عليه وأنابوا إليه، واعترفوا بالعجز والتقصير، فقالوا: {رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا} أي: اعتمدنا عليك في جلب ما ينفعنا ودفع ما يضرنا، ووثقنا بك يا ربنا في ذلك" (٦).

قال الشوكاني: " التوكل: هو تفويض الأمور إلى الله" (٧).
قوله تعالى: {وَالَيْكَ أُنَبِّئُكَ} [المتحنة : ٤]، أي: " وإليك رجعنا بالتوبة" (٨).
قال الطبري: "يعني: وإليك رجعنا بالتوبة مما تكره إلى ما تحب وترضى" (٩).
قال الفراء: " أي: فقولوا هذا القول أنتم، ويُقال: إنه من قيل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام وقومه" (١٠).

قال السعدي: " أي: رجعنا إلى طاعتك ومرضاتك وجميع ما يقرب إليك، فنحن في ذلك ساعون، وبفعل الخيرات مجتهدون" (١١).

قال الشوكاني: " الإنابة: الرجوع" (١٢).
قوله تعالى: {وَالَيْكَ الْمَصِيرُ} [المتحنة : ٤]، أي: " وإليك المرجع يوم القيامة" (١٣).
قال الطبري: "يقول: وإليك مصيرنا ومرجعنا يوم تبعثنا من قبورنا، وتحشرنا في القيامة إلى موقف العرْض" (١٤).

قال ابن كثير: " أي : المعاد في الدار الآخرة" (١٥).
قال السعدي: أي: " ونعلم أنا إليك نصير، فسنستعد للقدوم عليك، ونعمل ما يقربنا الزلفى إليك" (١٦).

(١) تفسير السعدي: ٨٥٤.

(٢) فتح القدير: ٢٥٣/٥.

(٣) التفسير الميسر: ٥٤٩.

(٤) تفسير الطبري: ٣١٩/٢٣.

(٥) تفسير ابن كثير: ٨٨/٨.

(٦) تفسير السعدي: ٨٥٤.

(٧) فتح القدير: ٢٥٣/٥.

(٨) التفسير الميسر: ٥٤٩.

(٩) تفسير الطبري: ٣١٩/٢٣.

(١٠) معاني القرآن: ١٥٠/٣.

(١١) تفسير السعدي: ٨٥٤.

(١٢) فتح القدير: ٢٥٣/٥.

(١٣) التفسير الميسر: ٥٤٩.

(١٤) تفسير الطبري: ٣١٩/٢٣.

(١٥) تفسير ابن كثير: ٨٨/٨.

(١٦) تفسير السعدي: ٨٥٤.

قال الشوكاني: "المصير: المرجع، وتقديم الجار والمجرور لقصر التوكل والإنابة والمصير على الله"^(١).

القرآن

{ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٥) } [المتحنة : ٥]

التفسير:

ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا بعذابك لنا أو تسلط الكافرين علينا فيفتنونا عن ديننا، أو يظهرنا علينا فيفتنونا بذلك، ويقولوا: لو كان هؤلاء على حق، ما أصابهم هذا العذاب، فيزدادوا كفرًا، واستر علينا ذنوبنا بعفوك عنها ربنا، إنك أنت العزيز الذي لا يغالب، الحكيم في أقواله وأفعاله.

قوله تعالى: { رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا } [المتحنة : ٥]، أي: "ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا بعذابك لنا أو تسلط الكافرين علينا فيفتنونا عن ديننا، أو يظهرنا علينا فيفتنونا بذلك، ويقولوا: لو كان هؤلاء على حق، ما أصابهم هذا العذاب، فيزدادوا كفرًا"^(٢).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل إبراهيم خليله والذين معه: يا ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا بك فجدوا وحدانيتك، وعبدا غيرك، بأن تسلطهم علينا، فيروا أنهم على حق، وأنا على باطل، فتجعلنا بذلك فتنة لهم"^(٣).

وفي قوله تعالى: { رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا } [المتحنة : ٥]، ثلاثة وجوه من

التفسير:

أحدها : لا تعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك فنصير فتنة لهم فيقولوا لو كانوا على حق ما عذبوا ، قاله مجاهد^(٤)، وقتادة^(٥)، وهذا من دعاء إبراهيم عليه السلام .

قال الفراء: أي: " لا تظهرن علينا الكفار فيروا أنهم على حق، وأنا على باطل"^(٦).

قال الزجاج: "معناه: لا تظهرهم علينا فيظنوا أنهم على حق فيفتنوا بذلك"^(٧).

عن مجاهد، في قوله: " { لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا }"، قال: لا تعذبنا بأيديهم، ولا بعذاب من عندك، فيقولوا: لو كان هؤلاء على حق ما أصابهم هذا"^(٨).

قال قتادة: "يقول: لا تظهرهم علينا فيفتنوا بذلك. يرون أنهم إنما ظهروا علينا لحقهم عليه"^(٩).

قال ابن عطية: " المعنى: لا تغلبهم علينا، فتكون لهم فتنة وسبب ضلالة، لأنهم يتمسكون بكفرهم ويقولون إنما غلبناهم لأننا على الحق وهم على الباطل"^(١٠).

الثاني : معناه: لا تقترب علينا بالرزق، وتبسط لهم في الرزق، فنحتاج إليهم فيكون ذلك فتنة لنا. قاله مقاتل^(١١).

الثالث: معناه: لا تسلطهم علينا فيفتنونا عن أدياننا، قاله ابن عباس^(١٢).

قال ابن عطية: "فكأنه قال: لا تجعلنا مفتونين فعبر عن ذلك بالمصدر وهذا أرجح

الأقوال لأنهم إنما دعوا لأنفسهم، وعلى منحنى فتنة إنما دعوا للكفار. أما أن مقصدهم إنما هو

(١) فتح القدير: ٢٥٣/٥.

(٢) التفسير الميسر: ٥٤٩.

(٣) تفسير الطبري: ٣١٩/٢٣.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٣١٩/٢٣-٣٢٠.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٢١/٢٣.

(٦) معاني القرآن: ١٥٠/٣.

(٧) معاني القرآن: ١٥٧/٥.

(٨) أخرجه الطبري: ٣١٩/٢٣-٣٢٠.

(٩) أخرجه الطبري: ٣٢١/٢٣.

(١٠) المحرر الوجيز: ٢٩٥/٥-٢٩٦.

(١١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٠١/٤.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٢١/٢٣.

أن يندفع عنهم ظهور الكفار الذي يسببه فتن الكفار فجاء في المعنى تحليق بليغ، ونحوه قول النبي صلى الله عليه وسلم: «بئس الميث سعد- ليهود- لأنهم يقولون لو كان محمد نبيا لم يمت صاحبه»^(١)^(٢).

قال السعدي: "أي: لا تسلطهم علينا بذنوبنا، فيفتنونا، ويمنعوننا مما يقدر عليهم من أمور الإيمان، ويفتنون أيضا بأنفسهم، فإنهم إذا رأوا لهم الغلبة، ظنوا أنهم على الحق وأنا على الباطل، فازدادوا كفرا وطغيانا"^(٣).

قوله تعالى: {وَاعْفِرْ لَنَا} [المتحنة : ٥]، أي: "واستر علينا ذنوبنا بعفوك عنها ربنا"^(٤).

قال الطبري: "يقول: واستر علينا ذنوبنا بعفوك لنا عنها يا ربنا"^(٥).

قال ابن كثير: "أي : واستر ذنوبنا عن غيرك، واعف عنها فيما بيننا وبينك"^(٦).

قال السعدي: "ما اقترفنا من الذنوب والسيئات، وما قصرنا به من المأمورات"^(٧).

قوله تعالى: {رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [المتحنة : ٥]، أي: "إنك أنت العزيز الذي لا يغالب، الحكيم في أقواله وأفعاله"^(٨).

قال الطبري: "يعني: الشديد الانتقام ممن انتقم منه، الحكيم في تدبيره خلقه، وصرفه إياهم فيما فيه صلاحهم"^(٩).

قال ابن كثير: "العَزِيزُ، أي : الذي لا يُضَام من لاذ بجناحك، {الحَكِيمُ} في أقوالك وأفعالك وشرعك وقدرتك"^(١٠).

قال السعدي: "رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْقَاهِرُ لِكُلِّ شَيْءٍ، {الحَكِيمُ} الذي يضع الأشياء مواضعها، فبِعَزَّتِكَ وحكمتك انصرنا على أعدائنا، واغفر لنا ذنوبنا، وأصلح عيوبنا"^(١١).

قال سلمة بن وهرام صاحب طاووس: "أن الله تبارك وتعالى إنما سمي نفسه «العفو»، ليعفو، و«الغفور»، ليعفر"^(١٢).

قال محمد بن إسحاق: " العزيز: في نصرته ممن كفر به إذا شاء"^(١٣)، الحكيم: في عذره وحبته إلى عباده"^(١٤).

قال أبو العالية: "عزير {عزير} في نعمته إذا انتقم"^(١٥). وروي عن قتادة والربيع بن أنس نحو ذلك^(١٦).

عن أبي العالية: "حكيم {حكيم}، قال: حكيم في أمره"^(١٧).

قال محمد بن جعفر بن الزبير " الحكيم في عذره، وحبته إلى عباده"^(١).

(١) رواه ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام: ١٩/٢، بلفظ: « بئس الميث أبو أمامة، ليهود ومناقفي العرب يقولون : لو كان نبيا لم يمت صاحبه ، ولا أمك لنفسي ولا لصاحي من الله شيئا».

(٢) المحرر الوجيز: ٢٩٦/٥.

(٣) تفسير السعدي: ٨٥٤.

(٤) التفسير الميسر: ٥٤٩.

(٥) تفسير الطبري: ٣٢٠/٢٣.

(٦) تفسير ابن كثير: ٨٨/٨.

(٧) تفسير السعدي: ٨٥٤.

(٨) التفسير الميسر: ٥٤٩.

(٩) تفسير الطبري: ٣٢٠/٢٣.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٨٨/٨.

(١١) تفسير السعدي: ٨٥٤.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٣٧٩):ص٩٦٣/٣.

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٤):ص١٦٦٤/٥.

(١٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٦):ص١٦٦٤/٥.

(١٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٣):ص١٦٦٤/٥.

(١٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٦٦٤/٥.

(١٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤٢):ص١٧٦٤/٦.

وفي قراءة ابن مسعود: «إنك أنت الغفور الرحيم»، نظيرها في آخر المائدة: {إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [المائدة : ١١٨] (٢).
وفي قراءة ابن مسعود: «إنك أنت الغفور الرحيم»، نظيرها في آخر المائدة: {إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [المائدة : ١١٨] (٣).

القرآن

{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ
الْحَمِيدُ (٦)} [المتحنة : ٦]

التفسير:

لقد كان لكم -أيها المؤمنون- في إبراهيم عليه السلام والذين معه قدوة حميدة لمن يطمع في الخير من الله في الدنيا والآخرة، ومن يُعرض عما ندبه الله إليه من التأسّي بأبيائه، ويوال أعداء الله، فإن الله هو الغني عن عباده، الحميد في ذاته وصفاته، المحمود على كل حال.

قوله تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ} [المتحنة : ٦]، أي: "لقد كان لكم -أيها المؤمنون- في إبراهيم عليه السلام والذين معه قدوة حميدة لمن يطمع في الخير من الله في الدنيا والآخرة" (٤).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لقد كان لكم أيها المؤمنون قدوة حسنة في الذين ذكرهم إبراهيم والذين معه من الأنبياء صلوات الله عليهم والرسول، لمن كان منكم يرجو لقاء الله، وثواب الله، والنجاة في اليوم الآخر" (٥).

قال القرطبي: "لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ"، أي: في إبراهيم ومن معه من الأنبياء والأولياء، {أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ}، أي: في التبرؤ من الكفار، وقيل: كرر للتأكيد. وقيل: نزل الثاني بعد الأول بمدة، وما أكثر المكررات في القرآن على هذا الوجه" (٦).

قال ابن العربي: "يعني: في براءتهم من قومهم، ومباعدتهم لهم، ومنابتهم عنهم، وأنتم بمحمد أحق بهذا الفعل من قوم إبراهيم بإبراهيم" (٧).

قال ابن كثير: "وهذا تأكيد لما تقدم ومستثنى منه ما تقدم أيضاً لأن هذه الأسوة المثبتة -هاهنا- هي الأولى بعينها، وقوله: {لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ} تهيج إلى ذلك كل مقرر بالله والمعاد" (٨).

قال الزمخشري: "ثم كرر الحث على الانتساء بإبراهيم وقومه تقريراً وتأكيداً عليهم، ولذلك جاء به مصدراً بالقسم لأنه الغاية في التأكيد، وأبدل عن قوله: {لَكُمْ} قوله: {لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ}، وعقبه بقوله: {وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ}، فلم يترك نوعاً من التأكيد إلا جاء به" (٩).

قال أبو السعود: "أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ"، تكرير للمبالغة في الحث على الانتساء به عليه الصلاة والسلام ولذلك صدر بالقسم، وقوله تعالى: {لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ}، بدل من لكم

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٠٤٣): ص ١٧٦٤/٦.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٠١/٤.

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٠١/٤.

(٤) التفسير الميسر: ٥٥٠.

(٥) تفسير الطبري: ٣٢٠/٢٣.

(٦) تفسير القرطبي: ٥٨-٥٧/١٨.

(٧) أحكام القرآن: ٢٢٧/٤.

(٨) تفسير ابن كثير: ٨٨/٨.

(٩) الكشف: ٥١٤/٤.

فأدته الإيدان بأن من يؤمن بالله واليوم الآخر لا يترك الاقتداء بهم وأن تركه من مخايل عدم الإيمان بهما كما ينبئ عنه^(١).

قال السعدي: "فإن الإيمان واحتساب الأجر والثواب، يسهل على العبد كل عسير، ويقلل لديه كل كثير، ويوجب له الإكثار من الاقتداء بعباد الله الصالحين، والأنبياء والمرسلين، فإنه يرى نفسه مفتقرا ومضطرا إلى ذلك غاية الاضطرار"^(٢).

قوله تعالى: {وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} [المتحنة : ٦]، أي: "ومن يُعرض عما ندبه الله إليه من الناسي بأبنيائه، ويوال أعداء الله، فإن الله هو الغني عن عباده، الحميد في ذاته وصفاته، المحمود على كل حال"^(٣).

قال الطبري: يقول: "ومن يتول عما أمره الله به وندبه إليه منكم ومن غيركم، فأعرض عنه وأدبر مستكبرا، ووالى أعداء الله، وألقى إليهم بالمودة، فإن الله هو الغني عن إيمانه به، وطاعته إياه، وعن جميع خلقه، الحميد عند أهل المعرفة بأياديته، وآلائه عندهم"^(٤).

قال القرطبي: " {وَمَنْ يَتَوَلَّ} عن الإسلام وقبول هذه المواعظ، {فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ} لم يتعبد لهم لحاجته إليهم. {الْحَمِيدُ} في نفسه وصفاته"^(٥).

قال السمعاني: " {الغني} أي: المستغني عنهم، {الحميد} في فعاله. والمعنى: أنهم إذا خالفوا أمره، وتولوا الكفار لم يعد إلى الله من ذلك شيء"^(٦).

قال ابن كثير: " {وَمَنْ يَتَوَلَّ}، أي: عما أمر الله به، {فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ}"^(٧).

قال السعدي: " {وَمَنْ يَتَوَلَّ} عن طاعة الله والناسي برسل الله، فلن يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئا، {فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ} الذي له الغنى التام المطلق من جميع الوجوه، فلا يحتاج إلى أحد من خلقه بوجه، {الْحَمِيدُ} في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فإنه محمود على ذلك كله"^(٨).

عن ابن عباس: " {الغني}، الذي كمل في غناه"^(٩).

فوائد الآيات: [٦-٤]:

- ١- وجوب الاقتداء بالصالحين في الإيتساء بهم في الصالحات.
- ٢- حرمة موالات الكافرين ووجوب معاداتهم ولو كانوا أقرب قريب.
- ٣- كل عداوة وبغضاء تنتهي برجوع العبد إلى الإيمان والتوحيد بعد الكفر والشرك.
- ٤- لا يجوز الاقتداء في غير الحق والمعروف فإذا أخطأ العبد الصالح فلا يتابع على الخطأ.
- ٥- وجوب تقوية المؤمنين بكل أسباب القوة لأمرين الأول خشية أ، يغلبهم الكافرون فيفتنهم في دينهم ويردوهم إلى الكفر والثاني حتى لا يظن الكافرون الغالبون أنهم على حق بسبب ظهورهم على المسلمين فيزدادوا كفراً فيكون المسلمون سبباً في ذلك فيأثمون للسببية في ذلك.

القرآن

{عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧)}

[المتحنة : ٧]

التفسير:

- (١) تفسير أبي السعود: ٢٣٨/٨.
- (٢) تفسير السعدي: ٨٥٦.
- (٣) التفسير الميسر: ٥٥٠.
- (٤) تفسير الطبري: ٣٢٠/٢٣.
- (٥) تفسير القرطبي: ٥٨/١٨.
- (٦) تفسير السمعاني: ٤١٦/٥.
- (٧) تفسير ابن كثير: ٨٨/٨.
- (٨) تفسير السعدي: ٨٥٦.
- (٩) أخرجه الطبري (٦٠٣٨): ص ٥٢١/٥.

عسى الله أن يجعل بينكم -أيها المؤمنون- وبين الذين عاديتهم من أقاربكم من المشركين محبة بعد اليبغضاء، وألفة بعد الشحناء بانسراح صدورهم للإسلام، والله قدير على كل شيء، والله غفور لعباده، رحيم بهم.
سبب النزول:

عن ابن شهاب: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل أبا سفيان بن حرب على بعض اليمن، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل فلقى ذا الخمار مرتدا فقاتله، فكان أول من قاتل في الردة وجاهد عن الدين. قال ابن شهاب: وهو فيمن أنزل الله فيه: {عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}"^(١).

وقال مقاتل بن حيان: "إن هذه الآية نزلت في أبي سفيان، صخر بن حرب، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ابنته فكانت هذه مودة ما بينه وبينه"^(٢).

قال ابن كثير: "وفي هذا الذي قاله مقاتل نظر؛ فإن رسول تزوج بأب حبيبة بنت أبي سفيان قبل الفتح، وأبو سفيان إنما أسلم ليلة الفتح بلا خلاف. وأحسن من هذا ما رواه ابن أبي حاتم"^(٣).

وفي الصحيح عن ابن عباس، قال: "كان المسلمون لا ينظرون إلى أبي سفيان ولا يقاعدونه، فقال للنبي صلى الله عليه وسلم: يا نبي الله ثلاث أعطينهن، قال: «نعم» قال: عندي أحسن العرب وأجمله، أم حبيبة بنت أبي سفيان، أزوجكها، قال: «نعم» قال: ومعاوية، تجعله كاتباً بين يديك، قال: «نعم» قال: وتؤمرني حتى أقاتل الكفار، كما كنت أقاتل المسلمين، قال: «نعم» قال أبو زميل: ولولا أنه طلب ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم ما أعطاه ذلك، لأنه لم يكن يسأل شيئاً إلا قال: «نعم»"^(٤).

وهذا الحديث استشكل، فقول أبي سفيان في الحديث: «عندي أحسن العرب وأجمله، أم حبيبة بنت أبي سفيان، أزوجكها»، منقوض بأن أبا سفيان إنما أسلم يوم فتح مكة، والنبي صلى الله عليه وسلم تزوج أم حبيبة قبل ذلك بزمان طويل. انظر كلام الإمام النووي في: "المنهاج"^(٥) وإجابته على ذلك.

وقال مقاتل بن سليمان في سبب نزول الآية: "وذلك أن الله -تعالى- حين أخبر المؤمنين بعبادة كفار مكة والبراءة منهم، وذكر لهم فعل إبراهيم والذين معه في البراءة من قومهم، فلما أخبر ذلك عادوا أقرباءهم وأرحامهم وأظهروا لهم العداوة، وعلم الله شدة وجد المؤمنين في ذلك، فأنزل الله -تعالى-: {عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً} [الممتحنة: ٧]، فلما أسلم أهل مكة خالطهم المسلمون وناكحهم، وتزوج النبي -صلى الله عليه وسلم- أم حبيبة بنت أبي سفيان فهذه «المودة» التي ذكر الله -تعالى-"^(٦).

قال الثعلبي: "فلما نزلت هذه الآية: [لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَنِيُّ الْحَمِيدُ] [الممتحنة: ٦] عادى المؤمنون أقرباءهم المشركين في الله وأظهروا لهم العداوة والبراءة فعلم سبحانه شدة وجد المؤمنين بذلك فأنزل الله سبحانه: عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مِنْ مَشْرِكِي مَكَّةَ مَوْدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ"^(٧).

(١) رواه ابن أبي حاتم (١٨٨٦٣): ص ٣٣٤٩/١٠، وكما في تفسير ابن كثير: ٨٩/٨-٩٠.

(٢) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٨٩/٨.

(٣) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٨٩/٨-٩٠.

(٤) صحيح مسلم (٢٥٠١): ص ١٩٤٥/٤.

(٥) المنهاج: (٦٣/١٦).

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٠١/٤-٣٠٢. وانظر: أسباب النزول للواحي: ٤٤٣.

(٧) الكشف والبيان: ٢٩٣/٩.

قوله تعالى: {عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً} [المتحنة : ٧]، أي: "عسى الله أن يجعل بينكم -أيها المؤمنون- وبين الذين عاديتهم من أقاربكم من المشركين محبة بعد البغضاء، وألفة بعد الشحناء بانسراح صدورهم للإسلام"^(١).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: عسى الله أيها المؤمنون أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتهم من أعدائي من مشركي قريش مودة، ففعل الله ذلك بهم، بأن أسلم كثير منهم، فصاروا لهم أولياء وأحزاباً"^(٢).

قال ابن كثير: "يقول تعالى لعباده المؤمنين بعد أن أمرهم بعبادة الكافرين: {عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً}، أي: محبة بعد البغضة، ومودة بعد النفرة، وألفة بعد الفرقة"^(٣).

قال الفراء: "يقول: عسى أن ترجع عداوة بينكم إلى المودة، فتزوج النبي صلى الله عليه أم حبيبة بنت أبي سفيان، فكانت المصاهرة مودة"^(٤).
قال ابن زيد: "هؤلاء المشركون قد فعل، قد أدخلهم في السلم وجعل بينهم مودة حين كان الإسلام حين الفتح"^(٥).

قال الزجاج: "«عسى» واجبة من الله. جاء في التفسير أنه يعني بهذا أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تزوج أم حبيبة بنت أبي سفيان، فهذه هي المودة، وقيل: إنه يعني به من أسلم منهم فيكون بينكم وبينهم مودة"^(٦).

قال أبو مالك: "كل شيء في القرآن: {عسى}، فهو واجب الإحرفين، حرف في التحريم: {عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ} ^(٧)، وفي بني إسرائيل: {عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ} ^(٨) وروى عن الضحاك ^(٩)، والحسن ^(١٠)، والسدي ^(١١)، وابن إسحاق ^(١٢)، نحو ذلك.

قوله تعالى: {وَاللَّهُ قَدِيرٌ} [المتحنة : ٧]، أي: "والله قدير على كل شيء"^(١٤).
قال الطبري: "يقول: والله ذو قدرة على أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتهم من المشركين مودة"^(١٥).

قال النحاس: "أي: على أن يجعل بينكم وبينهم مودة"^(١٦).
قال ابن كثير: "أي: على ما يشاء من الجمع بين الأشياء المتنافرة والمتباينة والمختلفة، فيؤلف بين القلوب بعد العداوة والقساوة، فتصبح مجتمعة متفقة، كما قال تعالى ممتناً على الأنصار: {وَادْكُرُوا لِرَحْمَةِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا} الآية [آل عمران : ١٠٣]. وكذا قال لهم النبي صلى الله

(١) التفسير الميسر: ٥٥٠.

(٢) تفسير الطبري: ٣٢١-٣٢٠/٢٣.

(٣) تفسير ابن كثير: ٨٠/٨.

(٤) معاني القرآن: ١٥٠/٣.

(٥) أخرجه الطبري: ٣٢١/٢٣.

(٦) معاني القرآن: ١٥٧/٥.

(٧) [التحريم : ٥].

(٨) [الإسراء : ٨].

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (٢٠١٧): ص ٣٨٣/٢.

(١٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٨٧٤/٦. حكاه دون ذكر الإسناد.

(١١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٨٧٤/٦. حكاه دون ذكر الإسناد.

(١٢) انظر: النكت والعيون: ٣٤٧/٢-٣٤٨.

(١٣) انظر: تفسير الطبري (١٦٥٥٦): ص ١٦٨/١٤.

(١٤) التفسير الميسر: ٥٥٠.

(١٥) تفسير الطبري: ٣٢١/٢٣.

(١٦) إعراب القرآن: ٢٧٣/٤.

عليه وسلم : " ألم أجدكم ضلّالا فهداكم الله بي، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي؟" (١). وقال الله تعالى: {هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِبَصَرِهِ وَيَا لِمُؤْمِنِينَ وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [الأَنْفَال : ٦٢، ٦٣]. وفي الحديث «أحبب حبيبك هونًا مّا، فعسى أن يكون بغيضك يومًا ما. وأبغض بغيضك هونًا مّا، فعسى أن يكون حبيبك يومًا ما» (٢). وقال الشاعر (٣):

وقد يجمعُ اللهُ الشّستين بعد ما... يظنّان كلّ الظنّ إلا تلاقيا" (٤).
عن قتادة، قوله: "عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتهم منهم مودةً والله قديرٌ على ذلك" (٥).

قوله تعالى: {وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [الممتحنة : ٧]، أي: "والله غفور لعباده، رحيم بهم" (٦). قال الطبري: "يقول: والله غفور لخطيئة من ألقى إلى المشركين بالمودة إذا تاب منها، رحيم بهم أن يعذبهم بعد توبتهم منها" (٧).
قال النحاس: "والله غفورٌ"، أي: لمن اتخذهم أولياء وألقى إليهم بالمودة إذا تاب، {رحيمٌ} به لمن يعذبه بعد التوبة. و«الرحمة» من الله جل وعز قبول العمل والإثابة عليه" (٨).
قال ابن كثير: "أي: يغفر للكافرين كفرهم إذا تابوا منه وأتابوا إلى ربهم وأسلموا له، وهو الغفور الرحيم بكل من تاب إليه، من أيّ ذنب كان" (٩).
قال سهل: "غفور لذنوبكم الماضية بالتوبة، رحيم يعصمكم فيما بقي لكم من عمركم من مثل هذه المعصية" (١٠).
قال قتادة: "يغفر الذنوب الكثيرة، رحيم بعباده" (١١).

القرآن

لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) } [الممتحنة : ٨]
التفسير:

لا ينهاكم الله -أيها المؤمنون- عن الذين لم يقاتلوكم من الكفار بسبب الدين، ولم يخرجوكم من دياركم أن تكرمهم بالخير، وتعذلوا فيهم بإحسانكم إليهم وبرّكم بهم. إن الله يحب الذين يعدلون في أقوالهم وأفعالهم.
سبب النزول:

عبد الله بن الزبير -من طريق عامر- قال: "قدمت فتيلة ابنة عبد العزى على ابنتها أسماء بنت أبي بكر بهدايا؛ ضباب، وأقيط، وسمن، وهي مشركة، فأبت أسماء أن تقبل هديتها، أو تدخلها بيتها، حتى أرسلت إلى عائشة: أن سلي عن هذا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -".

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم (٤٣٣٠) من حديث عبد الله بن زيد بن عاصم، رضي الله عنه.
(٢) رواه الترمذي في السنن برقم (١٩٩٧) من طريق سويد بن عمرو، عن حماد بن سلمة، عن أيوب، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة مرفوعاً به، وقال الترمذي: "هذا حديث غريب لا نعرفه بهذا الإسناد إلا من هذا الوجه، وقد روي هذا الحديث عن أيوب بإسناد غير هذا رواه الحسن بن أبي جعفر، وهو حديث ضعيف أيضاً بإسناد له عن علي، عن النبي صلى الله عليه وسلم، والصحيح عن علي موقوف قوله".
(٣) هو قيس بن الملوح كما في ديوانه: ٣١٥، واللسان، مادة "شتت".

(٤) تفسير ابن كثير: ٨٠/٨.

(٥) أخرجه الطبري: ٣٢١/٢٣.

(٦) التفسير الميسر: ٥٥٠.

(٧) تفسير الطبري: ٣٢١/٢٣.

(٨) إعراب القرآن: ٢٧٣/٤.

(٩) تفسير ابن كثير: ٨٠/٨.

(١٠) تفسير التستري: ١٦٧.

(١١) أخرجه الطبري: ٣٢١/٢٣.

فسألته؛ فأنزل الله: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ} إلى آخر الآية. فأمرها أن تقبل هديتها، وتدخلها بيتها^(١)(٢).

عن أسماء بنت أبي بكر -من طريق عروة- قالت: "أنتني أمي راغبة، وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فسألت رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: أصلها؟ فأنزل الله: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ}. فقال: «نعم، صلي أمك»^(٣).

قال الحسن البصري: "وكان هذا قبل أن يؤمر بقتال المشركين كافة، كان المسلمون قبل أن يؤمر بقتالهم استشاروا النبي في قرابتهم من المشركين أن يصلوهم ويروهم؛ فأنزل الله هذه الآية: {وَتُقَسِّطُوا إِلَيْهِمْ}^(٤).

وقال ابن عباس: "نزلت في خزاعة، كانوا قد صالحوا النبي - صلى الله عليه وسلم - على أن لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه أحداً، فرخص الله في برهم"^(٥).
وقال مرة الهمداني، وعطية بن سعد العوفي: "لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين" نزلت في قوم من بني هاشم، منهم العباس بن عبد المطلب^(٦).

قوله تعالى: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ} [المتحنة: ٨]، أي: "لا ينهاكم الله -أيها المؤمنون- عن الذين لم يقاتلوكم من الكفار بسبب الدين، ولم يخرجوكم من دياركم أن تكرمهم بالخير"^(٧).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ} من أهل مكة {وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ}"^(٨).

قال ابن كثير: "أي: لا ينهاكم عن الإحسان إلى الكفرة الذين لا يقاتلونكم في الدين، كالنساء والضعفة منهم، {أَنْ تَبَرُّوهُمْ}، أي: تحسنوا إليهم"^(٩).

قال السعدي: "أي: لا ينهاكم الله عن البر والصلة، والمكافأة بالمعروف، والقسط للمشركين، من أقاربكم وغيرهم، حيث كانوا بحال لم ينتصبا لقتالكم في الدين والإخراج من دياركم، فليس عليكم جناح أن تصلوهم، فإن صلتهم في هذه الحالة، لا محذور فيها ولا مفسدة كما قال تعالى عن الأيوين المشركين إذا كان ولدهما مسلماً: {وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا}"^(١٠).

قوله تعالى: {وَتُقَسِّطُوا إِلَيْهِمْ} [المتحنة: ٨]، أي: وتعدلوا فيهم بالبر والإحسان"^(١١).

قال الطبري: "يقول: وتعدلوا فيهم بإحسانكم إليهم، وبركم بهم"^(١).

(١) أخرجه أحمد ٣٧ / ٢٦ (١٦١١١)، الطبري: ٣٢٢/٢٣، وابن أبي حاتم(١٨٨٦٤):ص٣٣٤٩/١٠، من طريق مصعب بن ثابت، عن عامر بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه به.

وأخرجه الحاكم ٥٢٧ / ٢ (٣٨٠٤)، من طريق مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن جدّه به.
قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي في التلخيص. وقال الهيثمي في المجمع ١٥٢ / ٤ (٦٧٥٠): «فيه مصعب بن ثابت؛ ضعفه أحمد وغيره، وثقه ابن حبان». وقال في ١٢٣ / ٧ (١١٤١١): «فيه مصعب بن ثابت، وثقه ابن حبان، وضعفه جماعة، وبقيّة رجاله رجال الصحيح».

(٢) المسند(١٦١١١):ص٣٧/٢٦، وأخرجه الطبري: ٣٢٢/٢٣، وابن أبي حاتم(١٨٨٦٤):ص٣٣٤٩/١٠.

(٣) أخرجه البخاري ١٦٤ / ٣ (٢٦٢٠)، ١٠٣ / ٤ (٣١٨٣)، ٤ / ٨ (٥٩٧٨، ٥٩٧٩)، ومسلم ٦٩٦ / ٢ (١٠٠٣) كلاهما بنحوه.

(٤) ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٣٧٨ / ٤ -.

(٥) أورده الثعلبي ٢٩٤ / ٩، والبغوي في تفسيره ٩٥ / ٨ واللفظ له.

(٦) تفسير الثعلبي ٢٩٤ / ٩.

(٧) التفسير الميسر: ٥٥٠.

(٨) تفسير الطبري: ٣٢١/٢٣.

(٩) تفسير ابن كثير: ٩٠/٨.

(١٠) تفسير السعدي: ٨٥٦.

(١١) تفسير المراغي: ٦٨/٢٨.

قال ابن كثير: "أي: تعدلوا"^(٢).
قال الزجاج: "أي: وتعدلوا فيما بينكم وبينهم، من الوفاء بالعهد، يقال: أقسط الرجل فهو مقسط. إذا عدل، وقسط فهو قاسط إذا جار"^(٣).

واختلف أهل التفسير في الذين عُنوا بهذه الآية، على أقوال:
أحدها: أنهم الذين كانوا آمنوا بمكة ولم يهاجروا، فأذن الله للمؤمنين ببرهم والإحسان إليهم. قاله مجاهد^(٤).

عن مجاهد، في قوله: "لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ"، أن تستغفروا لهم، {أَنْ تَبْرُوهُمْ وَتَقْسُطُوا إِلَيْهِمْ}؛ قال: وهم الذين آمنوا بمكة ولم يهاجروا"^(٥).
الثاني: ما رواه عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه: أن أبا بكر رضي الله عنه طلق امرأته قتيلة في الجاهلية وهي أم أسماء بنت أبي بكر، فقدمت عليهم في المدة التي كانت فيها المهادنة بين رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وبين كفار قريش، فأهدت إلى أسماء بنت أبي بكر قرطاً وأشياء، فكرهت أن تقبل منها حتى أتت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فذكرت ذلك له، فأنزل الله هذه الآية. وهذا قول عبد الله بن الزبير^(٦).

عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما، قالت: "قدمت علي أمي وهي مشركة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، قلت: وهي راغبة، أفأصل أمي؟ قال: «نعم صلي أمك»"^(٧).

الثالث: أن هذا في أول الأمر عند موادة المشركين، ثم نسخ بالقتال. قاله ابن زيد^(٨).

عن ابن وهب، قال: "قال ابن زيد: وسألته عن قول الله عز وجل: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ... الآية، فقال: هذا قد نسخ، نَسَخَهُ، القتال، أمروا أن يرجعوا إليهم بالسيوف، ويجاهدوهم بها، يضرّبونهم، وضرب الله لهم أجل أربعة أشهر، إما المذابحة، وإما الإسلام"^(٩).

وروي عن قتادة، في قوله: "لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ... الآية، قال: نسختها: {فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ}"^(١٠).

عن عكرمة والحسن: "قالا: قال: {فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وُلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ} إلى قوله: {وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مَبِينًا} [النساء: ٨٩ - ٩١]، وقال في الممتحنة: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبْرُوهُمْ وَتَقْسُطُوا إِلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ يَحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}، وقال فيها: {إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ} إلى: {فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}، فنسخ هؤلاء الآيات الأربعة في شأن المشركين، فقال: {براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله وأن الله مخزي الكافرين} [التوبة: ١ - ٢]"^(١١).

قال محمد بن شهاب الزُّهري: "قال تعالى: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبْرُوهُمْ وَتَقْسُطُوا إِلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ يَحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهرها على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم

(١) تفسير الطبري: ٣٢١/٢٣.

(٢) تفسير ابن كثير: ٩٠/٨.

(٣) معاني القرآن: ١٥٨/٥.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٣٢٢/٢٣.

(٥) أخرجه الطبري: ٣٢٢/٢٣.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٣٢٢/٢٣.

(٧) صحيح البخاري (٢٦٢٠، ٣١٨٣، ٥٩٧٨)، وصحيح مسلم برقم (١٠٠٣).

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٣٢٣/٢٣.

(٩) أخرجه الطبري: ٣٢٣/٢٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٣٢٣/٢٣.

(١١) أخرجه الطبري (١٠٠٧٤): ص ٢٥/٨.

فأولئك هم الظالمون} [المتحنة: ٨ - ٩] نسخت، فقال تعالى: {براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله وأن الله مخزي الكافرين} [التوبة: ١ - ٢]، فجعل لهم أجلاً أربعة أشهر يسيحون في الأرض، {فإذا انسلك الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم} [التوبة: ٥]، وقال - عز وجل - : {وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله} [التوبة: ٦]"^(١).

عن زيد بن أسلم - من طريق القاسم - أنه قال: "قال في سورة النساء [٩٠]: {إِنَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلْمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا}، وقال: {سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلًّا مَا رَدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَرِلُوكُمْ وَيُقْفُوا إِلَيْكُمْ السَّلْمَ وَيَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَأَقْلُبُوا حَيْثُ تَقْفُوهُمْ وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا} [النساء: ٩١]، وقال في سورة الممتحنة: {لَا يَنْهَاجُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}، ثم قال فيها: {إِنَّمَا يَنْهَاجُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}، فنسخ هؤلاء الآيات في شأن المشركين، فقال: {بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ} [التوبة: ١ - ٢]، فجعل لهم أجلاً أربعة أشهر يسيحون فيها، وأبطل ما كان قبل ذلك، ثم قال في الآية التي تليها: {فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُواهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ} [التوبة: ٥]، ثم نسخ واستثنى: {فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [التوبة: ٥]، وقال: {وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه} [التوبة: ٦]"^(٢).

قال القرطبي: "قال أكثر أهل التأويل: هي محكمة"^(٣).
قال النحاس: "وليس لقول من قال: إنها منسوخة معنى، لأن البر في اللغة إنما هو لين الكلام والمواساة، وليس هذا محظورا أن يفعله أحد بكافر. وكذا الإقساط إنما هو العدل والمكافأة بالحسن عن الحسن. ألا ترى أن بعده: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}، و«أن» في موضع خفض على البديل من «الذين»، ويجوز أن يكون في موضع نصب، أي: لا ينهاكم كراهة هذا"^(٤).
الرابع: أنها نزلت في خزاعة، منهم: هلال بن عويمر، وبنو خزيمة، وبنو مدلج، منهم: سراقه بن مالك، وعبد يزيد بن عبد مناة، والحارث بن عبد مناة، كان لهم عهد فأمر الله أن يبروهم بالوفاء، قاله مقاتل^(٥).

قال الفراء: "هؤلاء خزاعة كانوا عاقدا النبي صلى الله عليه وآله ولا يخرجوه، فأمر النبي صلى الله عليه وآله ببرهم، والوفاء لهم إلى مدة أجلهم"^(٦).
الخامس: أنهم النساء والصبيان لأنهم ممن لم يقاتل، فأذن الله تعالى ببرهم، حكاة الزجاج^(٧).
قال الطبري: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عني بذلك: لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين، من جميع أصناف الملل والأديان أن تبرؤهم وتصلوهم، وتقسطوا إليهم، إن الله عز وجل عم بقوله: {الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ

(١) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٢٨٧، وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر، وأبي داود.

(٢) أخرجه عبد الله بن وهب في الجامع - تفسير القرآن ٣/ ٧٠ - ٧٢ (١٥٨).

(٣) تفسير القرطبي: ٥٩/١٨.

(٤) إعراب القرآن: ٤/ ٢٧٣.

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٤/ ٣٠٢.

(٦) معاني القرآن: ٣/ ١٥٠.

(٧) انظر: معاني القرآن: ٥/ ١٥٨، والنكت والعيون: ٥/ ١٩٥.

دياركُم} جميع من كان ذلك صفته، فلم يخصص به بعضاً دون بعض، ولا معنى لقول من قال: ذلك منسوخ، لأن برّ المؤمن من أهل الحرب ممن بينه وبينه قرابة نسب، أو ممن لا قرابة بينه وبينه ولا نسب غير محرّم ولا منهيّ عنه إذا لم يكن في ذلك دلالة له، أو لأهل الحرب على عورة لأهل الإسلام، أو تقوية لهم بكراع أو سلاح. قد بين صحة ما قلنا في ذلك، الخبر الذي ذكرناه عن ابن الزبير في قصة أسماء وأمها^(١).

قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [الممتحنة : ٨]، أي: "إن الله يحب الذين يعدلون في أقوالهم وأفعالهم"^(٢).

قال الطبري: "يقول: إن الله يحبّ المنصفين الذين ينصفون الناس، ويعطونهم الحقّ والعدل من أنفسهم، فيبرّون من برّهم، ويحسنون إلى من أحسن إليهم"^(٣).
قال أبو مالك: "يعني: المعدلين في القول والفعل"^(٤).

وفي الحديث: «المقسطون على منابر من نور عن يمين العرش، الذين يعدلون في حكمهم، وأهاليهم، وما ولّوا»^(٥).

القرآن

{إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩)} [الممتحنة : ٩]
التفسير:

إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم بسبب الدين وأخرجوكم من دياركم، وعاونوا الكفار على إخراجكم أن تولوهم بالنصرة والمودة، ومن يتخذهم أنصاراً على المؤمنين وأحباباً، فأولئك هم الظالمون لأنفسهم، الخارجون عن حدود الله.

قوله تعالى: {إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوهُمْ} [الممتحنة : ٩]، أي: "إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم بسبب الدين وأخرجوكم من دياركم، وعاونوا الكفار على إخراجكم أن تولوهم بالنصرة والمودة"^(٦).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: {إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ} أيها المؤمنون {عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ} من كفار أهل مكة {وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ} وعاونوا من أخرجكم من دياركم على إخراجكم أن تولوهم، فتكونوا لهم أولياء ونصراء"^(٧).

قال ابن كثير: "أي : إنما ينهاكم عن موالاته هؤلاء الذين ناصبوكم العداوة، فقاتلوكم وأخرجوكم، وعاونوا على إخراجكم، ينهاكم الله عن موالاتهم ويأمركم بمعاداتهم"^(٨).

قال الزجاج: " {ظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ}، أي: عاونوا على إخراجكم، والمعنى: إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ أَن تَتَوَلَّوْا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ لِأَنَّ مَكَاتِبَتَهُمْ بِإِظْهَارِ مَا أَسْرَهُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُوَالَاةً"^(٩).

قال الفراء: "يعني: الباقيين من أهل مكة"^(١٠).

عن مجاهد: " {إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ}، قال: كفار أهل مكة"^(١١).

(١) تفسير الطبري: ٣٢٣/٢٣.

(٢) التفسير الميسر: ٥٥٠.

(٣) تفسير الطبري: ٣٢٣/٢٣.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٣٩٣): ص ١١٣٧/٤.

(٥) صحيح مسلم برقم (١٨٢٧) من حديث عبد الله بن عمرو، رضي الله عنهما.

(٦) التفسير الميسر: ٥٥٠.

(٧) تفسير طبري: ٣٢٤/٢٣.

(٨) تفسير ابن كثير: ٩١/٨.

(٩) معاني القرآن: ١٥٨/٥.

(١٠) معاني القرآن: ١٥٠/٣.

(١١) أخرجه الطبري: ٣٢٤/٢٣.

قوله تعالى: {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَاُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [المتحنة : ٩]، أي: "ومن يتخذهم أنصاراً على المؤمنين وأحباباً، فأولئك هم الظالمون لأنفسهم، الخارجون عن حدود الله" (١). قال الطبري: "يقول: ومن يجعلهم منكم أو من غيركم أولياء فأولئك هم الذين تولوا غير الذي يجوز لهم أن يتولواهم، ووضعوا ولايتهم في غير موضعها، وخالفوا أمر الله في ذلك" (٢). قال النحاس: "أي: الذين جعلوا المودة في غير موضعها. و«الظلم» -في اللغة-: وضع الشيء في غير موضعه" (٣).

قال ابن كثير: "ثم أكد الوعيد على موالاتهم فقال: {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَاُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} كقوله {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [المائدة : ٥١]" (٤).

قال الشوكاني: {فَاُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} "أي: الكاملون في الظلم لأنهم تولوا من يستحق العداوة لكونه عداوة الله ولرسوله ولكتابه، وجعلوهم أولياء لهم" (٥). قال السعدي: "وذلك الظلم يكون بحسب التولي، فإن كان تولياً تاماً، صار ذلك كفراً مخرجاً عن دائرة الإسلام، وتحت ذلك من المراتب ما هو غليظ، وما هو دون ذلك" (٦).
فوائد الآيات: [٧-٩]:

- ١- بيان حكم الموالاتة الممنوعة والمباحة في الإسلام.
- ٢- الترغيب في العدل والإنصاف بعد وجوبهما للمساعدة على القيام بهما.
- ٣- تقرير ما قال أهل العلم: أن «عسى» من الله تفيد وقوع ما يرجى بها ووجوده لا محالة. بخلافها من غير الله فهي للترجي والتوقع وقد يقع ما يترجى بها وقد لا يقع.

القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاْمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَنَّ هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَأَنَّ هُنَّ يُحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُنَّ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُفَّارِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٠)} [المتحنة : ١٠]

التفسير:

يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، إذا جاءكم النساء المؤمنات مهاجرات من دار الكفر إلى دار الإسلام، فاختروهن؛ لتعلموا صدق إيمانهن، الله أعلم بحقيقة إيمانهن، فإن علمتموهن مؤمنات بحسب ما يظهر لكم من العلامات والبيانات، فلا تردوهن إلى أزواجهن الكافرين، فالنساء المؤمنات لا يحلُّ لهن أن يتزوجن الكفار، ولا يحلُّ للكفار أن يتزوجوا المؤمنات، وأعطوا أزواج اللاتي أسلمن مثل ما أنفقوا عليهن من المهور، ولا إثم عليكم أن تتزوجوهن إذا دفعتم لهنَّ مهورهن. ولا تمسكوا بنكاح أزواجكم الكافرات، واطلبوا من المشركين ما أنفقتم من مهور نسائكم اللاتي ارتددن عن الإسلام ولحقن بهن، وليطلبوا هم ما أنفقوا من مهور نسائهم المسلمات اللاتي أسلمن ولحقن بكن، ذلك الحكم المذكور في الآية هو حكم الله يحكم به بينكم فلا تخالفوه. والله عليم لا يخفى عليه شيء، حكيم في أقواله وأفعاله.
سبب نزول الآيتين: [١٠، ١١]:

(١) التفسير الميسر: ٥٥٠.

(٢) تفسير الطبري: ٣٢٤/٢٣.

(٣) إعراب القرآن: ٢٧٣/٤.

(٤) تفسير ابن كثير: ٩١/٨.

(٥) فتح القدير: ٢٥٤/٥.

(٦) تفسير السعدي: ٨٥٦.

عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم: "أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاءه نسوة مؤمنات بعد أن كتب كتاب الفضية بينه وبين قريش، فأنزل الله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ} [المتحنة : ١٠]، حتى بلغ: {بِعِصْمِ الْكُوفِرِ} [المتحنة : ١٠] ، فطلق عمر يومئذ امرأتين كانتا له بالشرك، فتزوج إحداهما معاوية بن أبي سفيان والأخرى صفوان بن أمية"^(١).

عن يزيد بن أبي حبيب: "أنه بلغه أنه نزلت: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ} [المتحنة : ١٠]، الآية. في امرأة أبي حسان بن الدحاحة، وهي أميمة بنت بسر امرأة من بني عمرو بن عوف، وأن سهل بن حنيف تزوجها حين فرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فولدت له عبد الله بن سهل"^(٢).

أخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل، قال: "كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أهل مكة عهد شرط في أن يرد النساء، فجاءت امرأة تسمى سعيذة وكانت تحت صيفي بن الراهب، وهو مشرك من أهل مكة، وطلبوا ردها فأنزل الله: {إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ} [المتحنة : ١٠]"^(٣).

قال ابن زيد: "لما هادن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المشركين «كان في الشرط الذي شرط، أن ترد إلينا من أتاك منا، ونرد إليك من أتانا منكم»، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَتَانَا مِنْكُمْ فَتَرَدُّهُ إِلَيْكُمْ، وَمَنْ أَتَاكُمْ مِنَّا فَاخْتَارَ الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ فَلَا حَاجَةَ لَنَا فِيهِمْ»، وقال: فأبى الله ذلك للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النساء، ولم يأبه للرجال، فقال الله عز وجل: {إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاْمْتَحِنُوهُنَّ} ... إلى قوله: {وَأَتَوْهُنَّ مَا أَنْفَقُوا} أزواجهن"^(٤).

عن معمر، عن الزهري: "نزلت عليه، وهو في أسفل الحديبية وكان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليه وسلم، صالحهم على أن من أتاه منهم فإنه يرده إليهم ، فلما جاء النساء نزلت عليه هذه الآية، وأمره أن يرد الصداق على أزواجهن، وحكم على المشركين بمثل هذا إذا جاءتهم امرأة من المسلمين أن يردوا الصداق إلى زوجها، قال الله: {وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصْمِ الْكُوفِرِ} [المتحنة: ١٠]، قال: فطلق عمر امرأتين كانتا له بمكة ، قال: فأما المؤمنون فأقروا بحكم الله ، وأما المشركون فأبوا أن يقرؤا ، فأنزل الله: {وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا} [المتحنة: ١١]، فأمر الله المؤمنين أن يودوا الصداق إذا ذهبت امرأة من المسلمين ، ولها زوج من المسلمين، أن يؤدي إليه المسلمون صداق امرأته من صداق إن كان في أيديهم مما يريدون أن يردوا ذلك إلى المشركين"^(٥).

عن الزهري، قال: "أما المؤمنون فأقروا بحكم الله، وأما المشركون فأبوا أن يقرؤا، فأنزل الله عز وجل: {وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ} ... الآية"^(٦).

عن الحسن في قوله: " {وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ} [المتحنة : ١١]، قال: نزلت في امرأة الحكم بنت أبي سفيان ارتدت فتزوجها رجل ثقيفي، ولم ترتد امرأة من قريش غيرها، فأسلمت مع ثقيف حين أسلموا"^(٧).

قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} [المتحنة : ١٠]، أي: "يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه"^(٨).

(١) أخرجه الطبري: ٣٣١/٢٣، وانظر: صحيح البخاري برقم (٢٧٣١، ٢٧٣٢).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٨٦٥) ص: ٣٣٥٠-٣٣٤٩/١٠.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (١٨٨٦٦) ص: ٣٣٥٠/١٠.

(٤) أخرجه الطبري: ٣٣٠/٢٣.

(٥) أخرجه عبدالرزاق في "التفسير" (٣٢٠٤) ص: ٣٠٤/٣، والطبري: ٣٢٩/٢٣، بنحوه.

(٦) أخرجه الطبري: ٣٢٥/٢٣.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٨٦٩) ص: ٣٣٥٠/١٠.

(٨) التفسير الميسر: ٥٥٠.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره للمؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم" (١).

قال ابن مسعود رضي الله عنه: "إذا سمعت الله يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}، فأرעה سمعك] يعني: استمع لها؛ فإنه خير يأمر به، أو شر ينهى عنه" (٢).

قوله تعالى: {إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاْمْتَحِنُوهُنَّ} [المتحنة: ١٠]، أي: "إذا جاءكم النساء المؤمنات مهاجرات من دار الكفر إلى دار الإسلام، فاخبروهن؛ لتعلموا صدق إيمانهن" (٣).

قال الطبري: يقول: " {إِذَا جَاءَكُمُ} النساء {الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ} من دار الكفر إلى دار الإسلام، {فَاْمْتَحِنُوهُنَّ}" (٤).

قال أبو عبيدة: "فَاْمْتَحِنُوهُنَّ": أخبروهن، وخبرته وامتحنته" (٥).
عن أبي نصر الأسدي، قال: "سئل ابن عباس: كيف كان امتحان رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء؟ قال: كان يمتحنهن بالله ما خرجت من بغض زوج، وبالله ما خرجت رغبة عن أرض إلى أرض، وبالله ما خرجت التماس دنيا، وبالله ما خرجت إلا حباً لله ورسوله" (٦).
قال ابن عباس: "كان امتحانهن أن يشهدن أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله" (٦).

عن مجاهد، قوله: "فَاْمْتَحِنُوهُنَّ"، قال: سلوهن ما جاء بهن فإن جاء بهن غضب على أزواجهن، أو سخطة، أو غيره، ولم يؤمن، فارجعوهن إلى أزواجهن" (٧).
عن قتادة، في قوله: "فَاْمْتَحِنُوهُنَّ"، قال: يحلفن ما خرجن إلا رغبة في الإسلام، وحباً لله ورسوله" (٨).

قال قتادة: "كانت محنتهن أن يستحلفن بالله ما أخرجكن النشوز، وما أخرجكن إلا حب الإسلام وأهله، وحرصاً عليه، فإذا قلن ذلك قبل ذلك منهن" (٩).
عن سفيان، عن أبيه أو عكرمة، {إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاْمْتَحِنُوهُنَّ}، قال: "يقال: ما جاء بك إلا حب الله، ولا جاء بك عشق رجل منا، ولا فرارا من زوجك، فذلك قوله: {فَاْمْتَحِنُوهُنَّ}" (١٠).

عن بكير بن الأشج، قال: "كان امتحانهن إنه لم يخرجك إلا الدين" (١١).
قال ابن زيد: "كانت المرأة من المشركين إذا غضبت على زوجها، وكان بينه وبينها كلام، قالت: والله لأهاجرن إلى محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فقال الله عز وجل: {إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاْمْتَحِنُوهُنَّ}، إن كان الغضب أتى بها فردوها، وإن كان الإسلام أتى بها فلا تردوها" (١٢).

قال الضحاك: "كان نبي الله صلى الله عليه وسلم عاهد من المشركين ومن أهل الكتاب، فعاهدهم وعاهدوه، وكان في الشرط أن يردوا الأموال والنساء، فكان نبي الله إذا فاته أحد من

(١) تفسير الطبري: ٣٢٤/٢٣.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٣٧): ص ١٩٦/١.

(٣) التفسير الميسر: ٥٥٠.

(٤) تفسير الطبري: ٣٢٥/٢٣.

(٥) مجاز القرآن: ٢٥٧/٢.

(٦) أخرجه الطبري: ٣٢٥/٢٣.

(٧) أخرجه الطبري: ٣٢٦/٢٣.

(٨) أخرجه الطبري: ٣٢٦/٢٣.

(٩) أخرجه الطبري: ٣٢٦/٢٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٣٢٦/٢٣.

(١١) أخرجه الطبري: ٣٢٧/٢٣.

(١٢) أخرجه الطبري: ٣٢٧-٣٢٦/٢٣.

أزواج المؤمنين، فالحق بالمعاهدة تاركًا لدينه مختارًا للشرك، ردّ على زوجها ما أنفق عليها، وإذا لحق بنبيّ الله صلّى الله عليه وسلّم أحد من أزواج المشركين امتحنها نبيّ الله صلّى الله عليه وسلّم، فسألها ما أخرجك من قومك، فإن وجدها خرجت تريد الإسلام قبلها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وردّ على زوجها ما أنفق عليها، وإن وجدها فرّت من زوجها إلى آخر بينها وبينه قرابة، وهي متمسكة بالشرك ردها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى زوجها من المشركين" (١).

عن الزهريّ، أن عائشة قالت: "ما كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يمتحن المؤمنات إلا بالآية، قال الله: {إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا}، ولا ولا" (٢).
عروة بن الزبير، أن عائشة زوج النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قالت: "كانت المؤمنات إذا هاجرن إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يمتحن بقول الله: {يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ} ... إلى آخر الآية، قالت عائشة: فمن أقرّ بهذا من المؤمنات، فقد أقرّ بالمحبة، فكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إذا أقرن بذلك من قولهنّ قال لهنّ: انطلقن فقد بايعتكن، ولا والله ما مست يد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يد امرأة قط، غير أنه بايعهنّ بالكلام؛ قالت عائشة: والله ما أخذ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على النساء قط، إلا بما أمره الله عزّ وجلّ، وكان يقول لهنّ إذا أخذ عليهنّ قد بايعتكن كلامًا" (٣).

قوله تعالى: {اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ} [المتحنة: ١٠]، أي: "الله أعلم بحقيقة إيمانهن" (٤).
قال الطبري: "يقول: الله أعلم بإيمان من جاء من النساء مهاجرات إليكم" (٥).
قوله تعالى: {فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ} [المتحنة: ١٠]، أي: "فإن علمتموهن مؤمنات بحسب ما يظهر لكم من العلامات والبيّنات، فلا تردوهن إلى أزواجهن الكافرين" (٦).

قال الطبري: "يقول: فإن أقرن عند المحنة بما يصحّ به عقد الإيمان لهنّ، والدخول في الإسلام، فلا تردوهنّ عند ذلك إلى الكفار. وإنما قيل ذلك للمؤمنين، لأنّ العهد كان جرى بين رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وبين مشركي قريش في صلح الحديبية أن يرد المسلمون إلى المشركين من جاءهم مسلمًا، فأبطل ذلك الشرط في النساء إذا جنن مؤمنات مهاجرات فامتحن، فوجدهنّ المسلمون مؤمنات، وصح ذلك عندهم مما قد ذكرنا قبل، وأمروا أن لا يردوهنّ إلى المشركين إذا علم أنهم مؤمنات" (٧).

قوله تعالى: {لَا هُنَّ حُلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ} [المتحنة: ١٠]، أي: "فالنساء المؤمنات لا يحلّ لهنّ أن يتزوجن الكفار، ولا يحلّ للكفار أن يتزوجوا المؤمنات" (٨).
قال الطبري: "يقول: لا المؤمنات حلّ للكفار، ولا الكفار يحلون للمؤمنات" (٩).

عن الزهريّ، قال: "دخلت على عروة بن الزبير، وهو يكتب كتابًا إلى ابن أبي هنيدي صاحب الوليد بن عبد الملك، وكتب إليه يسأله عن قول الله عزّ وجلّ: {إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ} ... إلى قوله: {وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} وكتب إليه عروة بن الزبير: إن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كان صالح قريشًا عام الحديبية على أن يردّ عليهم من جاء بغير إذن وليه؛ فلما هاجر

(١) أخرجه الطبري: ٣٢٩/٢٣-٣٣٠.

(٢) أخرجه الطبري: ٣٢٥/٢٣.

(٣) أخرجه الطبري: ٣٢٥/٢٣-٣٢٦.

(٤) التفسير الميسر: ٥٥٠.

(٥) تفسير الطبري: ٣٢٧/٢٣.

(٦) التفسير الميسر: ٥٥٠.

(٧) تفسير الطبري: ٣٢٧/٢٣.

(٨) التفسير الميسر: ٥٥٠.

(٩) تفسير الطبري: ٣٢٧/٢٣.

النساء إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإلى الإسلام، أباي الله أن يُرَدِّدَنِي إِلَى الْمُشْرِكِينَ، إِذَا هُنَّ امْتَحَنَ مَحْنَةَ الْإِسْلَامِ، فَعَرَفُوا أَنَّهُنَّ إِنَّمَا جِئْنَ رَغْبَةً فِيهِ"^(١).
قوله تعالى: {وَأَتَوْهُم مَّا أَنْفَقُوا} [المتحنة : ١٠]، أي: "وأعطوا أزواج اللاتي أسلمن مثل ما أنفقوا عليهن من المهور"^(٢).

قال الطبري: "يقول جل ثناؤه: وأعطوا المشركين الذين جاءكم نساؤهم مؤمنات إذا علمتموهن مؤمنات، فلم ترجعوهن إليهم ما أنفقوا في نكاحهم إياهن من الصداق"^(٣).
عن مجاهد: "{وَأَتَوْهُم مَّا أَنْفَقُوا}، وآتوا أزواجهن صدقاتهن"^(٤).

قال ابن عباس: "كان امتحانهن أن يشهدن أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، فإذا علموا أن ذلك حقّ منهنّ لم يرجعوهنّ إلى الكفار، وأعطى بعلمها من الكفار الذين عقد لهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صداقه الذي أصدقها"^(٥).

قال قتادة: "هذا حكم حكمه الله عزّ وجلّ بين أهل الهدى وأهل الضلالة، كنّ إذا فررن من المشركين الذين بينهم وبين نبيّ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه عهد إلى أصحاب نبيّ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فنزوجهنّ بعثوا مهورهنّ إلى أزواجهنّ من المشركين الذين بينهم وبين نبيّ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عهد، وإذا فررن من أصحاب نبيّ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المشركين الذين بينهم وبين نبيّ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عهد بعثوا بمهورهنّ إلى أزواجهنّ من أصحاب نبيّ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"^(٦).

قوله تعالى: {وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ} [المتحنة : ١٠]، أي: "ولا إثم عليكم أن تنزوجهن إذا دفعتم لهنّ مهورهن"^(٧).

قال الطبري: يقول: "ولا حرج عليكم أيها المؤمنون أن تنكحوا هؤلاء المهاجرات اللاتي لحقن بكم من دار للحرب مفارقات لأزواجهنّ، وإن كان لهنّ أزواج في دار الحرب إذا علمتموهنّ مؤمنات إذا أنتم أعطيتموهنّ أجورهنّ، ويعني بالأجور: الصّدقات. وكان قتادة يقول: كنّ إذا فررن من المشركين الذين بينهم وبين نبيّ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه عهد إلى أصحاب نبيّ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فنزوجهنّ بعثوا بمهورهنّ إلى أزواجهنّ من المشركين الذين بينهم وبين أصحاب نبيّ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عهد"^(٨).

قال الزجاج: "وهذا دليل على أن التزويج لا بدّ فيه من مهر"^(٩).
قال الزهري: "إنما أمر الله بردّ صداقهنّ إليهم إذا حبس عنهم وإن هم ردّوا المسلمين على صداق من حبسوا عنهم من نسائهم"^(١٠).

عن ابن وهب، قال: "قال ابن زيد، في قوله: {وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ} ولها زوج ثمّ، لأنه فرق بينهما الإسلام إذا استبرأتنّ أرحامهنّ"^(١١).

قوله تعالى: {وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُوفِرِ} [المتحنة : ١٠]، أي: "ولا تمسكوا بنكاح أزواجكم الكافرات"^(١٢).

(١) أخرجه الطبري: ٣٢٧/٢٣-٣٢٨.

(٢) التفسير الميسر: ٥٥٠.

(٣) تفسير الطبري: ٣٢٨/٢٣.

(٤) أخرجه الطبري: ٣٢٨/٢٣-٣٢٩.

(٥) أخرجه الطبري: ٣٢٨/٢٣.

(٦) أخرجه الطبري: ٣٢٩/٢٣.

(٧) التفسير الميسر: ٥٥٠.

(٨) تفسير الطبري: ٣٣٠/٢٣-٣٣١.

(٩) معاني القرآن: ١٥٩/٥.

(١٠) أخرجه الطبري: ٣٣١/٢٣.

(١١) أخرجه الطبري: ٣٣١/٢٣.

(١٢) التفسير الميسر: ٥٥٠.

قال الطبري: "يقول جل ثناؤه للمؤمنين به من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تمسكوا أيها المؤمنون بحبال النساء الكوافر وأسبايهن، والكوافر: جمع كافرة، والعصم: جمع عصمة، وهي ما اعتصم به من العقد والسبب، وهذا نهى من الله للمؤمنين عن الإقدام على نكاح النساء المشركات من أهل الأوثان، وأمر لهم بفراقهن"^(١).

قال ابن كثير: "قوله: {وَلَا تُمَسِّكُوا بِعَصَمِ الْكُوفِرِ} تحريم من الله، عز وجل، على عباده المؤمنين نكاح المشركات، والاستمرار معهن"^(٢).

قال الزجاج: "أي: إذا كفرن فقد زالت العصمة بين المشركة والمؤمن، أي: قد انبتت عقد حبل النكاح، وأصل «العصمة»: الحبل، وكل ما أمسك شيئاً فقد عصمه"^(٣).

قال أبو عبيدة: "العصمة: الحبل والسبب"^(٤).

عن ابن زيد: "وَلَا تُمَسِّكُوا بِعَصَمِ الْكُوفِرِ}، إذا كفرت المرأة فلا تمسكوها، خلوها، وقعت الفرقة بينها وبين زوجها حين كفرت"^(٥).

عن قتادة، قوله: "وَلَا تُمَسِّكُوا بِعَصَمِ الْكُوفِرِ}، مشركات العرب اللاتي يابنن الإسلام أمر أن يخلى سبيلهن"^(٦).

عن مجاهد: "وَلَا تُمَسِّكُوا بِعَصَمِ الْكُوفِرِ}، قال: أصحاب محمد أمروا بطلاق نسائهم كوافر بمكة، قعدن مع الكفار"^(٧).

قال ابن شهاب: "فطلق المؤمنون حين أنزلت هذه الآية كل امرأة كافرة كانت تحت رجل منهم، فطلق عمر بن الخطاب رضي الله عنه امرأته ابنة أبي أمية بن المغيرة من بني مخزوم فتزوجها معاوية بن أبي سفيان، وابنة جروم من خزاعة، فتزوجها أبو جهم بن حذافة العدوي، وجعل الله ذلك حكماً حكم به بين المؤمنين والمشركين في هذه المدة التي كانت"^(٨).

قال عروة: "فأخبرتني عائشة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان يمتحنهن وبلغنا أنه لما أنزل الله تعالى: أن يردوا إلى المشركين ما أنفقوا على من هاجر من أزواجهم، وحكم على المسلمين أن لا يمسكوا بعصم الكوافر، أن عمر طلق امرأتين، قريبة بنت أبي أمية، وابنة جروم الخزاعي، فتزوج قريبة معاوية، وتزوج الأخرى أبو جهم، فلما أبى الكفار أن يقرؤا بأداء ما أنفق المسلمون على أزواجهم، أنزل الله تعالى: {وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَلَّاقِبْتُمْ} [المتحنة: ١١]، و«العقب»: ما يؤدي المسلمون إلى من هاجرت امرأته من الكفار، فأمر أن يعطى من ذهب له زوج من المسلمين ما أنفق من صدق نساء الكفار اللاتي هاجرن، وما نعلم أن أحداً من المهاجرات ارتدت بعد إيمانها"^(٩).

قال الزهري: "لما نزلت هذه الآية: {يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ} ... إلى قوله: {وَلَا تُمَسِّكُوا بِعَصَمِ الْكُوفِرِ}، كان ممن طلق عمر بن الخطاب رضي الله عنه امرأته قريبة ابنة أبي أمية بن المغيرة، فتزوجها بعده معاوية بن أبي سفيان، وهما على شركهما بمكة، وأم كلثوم ابنة جروم الخزاعية أم عبد الله بن عمر فتزوجها أبو جهم بن حذافة بن غانم رجل من قومه، وهما على شركهما، وطلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو التيمي كانت عنده أروى بنت ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، ففرق بينهما الإسلام حين نهى القرآن عن التمسك بعصم الكوافر، وكان طلحة قد هاجر وهي بمكة على دين قومها، ثم تزوجها في الإسلام

(١) تفسير الطبري: ٣٣١/٢٣.

(٢) تفسير ابن كثير: ٩٤/٨.

(٣) معاني القرآن: ١٥٩/٥.

(٤) مجاز القرآن: ٢٥٧/٢.

(٥) أخرجه الطبري: ٣٣٣/٢٣.

(٦) أخرجه الطبري: ٣٣٣/٢٣.

(٧) أخرجه الطبري: ٣٣٣/٢٣.

(٨) أخرجه الطبري: ٣٣١/٢٣-٣٣٢.

(٩) صحيح البخاري (٢٧٣٣): ص ١٩٧/٣.

بعد طلحة خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس. وكان ممن فرّ إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من نساء الكفار ممن لم يك بينه وبين رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عهد فحبسها وزوجها رجلا من المسلمين أميمة بنت بشر الأنصارية، ثم إحدى نساء بني أمية بن زيد من أوس الله، كانت عند ثابت بن الدحاحة، ففرّت منه، وهو يومئذ كافر إلى رسول الله، فزوجها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سهل بن حنيف أحد بني عمرو بن عوف، فولدت عبد الله بن سهل^(١).

عن طلحة-رضي الله عنه- قال: "لما نزلت ولا تمسكوا بعصم الكوافر طلقت امرأتي أروى بنت ربيعة، طلق عمر قريية بنت أبي أمية وأم كلثوم بنت جرول الخزاعية"^(٢).
وقرأ أبو عمرو: «وَلَا تُمَسِّكُوا»، بتشديد «السين»^(٣).

قوله تعالى: {وَأَسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا} [الممتحنة: ١٠]، أي: "واطلبوا من المشركين ما أنفقتم من مهور نسائكم اللاتي ارتددن عن الإسلام ولحقن بهم، وليطلبوا هم ما أنفقوا من مهور نسائهم المسلمات اللاتي أسلمن ولحقن بكم"^(٤).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لأزواج اللواتي لحقن من المؤمنين من دار الإسلام بالمشركين إلى مكة من كفار قريش: وأسألوا أيها المؤمنون الذين ذهب أزواجهم فلحقن بالمشركين ما أنفقتم على أزواجكم اللواتي لحقن بهم من الصداق من تزوجهن منهم، وليسئلكم المشركون منهم الذين لحق بكم أزواجهم مؤمنات إذا تزوجن فيكم من تزوجها منكم ما أنفقوا عليهن من الصداق"^(٥).

قال ابن كثير: "أي: وطلبوا بما أنفقتم على أزواجكم اللاتي يذهبن إلى الكفار، إن ذهبن، وليطلبوا بما أنفقوا على أزواجهم اللاتي هاجرن إلى المسلمين"^(٦).

عن مجاهد، قوله: {وَأَسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا}، قال: "ما ذهب من أزواج أصحاب محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الكفار، فليعطهم الكفار صدقاتهن، وليمسكوهن، وما ذهب من أزواج الكفار إلى أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمثل ذلك، في صلح كان بين محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبين قريش"^(٧).

عن ابن شهاب، قال: "أقرّ المؤمنون بحكم الله، وأدّوا ما أمروا به من نفقات المشركين التي أنفقوا على نسائهم، وأبى المشركون أن يقرّوا بحكم الله فيما فرض عليهم من أداء نفقات المسلمين"^(٨).

قوله تعالى: {ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ} [الممتحنة: ١٠]، أي: "ذلك الحكم المذكور في الآية هو حكم الله يحكم به بينكم فلا تخالفوه"^(٩).

قال الطبري: "يقول تعالى هذا الحكم الذي حكمت بينكم من أمركم أيها المؤمنون بمسألة المشركين، ما أنفقتم على أزواجكم اللاتي لحقن بهم وأمرهم بمسألتكم مثل ذلك في أزواجهن اللاتي لحقن بكم، حكم الله بينكم فلا تعتدوه، فإنه الحق الذي لا يسمع غيره، فانتهى المؤمنون من أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما ذكر إلى أمر الله وحكمه، وامتنع المشركون منه

(١) أخرجه الطبري: ٣٣٣-٣٣٢/٢٣.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٨٦٨): ص ٣٣٥٠/١٠.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٣/٢٣.

(٤) التفسير الميسر: ٥٥٠.

(٥) تفسير الطبري: ٣٣٤-٣٣٣/٢٣.

(٦) تفسير ابن كثير: ٩٥-٩٤/٨.

(٧) أخرجه الطبري: ٣٣٤/٢٣.

(٨) أخرجه الطبري: ٣٣٤/٢٣.

(٩) التفسير الميسر: ٥٥٠.

وطالبوا الوفاء بالشروط التي كانوا شرطوها بينهم في ذلك الصلح، وبذلك جاءت الآثار والأخبار عن أهل السير وغيرهم^(١).

قال ابن كثير: "أي: في الصلح واستثناء النساء منه، والأمر بهذا كله هو حكم الله يحكم به بين خلقه"^(٢).

قال الزهري: "أما المؤمنون فأقرّوا بحكم الله، وأما المشركون فأبوا أن يقرّوا، فأُنزل الله عزّ وجلّ: {وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ... الآية}"^(٣).

عن الزهري، قال: "قال الله: {ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ}، فأمسك رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النساء، وردّ الرجال، وسأل الذي أمره الله أن يسأل من صدقات النساء من حبسوا منهن، وأن يردّوا عليهم مثل الذي يردّون عليهم إن هم فعلوا، ولولا الذي حكم الله به من هذا الحكم ردّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النساء، كما ردّ الرجال، ولولا الهدنة والعهد الذي كان بينه وبين قريش يوم الحديبية أمسك النساء ولم يرد إليهم صداقاً، وكذلك يصنع بمن جاءه من المسلمات قبل العهد"^(٤).

قوله تعالى: {وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [المتحنة: ١٠]، أي: "والله عليم لا يخفى عليه شيء، حكيم في أقواله وأفعاله"^(٥).

قال الطبري: يقول: "والله ذو علم بما يصلح خلقه وغير ذلك من الأمور، حكيم في تدبيره إياهم"^(٦).

قال ابن كثير: "أي: عليم بما يصلح عباده، حكيم في ذلك"^(٧).

القرآن

{وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعاقِبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ (١١)} [المتحنة: ١١]

التفسير:

وإن لحقت بعض زوجاتكم مرتدات إلى الكفار، ولم يعطكم الكفار مهورهن التي دفعتموها لهن، ثم ظفرتن بهؤلاء الكفار أو غيرهم وانتصرتن عليهم، فأعطوا الذين ذهبوا أزواجهن من المسلمين من الغنائم أو غيرها مثل ما أعطوهن من المهور قبل ذلك، وخافوا الله الذي أنتم به مؤمنون.

قوله تعالى: {وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ} [المتحنة: ١١]، أي: "وإن لحقت بعض زوجاتكم مرتدات إلى الكفار، ولم يعطكم الكفار مهورهن التي دفعتموها لهن"^(٨).

قال الطبري: "يقول جلّ ثناؤه للمؤمنين من أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {وَإِنْ فَاتَكُمْ} أيها المؤمنون {شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ} فلحق بهم"^(٩).

قال السمعاني: "أي: التحقت واحدة من أزواجكم إلى الكفار، يعني: النساء"^(١٠).

قال الحسن: "نزلت في امرأة الحكم بنت أبي سفيان ارتدت فتزوجها رجل ثقيفي، ولم ترد امرأة من قريش غيرها، فأسلمت مع ثقيف حين أسلموا"^(١١).

(١) تفسير الطبري: ٣٣٤/٢٣-٣٣٥.

(٢) تفسير ابن كثير: ٩٥-٩٤/٨.

(٣) أخرجه الطبري: ٣٢٥/٢٣.

(٤) أخرجه الطبري: ٣٢٥/٢٣.

(٥) التفسير الميسر: ٥٥٠.

(٦) تفسير الطبري: ٣٣٥/٢٣.

(٧) تفسير ابن كثير: ٩٥-٩٤/٨.

(٨) صفوة التفاسير: ٣٤٥/٣.

(٩) تفسير الطبري: ٣٣٥/٢٣.

(١٠) تفسير السمعاني: ٤١٩/٥.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٨٦٩): ص ٣٣٥٠/١٠.

واختلف هل التفسير في «الكفار» الذين عُنوا بقوله: {إلى الكُفَّارِ} [الممتحنة : ١١]، على قولين:

أحدهما: أن هذا في الكفار الذين ليس لهم عهد، إذا فرت إليهم امرأة ولم يدفعوا إلى زوجها شيئاً، فإذا جاءت منهم امرأة لا يدفع إلى زوجها شيء، حتى يدفع إلى زوج الذاهبة إليهم مثل نفقته عليها. قاله مجاهد^(١)، وقتادة^(٢).

عن مجاهد، في قوله: "وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ، الَّذِينَ لَيْسَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ عَهْدٌ"^(٣).

قال قتادة: "إذا فررن من أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى كفار ليس بينهم وبين رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عهد"^(٤).

قال مقاتل: "يعني: كفار الحرب الذين ليس بينكم وبينهم عهد"^(٥).

الثاني: أنهم كفار قريش الذي كانوا أهل هدنة، وذلك قول الزهري^(٦).

قوله تعالى: {فَعَاقِبْتُمْ} [الممتحنة : ١١]، أي: "فغزوتهم وعنتمهم وأصبتهم من الكفار غنيمة"^(٧).

وفي قوله تعالى: {فَعَاقِبْتُمْ} [الممتحنة : ١١]، وجوه من التفسير:

أحدها : معناه: غنمتم لأخذه من معاقبة الغزو ، قاله مجاهد^(٨)، والضحاك^(٩).

قال مجاهد: "يقول: أصبتهم مغنماً من قريش أو غيرهم"^(١٠).

قال مقاتل: "يقول: فإن غنمتم، وأعقبكم الله مالا"^(١١).

قال أبو عبيدة: "أي: أصبتهم عقبى منهن"^(١٢).

قال ابن قتيبة: "أي: أصبتهم منهم عقبى، أي: غنيمة من غزو"^(١٣).

الثاني : معناه: غزوتهم معاقبين غزواً بعد غزو. حكاه ابن قتيبة^(١٤).

قال الزجاج: "أي: أصبتموهم في القتال بعقوبة حتى غنمتم"^(١٥).

الثالث : معناه: فأصبتهم من عاقبة من قتل أو سبي، قاله سفيان^(١٦).

الرابع : يريد: فلم تعفوا عنهم، إذا لم يعفوا عنكم مهور نسائكم. قاله الإمام الشافعي^(١٧).

وقال الشافعي: "كأنه يعني: من مهورهن إذا فاتت امرأة مشرك أتتنا مسلمة قد أعطها مائة في مهرها، وفاتت امرأة مشركة إلى الكفار قد أعطها مائة، حسبت مائة المسلم بمائة المشرك، فقيل: تلك العقوبة"^(١٨).

الخامس: عاقبتهم المرتدة بالقتل، فلزوجها مهرها من غنائم المسلمين ، قاله ابن بحر^(١٩).

- (١) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٦/٢٣.
- (٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٦/٢٣.
- (٣) أخرجه الطبري: ٣٣٦/٢٣.
- (٤) أخرجه الطبري: ٣٣٦/٢٣.
- (٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٠٥/٤.
- (٦) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٦/٢٣.
- (٧) صفوة التفاسير: ٣٤٥/٣.
- (٨) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٨/٢٣.
- (٩) انظر: النكت والعيون: ٥٢٣/٥.
- (١٠) أخرجه الطبري: ٣٣٨/٢٣.
- (١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٠٥/٤.
- (١٢) مجاز القرآن: ٢٥٧/٢.
- (١٣) غريب القرآن: ٤٦٢.
- (١٤) غريب القرآن: ٤٦٢.
- (١٥) معاني القرآن: ١٦٠/٥.
- (١٦) انظر: النكت والعيون: ٥٢٣/٥.
- (١٧) انظر: تفسير الإمام الشافعي: ١٣٤٧/٣.
- (١٨) تفسير الإمام الشافعي: ١٣٤٧/٣.

قال الماوردي: " وهذا منسوخ لنسخ الشرط الذي شرطه رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم بالحديبية"^(١).

قال الحارث المحاسبي: " وهذا في الصلح بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفار أهل مكة فنسخ ذلك إذ زال الصلح وفتحت مكة فأيما امرأة جاءت من المشركين لم يجب أن يعطوا زوجها شيئاً وكذلك الكفار ليس واجبا في الحكم أن يعطوا أزواج من هرب إليهم من المسلمين"^(٢).

قال قتادة: " ثم نسخ هذا الحكم وهذا العهد في براءة"^(٤) فنبتذ إلى كل ذي عهد عهده"^(٥). وقال عطاء: " بل حكمها ثابت"^(٦).

وتقرأ: «فَعَقَبْتُمْ»، من: «تَعْقِبُ الغزوة»، وتقرأ: «فَأَعَقَبْتُمْ»^(٧). قوله تعالى: {فَأَتَوْا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا} [المتحنة: ١١]، أي: " فأعطوا الذين ذهبوا أزواجهم من المسلمين من الغنائم أو غيرها مثل ما أعطوهن من المهور قبل ذلك"^(٨).

قال الطبري: " يقول: فأعطوا الذين ذهبوا أزواجهم منكم إلى الكفار مثل ما أنفقوا عليهن من الصداق"^(٩).

واختلف أهل التفسير في المال الذي أمر أن يعطى منه الذي ذهب زوجته إلى المشركين، وفيه أقوال:

أحدها: أنهم أمروا أن يعطوه من أموال غنائمهم لاستحقاقها عليهم. وهذا قول ابن عباس^(١٠)، ومجاهد^(١١)، وقاتادة^(١٢)، ومسروق^(١٣)، وإبراهيم^(١٤).

قال ابن عباس: " يعني: إن لحقت امرأة رجل من المهاجرين بالكفار، أمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطى من الغنيمة مثل ما أنفق"^(١٥).

قال قتادة: " كنّ إذا فررن من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى الكفار ليس بينهم وبين نبي الله عهد، فأصاب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم غنيمة، أعطى زوجها ما ساق إليها من جميع الغنيمة، ثم يفتسمون غنيمتهم"^(١٦).

عن مجاهد: " {فَعَقَبْتُمْ}، يقول: أصبتم مغنماً من قريش أو غيرهم، {فَأَتَوْا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا}، صدقاتهن عوضاً"^(١٧).

عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد: " إنهم كانوا أمروا أن يردّوا عليهم من الغنيمة. وكان مجاهد يقرأ: {فَعَقَبْتُمْ}"^(١٨).

(١) انظر: النكت والعيون: ٥٢٣/٥.

(٢) النكت والعيون: ٥٢٣/٥.

(٣) فهم القرآن: ٤٠٩-٤١٠.

(٤) [الآية: ٥]. وهي آية السيف.

(٥) الناسخ والمنسوخ: ٥٠.

(٦) نقلا عن: النكت والعيون: ٥٢٣/٥.

(٧) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة: ٤٦٢، وتفسير الطبري: ٣٣٦/٢٣.

(٨) التفسير الميسر: ٥٥٠.

(٩) تفسير الطبري: ٣٣٦/٢٣-٣٣٧.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٧/٢٣-٣٣٨.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٨/٢٣.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٨/٢٣.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٨/٢٣-٣٣٩.

(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٩/٢٣.

(١٥) أخرجه الطبري: ٣٣٨/٢٣.

(١٦) أخرجه الطبري: ٣٣٨/٢٣.

(١٧) أخرجه الطبري: ٣٣٨/٢٣.

(١٨) أخرجه الطبري: ٣٣٨/٢٣.

قال مجاهد: " من لم يكن بينهم وبينهم عهد، فذهبت امرأة إلى المشركين، فيدفع إلى زوجها مهر مثلها، {فَعَاقِبْتُمْ}، فأصبت غنيمة، {قَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَرْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ}، قال: مهر مثلها يُدفع إلى زوجها" (١).

عن مسروق: "أنه قرأها: {فَعَاقِبْتُمْ}، وفسرها: فغنمتم" (٢).

الثاني: من مال الفيء، قاله الزهري (٣).

عن ابن إسحاق، قال: "سألنا الزهري، عن هذه الآية وقول الله فيها: {وَإِنْ قَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ}.. الآية، قال: يقول: إن فات أحدًا منكم أهله إلى الكفار، ولم تأتكم امرأة تأخذون لها مثل الذي يأخذون منكم، فعوضوه من فيء إن أصبتموه" (٤).

قال ابن كثير: " وهذا لا ينافي الأول (٥)؛ لأنه إن أمكن الأول فهو أولى، وإلا فمن الغنائم اللاتي تؤخذ من أيدي الكفار. وهذا أوسع" (٦).

الثالث: أنهم أمروا أن يعطوهم من صدق من أسلمن منهن عن زوج كافر. وهو مروى عن الزهري أيضاً (٧).

قال الزهري: "أقرّ المؤمنون بحكم الله، وأدوا ما أمروا به من نفقات المشركين التي أنفقوا على نسائهم، وأبى المشركون أن يقرّوا بحكم الله فيما فرض عليهم من أداء نفقات المسلمين، فقال الله للمؤمنين: {وَإِنْ قَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ قَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَرْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ}، فلو أنها ذهبت بعد هذه الآية امرأة من أزواج المؤمنين إلى المشركين ردّ المؤمنون إلى زوجها النفقة التي أنفق عليها من العقب الذي بأيديهم، الذي أمروا أن يردّوه على المشركين من نفقاتهم التي أنفقوا على أزواجهم اللاتي آمنّ وهاجرن، ثم ردّوا إلى المشركين فضلاً- إن كان بقي لهم-، والعقب: ما كان بأيدي المؤمنين من صدق نساء الكفار حين آمنّ وهاجرن" (٨).

قال الزهري: "أنزل الله: {وَإِنْ قَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ قَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَرْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا}، فأمر الله المؤمنين أن يردّوا الصدق إذا ذهبت امرأة من المسلمين ولها زوج أن يردّ إليه المسلمون صدق امرأته من صدق إن كان في أيديهم مما أمروا أن يردّوا إلى المشركين" (٩).

روي عن بكير بن الأشج، قال: "كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلّم والمشركين هدنة فيمن فرّ من النساء، فإذا فرّت المشركة أعطى المسلمون زوجها نفقته عليها وكان المسلمون يفعلون وكان إذا لم يعط هؤلاء ولا هؤلاء أخرج المسلمون للمسلم الذي ذهبت امرأته نفقتها" (١٠).

الرابع: -وهو قول ابن زيد-: أن امرأة خرجت "من أهل الإسلام إلى المشركين، ولم يخرج غيرها. قال: فأنت امرأة من المشركين، فقال القوم: هذه عقيبتكم قد أتتكم، فقال الله: {وَإِنْ قَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ}: أمسكتم الذي جاءكم منهم من أجل الذي لكم عندهم، {قَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَرْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا}، ثم أخبرهم الله أنه لا جناح عليهم إذا فعلوا الذي فعلوا أن ينكحوهنّ إذا استبرئ رحمها، قال: فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلّم الذي ذهبت

(١) أخرجه الطبري: ٣٣٨/٢٣.

(٢) أخرجه الطبري: ٣٣٨/٢٣-٣٣٩.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٩/٢٣.

(٤) أخرجه الطبري: ٣٣٩/٢٣.

(٥) أي: الغنيمة.

(٦) تفسير ابن كثير: ٩٥/٨.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٧/٢٣.

(٨) أخرجه الطبري: ٣٣٧/٢٣.

(٩) أخرجه الطبري: ٣٣٧/٢٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٣٣٠/٢٣.

امرأته إلى الكفار، فقال لهذه التي أتت من عند المشركين: هذا زوج التي ذهبت أزوجه؟ فقالت: يا رسول الله، عذر الله زوجة هذا أن تفرّ منه، لا والله مالي به حاجة، فدعا البخترى رجلاً جسيماً، قال: هذا؟ قالت: نعم، وهي ممن جاء من مكة^(١).

قال الطبري: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: أمر الله عزّ وجلّ في هذه الآية المؤمنين أن يعطوا من فرت زوجته من المؤمنين إلى أهل الكفر إذا هم كانت لهم على أهل الكفر عُقبى، إما بغنيمة يصيبونها منهم، أو بلحاق نساء بعضهم بهم، مثل الذي أنفقوا على الفارة منهم إليهم، ولم يخصص إيتاءهم ذلك من مال دون مال، فعليهم أن يعطوهم ذلك من كلّ الأموال التي ذكرناها"^(٢).

قوله تعالى: {وَأَنْفَقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ} [الممتحنة : ١١]، أي: "وخافوا الله الذي أنتم به مؤمنون"^(٣).

قال الطبري: "يقول: وخافوا الله الذي أنتم به مصدّقون أيها المؤمنون فاتقوه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه"^(٤).

فوائد الآيتين: [١٠-١١]:

١- وجوب امتحان المهاجرة فإن علم إسلامها لا يحل إرجاعها إلى زوجها الكافر لأنها لا تحل له، وإعطائه ما أنفق عليها من مهر. ويجوز بعد ذلك نكاحها بمهر وولي وشاهدين إن كانت مدخولاً بها فبعد انقضاء عدتها وإلا فلا حرج في الزواج بها فوراً.

٢- حرمة نكاح المشركة.

٣- لا يجوز الإبقاء على عصمة الزوجة^(٥) المشركة، وللزوج المسلم الذي بقيت زوجته على الكفر، أو ارتدت بعد إسلامها أن يطالب بما أنفق عليها من مهر وللزوج الكافر الذي أسلمت زوجته وهاجرت أن يسأل كذلك ما أنفق عليها.

٤- ومن ذهبت زوجته ولم يرد عليه شيء مما أنفق عليها، ثم غزا المسلمون تلك البلاد وغنموا فإن ذهبت زوجته ولم يعرض عنها يعطى ما أنفق من الغنيمة قبل قسمتها. وإن لم تكن غنيمة فجماعة المسلمين وإمامهم يساعدونه ببعض ما أنفق من باب التكافل والتعاون.

٥- وجوب تقوى الله تعالى بتطبيق شرعه وإنفاذ أحكامه والرضا بها.

القرآن

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّ فِي مَعْرُوفٍ فُبَايِعُهُنَّ وَاسْتَعْفِرَ لهنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ (١٢)} [الممتحنة : ١٢]

التفسير:

يا أيها النبي إذا جاءك النساء المؤمنات يباعدنك على ألا يجعلن مع الله شريكاً في عبادته، ولا يسرقن شيئاً، ولا يزني، ولا يقتلن أولادهن بعد الولادة أو قبلها، ولا يلحقن بأزواجهن أولاداً ليسوا منهم، ولا يخالفنك في معروف تأمرهن به، فعاهدن على ذلك، واطلب لهن المغفرة من الله. إن الله غفور لذنوب عباده التائبين، رحيم بهم.

قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا} [الممتحنة : ١٢]، أي: "يا أيها النبي إذا جاءك النساء المؤمنات بالله ورسوله يعاهدنك على ألا يجعلن مع الله شريكاً في عبادته"^(١).

(١) أخرجه الطبري: ٣٣٩/٢٣.

(٢) تفسير الطبري: ٣٣٩/٢٣.

(٣) التفسير الميسر: ٥٥٠.

(٤) تفسير الطبري: ٣٤٠/٢٣.

(٥) اختلف في الرجل يسلم وتحتة كافرة أو كافرة تسلم وهي تحت زوج كافر. والذي عليه الشافعي وأحمد أن العصمة تبقى مدة العدة فإذا انقضت العدة ولم يسلم الكافر منهما يفرق بينهما ولا يحلان لبعضهما، وقال مالك: يفرق بينهما من يوم إسلام أحدهما.

قال ابن كثير: "أي : من جاءك منهن يبايع على هذه الشروط فبايعها، {عَلَى أَنْ لَا يُشْرَكَنَ بِاللَّهِ..}"^(٢).

أخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان، قال: "أنزلت هذه الآية يوم الفتح فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجال على الصفا وعمر يبايع النساء تحتها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم"^(٣).

عن عائشة قالت: "ما أخذ على النساء من الكبائر- قال أبو محمد: يعني قوله تعالى: {عَلَى أَنْ لَا يُشْرَكَنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرُقْنَ وَلَا يَزْنِينَ} [الممتحنة : ١٢]، الآية"^(٤).

قوله تعالى: {وَلَا يَسْرُقْنَ} [الممتحنة : ١٢]، أي: "ولا يرتكبن جريمة السرقة"^(٥). قال ابن كثير: "أي : أموال الناس الأجانب، فأما إذا كان الزوج مقصرًا في نفقتها، فلها أن تأكل من ماله بالمعروف، ما جرت به عادة أمثالها، وإن كان بغير علمه، عملاً بحديث هند بنت عتبة أنها قالت : يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني من النفقة ما يكفيني ويكفي بني، فهل علي جناح إن أخذت من ماله بغير علمه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفي بنيك»^(٦)^(٧).

قوله تعالى: {وَلَا يَزْنِينَ} [الممتحنة : ١٢]، أي: "ولا يرتكبن جريمة الزنى"^(٨). قال ابن كثير: "قوله: {وَلَا يَزْنِينَ} كقوله {وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَةَ إِنَّهَا كَانَتْ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا} [الإسراء : ٣٢]. وفي حديث سمرة ذكر عقوبة الزناة بالعذاب الأليم في نار الجحيم"^(٩)^(١٠).

عن عائشة قالت : "جاءت فاطمة بنت عتبة تبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ عليها: {أَنْ لَا يُشْرَكَنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرُقْنَ وَلَا يَزْنِينَ} الآية، قالت : فوضعت يدها على رأسها حياءً، فأعجبه ما رأى منها، فقالت عائشة : أقرى أيتها المرأة، فوالله ما بايعنا إلا على هذا. قالت : فنعم إذاً. فبايعها بالآية"^(١١).

قوله تعالى: {وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ} [الممتحنة : ١٢]، أي: "ولا يقتلن أولادهن بعد الولادة أو قبلها"^(١٢).

قال الزمخشري: "يريد: وأد البنات"^(١٣).

قال البغوي: "أراد وأد البنات الذي كان يفعله أهل الجاهلية"^(١٤).

قال ابن كثير: "وهذا يشمل قتله بعد وجوده، كما كان أهل الجاهلية يقتلون أولادهم خشية الإملاق، ويعم قتله وهو جنين، كما قد يفعله بعض الجهلة من النساء، تطرح نفسها لئلا تحبل إما لغرض فاسد أو ما أشبهه"^(١٥).

عن عامر الشعبي - قال : "بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء، وعلى يده ثوب قد وضعه على كفه، ثم قال : «ولا تقتلن أولادكن». فقالت امرأة : تقتل أباءهم وتوصينا

(١) التفسير الميسر: ٥٥١.

(٢) تفسير ابن كثير: ٩٩/٨.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٨٧٠): ص ٣٣٥٠/١٠.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٢١٨): ص ٩٣٤/٣.

(٥) صفوة التفاسير: ٣٤٥/٣.

(٦) صحيح البخاري برقم (٧١٨٠) وصحيح مسلم برقم (١٧١٤).

(٧) تفسير ابن كثير: ٩٩/٨.

(٨) صفوة التفاسير: ٣٤٥/٣.

(٩) رواه الإمام أحمد في المسند (١٥/٥).

(١٠) تفسير ابن كثير: ٩٩/٨.

(١١) المسند (١٥١/٦).

(١٢) التفسير الميسر: ٥٥١.

(١٣) الكشاف: ٥٢٠/٤.

(١٤) تفسير البغوي: ١٠١/٨.

(١٥) تفسير ابن كثير: ١٠٠/٨.

بأولادهم؟ قال : وكان بعد ذلك إذا جاءت النساء يبايعنه، جمعهن فعرض عليهن، فإذا أقررن رجعن" (١).

قوله تعالى: {وَلَا يَأْتِيَنَّ بِهِنَّ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ} [المتحنة : ١٢]، أي: "ولا يلحقن بأزواجهن أولاداً ليسوا منهم" (٢).

قال الطبري: "يقول: ولا يأتين بكذب يكذبنه في مولود يوجد بين أيديهن وأرجلهن. وإنما معنى الكلام: ولا يلحقن بأزواجهن غير أولادهم" (٣).

قال الزمخشري: "كانت المرأة تلنقط المولود فتقول لزوجها: هو ولدى منك. كنى بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها عن الولد الذي تلصقه بزوجها كذبا، لأن بطنها الذي تحمله فيه بين اليدين، وفرجها الذي تلده به بين الرجلين" (٤).

قال ابن عباس: "يقول: لا يلحقن بأزواجهن غير أولادهم" (٥).

قال مقاتل: والبهتان أن تقذف المرأة ولدا من غير زوجها على زوجها، فتقول لزوجها هو منك وليس منه. قالت: والله إن البهتان لقبيح، ولبعض التجاوز أمثل، وما تأمر إلا بالرشد ومكارم الأخلاق" (٦).

عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول حين نزلت آية الملائنة : "أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم، فليست من الله في شيء، ولن يدخلها الله جنّته، وأيما رجل جدّ ولده وهو ينظر إليه، احتجب الله منه، وفضحه على رءوس الأولين والآخرين" (٧).

عن ابن عباس قال : "شهدت الصلاة يوم الفطر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان، فكلهم يصلونها قبل الخطبة ثم يخطب بعد، فنزل نبي الله صلى الله عليه وسلم، فكأنني أنظر إليه حين يجلس الرجال بيده، ثم أقبل يشقه حتى أتى النساء مع بلال فقال: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ} حتى فرغ من الآية كلها. ثم قال حين فرغ : "أنتن على ذلك؟". فقالت امرأة واحدة، ولم يجبه غيرها : نعم يا رسول الله - لا يدري الحسن من هي - قال : "فتصدقن"، قال : وبسط بلال ثوبه فجعلن يلقين الفتح والخواتيم في ثوب بلال" (٨).

عن عبادة بن الصامت قال : "كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس فقال : "تبايعوني على ألا تشركوا بالله شيئا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم - قرأ الآية التي أخذت على النساء {إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ} فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به، فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئا فستره الله عليه، فهو إلى الله، إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه" (٩).

عن عبادة بن الصامت قال : "كنت فيمن حضر العقبة الأولى، وكنا اثني عشر رجلا فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء، وذلك قبل أن يفرض الحرب، على ألا

(١) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ١٠٠/٨.

(٢) التفسير الميسر: ٥٥١.

(٣) تفسير الطبري: ٣٤٠/٢٣.

(٤) الكشاف: ٥٢٠/٤.

(٥) أخرجه الطبري: ٣٤٠/٢٣.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٠٦/٤-٣٠٧.

(٧) سنن أبي داود برقم (٢٢٦٣).

(٨) صحيح البخاري برقم (٤٨٩٥).

(٩) المسند (٣١٤/٥) وصحيح البخاري برقم (٤٨٩٤) وصحيح مسلم برقم (١٧٠٩).

نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف، وقال: "فإن وقَّيتم فلکم الجنة"^(١).

عن عائشة قالت: "جاءت هند بنت عتبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لتبايعه، فنظر إلى يدها فقال: "أذهبي فغيري يدك". فذهبت فغيرتها بحناء، ثم جاءت فقال: "أبايعك على ألا تشركي بالله شيئاً"، فبايعها وفي يدها سواران من ذهب، فقالت: ما تقول في هذين السوارين؟ فقال: "جمرتان من جمر جهنم"^(٢).

قوله تعالى: {وَلَا يَعْصِيكَ فِي مَعْرُوفٍ} [المتحنة: ١٢]، أي: "ولا يخالفنك في معروف تأمرهن به"^(٣).

قال الزمخشري: "فيما تأمرهن به من المحسنات وتنهاهن عنه من المقبحات"^(٤).

قال ابن كثير: "يعني: فيما أمرتهن به من معروف، ونهيتهن عنه من منكر"^(٥).

قال الطبري: "يقول: ولا يعصينك يا محمد في معروف من أمر الله عز وجل تأمرهن به. وذكر أن ذلك المعروف الذي شرط عليهن أن لا يعصين رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه هو النياحة"^(٦).

عن ابن عباس في قوله: {وَلَا يَعْصِيكَ فِي مَعْرُوفٍ} قال: "إنما هو شرط شرطه الله للنساء"^(٧).

وفي قوله تعالى: {وَلَا يَعْصِيكَ فِي مَعْرُوفٍ} [المتحنة: ١٢]، وجوه من التفسير:

أحدها: أن «المعروف» -ها هنا-: الطاعة لله ولرسوله، قاله ميمون بن مهران^(٨).

حكى ابن كثير عن ميمون بن مهران: "لم يجعل الله لنبيه طاعة إلا لمعروف، والمعروف: طاعة"^(٩).

الثاني: ما رواه شهر بن حوشب عن أم سلمة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- ولا يعصينك في معروف قال: هو النوح^(١٠).

عن أم سلمة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، في قوله: "وَلَا يَعْصِيكَ فِي مَعْرُوفٍ"، قال: «النوح»^(١١).

عن قتادة: "وَلَا يَعْصِيكَ فِي مَعْرُوفٍ"، قال: هو النوح أخذ عليهن لا ينحن، ولا يخلون بحديث الرجال إلا مع ذي محرم؛ قال: فقال عبد الرحمن بن عوف: إنا نغيب ويكون لنا أضياف؛ قال: «وليس أولئك عنيت»^(١٢).

عن سالم بن أبي الجعد: "وَلَا يَعْصِيكَ فِي مَعْرُوفٍ"، قال: النوح^(١٣).

عن أبي صالح، في قوله: "وَلَا يَعْصِيكَ فِي مَعْرُوفٍ"، قال: في نياحة"^(١٤).

عن ابن عباس، قوله: "وَلَا يَعْصِيكَ فِي مَعْرُوفٍ"، يقول: لا يُنْحَن"^(١٥).

(١) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٩٨/٨.

(٢) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٩٩/٨، وأبو يعلى في المسند (٤٧٥٤): ص ١٩٤/٨. [قال حسين سليم أسد: إسناده ضعيف].

(٣) التفسير الميسر: ٥٥١.

(٤) الكشاف: ٥٢٠/٤.

(٥) تفسير ابن كثير: ١٠٠/٨.

(٦) تفسير الطبري: ٣٤٠/٢٣.

(٧) صحيح البخاري برقم (٤٨٩٣).

(٨) انظر: النكت والعيون: ٥٢٥/٥، وتفسير ابن كثير: ١٠٠/٨.

(٩) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ١٠٠/٨.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٣٤٤/٢٣.

(١١) أخرجه الطبري: ٣٤٤/٢٣.

(١٢) أخرجه الطبري: ٣٤٢/٢٣.

(١٣) أخرجه الطبري: ٣٤١/٢٣.

(١٤) أخرجه الطبري: ٣٤١/٢٣.

قال ابن عباس: "كانت محنة النساء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: قل لهن: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئاً، وكانت هند بنت عتبة بن ربيعة التي شقت بطن حمزة رحمة الله عليه متكررة في النساء، فقالت: إني إن أتكلم يعرفني، وإن عرفني قتلني، إنما تنكرت فرقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسكت النسوة اللاتي مع هند، وأبين أن يتكلمن، قالت هند وهي متكررة: كيف يقبل من النساء شيئاً لم يقبله من الرجال؟ ففطر إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لعمر: قُلْ لهنَّ {وَلَا يَسْرِقْنَ}، قالت هند: والله إني لأصيب من أبي سفيان الهنات^(١) وما أدري أيجلهن لي أم لا قال أبو سفيان: ما أصبت من شيء مضى، أو قد بقي، فهو لك حلال فضحك رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وعرفها، فدعاها فأنته، فأخذت بيده، فعادت به، فقال: أنتِ هُنْدُ، فقالت: عفا الله عما سلف، فصرف عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: {وَلَا يَزْنِينَ}، فقالت: يا رسول الله وهل تزني الحرة؟ قال: لا والله ما تزني الحرة؛ قال: {وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ}، قالت هند: أنت قتلتهم يوم بدر فأنت وهم أبصر؛ قال: {وَلَا يَأْتِينَ بَهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ وَلَا يَعْصِيكَ فِي مَعْرُوفٍ}؛ قال: منعهن أن ينحن، وكان أهل الجاهلية يمزقن الثياب ويخدشن الوجوه، ويقطعن الشعور؛ ويدعون بالثبور والويل"^(٣).

عن أم عطية، قالت: "لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، جمع بين نساء الأنصار في بيت، ثم أرسل إلينا عمر بن الخطاب، فقام على الباب فسلم علينا، فرددن، أو فرددنا عليه، ثم قال: أنا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إليكن، قالت: فقلنا مرحباً برسول الله صلى الله عليه وسلم وبرسول رسول الله، فقال: تبايعن على أن لا تشركن بالله شيئاً، ولا تسرقن، ولا تزنين، قالت: قلنا نعم؛ قال: فمدّ يده من خارج الباب أو البيت، ومددنا أيدينا من داخل البيت، ثم قال: اللهم اشهد؛ قالت: وأمرنا في العيدين أن نخرج فيه الحيض والعواتق، ولا جمعة علينا، ونهانا عن اتباع الجنازة، قال إسماعيل: فسألت جدي عن قول الله: {وَلَا يَعْصِيكَ فِي مَعْرُوفٍ}، قالت: النياحة"^(٤).

عن أم عطية الأنصارية، قالت: "كان فيما اشترط علينا من المعروف حين بابعنا أن لا ننوح، فقالت امرأة من بني فلان: إن بني فلان أسعدوني، فلا حتى أجزيههم، فانطلقت فأسعدتهم، ثم جاءت فبايعت؛ قال: فما وفي منهن غيرها وغير أم سليم ابنة ملحان أم أنس بن مالك"^(٥).

عن مصعب بن نوح الأنصاري، قال: "أدركت عجوزاً لنا كانت فيمن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت: فأتيته لأبابعه، فأخذ علينا فيما أخذ ولا تُحْن، فقالت عجوز: يا نبي الله إن ناساً قد كانوا أسعدوني على مصائب أصابنتي، وإنهم قد أصابتهم مصيبة، فأنا أريد أن أسعدهم؛ قال: فانطلقني فكافئهم، ثم إنها أتت فبايعته، قال: هو المعروف الذي قال الله: {وَلَا يَعْصِيكَ فِي مَعْرُوفٍ}"^(٦).

عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: "جاءت أميمة بنت رقيقة إلى النبي صلى الله عليه وسلم تبايعه على الإسلام، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: "أبابعك على أن لا تُشركي بالله شيئاً، ولا تُسرقِي، ولا تُزني، ولا تُقتلي وكذلك، ولا تأتي بهتان فتفريته بين يديك ورجليك، ولا تُنوحِي ولا تُبرجِي تبرج الجاهلية الأولى"^(٧).

(١) أخرجه الطبري: ٣٤١/٢٣.

(٢) في تفسير ابن كثير (٩٧/٨) : الهنة، بالإفراد، والهنة الشيء اليسير. وجمعها: هنات وهنات.

(٣) أخرجه الطبري: ٣٤١/٢٣-٣٤٢.

(٤) أخرجه الطبري: ٣٤٥/٢٣-٣٤٦.

(٥) أخرجه الطبري: ٣٤٣/٢٣.

(٦) أخرجه الطبري: ٣٤٣/٢٣-٣٤٤.

(٧) أخرجه الطبري: ٣٤٣/٢٣.

الثالث : أن من المعروف ألا تخمش وجهها ولا تنشر شعرها ولا تشق جيباً ولا تدعو ويلاً ،
قاله أسيد بن أبي أسيد^(١).

الرابع : أن من المعروف أن لا يחדشن وجهاً، ولا يشققن جيباً، ولا يدعون ويلاً ولا ينشدن
شعراً. قاله ابن زيد^(٢).

الخامس : يعني: في طاعة الله- تعالى- فيما نهى عنه النبي- صلى الله عليه وسلم- عن النوح
وشد الشعر وتمزيق الثياب، أو تخلو مع غريب في حضر، ولا تسافر فوق ثلاثة أيام إلا مع ذي
محرم ونحو ذلك. قاله مقاتل^(٣).

السادس : ما روي عن قتادة، قال: "ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم أخذ عليهن يومئذ
النياحة، ولا تحدثن الرجال، إلا رجلاً منكناً محرماً، فقال عبد الرحمن بن عوف: يا نبي الله إن
لنا أضيافاً، وأنا نغيب عن نسائنا؛ قال: فقال رسول الله: «لَيْسَ أَوْلَيْكَ عَنَيْتُ»^(٤).

وعن قتادة، في قوله: "وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ"، قال: لا يحدثن رجلاً^(٥).
وروي عن زهير، في قول الله: "وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ"، قال: لا يخلوا الرجل
بامرأة^(٦).

وعن الحسن البصري، قال: "كان فيما أخذ عليهن أن لا يخلون بالرجال إلا أن يكون
محرماً، وإن الرجل قد ثلأطفه المرأة فيمذي في فخذه"^(٧).

السابع : أن «المعروف»: ما اشترط عليهن في البيعة أن يتبعن أمره. رواه عبيد عن
الضحاك^(٨).

الثامن: أنه عام في الأمور كلها وينبغي لهن أن لا يعصين، قاله ابن زيد^(٩)، ونحوه عن
الكلبي^(١٠).

قال ابن زيد: "إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نبيه وخيرته من خلقه ثم لم يستحل له
أمور أمر إلا بشرط لم يقل: ولا يعصينك ويترك، حتى قال: { فِي مَعْرُوفٍ } فكيف ينبغي لأحد
أن يطاع في غير معروف وقد اشترط الله هذا على نبيه، قال: فالمعروف كل معروف أمره به
في الأمور كلها وينبغي لهن أن لا يعصين"^(١١).

وروي أن هنداً قالت عند ذلك : " ما جلسنا في مجلسنا هذا، وفي أنفسنا أن نعصيك في
شيء"^(١٢).

قال الماوردي: " وهذا دليل على أن طاعة الولاة إنما تلزم في المعروف المباح دون
المنكر المحظور"^(١٣).

عن أميمة بنت رقيقة، قالت: " جاءت نسوة إلى النبي صلى الله عليه وسلم يباعنه، فقال:
فِيمَا اسْتَطَعْتُنَّ وَأَطَقْتُنَّ، فَقُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَرْحَمُ بِنَا مِنَّا بِأَنْفُسِنَا"^(١٤).

(١) انظر: النكت والعيون: ٥٢٥/٥.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٤١/٢٣.

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٠٦/٤-٣٠٧.

(٤) أخرجه الطبري: ٣٤٢/٢٣.

(٥) أخرجه الطبري: ٣٤٢/٢٣.

(٦) أخرجه الطبري: ٣٤٦/٢٣.

(٧) الدر المنثور: ١٤٤/٨، وعزاه إلى ابن سعد، وعبد بن حميد.

(٨) أخرجه الطبري: ٣٤٥/٢٣.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٣٤٥/٢٣.

(١٠) انظر: النكت والعيون: ٥٢٦/٥.

(١١) أخرجه الطبري: ٣٤٥/٢٣.

(١٢) نقلاً عن: تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٠٧/٤.

(١٣) النكت والعيون: ٥٢٦/٥.

(١٤) أخرجه الطبري: ٣٤٣/٢٣.

عن ابن المنكدر: "أن أميمة أخبرته أنها دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة، فقلن: يا رسول الله ابسط يدك نصافحك، فقال: "إني لا أصافح النساء، ولكن سأخذ عليكن، فأخذ علينا حتى بلغ: {وَلَا يَعصِيكَ فِي مَعْرِوفٍ}، فقال: "فيما أطفئن واستطعنن فقلن: الله أرحم بنا من أنفسنا"^(١).

عن أميمة بنت رقيقة التيمية، قالت: "بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة من المسلمين، فقلنا له: جئناك يا رسول الله نبايعك على أن لا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفترية بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيك في معروف؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فيما استطعنن وأطفئنن"، فقلنا: الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا، فقلنا: بايعنا يا رسول الله، فقال: "أذهبن فقد بايعنكن، إنما قولي لأمراً واحدة"، وما صافح رسول الله صلى الله عليه وسلم منا أحداً"^(٢).

قال الزمخشري: "فإن قلت: لو اقتصر على قوله: {وَلَا يَعصِيكَ}، فقد علم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأمر إلا بمعروف؟ قلت: نبه بذلك على أن طاعة المخلوق في معصية الخالق جديرة بغاية التوقي والاجتناب"^(٣).

قال البيضاوي: "التقييد بالمعروف مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يأمر إلا به تنبيه على أنه لا يجوز طاعة مخلوق في معصية الخالق"^(٤).
قوله تعالى: {فَبَايَعُنَّ} [الممتحنة: ١٢]، أي: "فعاهدهن على ذلك"^(٥).
قال الطبري: "يقول جل ثناؤه: إذا جاءك المؤمنات يبائعنك على هذه الشروط، فبائعهن"^(٦).

قوله تعالى: {وَأَسْتَغْفِرُ لَهُنَّ اللَّهُ} [الممتحنة: ١٢]، أي: "واطلب لهن المغفرة من الله"^(٧).
قال الطبري: "يقول: سل لهن الله أن يصفح عن ذنوبهن، ويسترها عليهن بعفوه لهن عنها"^(٨).

قال الشوكاني: "أي: اطلب من الله المغفرة لهن بعد هذه المبايعة لهن منك"^(٩).
قال السمعاني: "أي: قد غفر الله لكن"^(١٠).
قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [الممتحنة: ١٢]، أي: "إن الله غفور لذنوب عباده التائبين، رحيم بهم"^(١١).
قال الطبري: "يقول: إن الله ذو ستر على ذنوب من تاب إليه من ذنوبه أن يعدبه عليها بعد توبته منها"^(١٢).

قال مقاتل: {إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ} لما كان في الشرك {رَحِيمٌ} فيما بقي"^(١٣).
قال الشوكاني: "أي: بليغ المغفرة والرحمة لعباده"^(١٤).

(١) أخرجه الطبري: ٣٤٣/٢٣.

(٢) أخرجه الطبري: ٣٤٤/٢٣.

(٣) الكشاف: ٥٢٠/٤.

(٤) تفسير البيضاوي: ٢٠٧/٥.

(٥) التفسير الميسر: ٥٥١.

(٦) تفسير الطبري: ٣٤٦/٢٣.

(٧) التفسير الميسر: ٥٥١.

(٨) تفسير الطبري: ٣٤٦/٢٣.

(٩) فتح القدير: ٢٥٨/٥.

(١٠) تفسير السمعاني: ٤٢٢/٥.

(١١) التفسير الميسر: ٥٥١.

(١٢) تفسير الطبري: ٣٤٦/٢٣.

(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٠٦/٤-٣٠٧.

(١٤) فتح القدير: ٢٥٨/٥.

قال ابن إسحاق: {والله غفور رحيم}، " أي: يغفر الذنوب ، ويرحم العباد ، على ما فيهم" (١).
قال سلمة بن وهرام صاحب طاووس: " أن الله تبارك وتعالى إنما سمي نفسه «العفو»، ليعفو، و«الغفور»، ليعفو" (٢).

القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسُؤُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَبْئَسَ الْكُفَّارُ مِنَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ (١٣)} [المتحنة : ١٣]
التفسير:

يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله، لا تتخذوا الذين غضب الله عليهم؛ لكفرهم أصدقاء وأخلاء، قد يئسوا من ثواب الله في الآخرة، كما يئس الكفار المقبورون، من رحمة الله في الآخرة؛ حين شاهدوا حقيقة الأمر، وعلموا علم اليقين أنهم لا نصيب لهم منها، أو كما يئس الكفار من بعث موتاهم -أصحاب القبور-؛ لا اعتقادهم عدم البعث.
سبب النزول:

قال مقاتل: " يعني: اليهود، نزلت في عبد الله بن أبي، ومالك بن دخشم، كانت اليهود زينوا لهم ترك الإسلام فكان أناس من فقراء المسلمين يخبرون اليهود عن أخبار المسلمين ليتواصلوا بذلك فيصيبون من ثمارهم وطعامهم، فنهى الله- عز وجل- عن ذلك" (٣).
قال الثعلبي: " وذلك أن ناسا من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود بأخبار المسلمين ويتواصلونهم فيصيبون بذلك من ثمارهم، فنهاهم الله سبحانه عن ذلك" (٤).
قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ} [المتحنة : ١٣]، أي: "يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله، لا تتخذوا الذين غضب الله عليهم؛ لكفرهم أصدقاء وأخلاء" (٥).
قال الطبري: " يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ}، من اليهود" (٦).
قال قتادة: هم اليهود تولاهم: المنافقون" (٧).
قال الزجاج: " يعني: به اليهود" (٨).
قال ابن كثير: " يعني : اليهود والنصارى وسائر الكفار، ممن غضب الله عليه ولعنه واستحق من الله الطرد والإبعاد" (٩).
قال الشوكاني: " هم جميع طوائف الكفر، لأن جميع طوائف الكفر تتصف بأن الله سبحانه غضب عليها" (١٠).
قال ابن عباس: " ما أنزل الله آية في القرآن، يقول فيها: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}، إلا كان على شريفها وأميرها" (١١).

(١) أخرجه الطبري (٧٨٢٢): ص ٢٠٣/٧.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٣٧٩): ص ٩٦٣/٣.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٠٧/٤. وذكره ابن الجوزي في "زاد المسير": ٢٧٥/٤، والواحي في «الأسباب»: ٤٢٦، بدون إسناد ولا عزو لأحد، فهو لا شيء، وليس له أصل.
(٤) انظر: الكشف والبيان: ٢٩٩/٩.
(٥) التفسير الميسر: ٥٥١.
(٦) تفسير الطبري: ٣٤٦/٢٣.
(٧) أخرجه عبدالرزاق في "التفسير" (٣١٨٠): ٢٩٥/٣.
(٨) معاني القرآن: ١٦١/٥.
(٩) تفسير ابن كثير: ١٠٣/٨.
(١٠) فتح القدير: ٢٥٨/٥.
(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٣٥): ص ١٩٦/١.

قوله تعالى: {قَدْ يَيْسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَيْسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ} [المتحنة: ١٣]، أي: "قد يئسوا من ثواب الله في الآخرة، كما يئس الكفار المقبورون، من رحمة الله في الآخرة؛ حين شاهدوا حقيقة الأمر، وعلموا علم اليقين أنهم لا نصيب لهم منها"^(١). وفي قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ} [المتحنة: ١٣]،

وجهان من التفسير:

أحدهما: "قد يئسوا من ثواب الآخرة كما يئس أصحاب القبور بعد المعاينة من ثواب الآخرة، لأنهم عاينوا الأمر، وعرفوا أنهم أهل النار قطعاً. قاله ابن مسعود^(٢)، ومجاهد^(٣)، وعكرمة^(٤)، ومنصور^(٥)، وابن زيد^(٦)، والكلبي^(٧)، ومقاتل^(٨)، وبه قال الطبري^(٩)."

عن ابن مسعود: "كَمَا يَيْسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ" قال: كما يئس هذا الكافر إذا مات وعاين ثوابه واطلع عليه"^(١٠).

قال مجاهد: "يقول: كما يئس من مات منهم من ثواب الآخرة، ومن رحمة الله حين بين لهم أعمالهم الخبيثة"^(١١).

قال عكرمة: "أصحاب القبور قد يئسوا من الآخرة"^(١٢).

قال منصور: "قد يئسوا أن يكون لهم ثواب الآخرة، كما يئس من في القبور من الكفار من الخير، حين عاينوا العذاب والهوان"^(١٣).

قال الكلبي: "قد يئسوا من الآخرة، يعني اليهود والنصارى، يقول: قد يئسوا من ثواب الآخرة وكرامتها، كما يئس الكفار الذين قد ماتوا فهم في القبور من الجنة حين رأوا مقعدهم من النار"^(١٤).

قال مقاتل: "وذلك أن الكافر إذا دخل قبره أتاه ملك شديد الانتهاز، فأجلسه ثم يسأله: من ربك؟ وما دينك؟ ومن رسولك؟ فيقول: لا أدري. فيقول الملك: أيعدك الله، انظر يا عدو الله إلى منزلك من النار فينظر إليها، ويدعو بالويل. ويقول له الملك: هذا لك، يا عدو الله، فلو كنت آمنت بربك لدخلت الجنة. ثم فينظر إليها فيقول: لمن هذا؟ فيقول له الملك: هذا لمن آمن بالله. فيكون حسرة عليه، وينقطع رجاءه منها ويعلم عند ذلك أنه لاحظ له فيها، ويأس من خير الجنة، فذلك قوله لكفار أهل الدنيا الأحياء منهم: قَدْ يَيْسُوا مِنْ نَعِيمِ الْآخِرَةِ، بأنهم كذبوا بالثواب والعقاب وهم أيضاً آيسون من الجنة كما آيس هذا الكافر من أصحاب القبور حين عاينوا منازلهم من النار في الآخرة"^(١٥).

قال ابن زيد: "قد يئس هؤلاء الكفار من أن تكون لهم آخرة، كما يئس الكفار الذين ماتوا الذين في القبور من أن تكون لهم آخرة، لما عاينوا من أمر الآخرة، فكما يئس أولئك الكفار، كذلك يئس هؤلاء الكفار؛ قال: والقوم الذين غضب الله عليهم، يهودهم الذين يئسوا من أن تكون

(١) التفسير الميسر: ٥٥١.

(٢) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ١٠٣/٨.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٤٧/٢٣.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٣٤٨/٢٣.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٤٨/٢٣.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٣٤٨/٢٣.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٣٤٨/٢٣.

(٨) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٠٧/٤.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٣٤٨/٢٣-٣٤٩.

(١٠) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ١٠٣/٨.

(١١) تفسير مجاهد: ٦٥٧.

(١٢) أخرجه الطبري: ٣٤٨/٢٣.

(١٣) أخرجه الطبري: ٣٤٨/٢٣.

(١٤) أخرجه الطبري: ٣٤٨/٢٣.

(١٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٠٧/٤.

لهم آخرة، كما يؤس الكفار قبلهم من أصحاب القبور، لأنهم قد علموا كتاب الله وأقاموا على الكفر به، وما صنعوا وقد علموا^(١).

قال النحاس: "فمن أحسن ما قيل فيه- وهو معنى قول ابن زيد:- وقد يؤسوا من ثوب الآخرة، لأنهم كفروا بالنبى صلى الله عليه وسلم وجحدوا صفته، وهي مكتوبة عندهم، وقد وقفوا عليها، كما يؤس الكفار الذين قد ماتوا من ثواب الآخرة أيضا، لأنهم قد كفروا وجحدوا لكفر هؤلاء"^(٢).

قال ابن كثير: "يعني: اليهود والنصارى وسائر الكفار، ممن غضب الله عليه ولعنه واستحق من الله الطرد والإبعاد"^(٣).

الثاني: قد يؤسوا من ثواب الآخرة كما يؤس الكفار من بعث من في القبور، قاله ابن عباس^(٤).

قال الزجاج: "أي: كما يؤس الكفار الذين لا يوقنون بالبعث من موتاهم أن يُبعثوا، فقد يؤس اليهود والذين عاقدوا النبي - صلى الله عليه وسلم - من أن يكون لهم في الآخرة حظ"^(٥). قال ابن الجوزي: "وذلك أن اليهود بتكذيبهم محمداً، وهم يعرفون صدقه قد يؤسوا من أن يكون لهم في الآخرة خير، والمعنى: قد يؤسوا من ثواب الآخرة، هذا قول الجمهور، وهو الصحيح"^(٦).

قال الشوكاني: "أي: أنهم لا يوقنون بالآخرة ألبتة بسبب كفرهم، كيأسهم من بعث موتاهم لاعتقادهم عدم البعث"^(٧).

قال ابن عباس: "يعني: من مات من الذين كفروا، فقد يؤس الأحياء من الذين كفروا أن يرجعوا إليهم، أو يبعثهم الله"^(٨).

قال قتادة: "يقول: يؤسوا أن يُبعثوا كما يؤس الكفار أن ترجع إليهم أصحاب القبور الذين ماتوا"^(٩).

قال قتادة: "الكافر لا يرجو لقاء ميته ولا أجره"^(١٠).

قال الضحاك: "يقول من مات من الذين كفروا فقد يؤس الأحياء منهم أن يرجعوا إليهم، أو يبعثهم الله"^(١١).

عن منصور بن زاذان، عن الحسن البصري^(١٢) أنه قال في هذه الآية: {قَدْ يَسْأَلُونَ مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَسْأَلُونَ مِنَ الْقَبْرِ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ}، قال: "الكفار الأحياء قد يؤسوا من الأموات"^(١٣).

قال القشيري: "قد يؤسوا من الآخرة كما يؤس أصحاب القبور أن يعودوا إلى الدنيا ويبعثوا"^(١٤).

قال السمعاني: "فعلى القول الأول المراد من «الكفار»: هم الكفار الذين ماتوا، وعلى القول الثاني المراد من «الكفار»: هم الأحياء منهم"^(١٥).

(١) أخرجه الطبري: ٣٤٨/٢٣.

(٢) إعراب القرآن: ٢٧٥/٤.

(٣) تفسير ابن كثير: ١٠٣/٨.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٣٤٦/٢٣-٣٤٧.

(٥) معاني القرآن: ١٦١/٥.

(٦) زاد المسير: ٢٧٥/٤.

(٧) فتح القدير: ٢٥٨/٥.

(٨) أخرجه الطبري: ٣٤٦/٢٣-٣٤٧.

(٩) أخرجه الطبري: ٣٤٧/٢٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٣٤٧/٢٣.

(١١) أخرجه الطبري: ٣٤٧/٢٣.

(١٢) في المطبوع «حسين»، والصحيح الحسن كما في تفسير ابن كثير: ١٠٣/٨.

(١٣) أخرجه الطبري: ٣٤٧/٢٣.

(١٤) لطائف الإشارات: ٥٧٤/٣.

(١٥) تفسير السمعاني: ٤٢٣/٥.

قال الطبري: "الصواب قول من قال: قد يؤس هؤلاء الذين غضب الله عليهم من اليهود من ثواب الله لهم في الآخرة، وكرامته لكفرهم وتكذيبهم رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم على علم منهم بأنه لله نبي، كما يؤس الكفار منهم الذين مضوا قبلهم فهلكوا، فصاروا أصحاب القبور، وهم على مثل الذي هؤلاء عليه من تكذيبهم عيسى؛ صلوات الله عليه وغيره من الرسل، من ثواب الله وكرامته إياهم، وإنما قلنا: ذلك أولى القولين بتأويل الآية، لأن الأموات قد يؤسوا من رجوعهم إلى الدنيا، أو أن يُبعثوا قبل قيام الساعة المؤمنون والكفار، فلا وجه لأن يخص بذلك الخبر عن الكفار، وقد شركهم في الإياس من ذلك المؤمنون"^(١).

فوائد الآيتين: [١٢-١٣]:

١- مشروعية أخذ البيعة لإمام المسلمين ووجوب الوفاء بها.
٢- حرمة الشرك وما ذكر معه من السرقة والزنا وقتل الأولاد والكذب والبهتان وإحراق الولد بغير أبيه.

٣- حرمة النياحة وما ذكر معها من شق الثياب وخمش الوجوه والتحدث مع الرجال الأجانب.

٤- بعد الحرة كل البعد من الزنا، إذ قالت هند -وهي تباع-: "أو تزني الحرة؟".

عن عائشة-رضي اله عنها-، قالت: "جاءت هند بنت عتبة بن ربيعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لتباعه، فنظر إلى يديها فقال لها: «أذهبي فغيري يدك». قال: فذهبت فغيرتها بحناء، ثم جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «أبايعك على أن لا تشركي بالله شيئاً ولا تسرقي ولا تزني». قالت: أو تزني الحرة؟ قال: «ولا تقتلن أولادكن خشية إملاق». قالت: وهل تركت لنا أولادا نقتلهم؟ قال: فبايعته ثم قالت له وعليها سواران من ذهب ما تقول في هذين السوارين؟ قال: «جمرتان من جمر جهنم»^(٢).

قال الشعراوي: "أما الحرائر في الجاهلية، فكانت لهن كرامة وعفة، في حين كانت تُقام للإماء أماكن خاصة للدعارة والعياذ بالله؛ لذلك لما أخذ رسول الله العهد على النساء المؤمنات ألا يزنين قالت امرأة أبي سفيان: أو تزني الحرة يا رسول الله؟ يعني: هذا شيء مستنكف من الحرة، حتى في الجاهلية"^(٣).

٥- حرمة مصافحة النساء لقوله صلى الله عليه وسلم في البيعة: «إني لا أصافح النساء، إنما قولى لمائة امرأة كقولى لامرأة واحدة»^(٤).

٦- حرمة موالاته اليهود بالنصرة والمحبة.

«آخر تفسير سورة (المتحنة)، والحمد لله وحده»

(١) تفسير الطبري: ٣٤٨/٢٣-٣٤٩.

(٢) مسند أبي يعلى (٤٧٥٤): ص ١٩٤/٨. قال ابن كثير: (٩٨/٨): "هذا أثر غريب، وفي بعضه نكارة، والله أعلم؛ فإن أبا سفيان وامراته لما أسلما لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يخيفهما، بل أظهر الصفاء والود له، وكذلك كان الأمر من جانبه، عليه السلام، لهما".

(٣) تفسير الشعراوي: ١٢٠٢٢/١٩.

(٤) حديث عبد الله بن الزبير: أخرجه ابن سعد (٢٣٦/٨)، حديث أميمة بنت ربيعة التيمية: أخرجه أحمد (٣٥٧/٦)، رقم ٢٧٠٥٢، والترمذي (١٥١/٤)، رقم ١٥٩٧، وقال: حسن صحيح. والنسائي (١٤٩/٧)، رقم ٤١٨١، وابن سعد (٥/٨)، والطبراني (١٨٦/٢٤)، رقم ٤٧١، والبيهقي (١٤٨/٨)، رقم ١٦٣٤٥، وابن ماجه (٩٥٩/٢)، رقم ٢٨٧٤.

بسم الله الرحمن الرحيم تفسير سورة «الصف»

«سورة الصف» هي السورة الواحدة والستون من سور القرآن الكريم، تليها سورة «الجمعة» وتسبقها «سورة الممتحنة» في ترتيب سور المصحف، آياتها أربع عشرة. وكلماتها مائتان وإحدى وعشرون. وحروفها تسعمائة. مجموع فواصل آياتها: «صمن»، وعلى «الصاد» آية واحدة: {مَرْصُوصٌ} [الصف: ٤] ^(١).

■ أسماء السورة:

■ أولاً: اسمها التوقيفي: «سورة الصف»:

اشتهرت هذه السورة باسم «سورة الصف» وكذلك سميت في عصر الصحابة. أخرج ابن أبي حاتم بسنده عن عبد الله بن سلام: " أن أناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: لو أرسلنا إلى رسول الله نساله عن أحب الأعمال إلى الله عز وجل؟ فلم يذهب إليه أحد منا، وهبنا أن نساله عن ذلك، قال: فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك نفر رجلاً رجلاً حتى جمعهم، ونزلت فيهم هذه السورة: «سبح»، الصف. قال عبد الله بن سلام: فقرأها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها. قال أبو سلمة: وقرأها علينا عبد الله بن سلام كلها، قال يحيى بن أبي كثير وقرأها علينا أبو سلمة كلها. قال الأوزاعي: وقرأها علينا يحيى بن أبي كثير كلها. قال أبي: وقرأها علينا الأوزاعي كلها ^(٢). وبذلك عنونت في «صحيح البخاري» ^(٣)، وفي «جامع الترمذي» ^(٤)، وكذلك كتب اسمها في المصاحف وفي كتب التفسير، ووجه التسمية وقوع لفظ {صَفًّا} [الصف: ٤] فيها، وهو صف القتال، فالتعريف باللام تعريف العهد ^(٥).

■ ثانياً: اسمها الاجتهادي: «سورة الحواريين»:

ذكر السيوطي في «الإتقان»: أنها تسمى «سورة الحواريين» ولم يسنده، فتسميتها «سورة الحواريين» لذكر الحواريين فيها. ولعلها أول سورة نزلت ذكر فيها لفظ الحواريين ^(٦). وقال الألوسي: تسمى «سورة عيسى» ^(٧)، ولم أقف على نسبه لقائل. وأصله للطبرسي فلعله أخذ من حديث رواه في فضلها عن أبي بن كعب بلفظ: «من قرأ سورة عيسى (عليه السلام) كان عيسى مصلياً عليه مستغفراً له مادام في الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه» ^(٨). وهو حديث موسوم بأنه موضوع. والطبرسي يكثر من تخريج الأحاديث الموضوعية. وإذا ثبت تسميتها «سورة عيسى» فلما فيها من ذكر عيسى [الصف: ٦ و١٤] مرتين ^(٩).

■ مكية السورة ومدنيتها:

وفيه قولان:

أحدهما: أنها مدنية، قاله ابن عباس ^(١٠)، والحسن ^(١١)، ومجاهد ^(١٢)، وعكرمة ^(١)، وقتادة ^(٢)، وهو قول الجمهور ^(٣).

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٢/١، والتحرير والتنوير: ١٧١/٢٨.

(٢) كما في تفسير ابن كثير: ١٠٤/٨.

(٣) انظر: صحيح البخاري: ١٥١/٦.

(٤) انظر: سنن الترمذي: ٤١٢/٥.

(٥) انظر: التحرير والتنوير: ١٧١/٢٨.

(٦) انظر: التحرير والتنوير: ١٧١/٢٨.

(٧) انظر: روح المعاني: ٢٧٧/١٤.

(٨) الكشف والبيان: ٣٠١/٩.

(٩) انظر: التحرير والتنوير: ١٧١/٢٨.

(١٠) انظر: زاد المسير: ٢٧٦/٤.

(١١) انظر: زاد المسير: ٢٧٦/٤.

(١٢) انظر: زاد المسير: ٢٧٦/٤.

الثاني: أنها مكّية، قاله مكي عن ابن عباس^(٤)، والمهدوي عن عطاء ومجاهد^(٥)، وحكاه ابن الجوزي عن ابن يسار^(٦).
قال ابن عطية: القول "الأول أصح، لأن معاني السورة تعضده ويشبه أن يكون فيها المكي والمدني"^(٧).

قال ابن الجوزي: "هي مدنيّة كلّها بإجماعهم"^(٨).

قال ابن عاشور: "هي مدنية عند الجمهور كما يشهد لذلك حديث عبد الله بن سلام"^(٩).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

تظهر مناسبة هذه السورة لما قبلها من وجهين:

١- نهت السورة السابقة في مطلعها وأثنائها وختامها عن موالاتة الكفار من دون المؤمنين، وأمرت هذه السورة بوحدة الأمة ووقوفها صفا واحدا تجاه الأعداء.

٢- ذكرت السورة المتقدمة أحكام العلاقات الدولية بين المسلمين وغيرهم داخل الدولة الإسلامية وخارجها، وقت السلم، وحرّضت هذه السورة على الجهاد ورغبت فيه بسبب العدوان، وأثبت التاركين للقتال وشبهتهم ببني إسرائيل الذين عصوا موسى عليه السلام حين نذبتهم للقتال، ثم عصوا عيسى عليه السلام حين أمرهم باتباعه بعد إتيانه بالبينات والمعجزات، واتباع النبي محمد صلى الله عليه وسلم الذي بشر به^(١٠).

■ أغراض السورة ومقاصدها

تعنى «سورة الصف» بالأحكام التشريعية، وتتحدث عن موضوع اتحاد المسلمين لمجاهدة أعداء الله، وعن التجارة الرباحة التي بها سعادة المؤمن في الدنيا والآخرة، وقد جاءت مقاصد سورة الصف تفصيلاً كالتالي:

١- الإقرار بأن الله سبحانه وتعالى منزّه من كل عيب عزيز لا يحتاج لمخلوقاته حكيم في خلقه وأمره ونهيه أمر الناس بما يسعدهم ويحقق لهم صلاح دنياهم وآخرتهم، وهو قادر على أن يجبرهم على فعل أمره ونهيه لكن لحكمة هو يعلمها، جعل الناس مختارون لأفعالهم فيربح من يربح بإرادته ويخسر من يخسر بشهوته وطول أمانيه.

٢- الإنكار على المؤمنين الذين يقولون مالا يفعلون، لأن الإيمان هو قول يصدّقه الفعل وجهاد بالأموال والأنفس، وهو التزام بالهدى ودين الحق. والأمر بالإخلاص في العمل لأجل نصرة الدين بالأفعال لا بالأقوال، وبالعامل الجماعي الذي يحبّه الله، باذلين أموالهم وأرواحهم في سبيل نشر الدين الواحد الذي أراد الله أن يتمّه ويظهره على الدين كله.

٣- تحذير المسلمين بأن لا يكونوا مثل بني إسرائيل الذين آذوا نبيهم موسى بالقول والفعل، آمنوا ابتداء ثم اتهموه بالكذب، ثم عنادهم عيسى حين جاءهم بما سبق وأن جاءهم به موسى من التوراة والتي بشرت برسالته، ثم تكذيبهم للحق حين جاءهم به محمد صلى الله عليه وسلم وبما سبق وأن بشر به عيسى عليه السلام.

(١) انظر: زاد المسير: ٢٧٦/٤.

(٢) انظر: زاد المسير: ٢٧٦/٤.

(٣) انظر: المحرر الوجيز: ٣٠١/٥، وزاد المسير: ٢٧٦/٤.

(٤) انظر: المحرر الوجيز: ٣٠١/٥.

(٥) انظر: المحرر الوجيز: ٣٠١/٥.

(٦) انظر: زاد المسير: ٢٧٦/٤. ابن يسار: هو محمد بن إسحاق بن يسار، المُطَّلبيّ بالولاء، من أهل المدينة،

سكن العراق، إمام في المغازي والسير النبوية، رُمي بالتشيع والقدر، صدوق يُدلس، مات ببغداد سنة (١٥١ هـ)، وقيل بعدها. انظر: "وفيات الأعيان" ٢٧٦/٤، "تذكرة الحفاظ" ١/١٧٢، "تهذيب التهذيب" ٣/٥٠٤.

(٧) المحرر الوجيز: ٣٠١/٥.

(٨) زاد المسير: ٢٦٦/٤.

(٩) التحرير والتنوير: ١٧٢/٢٨.

(١٠) انظر: التفسير المنير للزحيلي: ١٥٧/٢٨.

٤- بافتراء الكافرين الكذب، واختلاقه على الله، وقولهم عن كلامه سحر، ورسوله ساحر، لن يهديهم الله وقد ظلموا أنفسهم بكفرهم بما أنزل من الحق.

٥- التأكيد على أن اليهود والنصارى والمنافقين ومن الالهة لن يطفنوا نور الله بما يقولون من الكذب، ولو بذلوا كل الأسباب لإطفاء نور الله فإنهم مغلوبون، وقد تكفل الله بنصر دينه وإتمام الحق الذي أرسل به رسله وإظهاره على سائر الأديان.

٦- إرشاد من أرحم الراحمين لعباده المؤمنين إلى أعظم تجارة يحصل بها الفوز في الدنيا والآخرة والنجاة من العذاب الأليم: {تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ} [الصف : ١١].

٧- أمر الله تعالى أمّة محمد صلى الله عليه وسلم، أن يكونوا أنصار الله ودعاة دينه، فينصرهم الله كما نصر من قبلهم عيسى عليه السلام وأصحابه المخلصين، ويظهرهم على عدوهم. قال الزحيلي: "إن محور السورة وموضوعها هو القتال وجهاد الأعداء، والتضحية في سبيل الله تعالى، وبيان ثواب المجاهدين العظيم، وذلك من الأحكام التشريعية التي تعنى بها السور المدنية عادة"^(١).

■ الناسخ والمنسوخ:

السورة محكمة، خالية عن الناسخ والمنسوخ^(٢).

■ فضائل السورة:

عن عبد الله بن سلام قال: "تذاكرنا أيكم يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسأله: أي الأعمال أحب إلى الله؟ فلم يقم أحد منا، " فأرسل إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا فجمعنا، فقرأ علينا هذه السورة، يعني: سورة الصف كلها"^(٣).

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

(١) التفسير المنير: ١٥٨/٢٨.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٢/١.

(٣) المسند (٢٣٧٨٨): ص ٢٠٥/٣٩، وأخرجه أبو إسحاق في "السير" (٥٤٦)، والدارمي (٢٣٩٠)، والترمذي (٣٣٠٩)، وأبو يعلى (٧٤٩٩)، وابن حبان (٤٥٩٤)، والطبراني في "الكبير - قطعة من ج ١٣" (٤٠٦)، والحاكم ٦٩/٢ و ٢٢٨-٢٢٩ و ٤٨٦-٤٨٧، والبيهقي ١٥٩/٩-١٦٠، والذهبي في "سير أعلام النبلاء" ٤٢٤/٢.

القرآن

{سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١)} [الصف : ١]

التفسير:

نزّه الله عن كل ما لا يليق به كل ما في السموات وما في الأرض، وهو العزيز الذي لا يغالب، الحكيم في أقواله وأفعاله.

قوله تعالى: {سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} [الصف : ١]، أي: "نزّه الله عن كل ما لا يليق به كل ما في السموات وما في الأرض"^(١).

قال الطبري: "يقول جلّ ثناؤه: {سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ} السبع {وَمَا فِي الْأَرْضِ} من الخلق، مُدْعِنِينَ لَهُ بِالْأَلُوْهَةِ وَالرَّبُّوبِيَّةِ"^(٢).

قال مقاتل: "يعني: ذكر الله {مَا فِي السَّمَاوَاتِ} من الملائكة، {وَمَا فِي الْأَرْضِ} من شيء من الخلق غير كفار الجن والإنس"^(٣).

قال النحاس: "{سَبَّحَ}: عظم ورفع. مشتق من: السباحة، وهي الارتفاع، والتقدير: ما في السموات وما في الأرض"^(٤).

قوله تعالى: {وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [الصف : ١]، أي: "وهو العزيز الذي لا يغالب، الحكيم في أقواله وأفعاله"^(٥).

قال الطبري: "{وَهُوَ الْعَزِيزُ} في نغمته ممن عصاه منهم، فكفر به، وخالف أمره {الْحَكِيمُ} في تدبيره إياهم"^(٦).

القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢)} [الصف : ٢]

التفسير:

يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، لِمَ تَعِدُونَ وَعَدَاءً، أَوْ تَقُولُونَ قَوْلًا وَلَا تَفْعَلُونَ بِهِ؟! اختلف أهل التفسير في السبب الذي من أجله أنزلت هذه الآيات: [١-٤]، على أقوال:

أحدها: أنها نزلت في قوم قالوا: لو عملنا أحب الأعمال إلى الله لسارنا إليه، فلما نزل فرض الجهاد تناقلوا عنه، قاله ابن عباس^(٧)، ومجاهد^(٨)، وزيد بن أسلم^(٩).

عن زيد بن أسلم قال: "نزلت هذه الآية في نفر من الأنصار فيهم عبد الله بن رَوَاحَةَ قالوا في مجلس: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله لعملنا به حتى نموت فأُنزل الله هذه فيهم فقال ابن رَوَاحَةَ: لا أبرح حبيساً في سبيل الله حتى أموت شهيداً"^(١٠).

عن أبي سلمة، عن عبد الله بن سلام قال: "تذاكرنا أيكم يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسأله: أي الأعمال أحب إلى الله؟ فلم يبق أحد منا، فأرسل إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً فجمعنا، فقرأ علينا هذه السورة، يعني: سورة الصف كلها"^(١١). [صحيح]

(١) التفسير الميسر: ٥٥١.

(٢) تفسير الطبري: ٣٥٠/٢٣.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣١٥/٤.

(٤) إعراب القرآن: ٢٣٢/٤.

(٥) التفسير الميسر: ٥٥١.

(٦) تفسير الطبري: ٣٥٠/٢٣.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٣٥٤-٣٥٣/٢٣.

(٨) انظر: الطبري: ٣٥٤/٢٣.

(٩) .

(١٠) .

(١١) أخرجه أحمد في المسند (٢٣٧٨٨): ص ٢٠٥/٣٩، وأخرجه أبو إسحاق في "السير" (٥٤٦)، والدارمي (٢٣٩٠)، والترمذي (٣٣٠٩)، وأبو يعلى (٧٤٩٩)، وابن حبان (٤٥٩٤)، والطبراني في "الكبير - قطعة من ج ١٣" (٤٠٦)، والحاكم ٦٩/٢ و ٢٢٨-٢٢٩ و ٤٨٦-٤٨٧، والبيهقي ١٥٩/٩-١٦٠، والذهبي في "سير

قال ابن عباس: "ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون: لوددنا أن الله دلنا على أحب الأعمال إليه، فنعمل به، فأخبر الله نبيه أن أحب الأعمال إليه إيمان بالله لا شك فيه، وجاهد أهل معصيته الذين خالفوا الإيمان ولم يقرؤا به؛ فلما نزل الجهاد، كره ذلك أناس من المؤمنين، وشق عليهم أمره، فقال الله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ)"^(١).

قال ابن عباس: "كان قوم يقولون: والله لو أنا نعلم ما أحب الأعمال إلى الله؟ لعملناه، فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبِرَ مَقْتًا) ... إلى قوله: (بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ) فدلهم على أحب الأعمال إليه"^(٢).

عن مجاهد، في قول الله: (لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ) ... إلى قوله: (مَرْصُوصٌ)، فيما بين ذلك في نفر من الأنصار فيهم عبد الله بن رواحة، قالوا في مجلس: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله لعملنا بها حتى نموت، فأنزل الله هذا فيهم، فقال عبد الله بن رواحة: لا أزال حبيساً في سبيل الله حتى أموت، فقتل شهيداً"^(٣).

عن أبي صالح، قال: "قالوا: لو كنا نعلم أي الأعمال أحب إلى الله وأفضل، فنزلت: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ) فكهوا، فنزلت: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ)"^(٤).

وقال محمد بن كعب القرظي: "لما أخبر الله تعالى رسوله - صلى الله عليه وسلم - بثواب شهداء بدر؛ قالت الصحابة: اللهم، اشهد، لنن لفتينا قتالاً لنفرغن فيه وسعنا. ففرؤوا يوم أحد، فغيرهم الله بذلك بهذه الآية"^(٥).

قال مقاتل بن حيان: "قال المؤمنون: لو نعلم أحب الأعمال إلى الله لعملناه فدلهم على أحب الأعمال إليه فقال: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا) [الصف: ٤]، فبين لهم فابتلوا يوم أحد بذلك فولوا عن النبي صلى الله عليه وسلم مدبرين فأنزل الله في ذلك: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ)؟ وقال: أحبكم إلي من قاتل في سبيلي"^(٦).

قال الفراء: "كان المسلمون يقولون: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله لأتيناها، ولو ذهبت فيه أنفسنا وأموالنا، فلما كانت وقعة أحد فتولوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى شج وكسرت رباعيته، فقال: (لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ) لذلك"^(٧).

الثاني: أنها نزلت في قوم كان يقول الرجال منهم: قاتلت ولم يقاتل، وطعنت، ولم يطعن، وضربت، ولم يضرب وصبرت، ولم يصبر، وهذا مروى عن عكرمة^(٨)، وقتادة^(٩)، والضحاك^(١٠).

عن قتادة، في قوله تعالى: (لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ) [الصف: ٢] قال: "بلغني أنها نزلت في الجهاد، قال: كان رجل يقول: «قاتلت وفعلت، ولم يكن يفعل، فوعظهم الله في ذلك أشد الموعظة"^(١١).

أعلام النبلاء" ٤٢٤/٢ من طرق عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن عبد الله بن سلام. ووقع في مطبوع الطبراني مكان "يحيى بن أبي كثير": يحيى بن أكنم، وهو تحريف.

(١) أخرجه الطبري: ٣٥٣/٢٣-٣٥٤.

(٢) أخرجه الطبري: ٣٥٤/٢٣.

(٣) أخرجه الطبري: ٣٥٤/٢٣.

(٤) أخرجه الطبري: ٣٥٤/٢٣.

(٥) تفسير الثعلبي ٣٠٢/٩، وتفسير البغوي ١٠٤/٨.

(٦) نقلا عن تفسير ابن كثير: ١٠٦/٨.

(٧) معاني القرآن: ١٥٣/٣.

(٨) انظر: النكت والعيون ٥٢٧/٥.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٣٥٥/٢٣، و تفسير عبدالرزاق (٣٢٠٩): ص ٣٠٧/٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٣٥٥/٢٣.

(١١) أخرجه الطبري: ٣٥٥/٢٣، وعبدالرزاق في "التفسير" (٣٢٠٩): ص ٣٠٧/٣.

عن قتادة، قوله: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ"، يؤذنههم ويعلمهم كما تسمعون {كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ}، وكانت رجال تخبر في القتال بشيء لم يفعلوه ولم يبلغوه، فرعظهم الله في ذلك موعظة بليغة، فقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ} .. إلى قوله: {كَانَتْهُمْ بُيُوتًا مَرصُوصًا} (١).

قال عبيد: "سمعت الضحاك يقول في قوله: {لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ} أنزل الله هذا في الرجل يقول في القتال ما لم يفعله من الضرب والطعن والقتل، قال الله: {كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ} (٢).

الثالث: أنها نزلت في المنافقين كانوا يقولون للنبي -صلى الله عليه وسلم- ولأصحابه إن خرجتم وقاتلتم خرجنا معكم وقاتلنا فلما خرجوا نكصوا عنهم وتخلفوا. وهذا قول الحسن (٣)، وابن زيد (٤).

قال الحسن: "يعني: المنافقين نسبهم إلى الإسلام الذي أظهروا، وهو الإقرار، وكانوا يقولون: نجاهد مع رسول الله، ونؤمن به، فإذا جاء الجهاد بعدوا عنه" (٥).

عن ابن وهب: "قال ابن زيد، في قول الله: {كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ}، يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه: لو خرجتم خرجنا معكم، وكنا في نصركم، وفي، فأخبرهم أنه {كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ} (٦).

قال الطبري: "وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية قول من قال: عنى بها الذين قالوا: لو عرفنا أحب الأعمال إلى الله لعملنا به، ثم قصرنا في العمل بعد ما عرفوا. وإنما قلنا: هذا القول أولى بها، لأن الله جل ثناؤه خاطب بها المؤمنين، فقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} ولو كانت نزلت في المنافقين لم يسموا، ولم يوصفوا بالإيمان، ولو كانوا وصفوا أنفسهم بفعل ما لم يكونوا فعلوه، كانوا قد تعمدوا قيل الكذب، ولم يكن ذلك صفة القوم، ولكنهم عندي أمّلوا بقولهم: لو علمنا أحب الأعمال إلى الله عملناه أنهم لو علموا بذلك عملوه؛ فلما علموا ضعفت قوى قوم منهم، عن القيام بما أمّلوا القيام به قبل العلم، وقوي آخرون فقاموا به، وكان لهم الفضل والشرف" (٧).

قال الماوردي: "وهذه الآية وإن كان ظاهرها الإنكار لمن قال ما لا يفعل فالمراد بها الإنكار لمن لم يفعل ما قال، لأن المقصود بها القيام بحقوق الالتيام دون إسقاطه" (٨). قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} [الصف: ٢]، أي: "يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه" (٩).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين آمنوا صدّقوا الله ورسوله" (١٠). قوله تعالى: {لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ} [الصف: ٢]، أي: "لم تعدون وعدًا، أو تقولون قولاً ولا تفون به؟!" (١١).

قال الطبري: يقول: "لم تقولون القول الذي لا تصدّقونه بالعمل، فأعمالكم مخالفة أقوالكم" (١٢).

(١) أخرجه الطبري: ٣٥٥/٢٣.

(٢) أخرجه الطبري: ٣٥٥/٢٣.

(٣) تفسير ابن أبي زمنين: ٣٨٢/٤، وتفسير الثعلبي: ٣٠٢/٩.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٣٥٥/٢٣.

(٥) تفسير ابن أبي زمنين: ٣٨٢/٤، وتفسير الثعلبي: ٣٠٢/٩.

(٦) أخرجه الطبري: ٣٥٥/٢٣.

(٧) تفسير الطبري: ٣٥٦-٣٥٥/٢٣.

(٨) النكت والعيون: ٥٢٧/٥.

(٩) التفسير الميسر: ٥٥١.

(١٠) تفسير الطبري: ٣٥٥/٢٣.

(١١) التفسير الميسر: ٥٥١.

(١٢) تفسير الطبري: ٣٥٥/٢٣.

قال السعدي: "أي: لم تقولون الخير وتحثون عليه، وربما تمدحتم به وأنتم لا تفعلونه، وتتهون عن الشر وربما نزهتم أنفسكم عنه، وأنتم متلوثون به ومتصفون به. فهل تليق بالمؤمنين هذه الحالة الذميمة؟ أم من أكبر المقت عند الله أن يقول العبد ما لا يفعل؟ ولهذا ينبغي للأمر بالخير أن يكون أول الناس إليه مبادرة، وللناهي عن الشر أن يكون أبعد الناس منه، قال تعالى: {اتَّأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} [البقرة: ٤٤]، وقال شعيب -عليه الصلاة والسلام- لقومه: {وَمَا أَرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ} [هود: ٨٨]"^(١).

قال ابن كثير: "قوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ}؟ إنكار على من يعدّ عِدَّةً، أو يقول قولاً لا يفي به، ولهذا استدل بهذه الآية الكريمة من ذهب من علماء السلف إلى أنه يجب الوفاء بالوعد مطلقاً، سواء ترتب عليه عُرم للموعود أم لا. واحتجوا أيضاً من السنة بما ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، إذا وعد أخلف، وإذا أوّتمن خان»^(٢) وفي الحديث الآخر في الصحيح: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه واحدة منهن كانت فيه حصّلة من نفاق حتى يدعها»^(٣) - فذكر منهن إخلاف الوعد»^(٤).

روي عن أبي حرب بن أبي الأسود الديلي عن أبيه قال: "بعث أبو موسى إلى قراء أهل البصرة، فدخل عليه منهم ثلاثمائة رجل، كلهم قد قرأ القرآن، فقال: أنتم قراء أهل البصرة وخيارهم. وقال: كنا نقرأ سورة كنا نشبهها بإحدى المسبحات، فأنسيناها، غير أنني قد حفظت منها: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ} فتكتب شهادة في أعناقكم، فتسألون عنها يوم القيامة»^(٥).

القرآن

{كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٣)} [الصف: ٣]

التفسير:

عَظُمَ بَعْضًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا بِأَلْسِنَتِكُمْ مَا لَا تَفْعَلُونَهُ.

قال الطبري: "يقول: عظم مقْتًا عند ربكم قولكم ما لا تفعلون"^(١).

قال سهل: "إن الله هدّد عباده على دعواهم من غير تحقيق، والدعوى أن يلزمه اليوم حق من حقوق الله براءة وتوبة من كل ذنب ارتكبه، فيقول غداً أعمل، وما من أحد ادعى إلا وقد ضيع حق الله من وجهين، ظاهر وباطن، ولا يكون المدعي خائفاً، ومن لم يكن خائفاً لم يكن آمناً، ومن لم يكن آمناً لم يكن يطلع على الجزاء. وقال: طلاب الآخرة كثيرة، والذي يتولى الله كفايته عبدان، عبد ساذج غير أنه صادق في طلبه، متوكل على الله، فيصدقه فيكفيه مولاه، ويتولى جميع أموره وعبد عالم بالله وبأيامه وأمره ونهيه، كفاه الله كل شيء من هذه الدنيا، فإذا صار إلى الآخرة ما سوى هذين لا يعبأ الله بهم، لأنهم يدعون ما ليس لهم"^(٢).

وقال ابن عيينة في هذه الآية: "لم تقولون ما ليس الأمر فيه لكم، لا تدرّون تفعلون ذلك أم لا تفعلون"^(٣).

(١) تفسير السعدي: ٨٥٨.

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٣) وصحيح مسلم برقم (٥٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) صحيح البخاري برقم (٣٤) وصحيح مسلم برقم (٥٨) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٤) تفسير ابن كثير: ١٠٥/٨.

(٥) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ١٠٧/٨.

(٦) تفسير الطبري: ٣٥٠/٢٣.

(٧) تفسير التستري: ١٦٧.

(٨) نقلاً عن: تفسير التستري: ١٦٧.

عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال : "أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتنا وأنا صبي قال : فذهبت لأخرج لألعب، فقالت أمي : يا عبد الله : تعال أعطك. فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : "وما أردت أن تُعطيهِ؟". قالت : تمرًا. فقال : "أما إنك لو لم تفعلني كُتبت عليك كذبة"^(١).

قال ابن كثير: " ذهب الإمام مالك، رحمه الله، إلى أنه إذا تعلق بالوعد عُرم على الموعود وجب الوفاء به، كما لو قال لغيره : "تزوج ولك علي كل يوم كذا". فتزوج، وجب عليه أن يعطيه ما دام كذلك، لأنه تعلق به حق آدمي، وهو مبني على المضايقة. وذهب الجمهور إلى أنه لا يجب مطلقاً، وحملوا الآية على أنها نزلت حين تمنوا فريضَةَ الجهاد عليهم، فلما فرض نكل عنه بعضهم، كقوله تعالى : {لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْسَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُنْتُ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْأَ أَحْرَمْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَلَ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا نُظَلَمُونَ فَتِيلًا أَيْنَمَا تُكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ} [النساء : ٧٧، ٧٨]. وقال تعالى : {وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْأَ نَزَلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ} الآية [محمد : ٢٠] وهكذا هذه الآية معناها"^(٢).

القرآن

{إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بَيْنًا مَرْصُوصًا (٤)} [الصف : ٤]

التفسير:

إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان متراص محكم لا ينفذ منه العدو. وفي الآية بيان فضل الجهاد والمجاهدين؛ لمحبة الله سبحانه لعباده المؤمنين إذا صفوا مواجِهين لأعداء الله، يقاتلونهم في سبيله.

قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا} [الصف : ٤]، أي: "إن الله يحب المجاهدين الذين يصفون أنفسهم عند القتال صفاً، ويثبتون في أماكنهم عند لقاء العدو"^(٣).

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره للقاتلين: لو علمنا أحب الأعمال إلى الله لعملناه حتى نموت: {إِنَّ اللَّهَ} أيها القوم {يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ} كأنهم، يعني في طريقه ودينه الذي دعا إليه {صَفًّا} يعني بذلك: أنهم يقاتلون أعداء الله مصطفين"^(٤).

قال مقاتل: " وذلك أن المؤمنين قالوا: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله لعملناه، فأنزل الله- تعالى- {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ}، يعني: في طاعته {صَفًّا}"^(٥).

قال ابن كثير: " إخبار منه تعالى بمحبة عباده المؤمنين إذا اصطفوا مواجِهين لأعداء الله في حومة الوغى، يقاتلون في سبيل الله من كفر بالله، لتكون كلمة الله هي العليا، ودينه هو الظاهر العالي على سائر الأديان"^(٦).

عن أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ثلاث يضحك الله إليهم : الرجل يقوم من الليل، والقوم إذا صفوا للصلاة، والقوم إذا صفوا للقتال"^(٧).

(١) المسند (٤٤٧/٣) وسنن أبي داود برقم (٤٩٩١).

(٢) تفسير ابن كثير: ١٠٦/٨.

(٣) صفوة التفسير: ٣٥٠/٣.

(٤) تفسير الطبري: ٣٥٧/٢٣.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣١٥/٤.

(٦) تفسير ابن كثير: ١٠٧/٨.

(٧) المسند (٨٠/٣) وسنن ابن ماجه برقم (٢٠٠) وقال البوصيري في الزوائد (٨٧/١) : " هذا إسناد فيه مقال، مجالد بن سعيد وإن أخرج له مسلم في صحيحه فإنما روى له مقروئاً بغيره قال ابن عدى : عامة ما يرويه غير

قال مطرف: "كان يبلغني عن أبي ذر حديث كنت أشتهي لقاءه، فلقيته فقلت: يا أبا ذر كان يبلغني عنك حديث فكنت أشتهي لقاءك. فقال: لله أبوك! فقد لقيت، فهات: فقلت: كان يبلغني عنك أنك تزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثكم أن الله يحب ثلاثة ويبغض ثلاثة؟ قال: أجل، فلا إخالني أكذب علي خليلي صلى الله عليه وسلم. قلت: فمن هؤلاء الثلاثة الذين يحبهم الله؟ قال: رجل غزا في سبيل الله، خرج محتسباً مجاهداً فلقى العدو فقتل، وأنتم تجدونه في كتاب الله المنزل، ثم قرأ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾... وذكر الحديث" (١).

وعن كعب الأحبار أنه قال: "يقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم «عبيد المتوكل المختار ليس بفظ ولا غليظ ولا صحاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، مولده بمكة، وهجرته بطابة، وملكه بالشام، وأمه الحمادون يحمدون الله على كل حال، وفي كل منزلة، لهم دوي كدوي النحل في جو السماء بالسحر، يوضون أطرافهم، ويأتزون على أنصافهم، صفهم في القتال مثل صفهم في الصلاة» ثم قرأ: إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص رعاة الشمس، يصلون الصلاة حيث أدركتهم، ولو على ظهر دابة" (٢).

قوله تعالى: ﴿كَانَهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ [الصف : ٤]، أي: "كانهم في تراصهم وثبوتهم في المعركة، بناءً قد رُصَّ بعضه ببعض، وألصق وأحكم حتى صار شيئاً واحداً" (٣).
قال الطبري: "يقول: يقاتلون في سبيل الله صفاً مصطفاً، كأنهم في اصطفاقتهم هنالك حيطان مبنية قد رصَّ، فأحكم وأتقن، فلا يغادر منه شيئاً، وكان بعضهم يقول: بني بالرصاص" (٤).

قال الزجاج: "أي: بنيان لاصق بعضه ببعض لا يغادر بعضه بعضاً. فأعلم الله - عزَّ وجلَّ - أنه يحب من يثبت في الجهاد في سبيله ويلزم مكانه كئيبات البناء المرصوص. ويجوز - والله أعلم - أن يكون عني أن تستوي نياتهم في حرب عدوهم حتى يكونوا في اجتماع الكلمة وموالات بعضهم بعضاً كالبنيان المرصوص" (٥).
عن ابن عباس في قوله: ﴿كَانَهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾، قال: "مثبت لا يزول ملصق بعضه ببعض" (٦).

قال سعيد بن جبير: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقاتل العدو إلا أن يضافهم، وهذا تعليم من الله للمؤمنين. قال: وقوله: ﴿كَانَهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ ملتصق بعضه في بعض، من الصف في القتال" (٧).
وقال مقاتل بن حيان: "ملتصق بعضه إلى بعض" (٨).

عن قتادة في الآية، قال: "ألم تر إلى صاحب البنيان كيف لا يحب أن يختلف بنيانه، كذلك تبارك وتعالى لا يختلف أمره، وإن الله وصف المؤمنين في قتالهم وصفهم في صلاتهم، فعليكم بأمر الله فإنه عصمة لمن أخذ به" (٩).

محفوظ".

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٨٨٢): ص ٣٣٥٣/١٠، وانظر: مسند الإمام أحمد ٣/ ٨٠.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٨٨٣): ص ٣٣٥٤/١٠.

(٣) صفة التفسير: ٣٥٠/٣.

(٤) تفسير الطبري: ٣٥٧/٢٣.

(٥) معاني القرآن: ١٦٤/٥.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٨٨٦): ص ٣٣٥٤/١٠.

(٧) نقلاً عن: تفسير ابن كثير: ١٠٨/٨.

(٨) نقلاً عن: تفسير ابن كثير: ١٠٨/٨.

(٩) أخرجه الطبري: ٣٥٧/٢٣.

قال ابن زيد: "والذين صدّقوا قولهم بأعمالهم هؤلاء؛ قال: وهؤلاء لم يصدّقوا قولهم بالأعمال لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم نكصوا عنه وتخلفوا"^(١).
 عن أبي بحرية، قال: "كانوا يكرهون القتال على الخيل، ويستحبون القتال على الأرض، لقول الله: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ}، وكان أبو بحرية يقول: إذا رأيتموني التفت في الصف، فجنّوا في لحيي"^(٢).
 عن مُغيرة بن حبيب، قال: سألتُ سالم [بن عبد الله بن عمر] عن المبارزة؟ فأكَبَّ هُنَيْهَةَ، ثم رفع رأسه، فقال: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ}^(٣).

عن عبد الملك ابن جُرَيْج، قال: "قلت له [أي: عطاء بن أبي رباح]: أئكره أن يمشي الإنسان يخرق الصّفوف بعد ما يكبر الإمام؟ قال: لا، إلا أن يمشي بين يدي أحد. ثم قال بعد: إن خرق الصّفوف إلى فرجة فقد أحسن، وحقّ على الناس أن يدحسوا"^(٤) الصّفوف حتى لا يكون بينهم فرج. ثم قال: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ}، فالصلاة أحقّ أن يكون فيها ذلك"^(٥).

القرآن

{وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤَدُّونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٥) } [الصف : ٥]

التفسير:

واذكر لقومك -أيها الرسول- حين قال نبي الله موسى عليه السلام لقومه: لِمَ تُؤَدُّونَنِي بالقول والفعل، وأنتم تعلمون أني رسول الله إليكم؟ فلما عدلوا عن الحق مع علمهم به، وأصروا على ذلك، صرف الله قلوبهم عن قبول الهداية؛ عقوبة لهم على زيغهم الذي اختاروه لأنفسهم. والله لا يهدي القوم الخارجين عن الطاعة ومنهاج الحق.

قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤَدُّونَنِي} [الصف : ٥]، أي: "واذكر لقومك -أيها الرسول- حين قال نبي الله موسى عليه السلام لقومه: لِمَ تُؤَدُّونَنِي بالقول والفعل"^(٦).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: واذكر يا محمد {إِذْ قَالَ مُوسَى} بن عمران {لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤَدُّونَنِي}..."^(٧).

قال الزمخشري: "كانوا يؤذونه بأنواع الأذى من انتقاصه وعيبه في نفسه، ووجود آياته، وعصيانه فيما تعود إليهم منافعهم، وعبادتهم البقر، وطلبهم رؤية الله جهرة، والتكذيب الذي هو تضييع حق الله وحقه"^(٨).

قال الكلبي: "كان إيذاؤهم له أنهم رموه بالأدرة"^(٩).

قوله تعالى: {وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ} [الصف : ٥]، أي: "والحال أنكم تعلمون علماً قطعياً بما شاهدتموه من المعجزات الباهرة أني رسول الله إليكم، وتعلمون صدقي فيما جئتمكم به من الرسالة"^(١٠).

(١) أخرجه الطبري: ٣٥٧/٢٣.

(٢) أخرجه الطبري: ٣٥٧/٢٣-٣٥٨.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (ت: محمد عوامة) ٣١٩ / ١٠ (١٩٨١٦).

(٤) أي: يزدحموا فيها، ويدحسوا أنفسهم بين فرجها. النهاية (دحس).

(٥) مصنف عبد الرزاق ٢ / ٥٠ - ٥١ (٢٤٤٨).

(٦) التفسير الميسر: ٥٥١.

(٧) تفسير الطبري: ٣٥٨/٢٣.

(٨) الكشف: ٥٢٤/٤.

(٩) التفسير البسيط للواحدي: ٤٣٣/٢١.

(١٠) صفوة التفاسير: ٣٥٠/٣.

قال الطبري: يقول: "وَقَدْ تَعْلَمُونَ {حَقًّا} أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ" (١).
قال ابن كثير: "أي: لم توصلون الأذى إليّ وأنتم تعلمون صدقي فيما جئتكم به من الرسالة؟ وفي هذا تسليّة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أصاب من الكفار من قومه وغيرهم، وأمر له بالصبر؛ ولهذا قال: «رحمة الله على موسى: لقد أودى بأكثر من هذا فصير» (٢)، وفيه نهى للمؤمنين أن ينالوا من النبي صلى الله عليه وسلم أو يُوصَلوا إليه أذى، كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَحِيهَا} [الأحزاب: ٦٩] (٣).

قال الزمخشري: "وَقَدْ تَعْلَمُونَ" في موضع الحال، أي: تؤذونني عالمين علما يقينا {أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ}، وقضية علمكم بذلك وموجبه تعظيمي وتوقيري، لا أن تؤذوني وتستهينوا بي، لأن من عرف الله وعظمته عظم رسوله، علما بأن تعظيمه في تعظيم رسوله، ولأن من آذاه كان وعيد الله لا حقا به" (٤).

قوله تعالى: {فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ} [الصف: ٥]، أي: فلما عدلوا عن الحق مع علمهم به، وأصرُّوا على ذلك، صرف الله قلوبهم عن قبول الهداية؛ عقوبة لهم على زيغهم الذي اختاروه لأنفسهم" (٥).

قال الطبري: "يقول: فلما عدلوا وجاروا عن قصد السبيل أزاع الله قلوبهم: يقول: أمال الله قلوبهم عنه" (٦).

قال الزجاج: "أي: عدلوا عن الحق وانصرفوا عنه فأضلهم الله وصرف قلوبهم" (٧).
قال ابن كثير: "أي: فلما عدلوا عن اتباع الحق مع علمهم به، أزاع الله قلوبهم عن الهدى، وأسكنها الشك والحيرة والخذلان، كما قال تعالى: {وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَدْرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} [الأنعام: ١١٠] وقال {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} [النساء: ١١٥] (٨).

عن سفيان بن عيينة: {فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ} أي: "سأمنعهم فهم القرآن" (٩).
وقال ابن عباس: عن كل رشد وخير وهدى" (١٠).
وقال الحسن: طبع عليها بكفرهم" (١١).
قال ابن جريج: "يعني: عن خلق السموات والأرض وما فيهما، أي سأصرفهم أن يتفكروا فيها ويعتبروا بها" (١٢).

عن أبي أمامة في قوله: "فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ"، قال: هم الخوارج" (١٣).
قوله تعالى: {وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} [الصف: ٥]، أي: "والله لا يهدي القوم الخارجين عن الطاعة ومنهاج الحق" (١).

- (١) تفسير الطبري: ٣٥٨/٢٣.
(٢) رواه البخاري في صحيحه برقم (٣٤٠٥) ومسلم في صحيحه برقم (١٠٦٢٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.
(٣) تفسير ابن كثير: ١٠٩/٨.
(٤) الكشاف: ٥٢٤/٤.
(٥) التفسير الميسر: ٥٥١.
(٦) تفسير الطبري: ٣٥٨/٢٣.
(٧) معاني القرآن: ١٦٤/٥.
(٨) تفسير ابن كثير: ١٠٩/٨.
(٩) تفسير البغوي: ٢٣٤/٢.
(١٠) البحر المحيط في التفسير: ٥٣١/٥.
(١١) البحر المحيط في التفسير: ٥٣١/٥.
(١٢) تفسير البغوي: ٢٣٤/٢.
(١٣) أخرجه الطبري: ٣٥٨/٢٣.

قال الطبري: "يقول: والله لا يوقق لإصابة الحقّ القوم الذين اختاروا الكفر على الإيمان"^(٢).
قال الزجاج: "معناه: لا يهدي من سبق في علمه أنه فاسق"^(٣).

القرآن

{وَأَذَّ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (٦)}

[الصف : ٦]

التفسير:

واذكر -أيها الرسول لقومك- حين قال عيسى بن مريم لقومه: إني رسول الله إليكم، مصدقًا لما جاء قبلي من التوراة، وشاهدًا بصدق رسول يأتي من بعدي اسمه «أحمد»، وهو محمد صلى الله عليه وسلم، وداعيًا إلى التصديق به، فلما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم بالآيات الواضحات، قالوا: هذا الذي جئنا به سحر بين.

قوله تعالى: {وَأَذَّ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ} [الصف : ٦]، أي: "واذكر -أيها الرسول لقومك- حين قال عيسى بن مريم لقومه: إني رسول الله إليكم"^(٤). قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: واذكر أيضًا يا محمد {وَأَذَّ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ} لقومه من بني إسرائيل {يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ}.." ^(٥).

قال الزمخشري: "قيل: إنما قال: يا بني إسرائيل، ولم يقل: يا قوم كما قال موسى، لأنه لا نسب له فيهم فيكونوا قومه"^(٦).

قوله تعالى: {مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ} [الصف : ٦]، أي: "مصدقًا لما جاء قبلي من التوراة"^(٧).

قال الطبري: يقول: "مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ" التي أنزلت على موسى"^(٨).

قال ابن كثير: "يعني: التوراة قد بشرت بي، وأنا مصداق ما أخبرت عنه"^(٩).

قال الزمخشري: "المعنى: أرسلت إليكم في حال تصديقي ما تقدمني من التوراة"^(١٠).

قوله تعالى: {وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ} [الصف : ٦]، أي: "وشاهدًا بصدق رسول يأتي من بعدي اسمه «أحمد»، وهو محمد صلى الله عليه وسلم، وداعيًا إلى التصديق به"^(١١).

قال الطبري: يقول: "وَمُبَشِّرًا {بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ}"^(١٢).

قال الزمخشري: أي: "وأرسلت إليكم في حال تبشيري {بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي}، يعني: أن ديني التصديق بكتب الله وأنبيائه جميعا ممن تقدم وتأخر"^(١٣).

(١) التفسير الميسر: ٥٥١.

(٢) تفسير الطبري: ٣٥٨/٢٣.

(٣) معاني القرآن: ١٦٤/٥.

(٤) التفسير الميسر: ٥٥٢.

(٥) تفسير الطبري: ٣٥٩/٢٣.

(٦) الكشاف: ٥٢٥/٤.

(٧) التفسير الميسر: ٥٥٢.

(٨) تفسير الطبري: ٣٥٩/٢٣.

(٩) تفسير ابن كثير: ١٠٩/٨.

(١٠) الكشاف: ٥٢٥/٤.

(١١) التفسير الميسر: ٥٥٢.

(١٢) تفسير الطبري: ٣٥٩/٢٣.

(١٣) الكشاف: ٥٢٥/٤.

قال ابن كثير: أي: "وأنا مُبَشَّرٌ بمن بعدي، وهو الرسول النبي الأمي العربي المكي أحمد. فعيسى، عليه السلام، وهو خاتم أنبياء بني إسرائيل، وقد أقام في ملاء بني إسرائيل مبشراً بمحمد، وهو أحمد خاتم الأنبياء والمرسلين، الذي لا رسالة بعده ولا نبوة.. وقد قال الله تعالى: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ} [الأعراف: ١٥٧] وقال تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ} [آل عمران: ٨١]"^(١).

قال السمعاني: "وأما معنى اسمه أحمد على وجهين:

أحدهما: لأنه كان يحمد الله كثيراً.

والثاني: لأن الناس حمدوه في فعاله"^(٢).

عن محمد بن جُبَيْر بن مُطعم، عن أبيه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب"^(٣).

عن أبي بن كعب، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «أعطيت ما لم يُعط أحد من أنبياء الله». قلنا: يا رسول الله، ما هو؟ قال: «نُصرت بالرعب، وأُعطيت مفاتيح الأرض، وسُميت: أحمد، وجُعِل لي تراب الأرض طهوراً، وجُعِلت أمتي خير الأمم»^(٤).

عن أبي موسى الأشعري، قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يسمي لنا نفسه أسماءً، فقال: «أنا محمد، وأحمد، والمُققي، والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الرحمة»^(٥).

عن أبي موسى قال: سمى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه أسماءً، منها ما حفظنا فقال: "أنا محمد، وأنا أحمد، والحاشر، والمققي، ونبي الرحمة، والتوبة، والملحمة"^(٦).

عن العرياض بن سارية السلمي، قال: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إني عند الله في أم الكتاب لخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأنبئكم بتأويل ذلك، دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى قومه، ورؤيا أمي التي رأت أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام، وكذلك ترى أمهات النبيين صلوات الله عليهم"^(٧).

عن عبد الله بن مسعود قال: "بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي ونحن نحو من ثمانين رجلاً منهم: عبد الله بن مسعود، وجعفر، وعبد الله بن عرْفُطَة وعثمان بن مظعون، وأبو موسى. فأتوا النجاشي، وبعثت قريش عمرو بن العاص، وعمارة بن الوليد بهدية، فلما دخلا على النجاشي سجداً له، ثم ابتدراه عن يمينه وعن شماله، ثم قالوا له: إن نفعاً من بني عمنا نزلوا أرضك، وورغبوا عنا وعن ملتنا. قال: فأين هم؟ قالوا هم في أرضك، فابعث إليهم. فبعث إليهم. فقال جعفر: أنا خطيبكم اليوم. فاتبعوه فسلم ولم يسجد، فقالوا له: ما لك لا تسجد

(١) تفسير ابن كثير: ١٠٩/٨-١١٠.

(٢) تفسير السمعاني: ٤٢٦/٥.

(٣) صحيح البخاري برقم (٤٨٩٦) وصحيح مسلم برقم (٢٣٥٤).

(٤) الدر المنثور: ١٤٨/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٥) أخرجه مسلم ١٨٢٨/٤ (٢٣٥٥).

(٦) مسند الطيالسي برقم (٤٩٢) وصحيح مسلم برقم (٢٣٥٥).

(٧) أخرجه أحمد في المسند (١٧١٦٣): ص ٣٩٥/٢٨، قال المحقق: "صحيح لغيره دون قوله: «وكذلك ترى أمهات النبيين صلوات الله عليهم». وأخرجه ابن حبان (٦٤٠٤)، والحاكم ٢/٤١٨، ٦٠٠، والبيهقي في "الدلائل" ٣٨٩/١، والبخاري في "تفسيره" ١٥/١٥١، وفي "شرح السنة" ١٣/٢٠٧، والطبري في "تفسيره": ٣٥٩/٢٣، والطبراني ١٨/٢٥٢ (٦٢٩)، (٦٣٠)، والبخاري في "تاريخه" ٦٨/٦، والتعليق في "تفسيره"، وآخرون.

ومعنى منجدل: أي: ملقى على الجدالة وهي الأرض، والحديث صححه ابن حبان والحاكم، وقال: الهيثمي: أحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن سويد وثقه ابن حبان، وينظر: "الكشاف" لابن حجر ص ١٠، وهو صحيح لغيره.

للملك؟ قال: إنا لا نسجد إلا لله عز وجل. قال وما ذاك؟ قال: إن الله بعث إلينا رسوله، فأمرنا ألا نسجد لأحد إلا لله عز وجل، وأمرنا بالصلاة والزكاة.

قال عمرو بن العاص: فإنهم يخالفونك في عيسى ابن مريم. قال: ما تقولون في عيسى ابن مريم وأمه؟ قالوا: نقول كما قال الله عز وجل: هو كلمة الله وروحه ألقاها إلى العذراء البتول، التي لم يمسهما بشر ولم يفرضها ولد. قال: فرفع عودًا من الأرض ثم قال: يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان، والله ما يزيدون على الذي نقول فيه، ما يساوي هذا. مرحبا بكم وبمن جنتم من عنده، أشهد أنه رسول الله، وأنه الذي نجد في الإنجيل، وأنه الذي بشر به عيسى ابن مريم. انزلوا حيث شئتم، والله لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أكون أنا أحمل نعليه وأوضئه. وأمر بهدية الآخرين فردت إليهما، ثم تعجل عبد الله بن مسعود حتى أدرك بدرًا، وزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم استغفر له حين بلغه موته^(١).

قال ابن كثير: "وقد رويت هذه القصة عن جعفر وأم سلمة رضي الله عنهما، وموضع ذلك كتاب السيرة. والمقصد أن الأنبياء عليهم السلام لم تزل تنعته وتحكيه في كتبها على أممها، وتأمروهم باتباعه ونصره وموازرته إذا بعث. وكان ما اشتهر الأمر في أهل الأرض على لسان إبراهيم الخليل والد الأنبياء بعده، حين دعا لأهل مكة أن يبعث الله فيهم رسولاً منهم، وكذا على لسان عيسى ابن مريم؛ ولهذا قالوا: "أخبرنا عن بدء أمرك" يعني: في الأرض، قال: "دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى ابن مريم، ورؤيا أمي التي رأت" أي: ظهر في أهل مكة أثر ذلك والإرهاص بذكره صلوات الله وسلامه عليه"^(٢).

قال ابن عباس: ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه العهد: لئن بعث محمد وهو حي ليتبعنه، وأخذ عليه أن يأخذ على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليتبعنه وينصروه"^(٣).

قال القشيري: "بشر كل نبي قومه بنبينا صلى الله عليه وسلم، وأفرد الله سبحانه عيسى بالذكر في هذا الموضع لأنه آخر نبي قبل نبينا صلى الله عليه وسلم: فبين بذلك أن البشارة به عمّت جميع الأنبياء واحداً بعد واحد حتى انتهت بعيسى عليه السلام"^(٤).

قوله تعالى: {فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ} [الصف: ٦]، أي: "فلما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم بالآيات الواضحات، قالوا: هذا الذي جئتنا به سحر بين"^(٥).

عن ابن جريج: "فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ: محمد"^(٦).

عن ابن إسحاق: "هذا سحر مبين، أي: ما ساحر أسحر منك"^(٧).

قال الطبري: "يقول: فلما جاءهم أحمد بالبينات، وهي الدلالات التي أتاه الله حججا على نبوته، {قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ} يقول: ما أتى به غير أنني ساحر"^(٨).

قال السعدي: "فَلَمَّا جَاءَهُمُ محمد صلى الله عليه وسلم الذي بشر به عيسى {بِالْبَيِّنَاتِ} أي: الأدلة الواضحة، الدالة على أنه هو، وأنه رسول الله حقا، {قَالُوا} معاندين للحق مكذبين له: {هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ} وهذا من أعجب العجائب، الرسول الذي قد وضحت رسالته، وصارت أبين من شمس النهار، يجعل ساحرا بينا سحره، فهل في الخذلان أعظم من هذا؟ وهل في الافتراء أعظم من هذا الافتراء، الذي نفى عنه ما كان معلوما من رسالته، وأثبت له ما كان أبعد الناس منه؟"^(٩).

(١) المسند (٤٦١/١).

(٢) تفسير ابن كثير: ١١١/٨.

(٣) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ١١٠/٨.

(٤) لطائف الإشارات: ٥٧٧/٣.

(٥) التفسير الميسر: ٥٥٢.

(٦) الدر المنثور: ١٤٨/٨، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦١٦٨): ص ٢٨٥٢/٩.

(٨) تفسير الطبري: ٣٥٩/٢٣.

(٩) تفسير السعدي: ٨٥٩.

عن مسروق: " أنه كان يقرأ التي في المائدة وفي الصف وفي يونس: «ساحرٌ»" (١).
عاصم، أنه قرأ: {هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ} بغير ألف (٢).

فوائد الآيات: [٦-١]:

- ١- بيان غنى الله تعالى عن خلقه وأنه سبحانه في السموات وما في الأرض وأن ما شرعه لعباده من العبادات والشرائع إنما هو لفائدتهم وصالح أنفسهم يكملوا عليه أرواحاً وأخلاقاً ويسعدوا به في الحياتين.
- ٢- حرمة الكذب وخلف الوعد إذ قول القائل أفعَل كذا ولم يفعل كذب وخلف وعدٍ. ولذا كان قوله من المقت الذي هو أشد البغض، ومن مقته الله فقد أبغضه أشد البغض وكيف يفلح من مقته الله.
- ٣- فضيلة الجهاد والوحدة والاتفاق وحرمة الخلاف والقتال والصفوف ممزقة حسياً أو معنوياً.
- ٤- التحذير من مواصلة الذنب بعد الذنب فإنه يؤدي إلى الطبع وحرمان الهداية.
- ٥- بيان كفر اليهود بعيسى عليه السلام وازدادوا كفراً بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم.
- ٦- بيان كفر النصارى إذ رفضوا بشارة عيسى وردوها عليه ولم يؤمنوا بالمبشر به محمد صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم.

القرآن

{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ
{(٧) [الصف : ٧]}

التفسير:

ولا أحد أشد ظلماً وعدواناً ممن اختلق على الله الكذب، وجعل له شركاء في عبادته، وهو يُدعى إلى الدخول في الإسلام وإخلاص العبادة لله وحده. والله لا يوفق الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والشرك، إلى ما فيه فلاحهم.

قوله تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ} [الصف : ٧]، أي: "ولا أحد أشد ظلماً وعدواناً ممن اختلق على الله الكذب، وجعل له شركاء في عبادته، وهو يُدعى إلى الدخول في الإسلام وإخلاص العبادة لله وحده" (٣).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: ومن أشد ظلماً وعدواناً ممن اختلق على الله الكذب، وهو قول قائلهم للنبي صلى الله عليه وسلم: هو ساحر ولما جاء به سحر، فكذلك افتراه على الله الكذب، { وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ }، يقول: إذا دُعي إلى الدخول في الإسلام، قال على الله الكذب، وافتري عليه الباطل" (٤).

قال النحاس: "أي: ومن أشد ظلماً ممن قال لمن جاءه بالبينات هو ساحر، وهذا سحر مبين، أي: مبين لمن راه أنه سحر. { وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ } وهو إذا دعي إلى الإسلام قال: هذا سحر مبين" (٥).

قال الزمخشري: "وأى الناس أشد ظلماً ممن يدعو ربه على لسان نبيه إلى الإسلام الذي له فيه سعادة الدارين، فيجعل مكان إجابته إليه افتراء الكذب على الله بقوله لكلامه الذي هو دعاء عباده إلى الحق: هذا سحر، لأنَّ السحر كذب وتمويه" (٦).

قال مقاتل: "يقول: فلا أحد أظلم منه، يعني: اليهود {مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ} حين زعموا أنه ساحر { وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ }، يعني: اليهود" (٧).

(١) الدر المنثور: ١٤٨/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٢) الدر المنثور: ١٤٨/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٣) التفسير الميسر: ٥٥٢.

(٤) تفسير الطبري: ٣٥٩/٢٣.

(٥) إعراب القرآن: ٢٧٧/٤.

(٦) الكشاف: ٥٢٥/٤.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣١٦/٤.

قال ابن كثير: "أي: لا أحد أظلم ممن يفترى الكذب على الله ويجعل له أندادا وشركاء، وهو يدعى إلى التوحيد والإخلاص"^(١).
قال القرطبي: "هذا تعجب ممن كفر بعيسى ومحمد بعد المعجزات التي ظهرت لهما"^(٢).

عن عكرمة في الآية: "أنه النضر وهو من بني عبد الدار قال إذا كان يوم القيامة شفعت لي العزى واللات ، فأنزل الله هذه الآية"^(٣).
وقال ابن جريج: "أنهم الكفار والمنافقون"^(٤).
قوله تعالى: {وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [الصف : ٧]، أي: "والله لا يوفق الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والشرك، إلى ما فيه فلاحهم"^(٥).
قال الطبري: "يقول: والله لا يوفق القوم الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم به لإصابة الحق"^(٦).

قال القرطبي: "أي: من كان في حكمه أنه يختم له بالضلالة"^(٧).
قال النحاس: "وهم الذين يقولون في البيئات هذا سحر مبين"^(٨).
قال السعدي: "الذين لا يزالون على ظلمهم مستقيمين، لا تردهم عنه موعظة، ولا يزرهم بيان ولا برهان، خصوصا هؤلاء الظلمة القائمين بمقابلة الحق ليردوه، ولينصروا الباطل"^(٩).

القرآن

{يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨)} [الصف : ٨]

التفسير:

يريد هؤلاء الظالمون أن يبطلوا الحق الذي بُعثَ به محمد صلى الله عليه وسلم -وهو القرآن- بأقوالهم الكاذبة، والله مظهر الحق بإتمام دينه ولو كره الجاحدون المكذبون.
قوله تعالى: {يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ} [الصف : ٨]، أي: "يريد هؤلاء الظالمون أن يبطلوا الحق الذي بُعثَ به محمد صلى الله عليه وسلم -وهو القرآن- بأقوالهم الكاذبة"^(١٠).

قال ابن جريج: {يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ} : "بالسنتهم"^(١١).

عن السدي قوله: {بِأَفْوَاهِهِمْ}، يقول: بكلامهم"^(١٢).

قال الطبري: يقول: "يريد هؤلاء القائلون لمحمد صلى الله عليه وسلم: هذا ساحر مبين، يريدون ليبطلوا الحق الذي بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم بأقوالهم يعني بقولهم إنه ساحر، وما جاء به سحر"^(١٣).

(١) تفسير ابن كثير: ١١١/٨.

(٢) تفسير القرطبي: ٨٤/١٨.

(٣) النكت والعيون: ٥٣٠/٥.

(٤) النكت والعيون: ٥٣٠/٥.

(٥) التفسير الميسر: ٥٥٢.

(٦) تفسير الطبري: ٣٥٩/٢٣.

(٧) تفسير القرطبي: ٨٤/١٨.

(٨) إعراب القرآن: ٢٧٧/٤.

(٩) تفسير السعدي: ٨٥٩.

(١٠) التفسير الميسر: ٥٥٢.

(١١) الدر المنثور: ١٤٨/٨، وعزاه إلى ابن المنذر.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٠٦٧): ص ١٧٨٥/٦.

(١٣) تفسير الطبري: ٣٥٩/٢٣.

قال ابن كثير: "أي: يحاولون أن يردّوا الحق بالباطل، ومثلهم في ذلك كمثل من يريد أن يطفى شعاع الشمس بفيه، وكما أن هذا مستحيل كذلك ذاك مستحيل" (١).

وفي {نور الله} -ها هنا- أقوال:

أحدها: القرآن، يريدون إبطاله بالقول، قاله ابن زيد (٢).

قال ابن زيد: "نور القرآن" (٣).

قال السمعاني: {نور الله} يقال: هو القرآن. ويقال: هو محمد (٤).

الثاني: أنه الإسلام، يريدون دفعه بالكلام، قاله السدي (٥).

الثالث: أنه محمد صلى الله عليه وسلم يريدون هلاكه بالأراجيف، قاله الضحاك (٦).

قال الضحاك: "يريدون أن يهلك محمد وأصحابه، أن لا يعبدوا الله بالإسلام في الأرض" (٧).

الرابع: أنه حجج الله ودلائله، يريدون إبطالها بإنكارهم وتكذيبهم، قاله ابن بحر (٨).

الخامس: أنه مثل مضروب، أي من أرد إطفاء نور الشمس بفيه فوجده مستحيلا ممتنعا فكذلك من أراد إبطال الحق، حكاه ابن عيسى (٩).

قال الزمخشري: "وكان هذه اللام زيدت مع فعل الإرادة تأكيدا له، لما فيها من معنى الإرادة في قولك: جئتك لإكرامك، كما زيدت اللام في: لا أباك، تأكيدا لمعنى الإضافة في: لا أباك، وإطفاء نور الله بأفواههم: تهكم بهم في إرادتهم إبطال الإسلام بقولهم في القرآن: هذا سحر، مثلت حالهم بحال من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئه" (١٠).

قوله تعالى: {وَاللَّهُ مُنِمْ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} [الصف: ٨]، أي: "والله مظهر الحق بإتمام دينه ولو كره الجاحدون المكذبون" (١١).

قال السمعاني: "أي: يتم أمر نوره ولو كره الكافرون" (١٢).

قال الزمخشري: "أي: متم الحق ومبلغه غايته" (١٣).

قال الطبري: "يقول: الله معلن الحق، ومظهر دينه، وناصر محمداً عليه الصلاة والسلام على من عاداه، ولو كره الكافرون بالله، وعنى بـ«النور» في هذا الموضع: الإسلام" (١٤).

قال النحاس: "أي: مكمل الإسلام ومعلية" (١٥).

وقال ابن زيد: "نور القرآن" (١٦).

عن الضحاك: {وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ}، قال: "يعني بها: كفار العرب، وأهل الكتاب من حارب منهم النبي -صلى الله عليه وسلم وكفر بآياته" (١٧).

(١) تفسير ابن كثير: ١١١/٨.

(٢) أخرجه الطبري: ٣٦٠/٢٣.

(٣) أخرجه الطبري: ٣٦٠/٢٣.

(٤) تفسير السمعاني: ٤٢٧/٥.

(٥) النكت والعيون: ٥٣٠/٥.

(٦) النكت والعيون: ٥٣٠/٥.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٠٦٦): ص ١٧٨٥/٦.

(٨) النكت والعيون: ٥٣٠/٥.

(٩) النكت والعيون: ٥٣٠/٥.

(١٠) الكشاف: ٥٢٥/٤.

(١١) التفسير الميسر: ٥٥٢.

(١٢) تفسير السمعاني: ٤٢٧/٥.

(١٣) الكشاف: ٥٢٥/٤.

(١٤) تفسير الطبري: ٣٦٠/٢٣.

(١٥) إعراب القرآن: ٢٧٧/٤.

(١٦) أخرجه الطبري: ٣٦٠/٢٣.

وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر عن عاصم: «مُتِمُّ ثُورِهِ»، بالتثوين وفتح الراء^(٢).

القرآن

{هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٩)}

[الصف : ٩]

التفسير:

الله هو الذي أرسل رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم بالقرآن ودين الإسلام؛ ليعليه على كل الأديان المخالفة له، ولو كره المشركون ذلك.

قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ} [الصف : ٩]، أي: "الله هو الذي أرسل رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم بالقرآن ودين الإسلام"^(٣).
قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: الله الذي أرسل رسوله محمداً ببيان الحق وبدين الله، وهو الإسلام"^(٤).

قال قتادة: "قاتل الله قوما ينتحلون ديناً لم يصدقه قوم قط ولم يفلحه ولم ينصره إذا أظهره إهراق به دماؤهم، وإذا سكتوا عنه كان فرحاً في قلوبهم ذلك والله دين سوء قد الأصوا هذا الأمر منذ بضع وستين سنة، فهل أفلحوا فيه يوماً أو أنجحوا؟"^(٥).
قوله تعالى: {لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ} [الصف : ٩]، أي: "ليعليه على كل الأديان المخالفة له"^(٦).

قال الطبري: "يقول: ليظهر دينه الحق الذي أرسل به رسوله على كل دين سواه، وذلك عند نزول عيسى ابن مريم، وحين تصير الملة واحدة، فلا يكون دين غير الإسلام"^(٧).
قال الزمخشري: أي: "ليعليه على جميع الأديان المخالفة له، ولعمري لقد فعل، فما بقي دين من الأديان إلا وهو مغلوب مقهور بدين الإسلام"^(٨).

قال السمعاني: "أي: على جميع الأديان شرقاً وغرباً، ومصداق هذه الآية على الكمال إنما يكون عند نزول عيسى ابن مريم حيث لا يبقى إلا دين الإسلام"^(٩).
قال القرطبي: "وليس المراد بالظهور ألا يبقى دين آخر من الأديان، بل المراد يكون أهل الإسلام عالين غالبين. ومن الإظهار ألا يبقى دين سوى الإسلام في آخر الزمان"^(١٠).
قال ابن عباس: "يظهر الله نبيه على أمر الدين كله، فيعطيه إياه كله، ولا يخفي عليه منه شيء"^(١١).

قال ابن عباس: "عث الله محمداً ليظهره على الدين كله، فديننا فوق الملل، ورجالنا فوق نسائهم ولا يكون رجالهم فوق نسائنا"^(١٢).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٠٦٨): ص ١٧٨٥-١٧٨٦.

(٢) انظر: السبعة في القراءات: ٦٣٥.

(٣) التفسير الميسر: ٥٥٢.

(٤) تفسير الطبري: ٣٦٠/٢٣-٣٦١.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٠٦٩): ص ١٧٨٦/٦.

(٦) التفسير الميسر: ٥٥٢.

(٧) تفسير الطبري: ٣٦١/٢٣.

(٨) الكشف: ٥٢٦/٤.

(٩) تفسير السمعاني: ٤٢٧/٥.

(١٠) تفسير القرطبي: ٨٦/١٨.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٠٧٠): ص ١٧٨٦/٦.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٠٧١): ص ١٧٨٦/٦.

قال مجاهد: " لا يكون ذلك حتى لا يبقى يهودي ولا نصراني ولا صاحب ملة إلا الإسلام وحتى تأمن الشاة الذئب والبقرة الأسد، والإنسان الحية وحتى لا تقرض فأرة جراباً وحتى توضع الجزية ويكسر الصليب ويقتل الخنزير فهو قوله: ليظهره على الدين كله"^(١).

وروي عن الضحاك أنه قال: "يظهر الإسلام على الدين كل دين"^(٢).
قال السدي: "وذلك عند خروج المهدي لا يبقى أحد إلا دخل في الإسلام أو أدى الخراج"^(٣).

وقال الكلبي: "لا يبقى دين إلا ظهر عليه الإسلام وسيكون ذلك، ولم يكن بعد، ولا تقوم الساعة حتى يكون ذلك"^(٤).

عن أبي هريرة: " {لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ}، قال: خروج عيسى ابن مريم"^(٥).
عن ابن مسعود: " إذا أنزل عليهم ابن مريم لم يكن في الأرض دين إلا دين الإسلام.
قال: فذلك قوله عز وجل: {ليظهره على الدين كله}"^(٦).

عن عائشة قالت: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: "لا يذهب الليل والنهار حتى تُعبدَ اللات والعزى"، فقالت عائشة: والله يا رسول الله إن كنت لأظنّ حين أنزل الله {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ} ... الآية، أن ذلك سيكون تاماً، فقال: "إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَيَتَوَقَّى مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مَنْ خَيْرٍ، فَيَبْقَى مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ، فَيُرْجَعُونَ إِلَى دِينِ آبَائِهِمْ"^(٧).

قوله تعالى: {وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} [الصف : ٩]، أي: "ولو كره المشركون ذلك"^(٨).
قال مقاتل: "من العرب، يعني: كفار قريش"^(٩).

قال القاسمي: "أي: لما فيه من محض التوحيد، وإبطال الشرك"^(١٠).
قال ابن عباس: "كان المشركون واليهود يكرهون أن يظهر الله نبيه على أمر الدين كله"^(١١).

فوائد الآيات: [٧-٩]:

- ١- عظم جرم الكذب على الله وأنه من أفظع أنواع الظلم.
- ٢- حرمان الظلمة المتوغلين في الظلم من الهداية.
- ٣- إيناس المحاولين إبطال الإسلام وإنهاء وجوده بأنهم لا يقدرّون إذ الله تعالى أراد إظهاره فهو ظاهر منصور لا محالة.
- ٤- تقرير نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

القرآن

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ (١٠) [الصف : ١٠]

التفسير:

يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله و عملوا بشرعه، هل أرشدكم إلى تجارة عظيمة الشأن تنجيكم من عذاب مومع؟

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٠٧٢): ص ١٧٨٦/٦.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٠٧٢): ص ١٧٨٦/٦.

(٣) تفسير الثعلبي: ٣٦/٥.

(٤) تفسير الثعلبي: ٣٦/٥.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٦١/٢٣.

(٦) جزء فيه تفسير القرآن برواية أبي جعفر الترمذي (١٠٢): ص ٦٢.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٦١/٢٣.

(٨) التفسير الميسر: ٥٥٢.

(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣١٦/٤.

(١٠) محاسن التأويل: ٢٢٤/٩.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٠٧٣): ص ١٧٨٦/٦.

سبب النزول:

عن أبي هريرة، قال: قالوا: "لو كُنَّا نعلمُ أيَّ الأعمالِ أحبَّ إلى الله، فنزلت: {يا أيُّها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارةٍ تُنجيكم من عذابِ أليمٍ} إلى قوله: {بأموالكم وأنفسكم}. فكرهوا؛ فنزلت: {يا أيُّها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون} إلى قوله: {بنينان مرصوص}"^(١).

عن سعيد بن جبير: في قوله: {يا أيُّها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارةٍ تُنجيكم من عذابِ أليمٍ} الآية، قال: "لما نزلت قال المسلمون: لو علمنا ما هذه التجارة لأعطينا فيها الأموال والأهلين. فبين لهم التجارة، فقال: {تؤمنون باللهِ ورَسُولِهِ}"^(٢).

عن أبي صالح بإذام -من طريق محمد بن جُحادة- قال: "قال المسلمون: لو أمرنا بشيء نفعه. فنزلت: {يا أيُّها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارةٍ}، فتباطأوا عنها؛ فنزلت: {يا أيُّها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون}"^(٣).

قال محمد بن السائب الكلبي: "يا أيُّها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارةٍ؟ إنَّ هذا جوابٌ لقولهم: لو نعلم أحبَّ الأعمالِ إلى الله وأرضاهَا عنده لعملنا بها. فقال الله: {يا أيُّها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارةٍ} إلى قوله: {ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}"^(٤).

قوله تعالى: {يا أيُّها الذين آمنوا} [الصف: ١٠]، أي: "يا أيُّها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه"^(٥).

وفي قراءة عبد الله: «أمنا»^(٦).

قوله تعالى: {هل أدلكم على تجارةٍ تُنجيكم من عذابِ أليمٍ} [الصف: ١٠]، أي: "هل أرشدكم إلى تجارةٍ عظيمة الشأن تنجيكم من عذابٍ مروع؟"^(٧).

قال الطبري: {عذابِ أليمٍ}، أي: "مروع، وذلك عذاب جهنم"^(٨).

قال السمعاني: "التجارة أن تبذل شيئاً وتأخذ شيئاً، فكأنه جعل بذل النفس والمال وأخذ الثواب تجارة، وهو على طريق المجاز"^(٩).

قال السعدي: "هذه وصية ودلالة وإرشاد من أرحم الراحمين لعباده المؤمنين، لأعظم تجارة، وأجل مطلوب، وأعلى مرغوب، يحصل بها النجاة من العذاب الأليم، والفوز بالنعيم المقيم. وأتى بأداة العرض الدالة على أن هذا أمر يرغب فيه كل متبصر، ويسمو إليه كل لبيب"^(١٠).

قال الجصاص: "فسمى الإيمان تجارة على وجه المجاز تشبيهاً بالتجارات المقصود بها الأرباح. وقال تعالى: {يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ} [فاطر: ٢٩]. كما سمي بذل النفوس لجهاد أعداء الله تعالى شري، قال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} [التوبة: ١١١] فسمى بذل النفوس شراء على وجه المجاز. وقال الله تعالى: {وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [البقرة: ١٠٢] فسمى ذلك بيعاً وشراءً على وجه المجاز تشبيهاً بعقود الأشرطة والبياعات التي تحصل بها الأعواض. كذلك سمي الإيمان بالله تعالى تجارة لما استحق به من الثواب الجزيل والأبدال الجسيمة، فتدخل في قوله تعالى: {إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ}

(١) الدر المنثور: ١٤٩ / ٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٢) الدر المنثور: ١٤٩ / ٨، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٣) الدر المنثور: ١٤٦ / ٨ وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٤) ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٤ / ٣٨٥ -.

(٥) التفسير الميسر: ٥٥٢.

(٦) انظر: معاني القرآن للفراء: ١٥٤ / ٣.

(٧) التفسير الميسر: ٥٥٢.

(٨) تفسير الطبري: ٣٦٢ / ٢٣.

(٩) تفسير السمعاني: ٤٢٧ / ٥.

(١٠) تفسير السعدي: ٨٦٠.

عقود البياعات والإجازات والهبات المشروطة فيها الأعاوض؛ لأن المبتغى في جميع ذلك في عادات الناس تحصيل الأعاوض لا غير" (١).

عن مجاهد، في قوله: {هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ} [الصف: ١٠] قال: "قال نفر من الأنصار في مجلس لهم وفيهم عبد الله بن رواحة: لو نعلم أي العمل أحب إلى الله لعملنا به حتى نموت"، فأنزل الله عز وجل: هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ} [الصف: ١٠] إلى قوله: {وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} [الصف: ١٣] ، قال ابن رواحة: «لا أزال حبيسا في سبيل الله حتى أموت فقتل شهيدا» (٢).

القرآن

{تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} (١١) [الصف: ١١]

التفسير:

تداومون على إيمانكم بالله ورسوله، وتجاهدون في سبيل الله؛ لنصرة دينه بما تملكون من الأموال والأنفس، ذلك خير لكم من تجارة الدنيا، إن كنتم تعلمون مضار الأشياء ومنافعها، فامتثلوا ذلك.

قوله تعالى: {تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ} [الصف: ١١]، أي: "تداومون على إيمانكم بالله ورسوله" (٣).

قال الطبري: "ثم بين لنا جل ثناؤه ما تلك التجارة التي نتجينا من العذاب الأليم، فقال: {تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ} محمد صلى الله عليه وسلم" (٤).

قال السعدي: "فكأنه قيل: ما هذه التجارة التي هذا قدرها؟ فقال {تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ}، ومن المعلوم أن الإيمان التام هو التصديق الجازم بما أمر الله بالتصديق به، المستلزم لأعمال الجوارح" (٥).

في قراءة ابن مسعود: «أمنوا بالله ورسوله»، وهو معنى القراءة المعروفة، وجوابه: «يغفر لكم ذنوبكم» (٦).

قوله تعالى: {وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ} [الصف: ١١]، أي: "وتجاهدون في سبيل الله؛ لنصرة دينه بما تملكون من الأموال والأنفس" (٧).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: وتجاهدون في دين الله، وطريقه الذي شرعه لكم بأموالكم وأنفسكم، فإن إيمانكم بالله ورسوله، وجهادكم في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم {خَيْرٌ لَكُمْ} من تضييع ذلك والتفريط" (٨).

قال ابن كثير: "ثم فسر هذه التجارة العظيمة التي لا تبور، والتي هي محصلة للمقصود ومزيلة للمحذور فقال: {تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ}." (٩).

قال السعدي: "ومن أجل أعمال الجوارح الجهاد في سبيل الله فهذا قال: {وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ} بأن تبذلوا نفوسكم ومهجكم، لمصادمة أعداء الإسلام، والقصد نصر دين الله وإعلاء كلمته، وتتفقون ما تيسر من أموالكم في ذلك المطلوب" (١٠).

(١) أحكام القرآن: ٢١٧/٢.

(٢) تفسير مجاهد: ٦٥٨.

(٣) التفسير الميسر: ٥٥٢.

(٤) تفسير الطبري: ٣٦٢/٢٣.

(٥) تفسير السعدي: ٨٦٠.

(٦) تفسير السمعاني: ٤٢٧/٥.

(٧) التفسير الميسر: ٥٥٢.

(٨) تفسير الطبري: ٣٦٢/٢٣.

(٩) تفسير ابن كثير: ١١٢/٨.

قوله تعالى: {ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [الصف : ١١]، أي: "ذلك خير لكم من تجارة الدنيا، إن كنتم تعلمون مضارّ الأشياء ومنافعها، فامتثلوا ذلك"^(٢).
 قال الطبري: يقول: " {إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} مضارّ الأشياء ومنافعها"^(٣).
 قال ابن كثير: {ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ}، " أي : من تجارة الدنيا، والكد لها والتصدي لها وحدها"^(٤).

قال السعدي: " فإن ذلك، ولو كان كريها للنفوس شاقا عليها، فإنه {خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} فإن فيه الخير الدنيوي، من النصر على الأعداء، والعز المنافي للذل والرزق الواسع، وسعة الصدر وانسراحه. وفي الآخرة الفوز بثواب الله والنجاة من عقابه"^(٥).
 عن قتادة، قوله: " {يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْحِيكُمْ} .. الآية، فلولا أن الله بينها، ودلّ عليها المؤمنين، لتلهف عليها رجال أن يكونوا يعلمونها، حتى يضمنوا بها، وقد دلّم الله عليها، وأعلمكم إياها فقال: {تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} "^(٦).
 عن معمر، قال: "تلا قتادة: {هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْحِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ}، قال: الحمد لله الذي بينها"^(٧).

القرآن

{يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلِكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشْرُ الْمُؤْمِنِينَ (١٣)} [الصف

]:

التفسير:

إن فعلتم -أيها المؤمنون- ما أمركم الله به يستر عليكم ذنوبكم، ويدخلكم جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، ومسكن طاهرة زكية في جنات إقامة دائمة لا تنقطع، ذلك هو الفوز الذي لا فوز بعده. ونعمة أخرى لكم -أيها المؤمنون- تحبونها هي نصر من الله يأتيكم، وفتح عاجل يتم على أيديكم. وبشّر المؤمنين -أيها النبي- بالنصر والفتح في الدنيا، والجنة في الآخرة.

قوله تعالى: {يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ} [الصف : ١٢]، أي: "إن فعلتم -أيها المؤمنون- ما أمركم الله به يستر عليكم ذنوبكم"^(٨).
 قال الطبري: يقول: "يستّر عليكم ربكم ذنوبكم إذا أنتم فعلتم ذلك فيصفح عنكم ويعفو"^(٩).

قال ابن كثير: "أي : إن فعلتم ما أمرتكم به ودللتكم عليه، غفرت لكم الزلات"^(١٠).
 قال السعدي: " وهذا شامل للصغائر والكبائر، فإن الإيمان بالله والجهاد في سبيله، مكفر للذنوب، ولو كانت كبائر"^(١١).

(١) تفسير السعدي: ٨٦٠.

(٢) التفسير الميسر: ٥٥٢.

(٣) تفسير الطبري: ٣٦٢/٢٣.

(٤) تفسير ابن كثير: ١١٢/٨.

(٥) تفسير السعدي: ٨٦٠.

(٦) أخرجه الطبري: ٣٦٢/٢٣-٣٦٣.

(٧) أخرجه الطبري: ٣٦٣/٢٣.

(٨) التفسير الميسر: ٥٥٢.

(٩) تفسير الطبري: ٣٦٣/٢٣.

(١٠) تفسير ابن كثير: ١١٢/٨.

(١١) تفسير السعدي: ٨٦٠.

قال سلمة بن وهرام صاحب طاووس: " أن الله تبارك وتعالى إنما سمي نفسه «العفو»،
ليعفو، و«الغفور»، ليغفر" (١).

قوله تعالى: {وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} [الصف : ١٢]، أي: " ويدخلكم
جنان تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار" (٢).

قال الطبري: " يقول: ويدخلكم بساتين تجري من تحت أشجارها الأنهار" (٣).

قال ابن كثير: " وأدخلتكم الجنات" (٤).

قال السعدي: " أي: من تحت مساكنها وقصورها وغرفها وأشجارها، أنهار من ماء غير
أسن، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى،
ولهم فيها من كل الثمرات" (٥).

عن السدي: " {جنات}، قال: البساتين" (٦).

قال مجاهد: " الجنات: حوائط" (٧).

عن أبي مالك قوله: " {تجري من تحتهم الأنهار}، يعني: تحت منازلهم وأرضهم" (٨).

قال مسروق: " أنهار الجنة تجري في غير أخدود، ثمرها كالقلال، كلما نزلت ثمرة عادت
مثلها أخرى، والعنقود اثنا عشر ذراعا" (٩).

قوله تعالى: {وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ} [الصف : ١٢]، أي: " ومساكن طاهرة زكية
في جنات إقامة دائمة لا تنقطع" (١٠).

قال الطبري: " يقول: ويدخلكم أيضا مساكن طيبة في بساتين إقامة، لا ظعن عنها" (١١).

قال ابن كثير: " والمسكن الطيبات، والدرجات العاليات" (١٢).

قال السعدي: " أي: جمعت كل طيب، من علو وارتفاع، وحسن بناء وزخرفة، حتى إن
أهل الغرف من أهل عليين، يترأفهم أهل الجنة كما يترأف الكوكب الدرّي في الأفق الشرقي
أو الغربي، وحتى إن بناء الجنة بعضه من لبن ذهب وبعضه من لبن فضة، وخيامها من اللؤلؤ
والمرجان، وبعض المنازل من الزمرد والجواهر الملونة بأحسن الألوان، حتى إنها من صفائها
يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، وفيها من الطيب والحسن ما لا يأتي عليه
وصف الواصفين، ولا خطر على قلب أحد من العالمين، لا يمكن أن يدركوه حتى يروه،
ويتمتعوا بحسنه وتقر أعينهم به، ففي تلك الحالة، لولا أن الله خلق أهل الجنة، وأنشأهم نشأة
كاملة لا تقبل العدم، لأوشك أن يموتوا من الفرح، فسبحان من لا يحصي أحد من خلقه ثناء
عليه، بل هو كما أثنى على نفسه وفوق ما يثني عليه عباده وتبارك الجليل الجميل، الذي أنشأ
دار النعيم، وجعل فيها من الجلال والجمال ما يبهر عقول الخلق ويأخذ بأفئدتهم. وتعالى من له
الحكمة التامة، التي من جملتها، أنه الله لو أرى الخلائق الجنة حين خلقها ونظروا إلى ما فيها
من النعيم لما تخلف عنها أحد، ولما هناهم العيش في هذه الدار المنغصة، المشوب نعيمها

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٣٧٩): ص ٩٦٣/٣.

(٢) التفسير الميسر: ٥٥٢.

(٣) تفسير الطبري: ٣٦٣/٢٣.

(٤) تفسير ابن كثير: ١١٢/٨.

(٥) تفسير السعدي: ٨٦٠.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٥٨٢٤): ص ٢٧٩٦/٩.

(٧) تفسير مجاهد: ٤٩٦.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٢٣٨): ص ١٩٢٩/٦.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٦٧٨): ص ٨٤٥/٣.

(١٠) التفسير الميسر: ٥٥٢.

(١١) تفسير الطبري: ٣٦٣/٢٣.

(١٢) تفسير ابن كثير: ١١٢/٨.

بألمها، وسرورها بترحها، وسميت الجنة جنة عدن، لأن أهلها مقيمون فيها، لا يخرجون منها أبداً، ولا يبيغون عنها حوالاً" (١).

وفي "جَنَاتِ عَدْنٍ"، ثلاثة أقوال:

أحدها: أن «عدن»: اسم قصر في الجنة، قاله الحسن (٢).

وقد روي عن الحسن: "قصرٌ من ذهب، لا يدخله إلا نبي، أو صديق، أو شهيد، أو حكم

عدل" (٣).

الثاني: أنها مدينة الجنة، فيها الرُّسُلُ والأنبياء والشهداء، وأئمة الهدى، والناس حولهم بعدُ، والجنات حولها. قاله الضحاك (٤).

الثالث: أنها اسم نهر في الجنة، جَنَاتِهِ عَلَى حَافَتَيْهِ. قاله عطاء (٥).

قوله تعالى: {ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [الصف: ١٢]، أي: "ذلك هو الفوز الذي لا فوز

بعده" (٦).

قال سعيد بن جبير: "يعني: ذلك الثواب الفوز العظيم" (٧).

قال الطبري: "يقول: ذلك النجاء العظيم من نكال الآخرة وأهوالها" (٨).

قال السعدي: "ذلك الثواب الجزيل، والأجر الجميل، الفوز العظيم، الذي لا فوز مثله،

فهذا الثواب الأخرى" (٩).

قوله تعالى: {وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ} [الصف: ١٣]، أي: "ونعمة

أخرى لكم -أيها المؤمنون- تحبونها هي نصر من الله يأتيكم، وفتح عاجل يتم على أيديكم" (١٠).

قال الطبري: يقول: "ولكم خلة أخرى سوى ذلك في الدنيا تحبونها: نصر من الله لكم

على أعدانكم، وفتح قريب يعجله لكم" (١١).

قال البيهقي: "أي: ولكم خصلة أخرى في العاجل مع ثواب الآخرة تحبونها وتلك

الخصلة: {نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ}" (١٢).

قال السعدي: "وأما الثواب الدنيوي لهذه التجارة، فذكره بقوله: {وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا} أي:

ويحصل لكم خصلة أخرى تحبونها وهي: {نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ} لكم على الأعداء، يحصل به العز

والفرح، {وَفَتْحٌ قَرِيبٌ} تتسع به دائرة الإسلام، ويحصل به الرزق الواسع، فهذا جزاء المؤمنين

المجاهدين" (١٣).

قال الكلبي: هو النصر على قريش، وفتح مكة" (١٤).

وقال عطاء: يريد فتح فارس والروم" (١٥).

قال ابن كثير: "أي: وأزيدكم على ذلك زيادة تحبونها، وهي: {نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ

قَرِيبٌ}، أي: إذا قاتلتم في سبيله ونصرتم دينه، تكفل الله بنصركم. قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

(١) تفسير السعدي: ٨٦٠.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٦٩٥٣): ص ٣٥٤/١٤.

(٣) أخرجه الطبري (١٦٩٥٣): ص ٣٥٤/١٤.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٦٩٥٧): ص ٣٥٥/١٤.

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٦٩٥٨): ص ٣٥٥/١٤.

(٦) التفسير الميسر: ٥٥٢.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٩٦٠): ص ٨٩١/٣.

(٨) تفسير الطبري: ٣٦٣/٢٣.

(٩) تفسير السعدي: ٨٦٠.

(١٠) التفسير الميسر: ٥٥٢.

(١١) تفسير الطبري: ٣٦٤/٢٣.

(١٢) تفسير البيهقي: ١١٠/٨.

(١٣) تفسير السعدي: ٨٦٠.

(١٤) نقلاً عن: تفسير البيهقي: ١١٠/٨.

(١٥) نقلاً عن: تفسير البيهقي: ١١٠/٨.

أَمْنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} [محمد : ٧] وقال تعالى: {وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} [الحج : ٤٠] وقوله {وَقَتِحْ قَرِيبٌ}، أي : عاجل فهذه الزيادة هي خير الدنيا موصول بنعيم الآخرة، لمن أطاع الله ورسوله، ونصر الله ودينه^(١).
قوله تعالى: {وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} [الصف : ١٣]، أي: "وبشِّر المؤمنين -أيها النبي- بالنصر والفتح في الدنيا، والجنة في الآخرة"^(٢).

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وبشر يا محمد المؤمنين بنصر الله إياهم على عدوهم، وفتح عاجل لهم"^(٣).

قال البيهقي: " {وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} يا محمد بالنصر في الدنيا والجنة في الآخرة"^(٤).
قال السعدي: " وأما المؤمنون من غير أهل الجهاد، إذا قام غيرهم بالجهاد فلم يؤيسهم الله تعالى من فضله وإحسانه، بل قال: {وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} أي: بالثواب العاجل والأجل، كل على حسب إيمانه، وإن كانوا لا يبلغون مبلغ المجاهدين في سبيل الله، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، أعداها الله للمجاهدين في سبيله»^(٥)^(٦).

القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ (١٤)} [الصف : ١٤]

التفسير:

يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، كونوا أنصاراً دين الله، كما كان أصفياء عيسى وخلص أصحابه أنصار دين الله حين قال لهم عيسى: من يتولى منكم نصري وإعانتني فيما يقرب إلى الله؟ قالوا: نحن أنصار دين الله، فاهتدت طائفة من بني إسرائيل، وضلّت طائفة، فأيدنا الذين آمنوا بالله ورسوله، ونصرناهم على من عاداهم من فرق النصارى، فأصبحوا ظاهرين عليهم؛ وذلك ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم.

قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ} [الصف : ١٤]، أي: "يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، كونوا أنصاراً دين الله"^(٧).

قال الطبري: يقول " يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله، كونوا أنصار الله"^(٨).

قال البيهقي: " أي: انصروا دين الله"^(٩).

قال البيهقي: " أي: ولكم خصلة أخرى في العاجل مع ثواب الآخرة تحبونها وتلك

الخصلة: { نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَقَتِحٌ قَرِيبٌ }"^(١٠).

(١) تفسير ابن كثير: ١١٢/٨.

(٢) التفسير الميسر: ٥٥٢.

(٣) تفسير الطبري: ٣٦٤/٢٣.

(٤) تفسير البيهقي: ١١٠/٨.

(٥) عن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يا أبا سعيد، من رضي بالله ربا، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً، وجبت له الجنة»، فعجب لها أبو سعيد، فقال: أعداها علي يا رسول الله، ففعل، ثم قال: «وأخرى يرفع بها العبد مائة درجة في الجنة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض»، قال: وما هي يا رسول الله؟ قال: «الجهاد في سبيل الله، الجهاد في سبيل الله». رواه مسلم (١٨٨٤):ص ١٥٠١/٣

(٦) تفسير السعدي: ٨٦٠.

(٧) التفسير الميسر: ٥٥٢.

(٨) تفسير الطبري: ٣٦٥/٢٣.

(٩) تفسير البيهقي: ١١٠/٨.

(١٠) تفسير البيهقي: ١١٠/٨.

قال ابن كثير: " يقول تعالى أمرا عباده المؤمنين أن يكونوا أنصار الله في جميع أحوالهم، بأقوالهم وأفعالهم وأنفسهم وأموالهم، وأن يستجيبوا لله ولرسوله" (١).

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: «كُونُوا أَنْصَاراً لِلَّهِ»، بتتوين الأنصار (٢).

قوله تعالى: {كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ} [الصف: ١٤]، أي: " كما كان أصفياء عيسى وخلص أصحابه أنصار دين الله حين قال لهم عيسى: مَنْ يتولى منكم نصري وإعانتني فيما يُقَرَّب إلى الله؟" (٣).

قال الطبري: يقول " كما قال عيسى ابن مريم للحواريين: من أنصاري منكم إلى نصره الله لي" (٤).

قال البغوي: أي: " مثل نصره الحواريين لما قال لهم عيسى عليه السلام: {مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ}؟ أي: من ينصرني مع الله؟" (٥).

قال ابن كثير: أي: " كما استجاب الحواريون لعيسى حين قال: {مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ}؟ أي: معيني في الدعوة إلى الله عز وجل؟" (٦).

عن مجاهد، في قول الله: " {مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ}، قال: من يتبعني إلى الله؟" (٧).
عن سعيد بن جبير، قال: " سئل ابن عباس عن الحواريين، قال: سُمُّوا لبياض ثيابهم كانوا صيادي السمك" (٨).

قال الضحاك: " الحواريون: هم الغسالون بالنبطية؛ يقال للغسال: حواري، وقد تقدم بياننا في معنى الحواري بشواهد واختلاف المختلفين فيه قبل فيما مضى، فأغنى عن إعادته" (٩).

عن سعيد، عن قتادة: " {يَأْيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ}، قال: " قد كانت لله أنصار من هذه الأمة تجاهد على كتابه وحقه". وذكر لنا أنه بايعه ليلة العقبة اثنان وسبعون رجلا من الأنصار، ذكر لنا أن بعضهم قال: هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل؟ إنكم تبايعون على محاربة العرب كلها أو يُسلموا. ذكر لنا أن رجلا قال: يا نبي الله اشترط لربك ولنفسك ما شئت، قال: أشترط لربي أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئا، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما منعتم منه أنفسكم وأبناءكم" قالوا: فإذا فعلنا ذلك فما لنا يا نبي الله؟ قال: "لكم النصر في الدنيا، والجنة في الآخرة"، ففعلوا، ففعل الله" (١٠).

عن معمر، قال: " تلا قتادة: {كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ}، قال: قد كان ذلك بحمد الله، جاءه سبعون رجلا فبايعوه عند العقبة، فنصروه وأووه حتى أظهر الله دينه؛ قالوا: ولم يسم حي من السماء اسما لم يكن لهم قبل ذلك غيرهم" (١١).

قال قتادة: " إن الحواريين كلهم من قريش: أبو بكر، وعمر، وعلي، وحمزة، وجعفر، وأبو عبيدة، وعثمان بن مظعون، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وعثمان، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام" (١٢).

(١) تفسير ابن كثير: ١١٣/٨.

(٢) انظر: السبعة في القراءات: ٦٣٥.

(٣) التفسير الميسر: ٥٥٢.

(٤) تفسير الطبري: ٣٦٥/٢٣.

(٥) تفسير البغوي: ١١٠/٨.

(٦) تفسير ابن كثير: ١١٣/٨.

(٧) أخرجه الطبري: ٣٦٦-٣٦٥/٢٣.

(٨) أخرجه الطبري: ٣٦٦/٢٣.

(٩) أخرجه الطبري: ٣٦٦/٢٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٣٦٥/٢٣.

(١١) أخرجه الطبري: ٣٦٥/٢٣.

(١٢) أخرجه الطبري: ٣٦٥/٢٣.

قوله تعالى: {قَالَ الْخَوَارِئُونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ} [الصف : ١٤]، أي: "قال أتباع عيسى وهم المؤمنون الخُلص من خاصته المستجيبون لدعوته نحن أنصار دين الله" (١).

قال الطبري: "يقول: قالوا: نحن أنصار الله على ما بعث به أنبياءه من الحق" (٢).
قال ابن كثير: " {قَالَ الْخَوَارِئُونَ} - وهم أتباع عيسى عليه السلام - : {نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ}، أي : نحن أنصارك على ما أرسلت به ومُؤازروك على ذلك ؛ ولهذا بعثهم دعاءً إلى الناس في بلاد الشام في الإسرائيليين واليونانيين. وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في أيام الحج : «من رجل يُؤويني حتى أبلغ رسالة ربي، فإن قریشا قد منعوني أن أبلغ رسالة ربي» (٣)، حتى قَبِضَ اللهُ عز وجل له الأوس والخزرج من أهل المدينة، فبايعوه ووازره، وشارطوه أن يمنعوه من الأسود والأحمر إن هو هاجر إليهم، فلما هاجر إليهم بمن معه من أصحابه وقَوَّاه بما عاهدوا الله عليه ؛ ولهذا سماهم الله ورسوله : الأنصار، وصار ذلك علما عليهم، رضي الله عنهم، وأرضاهم" (٤).

قال الماوردي: " أصل «الحواري» : الحَوْر، وهو شدة البياض ، ومنه: الحواري من الطعام لشدة بياضه، والحَوْر نقاء بياض العين" (٥).

واختُلف في تسميتهم بـ«الحواريين»، على أقوال :

أحدها : أنهم سُمُوا بذلك لبياض ثيابهم، وهذا قول ابن عباس (٦)، وسعيد بن جبير (٧)، ومسلم البطين (٨).

الثاني : أنهم كانوا قَصَّارين يبيضون الثياب ، وهذا قول ابن أبي نجیح (٩)، والضحاك في -أحد قوليه- (١٠).

الثالث : أنهم خاصة الأنبياء وصفوتهم، سماوا بذلك لنقاء قلوبهم ، وهذا قول قتادة (١١)-في أحد قوليه-، والضحاك (١٢)، ورَجَّحَ الزجاج (١٣).

الرابع: أن الحواري: الناصر. قاله سفيان بن عيينة (١٤).

الخامس: أن الحواري: الوزير. قاله قتادة (١٥).

قال الطبري: " وأشبه الأقوال في معنى «الحواريين»، قول من قال: سماوا بذلك لبياض ثيابهم، ولأنهم كانوا غَسَّالين" (١٦).

قال ابن كثير: " الصحيح أن الحواري الناصر ، كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نَدَبَ الناس يوم الأحزاب ، فانتدب الزبير، ثم ندبهم فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير، فقال: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا وَحَوَارِيَّ الزُّبَيْرِ» (١٧)» (١٨).

(١) صفوة التفاسير: ٣٥٣/٣.

(٢) تفسير الطبري: ٣٦٦/٢٣.

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند (٣٢٢/٣) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٤) تفسير ابن كثير: ١١٣/٨.

(٥) النكت والعيون: ٣٩٦/١.

(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٣٥٦٨):ص٦٥٩/٢.

(٧) انظر: تفسير الطبري (٧١٢٤):ص٤٤٥/٦.

(٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٣٥٦٨):ص٦٥٩/٢.

(٩) انظر: تفسير الطبري (٧١٢٥):ص٤٤٦/٦.

(١٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٣٥٦٩):ص٦٥٩/٢.

(١١) انظر: تفسير الطبري (٧١٢٦):ص٤٤٦/٦.

(١٢) انظر: تفسير الطبري (٧١٢٧):ص٤٤٦/٦.

(١٣) انظر: معاني القرآن: ٤١٦/١.

(١٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٣٥٧١):ص٦٦٠/٢.

(١٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٣٥٧٣):ص٦٦٠/٢.

(١٦) تفسير الطبري: ٤٤٦/٦.

(١٧) تفسير ابن كثير: ٤٦/٢.

(١٨) صحيح البخاري برقم (٣٧١٩) وصحيح مسلم برقم (٢٤١٥) من حديث جابر رضي الله عنه.

قوله تعالى: {فَأَمَّنتُ طَائِفَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرْتُ طَائِفَةً} [الصف : ١٤]، أي: "فاهتدت طائفة من بني إسرائيل، وضللت طائفة"^(١).

قال الطبري: يقول: "فأمّنت طائفة من بني إسرائيل بعيسى، وكفرت طائفة منهم به"^(٢). قال ابن كثير: "أي: لما بلغ عيسى ابن مريم عليه السلام رسالة ربه إلى قومه، ووازره من وازره من الحواريين، اهتدت طائفة من بني إسرائيل بما جاءهم به، وضلت طائفة فخرجت عما جاءهم به، وجدوا نبوته، ورموه وأمه بالعظائم، وهم اليهود - عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة - وغلت فيه طائفة ممن اتبعه، حتى رفعوه فوق ما أعطاه الله من النبوة، وافترقوا فرقا وشيعا، فمن قائل منهم: إنه ابن الله. وقائل: إنه ثالث ثلاثة: الأب، والابن، وروح القدس. ومن قائل: إنه الله. وكل هذه الأقوال مفصلة في سورة النساء"^(٣).

عن ابن عباس، قال: "لما أراد الله أن يرفع عيسى إلى السماء خرج إلي أصحابه وهم في بيت اثنا عشر رجلا من عين في البيت ورأسه يقطر ماء؛ قال: فقال: إن منكم من سيكفر بي اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن بي؛ قال: ثم قال: أيكم يلقي عليه شبيهي فيقتل مكاني، ويكون معي في درجتي؟ قال: فقام شاب من أحدثهم سنا، قال: فقال أنا، فقال له: اجلس؛ ثم أعاد عليهم، فقام الشاب، فقال أنا؛ قال: نعم أنت ذلك؛ فألقى عليه شبه عيسى، ورفع عيسى من روضة في البيت إلى السماء؛ قال: وجاء الطلب من اليهود، وأخذوا شبيهي. فقتلوه وصلبوه، وكفر به بعضهم اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن به، ففترقوا ثلاث فرق، فقالت فرقة: كان الله فينا ما شاء، ثم صعد إلى السماء، وهؤلاء اليعقوبية. وقالت فرقة: كان فينا ابن الله ما شاء الله، ثم رفعه إليه، وهؤلاء النسطورية. وقالت فرقة: كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله، ثم رفعه الله إليه، وهؤلاء المسلمون، فتظاهرت الطائفتان الكافرتان على المسلمة، فقتلوا، فلم يزل الإسلام تامسا حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم، فأمّنت طائفة من بني إسرائيل، وكفرت طائفة، يعني الطائفة التي كفرت من بني إسرائيل في زمن عيسى، والطائفة التي أمّنت في زمن عيسى، فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم، فأصبحوا ظاهرين في إظهار محمد على دينهم دين الكفار، {فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ}"^(٤).

قال ابن كثير: "فأمة محمد صلى الله عليه وسلم لا يزالون ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله وهم كذلك، وحتى يقاتل آخرهم الدجال مع المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام كما وردت بذلك الأحاديث الصحاح، والله أعلم"^(٥).

قوله تعالى: {فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ} [الصف : ١٤]، أي: "فأيدنا الذين آمنوا بالله ورسوله، ونصرناهم على من عاداهم من فرق النصارى"^(٦).

قال الطبري: "يقول: فقوينا الذين آمنوا من الطائفتين من بني إسرائيل على عدوهم، الذي كفروا منهم بمحمد صلى الله عليه وسلم بتصديقه إياهم، أن عيسى عبد الله ورسوله، وتكذيبه من قال هو إله، ومن قال: هو ابن الله تعالى ذكره"^(٧).

قال ابن كثير: "أي: نصرناهم على من عاداهم من فرق النصارى"^(٨).
عن مجاهد: "{فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ}"، قال: قويننا"^(٩).

(١) التفسير الميسر: ٥٥٢.

(٢) تفسير الطبري: ٣٦٦/٢٣.

(٣) تفسير ابن كثير: ١١٣/٨.

(٤) أخرجه الطبري: ٣٦٦-٣٦٧/٢٣.

(٥) تفسير ابن كثير: ١١٤/٨.

(٦) التفسير الميسر: ٥٥٢.

(٧) تفسير الطبري: ٣٦٧/٢٣.

(٨) تفسير ابن كثير: ١١٣/٨.

(٩) أخرجه الطبري: ٣٦٧/٢٣.

قوله تعالى: {فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ} [الصف : ١٤]، أي: "فأصبحوا ظاهرين عليهم؛ وذلك ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم" (١).

قال الطبري: يقول: "فأصبحت الطائفة المؤمنون ظاهرين على عدوهم الكافرين منهم" (٢).

قال ابن كثير: "فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ"، أي : عليهم، وذلك ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم" (٣).

عن مجاهد، في قوله: "فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ"، من آمن مع عيسى صلى الله عليه وسلم" (٤).

قال إبراهيم: "لما بعث الله محمدًا، ونزل تصديق من آمن بعيسى، أصبحت حجة من آمن به ظاهرة" (٥).

قال إبراهيم: "أيدوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، فصدّقهم، وأخبر بحجتهم" (٦).

قال إبراهيم: "أصبحت حجة من آمن بعيسى ظاهرة بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم كلمة الله وروحه" (٧).

فوائد الآيات: [١٠-١٤]:

- ١- فضل الجهاد بالمال والنفس وأنه أعظم تجارة رابحة.
- ٢- تحقيق بشرى المؤمنين التي أمر الله رسوله أن يبشرهم بها فكان هذا برهاناً على صحة الإسلام وسلامة دعوته.
- ٣- بيان استجابة المؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما طلب منهم نصره رسول الله صلى الله عليه وسلم ودينه والمؤمنين معه. وهي نصره الله تعالى المطلوبة.

«آخر تفسير سورة (الصف)، والحمد لله وحده»

(١) التفسير الميسر: ٥٥٢.

(٢) تفسير الطبري: ٣٦٧/٢٣.

(٣) تفسير ابن كثير: ١١٣/٨.

(٤) أخرجه الطبري: ٣٦٨/٢٣.

(٥) أخرجه الطبري: ٣٦٧/٢٣.

(٦) أخرجه الطبري: ٣٦٧/٢٣.

(٧) أخرجه الطبري: ٣٧٨-٣٦٧/٢٣.

بسم الله الرحمن الرحيم تفسير سورة «الجمعة»

«سورة الجمعة» هي السورة الثانية والستون من سور القرآن الكريم، وهي رابعة السور «المُسَبِّحات» التي تبدأ بتسبيح الله، نزلت بعد «سورة الصف»، وآياتها: إحدى عشرة. وكلماتها: مائة وثمانون. وحروفها سبعمائة وعشرون. فواصل آياتها: «من»^(١).

■ أسماء السورة:

■ اسمها التوقيفي: «سورة الجمعة»:

تسمى «سورة الجمعة»، لقوله: {إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ} [الجمعة: ٩].

قال ابن عاشور: "سميت هذه السورة عند الصحابة وفي كتب السنة والتفاسير «سورة الجمعة» ولا يعرف لها اسم غير ذلك"^(٢).

■ مكية السورة ومدنيتها:

روي عن ابن عباس قال: "نزلت سورة الجمعة بالمدينة"^(٣). وروي عن عبد الله بن الزبير مثله^(٤).

قال ابن الجوزي: "هي مدنية كلها بإجماعهم"^(٥).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

تظهر مناسبة هذه السورة لما قبلها من وجهين:

١- إنه ذكر في السورة قبلها حال موسى مع قومه وأذاه لهم، ناعيا عليهم ذلك، وذكر في هذه حال الرسول صلى الله عليه وسلم وفضل أمته، تشريفا لهم، ليعلم الفرق بين الاثنين.

٢- إنه حكى في السورة قبلها قول عيسى: «ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد» وذكر هنا: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ} [الجمعة: ٢] إشارة إلى أنه هو الذي بشر به عيسى.

٣- لما ختم السورة قبلها بالأمر بالجهاد وسماه تجارة، ختم هذه السورة بالأمر بالجمعة، وأخبر أن ذلك خير من التجارة الدنيوية^(٦).

■ أغراض السورة ومقاصدها

١- تناولت بعثة خاتم الرسل صلى الله عليه وسلم وبيّنت أنه الرحمة المهداة لإنقاذ البشرية من الضلال، من قوله تعالى: {يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [الجمعة: ١] إلى قوله تعالى: {ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ دُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} [الجمعة: ٤]

٢- تحدثت عن اليهود وانحرافهم عن شرع الله ومثلت لهم بالحمار الذي يحمل كتبا نافعة ولا يناله منها سوى التعب، من قوله تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا الثُّرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا} [الجمعة: ٥]، إلى قوله تعالى: {ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [الجمعة: ٨].

٣- تناولت أحكام صلاة الجمعة، ودعت المسلمين للمسارعة إليها، وحرمت البيع وقت الأذان والنداء لها وختمت بالتحذير من الانشغال عن الصلاة بالتجارة واللهو، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٤/١.

(٢) التحرير والتنوير: ٢٠٤/٢٨.

(٣) الدر المنثور: ١٥١/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٤) الدر المنثور: ١٥١/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٥) زد المسير: ٢٨٠/٤.

(٦) انظر: تفسير المراعي: ٩٣/٢٨.

الْبَيْعَ دَلِيْمٌ خَيْرٌ لَكُمْ اِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُوْنَ} [الجمعة : ٩] اِلى قوله تعالى : {قُلْ مَا عِنْدَ اللّٰهِ خَيْرٌ
مِّنَ اللّٰهُوْ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللّٰهُ خَيْرُ الرَّازِقِيْنَ} [الجمعة : ١١].

قال ابن عاشور: "أول أغراضها ما نزلت لأجله وهو التحذير من التخلف عن صلاة الجمعة والأمر بترك ما يشغل عنها في وقت أدائها. وقدم لذلك: التنويه بجلال الله تعالى.

والتنويه بالرسول صلى الله عليه وسلم. وأنه رسول إلى العرب ومن سيلحق بهم. وأن رسالته لهم فضل من الله. وفي هذا توطئة لزم اليهود لأنهم حسدوا المسلمين على تشريفهم بهذا الدين. ومن جملة ما حسدوهم عليه ونقموه أن جعل يوم الجمعة اليوم الفاضل في الأسبوع بعد أن كان يوم السبت وهو المعروف في تلك البلاد. وإبطال زعمهم أنهم أولياء الله. وتوبيخ قوم انصرفوا عنها لمجيء غير تجارة من الشام"^(١).

■ الناسخ والمنسوخ:

السورة خالية عن الناسخ والمنسوخ^(٢).

■ فضائل السورة:

• عن ابن عباس، وأبي هريرة : "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في صلاة الجمعة بسورة الجمعة والمنافقين"^(٣).

• عن جابر بن سمرة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في صلاة المغرب ليلة الجمعة {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} و {قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ}، وكان يقرأ في صلاة العشاء الأخيرة ليلة الجمعة سورة الجمعة والمنافقين"^(٤).

• عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قرأ سورة الجمعة كتب له عشر سنوات بعدد من ذهب إلى الجمعة من مصر من أمصار المسلمين ومن لم يذهب»^(٥).

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعاً لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

(١) التحرير والتنوير: ٢٠٥/٢٨-٢٠٦.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٤/١.

(٣) صحيح مسلم برقم (٨٧٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وبرقم (٨٧٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) الدر المنثور وعزاه إلى ابن حبان والبيهقي في سننه.

(٥) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٠٥/٩. [ضعيف]

القرآن

{يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١)} [الجمعة : ١]

التفسير:

ينزه الله تعالى عن كل ما لا يليق به كل ما في السموات وما في الأرض، وهو وحده المالك لكل شيء، المتصرف فيه بلا منازع، المنزه عن كل نقص، العزيز الذي لا يغالب، الحكيم في تدبيره وصنعه.

قوله تعالى: {يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} [الجمعة : ١]، أي: "ينزه الله تعالى عن كل ما لا يليق به كل ما في السموات وما في الأرض"^(١).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: يسبح لله كل ما في السموات السبع، وكل ما في الأرضين من خلقه، ويعظمه طوعًا وكرهًا"^(٢).

قال ابن كثير: "يخبر تعالى أنه يُسَبِّحُ له ما في السموات وما في الأرض، أي : من جميع المخلوقات ناطقها وجامدها، كما قال: {وَأِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ} [الإسراء : ٤٤]"^(٣).

عن الضحاك، وسفيان: "{سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}" " أنه الصلاة ، سميت تسبيحا لما تتضمنه من التسبيح"^(٤).

عن ميمون بن مهران: {سبحان الله}: اسم يعظم الله به ويحاشى به من السوء"^(٥).
عن المسيب -من طريق الهذيل- قال: "{سُبْحَانَ اللَّهِ} إنصاف لله من السوء"^(٦).

قال ابن الجوزي: "فإن قيل: فما الفائدة في إعادة ذكر التسبيح في هذه السورة؟ فالجواب: أن ذلك لاستفتاح السور بتعظيم الله عز وجل، كما تستفتح ب «بسم الله الرحمن الرحيم» وإذا جَلَّ المعنى في تعظيم الله، حسن الاستفتاح به"^(٧).

قال ابن قتيبة: "ومن صفاته: «سُبُوْحٌ»، وهو حرف مبني على «فُعُولٌ»؛ من "سَبَّحَ اللهُ": إذا نزهه وبرأه من كل عيب. ومنه قيل: سبحان الله؛ أي: تنزيهاً لله، وتبرئة له من ذلك. ومنه قوله: {يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} [الجمعة: ١]، وقال الأعشى"^(٨).

أقول لَمَّا جَاءَنَا فَخْرُهُ ... سُبْحَانَ مِنْ عِلْقَمَةَ الْفَاخِرِ
أراد: التبرؤ من علقمة. وقد يكون تعجباً [بالتسبيح من فخره؛ كما يقول القائل إذا تعجب] من شيء: سبحان الله. فكأنه قال: عجباً من علقمة الفاخر"^(٩).

قوله تعالى: {الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ} [الجمعة : ١]، أي: "وهو وحده المالك لكل شيء، المتصرف فيه بلا منازع، المنزه عن كل نقص"^(١٠).

(١) التفسير الميسر: ٥٥٣.

(٢) تفسري الطبري: ٣٧١/٢٣.

(٣) تفسري ابن كثير: ١١٥/٨.

(٤) النكت والعيون: ٤٦٨/٥.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٤٤): ص ٨١/١.

(٦) أخرجه الهذيل بن حبيب -كما في تفسير مقاتل بن سليمان ٢٨٧/٤ -.

(٧) زد المسير: ٢٨٠/٤.

(٨) اللسان ٢٩٩/٣، ومفردات الراغب ٢٢٠، وسيبويه ١٦٣/١، وخزانة الأدب ٨٩/١، ٤١/٢، ٢٤٧/٣، ٢٥١، وتفسير القرطبي ٢٧٦/١، وتفسير الطبري ٤٧٤/١، والصحاح ٣٧٢/١، والبيت في شأن علقمة بن علاثة الصحابي.

(٩) غريب القرآن: ٨.

(١٠) التفسير الميسر: ٥٥٣.

قال الطبري: {المَلِكُ}: "الذي له ملك الدنيا والآخرة وسلطانهما، النافذ أمره في السموات والأرض وما فيهما، القدوس: وهو الطاهر من كل ما يضيف إليه المشركون به، ويصفونه به مما ليس من صفاته المبارك"^(١).

قال ابن كثير: {المَلِكُ}: أي: هو مالك السموات والأرض المتصرف فيهما بحكمه، وهو {الْقُدُّوسُ}، أي: المنزه عن النقائص، الموصوف بصفات الكمال"^(٢).

عن قتادة: {الْقُدُّوسُ}، أي: المبارك"^(٣).

عن عثمان بن سعيد، قال جبريل: "يا محمد، الله الخلق كله والسموات كلهن ومن فيهن والأرضون كلهن ومن فيهن، ومن بينهن مما يعلم ومما لا يعلم"^(٤).

قوله تعالى: {الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [الجمعة: ١]، أي: "العزیز الذي لا يغالب، الحكيم في تدبيره وصنعه"^(٥).

قال الطبري: {الْعَزِيزُ}، يعني: الشديد في انتقامه من أعدائه، {الْحَكِيمُ} في تدبيره خلقه، وتصريفه إياهم فيما هو أعلم به من مصالحهم"^(٦).

قال محمد بن إسحاق: "العزیز: في نصرته ممن كفر به إذا شاء"^(٧)، الحكيم: في عذره وحقته إلى عباده"^(٨).

قال أبو العالية: {عزیز} في نقمته إذا انتقم"^(٩). وروي عن قتادة والربيع بن أنس نحو ذلك"^(١٠).

عن أبي العالية: {حكيم}، قال: حكيم في أمره"^(١١).

قال محمد بن جعفر بن الزبير "الحكيم في عذره، وحقته إلى عباده"^(١٢).

القرآن

{هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢) وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣)}

[الجمعة: ٢-٣]

التفسير:

الله سبحانه هو الذي أرسل في العرب الذين لا يقرؤون، ولا كتاب عندهم ولا أثر رسالة لديهم، رسولا منهم إلى الناس جميعاً، يقرأ عليهم القرآن، ويظهرهم من العقائد الفاسدة والأخلاق السيئة، ويعلمهم القرآن والسنة، وإنهم كانوا من قبل بعثته لفي انحراف واضح عن الحق. وأرسله سبحانه إلى قوم آخرين لم يجيئوا بعد، وسيجيئون من العرب ومن غيرهم. والله تعالى - وحده- هو العزيز الغالب على كل شيء، الحكيم في أقواله وأفعاله.

(١) تفسري الطبري: ٣٧١/٢٣.

(٢) تفسري ابن كثير: ١١٥/٨.

(٣) أخرجه الطبري: ٣٠٢/٢٣.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٠٧٢): ص ١٠٨٥/٤. في تفسير قوله تعالى: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} [النساء: ١٣٢].

(٥) التفسير الميسر: ٥٥٣.

(٦) تفسري الطبري: ٣٧١/٢٣.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٨٣٤): ص ١٦٦٤/٥.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٨٣٦): ص ١٦٦٤/٥.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٨٣٣): ص ١٦٦٤/٥.

(١٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٦٦٤/٥.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٠٤٢): ص ١٧٦٤/٦.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٠٤٣): ص ١٧٦٤/٦.

قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ} [الجمعة : ٢]، أي: "الله سبحانه هو الذي أرسل في العرب الذين لا يقرؤون، ولا كتاب عندهم ولا أثر رسالة لديهم، رسولا منهم إلى الناس جميعاً"^(١).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: الله الذي بعث في الأميين رسولا منهم، و«الأميون»: هم العرب"^(٢).

عن مجاهد، قال: " {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ}، قال: العرب"^(٣).
قال ابن كثير: "الأميون هم: العرب كما قال تعالى: {وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ قَبْلَ أَنْ تُسَلَّمُوا فَقَدْ اهُتَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ} [آل عمران : ٣١٤] وتخصيص الأميين بالذكر لا ينفي من عداهم، ولكن المنة عليهم أبلغ وأكد، كما في قوله: {وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ} [الزخرف : ٤٤] وهو ذكر لغيرهم يتذكرون به. وكذا قوله: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} [الشعراء : ٢١٤] وهذا وأمثاله لا ينافي قوله تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا} [الأعراف : ١٥٨] وقوله: {لَأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ} [الأنعام : ١٩] وقوله إخبارا عن القرآن: {وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ} [هود : ١٧]، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على عموم بعثته صلوات الله وسلامه عليه إلى جميع الخلق أحمرهم وأسودهم.. وهذه الآية هي مصداق إجابة الله لخليله إبراهيم، حين دعا لأهل مكة أن يبعث الله فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة. فبعثه الله سبحانه وتعالى وله الحمد والمنة، على حين فترة من الرسل، وطُمُوس من السبل، وقد اشتدت الحاجة إليه، وقد مقت الله أهل الأرض عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب - أي : نذرا يسيرا - ممن تمسك بما بعث الله به عيسى ابن مريم عليه السلام"^(٤).

وفي تسميتهم: «أميين»، قولان :

أحدهما : لأنه لم ينزل عليهم كتاب ، قاله ابن زيد^(٥).

قال ابن زيد: "إنما سميت أمة محمد صلى الله عليه وسلم الأميين، لأنه لم ينزل عليهم كتاباً"^(٦).

الثاني : لأنهم لم يكونوا يكتبون ولا كان فيهم كاتب ، قاله قتادة^(٧).

قال قتادة: "كانت هذه الأمة أمية لا يقرءون كتاباً"^(٨).

قال قتادة: "كان هذا الحي من العرب أمة أمية، ليس فيها كتاب يقرءونه، فبعث الله نبيه محمداً رحمة وهدى يهديهم به"^(٩).

ثم فيهم قولان :

أحدهما : أنهم قريش خاصة لأنها لم تكن تكتب حتى تعلم بعضها في آخر الجاهلية من أهل الحيرة^(١٠).

الثاني : أنهم جميع العرب لأنه لم يكن لهم كتاب ولا كتب منهم إلا قليل ، قاله المفضل^(١١).

فلو قيل : فما وجه الامتنان بأن بعث نبياً أمياً ؟

فالجواب عنه ثلاثة أوجه^(١):

(١) التفسير الميسر: ٥٥٣.

(٢) تفسري الطبري: ٣٧١/٢٣.

(٣) أخرجه الطبري: ٣٧٢/٢٣.

(٤) تفسري ابن كثير: ١١٦-١١٥/٨.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٧٢/٢٣.

(٦) أخرجه الطبري: ٣٧٢/٢٣.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٣٧٢/٢٣.

(٨) أخرجه الطبري: ٣٧٢/٢٣.

(٩) أخرجه الطبري: ٣٧٢/٢٣.

(١٠) انظر: النكت والعيون: ٥/٦.

(١١) انظر: النكت والعيون: ٦/٦.

أحدها : لموافقته ما تقدمت بشاراة الأنبياء به .
 الثاني : لمشاكلته حاله لأحوالهم ، فيكون أقرب إلى موافقتهم .
 الثالث : لينتقي عنه سوء الظن في تعلمه ما دعا إليه من الكتب التي قرأها والحكم التي تلاها .
 قوله تعالى: {يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ} [الجمعة : ٢] ، أي: " يقرأ عليهم القرآن" (٢) .
 قال مقاتل: " يعني: القرآن" (٣) .
 قال الطبري: " يقول جلّ ثناؤه: يقرأ على هؤلاء الأميين آيات الله التي أنزلها عليه" (٤) .
 قوله تعالى: {وَيُزَكِّيهِمْ} [الجمعة : ٢] ، أي: " ويطهرهم من العقائد الفاسدة والأخلاق السيئة" (٥) .

قال الطبري: " يقول: ويطهرهم من دنس الكفر" (٦) .
 قال مقاتل: " يعني: ويصلحهم" (٧) .
 قال ابن عباس: " يعني: الزكاة: طاعة الله والإخلاص" (٨) .
 قوله تعالى: {وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} [الجمعة : ٢] ، أي: " ويعلمهم القرآن والسنة" (٩) .
 قال الطبري: " يقول: ويعلمهم كتاب الله، وما فيه من أمر الله ونهيه، وشرائع دينه {وَالْحِكْمَةَ}، يعني: بالحكمة: السنن" (١٠) .

عن ابن زيد: " قال: {وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} أيضاً كما علم هؤلاء يزكيهم بالكتاب والأعمال الصالحة، ويعلمهم الكتاب والحكمة كما صنع بالأولين، وقرأ قول الله عزّ وجلّ: {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ} قال: وقد جعل الله فيهم سابقين، وقرأ قول الله عزّ وجلّ: {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ}، وقال: {ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ} فتلة من الأولين سابقون، وقليل السابقون من الآخرين، وقرأ: {وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ} حتى بلغ {ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ} أيضاً، قال: والسابقون من الأولين أكثر، وهم من الآخرين قليل، وقرأ {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ} الآية، قال: هؤلاء من أهل الإسلام إلى أن تقوم الساعة" (١١) .
 قال الحسن: " الكتاب: القرآن" (١٢) . وروي عن يحيى بن أبي كثير، ومقاتل بن حيان نحو ذلك (١٣) .

وفي تفسير {وَالْحِكْمَةَ}، أقوال:
 أحدها : أن الحكمة السنة، قاله ابن الحسن (١٤)، وقتادة (١٥)، وأبو مالك (١٦)، ويحيى بن كثير (١٧) .

- (١) انظر: النكت والعيون: ٦/٦ .
- (٢) التفسير الميسر: ٥٥٣ .
- (٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣١١/١ .
- (٤) تفسري الطبري: ٣٧٢/٢٣ .
- (٥) التفسير الميسر: ٥٥٣ .
- (٦) تفسري الطبري: ٣٧٢/٢٣ .
- (٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣١١/١ .
- (٨) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٤٦٦): ص ٨٠٨/٣ .
- (٩) التفسير الميسر: ٥٥٣ .
- (١٠) تفسري الطبري: ٣٧٢/٢٣ .
- (١١) أخرجه الطبري: ٣٧٣/٢٣ .
- (١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٤٦٧): ص ٨٠٨/٣ .
- (١٣) .
- (١٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٤٤٧٠): ص ٨٠٩/٣ .
- (١٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٧٣/٢٣ .
- (١٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٨٠٩/٣ .
- (١٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٨٠٩/٣ .

قال الحسن: "الكتاب: القرآن" (١)، "والحكمة: السنة" (٢).
الثاني: أنه الفقه في الدين، وهو قول مالك بن أنس (٣)، وزيد بن أسلم (٤).
وقال زيد بن أسلم: "الحكمة: العقل في الدين" (٥).
الثالث: أنه الفهم والاتعاظ، قاله الأعمش (٦).
الرابع: يعني: المواعظ التي في القرآن من الحلال والحرام والسنة. قاله مقاتل (٧).
وعن السدي: "قوله: {والحكمة} يعني: النبوة" (٨).
وقال ابن عباس: "الكتاب: {الخط بالقلم}" (٩).
قال الطبري: "يعني بالحكمة، السنة التي سنّها الله جل ثناؤه للمؤمنين على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبيّانه لهم" (١٠).
قال محمد ابن إسحاق: "ويعلمهم الكتاب والحكمة"، قال: ويعلمكم الخير والشر لتعرفوا الخير فتعملوا به، والشر فتنتقوا، ويخبركم برضاه عنكم إذا أطعتموه، ولتستكثروا من طاعته، وتجتنبوا ما يسخطه عنكم من معصيته" (١١).
قوله تعالى: {وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [الجمعة: ٢]، أي: "وإنهم كانوا من قبل بعثته لفي انحراف واضح عن الحق" (١٢).
قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: وقد كان هؤلاء الأميون من قبل أن يبعث الله فيهم رسولا منهم في جور عن قصد السبيل، وأخذ على غير هدى {مُبينٌ}، يقول: يبين لمن تأمله أنه ضلال وجور عن الحق وطريق الرشد" (١٣).
قال محمد بن إسحاق: "أي: في عمياء من الجاهلية، لا تعرفون حسنة ولا تستغفرون من سيئة، صم عن الحق، عمي عن الهدى" (١٤).
قال قتادة: "ليس والله كما تقول أهل حروراء: محنة غالبية، من أخطأها أهريق دمه" (١٥)، ولكن الله بعث نبيه صلى الله عليه وسلم إلى قوم لا يعلمون فعلهم، وإلى قوم لا أدب لهم فأدّبهم" (١٦).

قال ابن كثير: "وذلك أن العرب كانوا قديما متمسكين بدين إبراهيم الخليل عليه السلام فبدلوه وغيروه، وقلبوه وخالفوه، واستبدلوا بالتوحيد شركا وباليقين شكاً، وابتدعوا أشياء لم يأذن بها الله وكذلك أهل الكتابين قد بدلوا كتبهم وحرفوها وغيروها وأولوها، فبعث الله محمداً صلوات الله وسلامه عليه بشرع عظيم كامل شامل لجميع الخلق، فيه هدايتهم، والبيان لجميع ما يحتاجون إليه من أمر معاشهم ومعادهم، والدعوة لهم إلى ما يقربهم إلى الجنة، ورضا الله عنهم، والنهي عما يقربهم إلى النار وسخط الله. حاكم، فاصل لجميع الشبهات والشكوك والريب في

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٤٦٧): ص ٨٠٩/٣.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٤٧٠): ص ٨٠٩/٣.

(٣) انظر: النكت والعيون: ٧/٦.

(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٤٤٧٢): ص ٨٠٩/٣.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٤٧٢): ص ٨٠٩/٣.

(٦) انظر: النكت والعيون: ٧/٦.

(٧) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٣١١/١.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٤٧١): ص ٨٠٩/٣.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٤٦٩): ص ٨٠٩/٣.

(١٠) معاني القرآن: ٤٨٨/١.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٤٦٨): ص ٨٠٨/٣.

(١٢) التفسير الميسر: ٥٥٣.

(١٣) تفسير الطبري: ٣٧٣/٢٣.

(١٤) أخرجه الطبري (٨١٧٨): ص ٣٧٠/٧.

(١٥) أهل حروراء: هم الخوارج، وهذا مذهبهم.

(١٦) أخرجه الطبري (٨١٧٧): ص ٣٧٠/٧.

الأصول والفروع. وجمع له تعالى، وله الحمد والمنة، جميع المحاسن ممن كان قبله، وأعطاه ما لم يُعط أحدًا من الأولين، ولا يعطيه أحدًا من الآخرين، فصلوات الله وسلامه عليه دائمًا إلى يوم الدين" (١).

قوله تعالى: {وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ} [الجمعة : ٣]، أي: "وأرسله سبحانه إلى قوم آخرين لم يجيئوا بعد، وسيجيئون من العرب ومن غيرهم" (٢).
قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: وهو الذي بعث في الأميين رسولا منهم، وفي آخرين منهم لما يلحقوا بهم" (٣).

وفي قوله تعالى: {وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ} [الجمعة : ٣]، وجوه من التفسير: أحدها : عني بذلك جميع من دخل في الإسلام من بعد النبي صلى الله عليه وسلم كأننا من كان إلى يوم القيامة. قاله مجاهد في رواية- (٤)، وابن زيد (٥).
عن مجاهد في قول الله: {وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ}، قال: من ردف الإسلام من الناس كلهم" (٦).

قال ابن زيد: "هؤلاء كل من كان بعد النبي صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة، كل من دخل في الإسلام من العرب والعجم" (٧).

عن سهل بن سعد الساعدي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن في أصلاب أصلاب أصلاب رجال من أصحابي، رجالا ونساء من أمتي يدخلون الجنة ... بغير حساب ثم قرأ: {وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ}، يعني: بقية من بقي من أمة محمد صلى الله عليه وسلم" (٨).
عن ابن وهب، قال: "قال ابن زيد في قوله: {لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ}، يقول: لم يأتوا بعد" (٩).
الثاني : أنهم العجم بعد العرب ، قاله مجاهد (١٠)، والضحاك (١١).

عن عبد الرحمن بن عمر بن عبد الرحمن بن العاص، عن أبيه، عن جدّه، عن ابن عمر، أنه قال له: "أما إن سورة الجمعة أنزلت فينا وفيكم في قتلكم الكذاب، ثم قرأ {يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} ... حتى بلغ {وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ} قال: فأنتم هم" (١٢).

عن أبي الطفيل رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «رأيت فيما يرى النائم غنما سودا تتبعها غنم عفر (١٣) فأولت أن الغنم السود العرب، وأن العفر العجم» (١٤).

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبي بكر قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني رأيت في المنام غنما سودا يتبعها غنم صفر حتى غمرتها يا أبا بكر اعبر»، قال: قلت: هي العرب تتبعك ثم العجم، قال: «كذلك عبرها الملك بسحر» (١٥).

(١) تيسير ابن كثير: ١١٦/٨.

(٢) التفسير الميسر: ٥٥٣.

(٣) تفسير الطبري: ٣٧٤-٣٧٣/٢٣.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٣٧٥/٢٣.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٧٥/٢٣.

(٦) أخرجه الطبري: ٣٧٥/٢٣.

(٧) أخرجه الطبري: ٣٧٥/٢٣.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٨٩١): ص ٣٣٥٥/١٠.

(٩) أخرجه الطبري: ٣٧٦/٢٣.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٣٧٤/٢٣.

(١١) انظر: النكت والعيون: ٧/٦.

(١٢) أخرجه الطبري: ٣٧٤/٢٣.

(١٣) العفرة: البياض غير الناصع.

(١٤) مسند اليزاز (٢٧٨٥): ص ٢١١/٧.

(١٥) الكنى والأسماء للدولابي (٤٦): ص ١٧/١. وأخرجه الحاكم (٨١٩٣): ص ٤٣٧/٤. سكت عنه الذهبي في التلخيص.

عن أبي هريرة، قال: "كنا جلوساً عند النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فنزلت عليه سورة الجمعة، فلما قرأ: {وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ} قال رجل: من هؤلاء يا رسول الله؟ قال: فلم يراجعه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى سأله مرة أو مرتين أو ثلاثاً، قال: وفينا سلمان الفارسي، فوضع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يده على سلمان فقال: «لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ عِنْدَ الثُّرَيَّا لَنَالَهُ رَجَالٌ مِنْ هَؤُلَاءِ»^(١).

قال ابن كثير: "ففي هذا الحديث دليل على أن هذه السورة مدنية، وعلى عموم بعثته صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس؛ لأنه فسر قوله: {وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ} بفارس؛ ولهذا كتب كتبه إلى فارس والروم وغيرهم من الأمم، يدعوهم إلى الله عز وجل، وإلى اتباع ما جاء به"^(٢).

قال البغوي: "ومن رأى أنه يرعى غنما سودا، فهم أناس من العرب، فإن كانت بيضا، فمن العجم"^(٣).

الثالث: أنهم الملوك أبناء الأعاجم، حكى ذلك عن مجاهد-أيضا-^(٤).

الرابع: أنهم الأطفال بعد الرجال. ذكره الماوردي^(٥).

الخامس: أنهم النساء بعد الرجال. أفاده الماوردي^(٦).

قال الطبري: "الصواب عندي قول من قال: غني بذلك كل لاحق لحق بالذين كانوا صحبوا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في إسلامهم من أي الأجناس؛ لأن الله عز وجل عم بقوله: {وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ} كل لاحق بهم من آخرين، ولم يخصص منهم نوعاً دون نوع، فكل لاحق بهم فهو من الآخرين الذين لم يكونوا في عداد الأولين الذين كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتلو عليهم آيات الله، وقوله: {لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ}، يقول: لم يجيبوا بعد وسيجيئون"^(٧).

قال السعدي: "أي: وامتن على آخرين من غيرهم أي: من غير الأميين، ممن يأتي بعدهم، ومن أهل الكتاب، لما يلحقوا بهم، أي: فيمن باشر دعوة الرسول، ويحتمل أنهم لما يلحقوا بهم في الفضل، ويحتمل أن يكونوا لما يلحقوا بهم في الزمان، وعلى كل، فكلا المعنيين صحيح، فإن الذين بعث الله فيهم رسوله وشاهدوه وباشروا دعوته، حصل لهم من الخصائص والفضائل ما لا يمكن أحداً أن يلحقهم فيها"^(٨).

قوله تعالى: {وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [الجمعة: ٣]، أي: "والله تعالى -وحده- هو العزيز الغالب على كل شيء، الحكيم في أقواله وأفعاله"^(٩).

قال الطبري: "يقول: والله العزيز في انتقامه ممن كفر به منهم، الحكيم في تدبيره خلقه"^(١٠).

قال ابن كثير: "أي: ذو العزة والحكمة في شرعه وقدره"^(١١).

قال السعدي: "وهذا من عزته وحكمته، حيث لم يترك عباده هملاً ولا سدى، بل ابتعث فيهم الرسل، وأمرهم ونهاهم"^(١٢).

(١) أخرجه الطبري: ٣٧٥-٣٧٤/٢٣.

(٢) تيسير ابن كثير: ١١٦/٨.

(٣) شرح السنة: ٢٤٩/١٢.

(٤) انظر: النكت والعيون: ٧/٧.

(٥) انظر: النكت والعيون: ٧/٧.

(٦) انظر: النكت والعيون: ٧/٧.

(٧) تفسير الطبري: ٣٧٥-٣٧٦/٢٣.

(٨) تفسير السعدي: ٨٦٢.

(٩) التفسير الميسر: ٥٥٣.

(١٠) تفسير الطبري: ٣٧٦/٢٣.

(١١) تفسير ابن كثير: ١١٧/٨.

(١٢) تفسير السعدي: ٨٦٢.

قال محمد بن إسحاق: " العزيز: في نصرته ممن كفر به إذا شاء"^(١)، الحكيم: في عذره وحجته إلى عباده"^(٢).
 قال أبو العالية: " {عزيز} في نعمته إذا انتقم"^(٣). وروى عن قتادة والربيع بن أنس نحو ذلك"^(٤).
 عن أبي العالية: " {حكيم}، قال: حكيم في أمره"^(٥).
 قال محمد بن جعفر بن الزبير " الحكيم في عذره، وحجته إلى عباده"^(٦).

القرآن

{ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٤)} [الجمعة : ٤]

التفسير:

ذلك البعث للرسول صلى الله عليه وسلم، في أمة العرب وغيرهم، فضل من الله، يعطيه مَنْ يشاء من عباده. وهو -وحده- ذو الإحسان والعطاء الجزيل.
 قوله تعالى: {ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ} [الجمعة : ٤]، أي: " ذلك البعث للرسول صلى الله عليه وسلم، في أمة العرب وغيرهم، فضل من الله، يعطيه مَنْ يشاء من عباده"^(٧).
 قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: هذا الذي فعل تعالى ذكره من بعثته في الأميين من العرب، وفي آخرين رسولا منهم يتلو عليهم آياته، ويفعل سائر ما وصف، فضل الله، تفضل به على هؤلاء دون غيرهم، يؤتيه من يشاء، يقول: يؤتي فضله ذلك من يشاء من خلقه، لا يستحقّ الذمّ ممن حرمه الله إياه، لأنه لم يمنعه حقاً كان له قبله ولا ظلمه في صرفه عنه إلى غيره، ولكنه على مَنْ هُوَ له أهل، فأودعه إياه، وجعله عنده"^(٨).
 قال ابن كثير: " يعني : ما أعطاه الله محمدا صلى الله عليه وسلم من النبوة العظيمة، وما خص به أمته من بعثته صلى الله عليه وسلم إليهم"^(٩).
 قال السعدي: " وذلك من فضل الله العظيم، الذي يؤتيه من يشاء من عباده، وهو أفضل من نعمته عليهم بعافية البدن وسعة الرزق، وغير ذلك، من النعم الدنيوية، فلا أعظم من نعمة الدين التي هي مادة الفوز، والسعادة الأبدية"^(١٠).
 عن ابن عباس في: " {ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ}، قال: الفضل: الدين"^(١١).
 عن السدي قوله: {يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ}، قال: " يختص به من يشاء"^(١٢).
 عن مجاهد: {يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ} [البقرة : ١٠٥]، قال: " النبوة يختص بها من يشاء"^(١٣). وروى عن الربيع بن أنس نحو ذلك"^(١٤).
 عن مجاهد : {يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ}، قال: القرآن والإسلام"^(١٥).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٨٣٤):ص١٦٦٤/٥.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٨٣٦):ص١٦٦٤/٥.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٨٣٣):ص١٦٦٤/٥.

(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٦٦٤/٥.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٠٤٢):ص١٧٦٤/٦.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٠٤٣):ص١٧٦٤/٦.

(٧) التفسير الميسر: ٥٥٣.

(٨) تفسير الطبري: ٣٧٦/٢٣.

(٩) تفسير ابن كثير: ١١٧/٨.

(١٠) تفسير السعدي: ٨٦٢.

(١١) أخرجه الطبري: ٣٧٦/٢٣.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٥٤٥):ص١١٦/٤.

(١٣) أخرجه ابن المنذر (٦٠٩):ص٦٠٨/١، وابن أبي حاتم (١٠٥٠):ص١٩٩/١.

(١٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٩٩/١.

(١٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٥١):ص١٩٩/١.

قال الحسن: "رحمته الإسلام، يختص بها من يشاء"^(١).
قوله تعالى: {وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} [الجمعة : ٤]، أي: "وهو -وحده- ذو الإحسان والعطاء الجزيل"^(٢).

قال الطبري: "يقول: والله ذو الفضل على عباده، المحسن منهم والمسيء، والذين بعث فيهم الرسول منهم وغيرهم، العظيم الذي يقلّ فضل كل ذي فضل عنده"^(٣).
عن سعيد بن جبير، قوله: "{العظيم}"، يعني: "وافر"^(٤).
فوائد الآيات: [٤-١]:

- ١- تقرير التوحيد.
- ٢- تقرير النبوة المحمدية.
- ٣- بيان فضل الصحابة على غيرهم.
- ٤- شرف الإيمان والمتابعة للرسول وأصحابه رضي الله عنهم.

القرآن

{مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥)} [الجمعة : ٥]

التفسير:

شَبَّهَ اليهود الذين كُفِّوا بالعمل بالتوراة ثم لم يعملوا بها، كَشَبَّهَ الحمار الذي يحمل كتبًا لا يدري ما فيها، فَبُحَّ مَثَلُ القوم الذين كَذَّبُوا بآيات الله، ولم ينتفعوا بها، والله لا يوفق القوم الظالمين الذين يتجاوزون حدوده، ويخرجون عن طاعته.

قوله تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا} [الجمعة : ٥]، أي: "شَبَّهَ اليهود الذين كُفِّوا بالعمل بالتوراة ثم لم يعملوا بها، كَشَبَّهَ الحمار الذي يحمل كتبًا لا يدري ما فيها"^(٥).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: مثل الذين أتوا التوراة من اليهود والنصارى، فحملوا العمل بها، ثم لم يعملوا بما فيها، وكذبوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، وقد أمروا بالإيمان به فيها واتباعه والتصديق به، كمثل الحمار يحمل على ظهره كتبًا من كتب العلم، لا ينتفع بها، ولا يعقل ما فيها، وكذلك الذين أتوا التوراة التي فيها بيان أمر محمد صلى الله عليه وسلم مثلهم إذا لم ينتفعوا بما فيها، كمثل الحمار الذي يحمل أسفارًا فيها علم، فهو لا يعقلها ولا ينتفع بها"^(٦).

قال السعدي: "لما ذكر تعالى منته على هذه الأمة، الذين ابتعث فيهم النبي الأمي، وما خصهم الله به من المزايا والمناقب، التي لا يلحقهم فيها أحد وهم الأمة الأمية الذين فاقوا الأولين والآخرين، حتى أهل الكتاب، الذين يزعمون أنهم العلماء الربانيون والأخبار المتقدمون، ذكر أن الذين حملهم الله التوراة من اليهود وكذا النصارى، وأمرهم أن يتعلموها، ويعملوا بما فيها، وانهم لم يحملوها ولم يقوموا بما حملوا به، أنهم لا فضيلة لهم، وأن مثلهم كمثل الحمار الذي يحمل فوق ظهره أسفارًا من كتب العلم، فهل يستفيد ذلك الحمار من تلك الكتب التي فوق ظهره؟ وهل يلحق به فضيلة بسبب ذلك؟ أم حظه منها حملها فقط؟ فهذا مثل علماء اليهود الذين لم يعملوا بما في التوراة، الذي من أجله وأعظمه الأمر باتباع محمد صلى الله عليه وسلم، والبشارة به،

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٥٢): ص ١٩٩/١.

(٢) التفسير الميسر: ٥٥٣.

(٣) تفسير الطبري: ٣٧٦/٢٣.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٧٠٤): ص ٦٨٣/٢.

(٥) التفسير الميسر: ٥٥٣.

(٦) تفسير الطبري: ٣٧٧/٢٣.

والإيمان بما جاء به من القرآن، فهل استفاد من هذا وصفه من التوراة إلا الخيبة والخسران وإقامة الحجة عليه؟ فهذا المثل مطابق لأحوالهم" (١).

عن عبيد، قال: "سمعت الضحاك يقول في قوله: {كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا} كتبًا، والكتاب بالنبطية يسمى سفرًا؛ ضرب الله هذا مثلا للذين أعطوا التوراة ثم كفروا" (٢).

عن ابن عباس في قوله: "كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا"، يقول: كتبًا. والأسفار: جمع سفر، وهي الكتب العظام" (٣).

قال ابن عباس: "الأسفار: الكتب، فجعل الله مثل الذي يقرأ الكتاب ولا يتبع ما فيه، كمثل الحمار يحمل كتاب الله الثقيل، لا يدري ما فيه، ثم قال: {بئسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ} ... الآية" (٤).

قال ابن زيد: "الأسفار: التوراة التي يحملها الحمار على ظهره، كما تحمل المصاحف على الدواب، كمثل الرجل يسافر فيحمل مصحفه، قال: فلا ينتفع الحمارُ بها حين يحملها على ظهره، كذلك لم ينتفع هؤلاء بها حين لم يعملوا بها وقد أوتوها، كما لم ينتفع بها هذا وهي على ظهره" (٥).

عن مجاهد، في قوله: {يَحْمِلُ أَسْفَارًا}، قال: "يحمل كتبًا لا يدري ما فيها، ولا يعقلها" (٦).

قال قتادة: "يحمل كتابًا لا يدري ماذا عليه، ولا ماذا فيه" (٧).

قال قتادة: "كمثل الحمار الذي يحمل كتبًا، لا يدري ما على ظهره" (٨).

قال الحسن: "يحمل على ظهره، فلا يدري ما على ظهره، فكذلك المنافق يحمل كميته" (٩).

قوله تعالى: {بئسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ} [الجمعة : ٥]، أي: "فَبَحَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ، ولم ينتفعوا بها" (١٠).

قال الطبري: "يقول: بئس هذا المثل، مثل القوم الذين كذبوا بأدلتهم" (١١).

قال السعدي: "بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله الدالة على صدق رسولنا وصدق ما جاء به" (١٢).

قال ابن كثير: "يقول تعالى ذامًا لليهود الذين أعطوا التوراة وحملوها للعمل بها، فلم يعملوا بها، مثلهم في ذلك كمثل الحمار يحمل أسفارًا، أي: كمثل الحمار إذا حمل كتبًا لا يدري ما فيها، فهو يحملها حملاً حسياً ولا يدري ما عليه. وكذلك هؤلاء في حملهم الكتاب الذي أوتوه، حفظوه لفظاً ولم يفهموه ولا عملوا بمقتضاه، بل أولوه وحرفوه وبدلوه، فهم أسوأ حالاً من الحمير؛ لأن الحمار لا فهم له، وهؤلاء لهم فهم لم يستعملوها؛ ولهذا قال في الآية الأخرى: {أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْعَافِلُونَ} [الأعراف : ١٧٩] " (١٣).

(١) تفسير السعدي: ٨٦٢.

(٢) أخرجه الطبري: ٣٧٧/٢٣-٣٧٨.

(٣) أخرجه الطبري: ٣٧٨/٢٣.

(٤) أخرجه الطبري: ٣٧٨/٢٣.

(٥) أخرجه الطبري: ٣٧٨/٢٣.

(٦) أخرجه الطبري: ٣٧٧/٢٣.

(٧) أخرجه الطبري: ٣٧٧/٢٣.

(٨) أخرجه الطبري: ٣٧٧/٢٣.

(٩) أخرجه أبو إسحاق المالكي في أحكام القرآن ص ١٩٢.

(١٠) التفسير الميسر: ٥٥٣.

(١١) تفسير الطبري: ٣٧٨/٢٣.

(١٢) تفسير السعدي: ٨٦٢.

(١٣) تفسير ابن كثير: ١١٧/٨.

عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب، فهو كمثل الحمار يحمل أسفارا، والذي يقول له "أنصت"، ليس له جمعة"^(١).
 قوله تعالى: {وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [الجمعة : ٥]، أي: "والله لا يوفق القوم الظالمين الذين يتجاوزون حدوده، ويخرجون عن طاعته"^(٢).
 قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: والله لا يوفق القوم الذين ظلموا أنفسهم، فكفروا بآيات ربهم"^(٣).
 قال السعدي: "أي: لا يرشدهم إلى مصالحهم، ما دام الظلم لهم وصفاً، والعناد لهم نعتاً ومن ظلم اليهود وعنادهم، أنهم يعلمون أنهم على باطل، ويزعمون أنهم على حق، وأنهم أولياء الله من دون الناس"^(٤).

القرآن

{قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنَّ زَعْمَكُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٦)} [الجمعة : ٦]

التفسير:

قل -أيها الرسول- للذين تمسكوا بالملة اليهودية المحرفة: إن ادَّعيتكم- كذباً- أنكم أحباء الله دون غيركم من الناس، فتمنَّوا الموت إن كنتم صادقين في ادَّعائكم حب الله لكم.
 سبب النزول:

قال مقاتل بن سليمان: قوله تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا} وذلك أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كتب إلى يهود المدينة يدعوهم إلى دينه الإسلام، فكتب يهود المدينة إلى يهود خيبر: إن محمداً يزعم أنه نبي، وإنه يدعونا وإياكم إلى دينه، فإن كنتم تريدون متابعتة فاكتبوا إلينا ببيان ذلك، وإلا فأنتم ونحن على أمر واحد؛ لا نؤمن بمحمد، ولا نتبعه. فغضبت يهود خيبر، فكتبوا إلى يهود المدينة كتاباً قبيحاً، وكتبوا أن إبراهيم كان صديقاً نبياً، وكان من بعد إبراهيم إسحاق صديقاً نبياً، وكان من بعد إسحاق يعقوب صديقاً نبياً، وولد يعقوب اثنا عشر، فولد لكل رجل منهم أمة من الناس، ثم كان من بعدهم موسى، ومن بعد موسى عزير، فكان موسى يقرأ التوراة من الألواح، وكان عزير يقرأها ظاهراً، ولولا أنه كان ولدًا لله ونبياً وصفية لم يعطه ذلك، فنحن وأنتم من سيطه، وسيط من اتخذ الله خليلاً، ومن سيط من كلمه الله تكليماً، فنحن أحق بالنبوة والرسالة من محمد - صلى الله عليه وسلم -، ومتى كان الأنبياء من جزائر العرب؟! ما سمعنا بنبي قط كان من العرب إلا هذا الرجل الذي تزعمون، على أننا نجد ذكره في التوراة، فإن تبعتموه صغركم ووضعكم، فنحن أبناء الله وأحباؤه. فقال الله تعالى للنبي - صلى الله عليه وسلم -: {قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا} لليهود {إِنْ زَعَمْتُمْ} يعني: إذا زعمتم {أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ} في الآخرة {مِنْ دُونِ النَّاسِ} وأحباؤه؛ {فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} بأنكم أولياؤه وأحباؤه، وأن الله ليس بمعدبكم"^(٥).

قوله تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا} [الجمعة : ٦]، أي: "قل -أيها الرسول- للذين تمسكوا بالملة اليهودية المحرفة"^(٦).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لليهود {قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا}..."^(١).

(١) المسند (٢٣٠/١) وقال الهيثمي في المجمع (١٨٤/٢) : "فيه مجالد بن سعيد وقد ضعفه الناس ووثقه النسائي في رواية".

(٢) التفسير الميسر: ٥٥٣.

(٣) تفسير الطبري: ٣٧٨/٢٣.

(٤) تفسير السعدي: ٨٦٢.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان ٤ / ٣٢٦ - ٣٢٧.

(٦) التفسير الميسر: ٥٥٣.

قال ابن وهب: " قال ابن زيد، في قوله: {قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا} قل يا أيها الذين تابوا: لليهود، قال موسى: {إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ}، إنا تبنا إليك" (١).

قال ابن جريج: " إنما سميت اليهود من أجل أنهم قالوا: {إنا هدنا إليك}" (٢).

قال أبو عمرو بن العلاء: "لأنهم يَتَهَوَّدُونَ، أي: يتحركون عند قراءة التوراة، ويقولون: إن السموات والأرض تحركت حين أتى الله موسى التوراة" (٣).

قوله تعالى: {إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ} [الجمعة : ٦]، أي: " إن ادَّعَيْتُمْ- كذبًا- أنكم أحياء الله دون غيركم من الناس" (٤).

عن ابن جريج، في قوله: " {إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ}، قالوا: نحن أبناء الله وأحياءه" (٥).

قال الطبري: " {إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ} سواكم" (٦).

قال ابن كثير: " أي : إن كنتم تزعمون أنكم على هدى، وأن محمداً وأصحابه على ضلالة" (٧).

قال السعدي: " أمر الله رسوله، أن يقول لهم: إن كنتم صادقين في زعمكم أنكم على الحق، وأولياء الله" (٨).

قوله تعالى: {فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [الجمعة : ٦]، أي: " فتمنوا الموت إن كنتم صادقين في ادَّعائكم حب الله لكم" (٩).

قال الطبري: " {فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} في قيلكم، إنكم أولياء الله من دون الناس، فإن الله لا يعذب أولياءه، بل يكرمهم وينعمهم، وإن كنتم محقين فيما تقولون فتمنوا الموت لتستريحوا من كرب الدنيا وهمومها وغمومها، وتصيروا إلى روح الجنان ونعيمها بالموت" (١٠).

قال السعدي: " {فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ} وهذا أمر خفيف، فإنهم لو علموا أنهم على حق لما توقفوا عن هذا التحدي الذي جعله الله دليلاً على صدقهم إن تمنوه" (١١).

قال ابن كثير: أي: " فادعوا بالموت على الضال من الفئتين {إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} فيما تزعمونه.. وقد قدمنا في سورة "البقرة" الكلام على هذه المباهلة لليهود، حيث قال تعالى: {قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَلَنْ يَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ} وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرَحِّزِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ} [البقرة : ٩٤ - ٩٦]، والمراد أن يدعوا على الضال من أنفسهم أو خصومهم، كما تقدمت مباهلة النصارى في آل عمران: {فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ} [آل عمران : ٦١] ومباهلة المشركين في سورة مريم: {قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا} [مريم : ٧٥] (١٢).

(١) تفسير الطبري: ٣٧٩/٢٣.

(٢) أخرجه الطبري: ٣٧٩/٢٣.

(٣) أخرجه الطبري (١٠٩٤): ص ١٤٣/٢.

(٤) تفسير الثعلبي ١/ ٢٠٨.

(٥) التفسير الميسر: ٥٥٣.

(٦) الدر المنثور: ١٤٣/٨، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٧) تفسير الطبري: ٣٧٩/٢٣.

(٨) تفسير ابن كثير: ١١٨/٨.

(٩) تفسير السعدي: ٨٦٢.

(١٠) التفسير الميسر: ٥٥٣.

(١١) تفسير الطبري: ٣٧٩/٢٣.

(١٢) تفسير السعدي: ٨٦٢.

(١٣) تفسير ابن كثير: ١١٨/٨.

عن أبي العالية: " {إن كنتم صادقين}، بما تقولون إنه كما تقولون" (١).
 قال ابن عباس: " قال، لو تمنوا الموت لشرق أحدهم بريقه" (٢).
 عن ابن عباس قال : قال أبو جهل لعنه الله : "إن رأيتُ محمداً عند الكعبة لآتيته حتى
 أطأ على عُنُقِهِ. قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لو فعل لأخذته الملائكة عياناً، ولو
 أن اليهود تَمَنُّوا الموت لماتوا ورأوا مقاعدهم من النار». ولو خرج الذين يُباهلون رسول الله
 صلى الله عليه وسلم لرجعوا لا يجدون مالا ولا أهلاً" (٣).

القرآن

{وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٧)} [الجمعة : ٧]

التفسير:

ولا يتمنى هؤلاء اليهود الموت أبداً إيثاراً للحياة الدنيا على الآخرة، وخوراً من عقاب الله لهم؛
 بسبب ما قدّموه من الكفر وسوء الفعال. والله عليم بالظالمين، لا يخفى عليه من ظلمهم شيء.
 قوله تعالى: {وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ} [الجمعة : ٧]، أي: " ولا يتمنى هؤلاء
 اليهود الموت أبداً إيثاراً للحياة الدنيا على الآخرة، وخوراً من عقاب الله لهم؛ بسبب ما قدّموه من
 الكفر وسوء الفعال" (٤).

قال الطبري: " يقول: ولا يتمنى اليهود الموت أبداً بما اكتسبوا في هذه الدنيا من الآثام،
 واجترحوا من السيئات" (٥).

قال ابن كثير: " أي : بما يعلمون لهم من الكفر والظلم والفجور" (٦).
 قال السعدي: " وكذبهم إن لم يتمنوه ولما لم يقع منهم مع الإعلان لهم بذلك، علم أنهم
 عالمون ببطلان ما هم عليه وفساده، ولهذا قال: {وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ} أي من
 الذنوب والمعاصي، التي يستوحشون من الموت من أجلها" (٧).

عن عباد بن منصور عن الحسن، قال: " قول الله: {ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم}،
 فقلت: رأيت لو أنهم أحبوا الموت حين قال لهم فتمنوا أراهم كانوا ميتين؟ قال: لا. والله ما كانوا
 ليמותوا لو تمنوا الموت، وما كانوا ليتمنوه، وقد قال الله ما سمعت: {ولن يتمنوه أبداً بما قدمت
 أيديهم والله عليم بالظالمين}" (٨).

قوله تعالى: {وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ} [الجمعة : ٧]، أي: " . والله عليم بالظالمين، لا يخفى
 عليه من ظلمهم شيء" (٩).

قال الطبري: " يقول: والله ذو علم بمن ظلم من خلقه نفسه، فأوبقها بكفره بالله" (١٠).
 قال السعدي: " فلا يمكن أن يخفى عليه من ظلمهم شيء" (١١).
 قال ابن عباس: " يقول الله لنبيه: {ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين}،
 أي: يعلمهم بما عندهم من العلم بك، والكفر بذلك، ولو تمنوه يوم قال لهم ذلك ما بقي على
 الأرض يهودي إلا مات" (١١).

-
- (١) أخرجه ابن أبي حاتم (٩٣٩): ص ١٧٧/١.
 (٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٩٣٦): ص ١٧٧/١.
 (٣) المسند (٢٤٨/١) وصحيح البخاري برقم (٤٩٥٨) وسنن الترمذي برقم (٣٣٤٨) وسنن النسائي الكبرى
 برقم (١١٦٨٥).
 (٤) التفسير الميسر: ٥٥٣.
 (٥) تفسير الطبري: ٣٧٩/٢٣.
 (٦) تيسير ابن كثير: ١١٨/٨.
 (٧) تفسير السعدي: ٨٦٢.
 (٨) أخرجه ابن أبي حاتم (٩٤١): ص ١٧٨/١.
 (٩) التفسير الميسر: ٥٥٣.
 (١٠) تفسير الطبري: ٣٧٩/٢٣.
 (١١) تفسير السعدي: ٨٦٢.

عن قتادة، قوله: " {والله عليم}، قال: عالم" (٢).
عن ابن عباس: " {بالظالمين}، الكافرين" (٣).

القرآن

{قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٨)} [الجمعة : ٨]

التفسير:

قل: إن الموت الذي تهربون منه لا مفرَّ منه، فإنه آتٍ إليكم عند مجيء آجالكم، ثم ترجعون يوم البعث إلى الله العالم بما غاب وما حضر، فيخبركم بأعمالكم، وسيجازيكم عليها.

قوله تعالى: {قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ} [الجمعة : ٨]، أي: "قل: إن الموت الذي تهربون منه لا مفرَّ منه، فإنه آتٍ إليكم عند مجيء آجالكم" (٤).

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم {قُلْ} يا محمد لليهود {إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُونَ مِنْهُ} فتكروهونه، وتأبون أن تتمنوه {فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ} ونازل بكم" (٥).

قال السعدي: " هذا وإن كانوا لا يتمنون الموت بما قدمت أيديهم، ويفرون منه غاية الفرار، فإن ذلك لا ينجيهم، بل لا بد أن يلاقاهم الموت الذي قد حتمه الله على العباد وكتبه عليهم" (٦).

وفي قوله تعالى: {قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ} [الجمعة : ٨]، وجوه (٧):

أحدها : معناه تفرون من الداء بالدواء فإنه ملاقيكم بانقضاء الأجل .

الثاني : تفرون من الجهاد بالقعود فإنه ملاقيكم بالوعيد .

الثالث : تفرون منه بالطيرة من ذكره حذراً من حلوله فإنه ملاقيكم بالكره والرضا .

الرابع : إنه الموت الذي تفرون أن تتمنوه حين قال تعالى : {فَتَمَّتُوا الْمَوْتَ} [الجمعة : ٦].

عن الحسن، عن سمرّة مرفوعاً : "مثل الذي يفر من الموت كمثل الثعلب تطلبه الأرض بدين، فجاء يسعى حتى إذا أعيأ وانبهر دخل جحره، فقالت له الأرض : يا ثعلب ديني. فخرج له حصاص، فلم يزل كذلك حتى تقطعت عنقه، فمات" (٨).

قوله تعالى: {ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ} [الجمعة : ٨]، أي: "ثم ترجعون يوم البعث إلى الله العالم بما غاب وما حضر" (٩).

قال الطبري: يقول: " ثم يردكم ربكم من بعد مماتكم إلى عالم الغيب والشهادة، عالم غيب السموات والأرض؛ والشهادة: يعني وما شهد فظهر لرأي العين، ولم يغيب عن أبصار الناظرين" (١٠).

قال السعدي: " ثم بعد الموت واستكمال الآجال، يرد الخلق كلهم يوم القيامة إلى عالم الغيب والشهادة، فينبئهم بما كانوا يعملون، من خير وشر، قليل وكثير" (١١).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٩٤٠): ص ١٧٧/١.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٩٤٢): ص ١٧٨/١.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٩٤٣): ص ١٧٨/١.

(٤) التفسير الميسر: ٥٥٣.

(٥) تفسير الطبري: ٣٧٩/٢٣.

(٦) تفسير السعدي: ٨٦٢.

(٧) انظر: النكت والعيون: ٨/٧.

(٨) المعجم الكبير (٢٢٢/٧) ورواه العقيلي في الضعفاء (٢٠٠/٤) ومن طريقه ابن الجوزي في العلل المتناهية

(٤٠٥/٢) وقال ابن الجوزي: " هذا حديث لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعاذ في حديثه وهم، ولا يتابع على رفعه، وإنما هو موقوف على سمرّة".

(٩) التفسير الميسر: ٥٥٣.

(١٠) تفسير الطبري: ٣٧٩/٢٣-٣٨٠.

(١١) تفسير السعدي: ٨٦٢.

عن معمر، قال: "تلا قتادة: {ثُمَّ تُرْثَوْنَ إِلَىٰ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ}، فقال: إن الله أدل ابن آدم بالموت، لا أعلمه إلا رفعه"^(١).
قوله تعالى: {فَيُبَيِّنُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [الجمعة : ٨]، أي: "فيخبركم بأعمالكم، وسيجازيكم عليها"^(٢).

قال الطبري: "يقول: فيخبركم حينئذ ما كنتم في الدنيا تعملون من الأعمال، سيئها وحسنها، لأنه محيط بجميعها، ثم يجازيكم على ذلك المحسن بإحسانه، والمسيء بما هو أهله"^(٣).

فوائد الآيات: [٥-٨]:

- ١- ذم من يحفظ كتاب الله ولم يعمل بما فيه.
- ٢- التنديد بالظلم والظالمين.
- ٣- بيان كذب اليهود وتدجيلهم في أنهم أولياء الله وأن الجنة خالصة لهم.
- ٤- بيان أن ذوي الجرائم أكثر الناس خوفاً من الموت وفراراً منه.

القرآن

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٩) [الجمعة : ٩]

التفسير:

يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، إذا نادى المؤذن للصلاة في يوم الجمعة، فامضوا إلى سماع الخطبة وأداء الصلاة، واتركوا البيع، وكذلك الشراء وجميع ما يشغلكم عنها، ذلك الذي أمرتم به خير لكم؛ لما فيه من غفران ذنوبكم ومثوبة الله لكم، إن كنتم تعلمون مصالح أنفسكم فافعلوا ذلك.

سبب النزول:

عن أبي مالك، قال: "كان قوم يجلسون في بقيع الزبير، فيشترون ويبيعون إذا نودي للصلاة يوم الجمعة، ولا يقومون، فنزلت: {إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ}"^(٤).

عن محمد بن سيرين -من طريق أيوب- قال: "جمّع أهل المدينة قبل أن يقدّم النبي -صلى الله عليه وسلم-، وقبل أن تنزل الجمعة، قالت الأنصار: لليهود يوم يجتمعون فيه كلّ سبعة أيام، وللنصارى مثل ذلك، فهلمّ فلنجعل يوماً نجتمع فيه، فنذكر الله ونشكره. فقالوا: يوم السبت لليهود، ويوم الأحد للنصارى، فاجعلوه يوم العروبة. وكانوا يُسمّون الجمعة: يوم العروبة. فاجتمعوا إلى أسعد بن زرارة، فصلّى بهم يومئذ ركعتين، وذكرهم، فسّموا الجمعة حين اجتمعوا إليه، فذبح لهم شاةً، فتعدّوا، وتعدّوا منها، وذلك لقلّتهم؛ فأنزل الله في ذلك بعد: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ} الآية"^(٥).

قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} [الجمعة : ٩]، أي: "يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه"^(٦).

قال ابن عثيمين: "إن تصدير الحكم بالنداء دليل على الاهتمام به؛ لأن النداء يوجب انتباه المنادى؛ ثم النداء بوصف الإيمان دليل على أن تنفيذ هذا الحكم من مقتضيات الإيمان؛ وعلى أن فواته نقص في الإيمان"^(٧).

(١) أخرجه الطبري: ٣٨٠/٢٣.

(٢) التفسير الميسر: ٥٥٣.

(٣) تفسير الطبري: ٣٧٩/٢٣-٣٨٠.

(٤) أخرجه الطبري: ٣٨٤/٢٣.

(٥) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٥١٤٤). وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٦) التفسير الميسر: ٥٥٤.

(٧) تفسير ابن عثيمين: ٣٣٧/١.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: "إذا سمعت الله يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} فأرעהَا سمعك؛ فإنه خير يأمر به، أو شر ينهى عنه"^(١).
قال خيثمة: "ما تقرأون في القرآن: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}، فإنه في التوراة: يا أيها المساكين"^(٢).

قوله تعالى: {إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ} [الجمعة : ٩]، أي: "، إذا نادى المؤذن للصلاة في يوم الجمعة"^(٣).

قال ابن كثير: "إنما سميت الجمعة جمعة؛ لأنها مشتقة من الجمع، فإن أهل الإسلام يجتمعون فيه في كل أسبوع مرةً بالمعابد الكبار وفيه كُمل جميع الخلائق، فإنه اليوم السادس من الستة التي خلق الله فيها السموات والأرض. وفيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها. وفيه تقوم الساعة. وفيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه إياه كما ثبتت بذلك الأحاديث الصحاح^(٤). وقد كان يقال له في اللغة القديمة يوم العروبة. وثبت أن الأمم قبلنا أمروا به فضّلوا عنه، واختار اليهود يوم السبت الذي لم يقع فيه خلق واختار النصارى يوم الأحد الذي ابتدئ فيه الخلق، واختار الله لهذه الأمة يوم الجمعة الذي أكمل الله فيه الخليقة"^(٥).

كما أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نحن الآخرون، ونحن السابقون يوم القيامة، بيد أن كل أمة أوتيت الكتاب من قبلنا، وأوتيناها من بعدهم، ثم هذا اليوم الذي كتبه الله علينا، هدانا الله له، فالتناس لنا فيه تبع، اليهود غدا، والنصارى بعد غد»^(٦).

وروي عن سلمان قال: "قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم: "يا سلمان، ما يوم الجمعة؟" قلت: الله ورسوله أعلم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يوم جُمع فيه أبواك - أو أبواكم"^(٧).

قال الماوردي: "وكان اسم يوم الجمعة في الجاهلية: «العروبة»، لأن أسماء الأيام في الجاهلية كانت غير هذه الأسماء، فكانوا يسمون يوم الأحد: أول، والاثنتين: أهون، والثلاثاء: جبار، والأربعاء: دبار، والخميس: مؤنس، والجمعة: عروبة، والسبت: شيار، وأنشدني بعض أهل الأدب:

أؤمل أن أعيش وإن يومي ... بأول أو أهون أو جبار
أو التالي دبار أو فيومي ... يمونس أو عروبة أو شيار
وأول من سماه يوم الجمعة كعب بن لؤي بن غالب، لاجتماع قريش فيه إلى كعب، وقيل: بل سمي في الإسلام لاجتماع الناس فيه للصلاة"^(٨).

قوله تعالى: {فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ} [الجمعة : ٩]، أي: "فامضوا إلى سماع الخطبة وأداء الصلاة"^(٩).

قال مقاتل: "يقول: فامضوا إلى الصلاة المكتوبة"^(١).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٣٧): ص ١/١٩٦، و (٥٠٢٧): ص ٣/٩٠٢.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٠٢٦): ص ٣/٩٠٢.

(٣) التفسير الميسر: ٥٥٤.

(٤) منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه رواه مسلم في صحيحه برقم (٨٥٤) وبرقم (٨٥٢) وحديث أوس بن أوس رضي الله عنه رواه أحمد في المسند (٨/٤).

(٥) تفسير ابن كثير: ١١٩/٨.

(٦) صحيح مسلم (٨٥٥): ص ٢/٥٨٥.

(٧) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ١١٩/٨، ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٣٧/٦) والحاكم في المستدرک (٢٧٧/١) من طريق جرير بن عبد الحميد، عن منصور، عن أبي معشر به، وقال الحاكم: "صحيح الإسناد واحتج الشيخان بجميع رواية غير قرئ سمعت أبا علي القاري يقول: أردت أن أجمع مسانيد قرئ الضبي فإنه من زهاد التابعين فلم يسند تمام العشرة".

(٨) النكت والعيون: ٩/٧.

(٩) التفسير الميسر: ٥٥٤.

قال الطبري: "يقول: فامضوا إلى ذكر الله، واعملوا له؛ وأصل السعي في هذا الموضع العمل"^(٢).

وفي السعي إليها، أقوال:

أحدها: النية بالقلوب والإرادة لها، قاله الحسن^(٣)، وقتادة^(٤).

قال الحسن: "قال الحسن أما والله ما هو بالسعي على الأقدام، ولقد نُهوا أن يأتوا الصلاة إلا وعليهم السكينة والوقار، ولكن بالقلوب والنية والخشوع"^(٥).

قال قتادة: "والسعي يا ابن آدم أن تسعى بقلبك وعملك، وهو المضي إليها"^(٦).

قال عبد الله بن الصامت: "كنت أمشي مع أبي ذر إلى الجمعة فسمعنا النداء للصلاة، فرفعت في مشي، فجدبني جذبة، وقال: ألسنا نسعى"^(٧).

الثاني: أن السعي: هو العمل، كما قال تعالى: {إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى} [الليل: ٤]، وقوله تعالى: {مَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا} [الإسراء: ١٩]، قاله الضحاك^(٨)، وعكرمة^(٩)، وزيد بن أسلم^(١٠).

قال شريح بن مسلم الخولاني: "فاسعوا في العمل، وليس السعي في المشي"^(١١).

قال السمعاني: "فالسعي -ها هنا- بمعنى العمل والتصرف"^(١٢).

الثالث: أن السعي: أن يسرع إليها، وأن يقبل إليها. قاله ابن زيد^(١٣).

عن ابن وهب، قال: "قال ابن زيد: وسألته عن قول الله: {إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ}، قال: إذا سمعتم الداعي الأول، فأجيبوا إلى ذلك وأسرعوا ولا تبطنوا؛ قال: ولم يكن في زمان النبي صلى الله عليه وسلم أذان إلا أذانان: أذان حين يجلس على المنبر، وأذان حين يُقام الصلاة؛ قال: وهذا الآخر شيء أحدثه الناس بعد؛ قال: لا يحلّ له البيع إذا سمع النداء الذي يكون بين يدي الإمام إذا قعد على المنبر، وقرأ: {فاسعوا إلى ذكر الله ودروا البيع}، قال: ولم يأمرهم يذرون شيئاً غيره، حرم البيع ثم أذن لهم فيه إذا فرغوا من الصلاة، قال: والسعي أن يسرع إليها، أن يُقبل إليها"^(١٤).

الرابع: أن السعي: المشي على القدم من غير إسراع، وذكر أن عمر وابن مسعود كانا يقرآن: «فامضوا إلى ذكر الله»^(١٥).

عن سالم بن عبد الله، قال: "كان عمر رضي الله عنه يقرؤها: «فامضوا إلى ذكر الله»"^(١٦).

عن سالم، عن أبيه، قال: "ما سمعت عمر يقرؤها قط إلا: «فامضوا»"^(١٧).

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٢٧/٤.

(٢) تفسير الطبري: ٣٨٠/٢٣.

(٣) انظر: النكت والعيون: ٨/٧.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٠/٢٣-٣٨١.

(٥) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ١٢٠/٨.

(٦) أخرجه الطبري: ٣٨٠/٢٣-٣٨١.

(٧) نقلا عن: تفسير السمعاني: ٤٣٥/٥.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٣/٢٣.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٣/٢٣.

(١٠) انظر: تفسير القرآن من الجامع لابن وهب (١٥٥): ص ٦٩/١.

(١١) أخرجه الطبري: ٣٨٠/٢٣.

(١٢) تفسير السمعاني: ٤٣٤/٥.

(١٣) أخرجه الطبري: ٣٨٣/٢٣.

(١٤) أخرجه الطبري: ٣٨٣/٢٣.

(١٥) انظر: النكت والعيون: ٩/٧، وتفسير ابن كثير: ١٢٠/٨.

(١٦) أخرجه طبري: ٣٨١/٢٣.

(١٧) أخرجه طبري: ٣٨١/٢٣.

عن إبراهيم: "أنه قيل لعمر رضي الله عنه: إن أبيتاً يقرؤها {فاسعوا}، قال: أما إنه أقرؤنا وأعلمنا بالمنسوخ وإنما هي «فامضوا»"^(١).

عن ابن شهاب، قال: أخبرني سالم بن عبد الله بن عمر، أن عبد الله قال: "لقد توفى الله عمر رضي الله عنه، وما يقرأ هذه الآية التي ذكر الله فيها الجمعة: {يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ}، إلا: «فامضوا إلى ذكر الله»"^(٢).

عن إبراهيم، قال: "كان عبد الله يقرؤها «فامضوا إلى ذكر الله»، ويقول: لو قرأتها «فاسعوا»، لسعيت حتى يسقط ردائي"^(٣).

عن إبراهيم، قال: قال عبد الله: "لو كان السعي لسعيت حتى يسقط ردائي، قال: ولكنها «فَامْضُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ»، قال: هكذا كان يقرؤها"^(٤).

عن ابن مسعود، قال: لو قرأتها: {فاسعوا}، لسعيت حتى يسقط ردائي، وكان يقرؤها «فَامْضُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ»"^(٥).

عن أبي العالية أنه يقرؤها: «فَامْضُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ»"^(٦).

قال الزجاج: "اتباع المصحف أولى، ولو كانت عند عمر «فامضوا» لا غير، لغيرها في المصحف. والدليل على أن معنى «السعي»: التصرف في كل عمل قول الله - عز وجل - {وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (٣٩) وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يُرَى (٤٠)} [النجم: ٣٩-٤٠] فلا اختلاف في أن معناه: وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلَّا مَا عَمِلَ"^(٧).

قال ابن كثير: "أمر الله المؤمنين بالاجتماع لعبادته يوم الجمعة، فقال: {يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ}، أي: اقصدوا واعمدوا واهتموا في مسيركم إليها، وليس المراد بالسعي هاهنا المشي السريع، وإنما هو الاهتمام بها، كقوله تعالى: {وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ} [الإسراء: ١٩] وكان عمر بن الخطاب وابن مسعود رضي الله عنهما يقرآنها: «فامضوا إلى ذكر الله». فأما المشي السريع إلى الصلاة فقد نهي عنه، لما أخرجاه في الصحيحين، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة، وعليكم السكينة والوقار، ولا تسرعوا، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فاتموا»"^(٨)^(٩).

وعن أبي قتادة قال: بينما نحن نُصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ سمع جلبة رجال، فلما صلى قال: "ما شأنكم؟" قالوا: استعجلنا إلى الصلاة. قال: "فلا تفعلوا، إذا أتيتم الصلاة فامشوا وعليكم بالسكينة فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فاتموا"^(١٠).

عن أبي هريرة، رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون، ولكن انتوها تمشون، وعليكم السكينة والوقار، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فاتموا"^(١١).

وقال الليث: "السعي" الاتي إليها"^(١٢).

الخامس: أن السعي: إجابة الداعي، قاله السدي^(١).

(١) أخرجه الطبري: ٣٨١/٢٣.

(٢) أخرجه الطبري: ٣٨١/٢٣.

(٣) أخرجه الطبري: ٣٨١/٢٣.

(٤) أخرجه الطبري: ٣٨١/٢٣.

(٥) أخرجه الطبري: ٣٨٢/٢٣.

(٦) أخرجه الطبري: ٣٨٢/٢٣.

(٧) معاني القرآن: ١٧١/٥-١٧٢.

(٨) صحيح مسلم برقم (٨٥٦).

(٩) تفسير ابن كثير: ١٢٠/٨.

(١٠) صحيح البخاري برقم (٦٣٦) وصحيح مسلم برقم (٦٠٢).

(١١) سنن الترمذي برقم (٣٢٨)، (٣٢٧).

(١٢) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب (٣١٩): ص ١٥٥/٢.

وروي عن ابن وهب، عن الليث بن سعد: "أنه سُئِلَ عن قول الله: {إِذَا تُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ}. قال: السَّعْيُ: الأْتِيُّ إِلَيْهَا"^(٣).

قال مالك بن أنس: "وإنما السَّعْيُ في كتاب الله: العمل والفعل؛ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ، يقول الله -تبارك وتعالى-: {وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ} [البقرة: ٢٠٥]، وقال تعالى: {وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى وَهُوَ يَخْشَى} [عبس: ٨ - ٩]، وقال: {ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى} [النازعات: ٢٢]، وقال: {إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى} [الليل: ٤]. قال مالك: فليس السَّعْيُ الذي ذكر الله في كتابه بالسَّعْيِ على الأقدام، ولا الاشتداد، وإنما عنى العمل والفعل"^(٣). وفي تفسير قوله تعالى: {فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ} [الجمعة: ٩]، قولان: أحدهما: أنها موعظة الإمام في الخطبة، قاله مجاهد^(٤)، وسعيد بن المسيب^(٥)، وبه قال الطبري^(٦).

عن مجاهد: "{إِذَا تُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ}"، قال: العزيمة عند الذكر عند الخطبة"^(٧). وفي رواية: "العزيمة عند التذكرة، كأنه يعني: إذا خطب"^(٨). قال سعيد بن المسيب: "فهي موعظة الإمام فإذا قضيت الصلاة بعد"^(٩). عن أبي مالك: "وأما الذكر الذي أمر الله -تبارك وتعالى- بالسَّعْيِ إليه عباده المؤمنين فإنه موعظة الإمام في خطبته -فيما قيل-"^(١٠).

الثاني: أنه الصلاة، حكاه الماوردي عن الجمهور^(١١). قال السمعاني: "وهو الأصح"^(١٢). قال ابن كثير: "قوله تعالى: {إِذَا تُودِيَ لِلصَّلَاةِ} المراد بهذا النداء هو النداء الثاني الذي كان يفعل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج فجلس على المنبر، فإنه كان حينئذ يؤذن بين يديه، فهذا هو المراد، فأما النداء الأول الذي زاده أمير المؤمنين عثمان بن عفان، رضي الله عنه، فإنما كان هذا لكثرة الناس، كما رواه البخاري رحمه الله حيث قال: حدثنا آدم - هو ابن أبي إياس - حدثنا ابن أبي ذئب، عن الزهري، عن السائب بن يزيد قال: كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام على المنبر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر، فلما كان عثمان [بعد زمن]^(١٣) وكثر الناس، زاد النداء الثاني^(١٤) على الزوراء^(١٥)، يعني: يؤذن به على الدار التي تسمى بالزوراء، وكانت أرفع دار بالمدينة، بقرب المسجد"^(١٦).

(١) انظر: النكت والعيون: ٩/٧.

(٢) أخرجه عبد الله بن وهب في الجامع -تفسير القرآن ١٥٥ / ٢ (٣١٩).

(٣) موطأ مالك (ت: د. بشار عواد) ١ / ١٦٣ (٢٨٦).

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٤/٢٣.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٤/٢٣.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٤/٢٣.

(٧) أخرجه الطبري: ٣٨٤/٢٣.

(٨) أخرجه عبد الرزاق ٢ / ٢٩١.

(٩) أخرجه الطبري: ٣٨٤/٢٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٣٨٤/٢٣.

(١١) انظر: النكت والعيون: ٩/٧.

(١٢) تفسير السمعاني: ٤٣٥/٥.

(١٣) ما بين المعقوفين غير ثابت في الصحيح. مستفاداً من هامش ط. الشعب.

(١٤) في الصحيح: "النداء الثالث" ومثله في سنن ابن ماجه، كتاب الإقامة، باب ما جاء في الأذان يوم الجمعة، حديث رقم (١١٣٥) ٣٥٩/١ مستفاداً من هامش ط. الشعب.

(١٥) صحيح البخاري برقم (٩١٢).

(١٦) تفسير ابن كثير: ١٢٢/٨.

قال ابن كثير: " وإنما يؤمر بحضور الجمعة الرجال الأحرار دون النساء والعبيد والصبيان، ويعذر المسافر والمريض، وقيم المريض، وما أشبه ذلك من الأعذار، كما هو مقرر في كتب الفروع^(١) .

عن مكحول : " أن النداء كان في يوم الجمعة مؤذن واحد حين يخرج الإمام، ثم تقام الصلاة، وذلك النداء الذي يحرم عنده البيع الشراء إذا نودي به، فأمر عثمان، رضي الله عنه، أن ينادى قبل خروج الإمام حتى يجتمع الناس"^(٢) .

قوله تعالى: {وَدَرُّوا بَيْعِ} [الجمعة : ٩]، أي: " واتركوا البيع، وكذلك الشراء وجميع ما يَشْتَغَلُكُمْ عنها"^(٣) .

قال السمعاني: " أي: واتركوا البيع"^(٤) .

قال الطبري: " يقول: ودعوا البيع والشراء إذا نودي للصلاة عند الخطبة"^(٥) .

قال ابن كثير: " أي : اسعوا إلى ذكر الله واتركوا البيع إذا نودي للصلاة : ولهذا اتفق العلماء رضي الله عنهم على تحريم البيع بعد النداء الثاني. واختلفوا : هل يصح إذا تعاطاه متعاط أم لا ؟ على قولين، وظاهر الآية عدم الصحة كما هو مقرر في موضعه، والله أعلم^(٦) . ومنع الله منه عند صلاة الجمعة وحرمه في وقتها على ما كان مخاطباً بفرضها .

وفي وقت التحريم قولان :

أحدهما : أنه بعد الزوال إلى ما بعد الفراغ منها، قاله الضحاك^(٧) .

قال الضحاك: " إذا زالت الشمس حرم البيع والشراء"^(٨) .

قال الزجاج: " فالبيع من وقت الزوال في يوم الجمعة إلى انقضاء الصلاة كالمحرم"^(٩) .

الثاني : من وقت أذان الخطبة إلى الفراغ من الصلاة ، قاله الشافعي-رحمه الله-^(١٠) ، فأما الأذان الأول فمحدث، فعله عثمان بن عفان ليتأهب الناس به لحضور الخطبة عند اتساع المدينة وكثرة أهلها ، وقد كان عمر أمر أن يؤذن في السوق قبل المسجد ليقوم الناس عن بيوعهم ، فإذا اجتمعوا أذن في المسجد ، فجعله عثمان أذانين في المسجد ، وليس يحرم البيع بعده وقبل الخطبة ، فإن عقد في هذا الوقت المحرم بيع لم يبطل البيع وإن كان قد عصى الله ، لأن النهي مختص بسبب يعود إلى العاقدين دون العقد ، وأبطله ابن حنبل تمسكاً بظاهر النهي^(١١) .

قال الزمخشري: " الجمعة يوم يهبط الناس فيه من قراهم وبواديههم، وينصبون إلى المصر من كل أوب ووقت هبوطهم واجتماعهم واغتصاص الأسواق بهم إذا انتفخ النهار وتعالى الضحى ودنا وقت الظهيرة، وحينئذ تحرّ التجارة ويتكاثر البيع والشراء، فلما كان ذلك الوقت مظنة الذهول بالبيع عن ذكر الله والمضي إلى المسجد، قيل لهم: بادروا تجارة الآخرة، واتركوا تجارة الدنيا، واسعوا إلى ذكر الله الذي لا شيء أنفع منه وأربح {وَدَرُّوا بَيْعِ} الذي نفعه يسير وريحه مقارب"^(١٢) .

(١) تفسير ابن كثير: ١٢٢/٨ .

(٢) رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير": ١٢٢/٨ .

(٣) التفسير الميسر: ٥٥٤ .

(٤) تفسير السمعاني: ٤٣٥/٥ .

(٥) تفسير الطبري: ٣٨٣/٢٣ .

(٦) تفسير ابن كثير: ١٢٢/٨ .

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٣/٢٣ .

(٨) أخرجه الطبري: ٣٨٣/٢٣ .

(٩) معاني القرآن: ١٧٢/٥ .

(١٠) انظر: النكت والعيون: ٩/٧ .

(١١) انظر: النكت والعيون: ٩/٧-١٠ .

(١٢) الكشاف: ٥٣٦/٤ .

قوله تعالى: {ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ} [الجمعة : ٩]، أي: "ذلك الذي أمرتم به خير لكم؛ لما فيه من غفران ذنوبكم ومثوبة الله لكم"^(١).

عن أبي مالك: "ذلكم"، يعني: هذا"^(٢).

عن سعيد بن جبير: "خير لكم"، يعني: أفضل لكم"^(٣).

قال الطبري: "يقول: سعيكم إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة إلى ذكر الله، وترك البيع خير لكم من البيع والشراء في ذلك الوقت"^(٤).

قال ابن كثير: "أي: ترككم البيع وإقبالكم إلى ذكر الله وإلى الصلاة خير لكم، أي: في الدنيا والآخرة"^(٥).

قال الماوردي: "أن الصلاة خير لكم من البيع والشراء لأن الصلاة تقوت بخروج وقتها، والبيع لا يفوت"^(٦).

قال السمعاني: "جعل ترك البيع خيرا، وهذا يشير إلى الكراهة في الفعل دون التحريم، ولأن النهي عن العقد للاشتغال عن الجمعة لا لعين العقد"^(٧).

قوله تعالى: {إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [الجمعة : ٩]، أي: "إن كنتم تعلمون مصالح أنفسكم فافعلوا ذلك"^(٨).

قال الطبري: يقول: "إن كنتم تعلمون مصالح أنفسكم ومضارها"^(٩).

القرآن

{فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الجمعة : ١٠]

التفسير:

فإذا سمعتم الخطبة، وأديتم الصلاة، فانتشروا في الأرض، واطلبوا من رزق الله بسعيكم، واذكروا الله كثيرا في جميع أحوالكم؛ لعلكم تفوزون بخيري الدنيا والآخرة.

قوله تعالى: {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ} [الجمعة : ١٠]، أي: "فإذا سمعتم الخطبة، وأديتم الصلاة"^(١٠).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: فإذا قضيت صلاة الجمعة يوم الجمعة"^(١١).

قال الماوردي: "يعني: أدت"^(١٢).

قال ابن كثير: "أي: فرغ منها"^(١٣).

قوله تعالى: {فَإِنْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ} [الجمعة : ١٠]، أي: "فتفرقوا في الأرض وانبتوا فيها للتجارة وقضاء مصالحكم"^(١٤).

(١) التفسير الميسر: ٥٥٤.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٠٦٥): ص ١٨٠٤/٦.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٢٠٩): ص ٣٠٤٣/٩.

(٤) تفسير الطبري: ٣٨٤/٢٣.

(٥) تفسير ابن كثير: ١٢٢/٨.

(٦) انظر: النكت والعيون: ٩/٧.

(٧) تفسير السمعاني: ٤٣٥/٥.

(٨) التفسير الميسر: ٥٥٤.

(٩) تفسير الطبري: ٣٨٤/٢٣.

(١٠) التفسير الميسر: ٥٥٤.

(١١) تفسير الطبري: ٣٨٥/٢٣.

(١٢) انظر: النكت والعيون: ٩/٧.

(١٣) تفسير ابن كثير: ١٢٢/٨.

(١٤) صفوة التفاسير: ٣٥٩/٣.

قال الطبري: يقول: "فانتشروا في الأرض إن شئتم، ذلك رخصة من الله لكم في ذلك" (١).

قال الزجاج: "هذا معناه الإباحة، ليس معناه إذا انقضت الصلاة وجب أن يئجر الإنسان كما قال: {وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا}، فليس على من حلَّ من إحرام أن يصطاد إنما هو مباح له، مثل ذلك قوله في الكلام: إذا حضرته فلا تنطق وإذا غبت عني فتكلم بما شئت، إنما معناه الإباحة" (٢).

قال ابن كثير: "لما حَجَرَ عليهم في التصرف بعد النداء وأمرهم بالاجتماع، أذن لهم بعد الفراغ في الانتشار في الأرض والابتغاء من فضل الله. كما كان عراك بن مالك رضي الله عنه إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد، فقال: «اللهم إني أجببت دعوتك، واصليت فريضتك، وانتشرت كما أمرتني فارزقتي من فضلك، وأنت خير الرازقين» (٣) (٤).

وروي عن بعض السلف أنه قال: "من باع واشترى في يوم الجمعة بعد الصلاة، بارك الله له سبعين مرة، لقول الله تعالى: {فَإِذَا فُضِّيتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ} (٥).

قال مجاهد: "هي رخصة، يعني قوله: {فَإِذَا فُضِّيتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ} (٦). قال الضحاك: "هذا إذن من الله، فمن شاء خرج، ومن شاء جلس" (٧). قال ابن زيد: "أذن الله لهم إذا فرغوا من الصلاة، {فَإِذَا فُضِّيتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ}، فقد أحلته لكم" (٨). قوله تعالى: {وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ} [الجمعة : ١٠]، أي: "واطلبوا من رزق الله بسعيكم" (٩).

وفي قوله تعالى: {وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ} [الجمعة : ١٠]، وجوه من التفسير: أحدها: الرزق من البيع والشراء، قاله مقاتل والضحاك (١٠). الثاني: العمل في يوم السبت، قاله جعفر بن محمد (١١).

الثالث: والتمسوا من فضل الله الذي بيده مفاتيح خزائنه لدنياكم وآخرتكم. أفاده الطبري (١٢). الرابع: ما رواه أبو خلف عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: {فَإِذَا فُضِّيتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ}، قال: "ليس لطلب دنيا، ولكن عيادة مريض، وحضور جنازة، وزيارة أخ في الله" (١٣). عن بعض السلف: "أنه كان يشغل نفسه بعد الجمعة بشيء من أمور الدنيا نظرا في هذه الآية" (١٤).

قوله تعالى: {وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا} [الجمعة : ١٠]، أي: "واذكروا الله كثيرا في جميع أحوالكم" (١).

(١) تفسير الطبري: ٣٨٥/٢٣.

(٢) معاني القرآن: ١٧٢/٥.

(٣) رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير: ١٢٢/٨-١٢٣.

(٤) تفسير ابن كثير: ١٢٢/٨.

(٥) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ١٢٢/٨.

(٦) أخرجه الطبري: ٣٨٥/٢٣.

(٧) أخرجه الطبري: ٣٨٥/٢٣.

(٨) أخرجه الطبري: ٣٨٥/٢٣.

(٩) التفسير الميسر: ٥٥٤.

(١٠) انظر: النكت والعيون: ١٠/٧.

(١١) انظر: النكت والعيون: ١٠/٧.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٥/٢٣.

(١٣) أخرجه الطبري: ٣٨٥/٢٣.

(١٤) نقلا عن الكشاف: ٥٣٦/٤.

قال الطبري: "يقول: واذكروا الله بالحمد له، والشكر على ما أنعم به عليكم من التوفيق لأداء فرائضه"^(١).

قال السدي: "يعني: باللسان"^(٢).

قال مقاتل: "باللسان، بالتسبيح والتكبير والتهليل والتحميد، وذكره على كل حال"^(٤).
قال ابن كثير: "أي: حال بيعكم وشرائكم، وأخذكم وعطائكم، اذكروا الله ذكرا كثيرا، ولا تشغلكم الدنيا عن الذي ينفعكم في الدار الآخرة؛ ولهذا جاء في الحديث: «من دخل سوقا من الأسواق فقال: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير كتبت له ألف ألف حسنة، ومُحي عنه ألف ألف سيئة»"^(٥)^(٦).
قال يحيى: "وهذا ذكر ليس فيه وقت وهو تطوع"^(٧).

قال ابن عباس: "لا يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حدا معلوما، ثم عذر أهلها في حال عذر غير الذكر، فإن الله لم يجعل له حدا ينتهي إليه ولم يعذر أحدا في تركه إلا مغلوبا على عقله، قال: {فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ} [النساء: ١٠٣]، بالليل والنهار في البر والبحر، وفي السفر والحضر، والغنى والفقر، والسقم والصحة، والسر والعلانية، وعلى كل حال"^(٨).

عن أبي الدرداء، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إعطاء الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم؟" قالوا: وما هو يا رسول الله؟ قال: "ذكر الله عز وجل"^(٩).

عن أبي سعد الجمصي قال: سمعت أبا هريرة يقول: دعاء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أدعه: "اللهم، اجعلني أعظم شورك، وأتبع نصيحتك، وأكثر ذكرك، وأحفظ وصيتك"^(١٠).

عن أبي سعيد الخدري؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أكثروا ذكر الله حتى يقولوا: مجنون"^(١١).

عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اذكروا الله ذكرا كثيرا حتى يقول المنافقون: تراءون"^(١٢).

عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من قوم جلسوا مجلسا لم يذكروا الله فيه، إلا رأوه حسرة يوم القيامة"^(١٣).

قوله تعالى: {لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ} [الجمعة: ١٠]، أي: "لعلكم تفوزون بخيري الدنيا والآخرة"^(١٤).

(١) التفسير الميسر: ٥٥٤.

(٢) تفسير الطبري: ٣٨٥/٢٣.

(٣) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٢٤/٢.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٧٠٢): ص ٣١٣٨/٩.

(٥) جاء من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، رواه الإمام أحمد في المسند (٤٧/١).

(٦) تفسير ابن كثير: ١٢٣/٨.

(٧) تفسير يحيى بن سلام: ٧٢٤/٢.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٨٠/٢٠.

(٩) المسند (١٩٥/٥) وسنن الترمذي برقم (٣٣٧٧) وسنن ابن ماجه برقم (٣٧٩٠).

(١٠) المسند (٤٧٧/٢).

(١١) المسند (٦٨/٣) وفيه دراج، عن أبي الهيثم ضعيف.

(١٢) المعجم الكبير للطبراني (١٦٩/١٢) وقال الهيثمي في المجمع (٧٦/١٠): "فيه الحسين بن أبي جعفر الجعفري وهو ضعيف".

(١٣) المسند (٢٢٤/٢) وقال الهيثمي في المجمع (٨٠/١٠): "رجاله رجال الصحيح".

(١٤) التفسير الميسر: ٥٥٤.

قال سعيد بن جبير: "يعني: لكي تفلحون" (١).
 قال محمد بن كعب القرظي: "يقول: لعلمكم تفلحون غدا إذا لقيتموني" (٢).
 قال الطبري: "يقول: لتفلحوا، فتدركوا طلباتكم عند ربكم، وتصلوا إلى الخلد في
 جنانه" (٣).

قال الزمخشري: "ثم أطلق لهم ما حظر عليهم بعد قضاء الصلاة من الانتشار وابتغاء
 الربح، مع التوصية بإكثار الذكر، وأن لا يلهيهم شيء من تجارة ولا غيرها عنه، وأن تكون
 همهم في جميع أحوالهم وأوقاتهم موكلة به لا يتفصون عنه، لأن فلاحهم فيه وفوزهم منوط
 به" (٤).

القرآن

{وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ
 التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١١)} [الجمعة : ١١]
 التفسير:

إذا رأى بعض المسلمين تجارة أو شيئاً من لهو الدنيا وزينتها تفرقوا إليها، وتركوك -أيها النبي-
 قائماً على المنبر تخطب، قل لهم -أيها النبي-: ما عند الله من الثواب والنعيم أنفع لكم من اللهو
 ومن التجارة، والله -وحده- خير من رزق وأعطى، فاطلبوا منه، واستعينوا بطاعته على نيل ما
 عنده من خيري الدنيا والآخرة.
 سبب النزول:

عن جابر بن عبد الله، قال: "كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجمعة، فمرت
 غير تحمل الطعام، قال: فخرج الناس إلا اثني عشر رجلاً فنزلت آية الجمعة" (٥).
 وفي رواية عن جابر: "أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب قائماً يوم الجمعة،
 فجاءت غير من الشام، فانفتل الناس إليها حتى لم يبق إلا اثنا عشر رجلاً قال: فنزلت هذه الآية
 في الجمعة {وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا} (٦).
 عن جابر بن عبد الله -من طريق سالم بن أبي الجعد- قال: "بينما النبي - صلى الله عليه
 وسلم - يخطب يوم الجمعة قائماً إذ قدمت غير المدينة، فابتدراها أصحاب رسول الله - صلى الله
 عليه وسلم - حتى لم يبق منهم إلا اثنا عشر رجلاً؛ أنا فيهم، وأبو بكر، وعمر؛ فأنزل الله: {وَإِذَا
 رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا} إلى آخر السورة" (٧).
 عن جابر بن عبد الله -من طريق جعفر بن محمد، عن أبيه- قال:
 "كان الجواري إذا نُكِّحوا كانوا يُمْرُونَ بالكبر والمزامير، ويتركون النبي - صلى الله عليه وسلم
 - قائماً على المنبر، وَيَنْفَضُّونَ إليها؛ فأنزل الله: {وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ
 قَائِمًا} (٨).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٧٦٤): ص ٤/١٢٠٠.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٩٨٦٩): ص ٤/١٧١١.

(٣) تفسير الطبري: ٣٨٥/٢٣-٣٨٦.

(٤) الكشف: ٥٣٦/٤.

(٥) أخرجه الطبري: ٣٨٦/٢٣-٣٨٧.

(٦) أخرجه الطبري: ٣٨٨/٢٣.

(٧) أخرجه البخاري ١٣/٢ (٩٣٦)، ٥٥/٣ (٢٠٥٨)، ٥٦/٣ (٢٠٦٤)، ١٥٢/٦ (٤٨٩٩)، ومسلم ٢/٥٩٠ (٨٦٣)،
 والثعلبي ٩/٣١٧ بنحوه.

(٨) أخرجه الطحاوي في أحكام القرآن ١٥٣/١ (٢٣٤)، وابن القيسراني في السماع ص ٧٢، وابن جرير ٢٢/
 ٦٤٨. وأورده الثعلبي ٩/٣١٨.

عن جابر بن عبد الله - من طريق جعفر بن محمد، عن أبيه: "أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يخطب الناس يوم الجمعة، فإذا كان نكاح لعب أهله وعزفوا، ومرؤا باللهو على المسجد، وإذا نزل بالبطحاء جلب^(١)"، قال: وكانت البطحاء مجلسا بفناء المسجد الذي يلي بقيع العرقد، وكانت الأعراب إذا جلبوا الخيل والإبل والغنم وبضائع الأعراب نزلوا البطحاء، فإذا سمع ذلك من يقعد للخطبة قاموا للهو والتجارة، وتركوه قائما، فعاتب الله المؤمنين لنبيه - صلى الله عليه وسلم -، فقال: {وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما}^(٢).

عن ابن وبرة الكلبي - من طريق الليث: "أنه قدم بتجارة ورسول الله على المنبر يوم الجمعة يخطب، فخرج إليه؛ فنزل القرآن: {وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما فلما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين}^(٣).

عن مرة الهمداني - من طريق السدي - {إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة}، قال: "جاء دحية الكلبي بتجارة والنبي - صلى الله عليه وسلم - قائم في الصلاة يوم الجمعة، فتركوا النبي - صلى الله عليه وسلم -، وخرجوا إليه؛ فنزلت: {وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما} حتى ختم السورة"^(٤).

عن أبي مالك، قال: "قدم دحية بن خليفة بتجارة زيت من الشام، والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة، فلما رآه قاموا إليه بالبيع خشوا أن يسبقوا إليه، قال: فنزلت: {وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما}^(٥).

عن السدي، عن قره: "إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة}، قال: جاء دحية الكلبي بتجارة والنبي صلى الله عليه وسلم قائم في الصلاة يوم الجمعة، فتركوا النبي صلى الله عليه وسلم وخرجوا إليه، فنزلت: {وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما}، حتى ختم السورة"^(٦).

قال مجاهد: "كانوا يقومون إلى نواضحهم، وإلى السفر يقدمون؛ يبتغون التجارة واللهو؛ فأنزل الله سبحانه: {وإذا رأوا تجارة أو لهوا}^(٧).

قوله تعالى: {وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها} [الجمعة: ١١]، أي: "إذا رأى بعض المسلمين تجارة أو شيئا من لهو الدنيا وزينتها تفرقوا إليها"^(٨).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: وإذا رأى المؤمنون غير تجارة أو لهوا، أسرعوا إلى التجارة"^(٩).

قال ابن كثير: "يعاتب تبارك وتعالى على ما كان وقع من الانصراف عن الخطبة يوم الجمعة إلى التجارة التي قدمت المدينة يومئذ"^(١٠).

عن مجاهد في قوله: "وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها}، قال: رجال كانوا يقومون إلى نواضحهم وإلى السفر يبتغون التجارة"^(١١).

(١) الجلب: ما جلب من خيل وإبل ومتاع. لسان العرب (جلب).

(٢) الدر المنثور: ١٦٦/٨، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٣) أخرجه عبد الله بن وهب في تفسيره ٦١ / ٢ (١١٩) عن الليث مرسلًا. وأورده ابن بشكوال في غوامض الأسماء المبهمة ٨٥٣ / ٢.

(٤) أخرجه الطبري: ٣٨٦/٢٣.

(٥) أخرجه الطبري: ٣٨٦/٢٣.

(٦) أخرجه الطبري: ٣٨٦/٢٣.

(٧) تفسير مجاهد ص ٦٦٠.

(٨) التفسير الميسر: ٥٥٤.

(٩) تفسير الطبري: ٣٨٦/٢٣.

(١٠) تفسير ابن كثير: ١٢٣/٨.

(١١) أخرجه الطبري: ٣٨٧/٢٣.

وفي «اللهو» -ها هنا- خمسة وجوه :

أحدها : يعني لعباً. قاله ابن عباس^(١).

الثاني : أنه الطبل. قاله مجاهد^(٢).

الثالث : أنه الغناء. أفاده المارودي^(٣).

الرابع : كل ما يُهَيَّ به. قاله الزجاج^(٤).

الخامس : أنه المزمار. قاله جابر^(٥).

قال جابر: " كان الجواري إذا نكحوا كانوا يمرّون بالكبر والمزامير ويتركون النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قائماً على المنبر، ويفضون إليها، فأنزل الله (وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُوا إِلَيْهَا)"^(٦).

قال الطبري: " والذي هو أولى بالصواب في ذلك الخبر الذي روينا عن جابر، لأنه قد أدرك أمر القوم ومشاهدهم"^(٧).

قوله تعالى: {وَتَرَكُوا قَائِمًا} [الجمعة : ١١]، أي: " وتركوك -أيها النبي- قائماً على المنبر تخطب"^(٨).

قال الطبري: " يقول للنبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وتركوك يا محمد قائماً على المنبر؛ وذلك أن التجارة التي رأوها فانفضّ القوم إليها، وتركوا النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قائماً كانت زيناً قدم به دحية بن خليفة من الشام"^(٩).

قال ابن كثير: " أي : على المنبر تخطب.. وفيه دليل على أن الإمام يخطب يوم الجمعة قائماً. وقد روى مسلم في صحيحه عن جابر بن سمرة قال : كانت للنبي صلى الله عليه وسلم خطبتان يجلس بينهما، يقرأ القرآن ويذكر الناس"^(١٠).

قال جابر: " قدمت عير فانفضوا إليها، ولم يبق مع النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا اثنا عشر رجلاً"^(١١).

قال قتادة: " لو اتبع آخرهم أولهم لالتهب عليهم الوادي ناراً"^(١٢).

قال قتادة: " لم يبق مع النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومئذ إلا اثنا عشر رجلاً وامرأة معهم"^(١٣).

عن هشيم، قال: "كان في الاثني عشر أبو بكر وعمر - رضي الله عنهما -"^(١٤).

قال ابن زيد: " جاءت تجارة فانصرفوا إليها، وتركوا النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قائماً"^(١٥).

(١) انظر: النكت والعيون: ١١/٦.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٩/٢٣.

(٣) انظر: النكت والعيون: ١١/٧.

(٤) انظر: معاني القرآن: ١٧٣/٥.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٩-٣٨٨/٢٣.

(٦) أخرجه الطبري: ٣٨٩-٣٨٨/٢٣.

(٧) تفسير الطبري: ٣٨٩/٢٣.

(٨) التفسير الميسر: ٥٥٤.

(٩) تفسير الطبري: ٣٨٦/٢٣.

(١٠) تفسير ابن كثير: ١٢٣/٨-١٢٤.

(١١) أخرجه الطبري: ٣٨٨/٢٣.

(١٢) أخرجه الطبري: ٣٨٨/٢٣.

(١٣) أخرجه الطبري: ٣٨٨/٢٣.

(١٤) أخرجه ثابت بن يعقوب الثوري - كما في تفسير مقاتل بن سليمان ٤ / ٣٢٨ -.

(١٥) أخرجه الطبري: ٣٨٧/٢٣.

قال الحسن: "إن أهل المدينة أصابهم جوع وغلاء سعر، فقدمت عير والنبىّ صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة، فسمعوا بها، فخرجوا والنبىّ صلى الله عليه وسلم قائم، كما قال الله عزّ وجلّ"^(١).

قال قتادة: "بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس يوم الجمعة، فجعلوا يتسللون ويقومون حتى بقيت منهم عصابة، فقال: كم أنتم؟ فعدّوا أنفسهم فإذا اثنا عشر رجلاً وامرأة؛ ثم قام في الجمعة الثانية فجعل يخطبهم؛ قال سفيان: ولا أعلم إلا أن في حديثه ويعظمهم ويذكرهم، فجعلوا يتسللون ويقومون حتى بقيت منهم عصابة، فقال: كم أنتم؟ فعدّوا أنفسهم، فإذا اثنا عشر رجلاً وامرأة؛ ثم قام في الجمعة الثالثة فجعلوا يتسللون ويقومون حتى بقيت منهم عصابة، فقال كم أنتم؟ فعدّوا أنفسهم، فإذا اثنا عشر رجلاً وامرأة، فقال: «وَأَلَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوِ اتَّبَعَ آخِرُكُمْ أَوْلَكُمْ لِالْتِهَابِ عَلَيْكُمْ الْوَادِي نَارًا»، وأنزل الله عزّ وجلّ: {وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا}"^(٢).

قال قتادة: "مرّ رجل بابن زياد، وهو يخطب قاعدًا، فقال له: اخطب قائمًا، قال الله - عز وجل - لنبيّه صلى الله عليه وسلم: {وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا}"^(٣).
عن كعب بن عُجرة: "أنه دخل المسجد وعبد الرحمن بن أمّ الحكم يخطب قاعدًا، فقال: انظروا إلى هذا الخبيث يخطب قاعدًا، وقد قال الله: {وَتَرَكُوكَ قَائِمًا}"^(٤).
عن محمد بن سيرين -من طريق يزيد-: "أنه سئل عن خطبة النبيّ - صلى الله عليه وسلم - يوم الجمعة. فقرأ: {وَتَرَكُوكَ قَائِمًا}"^(٥).

قال طاووس بن كيسان: "الجلوس على المنبر يوم الجمعة بدعة"^(٦).
عن طاووس بن كيسان -من طريق ليث- قال: "خطب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قائمًا، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وإنّ أول من جلس على المنبر معاوية بن أبي سفيان"^(٧).
قال الشعبي: "إنما خطب معاوية قاعدًا حين كثر شحم بطنه ولحمه"^(٨).
قوله تعالى: {قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الْلُحْمِ وَمِنَ التِّجَارَةِ} [الجمعة : ١١]، أي: قل لهم - أيها النبيّ -: ما عند الله من الثواب والنعيم أفنع لكم من اللّهُو ومن التجارة"^(٩).

قال الطبري: "يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل لهم يا محمد الذي عند الله من الثواب، لمن جلس مستمعًا خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وموعظته يوم الجمعة إلى أن يفرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم منها، خير له من اللّهُو ومن التجارة التي ينفضون إليها"^(١٠).

قال ابن كثير: "أي: الذي عند الله من الثواب في الدار الآخرة {خَيْرٌ مِنَ الْلُحْمِ وَمِنَ التِّجَارَةِ}"^(١١).

قوله تعالى: {وَاللَّهُ خَيْرٌ الرَّازِقِينَ} [الجمعة : ١١]، أي: والله -وحده- خير من رزق وأعطى، فاطلبوا منه، واستعينوا بطاعته على نيل ما عنده من خيري الدنيا والآخرة"^(١).

(١) أخرجه الطبري: ٣٨٧/٢٣.

(٢) أخرجه الطبري: ٣٨٧/٢٣.

(٣) أخرجه أبو إسحاق المالكي في أحكام القرآن ص ٢١٨.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة ١١٢ / ٢، ومسلم (٨٦٤)، والبيهقي في سنّته ١٩٦ / ٣ - ١٩٧. وعزاه السيوطي إلى أحمد، وابن مردويه.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة ١١٣ / ٢.

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة ١١٣ / ٢. وقد أورد السيوطي عقب تفسير الآية ١٤ / ٤٨٩ - ٤٩٠ آثارًا في أحكام خطبتي الجمعة، وصفتهما.

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة ١١٢ / ٢.

(٨) أخرجه ابن أبي شيبة ١١٣ / ٢.

(٩) التفسير الميسر: ٥٥٤.

(١٠) تفسير الطبري: ٣٨٩/٢٣.

(١١) تفسير ابن كثير: ١٢٤/٨.

قال الطبري: "يقول: والله خير رازق، فإليه فارغبوا في طلب أرزاقكم، وإياه فأسألوا أن يوسع عليكم من فضله دون غيره"^(١).

قال ابن كثير: "وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ"، أي: لمن توكل عليه، وطلب الرزق في وقته"^(٢).
قال الزجاج: "أي: ليس يفوتهم من أرزاقهم لتخلفهم عن النظر إلى الميرة شيء من رزق ولا بتركهم البيع في وقت الصلاة والخطبة"^(٣).

قال الواحدي: "المخلوق مرزوق فإذا غضب قطع رزقه، والله عز وجل يسخط ولا يقطع وهو أحكم الحاكمين"^(٤).

فوائد الآيات: [٩-١١]:

١-تعلية شأن المؤمنين بإيمانهم، من قوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}، لأن المخاطب لا ينادى إلا بأحب الأوصاف إليه.

٢-وجوب صلاة الجمعة ووجوب المضي إليها عند النداء الثاني الذي يكون والإمام على المنبر. وقد ورد في فضل الجمعة والغسل لها عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوم الجمعة، فقال: «فيه ساعة، لا يوافقها عبد مسلم، وهو قائم يصلي، يسأل الله تعالى شيئاً، إلا أعطاه إياه» وأشار بيده يقللها^(٥).

وفي الحديث: «اغتسلوا يوم الجمعة فإنه من اغتسل يوم الجمعة فله كفارة ما بين الجمعة إلى الجمعة وزيادة ثلاثة أيام»^(٦).

وعن أبي هريرة، رضي الله عنه، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من اغتسل يوم الجمعة غُسلَ الجنابة، ثم راح فكأنما قرب بدنه، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر"^(٧).

قال ابن كثير: "ويستحب له أن يلبس أحسن ثيابه، ويتطيب ويتسوك، ويتنظف ويتطهر"^(٨).

عن أبي أيوب الأنصاري: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من اغتسل يوم الجمعة ومَسَّ من طيب أهله - إن كان عنده - ولبس من أحسن ثيابه، ثم خرج حتى يأتي المسجد فيركع - إن بدا له - ولم يؤذ أحداً، ثم أنصت إذا خرج إمامه حتى يصلي، كانت كفارة لما بينها وبين الجمعة الأخرى"^(٩).

عن عبد الله بن سلام، رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر: "ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبي مهنته"^(١٠).

(١) التفسير الميسر: ٥٥٤.

(٢) تفسير الطبري: ٣٨٩/٢٣.

(٣) تفسير ابن كثير: ١٢٤/٨.

(٤) معاني القرآن: ١٧٣/٥.

(٥) التفسير البسيط: ٤٦٣/٢١.

(٦) صحيح البخاري(٩٣٥):ص١٢/٢.

(٧) أخرجه الطبراني في الكبير (١٧٨/٨، رقم ٧٧٤٠). وأخرجه أيضاً: في الأوسط (١٣٥/٧، رقم ٧٠٨٧)، وفي مسند الشاميين (٤٠/٢، رقم ٨٨١)، قال الهيثمي (١٧٣/٢): فيه سويد بن عبد العزيز ضعفه أحمد وابن معين وغيرهما ووثقه دحيم وغيره. وأخرجه ابن أبي حاتم في العلل (٢٠٨/١، رقم ٦٠١).

(٨) صحيح البخاري برقم (٨٨١) وصحيح مسلم برقم (٨٥٠).

(٩) تفسير ابن كثير: ١٢١/٨.

(١٠) المسند (٤٢٠/٥).

(١١) سنن أبي داود برقم (١٠٧٨) وسنن ابن ماجه برقم (١٠٩٥).

وعن عائشة رضي الله عنها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس يوم الجمعة، فرأى عليهم ثياب التمار، فقال : "ما على أحدكم إن وجد سعة أن يتخذ ثوبين لجمعه، سوى ثوبي مهنته"^(١).

٣- حرمة البيع والشراء وسائر العقود إذا شرع المؤذن يؤذن الأذان الثاني.

٤- الترغيب في ذكر الله تعالى والإكثار منه والمرء يبيع ويشترى ويعمل ويصنع ولسانه ذاكراً.

٥- ينبغي أن لا يقل المصلون الذين تصح صلاة الجمعة بهم عن اثني عشر رجلاً أخذاً من حادثة انفضاض الناس عن الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يخطب إلى القافلة حتى لم يبق إلا اثنا عشر رجلاً.

«آخر تفسير سورة (الجمعة)، والحمد لله وحده»^(٢).

(١) سنن ابن ماجة برقم (١٠٩٦) وقال البوصيري في الزوائد (٣٦٥/١) : "هذا إسناد صحيح رجاله ثقات".
(٢) بدأنا تفسير هذه السورة المباركة ليلة الجمعة: ١٢ ذو الحجة ١٤٤٢ هـ، وقد تم تفسيرها-بفضله تعالى- في يوم الجمعة الساعة ٦:١٥ مساءً، المصادف: ١٣ ذو الحجة ١٤٤٢ هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم تفسير سورة «المنافقون»

«سورة المنافقون» هي السورة الثالثة والستون بحسب الرسم القرآني وهي السورة الثالثة والأخيرة من المجموعة الرابعة من قسم المفصل، نزلت بعد «سورة الحج» وقبل «سورة المجادلة»، وآياتها: إحدى عشرة. كلماتها: مائة وثمانون. حروفها: سبعمائة وست وسبعون. فواصل آياتها «نون»^(١).

■ أسماء السورة:

■ اسمها التوقيفي: «سورة المنافقون»:

سميت هذه السورة في كتب السنة وكتب التفسير «سورة المنافقين» اعتبارا بذكر أحوالهم وصفاتهم فيها، ووقع هذا الاسم في حديث زيد بن أرقم: قوله: «فلما أصبحنا قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة المنافقين»^(٢). ووقع في «صحيح البخاري» وبعض كتب التفسير تسميتها «سورة المنافقون»^(٣)، على حكاية اللفظ الواقع في أولها، وكذلك ثبت في كثير من المصاحف المغربية والمشرقية^(٤).

■ مكية السورة ومدنيتها:

عن ابن عباس، قال: «نزلت سورة المنافقين بالمدينة»^(٥). وروي عن ابن الزبير مثله^(٦). قال الفيروزآبادي: «السورة مدنية بالاتفاق»^(٧). قال ابن الجوزي: «وهي مدنية بإجماعهم، وذكر أهل التفسير أنها نزلت في عبد الله بن أبي ونظرائه»^(٨).

قال ابن عاشور: «الصحيح أنها نزلت في غزوة بني المصطلق ووقع في «جامع الترمذي» عن محمد بن كعب القرظي «أنها نزلت في غزوة تبوك»^(٩). ووقع فيه أيضا

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٥/١.

(٢) مسند ابن أبي شيبة (٥٢١): ص ٣٥٦/١، وسنن الترمذي (٣٣١٣): ص ٤١٥/٥، والمعجم الكبير للطبراني (٥٠٤١): ص ١٨٦/٥، والمستدرک للحاكم (٣٨١٢): ص ٥٣١/٢. [التعليق - من تلخيص الذهبي] ٣٨١٢ صحيح وأخرج منه.

ونص الحديث: زيد بن أرقم، قال: غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان معنا أناس من الأعراب فكنا نبتدر الماء، وكان الأعراب يسبقونا فسبق الأعرابي أصحابه يملأ الحوض ويجعل حوله حجارة، ويجعل النطع عليه حتى يجيء أصحابه، فأتى رجل من الأنصار أعرابيا، فأرعى زمام ناقته لتشرب، فأبى أن يدعه، فانتزع حجرا فغاض الماء، فرفع الأعرابي خشبة فضرب بها رأس الأنصاري فشجه، فأتى عبد الله بن أبي رأس المنافقين فأخبره، وكان من أصحابه فغضب عبد الله بن أبي، ثم قال: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله - يعني الأعراب - وكانوا يحضرون رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الطعام، فقال عبد الله [ص: ٣٥٧] لأصحابه: إذا انفضوا من عند محمد انتوا محمدا بالطعام، فليأكل هو ومن عنده، ثم قال لأصحابه: إذا رجعت إلى المدينة، فليخرج الأعز منكم الأذل، قال زيد: وأنا رديف عمي رضي الله عنه، قال: فسمعت عبد الله بن أبي - وكنا أخواله - فأخبرت عمي، فانطلق فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحلف ووجد، فصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبتني، فجاء عمي، فقال: ما أردت إلا أن مقتك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبك المسلمون، فوقع علي من الهم ما لم يقع على أحد قط، " فبينما أنا أسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر قد خفقت برأسي من الهم، وإذا أنا برسول الله صلى الله عليه وسلم، فعرك أذني وضحك في وجهي، فما كان يسرني أن لي بها الخلد في الدنيا، ثم إن أبا بكر لحقتي، فقال: ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقلت: ما قال لي شيئا إلا أنه عرك أذني وضحك في وجهي، قال: «أبشر» ، ثم لحقتي عمر، فقلت له مثل قولي لأبي بكر، فلما أصبحنا قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة المنافقين".

(٣) انظر: صحيح البخاري: ١٥٢/٦.

(٤) انظر: التحرير والتنوير: ٢٣١/٢٨.

(٥) الدر المنثور: ١٧٠/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٦) الدر المنثور: ١٧٠/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٧) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٥/١.

(٨) زد المسير: ٢٨٠/٤.

عن سفيان: أن ذلك في غزوة بني المصطلق^(٢) وغزوة بني المصطلق سنة خمس، وغزوة تبوك سنة تسع.

ورجح أهل المغازي^(٣) وابن العربي في «العارضه»^(٤)، وابن كثير: أنها نزلت في غزوة بني المصطلق^(٥) وهو الأظهر. لأن قول عبد الله بن أبي ابن سلول: «ليخرجن الأعز منها الأذل»^(٦)، يناسب الوقت الذي لم يضعف فيه شأن المنافقين وكان أمرهم كل يوم في ضعف وكانت غزوة تبوك في آخر سني النبوة وقد ضعف أمر المنافقين^(٧).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

ووجه اتصالها بما قبلها: أنه ذكر في «سورة الجمعة» حال المؤمنين الذين بعث إليهم النبي الأُمي يتلو عليهم كتابه ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، وأمرهم بالصلاة وترك البيع حين أدائها، وفي هذه ذكر أصدادهم وهم المنافقون الذين يشهدون كذبا بأن محمدا رسول الله ويحلفون الأيمان المحرجة على ذلك، ومن ثم كان النبي يقرأ في صلاة الجمعة في الركعة الأولى

(١) سنن الترمذي (٣٣١٤): ص ١٧/٥.

نص الحديث: ن الحكم بن عتيبة، قال: سمعت محمد بن كعب القرظي، منذ أربعين سنة يحدث عن زيد بن أرقم: "أن عبد الله بن أبي، قال في غزوة تبوك: {لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل} [المنافقون: ٨] قال: فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم، فذكرت ذلك له، فحلف ما قاله، فلامني قومي وقالوا: ما أردت إلى هذه، فأتيت البيت ونمت كئيبا حزينا، فأتاني النبي صلى الله عليه وسلم أو أتيت، فقال: «إن الله قد صدقك» قال: فنزلت هذه الآية: {هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا} [المنافقون: ٧]". «هذا حديث حسن صحيح».

(٢) سنن الترمذي (٣٣١٥): ص ١٧/٥.

نص الحديث:

عن عمرو بن دينار، سمع جابر بن عبد الله يقول: "كنا في غزاة - قال سفيان: يرون أنها غزوة بني المصطلق فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار، فقال المهاجري: يا للمهاجرين وقال الأنصاري: يا للأنصار، فسمع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «ما بال دعوى الجاهلية؟» قالوا: رجل من المهاجرين كسع رجلا من الأنصار، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دعوا فإنها منتنة»، فسمع ذلك عبد الله بن أبي ابن سلول، فقال: أوقد فعلوها؟ والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فقال عمر: يا رسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «دعه لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه» وقال غير عمرو، فقال: له ابنه عبد الله بن عبد الله: والله لا تتقلب حتى تفر أنك الذليل، ورسول الله صلى الله عليه وسلم العزيز، ففعل". «هذا حديث حسن صحيح».

(٣) انظر: السيرة النبوية لابن هشام: ١٠٥/٢.

(٤) نقلا عن: التحرير والتنوير: ٢٣١/٢٨.

(٥) قال ابن كثير: "وقوله: إن ذلك كان في غزوة تبوك، فيه نظر، بل ليس بجيد؛ فإن عبد الله بن أبي بن سلول لم يكن ممن خرج في غزوة تبوك، بل رجع بطائفة من الجيش. وإنما المشهور عند أصحاب المغازي والسير أن ذلك كان في غزوة المريسيع، وهي غزوة بني المصطلق". [تفسير ابن كثير: ١٢٧/٨]

(٦) مسند أحمد (١٥٢٢٣): ص ٢٣/٢٣٨٨-٣٨٩، ومصنف عبد الرزاق (١٨٠٤١): ص ٦٨/٩، ومسند ابن أبي شيبه (٣٦٨٣٧): ص ٣٨٠/٧.

ونص الحديث: عن عمرو، قال: سمعت جابر بن عبد الله، يقول: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة - قال: يرون أنها غزوة بني المصطلق - فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، (١) فسمع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "ما بال دعوى الجاهلية" فقيل: رجل من المهاجرين كسع رجلا من الأنصار، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "دعوا، فإنها منتنة"

قال جابر: وكان المهاجرون حين قدموا المدينة أقل من الأنصار، ثم إن المهاجرين كثروا، فبلغ ذلك عبد الله بن أبي فقال: فعلوها، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فسمع ذلك عمر فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "يا عمر، دعه لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه".

(٧) التحرير والتنوير: ٢٣١/٢٨-٢٣٢.

بـ«سورة الجمعة»، فيحرض بها المؤمنين على العبادة، وفي الركعة الثانية بـ«سورة المنافقين»، فيقرع بها المنافقين^(١).

■ أغراض السورة ومقاصدها

١- بيان صفات المنافقين نفاقاً اعتقاديًا، وهم كما وصفهم النبي في حديث حذيفة،:
عن زيد بن سلام، عن أبي سلام، قال: قال حذيفة بن اليمان: قلت: يا رسول الله، إنا كنا بشر، فجاء الله بخير، فنحن فيه، فهل من وراء هذا الخير شر؟ قال: «نعم»، قلت: هل وراء ذلك الشر خير؟ قال: «نعم»، قلت: فهل وراء ذلك الخير شر؟ قال: «نعم»، قلت: كيف؟ قال: «يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي، ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس»، قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله، إن أدركت ذلك؟ قال: «تسمع وتطيع للأمر، وإن ضرب ظهرك، وأخذ مالك، فاسمع وأطع»^(٢).

٢- أن المنافقين يتحدّثون باسم الإسلام، ويموهون كذبهم بالأيمان الكاذبة فيغترّ بهم من لا يعرف حقيقة أمرهم، ولهذا قال تعالى: {اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [المنافقون : ٢]، فصدوا البعض عن دين الله، وسنة رسول الله.

٣- بيان أن أشكال المنافقين حسنة، {وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأْتُهُمْ} [المنافقون : ٤] إذا سمعهم السامع يصغي إلى قولهم، وقلوبهم في غاية الضعف، قال تعالى: {يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ}، ولاؤهم لأهل الكتاب، قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} وهذه السورة تحدّثت عن صفات المنافقين، وأساليبهم، ولم تُعنَ بذكر أسماء المنافقين، وكذلك السنة، لأن ذكرهم بصفاتهم أشدّ وقعًا عليهم من الصواعق.

قال الفيروزآبادي: "معظم مقصود السورة: تقريع المنافقين وتبكيتهم، وبيان ذلهم وكذبهم، وذكر تشريف المؤمنين وتبجيلهم، وبيان عزهم وشرفهم، والنهي عن نسيان ذكر الحق تعالى، والغفلة عنه، والإخبار عن ندامة الكفار بعد الموت، وبيان أنه لا تأخير ولا إمهال بعد حلول الأجل، في قوله: {وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا} [المنافقون : ١١]، الآية"^(٣).

■ الناسخ والمنسوخ:

السورة ليس فيها ناسخ ولا منسوخ^(٤).

■ فضائل السورة:

- أخرج سعيد بن منصور والطبراني في الأوسط -بسند حسن- عن أبي هريرة قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في صلاة الجمعة فيحرض بها المؤمنين وفي الثانية سورة المنافقين فيقرع بها المنافقين"^(٥).
- أخرج البزار والطبراني عن أبي عيينة الخولاني عن النبي صلى الله عليه وسلم: "أنه كان يقرأ في صلاة الجمعة بسورة الجمعة والسورة التي يذكر فيها المنافقون"^(٦).
- عن جابر بن سمرة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في صلاة المغرب ليلة الجمعة {قل يا أيها الكافرون} و {قل هو الله أحد}، وكان يقرأ في صلاة العشاء الأخيرة ليلة الجمعة سورة الجمعة والمنافقين"^(٧).

(١) انظر: تفسير المراعي: ١٠٥/٢٨.

(٢) صحيح مسلم (١٨٤٧): ص ١٤٧٦/٣.

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٥/١.

(٤) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٥/١.

(٥) الدر المنثور: ١٧٠/٨.

(٦) الدر المنثور: ١٧٠/٨.

(٧) الدر المنثور وعزاه إلى ابن حبان والبيهقي في سننه.

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله
نسأل أن يوفقنا جميعاً لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا
وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

القرآن

{إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ
الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (١)} [المنافقون : ١]

التفسير:

إذا حضر مجلسك المنافقون -أيها الرسول- قالوا بألسنتهم، نشهد أنك لرسول الله، والله يعلم أنك
لرسول الله، والله يشهد إن المنافقين لكاذبون فيما أظهروه من شهادتهم لك، وحلفوا عليه
بألسنتهم، وأضمروا الكفر به.

سبب نزول السورة:

عن زيد بن أرقم -من طريق أبي إسحاق- قال: "خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ - فِي سَفَرٍ، فَأَصَابَ النَّاسَ شِدَّةٌ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أَصْحَابِهِ: لَا تُتَّفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ
رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِهِ. وَقَالَ: لَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذْلَّ.
فَأْتَيْتُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فَأَخْبَرْتُهُ بِذَلِكَ، فَأَرْسَلَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي، فَسَأَلَهُ، فَاجْتَهَدَ
يَمِينَهُ مَا فَعَلَ، فَقَالُوا: كَذَبَ زَيْدُ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - . فَوَقَعَ فِي نَفْسِي مِمَّا قَالُوا
شِدَّةً، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ تَصْدِيقِي فِي: {إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ}، فَدَعَاهُمُ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
لِيَسْتَغْفِرَ لَهُمْ، فَلَوَّا رُؤُوسَهُمْ، وَهُوَ قَوْلُهُ: {خُتِّبُ مُسَدَّدَةٌ} قَالَ: كَانُوا رِجَالًا أَجْمَلَ شَيْءٍ"^(١).

عن زيد بن أرقم -من طريق أبي سعيد- قال: "عَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ -، وَكَانَ مَعَنَا نَاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ، فَكُنَّا نَبْتَدِرُ الْمَاءَ، وَكَانَ الْأَعْرَابُ يَسْبِقُونَا إِلَيْهِ، فَيَسْبِقُ
الْأَعْرَابِيُّ أَصْحَابَهُ، فَيَمْلَأُ الْحَوْضَ، وَيَجْعَلُ حَوْلَهُ حِجَارَةً، وَيَجْعَلُ النَّطْعَ عَلَيْهِ حَتَّى يَجِيءَ
أَصْحَابَهُ، فَاتَى رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ أَعْرَابِيًّا، فَأَرَخَى زِمَامَ نَاقَتِهِ لَتَشْرِبَ، فَأَبَى أَنْ يَدَّعَهُ، فَانْتَرَعَ
حِجْرًا، فَفَاضَ الْمَاءُ، فَرَفَعَ الْأَعْرَابِيُّ خَشْبَةً، فَضَرَبَ بِهَا رَأْسَ الْأَنْصَارِيِّ، فَسَجَّهَ، فَاتَى عَبْدُ اللَّهِ
بْنُ أَبِي رَأْسَ الْمُنَافِقِينَ، فَأَخْبَرَهُ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَغَضِبَ، وَقَالَ: لَا تُتَّفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ
رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِهِ. يَعْنِي: الْأَعْرَابُ، وَكَانُوا يَحْضُرُونَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ - عِنْدَ الطَّعَامِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ لِأَصْحَابِهِ: إِذَا انْفَضُّوا مِنْ عِنْدِ مُحَمَّدٍ فَانْثُوا مُحَمَّدًا بِالطَّعَامِ
فَلْيَأْكُلْ هُوَ وَمَنْ عِنْدَهُ. ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيُخْرِجِ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذْلَّ. قَالَ
زَيْدٌ: وَأَنَا رَدَفْتُ عَمِّي، فَسَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ، وَكُنَّا أَخْوَالَهُ، فَأَخْبَرْتُ عَمِّي، فَانْطَلَقَ، فَأَخْبَرَ رَسُولَ اللَّهِ
- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ، فَحَلَفَ وَجَدَّ، فَصَدَّقَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ - وَكَذَّبَنِي، فَجَاءَ عَمِّي إِلَيَّ، فَقَالَ: مَا أُرِدْتُ إِلَّا أَنْ مَقَّتَكَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
وَسَلَّمَ -، وَكَذَّبَكَ، وَكَذَّبَكَ الْمُسْلِمُونَ. فَوَقَعَ عَلَيَّ مِنَ الْهَمِّ مَا لَمْ يَقَعْ عَلَيَّ أَحَدٌ قَطُّ، فَبَيْنَمَا أَنَا أُسِيرُ
وَقَدْ حَقَّقْتُ بِرَأْسِي مِنَ الْهَمِّ إِذْ آتَانِي رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فَعَرَّكَ أُذُنِي، وَضَحَكَ
فِي وَجْهِ، فَمَا كَانَ يَسْرُتُنِي أَنْ لِي بِهَا الْخُلْدُ أَوْ الدَّنْيَا، ثُمَّ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لِحَقْنِي، فَقَالَ: مَا قَالَ لَكَ
رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -؟ قُلْتُ: مَا قَالَ لِي شَيْئًا، إِلَّا أَنَّهُ عَرَّكَ أُذُنِي، وَضَحَكَ فِي
وَجْهِ. فَقَالَ: أَبْشِرْ. ثُمَّ لِحَقْنِي عَمْرًا، فَقُلْتُ لَهُ مِثْلَ قَوْلِي لِأَبِي بَكْرٍ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ -
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - سُورَةَ الْمُنَافِقِينَ: {إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ} حَتَّى بَلَغَ:
{لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذْلَّ}"^(٢).

(١) أخرجه البخاري (٤٩٠٣): ص ١٥٣ / ٦، ومسلم (٢٧٧٢): ص ٢١٤٠ / ٤.

(ينفضوا) يتفرقوا عنه. (الأعز) الأكثر عزة ومنعة وعنوا به أنفسهم. (الأذل) الأقل عزة ومنعة وعنوا به رسول
الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه. (لعمري) قيل هو عبد الله بن رواحة رضي الله عنه لأنه كان زوج أمه وعمه
الحقيقي ثابت بن قيس رضي الله عنه. (ما أردت إلى أن كذبتك) ما حملك على قولك حتى جرى لك ما جرى.
(مقتك) أبغضك.

(٢) أخرجه الترمذي ٥٠٥ / ٥ - ٥٠٧ (٣٦٠٠)، والحاكم ٥٣١ / ٢ (٣٨١٢)، والبيهقي في الدلائل ٥٤ / ٤.
وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن مردويه.
قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح». وقال الحاكم: «قد اتفق الشيخان على إخراج أحرف يسيرة من هذا»

عن زيد بن أرقم، قال: "كنتُ جالساً مع عبد الله بن أبيّ، فمرَّ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - في ناسٍ من أصحابه، فقال عبد الله بن أبيّ: لئن رجَعنا إلى المدينة لِيُخرجنَّ الأعرزَ منها الأذلَّ. فأثبتُ سعد بن عبادة، فأخبرته، فأتى رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم -، فذكر ذلك له، فأرسل رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - إلى عبد الله بن أبيّ، فحلف له عبد الله بن أبيّ بالله ما تكلم بهذا، فنظر رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - إلى سعد بن عبادة، فقال سعد: يا رسول الله، إنما أخبرنيهِ الغلامُ زيد بن أرقم. فجاء سعد، فأخذ بيدي، فانطلق بي، فقال: هذا حدّثني. فانتهرني عبد الله بن أبيّ، فانتهيتُ إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وبكيتُ، وقلتُ: إي، والذي أنزل النور عليك، لقد قاله. وانصرف عنه النبيُّ - صلى الله عليه وسلم -؛ فأنزل الله: {إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ} إلى آخر السورة"^(١).

عن أبي إسحاق [السبيعي]، أن زيد بن أرقم أخبره أنّ عبد الله بن أبيّ بن سلول قال: "لا تُنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفقوا. وقال: لئن رجَعنا إلى المدينة لِيُخرجنَّ الأعرزَ منها الأذلَّ. قال: فحدّثني زيد أنه أخبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بقول عبد الله بن أبيّ، قال: فجاء، فحلف عبد الله بن أبيّ لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما قال ذلك. قال أبو إسحاق: فقال لي زيد: فجلستُ في بيتي، حتى أنزل الله تصديق زيد، وتكذيب عبد الله في: {إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ}"^(٢).

عن محمد بن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة، وعن عبد الله بن أبي بكر، وعن محمد بن يحيى بن حبان، قال: كلُّ قد حدّثني بعض حديث بني المُصطلق، قالوا: "بلغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن بني المُصطلق يجمعون له، وقائدهم الحارث بن أبي ضرار أبو جُوَيْرِيَةَ بنت الحارث زوج النبي - صلى الله عليه وسلم -؛ فلما سمع بهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يُقال له: المرّيسيع، من ناحية قُدَيْدٍ إلى الساحل، فتزاحف الناس، فاقتتلوا، فهزم الله بني المُصطلق، وقتل من قتل منهم، ونقل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أبناءهم ونساءهم وأموالهم، فأفأهم الله عليه، وقد أصيب رجل من بني كلب بن عوف بن عامر بن ليث بن بكر، يقال له: هشام بن صُبابَة، أصابه رجل من الأنصار من رهط عبادة بن الصّامت، وهو يرى أنه من العدو، فقتله خطأ، فبينما الناس على ذلك الماء وردت واردة الناس، ومع عمر بن الخطاب أجيرٌ له من بني غفار يُقال له: جهجاه بن سعيد، يقود له فرسه، فازدحم جهجاه وسنان الجهني حليف بني عوف بن الخزرج على الماء، فاقتتلا، فصرخ الجهني: يا معشر الأنصار. وصرخ جهجاه: يا معشر المهاجرين. فغضب عبد الله بن أبيّ بن سلول، وعنده رهطٌ من قومه فيهم زيد بن أرقم، غلام حديث السنن، فقال: قد فعلوها؟! قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا، والله، ما أعدنا وجلابيب قريش هذه إلا كما قال القائل: سمّن كلبك يأكلك، أما والله- لئن رجَعنا إلى المدينة لِيُخرجنَّ الأعرزَ منها الأذلَّ. ثم أقبل على من حضر من قومه، فقال: هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله- لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير بلادكم. فسمع ذلك زيد بن أرقم، فمشى به إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وذلك عند فراغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من غزوه، فأخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب، فقال: يا رسول الله، مرُّ به عبّاد بن بشر بن وقش، فليقتله. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «فكيف- يا عمر- إذا تحدّث الناس أنّ محمداً يقتل أصحابه، لا، ولكن أدن بالرحيل». وذلك في ساعة لم يكن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يرّحل

الحديث من حديث أبي إسحاق السبيعي، عن زيد بن أرقم، وأخرج البخاري متابعا لأبي إسحاق من حديث شعبة، عن الحكم، عن محمد بن كعب القرظي، عن زيد بن أرقم، ولم يُخرجاه بطوله، والإسناد صحيح». وقال الذهبي في التلخيص: «صحيح، وأخرجا منه».

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ٥ / ١٩٦ (٥٠٧٣).

قال الهيثمي في المجمع ٧ / ١٢٥ (١١٤٢٠): «رواه الطبراني عن شيخه عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم، وهو ضعيف».

(٢) أخرجه الطبري: ٤٠٤ / ٢٣.

فيها، فارتحل الناس، وقد مشى عبد الله بن أبيّ إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلغه ما سمع منه، فحلف بالله: ما قلت ما قال، ولا تكلمت به. وكان عبد الله بن أبيّ في قومه شريفاً عظيماً، فقال من حضر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أصحابه من الأنصار: يا رسول الله، عسى أن يكون الغلام أوهم في حديثه، ولم يحفظ ما قال الرجل. حديثاً على عبد الله بن أبيّ، ودفعاً عنه، فلما استقل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسار، لقيه أسيد بن حضير، فحيّاه بتحية النبوة وسلم عليه، ثم قال: يا رسول الله، لقد رحت في ساعة منكراً ما كنت تروح فيها. فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «أوما بلغك ما قال صاحبكم؟». قال: فأبي صاحب، يا رسول الله؟ قال: «عبد الله بن أبيّ». قال: وما قال؟ قال: «زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعرض منها الأذل». قال أسيد: فأنت والله - يا رسول الله - تخرجه إن شئت، هو والله - الذليل وأنت العزيز. ثم قال: يا رسول الله، ارفق به، فوالله، لقد جاء الله بك، وإن قومه لينظّمون له الخرز ليؤجوه، فإنه ليرى أنك قد استلبته ملگاً. ثم مشى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالناس يومهم ذلك حتى أمسى، وليلتهم حتى أصبح، وصدّر يومهم ذلك حتى أدتهم الشمس، ثم نزل بالناس، فلم يكن إلا أن وجدوا مس الأرض وقعوا نياماً، وإنما فعل ذلك ليشتغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس من حديث عبد الله بن أبيّ، ثم راح بالناس وسلك الحجاز حتى نزل على ماء بالحجاز فويق النقيع، يقال له: نعاء، فلما راح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هبت على الناس ريح شديدة أدتهم، وتخوفوها، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «لا تخافوا، وإنما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار». فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت أحد بني قينقاع - وكان من عظماء يهود، وكهفياً للمنافقين - قد مات ذلك اليوم، فنزلت السورة التي ذكر الله فيها المنافقين في عبد الله بن أبيّ بن سلول، ومن كان معه على مثل أمره، فقال: {إذا جاءك المنافقون} فلما نزلت هذه السورة أخذ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بأذن زيد، فقال: هذا الذي أوفى الله بأذنه. وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبيّ الذي كان من أبيه^(١).

عن أبي الأسود - من طريق ابن لهيعة - عن عروة: "أن أوس بن أقرم، وهو رجل من بني الحارث بن الخزرج، هو الذي سمع قول عبد الله بن أبيّ، فأخبر بذلك عمر بن الخطاب، وذكر ذلك عمر لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وبعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى ابن أبيّ، فسأله عما تكلم به، فحلف بالله ما قال من ذلك شيئاً، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إن كان سبق منك قول فئب». فجد وحلف، فوقع رجال بأوس بن أقرم، وقالوا: أسأت بآبن عمك وظلمته، ولم يصدقك رسول الله - صلى الله عليه وسلم -. فبينما هم يسيرون إذ رأوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوحى إليه، فلما قضى الله قضاءه في موطنه ذلك، وسرّي عنه؛ نظر رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فإذا هو بأوس بن أقرم، فأخذ بأذنه، فعصرها، حتى استشرف القوم؛ فقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقال: «أبشرو، فقد صدق الله حديثك». ثم قرأ عليه سورة المنافقين حتى بلغ ما أنزل الله في ابن أبيّ: {هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا} حتى بلغ: {ولكن المنافقين لا يعلمون}^(٢).

قوله تعالى: {إذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ} [المنافقون : ١]، أي: "إذا حضر مجلسك المنافقون - أيها الرسول - قالوا بألسنتهم، نشهد أنك لرسول الله"^(٣). قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم {إذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ} يا محمد {قَالُوا} بألسنتهم {نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ}"^(٤). قال ابن عباس: "إنما سمّاهم الله منافقين لأنهم كتموا الشرك وأظهروا الإيمان"^(١).

(١) أخرجه الطبري: ٤٠٦/٢٣-٤٠٧، وهو في تفسير البغوي ١٣٠ / ٨ - ١٣٣ موقوف على ابن إسحاق.

(٢) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٥٦ / ٤.

(٣) التفسير الميسر: ٥٥٤.

(٤) تفسير الطبري: ٣٩٠/٢٣.

عن ابن عباس: " أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان إذا سافر كان مع كل رجل من أغنياء المؤمنين رجلاً من الفقراء، يحمل له زاده وماءه، فكانوا إذا دنوا من الماء تقدم الفقراء، فاستقوا لأصحابهم، فسبقهم أصحاب عبد الله بن أبي، فأبوا أن يخلوا عن المؤمنين، فحصرهم المؤمنون، فلما جاء عبد الله بن أبي نظر إلى أصحابه فقال: والله، لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعرز منها الأذل. وقال: أمسكوا عنهم البيع؛ لا ثبايعوهم. فسمع زيد بن أرقم قول ابن أبي: لئن رجعنا إلى المدينة. وقوله: لا تُنْفِقُوا على من عند رسول الله. فأخبر عمه، فخبّر عمه النبي - صلى الله عليه وسلم -، فدعا النبي - صلى الله عليه وسلم - ابن أبي وأصحابه، فعجيب من صورته وجماله، وهو يمشي إلى النبي - صلى الله عليه وسلم -، فذلك قوله: {وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّكُمْ خُشْبٌ مُسَدَّدَةٌ} فعرّفه النبي - صلى الله عليه وسلم -، فلما أخبره حلف ما قاله، فذلك قوله: {اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً} وقالوا: نشهد إنك لرسول الله. وذلك قوله: {إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ} وكل شيء أنزل الله في المنافقين فإنما أراد عبد الله بن أبي" (١).

سئل حذيفة ابن اليمان عن المنافق فقال: "الذي يصف الإسلام ولا يعمل به، وهم اليوم شر منهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنهم كانوا يكتُمونه وهم اليوم يظهرونه" (٢).

قوله تعالى: {وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ} [المنافقون : ١]، أي: "والله يعلم إنك لرسول الله" (٣).

قال الطبري: يقول: "وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ" قال المنافقون ذلك أو لم يقولوا" (٤).
قوله تعالى: {وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ} [المنافقون : ١]، أي: "والله يشهد إن المنافقين لكاذبون فيما أظهروه من شهادتهم لك، وحلفوا عليه بألسنتهم، وأضمرُوا الكفر به" (٥).
قال الطبري: "يقول: والله يشهد إن المنافقين لكاذبون في إخبارهم عن أنفسهم أنها تشهد إنك لرسول الله، وذلك أنها لا تعتقد ذلك ولا تؤمن به، فهم كاذبون في خبرهم عنها بذلك" (٦).
قال الزمخشري: "أرادوا بقولهم: {نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ}، شهادة واطأت فيها قلوبهم ألسنتهم" (٧).

قال الزجاج: "أكذبهم فيما تعتقده قلوبهم، وفي أنهم يحلفون بالله إنهم لمنكم. ويحلفون بالله ما قالوا، ولقد قالوا كلمة الكفر" (٨).

قال سهل: "لأنهم أقرؤا بألسنتهم ولم يعرفوا بقلوبهم، فلذلك سماهم منافقين. ومن عرف بقلبه، وأقر بلسانه، ولم يعمل بأركانه ما فرض الله عليه من غير عذر، كان كإبليس لعنه الله، عرفه وأقر به ولم يعمل بأمره. قال: والنفاق على ضربين، عقد بالقلب وإظهار خلافه باللسان، كما قال تعالى: يَفْوُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ [الفتح: ١١] والضرب الآخر نفاق نفس الطبع

(١) الدر المنثور: ١٧٢/٨، وعزاه إلى ابن مردويه. وانظر: تفسير ابن أبي حاتم (٧١٨١): ص ١٢٧٤/٤.

(٢) الدر المنثور: ١٧٣/٨، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٣) النكت والعيون: ١٣/٦.

(٤) التفسير الميسر: ٥٥٤.

(٥) تفسير الطبري: ٣٩٠/٢٣.

(٦) التفسير الميسر: ٥٥٤.

(٧) تفسير الطبري: ٣٩٠/٢٣.

(٨) الكشف: ٥٣٨/٤. قال المحقق: "قال محمود: «إنما كذبهم لأنهم ادعوا أن شهادتهم بألسنتهم تراطى لقلوبهم ... الخ» قال أحمد: ومثل هذا من نمطه المليح قوله: {قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا}، وقد كان المطابق لقوله: {وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا}، أن يقال لهم: لا تقولوا آمنا، ولكنه لما كان موهما للنهي عن قول الإيمان عدل عنه على ما فيه من الطباق إلى ما سلم الكلام فيه من الوهم، وذلك أجل وأعظم من فائدة المطابقة، لا سيما في مخاطبة هؤلاء الذين كانوا يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة. ألا تراهم كيف غلطوا أنفسهم متغابين، ولبسوا على ضعفهم متجاهلين عند ما أنزل قوله: {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبٌ جَهَنَّمَ}.

(٩) معاني القرآن: ١٧٥/٥.

مع صاحبها، وهو الذي قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الشرك الخفي في أمتي أخفى من دبيب النمل على الصفا في الليلة الظلماء»^(١)»^(٢).

قال الزمخشري: "لو قال: قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يشهد إنهم الكاذبون، لكان يوهم أن قولهم هذا كذب، فوسط بينهما قوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾، ليميط هذا الإيهام"^(٣).

القرآن

{اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (٣)} [المنافقون : ٢-٣]

التفسير:

إنما جعل المنافقون أيمانهم التي أقسموها سترة ووقاية لهم من المؤاخذة والعذاب، ومنعوا أنفسهم، ومنعوا الناس عن طريق الله المستقيم، إنهم بئس ما كانوا يعملون؛ ذلك لأنهم آمنوا في الظاهر، ثم كفروا في الباطن، فحتم الله على قلوبهم بسبب كفرهم، فهم لا يفهمون ما فيه صلاحهم.

قوله تعالى: {اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً} [المنافقون : ٢]، أي: "إنما جعل المنافقون أيمانهم التي أقسموها سترة ووقاية لهم من المؤاخذة والعذاب"^(٤).

قال الطبري: يقول: " اتخذ المنافقون أيمانهم جنة- وهي حلفهم- أي: سترة يستترون بها كما يستتر المستجن بجنته في حرب وقتال، فيمنعون بها أنفسهم وذرائعهم وأموالهم، ويدفعون بها عنها"^(٥).

قال الضحاك: " يقول: حلفهم بالله إنهم لمنكم جنة"^(٦)، "ليعصموا بها دماءهم وأموالهم"^(٧).

عن قتادة: " {اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً}، أي: حلفهم جنة"^(٨).

عن مجاهد في قول الله: " {اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً}، قال: يجتنون بها، قال ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا"^(٩).

قال الزمخشري: " قوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾، ليميط هذا الإيهام {اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً} يجوز أن يراد أن قولهم: «نشهد إنك لرسول الله» يمين من أيمانهم الكاذبة، لأن الشهادة تجرى مجرى الحلف فيما يراد به من التوكيد، يقول الرجل: أشهد وأشهد بالله، وأعزم وأعزم

(١)المستدرک علی الصحیحین ٣١٩ / ٢ ونوادیر الأصول ١٤٧ / ٤ والترغیب والترہیب ١٦ / ٤ .

(٢) تفسير التستري: ١٦٨ .

(٣) الكشاف: ٥٣٨/٤ .

(٤) التفسير الميسر: ٥٥٤ .

(٥) تفسير الطبري: ٣٩٠-٣٩٤/٢٣ .

(٦) أخرجه الطبري: ٣٩١/٢٣ .

(٧) أخرجه الطبري: ٣٩٤/٢٣ .

(٨) أخرجه الطبري: ٣٩٠/٢٣ .

(٩) أخرجه الطبري: ٣٩١/٢٣ .

بالله في موضع أقسم وأولى. وبه استشهد أبو حنيفة رحمه الله على أن «أشهد» يمين^(١). ويجوز أن يكون وصفا للمنافقين في استجنانهم بالإيمان^(٢).

وقرئت: «اتَّخَذُوا إِيمَانَهُمْ»، بكسر الهمزة - أي: إِظْهَرَهُمُ الْإِيمَانَ {جُنَّةً}^(٣).
قوله تعالى: {فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} [المنافقون : ٢]، أي: "ومنعوا أنفسهم، ومنعوا الناس عن طريق الله المستقيم"^(٤).

قال الطبري: " يقول: فأعرضوا عن دين الله الذي بَعَثَ به نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وشريعته التي شرعها لخلقها"^(٥).

قوله تعالى: {لَهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [المنافقون : ٢]، أي: "إنهم بنس ما كانوا يعملون"^(٦).

قال الطبري: " يقول: إن هؤلاء المنافقين الذين اتَّخَذُوا إيمانهم جنة ساء ما كانوا يعملون في اتِّخَاذِهِمْ إيمانهم جُنَّةً، لكذبهم ونفاقهم، وغير ذلك من أمورهم"^(٧).

قال الزمخشري: أي: "من نفاقهم وصددهم الناس عن سبيل الله. وفي ساء معنى التعجب الذي هو تعظيم أمرهم عند السامعين ذلك إشارة إلى قوله ساء ما كَانُوا يَعْمَلُونَ أي ذلك القول الشاهد عليهم بأنهم أسوأ الناس أعمالاً"^(٨).

عن السدي: {وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} [الحج: ٢٥]، "يعني: ويمنعون الناس عن دين الله الإسلام"^(٩).

قال السدي: "أما {سبيل الله}: فمحمد- صلى الله عليه وسلم"^(١٠).

عن سعيد بن جبير: "في سبيل الله، قال: في طاعة الله"^(١١).

قوله تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا} [المنافقون : ٣]، أي: "ذلك لأنهم آمنوا في الظاهر، ثم كفروا في الباطن"^(١٢).

قال الطبري: يقول: "إنهم ساء ما كانوا يعملون هؤلاء المنافقون الذين اتَّخَذُوا إيمانهم جنة من أجل أنهم صدَّقوا الله ورسوله، ثم كفروا بشكهم في ذلك وتكذيبهم به"^(١٣).

قال الزمخشري: "أي: بسبب {بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا}، أو إلى ما وصف من حالهم في النفاق والكذب والاستجنان بالإيمان، أي: ذلك كله بسبب أنهم آمنوا ثم كفروا.

فإن قلت: المنافقون لم يكونوا إلا على الكفر الثابت الدائم، فما معنى قوله: {آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا}؟

(١) قال المحقق: "استدل لأبي حنيفة على أن قول القائل «أشهد» يمين بقوله اتَّخَذُوا إيمانهم جنة ولم يصدر منهم إلا قولهم تَشْهَدُ إِنَّكَ لِرَسُولِ اللَّهِ فجعله يمينا» قال أحمد: أحد القولين عند مالك رحمه الله إذا قال أشهد وأحلف وأقسم ولم ينو بالله ولا بغيره، كما نقل عن أبي حنيفة أنه يمين وليس بالمشهور. أما لو نوى بالله وإن لم يتلفظ فيمين بلا إشكال، وليس فيما ذكره دليل على ما ذكره، فإن قوله اتَّخَذُوا إيمانهم جنة غايته أن ما ذكره يسمى يمينا، وليس الخلاف في تسميته يمينا، وإنما الخلاف هل يكون يمينا منعقدة يلزم بالحنث فيها كفارة أم لا؟ وليس كل ما يسمى حلفا أو قسما يوجب حكما، ألا ترى أنه لو قال: «أحلف» ولم يقل «بالله» ولا بغيره، فهو من محال الخلاف في وجوب الكفارة به، وإن كان حلفا لغة باتفاق، لأنه فعل مشتق منه.

(٢) الكشاف: ٥٣٨/٤-٥٣٩.

(٣) انظر: معاني القرآن: ١٧٥/٥.

(٤) التفسير الميسر: ٥٥٤.

(٥) تفسير الطبري: ٣٩٤/٢٣.

(٦) التفسير الميسر: ٥٥٤.

(٧) تفسير الطبري: ٣٩٤/٢٣.

(٨) الكشاف: ٥٣٩/٤.

(٩) تفسير يحيى بن سلام: ٣٦١/١.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٠٧٨): ص ١٦٨٧/٦.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٥٠٢): ص ١٨٥٤/٦.

(١٢) التفسير الميسر: ٥٥٤.

(١٣) تفسير الطبري: ٣٩٤/٢٣.

قلت: فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: آمنوا، أي: نطقوا بكلمة الشهادة وفعلوا كما يفعل من يدخل في الإسلام، ثم كفروا: ثم ظهر كفرهم بعد ذلك وتبين بما أطلع عليه من قولهم: إن كان ما يقوله محمد حقا فنحن حمير، وقولهم في غزوة تبوك: أيطمع هذا الرجل أن تفتح له قصور كسرى وقيصر هيهات. ونحوه قوله تعالى: {يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ}، أي: وظهر كفرهم بعد أن أسلموا. ونحوه قوله تعالى: {لَا تَعْتَدِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ؟} والثاني آمنوا: أي نطقوا بالإيمان عند المؤمنين، ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم استهزاء بالإسلام، كقوله تعالى: {وَإِذَا لُفُوا الَّذِينَ آمَنُوا}، إلى قوله تعالى: {إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ}. والثالث: أن يراد أهل الردة منهم^(١).

قوله تعالى: {قَطَّبَ عَلَى قُلُوبِهِمْ} [المنافقون : ٣]، أي: "فختم الله على قلوبهم بسبب كفرهم"^(٢).

قال الطبري: "يقول: فجعل الله على قلوبهم حتما بالكفر عن الإيمان"^(٣).

قال الزمخشري: "فجسروا على كل عزيمة"^(٤).

قوله تعالى: {فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ} [المنافقون : ٣]، أي: "فهم لا يفهمون ما فيه صلاحهم"^(٥).

قال الطبري: يقول: "فهم لا يفقهون صوابا من خطأ، وحقا من باطل لطبع الله على قلوبهم"^(٦).

قال قتادة: "أقروا بلا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقلوبهم منكرا تأبى ذلك"^(٧).

القرآن

{وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهِمْ خَشَبٌ مُسْتَدَّةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صِيحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٤)} [المنافقون : ٤]
التفسير:

وإذا نظرت إلى هؤلاء المنافقين تعجبك هيئاتهم ومناظرهم، وإن يتحدثوا تسمع لحديثهم؛ لفصاحة ألسنتهم، وهم لفراغ قلوبهم من الإيمان، وعقولهم من الفهم والعلم النافع كالأخشاب الملقاة على الحائط، التي لا حياة فيها، يظنون كل صوت عال واقعا عليهم وضارا بهم؛ لعلمهم بحقيقة حالهم، ولفرط جنبهم، والرعب الذي تمكّن من قلوبهم، هم الأعداء الحقيقيون شديدي العداوة لك وللمؤمنين، فخذ حذرك منهم، أخزاهم الله وطردهم من رحمته، كيف ينصرفون عن الحق إلى ما هم فيه من النفاق والضلال؟

قوله تعالى: {وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ} [المنافقون : ٤]، أي: "وإذا نظرت إلى هؤلاء المنافقين تعجبك هيئاتهم ومناظرهم"^(٨).

(١) الكشف: ٥٣٩/٤. قال المحقق: "قال محمود: «المنافقون لم يكونوا إلا على الكفر الثابت الدائم ... الخ. قال أحمد: ويحتمل وجها رابعا وهو أنهم آمنوا به قبل مبعثه على الصفة المذكورة في التوراة، لأنهم كانوا يسمعونها من جيرانهم اليهود، ثم كفروا به بعد مبعثه وموافقة الصفة، ولعل في المنافقين يهودا، وإن لم يكن فقد كان الإيمان قبل مبعثه من الفريقين:

اليهود وعبداء الأوثان من العرب، إلى نزول قوله لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ النَّبِيُّنَ كَيْفَ حَكَى اللهُ تَعَالَى عَنِ الْفَرِيقَيْنِ مَا كَانُوا يَقُولُونَ. والبينة: النبي صلى الله عليه وسلم".

(٢) التفسير الميسر: ٥٥٤.

(٣) تفسير الطبري: ٣٩٥/٢٣.

(٤) الكشف: ٥٣٩/٤.

(٥) التفسير الميسر: ٥٥٤.

(٦) تفسير الطبري: ٣٩٥/٢٣.

(٧) أخرجه الطبري: ٣٩٥/٢٣.

(٨) التفسير الميسر: ٥٥٤.

قال الطبري: " يقول جلّ ذكره لنبيه محمد صلّى الله عليه وسلّم: وإذا رأيت هؤلاء المنافقين يا محمد تعجبك أجسامهم لاستواء خلقها وحسن"^(١).

قال الزجاج: " كأنه وصفهم بتمام الصور وحسن الإبانة"^(٢).

قال ابن عطية: " توبيخ لهم لأنهم كانوا رجالا أجمل شيء وأفصحه، فكان نظرهم يروق وقولهم يخيب"^(٣).

قال مقاتل في بيان سبب نزولها: "يعني عبد الله بن أبي، وكان رجلا جسيما صبيحا ذلق اللسان"^(٤).

قوله تعالى: {وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ} [المنافقون : ٤]، أي: " وإن يتحدثوا تسمع لحديثهم ؛ لفصاحة ألسنتهم"^(٥).

قال الطبري: " يقول جلّ ثناؤه: وإن يتكلموا تسمع كلامهم يشبه منطقهم منطق الناس"^(٦).

قال الزمخشري: " كان عبد الله بن أبيّ رجلا جسيما صبيحا، فصيحا، ذلق اللسان وقوم من المنافقين في مثل صفته، وهم رؤساء المدينة، وكانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستندون فيه، ولهم جهازة المناظر وفصاحة الألسن فكان النبي صلى الله عليه وسلم ومن حضر يعجبون بهياكلهم ويسمعون إلى كلامهم"^(٧).

قوله تعالى: {كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ} [المنافقون : ٤]، أي: " وهم لفراغ قلوبهم من الإيمان، وعقولهم من الفهم والعلم النافع كالأخشاب الملقاة على الحائط، التي لا حياة فيها"^(٨).

قال الطبري: " يقول كأن هؤلاء المنافقين خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ لا خير عندهم ولا فقه لهم ولا علم، وإنما هم صور بلا أحلام، وأشباح بلا عقول"^(٩).

قال الزجاج: " ثم أعلم أنهم في تركهم التّفهُمَ والاستبصار بمنزلة الخشب"^(١٠).

قال ابن عطية: " جعلهم «كالخشب المسندة» ، وإنما هي أجرام لا عقول لها، معتمدة على غيرها، لا تثبت بأنفسها، ومنه قولهم: تساند القوم إذا اصطفوا وتقابلوا للقتال، وقد يحتمل أن يشبه اصطفاقهم في الأنديّة باصطفاف الخشب المسندة وخلوهم من الأفهام النافعة خلو الخشب من ذلك"^(١١).

عن ابن عباس في قوله: " {كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ}، قال: نخل قيام"^(١٢).

قال الزمخشري: " شبهوا في استنادهم- وما هم إلا أجرام خالية عن الإيمان والخير- بالخشب المسندة إلى الحائط ولأنّ الخشب إذا انتفع به كان في سقف أو جدار أو غيرهما من مظان الانتفاع، وما دام متروكا فارغا غير منتفع به أسند إلى الحائط، فشبهوا به في عدم الانتفاع. ويجوز أن يراد بالخشب المسندة: الأصنام المنحوتة من الخشب المسندة إلى الحيطان، شبهوا بها في حسن صورهم وقلة جدواهم"^(١٣).

- (١) تفسير الطبري: ٣٩٥/٢٣.
- (٢) معاني القرآن: ١٧٦/٥.
- (٣) المحرر الوجيز: ٣١٢/٥.
- (٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٣٧ / ٤. وقد ورد ذلك في كتب التفسير، وصحيح البخاري، وأسباب النزول للواحي: ٢٤٤ ولباب النقول للسيوطي: ٢١٩.
- (٥) التفسير الميسر: ٥٥٤.
- (٦) تفسير الطبري: ٣٩٥/٢٣.
- (٧) الكشاف: ٥٤٠/٤.
- (٨) التفسير الميسر: ٥٥٤.
- (٩) تفسير الطبري: ٣٩٥/٢٣.
- (١٠) معاني القرآن: ١٧٦/٥.
- (١١) المحرر الوجيز: ٣١٢/٥.
- (١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٨٩٩): ص ٣٣٥٧/١٠.
- (١٣) الكشاف: ٥٤٠/٤.

قال رجل لابن سيرين: " رأيتني في النوم محتضنا خشبة، فقال ابن سيرين: أظنك من أهل هذه الآية وتلا: {كَانَهُمْ خُشْبٌ مُسَدَّدَةٌ} " (١).

وقرأ ذلك الأعمش والكسائي: «خُشْبٌ»، بضم الخاء وسكون الشين (٢).
قوله تعالى: {يَحْسُبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ} [المنافقون : ٤]، أي: " يظنون كل صوت عال واقعا عليهم وضارا بهم؛ لعلمهم بحقيقة حالهم، ولفرط جبنهم، والرعب الذي تمكن من قلوبهم " (٣).

قال الطبري: " يقول جل ثناؤه: يحسب هؤلاء المنافقون من خُبثهم وسوء ظنهم، وقلة يقينهم كل صيحة عليهم، لأنهم على وجل أن يُنزل الله فيهم أمرا يهتك به أستارهم ويفضحهم، ويبيح للمؤمنين قتلهم وسبي ذراريهم، وأخذ أموالهم، فهم من خوفهم من ذلك كلما نزل بهم من الله وحي على رسوله، ظنوا أنه نزل بهلاكهم وعذبهم " (٤).

قال مقاتل: " يقول: إذا نادى مناد في العسكر أو أفلتت دابة أو أنشدت ضالة، ظنوا أنما يرادون بذلك مما في قلوبهم من الرعب " (٥).

قال الزجاج: " وصفهم الله تعالى بالجبن، ويكون أمر كل من خاطب النبي عليه السلام فإيما يخاطبه في أمرهم بكشف نفاقهم " (٦).

قال الزمخشري: " أي: يحسبون كل صيحة واقعة عليهم وضارة لهم، لجبنهم وهلعهم وما في قلوبهم من الرعب: إذا نادى مناد في العسكر أو انفلتت دابة أو أنشدت ضالة: ظنوه إيقاعا بهم. وقيل: كانوا على وجل من أن ينزل الله فيهم ما يهتك أستارهم ويبيح دماءهم وأموالهم، ومنه أخذ الأخطل (٧):

مَا زِلْتُ تَحْسَبُ كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَهُمْ ... خَيْلًا تَكْرُ عَلَيْهِمْ وَرَجَالًا " (٨).

وفي تفسير قوله تعالى: {يَحْسُبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ} [المنافقون : ٤]، ثلاثة أوجه: أحدها: أنهم لوجلهم وخبثهم يحسبون كل صيحة يسمعونها - حتى لو دعا رجل صاحبه أو صاح بناقته - أن العدو قد اصطلم وأن القتل قد حل بهم ، قاله السدي (٩).

الثاني: {يحسبون كل صيحة عليهم} كلام ضميره فيه ولا يفتقر إلى ما بعده ، وتقديره: يحسبون كل صيحة عليهم أنهم قد فطن بهم وعلم فقال: {هم العدو فاحذرهم} وهذا معنى قول الضحاك (١٠).

الثالث: يحسبون كل صيحة يسمعونها في المسجد أنها عليهم ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قد أمر فيها بقتلهم ، فهم أبدا وجلون ثم وصفهم الله بأن قال: {هم العدو فاحذرهم} حكاة عبد الرحمن بن أبي حاتم (١١).

(١) نقلا عن: المحرر الوجيز: ٣١٢/٥.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٩٦/٢٣.

(٣) التفسير الميسر: ٥٥٤.

(٤) تفسير الطبري: ٣٩٦-٣٩٥/٢٣.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٣٧/٤.

(٦) معاني القرآن: ١٧٦/٥.

(٧) غير موجود في ديوان الأخطل وإنما هو لجرير بن عطية. ينظر شرح ديوان جرير ص ٥٤٣، وكذا نسبه أبو حيان في البحر ٢٦٨/٨ ونسبه الزمخشري والقرطبي إلى الأخطل ينظر الكشف ١٠٩/٤، وشرح شواهد ص ٥٠٥، والقرطبي ٨٢/١٨.

يقول: لا زلت يا جرير تظن كل شيء بعدهم، أي: بعد خذلان قومك. ويجوز أن بعدهم بمعنى غيرهم، خيلا تكرر: أي ترجع بسرعة عليهم ورجالا لكثرة ما قام بقلبك من الخوف.

(٨) الكشف: ٥٤٠/٤.

(٩) انظر: النكت والعيون: ١٥/٦.

(١٠) انظر: النكت والعيون: ١٥/٦.

(١١) .

قوله تعالى: {هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ} [المنافقون : ٤]، أي: "هم الأعداء الحقيقيون شديدي
العداوة لك وللمؤمنين، فخذ حذرهم" (١).
قال الطبري: "يقول الله جل ثناؤه لنبيه صلى الله عليه وسلم: هم العدو يا محمد
فاحذرهم، فإن ألسنتهم إذا لُفوكم معكم وقلوبهم عليكم مع أعدائكم، فهم عين لأعدائكم عليكم" (٢).
قال الزجاج: "أي: هم العدو الأدنى، فاحذرهم لأنهم كانوا أعداء النبي - صلى الله عليه
وسلم - ويظهرون أنهم معاً" (٣).
قال الأوسي: "أي: هم الكاملون في العداوة والراسخون فيها، فإن أعدى الأعداء العدو
المداحي، الذي يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوي، ككثير من أبناء الزمان. {فاحذرهم} لكونهم
أعدى الأعداء ولا تغترن بظاهرهم.
لا تقنع بأول ما تراه ... فأول طالع فجر كنوب" (٤).
قوله تعالى: {قَاتِلْهُمْ اللَّهُ} [المنافقون : ٤]، أي: "أخزاهم الله وطردهم من رحمته" (٥).
قال ابن عباس، وأبو مالك: "معناه: لعنهم الله" (٦).
قال الطبري: "يقول: أخزاهم الله" (٧).
قال الأوسي: "أي: لعنهم وطردهم، فإن القتل قصارى شدائد الدنيا وفضائعها، وكذلك الطرد عن
رحمة الله تعالى والبعد عن جنبه الأقدس منتهى عذابه عز وجل، وغاية نكاله جل وعلا" (٨).
قوله تعالى: {أَنْتَى يُؤْفَكُونَ} [المنافقون : ٤]، أي: "كيف ينصرفون عن الحق إلى ما هم
فيه من النفاق والضلال؟" (٩).
قال الطبري: يقول: "إلى أي وجه يصرفون عن الحق" (١٠).
قال الزجاج: "من أين يصرفون عن الحق إلى الباطل" (١١).
عن ابن زيد، في قول الله: {وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ}... الآية، قال: هؤلاء
المنافقون" (١٢).
عن ابن عباس، وأبي مالك: "أنى يؤفكون؟" (١٣).
عن قتادة: "فأنى يؤفكون؟" قال: من أين" (١٤).
وفي قوله تعالى: {أَنْتَى يُؤْفَكُونَ} [المنافقون : ٤]، وجوه:
أحدها: معناه: كيف يكذبون، قاله ابن عباس (١٥)، وأبو مالك (١٦).
الثاني: معناه: يعدلون عن الحق، قاله قتادة (١٧).
الثالث: معناه: يصرفون عن الرشد، قاله الحسن (١٨).

-
- (١) التفسير الميسر: ٥٥٤.
 - (٢) تفسير الطبري: ٣٩٦/٢٣.
 - (٣) معاني القرآن: ١٧٦/٥.
 - (٤) غاية الأمانى في الرد على النبهاني: ٥٩/١. والشعر غير منسوب.
 - (٥) التفسير الميسر: ٥٥٤.
 - (٦) انظر: النكت والعيون: ١٦/٦.
 - (٧) تفسير الطبري: ٣٩٦/٢٣.
 - (٨) غاية الأمانى في الرد على النبهاني: ٥٩/١.
 - (٩) التفسير الميسر: ٥٥٤.
 - (١٠) تفسير الطبري: ٣٩٦/٢٣.
 - (١١) معاني القرآن: ١٧٦/٥.
 - (١٢) أخرجه الطبري: ٣٩٦/٢٣.
 - (١٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٦٥٢): ص ١١٨٠/٤.
 - (١٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٤١٩): ص ٣٠٧٩/٩.
 - (١٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٠٥٤): ص ١٧٨٣/٦، وانظر: النكت والعيون: ١٦/٦.
 - (١٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٠٥٤): ص ١٧٨٣/٦.
 - (١٧) انظر: النكت والعيون: ١٦/٦، وروي نحوه في تفسير ابن أبي حاتم (١٠٣٨٣): ١٩٥٢/٦.
 - (١٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٤٢١): ص ٣٠٧٩/٩، بلفظ: "أي: يعدلون". وانظر: النكت والعيون: ١٦/٦.

الرابع: معناه: كيف يضل عقولهم عن هذا ، قاله السدي^(١).
فوائد الآيات: [٤-١]:

- ١- بيان أن الكذب ما خالف الاعتقاد وإن طابق الواقع.
- ٢- التحذير من الاستمرار على المعصية فإنه يوجب الطبع على القلب ويحرم صاحبه الهداية.
- ٣- التحذير من الاغترار بالمظاهر كحسن الهنءام وفصاحة اللسان.
- ٤- الكشف عن نفسية الخائن والظالم والمجرم وهو الخوف والتخوف من كل صوت أو كلمة خشية أن يكون ذلك بياناً لحالهم وكشفاً لجرائمهم.

القرآن

{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ
[٥] { [المنافقون : ٥]

وإذا قيل لهؤلاء المنافقين: أقبّلوا تائبين معتردين عمّا بدر منكم من سيئ القول وسفه الحديث، يستغفر لكم رسول الله ويسأل الله لكم المغفرة والعفو عن ذنوبكم، أمالوا رؤوسهم وحركوها استهزاءً واستكباراً، وأبصرتهم -أيها الرسول- يعرضون عنك، وهم مستكبرون عن الامتثال لما طلب إليهم.
سبب النزول:

سعيد بن جبّير: "أنّ النبيّ - صلى الله عليه وسلم - كان إذا نزل منزلاً في السفر لم يرتحل منه حتى يُصلّي فيه، فلمّا كان غزوة تبوك نزل منزلاً، فقال عبد الله بن أبيّ: لئن رجّعنا إلى المدينة ليُخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ. فبلغ ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فارتحل ولم يُصلّ، فذكروا ذلك له، فذكر قصة ابن أبيّ، ونزل القرآن، قال: {إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ}. وجاء عبد الله بن أبيّ إلى النبيّ - صلى الله عليه وسلم -، فجعل يعتذر ويحلف ما قال، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول له: «ثبّ». فجعل يلوي رأسه؛ فأنزل الله: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ} الآية"^(٢).

قوله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ} [المنافقون : ٥]، أي: "وإذا قيل لهؤلاء المنافقين: أقبّلوا تائبين معتردين عمّا بدر منكم من سيئ القول وسفه الحديث، يستغفر لكم رسول الله ويسأل الله لكم المغفرة والعفو عن ذنوبكم، أمالوا رؤوسهم وحركوها استهزاءً واستكباراً"^(٣).

قال الطبري: يقول: " وإذا قيل لهؤلاء المنافقين تعالوا إلى رسول الله يستغفر لكم لووا رؤوسهم، يقول حرّكوها وهزّوها استهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلّم وباستغفاره"^(٤).
قال مقاتل: " يعني: عطفوا رؤوسهم رغبة عن الاستغفار"^(٥).

عن مجاهد، في قوله: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ}، قال: عبد الله بن أبيّ، قيل له: تعال ليستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلّم، فلوى رأسه وقال: ماذا قلت؟"^(٦).

(١) انظر: النكت والعيون: ١٦/٦.

(٢) أخرجه عبد بن حميد -كما في الفتح ٦٤٤ / ٨ - وابن أبي حاتم -كما في تفسير ابن كثير ١٥٣ / ٨ - ١٥٤ -

قال ابن كثير: «هذا إسناد صحيح إلى سعيد بن جبّير». وقال الحافظ: «إسناده صحيح إلى سعيد بن جبّير مرسلًا... والذي عليه أهل المغازي أنها غزوة بني المصطلق».

(٣) التفسير الميسر: ٥٥٥.

(٤) تفسير الطبري: ٣٩٧/٢٣.

(٥) تفسير مقاتل بن سيمان: ٣٣٨/٤.

(٦) أخرجه الطبري: ٣٩٨/٢٣.

عن قتادة - من طريق سعيد- في الآية، قال: "نزلت في عبد الله بن أبي؛ وذلك أن غلاماً من قرابته انطلق إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بحديث وتكذيب شديد، فدعاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فإذا هو يحلف ويتبرأ من ذلك، وأقبلت الأنصار على ذلك الغلام، فلاموه وعدلوه، وقيل لعبد الله: لو أتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاستغفر لك. فجعل يلوي رأسه، ويقول: لست فاعلاً، وكذب عليّ. فأنزل الله ما تسمعون"^(١).

عن قتادة، قال: قال له قومه: لو أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فاستغفر لك، فجعل يلوي رأسه، فنزلت فيه: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ} "^(٢).
عن ابن جرير، في قوله: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوْ أَوْ رَعَوْهُمْ}، قال: حرّكوها استهزاء"^(٣).

عن بشير بن مسلم - من طريق الحكم-: "أنه قيل لعبد الله بن أبي بن سلول: يا أبا حُباب، إنه قد أنزل فيك أي شيداد، فاذهب إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يستغفر لك. فلوى رأسه، وقال: أمرتوني أن أومن فأمنت، وأمرتوني أن أعطي زكاة مالي فأعطيت، فما بقي إلا أن أسجد لمحمد!"^(٤).

قرأت القراء: {لَوْ أَوْ}، على وجه الخبر عنهم أنهم كرّروا هز رعوهم وتحريكها، وأكثروا، إلا نافعاً فإنه قرأ ذلك بتخفيف الواو «لَوْ أَوْ»، على وجه أنهم فعلوا ذلك مرة واحدة^(٥).
قوله تعالى: {وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ} [المنافقون: ٥]، أي: "وأبصرتهم -أيها الرسول- يعرضون عنك، وهم مستكبرون عن الامتثال لما طلب إليهم"^(٦).

قال الطبري: يقول: "ورأيتهم يعرضون عما دُعوا إليه بوجههم وهم مستكبرون عن المصير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر لهم، وإنما عني بهذه الآيات كلها فيما ذكر، عبد الله بن أبي ابن سلول، وذلك أنه قال لأصحابه: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفصوا، وقال: {لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلُّ}، فسمع بذلك زيد بن أرقم، فأخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسأله عما أخبر به عنه، فحلف أنه ما قاله، وقيل له: لو أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسألته أن يستغفر لك، فجعل يلوي رأسه ويحرّكه استهزاء، ويعني ذلك أنه غير فاعل ما أشاروا به عليه، فأنزل الله عزّ وجلّ فيه هذه السورة من أولها إلى آخرها"^(٧).

عن زيد بن أرقم، قال: "خرجت مع عمي في غزاة، فسمعت عبد الله بن أبي ابن سلول يقول لأصحابه: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفصوا، لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلُّ؛ قال: فذكرت ذلك لعمي، فذكره عمي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فأرسل إليّ، فحدثته، فأرسل إلى عبد الله عليّاً رضي الله عنه وأصحابه، فحلفوا ما قالوا، قال: فكذبني رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدّقه، فأصابني همّ لم يصبني مثله قط؛ فدخلت البيت، فقال لي عمي: ما أردت إلى أن كذبك رسول الله صلى الله عليه وسلم ومقتك، قال: حتى أنزل الله عزّ وجلّ {إِذَا جَاءَكَ الْمُنافِقُونَ}، قال: فبعث إليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقراها، ثم قال: "إن الله عزّ وجلّ قد صدّقك يا زيد"^(٨).

(١) أخرجه عبد بن حميد - كما في فتح الباري ٦/ ٦٤٨ - ، وابن جرير ٢٢/ ٦٥٧. كما أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٢٩٤ من طريق معمر مختصراً، وابن جرير ٢٢/ ٦٥٨.

(٢) أخرجه الطبري: ٤٠٠/٢٣.

(٣) الدر المنثور: ٨/ ١٧٤، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٤) أخرجه عبد بن حميد - كما في الفتح ٨/ ٦٤٨ - ، والطبري: ٢٣/ ٣٩٩. وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٣/ ٣٩٧.

(٦) التفسير الميسر: ٥٥٥.

(٧) تفسير الطبري: ٢٣/ ٣٩٧.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٣/ ٣٩٧-٣٩٨.

عن قتادة: " {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأْ} ... الآية كلها قرأها إلى {الْقَاسِقِينَ}، أنزلت في عبد الله بن أبي، وذلك أن غلاماً من قرابته انطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه بحديث عنه وأمر شديد، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا هو يحلف ويتبرأ من ذلك، وأقبلت الأنصار على ذلك الغلام، فلاموه وعدلوه وقيل لعبد الله: لو أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعل يلوي رأسه: أي لست فاعلاً وكذب عليّ، فأنزل الله ما تسمعون" (١).

عن محمد بن شهاب الزهري -من طريق ابن إسحاق- قال: "كان لعبد الله بن أبي مقام يقومه كل جمعة لا يتركه شرقاً له في نفسه وفي قومه، فكان إذا جلس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم الجمعة يخطب قام، فقال: أيها الناس، هذا رسول الله بين أظهركم، أكرمكم الله به، وأعزكم به، فانصروه، وعزروه، واسمعوا له، وأطيعوا. ثم يجلس، فلما قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أحد، وصنع المنافق ما صنع في أحد، فقام يفعل كما كان يفعل، فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه، وقالوا: اجلس، يا عدو الله، لست لهذا المقام بأهل، قد صنعت ما صنعت. فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول: والله، لكأني فُلتُ هُجراً أن قمتُ أشد أمره. فقال له رجل: ويلك! ارجع يستغفر لك رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقال المنافق: والله، ما أبغي أن يستغفر لي" (١).

القرآن

{سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٦)} [المنافقون : ٦]

التفسير:

سواء على هؤلاء المنافقين أطلبت لهم المغفرة من الله -أيها الرسول- أم لم تطلب لهم، إن الله لن يصفح عن ذنوبهم أبداً ; لإصرارهم على الفسق ورسوخهم في الكفر. إن الله لا يوفق للإيمان القوم الكافرين به، الخارجين عن طاعته.
سبب النزول:

عن ابن عباس قوله: "{سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ}"، قال: نزلت هذه الآية بعد الآية التي في سورة التوبة {إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ} [التوبة: ٨] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «زيادة على سبعين مرة»، فأنزل الله: "{سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ}" (٣).

قوله تعالى: {سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ} [المنافقون : ٦]، أي: "سواء على هؤلاء المنافقين أطلبت لهم المغفرة من الله -أيها الرسول- أم لم تطلب لهم، إن الله لن يصفح عن ذنوبهم أبداً ; لإصرارهم على الفسق ورسوخهم في الكفر" (٤).

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: سواء يا محمد على هؤلاء المنافقين الذين قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله {أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ} ذنوبهم {أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ}، لن يصفح الله لهم عن ذنوبهم، بل يعاقبهم عليها" (٥).

قال الزمخشري: "{سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ} الاستغفار وعدمه، لأنهم لا يلتفتون إليه ولا يعتدون به لكفرهم. أو لأن الله لا يغفر لهم" (٦).

(١) أخرجه الطبري: ٣٩٨/٢٣.

(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل ٣/ ٣١٨.

(٣) أخرجه الطبري: ٤٠٠/٢٣.

(٤) التفسير الميسر: ٥٥٥.

(٥) تفسير الطبري: ٤٠٠/٢٣.

(٦) الكشاف: ٥٤٣/٤.

قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} [المنافقون : ٦]، أي: "إن الله لا يوفق للإيمان القوم الكافرين به، الخارجين عن طاعته"^(١).
 قال الطبري: "يقول: إن الله لا يوفق للإيمان القوم الكاذبين عليه، الكافرين به، الخارجين عن طاعته"^(٢).
 قال السمعاني: "أي: المنافقين، وهم كفار وفساق ومنافقون"^(٣).
 عن ابن زيد: "والله لا يهدي القوم الفاسقين"، قال: الكاذبين"^(٤).
 وحكى بعضهم عن حذيفة بن اليمان: "أنه قيل له: من المنافق؟ قال: الذي يصف الإيمان ولا يعمل به."^(٥).
 عن عمر -رضي الله عنه- قال: إني لا أخاف عليكم مؤمنا تبين إيمانه، ولا كافرا تبين كفره، وإنما أخاف عليكم كل منافق عليم اللسان"^(٦).

القرآن

{هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ} [المنافقون : ٧]
 التفسير:

هؤلاء المنافقون هم الذين يقولون لأهل «المدينة»: لا تنفقوا على أصحاب رسول الله من المهاجرين حتى يتفرقوا عنه. والله وحده خزائن السموات والأرض وما فيهما من أرزاق، يعطيها من يشاء ويمنعها ممن يشاء، ولكن المنافقين لا يفهمون أن الرزق من عند الله؛ لجهلهم به سبحانه وتعالى.

سبي نزول الآيتين: [٧-٨]:

عن ابن عباس: "من طريق سعيد بن جبيرة - قال: نزلت هذه الآية: {هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا} في عسيف لعمر بن الخطاب"^(٧) "^(٨).
 عن زيد بن أرقم - من طريق أبي حمزة - قال: "لما قال عبد الله بن أبي ما قال: لا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا. وقال: لئن رجعنا إلى المدينة ليُخْرِجَنَّ الأَعَزَّ مِنْهَا الأَذْلَ. سمعته، فأتيت النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم -، فذكرت ذلك له، فلامني ناس من الأنصار، وجاءهم يحلف ما قال ذلك، فرجعت إلى المنزل، فنمت، فأتاني رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقال: «إِنَّ اللَّهَ صَدَقَكَ، وَعَذْرُكَ». فنزلت هذه الآية: {هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا} الآيتين"^(٩).

(١) التفسير الميسر: ٥٥٥.

(٢) تفسير الطبري: ٤٠٠/٢٣.

(٣) تفسير السمعاني: ٤٤٣/٥.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٠٩٠): ص ١٧٧٢/٦.

(٥) نقلا عن: تفسير السمعاني: ٤٤٣/٥.

(٦) نقلا عن: تفسير السمعاني: ٤٤٣/٥.

(٧) العسيف: الأجير. النهاية (عسف).

(٨) أخرجه الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة ١٠ / ٩٥ (٩٢) من طريق ابن مردويه.

رجال إسناده ثقات، رجال الشيخين، سوى المثني بن معاذ العنبري فمن رجال مسلم، والراوي عنه ابنه معاذ بن المثني، قال الخطيب في تاريخ بغداد ١٣ / ١٣٦: «كان ثقة». والراوي عنه أحمد بن محمد بن زياد، وهو أبو سهل القطان شيخ ابن مردويه، قال الذهبي في المعين في طبقات المحدثين (١٢٥٧): «شيخ».

(٩) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند ٣٢ / ٥١ (١٩٢٩٧)، ومن طريقه الطبراني في الكبير ٥ / ١٧٧ (٥٠٠٣).

رجال إسناده ثقات، رجال الشيخين، سوى أبي حمزة طلحة بن يزيد الأيلي فمن رجال البخاري، وقال عنه ابن حجر في التقریب (٣٠٣٨): «وثقه النسائي».

عن عكرمة مولى ابن عباس - من طريق الحكم-: "أنّ عبد الله بن أبي بن سلول كان له ابن يُقال له: حُباب، فسماه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: عبد الله، فقال: يا رسول الله، إنّ والدي يؤذي الله ورسوله؛ فذّرني حتى أقتله. فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «لا تقتل أباك». ثم جاءه أيضًا، فقال له: يا رسول الله، إنّ والدي يؤذي الله ورسوله؛ فذّرني حتى أقتله. فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «لا تقتل أباك». ثم جاءه أيضًا، فقال: يا رسول الله، إنّ والدي يؤذي الله ورسوله؛ فذّرني حتى أقتله. فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «لا تقتل أباك». فقال: يا رسول الله، فذّرني حتى أسقيه من وضوئك؛ لعلّ قلبه أن يلين. فتوضأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وأعطاه، فذهب به إلى أبيه، فسقاه، ثم قال له: هل تدري ما سقيتك؟ قال له والده: نعم، سقيتني بول أمك. فقال له ابنه: لا، والله، ولكن سقيتك وضوء رسول الله - صلى الله عليه وسلم -. قال عكرمة: وكان عبد الله بن أبي عظيم الشأن فيهم، وفيه أنزلت هذه الآية في المنافقين: {هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا}، وهو الذي قال: {لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابُ مِنْهَا الْأَذَلَّ} (١).

عن الحسن البصري - من طريق معمر-: "أنّ غلامًا جاء إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله، إني سمعتُ عبد الله بن أبي يقول كذا وكذا. قال: «فلعلك غَضِبتَ عليه». قال: لا، والله، يا نبي الله، لقد سمعتهُ يقوله. قال: «فلعلك أخطأ سمعك». قال: لا، والله، يا نبي الله، لقد سمعتهُ يقوله. قال: «فلعله شبّه عليك». قال: لا، والله. قال: فأنزل الله تصديقًا للغلام: {لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابُ مِنْهَا الْأَذَلَّ}. فأخذ النبي - صلى الله عليه وسلم - بأذن الغلام، فقال: «وفت أدنك، وفت أدنك، يا غلام» (٢).

قال قتادة: "اقتتل رجلان؛ أحدهما من جهينة، والآخر من غفار، وكانت جهينة حليف الأنصار، فظهر عليه الغفاري، فقال رجلٌ منهم عظيم التفاق: عليكم صاحبكم، عليكم صاحبكم، فوالله، ما مثلنا ومثل محمد إلا كما قال القائل: سَمَنْ كَلْبِكَ يَأْكُلُكَ، أما -والله- لئن رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابُ مِنْهَا الْأَذَلَّ. وهم في سفر، فجاء رجلٌ مِمَّنْ سمعه إلى النبي - صلى الله عليه وسلم -، فأخبره ذلك، فقال عمر: مرّ معادًا يضرب عنقه. فقال: «والله، لا يتحدث الناس أنّ محمدًا يقتل أصحابه». فنزلت فيهم: {هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ} (٣).

قوله تعالى: {هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا} [المنافقون ٧: ٧]، أي: هؤلاء المنافقون هم الذين يقولون لأهل «المدينة»: لا تنفقوا على أصحاب رسول الله من المهاجرين حتى يتفرقوا عنه" (٤).

قال الطبري: "يعني: المنافقين الذين يقولون لأصحابهم: {لا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ} من أصحابه المهاجرين حتى يتفرقوا عنه" (٥).

قال الزمخشري: "يَنْفَضُوا، يتفرقوا. وقرئ: «ينفضوا»، من انفض القوم إذا فنيت أزوادهم. وحقيقته: حان لهم أن ينفضوا مزادهم" (٦).

عن ابن عباس، قوله: "هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا}، قال: لا تطعموا محمدًا وأصحابه حتى تصيبهم مجاعة، فيتركوا نبيهم" (٧).

(١) أخرجه عبد بن حميد - كما في الفتح ٨ / ٦٤٨ - ، والحديث عند ابن جرير ٤٠٣/٢٢، وعبد الرزاق (٦٦٢٧). وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

قال الحافظ في الفتح ٨ / ٦٥٠: «مرسل عن عكرمة».

(٢) أخرجه عبد الرزاق ٢ / ٢٩٤، وابن جرير ٢٢ / ٦٦٥ مرسلًا.

(٣) أخرجه عبد الرزاق ٢ / ٢٩٣، وابن جرير ٢٣ / ٤٠٤.

(٤) التفسير الميسر: ٥٥٥.

(٥) تفسير الطبري: ٤٠١/٢٣.

(٦) الكشف: ٥٤٣/٤.

(٧) أخرجه الطبري: ٤٠١/٢٣.

قال قتادة: " وهذا قول عبد الله بن أبي لأصحابه المنافقين لا تنفقوا على محمد وأصحابه حتى يدعوه، فإنكم لولا أنكم تنفقون عليهم لتركوه وأجلوا عنه" (١).
 قال قتادة: " إن عبد الله بن أبي ابن سلول قال لأصحابه، لا تنفقوا على من عند رسول الله، فإنكم لو لم تنفقوا عليهم قد انفضوا" (٢).
 عن الضحاك، قوله: " {لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا}، يعني: الرِّفْدَ والمعونة، وليس يعني: الزكاة المفروضة؛ والذين قالوا هذا هم المنافقون" (٣).
 عن زيد بن أرقم، قال: "لما قال ابن أبي ما قال، أخبرت النبي صلى الله عليه وسلم، فجاء فحلف، فجعل الناس يقولون لي: تأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكذب؟ حتى جلستُ في البيت مخافة إذا رأوني قالوا: هذا الذي يكذب، حتى أنزل: {هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ} (٤).
 قوله تعالى: {وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [المنافقون : ٧]، أي: " والله وحده خزائن السموات والأرض وما فيهما من أرزاق، يعطيها من يشاء ويمنعها ممن يشاء" (٥).
 قال الطبري: " يقول: والله جميع ما في السموات والأرض من شيء وبيده مفاتيح خزائن ذلك، لا يقدر أحد أن يعطي أحداً شيئاً إلا بمشيئته" (٦).
 قال الزمخشري: " وبيده الأرزاق والقسم، فهو رازقهم منها، وإن أبي أهل المدينة أن ينفقوا عليهم" (٧).

قال الزجاج: " أي: أن الله يرزقهم وهو رازقهم في حال إنفاق هؤلاء عليهم" (٨).
 قوله تعالى: {وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ} [المنافقون : ٧]، أي: " ولكن المنافقين لا يفهمون أن الرزق من عند الله؛ لجهلهم به سبحانه وتعالى" (٩).
 قال ابن عباس: " لا يفقهون أن أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون" (١٠).
 قال الطبري: يقول: " {وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ} أن ذلك كذلك، فذلك يقولون: لا تنفقوا على من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ينفضوا" (١١).
 قال الزمخشري: " ولكن عبد الله وأضرابه جاهلون لا يفقهون ذلك فيهدون بما يزين لهم الشيطان" (١٢).

القرآن

{يَقُولُونَ لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنَّ الأعزَّ منها الأذلَّ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين
 ولكنَّ المنافقين لا يعلمون (٨)} [المنافقون : ٨]
 التفسير:

يقول هؤلاء المنافقون: لئن عدنا إلى «المدينة» ليخرجنَّ فريقنا الأعزَّ منها فريق المؤمنين الأذلَّ، والله تعالى العزة ولرسوله صلى الله عليه وسلم، وللمؤمنين بالله ورسوله لا لغيرهم، ولكن المنافقين لا يعلمون ذلك؛ لفرط جهلهم.

- (١) أخرجه الطبري: ٤٠١/٢٣.
- (٢) أخرجه الطبري: ٤٠١/٢٣.
- (٣) أخرجه الطبري: ٤٠١/٢٣.
- (٤) أخرجه الطبري: ٤٠٢/٢٣.
- (٥) التفسير الميسر: ٥٥٥.
- (٦) تفسير الطبري: ٤٠١/٢٣.
- (٧) الكشاف: ٥٤٣/٤.
- (٨) معاني القرآن: ١٧٦/٥.
- (٩) التفسير الميسر: ٥٥٥.
- (١٠) التفسير البسيط: ٤٧٦/٢١.
- (١١) تفسير الطبري: ٤٠١/٢٣.
- (١٢) الكشاف: ٥٤٣/٤.

قوله تعالى: {يَقُولُونَ لَئِن رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ} [المنافقون : ٨]، أي: "يقول هؤلاء المنافقون: لئن عدنا إلى «المدينة» ليخرجنَّ فريقنا الأعزُّ منها فريق المؤمنين الأذلَّ" (١).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: يقول هؤلاء المنافقون الذين وصف صفتهم قبل {لَئِن رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ} فيها، ويعني بالأعزِّ: الأشدَّ والأقوى" (٢).
عن ابن عباس، قوله: "{يَقُولُونَ لَئِن رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ} ... إلى {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ}" قال ذلك عبد الله بن أبي ابن سلول الأنصاري رأس المنافقين، وناس معه من المنافقين" (٣).
عن قتادة، قوله: "{لَئِن رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ}"، قرأ الآية كلها إلى {لَا يَعْلَمُونَ}، قال: قد قالها منافق عظيم النفاق في رجلين اقتتلا أحدهما غفاري، والآخر جهني، فظهر الغفاري على الجهني، وكان بين جهينة والأنصار حلف، فقال رجل من المنافقين وهو ابن أبي بني الأوس، يا بني الخزرج، عليكم صاحبكم وحليفكم، ثم قال: والله ما مثلنا ومثل محمد إلا كما قال القائل: "سَمَّ كَلْبِكَ يَا كَلْبُكَ"، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ، فسعى بها بعضهم إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم، فقال عمر: يا نبي الله مر معاذ بن جبل أن يضرب عنق هذا المنافق، فقال: "لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ". ذكر لنا أنه كان أكثر على رجل من المنافقين عنده، فقال: هل يصلي؟ فقال: نعم ولا خير في صلاته، فقال: نهيت عن المصلين، نهيت عن المصلين" (٤).

عن عمرو بن دينار، عن جابر بن عبد الله أن رجلاً من المهاجرين كسع رجلاً من الأنصار برجله وذلك في أهل اليمن شديد فنأدى المهاجرين يا للمهاجرين، ونأدى الأنصار يا للأنصار؛ قال: والمهاجرون يومئذ أكثر من الأنصار، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "دَعُوها فَإِنَّهَا مُنْتَبَهَةٌ"، فقال عبد الله بن أبي ابن سلول "لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ" (٥).

عن عمرو، قال: "سمعت جابر بن عبد الله، قال: إن الأنصار كانوا أكثر من المهاجرين، ثم إن المهاجرين كثروا فخرجوا في غزوة لهم، فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، قال: فكان بينهما قتال إلى أن صرخ: يا معشر الأنصار، وصرخ المهاجر: يا معشر المهاجرين؛ قال: فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: "مَا لَكُمْ وَلِدَعْوَةِ الْجَاهِلِيَّةِ؟" فقالوا: كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "دَعُوها فَإِنَّهَا مُنْتَبَهَةٌ"، قال: فقال عبد الله بن أبي ابن سلول: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ، فقال عمر: يا رسول الله دعني فأقتله، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ" (٦).

عن عكرمة: "أن عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول كان يقال له حباب، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله، فقال: يا رسول الله إن والدي يؤذي الله ورسوله، فذرني حتى أقتله، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لَا تَقْتُلْ أَبَاكَ عَبْدَ اللَّهِ"، ثم جاء أيضاً فقال: يا رسول الله إن والدي يؤذي الله ورسوله، فذرني حتى أقتله، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تقتل أباك، فقال: يا رسول الله فتوضاً حتى أسقيه من وضوئك لعل قلبه أن يلين، فتوضاً رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه، فذهب به إلى أبيه فسقاه، ثم قال له: هل تدري ما سقيتك؟ فقال له والده نعم، سقيتني بول أمك، فقال له ابنه: لا والله، ولكن سقيتك وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال عكرمة: وكان عبد الله بن أبي عظيم الشأن فيهم. وفيهم أنزلت هذه

(١) التفسير الميسر: ٥٥٥.

(٢) تفسير الطبري: ٤٠٢/٢٣.

(٣) أخرجه الطبري: ٤٠٣/٢٣.

(٤) أخرجه الطبري: ٤٠٣/٢٣.

(٥) أخرجه الطبري: ٤٠٤/٢٣.

(٦) أخرجه الطبري: ٤٠٣-٤٠٢/٢٣.

الآية في المنافقين: {هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا} وهو الذي قال: {لَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابُ مِنْهَا الْأَذَلَّ}، قال: فلما بلغوا المدينة، مدينة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن معه، أخذ ابنه السيف، ثم قال لوالده: أنت تزعم "لنن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل"، فوالله لا تدخلها حتى يأذن لك رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" (١).

عن ابن زيد، في قول الله {لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ}، قال: "كان المنافقون يسمون المهاجرين: الجلابيب؛ وقال: قال ابن أبي: قد أمرتكم في هؤلاء الجلابيب أمري، قال: هذا بين أمج وعسفن على الكديد تنازعوا على الماء، وكان المهاجرون قد غلبوا على الماء؛ قال: وقال ابن أبي أيضاً: أما والله لنن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذلّ لقد قلت لكم: لا تنفقوا عليهم، لو تركتموهم ما وجدوا ما يأكلون، ويخرجوا ويهربوا؛ فأتى عمر بن الخطاب إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله ألا تسمع ما يقول ابن أبي؟ قال: وما ذاك؟ فأخبره وقال: دعني أضرب عنقه يا رسول الله، قال: "إِذَا تَرَعَدَ لَهُ أَنْفٌ كَثِيرَةٌ بِيْتْرَبٍ" قال عمر: فإن كرهت يا رسول الله أن يقتله رجل من المهاجرين، فمرّ به سعد بن معاذ، ومحمد بن مسلمة فيقتلانه فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ، ادْعُوا لِي عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي"، فدعاه، فقال: "أَلَا تَرَى مَا يَقُولُ أَبُوكَ؟" قال: وما يقول بأبي أنت وأمي؟ قال: "يَقُولُ لَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعْرَابُ مِنْهَا الْأَذَلَّ"؛ فقال: فقد صدق والله يا رسول الله، أنت والله الأعزُّ وهو الأذلُّ، أما والله لقد قديمت المدينة يا رسول الله، وإن أهل يثرب ليعلمون ما بها أحد أبرّ مني، ولئن كان يرضى الله ورسوله أن آتيهما برأسه لآتيتهما به، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا؛ فلما قدموا المدينة، قام عبد الله بن عبد الله بن أبي على بابها بالسيف لأبيه؛ ثم قال: أنت الفائل: لنن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزّ منها الأذلّ، أما والله لتعرفن العزة لك أو لرسول الله، والله لا يأويك ظله، ولا تأويه أبداً إلا بإذن من الله ورسوله؛ فقال: يا للخزرج ابني يمنعني بيتي، يا للخزرج ابني يمنعني بيتي، فقال: والله لا تأويه أبداً إلا بإذن منه؛ فاجتمع إليه رجال فكلموه، فقال: والله لا يدخله إلا بإذن من الله ورسوله، فأتوا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبروه، فقال: "ادْهَبُوا إِلَيْهِ، فَقُولُوا لَهُ خَلِّهِ وَمَسْكَنُهُ"؛ فأتوه، فقال: أما إذا جاء أمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فنعم" (٢).

عن عاصم بن عمر بن قتادة: "أن عبد الله بن عبد الله بن أبي أتى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه، فإن كنت فاعلاً فمرني به فأنا أحمل إليك رأسه، فو الله لقد علمت الخزرج ما كان فيها رجل أبرّ بوالده مني، وإنني أخشى أن تأمر به غيره فيقتله، فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس فأقتله، فأقتل مؤمناً بكافر، فأدخل النار؛ فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "بَلْ تَرْفُقُ بِهِ وَتُحْسِنُ صُحْبَتَهُ مَا بَقِيَ مَعَنَا"، وجعل بعد ذلك اليوم إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه، ويأخذونه ويعنفونه ويتودعونه، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك عنهم من شأنهم: "كَيْفَ تَرَى يَا عُمَرُ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ قَتَلْتُهُ يَوْمَ أَمَرْتَنِي بِقَتْلِهِ لَأَرَعَدَتْ لَهُ أَنْفٌ، لَوْ أَمَرْتَهَا الْيَوْمَ بِقَتْلِهِ لَقَتَلْتُهُ"؛ قال: فقال عمر: قد والله علمت لأمر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعظم بركة من أمري" (٣).

عن ابن إسحاق: "حدثني محمد بن يحيى بن حبان، وعبد الله بن بكر، وعاصم بن عمر بن قتادة، في قصة بني المصطلق: فبينما رسول الله مقيم هناك، اقتتل على الماء جهجاه بن سعيد الغفاري - وكان أجيرا - لعمر بن الخطاب، وسنان بن وبر، قال ابن إسحاق: فحدثني محمد بن يحيى بن حبان قال: ازدحما على الماء فاقتتلا فقال سنان: يا معشر الأنصار. وقال

(١) أخرجه الطبري: ٤٠٣/٢٣.

(٢) أخرجه الطبري: ٤٠٥/٢٣-٤٠٦.

(٣) أخرجه الطبري: ٤٠٧/٢٣.

الجهجاه : يا معشر المهاجرين - وزيد بن أرقم ونفر من الأنصار عند عبد الله بن أبي - فلما سمعها قال : قد ثاورونا في بلادنا. والله ما مثلنا وجلابيب قريش هذه إلا كما قال الفائل : "سمن كلبك يأكلك". والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعرز منها الأذل. ثم أقبل على من عنده من قومه وقال : هذا ما صنعتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو كفتهم عنهم لتحولوا عنكم في بلادكم إلى غيرها. فسمعها زيد ابن أرقم، فذهب بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غُلَيْمٌ - وعنده عمر بن الخطاب رضي الله عنه - فأخبره الخبر، فقال عمر رضي الله عنه : يا رسول الله مر عبّاد بن بشرٍ فليضرب عنقه. فقال صلى الله عليه وسلم : "كيف إذا تحدث الناس - يا عمر - أن محمداً يقتل أصحابه ؟ لا ولكن ناد يا عمر في الرحيل". فلما بلغ عبد الله بن أبي أن ذلك قد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم، أتاه فاعتذر إليه، وحلف بالله ما قال ما قال عليه زيد بن أرقم - وكان عند قومه بمكان - فقالوا : يا رسول الله، عسى أن يكون هذا الغلام أوهم ولم يثبت ما قال الرجل.

وراح رسول الله صلى الله عليه وسلم مُهَجراً في ساعة كان لا يروح فيها، فلقبه أسيد بن الحضير فسلم عليه بتحية النبوة، ثم قال : والله لقد رُحِتَ في ساعة مُنْكَرَةٍ ما كنت تروح فيها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أما بلغك ما قال صاحبك ابن أبي ؟. زعم أنه إذا قدم المدينة سيخرج الأعرز منها الأذل". قال : فأنت - يا رسول الله - العزيزُ وهو الذليل. ثم قال : يا رسول الله ارفق به فوالله لقد جاء الله بك وإنا لننظم له الخرزَ لِنُتَوِّجَه، فإنه ليرى أن قد استلبته ملكاً.

فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس حتى أمسوا، ليلته حتى أصبحوا، وصدرَ يومه حتى اشتد الضحى. ثم نزل بالناس ليشغلهم عما كان من الحديث، فلم يأمن الناس أن وجدوا مس الأرض فناموا، ونزلت سورة المنافقين^(١).

قوله تعالى: {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} [المنافقون : ٨]، أي: "والله تعالى العزة ولرسوله صلى الله عليه وسلم، وللمؤمنين بالله ورسوله لا لغيرهم"^(٢). قال الطبري: "قال الله جل ثناؤه: {وَلِلَّهِ} الشدة والقوة {وَلِرَسُولِهِ} بالله"^(٣). قال الزجاج: "فأعلم الله أنه مظهر دينه على الدين كله ومعزُّ رسوله ومن معه من المؤمنين"^(٤).

قال الزمخشري: "وَلِلَّهِ} الغلبة والقوة، ولمن أعزه الله وأيده من رسوله ومن المؤمنين، وهم الأخصاء بذلك، كما أنّ المذلة والهوان للشيطان وذويه من الكافرين والمنافقين"^(٥). وعن بعض الصالحات: "وكانت في هيئة رثة- أُلست على الإسلام؟ وهو العز الذي لا ذل معه، والغنى الذي لا فقر معه"^(٦).

قال سعيد بن المسيب: "إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا؛ يعني إن الله يعز من يشاء؛ كما قال في آية أخرى {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} (٣) وعزة الرسول والمؤمنين بالله تعالى، فهي كلها لله، قال الله تعالى: {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠)}. {وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}"^(٧). عن الحسن بن علي -رضي الله عنهما-: "أن رجلاً قال له. إن الناس يزعمون أن فيك تيهاء، قال: ليس بتيهاء، ولكنه عزة، وتلا هذه الآية"^(٨).

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ٢٩٠/٢ - ٢٩٢، وتفسير ابن كثير: ١٢٧/٨-١٢٨.

(٢) التفسير الميسر: ٥٥٥.

(٣) تفسير الطبري: ٤٠٢/٢٣.

(٤) معاني القرآن: ١٧٧/٥.

(٥) الكشاف: ٥٤٣/٤.

(٦) نقلا عن الكشاف: ٥٤٣/٤.

(٧) تفسير الثعلبي: ٢٤٧/١٤، وتفسير البغوي: ١٤٢/٤.

(٨) نقلا عن الكشاف: ٥٤٣/٤.

وكان جعفر الصادق رحمه الله، يقول: "من مثلي ورب العرش معبودي، من مثلي وأنت لي" (١). قوله تعالى: {وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ} [المنافقون : ٨]، أي: "ولكن المنافقين لا يعلمون ذلك؛ لفرط جهلهم" (٢).

قال الطبري: يقول: " {وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ} ذلك" (٣).

فوائد الآيات: [٨-٥]:

- ١- لا ينفع الاستغفار للكافر ولا الصلاة عليه بحال.
- ٢- ذم الإعراض والاستكبار عن التوبة والاستغفار. فمن قيل له استغفر الله فليستغفر ولا يتكبر بل عليه أن يقول: استغفر الله أو اللهم اغفر لي.
- ٣- مصادر الرزق كلها بيد الله تعالى فليطلب الرزق بطاعة الله ورسوله لا بمعصيتهما.
- ٤- العزة الحقة لله ولرسوله وللمؤمنين، فلذا يجب على المؤمن أن لا يذل ولا يهون لكافر.

القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٩)} [المنافقون : ٩]

التفسير:

يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله و عملوا بشرعه، لا تشغلكم أموالكم ولا أولادكم عن عبادة الله وطاعته، ومن تشغله أمواله وأولاده عن ذلك، فأولئك هم المغبونون حظوظهم من كرامة الله ورحمته.

قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} [المنافقون : ٩]، أي: "يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله و عملوا بشرعه" (٤).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله" (٥).

قال ابن عباس: "ما أنزل الله آية في القرآن، يقول فيها: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}، إلا كان على شريفها وأميرها" (٦).

قال ابن مسعود رضي الله عنه: "إذا سمعت الله يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}، فأرعاها سمعك] يعني: استمع لها؛ فإنه خير يأمر به، أو شر ينهى عنه" (٧).

قوله تعالى: {لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ} [المنافقون : ٩]، أي: "لا تشغلكم أموالكم ولا أولادكم عن عبادة الله وطاعته" (٨).

قال الزمخشري: أي: "لا تشغلكم {أَمْوَالُكُمْ} والتصرف فيها: والسعى في تدبير أمرها: والتهالك على طلب النماء فيها بالتجارة والاعتلال، وابتغاء النجاج والتلذذ بها، والاستمتاع بمنافعها، {وَلَا أَوْلَادُكُمْ} وسروركم بهم، وشفقتكم عليهم، والقيام بمؤنهم، وتسوية ما يصلحهم من معاشهم في حياتكم وبعد مماتكم، وقد عرفتم قدر منفعة الأموال والأولاد، وأنه أهون شيء وأدونه في جنب ما عند الله {عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ}، وإيثاره عليها" (٨).

(١) تفسير الثعلبي: ٤٦٥/٢٦. [ط. دار التفسير]

(٢) التفسير الميسر: ٥٥٥.

(٣) تفسير الطبري: ٤٠٢/٢٣.

(٤) التفسير الميسر: ٥٥٥.

(٥) تفسير الطبري: ٤٠٩/٢٣.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٣٥): ص ١٩٦/١.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٣٧): ص ١٩٦/١.

(٨) التفسير الميسر: ٥٥٥.

(٨) الكشف: ٥٤٤/٤.

قال ابن كثير: "يقول تعالى أمراً لعباده المؤمنين بكثرة ذكره وناهيا لهم عن أن تشغلهم الأموال والأولاد عن ذلك ومخبراً لهم بأنه من التهي بمتاع الحياة الدنيا وزينتها عما خلق له من طاعة ربه وذكره، فإنه من الخاسرين الذين يخسرون أنفسهم وأهليهم يوم القيامة"^(١).
قال الزجاج: "حَضَّهُمُ اللهُ عَلَى إِدَامَةِ الذِّكْرِ لَهُ وَأَنْ لَا يَضُنُّوا بِأَمْوَالِهِمْ"^(٢).
قال الطبري: "يقول: لا توجب لكم أموالكم {وَلَا أَوْلَادُكُمْ} اللّهُ {عَنْ ذِكْرِ اللّهِ}، وقيل: غني بذكر الله جلّ ثناؤه في هذا الموضع: الصلوات الخمس"^(٣).
عن الضحاك: "{يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ}، قال: الصلوات الخمس"^(٤).

وعن الحسن: جميع الفرائض"^(٥). قال الزمخشري: "كأنه قال: عن طاعة الله"^(٦).
وعن الكلبي: "الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم"^(٧).
قال سهل: "عن أداء الفرائض في مواقيتها، فإن من شغله عن ذكر الله وخدمته عرض من عروض الدنيا شيئاً لشهوته، ووجد في عبادته نشاطاً فهو مخدوع، إلا الذي يأخذها الله عزّ وجلّ.

وقد حكي أن سلمان دخل عليه سعد بن أبي وقاص^(٨) -رضي الله عنه- يعوده فبكى سلمان فقال: ما يبكيك يا أبا عبد الله، توفي سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنك راض، وتلقى أصحابك وترد حوضه. فقال سلمان: أما إنني لست أبكي جزعاً على الموت، ولا حرصاً على الدنيا، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلينا عهداً فقال: «ليكن بلغة أحدكم من الدنيا مثل زاد الراكب»^(٩)، وحولي هذه الأوساد- جمع وسادة- وإنما كان حوله لحافه ومطهرته وجفنته. فقال سعد: يا أبا عبد الله، اعهد إلينا عهداً نأخذه بعدك. فقال: يا سعد، اذكر الله تعالى عند همك إذا هممت، وعند حكمك إذا حكمت، وعند يدك إذا أقسمت"^(١٠).

عن عبد الله بن عباس -من طريق الضحاك- قال: "قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «مَنْ كَانَ لَهُ مَالٌ يُبْلَعُهُ حَجَّ بَيْتِ رَبِّهِ، أَوْ تَجِبَ عَلَيْهِ فِيهِ الزَّكَاةُ، فَلَمْ يَفْعَلْ؛ سَأَلَ الرَّجْعَةَ عِنْدَ الْمَوْتِ». فقال له رجل: يا ابن عباس، اتق الله، فإنما يسأل الرجعة الكفار. فقال: سألتو عليك بذلك قرأنا: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ} إلى آخر السورة"^(١١).
قوله تعالى: {وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} [المنافقون : ٩]، أي: "ومن تشغله أمواله وأولاده عن ذلك، فأولئك هم المغبونون حظوظهم من كرامة الله ورحمته"^(١٢).
قال الطبري: "يقول: ومن يلهه ماله وأولاده عن ذكر الله {فَأُولَئِكَ} هم المغبونون حظوظهم من كرامة الله ورحمته تبارك وتعالى"^(١٣).

قال الزمخشري: "{وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ}، يريد الشغل بالدنيا عن الدين {فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} في تجارتهم حيث باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني"^(١).

(١) تفسير ابن كثير: ١٣٣/٨.

(٢) معاني القرآن: ١٧٧/٥.

(٣) تفسير الطبري: ٤٠٩/٢٣-٤١٠.

(٤) أخرجه الطبري: ٤١٠/٢٣.

(٥) نقلا عن: الكشف: ٥٤٤/٤.

(٦) الكشف: ٥٤٤/٤.

(٧) نقلا عن: الكشف: ٥٤٤/٤.

(٨) سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيبي القرشي الزهري (٢٣ ق. هـ - ٥٥ هـ) : الصحابي الأمير، فاتح العراق ومدائن كسرى. أحد العشرة المبشرين بالجنة. (الحلية ١/ ٩٢).

(٩) سنن ابن ماجه ٢/ ١٣٧٤ (رقم ١٤٠٤) والمستدرک علی الصحیحین ٤/ ٣٥٣.

(١٠) تفسير التستري: ١٦٨-١٦٩.

(١١)

(١٢) التفسير الميسر: ٥٥٥.

(١٣) تفسير الطبري: ٤١٠/٢٣.

القرآن

{وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠)} [المنافقون : ١٠]

التفسير:

وأنفقوا -أيها المؤمنون- بالله ورسوله بعض ما أعطيناكم في طرق الخير، مبادرين بذلك من قبل أن يجيء أحدكم الموت، ويرى دلائله وعلاماته، فيقول نادماً: ربِّ هلا أهلتني، وأجلت موتي إلى وقت قصير، فأصدق من مالي، وأكن من الصالحين الأتقياء.

قوله تعالى: {وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ} [المنافقون : ١٠]، أي: "وأنفقوا -أيها المؤمنون- بالله ورسوله بعض ما أعطيناكم في طرق الخير، مبادرين بذلك من قبل أن يجيء أحدكم الموت، ويرى دلائله وعلاماته"^(١).

قال الطبري: يقول: "وأنفقوا أيها المؤمنون بالله ورسوله من الأموال التي رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت"^(٢).

قال الزجاج: "أي: من قبل أن يُعاین ما يعلم معه أنه ميّت"^(٣).

قال الزمخشري: «من» في {مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ}، للتبعيض، والمراد: الإنفاق الواجب {مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ} من قبل أن يرى دلائل الموت، ويعاین ما يبأس معه من الإهمال، ويضيق به الخناق، ويتعذر عليه الإنفاق ويفوت وقت القبول، فيتحسر على المنع، وبعض أنا مله على فقد ما كان متمكناً منه"^(٤).

قوله تعالى: {فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ} [المنافقون : ١٠]، أي: "فيقول نادماً: ربِّ هلا أهلتني، وأجلت موتي إلى وقت قصير"^(٥).

قال الطبري: أي: "فيقول إذا نزل به الموت: يا ربِّ هلا أخرتني فثمهل لي في الأجل إلى أجل قريب"^(٦).

قوله تعالى: {فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ} [المنافقون : ١٠]، أي: "فأصدق من مالي، وأكن من الصالحين الأتقياء"^(٧).

قال الطبري: "يقول: فأزكي مالي وأعمل بطاعتك، وأؤدّي فرائضك، وقيل: عنى بقوله: {وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ} وأحج بينك الحرام"^(٨).

قال ابن كثير: "فكل مُفْرَطٌ يندم عند الاحتضار، ويسأل طول المدة ولو شيئاً يسيراً، يستعجب ويستدرك ما فاته، وهيهات! كان ما كان، وأتى ما هو آت، وكل بحسب تفریطه، أما الكفار فكما قال الله تعالى: {وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخَّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نَحِبُ دَعْوَتِكَ وَتَتَّبِعِ الرَّسُولَ أَوْ لَمْ تُكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ} [إبراهيم : ٤٤] وقال تعالى: {حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ} [المؤمنون : ٩٩، ١٠٠]"^(٩).

(١) الكشاف: ٥٤٤/٤.

(٢) التفسير الميسر: ٥٥٥.

(٣) تفسير الطبري: ٤١٠/٢٣.

(٤) معاني القرآن: ١٧٧/٥.

(٥) الكشاف: ٥٤٤/٤.

(٦) التفسير الميسر: ٥٥٥.

(٧) تفسير الطبري: ٤١٠/٢٣.

(٨) التفسير الميسر: ٥٥٥.

(٩) تفسير الطبري: ٤١٠/٢٣.

(١٠) تفسير ابن كثير: ١٣٣/٨.

عن ابن عباس، قال: "ما من أحد يموت ولم يؤدّ زكاة ماله ولم يحجّ إلا سأل الكرّة، فقالوا: يا أبا عباس لا تزال تأتينا بالشيء لا نعرفه؛ قال: فأنا أقرأ عليكم في كتاب الله: {وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقْتُ} قال: أودي زكاة مالي، {وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ}، قال: أحجّ" (١).

قال ابن عباس: "ما يمنع أحدكم إذا كان له مال يجب عليه فيه الزكاة أن يزكي، وإذا أطاق الحجّ أن يحجّ من قبل أن يأتيه الموت، فيسأل ربه الكرّة فلا يُعطاه، فقال رجل: أما تتقي الله، يسأل المؤمن الكرّة قال: نعم، أقرأ عليكم قرآناً، فقراً: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ}، فقال الرجل: فما الذي يوجب عليّ الحجّ، قال: راحلة تحمله، ونفقة تبلغه" (٢).

عن ابن عباس، قوله: " {لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ} ... إلى قوله: {وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ}، قال: هو الرجل المؤمن إذا نزل به الموت وله مال لم يزكه ولم يحجّ منه، ولم يعط حقّ الله فيه، فيسأل الرجعة عند الموت ليتصدّق من ماله ويزكي، قال الله: {وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا} (٣).

عن الضحّاك بن مزاحم في قوله: " {لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقْتُ}، قال: فأصدّق بزكاة مالي {وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ}، قال: الحجّ" (٤).

عن سفيان: " {فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ}، قال: الزكاة والحجّ" (٥).
عن عبيد، قال: "سمعت الضحّاك يقول في قوله: {لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ}، إلى آخر السورة: هو الرجل المؤمن نزل به الموت وله مال كثير لم يزكه، ولم يحجّ منه، ولم يعط منه حقّ الله يسأل الرجعة عند الموت فيزكي ماله، قال الله: {وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا} (٦).

القرآن

{وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١١)} [المنافقون : ١١]

التفسير:

ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء وقت موتها، وانقضى عمرها، والله سبحانه خبير بالذي تعملونه من خير وشر، وسيجازيكم على ذلك.

قوله تعالى: {وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا} [المنافقون : ١١]، أي: "ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء وقت موتها، وانقضى عمرها" (٧).

قال الطبري: "يقول: لن يؤخر الله في أجل أحد فيمد له فيه إذا حضر أجله، ولكنه يخترمه" (٨).

قال ابن كثير: "أي: لا ينظر أحداً بعد حلول أجله، وهو أعلم وأخبر بمن يكون صادقاً في قوله وسؤاله ممن لو ردّ لعاد إلى شر مما كان عليه" (٩).

(١) أخرجه الطبري: ٤١١/٢٣.

(٢) أخرجه الطبري: ٤١١/٢٣.

(٣) أخرجه الطبري: ٤١٢/٢٣.

(٤) أخرجه الطبري: ٤١١/٢٣.

(٥) أخرجه الطبري: ٤١٢/٢٣.

(٦) أخرجه الطبري: ٤١١/٢٣-٤١٢.

(٧) التفسير الميسر: ٥٥٥.

(٨) تفسير الطبري: ٤١٢/٢٣.

(٩) تفسير ابن كثير: ١٣٣/٨.

قال الزمخشري: " {وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ} نفي للتأخير على وجه التأكيد الذي معناه منافاة المنفي الحكمة. والمعنى: إنكم إذا علمتم أن تأخير الموت عن وقته مما لا سبيل إليه. وأنه هاجم لا محالة"^(١).

قال الضحاك: " كل نفس أجلها الموت، {ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها}"^(٢).
عن أبي الدرداء، رضي الله عنه، قال: ذكرنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الزيادة في العمر فقال: " إن الله لا يؤخر نفساً إذا جاء أجلها، وإنما الزيادة في العمر أن يرزق الله العبد ذرية صالحة يدعون له، فيلحقه دعاؤهم في قبره"^(٣).

قوله تعالى: {وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [المنافقون: ١١]، أي: " والله سبحانه خير بالذي تعملونه من خير وشر، وسيجازيكم على ذلك"^(٤).

عن قتادة، قوله: "{ خَيْرٌ }"، قال: " خير بخلقه"^(٥).
قال الطبري: " يقول: والله ذو خبرة وعلم بأعمال عبده هو بجميعها محيط، لا يخفى عليه شيء، وهو مجازيهم بها، المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته"^(٦).

قال الزمخشري: أي: " عليم بأعمالكم فجاز عليها، من منع واجب وغيره: لم تبق إلا المسارعة إلى الخروج عن عهدة الواجبات والاستعداد للقاء الله"^(٧).
فوائد الآيات: [٩-١١]:

- ١- حرمة التشاغل بالمال والولد مع تضييع بعض الفرائض والواجبات.
- ٢- حرمة تأخير الحج مع القدرة على أدائه تسويفاً وتماطلاً مع الإيمان بفرضيته.
- ٣- وجوب الزكاة والترغيب في الصدقات الخاصة كصدقة الجهاد والعمارة على الفقراء والمساكين.
- ٤- تقرير عقيدة البعث والجزاء.

«آخر تفسير سورة (المنافقون)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

انتهى الجزء الخامس والثلاثون من التفسير، ويليه الجزء السادس والثلاثون بإذن الله، وبدايته تفسير الآية (١) من سورة «التغابن».

(١) الكشاف: ٥٤٤/٤.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٢٤٤٨٩): ص ٢٦٧/٨. في تفسير قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجْلاً وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ} [الأنعام: ٢].
(٣) رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير": ١٣٤/٨، ورواه ابن عدى في الكامل (٢٨٥/٣) من طريق الوليد بن عبد الملك عن سليمان بن عطاء به - مجمع على ضعفه.
(٤) التفسير الميسر: ٥٥٥.
(٥) تفسير عبدالرزاق (٢٣٨٩): ص ٥٦/٣.
(٦) تفسير الطبري: ٤١٢/٢٣.
(٧) الكشاف: ٥٤٤/٤.